

الوَجِيزُ فِي نَفْسِ الْكَلَامِ الْخَبِيرِ

تأليف
أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي
أستاذ عصره في علم التفسير
(المتوفى سنة ٤٦٨ هـ)

تحقيق
صفوان عدنان ولاوي

المجلد الأول

الدار السامية
بيروت

دار الفقه
دمشق



الوجيزُ
في

نفسية الكائنات العنبرية

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

حقوق الطبع محفوظة

دس - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

الدار السامية
للطباعة والنشر والتوزيع

الإهداء

إلى الذي أمضى حياته في الدعوة إلى الله،
وهديته حباً والله.

إلى الذي يفتح طمح المساكين، ويفرح لفرحهم.
إلى الذي بذل جهته لقضاء حاجات المؤمنين.
إلى فضيلة الشيخ محمد عروض حفظه الله ورعاه.
نقدم هذا الكتاب هدية

وإلى جميع طلاب العلم والشيخ رجي أجمعين

هَذَا الْكِتَابُ

* قال الغزالي :

(مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْمَعَ كِتَابَهُ تَعَالَى مِنْ فَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَعَلَيْهِ بِتَفْسِيرِ الْوَاحِدِيِّ).

* ولبعضهم :

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى كِتَاباً مُلَخَّصاً	مَصُوناً عَنِ التَّطْوِيلِ مَلْبِي ...
فَبَادِرْ إِلَى هَذَا الْكِتَابِ؛ فَإِنَّهُ	كِتَابٌ وَجِيزٌ اللَّفْظُ جَمُّ الْفَوَائِدِ
بِحَارُ الْمَعَانِي تَحْتَهُ قَدْ تَلَا طَمَتْ	فَمَنْ يَنْغَمِسُ فِيهَا يَقْرَأُ بِالْفَرَائِدِ
وَإِنَّ «وَجِيزَ» الْوَاحِدِيِّ هُوَ الَّذِي	قَرَأْتُهُ فَرَضٌ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ



مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنَّ علم التفسير من أشرف العلوم، ومعرفة من أهم الأمور، والمؤلفات فيه أكثر من أن تحصى، ما بين مختصر ومطوَّل.

ومن أفضلها كتاب «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لشيخ عصره الإمام أبي الحسن الواحدي، وهو تفسيرٌ مختصرٌ جامعٌ لأنواع متعدِّدة من ألوان التفسير. وقد عملنا على تحقيقه وضبطه، وتخريج أحاديثه، وقَدَّمنا لذلك بمقدِّمة تشمل ترجمة المؤلف وشيوخه وتلامذته، ومؤلفاته.

وأفردنا فصلاً خاصاً ذكرنا فيه انتشار مؤلفات الواحدي في التفسير، وذكرنا بعض مَنْ كان يحفظها عن ظهر قلبٍ.

وذكرنا منهج المؤلف في تفسيره، وما عليه من ملاحظات في كتابه.

ونسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبَّل منا ما عملناه، ويثيبنا عليه أحسن الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المُحَقِّقُ

المدينة المنورة ١٤١١هـ

دِرَاسَةُ عَنِ الْمُؤَلِّفِ

اسْمُهُ وَنَسَبُهُ (*)

تُجمع المصادر التي ترجمت للواحدِيّ على أَنَّ اسمه عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ بنِ عليٍّ بنِ مَتَوَيْه، الإمام أبو الحسن الواحدِيّ النيسابوريّ. وشذَّ صاحب «إنباه الرُّواة» فكَنَّاهُ أبا الحسين، ولا أدري هل هو تصحيفٌ منه، أم هو خطأ طباعيّ.

وكان أبوه أحمد بن محمد من الثَّجَّار، وأصلُهم من ساوة، وهي مدينة بين الرِّيِّ وهمذان في واسط، وفيها بُحيرةٌ مشهورةٌ قديماً، وقد غاضت يوم ميلاد النبي ﷺ، وبالقرب منها مدينة يقال لها: آوة، فسَاوَةُ سُنِّيَّةٌ شافعيةٌ، وآوة أهلها شيعةٌ إماميةٌ، وبينهما نحو فرسخين، وما زالتا معمورتين إلى سنة ٦١٧هـ، حتى جاءهما التتر فخر بهما، وكان في ساوة دار كُتُبٍ لم يكن في الدُّنيا أعظم منها، فأحرقها التتر، وهم قومٌ هَمَجٌ خربوا البلاد الإسلامية، وأحرقوا المكتبات العظيمة، وخاصةً في بغداد، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون، وهذه من أعظم المصائب على الأمة الإسلامية.

وخلف أبوه ثلاثة أولادٍ، وهم:

- أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد الواحدِيّ، وهو أكبرهم.
- وعلي بن أحمد الواحدِيّ، صاحب الترجمة، وهو أوسطهم.

(*) انظر ترجمته في: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٣٨٧؛ ووفيات الأعيان ٤٦٤/٢؛ ومعجم الأدباء ٢٥٧/١٢؛ وإنباه الرواة ٢٢٣/٢؛ وطبقات الشافعية الكبرى ٤٢٠/٥؛ وطبقات المفسرين للداوودي ٣٩٤/١؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ٢٥٦/١؛ وبغية الوعاة ١٤٥/٢؛ وغاية النهاية ٥٢٣/١؛ والمختصر في أخبار البشر ٢٦٩/١؛ ودمية القصر ٢٥٥/٢.

— وأبو بكر سعيد بن أحمد الواحدي، وهو أصغرهم.

فأمّا عبد الرحمن فقد كان صالحاً مستوراً، سمع من الزّيادي، وابن يوسف ومن بعدهم من أصحاب الأصمّ، وعُقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي قبل الصلاة يوم الجمعة، وأملئ سنين، وقرئ عليه أكثر مسموعاته.

توفي يوم الأربعاء غرة شهر ربيع الآخر سنة ٤٨٧هـ. وقد جاوز التسعين.

روى عنه أخوه أبو الحسن صاحب الترجمة^(١)، وأبو الفتح مسعود بن أحمد المسعودي^(٢).

وأما سعيد^(٣) بن أحمد الواحدي فكان يحترف بالسّمسرة، وكان شيخاً، ثقةً، مستوراً، صائناً، عفيفاً، سمع من أصحاب الأصمّ، وروى عنه أبو الحسن الحافظ^(٤).

وأما ثالثهما فهو إمامنا أبو الحسن الواحدي، كان واحد عصره في التفسير، وأما نسبه الواحدي فهي إلى الواحد بن الدّيل بن مهرة.

وجاء في مختصر أبي الفداء^(٥): والواحدي نسبة إلى الواحد بن مهرة^(٦).

قلت: ومهرة هو ابن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة. ذكر نسبه الكلبي في نسب معدّ ٧١٣/٢ وقال: وولد مهرة بن حيدان: الأمري، والدّيل، وأشموساً، ونعمياً، وندغياً، ثم قال: وولد الدّيل بن مهرة: بغيّة، وعبدان، والواحد.

— وقد صحّف محقق كتاب «نسب معدّ» الدكتور ناجي حسن اسم الدّيل إلى الدّين في الموضعين.

ونبدأ أولاً بذكر شيوخه، ثمّ تلامذته، ثمّ نذكر مُصنّفاته، وقول العلماء فيه، ثم نذكر دراسة مختصرة عن كتابه الوجيز.



(١) المنتخب من السياق ص ٣١٤؛ وسير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٨.

(٢) الأنساب ٢٩٢/٥.

(٣) صحّفه السيد أحمد صقر في أسباب النزول ص ٥ إلى سعد.

(٤) المنتخب من السياق ص ٢٣٧.

(٥) المختصر في أخبار البشر ٥٦٩/١.

(٦) في المطبوعة: بن ميسرة، وهو تحريف.

شُيُوخُهُ

قضى الإمام أبو الحسن الواحديُّ أيام شبابه في تحصيل العلم، والافتراف منه، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأئمة، وقرأ على كثير من المشايخ، ونذكر منهم:

١ - أبو الفضل العُروزي^(١)، واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله النَّهشلي الشافعي المعروف بالصَّفَّار: شيخ أهل الأدب في عصره، حدَّث عن الأصمِّ والكارزي، وأبي منصور الأزهري صاحب «تهذيب اللُّغة»، ورواه عنه. لازمه الواحديُّ سنين عدَّة، يدخل عليه عند طلوع الشَّمس، ويخرج لغروبها، وقرأ عليه اللُّغة، وأكثر دواوين الشعراء، وتوفي الشيخ أبو الفضل في حدود سنة ٤٢٥هـ وقد جاوز التسعين، وكان معاصراً للثعالبي صاحب «يتيمة الدهر»، وأسنَّ منه.

٢ - أبو الحسن القُهنْدُزي^(٢)، واسمه علي بن محمد بن إبراهيم: كان ضريباً، وكان أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، قرأ عليه الواحديُّ جوامع النحو والتصريف والمعاني، قال الواحديُّ في مقدمة البسيط: علَّقتُ عنه مائة جزءٍ من المسائل المشكِّلة، وسمعتُ منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل، وخصَّني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتَّبة على كتاب الغاية لابن مهران.

(١) ترجمته في: المنتخب ص ٨٥؛ وبغية الوعاة ٣٦٩/١؛ وتتمة يتيمة الدهر ص ٢٠٥.

(٢) ترجمته في: بغية الوعاة ١٨٦/٢؛ ونكت الهميان ص ٢١٥؛ وهداية العارفين ٦٨٧/١؛ والبسيط للواحددي ورقة ٢.

٣ - أبو عمران المغربي المالكي^(١)، واسمه موسى بن عيسى: كان شيخ المالكية بالقيروان، وقدم بغداد.

قال عنه الواحدي في «البيسط»: كان واحد دهره، وباقعة عصره في علم النحو، لم يلحق أحدٌ - ممّن سمعنا - شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدّة في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده. توفي أبو عمران سنة ٤٣٠هـ.

٤ - أبو القاسم علي بن أحمد البستي^(٢): قال الواحدي في «البيسط»: وأمّا القرآن وقراءات أهل الأمصار، واختيارات الأئمة فإنني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله، وقرأت عليه القرآن ختمات كثيرة لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران.

٥ - أبو الحسن علي بن محمد الفارسي^(٣): كان إماماً مقرئاً حاذقاً، أخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن ابن مهران، وسمع من الزيادي، وأبي الحسن بن عبدان، وأصحاب الأصم، روى عنه القراءات الواحدي، وأحمد بن أبي عمر صاحب كتاب «الإيضاح»، وتوفي سنة ٤٣١هـ.

٦ - أبو إسحاق الثعلبي^(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم: كان أواخر زمانه في علم القرآن، روى عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن مهران، وأبي الحسن الهمداني. وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، أثنى عليه الواحدي كثيراً في مقدمة البسيط، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، منها تفسيره الكبير، وتوفي سنة ٤٢٧هـ وهو الذي وجّهه للاشتغال بعلم التفسير.

(١) انظر: معجم الأدباء ٢٦٦/١٢؛ وشذرات الذهب ٢٤٧/٣.

(٢) معجم الأدباء ٢٦٦/١٢.

(٣) ترجمته في: المنتخب من السياق ص ٣٧٩؛ وغاية النهاية ٥٧٢/١.

(٤) ويقال له: الثعالبي. ترجمته في: المنتخب ص ٩١؛ ومعجم الأدباء ٣٦/٥؛ وطبقات السبكي ٢٣/٣؛ والوافي ١٤٨/٧؛ وطبقات المفسرين للداوودي ٦٦/١.

٧ - ابن مَحْمُش الزِّيَادِي^(١)، واسمه محمد بن محمد: يكنى أبا طاهر، إمام المحدثين والفقهاء بنيسابور في زمانه، عقد مجالس لإملاء الحديث في نيسابور، وروى عنه الواحدي أوّل حديث في كتابه «الوجيز»، توفي سنة ٤١٠هـ.

٨ - أبو سعد النصروي^(٢)، واسمه عبد الرحمن بن حمدان: كان محدّث عصره، عُقد له مجلس الإملاء في الجامع القديم بنيسابور، توفي سنة ٤٣٣هـ، ذكره في أسباب النزول ص ٢٤٣.

٩ - أبو حسان المزكي^(٣)، واسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم: كانت إليه التّزكية بنيسابور والحشمة، والتّقْدُم في مجالس القضاة، توفي سنة ٤٣٢هـ. ذكره في أسباب النزول ص ٤٥٥.

١٠ - محمد بن إبراهيم المُرْكَبِي^(٤): المحدث ابن المحدث، كان صحيح السماع حسن الأصول توفي سنة ٤٢٧هـ.

١١ - أحمد بن إبراهيم بن موسى^(٥)، أبو سعيد المقرئ النيسابوري: سمع كتاب «الغاية» لابن مهران من مؤلفه، توفي سنة ٤٥٠هـ.

١٢ - أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الواعظ^(٦): المحدث ابن المحدث، أبوه شيخ خراسان أبو القاسم النصرّآبادي، توفي في المحرم سنة ٤٢٨هـ.

١٣ - أبو حفص ابن مسرور^(٧)، واسمه عمر بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسرور الفامي: نيّف على التسعين، وهو آخر مَنْ حَدَّثَ عن أبي عمرو بن نجيّد السّلمي، توفي سنة ٤٤٨هـ.

-
- | | |
|--|--|
| (١) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ١٩٨/٤؛ وسير أعلام النبلاء ٢٧٦/١٧؛ والمنتخب ص ١٨؛ والوافي ٢٧١/١. | (٤) المنتخب ص ٣٢؛ وسير أعلام النبلاء ٥٥١/١٧. |
| (٢) ترجمته في: المنتخب ص ٣٠٧؛ وسير أعلام النبلاء ٥٥٣/١٧. | (٥) المنتخب ص ٩٦؛ وغاية النهاية ٣٦/١. |
| (٣) المنتخب ص ٣٤. | (٦) المنتخب ص ١٢٩. |
| | (٧) المنتخب ص ٣٦٨؛ وسير أعلام النبلاء ١٠/١٨. |

١٤ - أبو سعد الكنجروذي^(١)، واسمه محمد بن عبد الرحمن: كان أديباً فاضلاً حسن السيرة حدّث عنه خلق كثير. توفي سنة ٤٥٣هـ.

١٥ - عبد الغافر الفارسي ابن محمد، أبو الحسين^(٢): جدّ صاحب «السياق في تاريخ نيسابور» توفي سنة ٤٤٨هـ.

١٦ - شيخ الإسلام الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن^(٣): الخطيب المفسّر المحدث الواعظ سمع بالشّام والحجاز، وحدّث بنيسابور وخراسان إلى غزنة وبلاد الهند، توفي سنة ٤٤٩هـ.

وسمع الواحدي من أصحاب أبي العباس الأصم، والسادة العلوية وغيرهم:
١٧ - كآبي بكر أحمد بن محمد الأصفهاني^(٤): ذكره في أسباب النزول ص ٨٩، وتوفي سنة ٤٣٠هـ.

١٨ - ومن شيوخه: أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي^(٥): ذكره في «الأسباب» ص ٨٩، وتوفي سنة ٤٢٧هـ، وكانت وفاته في شعبان سنة ٤٢٧هـ.

١٩ - الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد الطبري^(٦): ذكره في «الأسباب» ص ٤٦، توفي سنة ٤٤٨هـ.

٢٠ - عبد القاهر بن الطاهر^(٧)، أبو منصور البغدادي: صاحب «الفرق بين الفرق»، ذكره في «الأسباب» ص ١٦٦، وكانت وفاته سنة ٤٢٧هـ.

(١) الأنساب ٤/ ١٠٠؛ والمنتخب ص ٤٤؛ وإنباه الرواة ٣/ ١٦٥.

(٢) المنتخب ص ٣٦١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩.

(٣) له ترجمة حافلة في: المنتخب ص ١٣١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠.

(٤) المنتخب ص ٨٩.

(٥) المنتخب ص ٩٠.

(٦) ترجمته في: المنتخب ص ١٣٦.

(٧) المنتخب ص ٣٦٠؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٢؛ وطبقات السبكي ٥/ ١٣٦؛ ووفيات الأعيان

٣٧٢/ ٢.

- ٢١ - أبو منصور محمد بن محمد المنصوري^(١) النوقاني: حدّث عن الدارقطني بالشُّنن، ذكره في «الأسباب» ص ١٧٧، وتوفي سنة ٤٤٨هـ.
- ٢٢ - أبو عبد الله بن أبي إسحاق: ذكره في «الأسباب» ص ٢٠٠، و«المنتخب» ص ٣٨٧.
- ٢٣ - القاضي أبو بكر الحيري^(٢): واسمه أحمد بن الحسن، ذكره في «الأسباب» ص ٢١٤، وانظر «طبقات السبكي» ٤/ ٢٤٠.
- ٢٤ - الحاكم أبو عبد الرحمن الشاذياخي: تلميذ الحاكم صاحب المستدرک، ذكره في «الأسباب» ص ٢٤٢، روى عنه عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري^(٣).
- ٢٥ - عبد الرحمن بن أحمد العطار^(٤) الكمال أبو القاسم: سمع من الحاكم أبي عبد الله، وذكره في «الأسباب» ص ٣١٠، وتوفي سنة ٤٥٠هـ.
- ٢٦ - محمد بن موسى بن الفضل الصيرفي^(٥)، أبو سعيد النيسابوري: المشهور بالصدق والإسناد العالي، ذكره في «الأسباب» ص ١٢٥، وتوفي سنة ٤٢١هـ. وسمع عن الأصم.
- ٢٧ - أحمد بن عبد الله بن أحمد الشيباني^(٦)، أبو نصر الفقيه البخاري: نزيل بغداد ذكره في «الأسباب» ص ٥٠٠، توفي سنة ٤٤٧هـ.
- ٢٨ - منصور بن عبد الوهاب بن أحمد الشَّالنجي^(٧): كان ثقة كثير الحديث، ذكره في «الأسباب» ص ٥٠١، وتوفي سنة ٤٨٢هـ.
- ٢٩ - أبو عثمان البحيري الثقفي الرّعفراني^(٨)، واسمه سعيد بن محمد: عالم

(١) له ترجمة في: المنتخب ص ٤١؛ وسير أعلام النبلاء (٥). المنتخب ص ٢٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠.

(٢) المنتخب ص ٩٨.

(٣) المنتخب ص ٤٤٠.

(٤) المنتخب ص ٣٥٦/ ١٧.

(٥) له ترجمة في: المنتخب ص ٤١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦؛ وتبصير المنتبه ١٤٣/ ١.

(٦) المنتخب ص ٨٠؛ وسير أعلام النبلاء (٧) المنتخب ص ٤٤٠.

(٧) المنتخب ص ٢٣٢؛ ولسان الميزان ٣/ ٤٣؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٣.

(٨) ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ١/ ٢٤٩.

(٩) المنتخب ص ٣١٠.

بالقراءات كثير السماع، وكثير الشيوخ. قرأ عليه مصنفات ابن مهران، وروى عنه مصنفات أبي علي الفارسي ذكره في «الأسباب» ص ٥٧، وفي «الوسيط» في تفسير سورة المائدة ورقة ١٩٥، وتوفي سنة ٤٢٧هـ وذكره في مقدمة «البيسط».

٣٠ - ابن دوست، واسمه عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد^(١): أخذ أئمة العربية بخراسان أخذ عنه الواحدي اللغة، توفي سنة ٤٣١هـ.

٣١ - سعيد بن العباس القرشي الهروي^(٢): مُزَكِّي هراة، وراوي الحديث بها. ذكره في «الأسباب» ص ٦٨ توفي ٤٣٣هـ.

٣٢ - الحافظ أبو نُعيم^(٣)، أحمد بن عبد الله بن إسحاق: ذكره في «الأسباب» ص ٥٩، توفي سنة ٤٣٠هـ.

٣٣ - أخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد^(٤): المتوفى سنة ٤٨٧هـ.

٣٤ - أبو إسحاق الإسفراييني، واسمه إبراهيم بن محمد^(٥): أحد من بلغ حد الاجتهاد لتبحره في العلوم، ذكره الواحدي في «الوسيط» في تفسير سورة المائدة قال: أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاءً في مسجد عقيل سنة ٤١٦هـ، كما ذكره في «البيسط» في تفسير قوله تعالى: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

قال في «المنتخب»: عقد له مجلس الإملاء بنيسابور في مسجد عقيل بعد أبي طاهر الزيادي سنة ٤١٠هـ، وأملئ سنين.

٣٥ - أبو عمر سعيد بن هبة الله البسطامي النيسابوري^(٦): كان له كُتُب، التحق به الواحدي فحفظ القرآن وتعلم الخط، وهو أول شيخ له.

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ٢/٢٩٧؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٠٩.

(٢) المنتخب ص ٢٣١.

(٣) المنتخب ص ٩١؛ وطبقات الحفاظ ٣/١٠٩١؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٤٥٣.

(٤) ترجمته في: المنتخب ص ٣١٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤٢.

(٥) ترجمته في: المنتخب ص ١٢٠؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٣٥٣.

(٦) المنتخب ص ٢٣٩؛ والواحدي ومنهجه في التفسير ص ٦٣.

تَلَامِدَتُهُ

عكف الواحديُّ على طلب العلم، فتتلمذ على كثيرٍ من العلماء كما أسلفنا، وجمع كثيراً من العلوم الفوائد، ثم عكف على تعليم النَّاس العلم، فأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، ونذكر منهم ما يلي:

١ - الخُواري، واسمه أبو محمد عبد الجبار بن محمد^(١): أخذ عن الواحديِّ وأبي بكر البيهقي وإمام الحرمين وأبي القاسم القشيري، وحدث عنه السمعاني وابن عساكر، والمؤيد بن محمد بن علي الطوسي المسند، كما ذكره المنذري في «التكملة» ٢٦/٣. توفي سنة ٥٣٦هـ.

٢ - أحمد بن عمر الأرغياني^(٢)، وأرغيان ناحية من نواحي نيسابور.

٣ - أبو نصر محمد بن عبد الله الأرغياني الراونيري^(٣): مفتي نيسابور في عصره، تفقه على الجويني، وسمع الحديث عن الواحديِّ، توفي سنة ٥١٩هـ وقيل: سنة ٥٢٨. وروى كتاب «أسباب النزول» للواحديِّ، وأخذ عنه عطاء الله بن علي^(٤)، وأبو سَعْد بن السمعاني بالإجازة.

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٧١/٢٠؛ والمنتخب من السياق ص ٣٤٣؛ وطبقات السبكي ١٤٤/٧؛ والجواهر المضيئة ٢٨/٢.

(٢) ذكره الذهبي في السير ٣٤٠/١٨؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٢٤١/٥.

(٣) ترجمته في: الأنساب ٣٢/٣ و ٨٧؛ وطبقات السبكي ١٠٨/٦؛ ووفيات الأعيان ٣٥٩/٣.

(٤) انظر: تاريخ قزوين ٢٣٦/١.

- ٤ - أبو القاسم الهذلي^(١)، واسمه يوسف بن علي: شيخ الإقراء، الرَّحالة في هذا الفن، توفي سنة ٤٦٥هـ. روى القراءة عن الواحدي^(٢).
- ٥ - الحسين بن محمد بن الحسين الفرغاني السمناني: سمع كتاب «الوسيط» على الواحدي، كما جاء في نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧٢ تفسير.
- ٦ - أبو الفضل الميداني: صاحب «مجمع الأمثال»^(٣)، واسمه أحمد بن محمد، وتوفي سنة ٥١٨هـ. وروى عنه «تفسير الوسيط» كما ذكره الرافعي في «تاريخ قزوين» ٣٣٩/١. قال الصفدي: اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير.
- ٧ - عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي: صاحب «السياق في تاريخ نيسابور»، فإنه قال: وأجاز لي جميع مسموعاته^(٤) ومصنفاته. وتوفي سنة ٥٢٩هـ.
- ٨ - علي بن سهل بن العباس، أبو الحسن النيسابوري المفسر^(٥): جمع كتاباً في التفسير اسمه: «زاد الحاضر والبادي»، وسمع عليه الحفصي، وأبو الفتح الطوسي، وقال الفارسي: كان من تلامذة الواحدي. توفي سنة ٤٩١هـ.
- ٩ - أبو إسحاق المرووزي^(٦): الإمام الشهيد، واسمه إبراهيم بن أحمد، قرأ «الوسيط» على الواحدي، وقتل في فتنة خوارزم شاة سنة ٥٣٦هـ.
- ١٠ - محمد بن الفضل الفُراوي^(٧): شيخ الحرم، قرأ «الوجيز» على الواحدي، كما هو مذكور في نسخة عارف حكمت، وتوفي سنة ٥٣٠هـ؛ وقرأ على إمام الحرمين وكثير من العلماء، وقيل في حقه: للفُراوي ألفُ راوي.

(١) ترجمته في: غاية النهاية ٣٩٧/٢؛ والمنتخب ص ٤٩٠.

(٢) انظر: غاية النهاية ٥٢٣/١.

(٣) ترجمته في: معجم الأدباء ٤٥/٥؛ وبغية الوعاة ٣٥٦/١؛ ووفيات الأعيان ١٣٠/١؛ والوافي ٣٢٦/٧.

(٤) انظر: المنتخب من السياق ص ٣٨٧؛ ومعجم الأدباء ٢٦٠/١٢.

(٥) ترجمته في: طبقات الشافعية ٢٥٨/٥؛ والسياق ص ٣٩٤.

(٦) ترجمته في: الأنساب ٤٧٩/٣؛ وطبقات الشافعية الكبرى ٣١/٧.

(٧) ترجمته في: طبقات الشافعية ١٦٦/٦؛ وتبيين كذب المفتري ص ٣٢٢؛ وطبقات الشافعية للأسنوي ١٣٣/٢.

١١ - أبو سعد المؤذن، واسمه إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك^(١): قرأ «الوجيز» على الواحدي وقرأه هو سنة ٥٣٢هـ، وهي السنة التي توفي فيها. كما جاء على نسخة الوجيز مخطوطة كوبريلي المكتوبة سنة ٥٧٣هـ.

١٢ - أبو العباس الأرغواني عمر بن عبد الله^(٢): أخو أبو نصر المتقدّم، وهو أكبر منه ببضع عشرة سنة، سمع منه أبو سعد بن السمعاني كتاب «أسباب النزول» وغيره، توفي سنة ٥٣٤هـ.

١٣ - محمد بن أحمد أبو الفضل الماهياني^(٣): قرأ على إمام الحرمين والواحدى وأبي سعد المتولي، وتوفي سنة ٥٢٥هـ.



(١) المنتخب ص ١٥٢؛ وفهارس مخطوطات كوبريلي ٨٩/١.

(٢) الأنساب ٣/٣٢؛ ومعجم البلدان ٣/٢٠.

(٣) طبقات الشافعية، للسبكي ٦/٦٩.

مَذْهَبُ الْفَقْهِيِّ

كان الواحديُّ من المتفقيين في المذهب الشافعيّ، فقد ذُكر في فقهاء الشافعية في عدد كبيرٍ من كتب الطبقات، كطبقات ابن السبكيّ، والأسنوي وغيرها، ونقل ابن قاضي شُهبة في «طبقات الشافعية» ٢٥٧/١ أنَّ النَّوَوِيَّ نقل عنه في «الروضة» من كتاب السير في الكلام على السلام.

قلتُ: والنقل المذكور هو ما يلي:

قال المتولي: عليكم السَّلام ليس بتسليم.

قلتُ = القائل النووي: الصحيحُ أنَّه تسليمٌ يجبُ منه الرَّدُّ، كما قال الإمام، وممَّن قال أيضاً: إنَّه تسليمٌ أبو الحسن الواحديُّ من أصحابنا، لكن يُكره الابتداء به^(١).

— وذكره في موضعٍ آخر فقال:

وأما المشتغل بقراءة القرآن فقال أبو الحسن الواحديُّ المُفسِّر من أصحابنا: الأولى ترك السَّلام عليه. قال: فإن سلَّم كفاه الرَّدُّ بالإشارة، وفيما قاله نظراً، والظاهر أنَّه يُسلَّم عليه، ويجب الرَّدُّ عليه باللفظ^(٢).

هذا مما يؤكد أنَّه شافعيُّ المذهب، رحمه الله، وأكرم مثواه.



(٢) الروضة ١٠/٢٣٢.

(١) الروضة ١٠/٢٢٧.

ثَنَاءُ الْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ، وَمَكَانَتُهُ

لقي الواحديُّ ثناءً عطرًا، وذكرًا حسنًا من العلماء، فقد وصفوه بالعلم والتقدم والمكانة، فها هو ابن السُّبكي يقول^(١):

كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره في التفسير.

وهذا ابن قاضي شهبة يقول عنه^(٢):

كان فقيهاً، إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً. أمّا التفسير فهو إمام عصره فيه.

وهذا الذَّهبيُّ يصفه قائلاً^(٣):

الإمام العلامة، الأستاذ أبو الحسن، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، كان طويل الباع في العربية، واللُّغات.

وهذا صاحب «المنتخب من السياق» يقول عنه^(٤):

الإمام، المُصنِّف، المفسر، النحوي، أستاذ عصره، أدرك الإسناد العالي.

وهذا السيوطي يقول عنه^(٥):

كان واحد عصره في التفسير، ودأب في العلوم.

(٤) المنتخب ص ٣٨٧.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٤٠.

(٥) طبقات المفسرين ص ٦٦.

(٢) طبقات الشافعية ١/ ٢٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ - ٣٤٠.

وهذا القفطي يقول^(١):

الإمام، المصنّف، المفسّر، النحوي، أستاذ عصره، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده، وصنّف التفسير الكبير، وسماه «السيط»، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومنّ رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية.

وقال عنه الباخرزي^(٢):

مشتغل بما يعنيه، خبط ما عند أئمة الأدب، من أصول كلام العرب، خبط عصا الراعي فزوع الغرب، وألقى الدلاء في بحارهم حتى نزعها، ومدّ البنان إلى ثمارهم إلى أن قطفها، وله في علم القرآن، وشرح غوامض الأشعار تصنيفات، بيده لأعنتها تصنيفات.

ومن رفيع مكانته أنّ الوزير نظام الملك صاحب المدرسة النظامية كان يكرمه ويُعظّمه.

وقال عبد الغافر الفارسي^(٣): فأما أبو الحسن فهو الإمام المصنّف، المفسّر النحوي، أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأئمة، وسافر في طلب الفوائد، وقعد للإفادة والتدريس سنين.

ثم قال: وعاش سنين ملحوظاً من النّظام وأخيه بعين الإعزاز والإكرام.

وبعد هذا لنسمع كلام الواحدي في وصف نفسه حيث قال في مقدمة تفسيره «السيط»: وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمنا هذا، وتسعه سنو عمري على قلّة أعدادها، فقد وفق الله وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانّه، وأخذته من معادنه.



(٣) معجم الأدباء ٢٥٩/١٢ - ٢٦٠.

(١) إنباه الرواة ٢/٢٢٣.

(٢) دمية القصر ٢/٢٥٥.

الانقيادات التي وجهت إليه

يبقى الإنسان مهما وصل في العلم والعمل إنساناً، لا يرقى إلى درجة الكمال، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: ما منا من أحدٍ إلا رَدٌّ، أو رُدٌّ عليه إلا صاحب هذا القبر، وأشار إلى النبي ﷺ.

والذي أخذ على الواحدي أنه أطلق لسانه في العلماء السابقين، فقد ذكر أبو سعيد ابن السمعاني في كتاب «التذكرة»^(١): كان الواحدي حقيقاً بكل احترام وإعظام، لكن كان فيه بسط اللسان في الأئمة المتقدمين، حتى سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن بشار بنيسابور مذاكرة يقول:

كان علي بن أحمد الواحدي يقول: صَنَّفَ أبو عبد الرحمن السلمي كتاب «حقائق التفسير» ولو قال: إنَّ ذلك تفسيرٌ للقرآن لكفر به. اهـ.

قلت: ولم أجد - فيما اطلعت عليه من المصادر - بسط الكلام في المتقدمين سوى أبي عبد الرحمن السلمي، وليس من المتقدمين فقد توفي سنة ٤١٢هـ، فهو قريب عصره من الواحدي، ولعل ابن السمعاني أراد السلمي فقط.

وأما كتابه «حقائق التفسير» فقد قال عنه الذهبي بعد أن وصفه بالجلالة^(٢):

ليته لم يُصنِّفه؛ فإنه تحريفٌ وقرمطة، فدونك الكتاب فسترى العجب.

وقال السبكي: لا ينبغي له أن يصف بالجلالة مَنْ يدَّعي فيه التحريف والقرمطة، وكتاب «حقائق التفسير» المشار إليه قد كثر الكلام فيه، من قبل أنه اقتصر فيه على ذكر تأويلات ومحالٍ للصوفية ينو عنها ظاهر اللفظ.

(٢) طبقات الشافعية الكبرى ١٤٧/٤.

(١) طبقات الشافعية الكبرى ٢٤١/٥.

— وقال السيوطي^(١): وإنما أوردته — أي: أبا عبد الرحمن السلمي — في هذا القسم؛ لأنَّ تفسيره غير محمود.

وقال ابن تيمية: وقد ذكر أبو عبد الرحمن في «حقائق التفسير» عن جعفر بن محمد وأمثاله من الأقوال المأثورة ما يعلم أهل المعرفة أنَّه كذبٌ على جعفر بن محمد، فإنَّ جعفرًا كُذِّبَ عليه ما لم يُكذَّب على أحد؛ لأنَّه كان فيه من العلم والدين ما ميَّزه الله به^(٢).

وقال عنه أيضاً:

وكان الشيخ أبو عبد الرحمن رحمه الله فيه من الخير والزُّهد والدين والتَّصوف ما يحمله على أن يجمع من كلام الشيوخ، والآثار التي توافق مقصوده كلَّ ما يجده، فلهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة، والكلام المنقول ما يُنتفع به في الدين، ويوجد فيها من الآثار السقيمة، والكلام المردود ما يضرُّ مَنْ لا خبرة له^(٣).

ثم قال الذهبي^(٤) معقِّباً على كلام السمعاني:

الواحدِيُّ معذورٌ مأجورٌ.

وقال ابن تيمية^(٥): وتفسير الثعلبي، وتفسير الواحدي: البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌ كثيرٌ من المنقولات الباطلة وغيرها.

وقال الكتاني^(٦): ولم يكن له — أي: للواحدِي — ولا لشيخه الثعلبي كبيرُ بضاعة في الحديث؛ بل في تفسيرهما — وخصوصاً الثعلبي — أحاديث موضوعة وقصص باطلة.

وقال ابن تيمية^(٧): وأمَّا ما ينقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أنَّ الثعلبيَّ روى طائفة من الأحاديث الموضوعات، كالحديث الذي يرويه

(١) طبقات المفسرين ص ٨٥. (٥) مقدمة في أصول التفسير ص ٧٦.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ٥٨١/١١. (٦) الرسالة المستطرفة ص ٥٩.

(٣) الفتاوى ٥٧٨/٨. (٧) منهاج السنة ٤/٤.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣٤٢/١٨.

في أول كلِّ سورة عن أبي أمانة في فضل السورة، وكأمثال ذلك، ولهذا يقولون: هو كحاطب ليل، وهكذا الواحدِيُّ تلميذه وأمثالهما من المفسرين ينقلون الصحيح والضعيف، ولهذا لما كان البَغَوِيُّ عالماً بالحديث أعلم به من الثعلبيِّ والواحدِيِّ، وكان تفسيره مختصرَ تفسيرِ الثعلبيِّ لم يذكر في تفسيره شيئاً من هذه الأحاديث الموضوعة التي يرويها الثعلبيُّ، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبي، مع أنَّ الثعلبيَّ فيه خيرٌ ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث.



شعره

كان الواحدي من أهل اللغة والأدب، ذا شاعرية حسنة، وقد وصلنا القليل من شعره، فمن ذلك ما ذكره ياقوت^(١) نقلاً عن عبد الغافر الفارسي حيث قال: ومن غرر شعره:

أيا قادمًا من طوسٍ أهلاً ومرحباً	بقيت على الأيام ما هبت الصبا
لعمري لئن أحيأ قدومك مُذَنِّفاً	بحبك صباً في هواك معذباً
يظلُّ أسير الوجدِ نهبَ صبايةٍ	ويمسي على جمر الغضا مُتَقَلِّباً
فكم زفرةٍ قد هجتها، لو زفرتها	على سدّ ذي القرنين أمسى مذوّباً
وكم لوعةٍ قاسيتُ يوم تركتني	ألاحظ منك البدر حين تغيباً
وعاد النهارُ الطلقُ أسودَ مظلماً	وعاد سنا الإصباح بعدك غيباً
وأصبح حسنُ الظنّ عني ظاعناً	وحدد نحوي البين ناباً ومُخْلِباً
فأقسم لو أبصرت طرفي باكياً	لشاهدت دمعاً بالدماءِ مُخَضَّباً
مسالكُ لهوٍ سدّها الوجدُ والجوى	وروضُ سرورٍ عاد بعدك مُجْدِباً
فداؤك روعي يا ابنَ أكرم والدٍ	ويا مَنْ فؤادي غير حُبِّيّه قد أبى

— وأنشد له أيضاً:

تشوّهت الدنيا وأبدت عوارها وضاعت عليّ الأرض بالرحب والسعة

(١) معجم الأدباء ١٢/٢٦٠.

وأظلمَ في عيني ضياءُ نهارها لتوديع مَنْ قد بانَ عني بأربعه
فؤادي وعيشي والمسرة والكُرَى فإن عاد عادَ الكلِّ والأنسُ والدَّعه
وأورد صاحب دمية القصر^(١) شيئاً من شعره، ومن ذلك أنَّ عبد الكريم الجيلي
سأله أبياتاً يصف فيها خطَّه، فقال مُجيباً له:

لعبد الكريم خطوطٌ أنيقه يَجِيزُ لَهَنَ بحذقٍ ونيقَه
يَطْرُزُ بالخطِ قرطاسه كما طَرَزَ السُّحْبَ لمع العقيقَه
سطوراً إذا ما تأملتها تخيَّلتُ منها غصوناً وريقَه
وغارسها مرهف ناحلٌ يُمِجُّ عليها بستانه ريقَه

قلتُ: وعبد الكريم الجيلي المذكور، كان خطَّاطاً مشهوراً، متفرداً بحسن
الخطِّ، سمع ببغداد ونيسابور، وتوفي سنة ٤٨٦ هـ^(٢).



(١) الدمية ٢/٢٥٦.

(٢) ترجمته في: المنتخب من السياق ص ٣٣٦.

وَفَاةُ

مضى قطار العمر سريعاً، وذهبت نضارة الشباب، فإذا بإمامنا الواحدي قد غدا شيخاً كبيراً، ضَعُفَتْ حركته، وأصابه مرضٌ لازمه طويلاً بنيسابور، بعدها آن للروح أن تعرج إلى باريها، مشتاقَةً لجنَّة ربِّها، فخرجت روحه الطاهرة، وفارقت الجسد الضعيف، بعد حياةٍ عامرةٍ بالإيمان والقرآن، لتلقى أجر ما عملته في هذه الدنيا من خير، وما علَّمته الناس من علم.

وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة، رحمه الله، آنسه الله، عَوَّضَهُ اللهُ الْجَنَّةَ.
وفيه يقول القائل^(١):

قد جُمعَ العالمُ في واحدٍ عالمنا المعروف بالواحدِي

— قال الذهبي: قد شاخ، وقال ابن العماد: توفي وكان من أبناء السبعين.

وقال ابن خلكان^(٢) ونقله عنه الأسنوي في طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٤، ومات بنيسابور بعد مرضٍ طويلٍ في جمادى الآخرة سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة.



(٢) وفیات الأعيان ٣/ ٣٠٤.

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢٦٠.

مؤلفاته

ترك الواحدني تراثاً ضخماً من المؤلفات، وهذا التراث ما هو إلا دليل حي ينطق بفضل صاحبه، ويدل على مكانته العلمية، ورحم الله القائل:

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومؤلفاته كانت في فنون متعددة، والغالب منها كان في علوم القرآن والتفسير، ونذكر منها ما وصل إلينا علمه، ثم تتبع ذلك بيان حال كل كتاب، أهو مطبوع أم مخطوط أم مفقود، فنقول: هي:

١ - أسباب النزول، وهو من مشاهير كتبه، وعمدة هذا الفن.

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات سقيمة باستثناء الطبعة التي هي بتحقيق السيد أحمد صقر - طبع دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، ومع ذلك ففيها بعض التصحيحات القليلة، وتوجد من الكتاب نسخة خطية نفيسة في مكتبة جستربريتي، تاريخ نسخها سنة ٤٨٣هـ، ومنها صورة في جامعة الإمام محمد بن سعود^(١) في الرياض، ولم يطلع المحقق عليها.

٢ - الوجيز في التفسير، وسنقده له فصلاً مستقلاً.

٣ - الوسيط في تفسير القرآن المجيد، طبع منه الجزء الأول في القاهرة، ويشمل تفسير سورتي الفاتحة والبقرة فقط، بتحقيق محمد حسن أبو العزم الزيني - بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ويحتمل الجزء الصادر منه جهداً أكثر ممّا بذله

(١) فهارس التفسير وعلوم القرآن في جامعة الإمام ١٦/٢.

المحقق. ومخطوطاته في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة، والظاهرية في دمشق.

٤ - البسيط في التفسير، وهو تفسيره الكبير، ومخطوطاته موزعة الأجزاء في مكتبات العالم فيوجد منه الجزء الخامس في مكتبة الجامع الكبير - في صنعاء - ، ويبدأ من تفسير سورة براءة، ويقع في ٢١٩ ورقة، مقاس ٢٦ × ١٨، وخطه نسخ قديم.

وقسم منه في مكتبة باتنه في الهند، ومكتبة كايثاني في روما^(١).

- وقسم آخر في ٦٥ ورقة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة برقم ٤٨٢٣.

- ويوجد في دار الكتب المصرية ست مجلدات ضخمة برقم ٥٣ تفسير، وتحتوي على أكثر التفسير، وينقص منها تفسير النصف الثاني من سورة النساء إلى آخر التوبة.

ونقل منه تقي الدين السبكي في فتاواه ٢٢/١ و ٧١.

- وقد ألف أبو الفضائل أحمد بن عبد اللطيف التبريزي كتاباً سَمَّاه «مجمع الألفاظ في الجمع بين لطائف البسيط والكشاف»^(٢) فجمع فيه من بسيط الواحدي، وكشاف الزمخشري.

٥ - معاني التفسير:

ذكره الواحدي في مقدمة الوسيط ٦/١ من المطبوعة، والورقة ٢ من مخطوطة المحمودية - في المدينة المنورة.

- ويوجد منه الجزء الثاني في مكتبة إسكيليبي في تركيا، برقم ١٠٣٠، ويتبدى من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾ وينتهي بآخر السورة.

(٢) كشف الظنون ١٥٩٧/٢.

(١) الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٨٧.

ويقع في ٢٢٦ ورقة، وتاريخ نسخه سنة ٦١٧هـ.

انظر: نوادر المخطوطات العربية في تركيا ٢٧/٣.

٦ - مسند التفسير:

ذكره الواحدي في مقدمة الوسيط ٦/١ من المطبوعة، والورقة ٢ من المحمودية، وهو من المفقودات.

٧ - مختصر التفسير:

والظاهر أنه مختصر التفسير الذي قبله، ذكره المؤلف في الوسيط ٦/١، وهو من المفقودات. وهذه الكتب الثلاثة السابقة ألّفها الواحدي قبل كتاب «الوسيط» كما ذكره في مقدمة الوسيط.

٨ - نفي التحريف عن القرآن الشريف:

ذكره صاحب معجم الأدباء ١٢/٢٥٩؛ وطبقات ابن قاضي شهبة ١/٢٥٧؛ وشذرات الذهب ٣/٣٣٠؛ وطبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٤١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/٣٤١؛ وطبقات المفسرين ١/٣٩٥، وهو مفقود.

٩ - فضائل القرآن:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/١٢٧٧، وهو كتاب مختصر، اختصره شمس الدين محمد بن طولون فاختر منه أربعين حديثاً.

ولم نعر على هذا الكتاب، ولعلّه يوجد في زوايا إحدى المكتبات؛ لأن ابن طولون أخذ منه، وهو متأخر، وكانت وفاته سنة ٩٥٣هـ.

١٠ - مقاتل القرآن:

ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٢١، ونقل منه ابن رجب الحنبلي في كتابه لطائف المعارف ص ٣٥٨، وهو مفقود.

١١ - رسالة في البسملة:

ومنها نسخة خطية في مكتبة الخالدية في القدس.

انظر: فهرس مخطوطات علوم القرآن الشاملة - طبع مؤسسة آل البيت - عمّان

ص ٢٠٧.

١٢ - حاشية على شرح البسمة، للواحدّي للمؤلف نفسه:

ومنها نسخة خطية في مكتبة الخالدية في القدس.

١٣ - جامع البيان في تفسير القرآن:

ومنه نسخة خطية في مكتبة محمد مراد (مراد ملا) بإستانبول.

انظر: فهارس مخطوطات علوم القرآن ص ٢٠٧.

١٤ - الحاوي في تفسير القرآن، أو الحاوي لجميع المعاني:

ومنه نسخة خطية في المكتبة الأصفية في الهند - وخزانة قاسم الرجب - بغداد

فيها الجزء الثاني.

فهارس مخطوطات علوم القرآن ص ٢٠٦.

وذكره في كشف الظنون ٦٢٩/١ وقال: وهو اسم البسيط والوسيط والوجيز

لِلوَاحِدِي.

والحقُّ أنَّه ليس كذلك، فقد جاء في فهرس علوم القرآن بالظاهرية: الوسيط:

وهو تفسير القرآن المعروف بالتفسير الوسيط للواحدِي، وهو وسط بين كتابيه «البسيط»

و «الوجيز» في التفسير أيضاً، وجمعهما كتابه «الحاوي لجميع المعاني في التفسير» فهو

كتابٌ آخر جمع فيه معلومات كتبه.

١٥ - التعبير في شرح الأسماء الحسنى:

ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ٣٤٠/١٨؛ والسبكي في طبقات الشافعية،

وصاحب كشف الظنون ٣٥٥/١؛ والداودي في طبقات المفسرين ٣٩٥/٢.

وهو مفقود.

١٦ - كتاب الدعوات:

ذكر في سير أعلام النبلاء ٣٤١/١٨؛ وطبقات الشافعية ٢٤١/٥؛ والشذرات

٣٣٠/٣؛ وكشف الظنون ١٤١٧/٢.

وهو مفقود.

١٧ - كتاب تفسير أسماء النبي ﷺ:

ذُكر في كشف الظنون ٢/ ١٤٦٠؛ ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٧؛ وسمّاه الذهبي وابن السبكي: كتاب تفسير النبي ﷺ. وهو مفقود.

١٨ - شرح ديوان المتنبي:

انتهى من تأليفه سنة ٤٦٢هـ كما جاء في نسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل^(١).

وهو كتاب كثير الفوائد، طبع ببرلين سنة ١٨٥٨.

١٩ - الإغراب في علم الإعراب:

ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٣٤١؛ والسبكي في طبقاته ٥/ ٢٤١؛ وابن العماد في شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠؛ وياقوت في معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩.

وقد نقل منه أبو حيّان الأندلسي في كتابه «ارتشاف الضّرْب» ٢/ ٤٣.

ولم نعر على هذا الكتاب.

٢٠ - شرح قصيدة بانث سعاد:

ذكرها محقق كتاب الوسيط في الأمثال ص ١٤، وقال: منها نسخة في مكتبة جستریتی بایرلندا، كتبت في القرن التاسع الهجري.

٢١ - كتاب المغازي:

ويسمى «طراز المغازي» كما ذكره السمعاني في الأنساب ٣/ ٤٧٩؛ والذهبي في السير ١٨/ ٣٤١؛ والسبكي في طبقاته ٤/ ٢٤١؛ وصاحب كشف الظنون ٢/ ١٤٦٠.

- وتوجد منه نسخة خطيّة في مكتبة شكيم أوغلي - بتركيا - رقم ٨٠٤ تقع في ٣٥١ ورقة، كتبت في القرن الثالث عشر الهجري.

انظر: نواذر المخطوطات في تركيا ٣/ ٧٥.

(١) فهارس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١/ ١٢٤.

٢٢ - المحصول:

ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٢/٢٥٩، وهو مفقود.

٢٣ - الناسخ والمنسوخ:

نقل منه الزركشي في البرهان ٢/٤١.

٢٤ - رسالة في شرف علم التفسير:

ومنها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ٢٢٠ مجاميع.

فهذا ما وصل إلينا خبره من مؤلفات الواحدي، رحمه الله، وأجزل مثوبته.



كُتِبَ نُسَبَتْ إِلَيْهِ خَطًّا

نُسِبَ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن كتاباً اسمه «الوسيط في الأمثال» لإمامنا الواحدي، ومستنده في ذلك ما جاء على صفحة الكتاب «كتاب الوسيط في الأمثال للواحدى» ولم يستطع المحقق أن يقدم أي دليل يثبت هذه النسبة، على أنه اعترف أنه عاش في دوامة من الشك بالنسبة لصحة نسبته إلى الواحدى.

والذي نقوله: إنَّ هذا الكتاب ليس للواحدى؛ بل إنَّ مؤلفه متأخراً في الزمن عن الواحدى، ويؤيد هذا كلامه على المثل: أحسنُ مَنْ دَبَّ ودَرَج. في صفحة ٣٤ - ٣٥ حيث يستشهد ببیت للأخطل، ثم يقول المؤلف: هكذا رواه الشيخ الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي، وقرأت ديوانه على الفصيحى في سنة إحدى وتسعين.

ومعلوم أنَّ الخطيب التبريزي توفي سنة ٥٠٢هـ، والواحدى توفي سنة ٤٦٨هـ فكيف ينقل عمَّن بعده، والأعجب من ذلك أنَّ المؤلف قرأ ديوان الأخطل على الفصيحى، والفصيحى لقبٌ لعلي بن محمد، أحد أعلام اللغة والنحو، ولُقِّب الفصيحى لكثرة اهتمامه واشتغاله بكتاب «الفصيح» لثعلب، وكانت قراءته سنة ٤٩١هـ أي: إنَّ الواحدى على قول المحقق قرأ ديوان الأخطل وهو متوفى، بل قرأه بعد وفاته بـ ٢٣ سنة؟! علماً بأنَّ الفصيحى توفي سنة ٥١٦هـ، أي: بعد وفاة تلميذه المُفترض بـ ٤٨ عاماً.

فهذا يُبطل نسبة كتاب «الوسيط في الأمثال» للواحدى، وبه يبطل نسبة جميع ما ذكر من الكتب في كتاب الوسيط في الأمثال لمؤلفنا، وهي:

— البسيط في الأمثال: ذكره في الوسيط في الأمثال ص ٣١ - ٤١.

- الوجيز في الأمثال: ذكره في الوسيط ص ٣١ — ٩٤ .
 - المنيع في شرح كتاب الفصيح: ذكره في الوسيط ص ٤١ — ٤٨ .
 - نزهة الأنفس: ذكره في الوسيط ص ٤٢ — ٦٤ .
 - إيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن: ذكره في الوسيط ص ٧٧ .
 - شرح مقصورة ابن دريد: ذكره في الوسيط ص ١٢ — ٢٠٣ .
 - الإيضاح والبيان لأسباب نزول آي القرآن: ذكره في الوسيط ص ٦٩ .
- كما يبعد نسبة بعض هذه الكتب للواحدي أن يكون له أسماء مشتركة لكتب مختلفة الموضوع ممّا يؤدي إلى اللبس .



اَنْتِشَارُ مُؤَلَّفَاتِهِ وَقَرَاءَتُهَا

وقد لاقت مصنفاته قبولاً عند العلماء وانتشاراً، فعكفوا على قراءتها وتدريسها ولا سيما تفاسيره الثلاثة؛ الوجيز والوسيط والبسيط، ونذكر ههنا بعض العلماء الذين قرؤوا هذه الكتب:

١ - كتاب الوسيط:

- قال الرافعي في تاريخ قزوين ٢٥٦/١ في ترجمة محمد بن الحسن الأرغندي: سمع الوسيط في التفسير للواحدى من عبد الجبار بن محمد البيهقي سنة ٥٢٨هـ بسماعه من المصنف.

- وفيه أيضاً ٢٨١/١ في ترجمة محمد بن خليفة، أبي بكر الصائغي القزوينى الفقيه:

سمع الوسيط في التفسير للواحدى عن عبد الجبار البيهقي عن المصنف.

- وفيه أيضاً ٣٣٩/١ في ترجمة محمد بن الحسن، أبي المحاسن القشيري قال:

سمع الوسيط في التفسير لأبى الحسن الواحدى، بروايته عن أبى الفضل الميدانى عنه.

- وفيه أيضاً ١٤٠/١ في ترجمة محمد بن إبراهيم المقرئ الخياط قال:

سمع الوسيط لأبى الحسن على بن أحمد الواحدى أو بعضه من القاضى عطاء الله بن على مع جماعة كثيفة فى الجامع بقزوين سنة ٥٦٨هـ.

- وفى سير أعلام النبلاء للذهبي ١٠٥/٢٢ فى ترجمة رضى الدين الطوسى مُسند خراسان قال:

سمع أكثر الوسيط للواحدى من عبد الجبار الخوارى .

— وفي وفیات الأعیان ۸۴/۷ فى ترجمة قاضى القضاة بهاء الدین بن شدّاد یقول عن نفسه :

ومن شیوخى سراج الدین الجیانى ، قرأتُ علیه صحیح مسلم كله ، و «الوسیط» للواحدى سنة تسع وخمسين بالموصل .

— ومن العجب علینا لا على العلماء الأقدمین أن بعضهم كان یحفظ کتاب الوسیط للواحدى على کبر حجمه .

فقد ذکر الذهبى فى سیر أعلام النبلاء ۴۷۸/۲۰ ، وكذا ابن السبکى فى طبقات الشافعية الکبرى ۱۷۵/۷ فى ترجمة أبى النجیب السهروردى أنه قال : وحفظتُ وسیط الواحدى فى التفسیر ، وسمعتُ کتب الحدیث المشهورة .

— وفى کتاب الأنساب للسمعانى ۴۷۹/۳ فى ترجمة أبى إسحاق المروزدى ، قال :

سمع بحضرته کتاب الوسیط للواحدى حمزة بن إبراهیم الخداباذى البخارى فى مدرسة التمیمية بمرو سلخ جمادى الآخرة سنة ۵۲۱هـ ، وأيضاً سمع کتاب «طراز المغازى» عن الواحدى .

— وفى تاریخ قزوین للرافعى ۳۴۶/۱ فى ترجمة عبد الصمد بن عبد الله العراقى ، قال :

سمع منه — أى : من والد الرافعى — الوسیط فى التفسیر لأبى الحسن الواحدى بروایتہ عن أبى الفضل المیدانى عنه .

— وفى الأنساب ۱۸۳/۵ فى ترجمة أبى الفضل محمد بن أحمد الماهیانى قال : سمع الحدیث من أبى الحسن على بن أحمد الواحدى ، وسمعت منه جمیع التفسیر المعروف بـ «الوسیط» للواحدى .

— وفى طبقات الشافعية الکبرى ۴۹/۶ فى ترجمة أحمد بن محمد السرى الدورى قال : ذکره ابن باطیش فى الفیصل وقال : سمعتُ بقراءته على ابن سکينة «تفسیر الواحدى» و «غریب الحدیث» لابن قتیبة .

– وفي نسخة الوسيط الخطية الموجودة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد إجازة لفخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي الشافعي المتوفى سنة ٧٤٦هـ أجاز بها نجم الملة والدين ضياء الإسلام سعيد بن الشيخ الزاهد صفي الدين عبد المؤمن بن سعد الدين بن مسعود الأخلطي في قراءته «التفسير الوسيط» وغيره من الكتب^(١).

٢ – كتاب البسيط في التفسير:

– ذكر ابن المستوفي في تاريخ إربل ٤٥٦/١ في ترجمة أبي القاسم الأنصاري الأندلسي: أخذ في قراءة كتاب «البسيط» للواحد علي أبي الخير بدل بن أبي المعمر.

٣ – أسباب النزول:

– ذكر الرافعي في تاريخ قزوين ٢٣٦/١ في ترجمة محمد بن بجير الصوفي القصبيري قال:

سمع أكثر «أسباب النزول» للواحد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، من عطاء الله بن علي، بروايته عن أبي نصر الأرغواني عن المصنّف.

– وفيه أيضاً ٢٧٤/١ في ترجمة محمد بن حمزة قال:

سمع عطاء الله بن علي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة بقزوين «أسباب النزول» لعليّ الواحدي بسماعه عن أبي نصر الأرغواني عنه.

وفيه أيضاً ٣١/٢ في ترجمة محمد بن المهلب الهمداني قال:

سمع «أسباب النزول» لعليّ بن أحمد الواحدي من القاضي عطاء الله بن علي سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

٤ – الوجيز:

ذكر الرافعي في تاريخ قزوين ٣١/٢ في ترجمة محمد بن موسى القزويني المعروف بالعمروآبادي أنه سمع «التفسير الوجيز» لأبي الحسن الواحدي من يوسف بن عبد الله الدمشقي سنة ٥٦٢هـ.

(١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ٨٠/١.

وسمعه أيضاً من علي بن الحسين النيسابوري .

— وفيه أيضاً ١٤٤/٢ في ترجمة أبي الخير الطالقاني أحمد بن إسماعيل أنه سمع «الوجيز» للواحدّي بقراءة الحافظ عبد الرزاق الطبرسي في ستة مجالس، ووقعت في شعبان ورمضان سنة ثلاثين وخمسائة.

— وفيه أيضاً ٣٧١/٢ في ترجمة ثابت بن أحمد قال: ومن مسموعه من الإمام أحمد بن إسماعيل صدر «الوجيز، في التفسير» لعليّ الواحدّي، إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

— وذكر الحافظ أبو شامة في ذيل الروضتين ص ١٥٣ في سنة ٦٢٥هـ ما نصه: وفي مستهل ذي القعدة توفي القابسي عبد الرحيم، الذي كان يحفظ الوجيز، ودفن بالجبل.

وذكر السبكي في طبقات الشافعية ٤٩/٦ في ترجمة أبي العباس بن عون ما نصّه:

قال ابن باطيش: قرأت عليه أصول الفقه، وسمعت بقراءته على ابن سكينّة تفسير الواحدي، وغريب الحديث لابن قتيبة.

وقد أثنى الإمام الغزالي على تفاسير الواحدي كثيراً، فقد ذكر الياضي^(١) ما نصه: ومثل هذا ما حكى من أنّ الإمام حجة الإسلام أبا حامد الغزالي قيل له: لِمَ لا تصنف في التفسير؟ فقال: يكفي ما صنّف فيه شيخنا الإمام أبو الحسن الواحدي.

وذكر ابن قاضي شعبة في طبقات النحاة في ترجمة الواحدي:

قال الغزالي: مَنْ أراد أن يسمع كتابه تعالى من فم رسول الله ﷺ فعليه بتفسير الواحدي^(٢).



(٢) الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٤٠٣ .

(١) مرآة الجنان ٢٠٨/٢ .

دِرَاسِيَّةٌ عَنِ الْكِتَابِ



كِتَابُ الْوَجِيزِ وَمَنْهَجُ الْمُؤَلِّفِ فِيهِ

هذا الكتاب من أصول الكتب المؤلفة في التفسير مع اختصاره، وقد ألفه المصنّف استجابةً لرغبات بعض طلاب العلم في الحصول على تفسيرٍ كاملٍ للقرآن الكريم موجزٍ، وكان قد بدأ أولاً بتأليف كتابه «البيسط في التفسير» ثمّ طال الأمر في ذلك، فصنّف هذا الكتاب تعجلاً للمنفعة حيث قال^(١):

«كنتُ قد ابتدأتُ بإبداع كتابٍ في التفسير، لم أسبق إلى مثله، وطال عليّ الأمر في ذلك لشرائط تقلّدتها، ومواجِب من حقّ النصيحة لكتاب الله تحمّلتها، ثمّ استعجلني قبل إتمامه، والتّقضي عملاً لزماني من عهدة أحكامه نفرّ متقاصرو الرغبات، منخفضو الدرجات، أولو البضائع المزجاة، إلى إيجاز كتابٍ في التفسير، يقرب على مَنْ تناوله، ويسهل على مَنْ تأمّله، من أوجز ما عمّل في بابهِ، وأعظمه فائدةً على متحفّظيه وأصحابه». فقد وصف المؤلّف كتابه وصفاً يتلاءم مع الكتاب، ولم يُبالغ فيه، وكتابه هذا من أفضل ما أُلّف في تفسير القرآن باختصار، وجاء العلماء من بعده فجعلوه مصدراً أساسياً لمؤلفاتهم في التفسير، ومعرفةً هذا الكتاب وفهمه تعطي القدر الكافي لمن أراد الاكتفاء به في علم التفسير، فقد قال الغزالي^(٢): «ما من علم إلّا وله اقتصارٌ، واقتصادٌ، واستقصاء، ونحن نشير إليها في التفسير والحديث والفقه والكلام؛ لنقيس بها غيرها.

فالاعتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن، أي: مثله في المقدار، كالوجيز

(١) الوجيز، ورقة ١/أ.

(٢) إحياء علوم الدين ١/٤٠؛ وترتيب العلوم ص ٢١١.

للولاحديّ، والاقتصاد ثلاثة أضعاف القرآن، كالوسيط للواحديّ، وما وراء ذلك استقصاء...».

وقال القفطي^(١): وصنّف الوجيز، وهو عجيبٌ.

أمّا طريقة المؤلف التي سلكها في كتابه هذا فهي في الغالب أن يذكر في تفسير الآية قولاً واحداً معتمداً لابن عباس، أو مَنْ هو في مثل درجته من الصحابة، أو تلامذته من التابعين، كما نصّ على بعض هذا في مقدمة كتابه، وفُهم الباقي من دراسة الكتاب وتخريجه.

— وأحياناً يذكر في الآية قولين أو أكثر، خلافاً لما اشترطه من ذكر قول واحد، وذلك مثلاً عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: الآية ١٠٧].

وقوله تعالى: ﴿ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٢٨].

وقوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ الْمُسَوَّمَةَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤].

وقوله تعالى: ﴿بِهَيْمَةَ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: الآية ١].

وقوله تعالى: ﴿وَلَأَمْنِيْنَهُمْ﴾ [النساء: الآية ١١٩].

وأحياناً يُرْجَح بين الأقوال كما فعل عند تفسير: ﴿وَلَنَذِيْقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ [السجدة: الآية ٢١]. ذكر أقوالاً، واختار الراجح. وغيرها من الأمثلة.

— ومن منهجه أيضاً في الكتاب أن يُفسّر الكلمة الغريبة بأسهل منها.

— واعتمد المؤلف على طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وهذه أفضل طريقة للتفسير، وقد أكثر المؤلف من ذلك، ونذكرها هنا بعض الأمثلة.

— قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: الآية ٧]. قال: قيل:

هم الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: الآية ٦٩].

(١) إنباه الرواة ٢/٢٢٣.

— قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ [مريم: الآية ٤٧]. قال: وهذا جواب الجاهل، كقوله: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا: سَلَامًا﴾ [الفرقان: الآية ٦٣].

— قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: الآية ٧٩]. قال: ردّ عليه حيث قال: ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: الآية ٢٩].

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]. قال: يعني: إنّ جميع الحيوانات مخلوقة من الماء، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: الآية ٤٥].

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا: هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب: الآية ٢٢]. قال: ووعد الله تعالى إياهم في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ [البقرة: الآية ٢١٤]، فعلموا بهذه الآية أنّهم يبتلون، فلمّا ابتلوا بالأحزاب علموا أنّ الجنة والنصر قد وجبا لهم إن سلموا وصبروا.

— قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ [إنّهم لهم المنصورون * وإنّ جندنا لهم الغالبون] [الصافات: الآية ١٧١ — ١٧٣]. قال: تقدّم الوعد بنصرتهم، وهو قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: الآية ٢١].

— قوله تعالى: ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشُورَةً﴾ [المدثر: الآية ٥٢]. قال: وذلك أنّهم قالوا: إنّ سرّك أن نتبعك فأت كلّ واحد منّا بكتاب من ربّ العالمين، نُؤمر فيه باتباعك، كما قالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾ [الإسراء: الآية ٩٣].

وهذا كثير، وقد اقتصرنا بهذه الأمثلة، ونذكرها هنا أنّ الإمام أبا نصر الحداّديّ عقد في كتابه القيم «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى» باباً لهذا النوع من التفسير، انظره بتحقيقنا ص ٤١٧.

— ويهتم المؤلف كثيراً ببيان الناسخ والمنسوخ في تفسيره، فلا يدعُ آيةً قيل فيها إنّها منسوخة إلاّ ويذكرها، وهذا علم مهمّ جداً لمن يتعاطى التفسير.

— ومن طريقته التي اتبعها أيضاً تخريج تفسير الآيات القرآنية على قواعد أصول الفقه، حيث يعالج بدقة أنواع الأمر في القرآن، فيذكر عند كل آية فيها أمر نوع هذا الأمر، وكذا يبين نوع الاستفهام في الآيات التي وردت فيها صيغة الاستفهام، كما يُطبّق بعض القواعد الأصولية على الآيات، كقاعدة: المُطلق يحمل على المقيد، والعام المراد به الخصوص، ونذكر أمثلة على ذلك:

— ففي قوله تعالى: ﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: الآية ٣١]، يذكر نوع الأمر فيقول: وهذا أمر تعجيز، أراد الله تعالى أن يبين عجزهم عن علم ما يرون ويعاينون.

— وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٤]، يبين نوع الأمر فيقول: أمر وعيد.

— وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة: الآية ١٠]، يقول: أمر إباحة.

— وفي بيانه لأنواع الاستفهام نذكر:

— قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، يقول: «هل» استفهام معناه النفي، أي: ما ينتظر هؤلاء.

— وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأَمِينَ: أَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٢٠]، يقول: استفهام معناه الأمر، أي: أسلموا.

— وقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: الآية ٤١]، يقول: وهذا استفهام ومعناه التوبيخ.

— ويذكر بعض أنواع الخبر، فيقول رحمه الله:

في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]: خبر في معنى الأمر: ومراده: ليتربصن.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَنْفَقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٢]، يقول: خبر، والمراد به الأمر.

— وفي تطبيق بعض القواعد الأصولية يذكر عند قوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] ما نصه: في الدُّنْيَا؛ لَأَنَّهُ وَعَدَ فِي الْقِيَامَةِ الرَّؤْيِيَةَ بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: آيتان ٢٢، ٢٣]، والمطلق يُحمل على المقيد.

يريد: إنَّ الأبصار لا تدرِكُه؛ مطلقاً، ثم قُيِّدَ بأنَّ هذا في الدنيا، لأنَّ الآية الأخرى نصَّت على الرؤيا في الآخرة، وقَيَّدَتِهَا بِهَا.

— ويذكر كذلك عند قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ [الرعد: الآية ١٥]، فيقول: يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وَكُرْهَا﴾ وهم مَنْ أَكْرَهُوا عَلَى السَّجُودِ، فسجدوا لله سبحانه من خوف السَّيْفِ، واللفظ عامٌّ والمراد به الخصوص.

— ومن منهج المؤلف في هذا التفسير أَنَّهُ يَبْدَأُ أَوَّلًا بِذِكْرِ سَبَبِ نَزُولِ الْآيَةِ إِنْ كَانَ لَهَا سَبَبٌ، ثُمَّ مَا وَرَدَ مِنْ أَحَادِيثٍ وَأَثَارٍ دُونَ نَسْبَتِهَا فِي الْغَالِبِ، وَأَحْيَانًا يَذْكُرُ بَعْضَ الْأَسْبَابِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي نَزُولِ الْآيَةِ لَمْ يَكُنْ ذِكْرُهَا فِي كِتَابِهِ «أَسْبَابُ النُّزُولِ» كَمَا فَعَلَ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْمُنَافِقُونَ [الآية ٥]، وَسُورَةِ الشُّورَى [الآية ٣٦].

— ويتعرَّضُ قليلاً لذكر الخلاف الفقهي في الآية، كما فعل عند قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: الآية ١٩٦]، حيث ذكر مذهب أهل العراق، ومذهب الشافعي.

— ويتعرَّضُ في تفسيره لذكر مسائل في العربية والنحو..

فيذكر عند قوله تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣]، فيقول: والواو لا تقتضي الترتيب.

— وعند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ﴾ [آل عمران: الآية ٨١]. يُعْرَبُ «ما» فيقول: «ما» ها هنا للشرط.

— وعند قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: الآية ٢]، يُعْرَبُ قوله تعالى: ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ بدلاً من الرُّوح.

— وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبَغَاءِ إِنَّ أُرْدُنَ تَحْصُنَا﴾ [النور: الآية ٣٣]، يقول: ﴿إِنَّ أُرْدُنَ تَحْصُنَا﴾، قيل: إِنَّ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿وَأَنْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ، إِنَّ أُرْدُنَ تَحْصُنَا﴾. فيجعل: وَأَنْكَحُوا جواباً للشرط. وقيل: «إِنَّ» بمعنى «إِذ». . . . وغيرها من مسائل النحو والإعراب.

— كما يذكر بعض المسائل البلاغية. .

فقد ذكر من مسائل البلاغة الالتفات، وهو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، فعند قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لولا إِذ سمعتموه ظَنَّ المؤمنون والمؤمنات، يقول: رجع من الخطاب إلى الخبر.

— كما يذكر في تفسيره ارتباط آيات القرآن الكريم بما قبلها، وهذا نوعٌ مهمٌ من التفسير، وقد أفرده البرهان البقاعي في كتابه الحافل: «نظم الدرر».

فمما ذكره مؤلفنا في هذا عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، فيذكر وجه ارتباطها بما قبلها، فيقول: ثُمَّ أمر نبيّه عليه السلام أن يذكر لهؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصّة إبليس وما أورثه الكبر، فقال: «وَإِذْ قُلْنَا». ووجه الربط واضحٌ.

وغير ذلك من ألوان التفسير، يجدها مَنْ يُطالع هذا الكتاب بهدوء ودقّة.

وينقل المؤلف عن أعلام المفسرين كابن عباس، وقتادة، والسدي، وأبوروق، والفراء.

فرحم الله المؤلف على ما بذل من جهدٍ، وجزاه خير الجزاء.

وجاء على مخطوطة الوجيز نسخة الظاهرية ما يلي:

إذا شئتَ أن تلقى كتاباً مُلَخَّصاً	مصوناً عن التطويل
فبادرْ إلى هذا الكتاب فإنّه	كتابٌ وجيزٌ اللفظ جُمُ الفوائد
بحار المعاني تحته قد تلاطمت	فَمَنْ يَنْغَمِسُ فيها يَقْرُ بالفرائد
وإنَّ وجيزَ الواحديّ هو الذي	قراءته فرضٌ على كلّ واحدٍ

ملاحظات على كتاب الوجيز

يقول العماد الأصفهاني:

«إني رأيت أنه لا يكتب إنسان في يومه، إلا قال في غده: لو غيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

فالكمال لله وحده، ولا يخلو عمل أي إنسان - مهما أتقنه - من ثغرات وملاحظات، وهذا طبيعي بالنسبة للإنسان، ومؤلفنا في كتابه القيم كان عليه بعض الانتقادات، ونذكر أهمها:

* أخطاء في الآيات الكريمة، والظاهر أن المؤلف أملى كتابه إملاءً، فعرض له بعض الأخطاء من الآيات المتشابهة، وكثرت نظراً أن هذه الأخطاء من الشّسخ، وحاولنا إبعاد المؤلف عنها، إلا أن الشّسخ الخطيّة المختلفة قد اشتركت في هذه الأخطاء على اختلاف ناسخها، مما يؤكد أنها حاصلة من المؤلف، ونذكرها كلّها، اكتفاءً بذكرها ههنا عن محالها التي وردت فيها.

١ - في سورة الأنفال ذكر المؤلف الآية كما يلي: «ليحقّ الحقّ ويُبطل الباطل ولو كره المشركون» [الآية ٨]، والصّواب: ﴿ولو كره المجرمون﴾.

٢ - في سورة الأعراف ذكر الآية كما يلي: «فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم» [الآية ٨٢]، والصّواب: ﴿وما كان جواب﴾.

٣ - في سورة يونس ذكر الآية كما يلي: «وكفى بالله شهيداً» [الآية ٢٩]، والصّواب: ﴿كفى بالله﴾.

٤ - في سورة يونس أيضاً ذكر الآية كما يلي: «قل أرأيتم ما أنزل من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً» [الآية ٥٩]، والصواب: ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾.

٥ - في سورة الحجر ذكر الآية كما يلي: «قال: فيما أغويتني» [الآية ٣٩]، والصواب: ﴿قال: ربّ بما أغويتني﴾.

٦ - في سورة النحل ذكر الآية كما يلي: «إنّما أمرنا لشيء» [الآية ٤٠]، والصواب: ﴿إنّما قولنا لشيء﴾.

٧ - وفي سورة الإسراء ذكر الآية كما يلي: «ولقد صرّفنا في هذا القرآن للنّاس» [الآية ٨٩]، والصّواب: ﴿ولقد صرّفنا للناس في هذا القرآن﴾.

٨ - وفي سورة الإسراء أيضاً ذكر الآية كما يلي: «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وصمّاً وبكمّاً» [الآية ٩٧]، والصّواب: ﴿عمياً وبكمّاً وصمّاً﴾.

٩ - وفي سورة الأنبياء ذكر الآية كما يلي: «فنجيناها ولوطاً» [الآية ٧١]، والصّواب: ﴿ونجيناها ولوطاً﴾.

١٠ - وفي سورة يس ذكر الآية كما يلي: «وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى» [الآية ٢٠]، والصّواب: ﴿وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾.

فهذه الأخطاء في الآيات التي وردت عنه، وقد أصلحناها في محالها، وهذا لا يعدّ تصرّفاً في المتن، كما أجمع على ذلك أهل هذا الفن، واكتفينا بإيرادها هنا عن الإشارة إليها في أمكتها.

وهناك بعض الأخطاء في الآيات لكنها في بعض النسخ لا كلّها، فاعتبرناها من النّاسخ.

* ومن الملاحظات عليه أنّه يذكر أوجهاً ضعيفةً في التفسير مع أنّه جاء أصحّ منها، وأحياناً أقوالاً ضعيفة، وأحاديث موضوعة. وغالباً ينقلها عن الكلبي، واسمه محمد بن السائب يُكْتَبُ أبا النضر، وقد روى الكلبي عن أبي صالح كاتب الليث عن ابن عباس، وأكثر رواياته في التفسير من هذا الطريق.

وذكر ابن عدي في الكامل ٢١٢٧/٦ عن سفيان الثوري عن الكلبي قال: قال

لي أبو صالح: انظر كل شيء رويته عني عن ابن عباس فلا تروه.

وذكر أيضاً عن سفيان الثوري قال: قال لي الكلبي: قال لي أبو صالح: كل ما حدثتك فهو كذب.

— والكلبي متهم في رواياته، وضعفه العلماء كثيراً وكذبوه، فقد ذكر ابن عدي في الكامل ٢١٢٨/٦ قال: سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: محمد بن السائب كذاب ساقط.

— وقال النسائي: محمد بن السائب، أبو النضر الكلبي متروك الحديث.

وذكر العقيلي في الضعفاء الكبير ٧٧/٤ عن أبي عوانة قال: سمعت الكلبي يتكلم بشيء من تكلم به كفر، وقال مرة: لو تكلم به ثانية كفر، فسأله عنه فجحده.

وقال البخاري في التاريخ الكبير ١٠١/١: محمد بن السائب الكلبي كوفي، تركه يحيى بن سعيد، وابن مهدي.

وقال ابن حبان في المجروحين ٢٥٣/٢: مذهبه في الدين وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه، فالكلبي يروي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع منه شيئاً، ولا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فما رواه الكلبي لا يحل ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟! والله جلّ وعلا ولّى رسوله تفسير كلامه، وبيان ما أنزل إليه لخلقه فقال: ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾، ومن أمحل المحال أن يأمر الله جلّ وعلا النبي المصطفى أن يبين لخلقه مراد الله عزّ وجلّ من الآي التي أنزلها الله عليه، ثم لا يفعل ذلك رسول ربّ العالمين وسيد المرسلين؛ بل أبان عن مراد الله تعالى في الآي، وفسّر لأمته ما دعت الحاجة إليه، وهو سُنّته، فمن تتبع السُنن وحفظها وأحكمها، فقد عرف تفسير كلام الله تعالى، وأغناه الله عن الكلبي وذويه.

— ومع هذا الكلام في الكلبي نرى كثيراً من المفسرين ينقلون كلامه، ويستشهدون بالرواية عنه، ومنهم مؤلفنا الواحدي، وخاصة في كتابه «أسباب النزول» أمّا في «التفسير الوجيز» فذكر أقواله بقلّة، ولعلّ سبب نقل المفسرين عن الكلبي وأمثاله ما ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٣٣/١ عن يحيى بن سعيد القطان قال:

تساهلوا في التفسير عن قوم لا يُوثقونهم في الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم، وجُوَيْر بن سعيد، والضَّحَّاك، ومحمد بن السَّائب - يعني: الكلبي - وقال: هؤلاء لا يُحمد حديثهم، ويكتب التفسير عنهم.

قال الشيخ - أي: البيهقي - : وإنما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم؛ لأنَّ ما فسَّروا به ألفاظه تشهد لهم به لغاتُ العرب، وإنما عملهم في ذلك الجمع والتَّقريب فقط. اهـ.

قلتُ: هذا يُسلِّم له فيما نُقل عن أمثال هؤلاء من تفسير ألفاظ الغريب في القرآن، لكن نُقل عنهم ومن طريقهم أحاديث كثيرة مرفوعة يُفسِّرون فيها الآيات الكريمة، وهم متَّهمون أو ضعفاء جداً، فهذا لا يُسلِّم لهم؛ خاصَّةً للكلبي الذي أكثر الرواية عن أبي صالح عن ابن عباس، والأوَّلُ عدم ذكره في كتب التفسير إلَّا لتبيينه والتحذير منه.

ونذكر ههنا بعض الأمثلة عن ذلك.

- في سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يقاتلونكم﴾ [الآية ١٩٠]، قال: الآية نزلت في صلح الحديبية، وهذا منقول عن ابن عباس من طريق الكلبي كما بيَّناه في موضعه، وهذه الآية من أوَّل الآيات التي نزلت في القتال بالمدينة، فيكون أوَّل الإذن بالقتال في الحديبية، وقد قُوتل قبلها كثيراً؟!

- وفي سورة طه عند قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً﴾ ذكر أنَّ الآية وما قبلها نزلت لمَّا استسلف رسول الله من يهوديٍّ، وأبى أن يعطيه إلَّا برهن، وهذا مروى عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ من طريق موسى بن عبيدة الرِّبَذي، وهو منكر الحديث، كما بيَّناه.

- وفي سورة البقرة عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ينفقون بالليل والنَّهار﴾ [الآية ٢٧٤] ذكر أنَّها نزلت في علي بن أبي طالب، كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدَّق بدرهم سرّاً، ودرهم علانيةً، ودرهم ليلاً، ودرهم نهاراً.

وقد ورد هذا في حديثٍ ضعيف جداً، وقال ابن تيمية: موضوعٌ، كما بيَّناه.

— وفي تفسيره سورة «والعصر» ذكر حديثاً رفعه في تفسير: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خَسْرٍ﴾ يعني: أبا جهل. ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: أبا بكر. ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يعني: عمر بن الخطاب. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ يعني: عثمان. ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ يعني: علياً.

وهو حديثٌ موضوعٌ كما بيَّناه في محله.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تراها موزَّعة في الكتاب على قُلَّتْهَا، وقد بيَّنا كلَّ ذلك في تعليقنا على الكتاب.

— وهذه الملاحظات لا تُغْطِّي على المزايا الكثيرة الحسنة للكتاب، فالمؤلف بذل جهداً طيباً في تبسيط التفسير، وتقديمه للقراء بأسلوبٍ سهلٍ، وعبارةٍ واضحةٍ، وتحري الصواب حسب جهده، ولا يخلو كتابٌ من ملاحظات وانتقادات، إلاَّ كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فرحم الله المؤلف، وأكرم مثواه ونُزِّلْهُ، وجزاه خيراً.



مَكَانَةُ الْوَجِيزَيْنِ كُتُبُ التَّفْسِيرِ

يحتلُّ كتاب «الوجيز في التفسير» للواحدِي الصَّدَاة بين كتب التفسير المختصرة لاحتوائه ألواناً متنوّعة في التفسير، وقد سبق في كلام الغزالي أنّه حدُّ الاقتصار لمن أراد الاكتفاء به في التفسير^(١).

كما يعتبر أُمّاً وأصلاً من الأصول في بابهِ، وقد اعتمد عليه العلماء بعده، فهذا الشُّيُوطِي يقول في ترجمة أحمد بن يوسف الكواشي^(٢): وله التفسير الكبير والصغير، جوّد فيه الإعراب، وحرّر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخةً إلى مكّة والمدينة والقدس.

قلتُ: - أي: الشُّيُوطِي - : وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدتُ عليه أنا في تكمّله مع «الوجيز»، و«تفسير البيضاوي»، وابن كثير. اهـ.

إذن تفسير الجلالين قام على أربعة أركان، يُمثّل الوجيز ركناً من أركانها. كما كان تفسير الواحدِي أحد مصادر المولى أبي السعود الحنفي، المُفسّر المعروف^(٣) صاحب تفسير: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» وهو مطبوع، فقد ذكر نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة ٣/٣٥ في ترجمته: ألّف المؤلفات الحافلة، منها التفسير المسمّى «بالإرشاد» جمع فيه ما في تفسير البيضاوي، وزاد فيه زيادات حسنة، من تفسير القرطبيّ، والثعلبيّ، والواحدِيّ، والبغويّ.

(١) انظر: ص ٤٢.

(٢) ترجمته في: الكواكب السائرة ٣/٢٥.

(٣) بغية الوعاة ١/٤٠١.

— واعتمد عليه الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفى سنة ٦٩٤هـ^(١) في نظم كتابه: «التيسير» فقد ذكر في مقدمته^(٢) ما يلي:

وقد عزمْتُ واستخرْتُ ربي	فهو مُعِينِي وحده وحسبي
في جمع تفسير غريب اللفظِ	مُرَجَّزاً مُيسَّراً للحفظِ
وما يليه من بيان المشكلِ	والكشف عن تفصيل لفظٍ مُجملِ
مما روته السَّادة الأئمة	وحرَّره علماء الأئمة
كالطبري والثعلبي ومكِّي	أئمة التفسير دون شك
والهرويَّ الحبر والقتيبي	إذ نقلوا الغريب دون ريب
والواحدِّي جامع البسيط	ووضع الوجيز والوسيط ^(٣)
والمهدويَّ البحر ذي الفضل الجلي	والدامغاني والقشيريَّ الولي

— كما نقل منه السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي ٣١٠/١ في موضعين.



(١) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ١٩٩/٨؛ وحسن المحاضرة ٤٢١/١؛ وشذرات الذهب ٤٥٠/٥.

(٢) التيسير ص ٣.

(٣) وبها سمَّى الغزالي كتبه في الفقه.

اسْمُ الْكِتَابِ

أجمعت كتاب التراجم على أن اسم الكتاب هو «الوجيز»، وهذا هو الاسم المختصر لهذا التفسير، واسمه الكامل «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، والاختصار في أسماء المؤلفات أمرٌ شائع جداً، ولا داعي لذكر الأمثلة، فهي أكثر من أن تحصى، وجاء في نسخة الظاهرية «التفسير الوجيز».

وفي نسخة كوبريلي^(١): «الوجيز في تفسير القرآن العظيم».

وفي نسخة في الأسكوريال: «الوجيز في التفسير» فقط.

وفي نسخة دار الكتب المصرية^(٢): «الوجيز في تفسير القرآن العزيز»، وكذا في نسخة ألمانيا الغربية وتاريخ نسخها ٨٦٩هـ، وكذا في نسخة في الأسكوريال تاريخ نسخها ٨١٦هـ.

فاخترنا هذه التسمية لقدم نسخة دار الكتب المُنبت عليها العنوان، ولتناسب أولها مع آخرها ولكثرة ذكرها هكذا في المخطوطات.



(١) فهارس مخطوطات مكتبة كوبريلي ٨٩/١.

(٢) فهارس مخطوطات الدار ١٩٤/٣.

توثيق الكتاب

هذا الكتاب من أشهر كتب التفسير المختصرة، وتصل نسبته إلى مؤلفه مبلغ التواتر، فقد ذكرته أكثر كتب التراجم التي ترجمت لمؤلفه، فذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/٣٠٤؛ وابن الأثير في الكامل ١٠/١٠١؛ والذهبي في السير ١٨/٣٤٠؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٥/٢٤١؛ وابن قاضي شعبة في طبقات الشافعية ١/٢٥٦؛ والقفطي في إنباه الرواة ٢/٢٢٣؛ وياقوت في معجم الأدباء ١٢/٢٥٨؛ والسيوطي في بغية الوعاة ٢/١٤٥؛ والداوودي في طبقات المفسرين ١/٣٩٥.

— ولعلَّ أوَّل مَنْ ذكر كتاب الواحديَّ هو الإمام الغزالي حيث قال: فالإقتصار في التفسير ما يبلغ ضِعْف القرآن، أي: مثله في المقدار، كالوجيز للواحديَّ.

— كما ذكرته فهارس المؤلفات، فذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/٢٠٠٢؛ وصاحب مفتاح السعادة ١/٤٠٢؛ والمرعشي في ترتيب العلوم ص ٢١١.

— وذكر السيوطي أنَّ كتاب الوجيز أحد الكتب التي اعتمد عليها في تكملة تفسير الجلالين، كما تقدَّم.

— وفهارس مكنتات المخطوطات في العالم تحوي على نسخ كثيرة من هذا الكتاب منسوباً لمؤلفه.

وتقدَّم في الكلام على انتشار كتب الواحديَّ بعض الأمثلة التي تؤيد نسبة الكتاب لمؤلفه، وبعض قراءات وإجازات للعلماء في هذا الكتاب، حيث لاقي الكتاب انتشاراً كبيراً في نيسابور وقزوین، فتاريخ قزوین حافلٌ بذكره.

إلى غير ذلك من الأدلة التي تقطع بنسبة الكتاب لمؤلفه، وتنفي الشك عنه.

مخطوطات كتاب الوجيز

توزعت نسخ كثيرة من هذا الكتاب في مختلف مكتبات العالم نظراً لشهرة الكتاب، وشهرة مؤلفه، وتلقى العلماء له بالقبول، ونذكر ما علمناه منها:

١ — نسخة معهد المخطوطات العربية:

عدد أوراقها: ٣٠٥

مقاس: ٢٤ × ١٦

عدد الأسطر: ٢١

تاريخ النسخ: القرن السادس الهجري سنة ٥٣٢هـ

نوع الخط: معتاد

٢ — نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٢٢٨/٦١:

عدد أوراقها: ١٤٢

عدد الأسطر: ٣٠

مقاس: ٢٤ × ١٧سم

نوع الخط: نسخ قديم

ولعلها ترجع إلى القرن السابع الهجري

٣ — نسخة أخرى في مكتبة عارف حكمت رقم ٢٢٨/٦٠:

عدد أوراقها: ٢٥١

عدد الأسطر: ٢٥

مقاس: ٢١ × ١٤سم

نوع الخط: نسخ معتاد

الناسخ: عبد الرحمن بن حسين أفندي بن مصطفى

تاريخ النسخ: ١١٠٣هـ

٤ - نسخة الأسكوريال بإسبانيا:

عدد أوراقها: ١٧٠ ورقة

عدد الأسطر: ٢٧

نوع الخط: مغربي

اسم الناسخ: أحمد بن عبد الله الجزائري

٥ - نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٢٥٩ ب:

عدد أوراقها: ٢٩١ ورقة

مقاس: ١٧ × ٢٣ سم

عدد الأسطر: ١٩ سطر

نسخة بخط قديم، ومكملة في أثنائها وآخرها بخط آخر مؤرخ في

١٥ محرم سنة ١١٩٥هـ

٦ - نسخة كوبريلي بتركيا:

عدد أوراقها: ٢٠٥

مقاس: ١٦ × ٢٥

عدد الأسطر: ٢٥ سطرًا

نوع الخط: نسخ

تاريخ النسخ: الجمعة ٨ محرم سنة ٥٧٣هـ

٧ - نسخة أخرى في مكتبة كوبريلي:

عدد أوراقها: ٢٠٧

عدد الأسطر: ٣٠ سطرًا

مقاس: ٨ × ٢٩

نوع الخط: نسخ مشكول

اسم الناسخ: فخر بن علي بن محمد بن عمر النسفي، الملقب بالفخر

المذكر

تاريخ النسخ: الأحد ٢٣ شوال ٧١٢هـ
٨ - نسخة الظاهرية بدمشق:

عدد أوراقها: ٢٦٤

عدد الأسطر: ٢٣

مقاس: ٢٣,٥ × ١٤,٥

اسم الناسخ: يوسف بن محمد بن محمود الحافظي البخاري الواسطي

نوع الخط: نسخ معتاد

تاريخ النسخ: سنة ٧٧٦هـ

٩ - نسخة أخرى في الظاهرية:

عدد أوراقها: ٢٦٦

مقاس: ٢٣

عدد الأسطر: ٢٥,٥ × ١٧

تاريخ النسخ: القرن الثامن الهجري

أسماء السور مكتوبة بالأحمر

١٠ - نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد:

تشمل نصف الكتاب من سورة مريم إلى الناس

عدد أوراقها: ١١٨ ورقة

تاريخ النسخ: ٥٦٠هـ

١١ - نسخة أخرى في الأسكوريال:

عدد أوراقها: ١٩٦ ورقة

تاريخ النسخ: ٨١٦هـ

١٢ - نسخة رامفور الهند:

عدد أوراقها: ١٤٣

عدد الأسطر: ١٥

تاريخ نسخها: ٩٧٧هـ

الناسخ: صنع الله بن عطاء الله الحسيني السلامي

١٣ - نسخة ألمانيا الغربية - برلين :

عدد أوراقها : ١٨٦ ورقة

تاريخ نسخها : ٨٦٩هـ

١٤ - نسخة ناقصة :

تبدأ من أول الكتاب وتنتهي بسورة الرعد .

فيها من سورة الإسراء إلى الكوثر .

١٥ - نسخة أوركوب في تركيا رقم ١٠٢٥ :

عدد أوراقها : ٢٣٠ ورقة

تاريخ نسخها : ٥٨٨هـ

اسم الناسخ : أبو اليمن سعيد بن أحمد بن محمد الكرمانلي

ذكرها في نواذر المخطوطات في تركيا ٥٧/٣

١٦ - نسخة جستريني :

عدد أوراقها : ١٤٦ ورقة

عدد الأسطر : ٢٩ سطراً

مقاس : ١٨,٧ × ٢٥,٧

نوع الخط : مغربي

تاريخ النسخ : القرن التاسع

منها مصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض

١٧ - نسخة أخرى في جستريني :

عدد أوراقها : ١٧٧ ورقة

عدد الأسطر : ٢١ سطر

نوع الخط : معتاد

تاريخ النسخ : القرن السادس الهجري ومنها صورة في مكتبة مركز البحث

العلمي في جامعة الملك عبد العزيز بمكة

١٨ - نسخة ثالثة في جستريني :

عدد أوراقها : ٢٨٦ ورقة

عدد الأسطر: ١٧

مقاس: ٢٦,٨ × ١٩,٨

كتبت بقلمين مختلفين: الأوّل يعود للقرن السابع، والثاني للمحرم سنة ١٢٧٠هـ.

١٩ - نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض:

عدد أوراقها: ٢٦٥ ورقة

عدد الأسطر: ٢٣ سطراً

مقاس: ٢٣ × ١٢

اسم الناسخ: عبد العزيز بن سليمان الحافظ السيواسي

تاريخ النسخ: سنة ٧٢٣هـ

٢٠ - نسخة في مكتب طلعت بالقاهرة ضمن دار الكتب المصرية:

عدد أوراقها: ٢٧٥ ورقة

مقاس: ٢٥ × ٢٠

٢١ - نسخة في المكتبة التيمورية بالقاهرة:

عدد أوراقها: ٢٢٠ ورقة

مقاس: ٣٣ × ٢٦

عليها تعليقات وهوامش

ثم رأيت بعد كتابة هذا النسخ كتاب «فهارس علوم القرآن والتفسير» طبع مؤسسة آل البيت في عمّان بالأردن، فذكر من هذا الكتاب (٩٤) نسخة، وهذا أكبر إحصاء عن هذا الكتاب.

• • •

كَلِمَةُ خِتَام

في ختام دراستنا هذه نقول: إِنَّ كتاب «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» قد طبع في القاهرة منذ قرنٍ من الزمن، وذلك في عام ١٣٠٥هـ، وأعيد تصويره سنة ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، وذلك على هامش كتاب: التفسير المنير لمعالم التنزيل، المسفر عن وجوه محاسن التأويل، المسمّى طبقاً لمعناه: «مراح البید لكشف معنى قرآن مجید».

لمؤلفه الشيخ محمد نوي الجاوي، من علماء الحجاز في القرن الثالث عشر الهجري، في دار إحياء الكتب العربية - لعيسى البابي الحلبي.

لكنّ طبعة الكتاب السابقة بعيدة عن التحقيق العلمي، بالإضافة إلى أنها في حاشية كتاب آخر، فبدأ الكلام كأنه ممسوخ الشكل، كما أنّه الآن في حكم المخطوط لندرة وجوده، فلا يكاد يوجد إلّا في المكتبات الكبيرة العامة، أو ما أشبهها.

وكذلك فإنّ الطبعة السابقة مليئة بالأخطاء، والتصحيقات، والتحريفات والسقط التي تخفّف من قيمة الكتاب، وتذهب بهجته ورونقه.

- وإني لما أنهيت تحقيق الكتاب ومقابلته على النسخ المخطوطة، أردت أن أقارن بين عملي في الكتاب، وبين المطبوعة القديمة، فقمّت بمراجعة صفحات قليلة من نسختي على النسخ المطبوعة، فوجدت فيها أخطاءً متنوّعة، وأنا أقدم ههنا بعض الأمثلة على ذلك.

ففي المقدمة جاء في المطبوعة: أخبرنا به الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد الريادي.

والصواب: أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي.

— وفيها أيضاً في الحديث الأوّل في الكتاب عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر.

والصواب: عن عبد الله بن عمرو.

— وفيها أيضاً: وعليها يُحال.

والصواب: وعليها بحال، وفي نسخة: من حال.

وفي نهاية المقدمة: سقط من المطبوعة: [قوله تعالى من] سورة الفاتحة [وهي سبع آيات] فما بين [] ساقط.

وفي تفسير سورة الفاتحة:

في تفسير التسمية: ابتدوا وافتتحوا بحمد الله،

والصواب: بتسمية الله.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الرحمن الرحيم﴾ سقط من المطبوعة. [أي: الرحمة لازمة له]. وكذلك ليس في المطبوعة ذكر عدد آيات كلّ سورة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ قال:

نزلت في أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن.

والصواب: نزلت في مؤمني أهل الكتاب، يؤمنون بالقرآن.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قالوا إنا معكم﴾ سقط من المطبوعة: [أي: على دينكم].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿أعدت للكافرين﴾ سقط من المطبوعة: [خلقت وهيت].

فهذه أمثلة كثيرة خلال عدد صفحات من الكتاب، تبين الفرق بين نسختنا وبين النسخة المطبوعة القديمة.

ونودُّ أن نقول: إنَّ هناك بعض الزيادات البسيطة في المطبوعة ليست في أصولنا، ذكرناها وأشرنا إلى ذلك.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ومُتَقَبَّلاً بفضلِهِ العَمِيمِ، وأن يجعلنا من الذين ينصحون لكتاب الله تعالى، ويعملون به، ويدافعون عنه، وينتصرون به إِنَّهُ لَا يُخَيِّبُ مَنْ دَعَاهُ، وَلَا يَرُدُّ مَنْ رَجَاهُ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المحقق: صفوان داوودي

المدينة المنورة — شعبان ١٤١١هـ

المدينة المنورة — شعبان ١٤١١هـ

صُورُ الْمَخْطُوطَاتِ



لاجل اني شأيا غلظت
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه

فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه

فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه

فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه

فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه
 فقلت لا غلظ الكتاب فاشه

هذه ما وقفه صاحب الخزان والميراث الوزير المعظم المشير المفتح
 جناب الحاج اسعد بكنا محافظ الشام وأبو الحاج
 علي بكنا والي المرحومة الوزير الحاج اسعد بكنا
 طاب ثراه وأسرط الوافق
 المشار اليه لآعي ومن كانه

مكتبة الخطاطين



من المشركين قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم انبئت لنا ربك فانزل الله عز وجل قل هو الله اجد اف الذي بالترياق نسبة هو الله اجد الله الصمد السيد الذي قد انتهى اليه اليهود وقيل الصمد الذي لا يحوف له ولا يأكل ولا يشرب وقيل هو المقصود اليه في الرغائب لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لم يكن احدا مثله

بسم الله الرحمن الرحيم قل ايعوذ برب الفلق نزلت هذه السورة والتي بعدها لما يهجر ليدن اعصم اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى شكونا شديدا فاعلمه الله بما يهجره وامن هو نبعت من آتية وثان ورافيه احدى عشرة عقدة لجعلوا كلما حلوا عقدة وجد راحة حتى جعلوا العقد وامره الله تعالى ان ينعوذ بها من السورة وهما احدى عشرة اية على عدد العقد قوله رب الفلق يعني الصبح ومن شر غاسق يعني الليل اذا وقب دخل ومن شر النفاثات يعني النواير تنفث في العقد كما انها تنفث فيها بشي تقرأه ومن شر حاسد اذا حسد يعني ليد الذي يحرم

بسم الله الرحمن الرحيم قل ايعوذ برب الناس من ان الناس اله الناس من شر الوسواس يعني ذي الوسواس وهو الشيطان الخناس الذي تخنن ويرجم اذا ذكر الله والشيطان جاثم على قلب الانسان فاذا ذكر الله يتخفى وخيس وانفل التقم قلبه فخذته وشاه وهو قوله الذي يوسوس في صدور الناس من جنه اي الشيطان الذي يوسوس بين يمينهم والنايس عطف على قوله الوسواس المعنى شر الوسواس من شر الناس كانه امر ان يستعيذه من شر الجنة ومن شر الناس من قت كناية هذا الكتاب والحمد لله العزيز الوهاب السورة على رسول محمد نبي الخلايق يوم يقوم الحياض في يوم الامة

1

وغيره تربت خبر هر يك از خود النبي صلى الله عليه وسلم بالانبياء قال: ان كان ما بينكم
اين اقم حقنا فان اقمتمني معه بما لي وولي في نقاي الله نفي ما اخرجتم مني ما لم
وكتبت بغيري ولم تسجدوا لي وانا لم اجد من اقبلت ولسانك حارة الخطفه عقابك القليل
الاسانيه بالهبة وهايم جبرائيل ايت تسعدني بغير جسد هاتفي عنهما جد من
ممنه سلسله من جدي به وبعيها سجدوا وراي ايت جد من فيها يقترج من
ديرها ويطوي بيديها عن عنتها ولسه كل ما لك به الجسد لتفسر
مسورة الاخلال ضروري ان توعدا من التبرك بالانبياء لرسول الله

حتى انه عليه السلام استلم الناس لما ركب فانزلوا منه عز وجل فسيسروا له الرجلين اجمعين
 ثم هو له احد اي الذي ساقهم بينا نبيته هو له احد انه الصبي اليس الذي
 تدر اخفي اليه السودة وتريد الصبي الذي لا خوف له ولا ياكروا اليه به وبنيها
 هو المقصود والى في الرعايب لم يلبس ولم يولد ولم يكن له كفوا احد لم يكن احد
 مثله سورة الفلق ليس هو كما قالوا في قوله لم يكن له كفوا احد بل انما
 نزلت هذه السورة والفرق بين ما سخر به ابن الاعصم اليهم وى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم انما شكك في شدة يده فاعلم انه ما سخر به وانما هو نبيته
 منها سخر به وكان زيارته احب اليه عشق عشق فمضوا اليها حلما عطفوا واحدا
 راحته حتى حلوا العتق فامر الله تعالى ان يتعبد بها بين السورتين وهما احد
 عشق اية على عدم الاعتماد قوله برئت الفلق يعني الصبح وشتر عا صفي بيده
 اليبيل او اوقيت وحدث من شرائها ثلث يعني السواحد شينث في المقام كما فيها
 يخرج فيها بش ينزل و وندرجا معه اذا احسنه بيدي يمين الذي هو سورة الناحي
 ليس هو له احد الذي خرجي بل هو برئت الناس ملكه الناس انه الله
 من شر الرسول من هو هو الشيطان الايمان الذي يخشى ويرجع اذا ذكر الله
 والسطحان جائم انما عدم عشق بعب الايمان فان ذا ذكر الله تعالى يحيى وخشى
 واذا عمد قلعه فمده رسله وهو قوله الذي يوسوس في صدور الناس يفتن
 النجاة ويك الشيطان الذي هو من الجنة ورائه عطف على قوله الرسول ليس يعني من
 من شر الرسول من هو من شر الناس كما انه لا يتقيد من شر الجنة ومن شر الناس

العلانية وغير كبريات السلطنة في السوراء يتبعون الماعون الزكوة وما فيه
منفعة من الناس وانهم سر والما لم يخسر سحره الكوة الكوة
لحم الله الرحمن الرحيم انما احلنا لك ان تؤخذ من ثمره في السنة حاشاه
في فعل الخير الكثير بفضل ربك صلوة المريد يميني في الزكوة واخذ منكم
تفضل ربك وضع يدك على رجليك في صلاتك انك ان شئت انك منعتك هو الابر
الفتق وبطال السطع من كل خير تبت في العاقبة من ثواب عمل الخير

سلك الله عليه وسلم ستر عند موت ابنه القاسم فمسمي رسول الله الكاظم
 لغيره الزهر الجريح ثم قال يا ابا الكاظم ترون تزيين في هذا قبري فزيّنوا له
 لشيء سري الله عليه وسلم فسموا القنينة سنة وتقدم هذا الحديث سنة فأتوا
 الله هذه السورة لا بعد ما بلغهم ذلك في الحال ولا أنهم عابرون في
 الحال ما بعد ما أنا عابرون الاستقبال ما بعد ما عابرون
 في الاستقبال ما بعد فزني الله عنهم عبادة في الحال ما يستقبل وهذا
 في قوله عليه الله أنهم لا يؤمنون في عبادة غيره عبادة الا انهم عابرون
 وفي ما يستقبل ليسا على عبادة في ذلك لهم وسلك الشوك وفي دين الاسلام
 بهذا قولنا يؤمن بالله وحده لا شريك له فمسمي رسول الله المصطفى
 اذ انما فخر الله بالفتح انك علي بن ابي طالب من اليهود والعرب والفتح
 يعني فتح مكة وارتب انما سر يدخا فني في برائه انما جاهدنا
 بعد ما كان يدخل واحد واحد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لما ارتب هذه السورة فافقه فبينما الى الفتي فمسمي جبريل عليه السلام
 عز وجل ان يكن التسبيح بالا سبعين ركعة في كل سنة وبالبراقه
 في العلم الصالح فمسمي رسول الله في حديث لغيره الزهر الجريح
 في الدنيا والحب وثبت لما تولى قوله في الدنيا والحب في حديث لغيره رسول
 الله صلى الله عليه وسلم الصفا يابى باعلى صوفيه يدعوا فمسمي رسول
 الله فانه نعم الناصر والانيته بولك بين يدي عدي فمسمي رسول الله
 لحيته بالان ما دعونا الا لغيرنا فانزل الله فبنت يدي الى لحيته في خاتمة

الورقة الأخيرة من نسخة ظا

• تصنيف الأستاذ الامام أبي الحسن علي بن أحمد الطوسي قدس الله •

بِرِزَالٍ فِي الْقَيْدِ

وقف عمرا فسد

محمدا ورمدينة المتونة في هداما وقعة عمر امدى
 قرويه طبع بمطبعة دار الادب والعلوم
 ٢٥ ٤٩

مَقْدِرُ الْأُمَمِ

سنه بياك ايليوزالا اوج سنه سنه قيسري بايجي
 ذاده الحاجي محمد اغا حضور تلو نيكي معروفه
 محليه ايلي پيد كن

سنہ الحام مکرمہ طوبی
کولہ محکمہ

مزيل النفس

ورقة الغلاف من نسخة ع، وهي نسخة الأصل

[illegible]

10

قوله واذا حذر سبيكم لايدي غيابة ربي الله عز وجل في مثل ذلك حذر من
المنطق التي يفتيها باسم الله وهذا حذرنا ونحذرنا في كل حال

۱۹۱۱-۱۹۱۲

A circular seal featuring intricate Arabic calligraphy in a stylized, possibly Thuluth or similar script. The text is arranged in a circular pattern, filling the entire seal. The ink is dark on a light background.

سورة البقرة آيات ١ الى ٢٨

नामो भगवते वासुदेवाय

[Faint musical notation]

تَبَيَّنَ لِي أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا الْوَلَدُ إِلَّا ابْنُ أَبِي هُرَيْرَةَ

هو الذي يوسعنا في العلم والدين والخلق والخلق والخلق

يُخَيِّرُكَ اللَّهُ أَيْنَ تَشَاءُ ۚ وَمَا يُخَيِّرُكَ اللَّهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ۚ

علي بن يحيى: لا كلاما فاعلموا ان من يدين على ان لا كلاما

سینا علیہ السلام

وَبِالْأَنْبِيَاءِ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَالْكَتَابَ الْمُنِيرَ

وہاں سے آکر آج کل کے حالات سے آگاہ ہوئے۔

[illegible]

تفسير الواحدي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[illegible]

सर्वोत्तमः

[illegible]

الشيخ محمد بن عبد الله

ما في بيوتكم الا لنبي عايناه

وَبِمَا سَلَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ خَلَفَ مِنْ الْإِسْلَامِ

مكتبة جامعة القاهرة

[illegible]

سیدنی ایسٹن

من: **جيهان** - ٢٠٢٤/٠٩/١٥

وَقَبِيضَهُ نَحْنُ أَبْنِيْنَاكَ الْإِسْلَامُ أَبُو طَاهِرٍ

منہ کے وسیع و اریح مہم نکال دے گا اور

١٠٠

[illegible][illegible]

وَأَمَّا بَعْضُ الْمَنَافِعِ الْمُبِينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَلِكُ الرُّعُولِ وَالْمُتَّقِيْنَ

ذَلِكَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ

對白

۱۹۹۱

وَأَمَّا رَأْسُ الْخَيْلِ فَهُوَ الَّذِي يُدْعَى بِرَأْسِ الْخَيْلِ

संस्कृत-विश्वकोशः

۱۳- کتب و اسناد خطی

上

對非暴力抗爭

۱۰۱۱

الحمد لله الذي جعل في كل شيء دليلاً على قدرته وقوته

الورقة الأولى من نسخة عا

Three circular medallions, each containing intricate Arabic calligraphy in a stylized script. The medallions are arranged vertically and are highly detailed, with some areas appearing dark and textured, possibly due to the quality of the reproduction or the original material. The text within the medallions is dense and follows the circular shape of the frames.

الوجيز
في
نفس الحكيم الخبير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[لا إله إلا الله، عِدَّةٌ للقاء الله عزَّ وجلَّ، ربِّ بك أستعين .

أخبرنا الشَّيْخُ الفقيهُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضلِ الفَراوِيُّ (*) الصَّاعِدِيُّ في كتابه إلينا مِنْ نيسابور قال :

أخبرنا الشَّيْخُ الإمامُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد^(١) الواحدِيُّ رضي الله عنه قال^(٢) : الحمدُ لله الكريمِ بآلائه، العظيمِ بكبريائه، القادرِ فلا يُمانع، والقاهرِ فلا يُنازع، والعزیزِ فلا يُضام، والمنيعِ فلا يُرام، والملِكِ الذي له الأقضية والأحكام، وصلواته على المبعوثِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، محمَّدي النَّبِيِّ خيرِ الورى، وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى، ما انبلج^(٣) اللَّيْلُ عن الصَّباح، ونادى المُنادي بحَيِّ على الفلاح، وسلَّم كثيراً.

أما بعدُ، فإنَّ لكلِّ زمانٍ نشوءاً^(٤)، ولكلِّ نشوءٍ علماً، يتعاطونه على قدر هممهم وأفهامهم، ومُدَدَهم في العمر وأيامهم، وفيما سلف من الأيام، وخلا من الشُّهور والأعوام، كانت الهمم إلى العلوم مصروفة، والرَّغبات عليها موقوفة، يتوفَّر عليها طَلَّابُ المراتب في الدُّنيا، والرَّاغبون في مَثوبة العُقبي، ثمَّ لم تزل على مرِّ الليالي

(*) تقدَّمت ترجمته ص ٢٠ .

(١) في الأصل : علي بن عبد الواحد، وهو خطأ .

(٢) ما بين [] زيادة من نسخة الأصل ع .

(٣) أي : أضاء وأشرق .

(٤) النَّشْءُ : أحداث الناس . قال الفراء : العربُ تقول : هؤلاء نَشْءُ صدقي، ورأيتُ نَشْءَ صدق، ومررتُ بِنَشْءِ صدق، فإذا طرَحوا الهمز قالوا : هؤلاء نشو صدقي، ورأيتُ نشا صدقي، ومررت بنشي صدق . اللسان : نشأ .

تنخفض الهمم وتراجع، حتى عاد وأبلىها قطرة، ولم تُشاهد ممّا كانت عليه ذرّة، ذلك قضاء الله مُبَرَم، ووعدُ من الرّسول ﷺ مُحَكَم، بانتزاع العلم وقبضه فيما أخبرناه الأستاذ أبو طاهر^(١) محمّد بن محمّد بن محمّش الزّيادي [رضي الله عنه]^(٢) قراءةً عليه في شهور سنة تسع وأربع مائة قال: حدّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ المعروف بابن الأخرم^(٣) قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب^(٤) قال: حدّثنا جعفر بن عون^(٥) عن هشام ابن عروة^(٦) عن أبيه^(٧) عن عبد الله بن عمرو أنّ النّبيّ ﷺ قال:

(١) تقدّمت ترجمته في: المقدمة ص ١٥.

(٢) زيادة من عا و ظ، وفي ظا: رحمه الله.

(٣) الحافظ الكبير، سمع علي بن الحسن الهلالي، وإبراهيم بن عبد الله السعدي ومحمد بن عبد الوهاب الفراء وخلاتق بعدهم، روى عنه أبو عبد الله الحاكم، وأبو بكر بن إسحاق الصبغي ومحمد بن إسحاق بن منده، وغيرهم. صنف مستخرجاً على الصحيحين، والمسند الكبير. توفي سنة ٣٤٤هـ، وله كلام حسن في العلل والرجال.

انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ٣/ ٨٦٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٦٦؛ وشذرات الذهب ٢/ ٣٦٨.

(٤) الحافظ أبو أحمد العبدى النيسابوري، سمع حفص بن عبد الله، وجعفر بن عون والأصمعي والواقدي، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيد، والحديث عن ابن المديني وأحمد، وروى عنه النسائي وابن خزيمة والبخاري، وثقه مسلم وحدّث عنه في غير الصحيح. توفي سنة ٢٧٢هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ٢/ ٥٩٩؛ وتقريب التهذيب ص ٤٩٤.

(٥) جعفر بن عون المخزومي صدوق من التاسعة، سمع من هشام بن عروة ويحيى بن سعيد والأعمش، وعنه: إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وأحمد بن القرات. توفي سنة ٢٠٧هـ. قال أحمد بن حنبل: رجل صالح ليس به بأس.

انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٥؛ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٩؛ وطبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٩؛ وتقريب التهذيب ص ١٤١.

(٦) هشام بن عروة بن الزبير الحافظ الحجة، حدّث عن أبيه وعمه ابن الزبير، وعنه شعبة ومالك والسفيانان؛ كان ثقة ثبّأ كثير الحديث، وربما دلّس. مات سنة ١٦٥هـ.

انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ١/ ١٤٤؛ وتقريب التهذيب ص ٥٧٣.

(٧) عروة بن الزبير التابعي الجليل، عالم المدينة روى عن أبيه يسيراً، وعن زيد بن ثابت =

إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، كُلَّمَا ذَهَبَ عَالِمٌ ذَهَبَ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْعِلْمِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوساً جَهْلًا، فَسُئِلُوا فَأَقْتُوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

صدق رسول الله ﷺ^(١)، فقد قُبِضَتِ الفحول، وهلكت الوعول، وانقرض زمان العلم، وخمدت جمرته، وهزمت كُرَّةُ الجهل، وعلت دولته، ولم يبق إِلَّا صُبَابَةٌ^(٢) نتَجَرَّعُهَا، وَأَطْمَارٌ نَجْتَابُهَا^(٣) وتندَرَّعُهَا، وعليها من حال^(٤)، فَإِنِّي كُنْتُ قَدْ ابْتَدَأْتُ بِإِبْدَاعِ كِتَابٍ فِي التَّفْسِيرِ لَمْ أُسَبِّقْ إِلَى مِثْلِهِ، وَطَالَ عَلَيَّ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ لَشَرَائِطِ تَقَلُّدِهَا، وَمَوَاجِبَ مِنْ حَقِّ النَّصِيحَةِ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى تَحَمَّلْتُهَا، ثُمَّ اسْتَعْجَلَنِي قَبْلَ إِتْمَامِهِ، وَالتَّقْصِي عَمَّا لَزَمَنِي مِنْ عُهُدَةِ أَحْكَامِهِ نَفَرٌ مُتْقَاصِرُو الرِّغْبَاتِ، مُنْخَفِضُو الدَّرَجَاتِ، أُولُو الْبُضَائِعِ الْمُزْجَاةِ، إِلَى إِبْجَازِ كِتَابٍ فِي التَّفْسِيرِ، يَقْرُبُ عَلَيَّ مَنْ تَنَاوَلَهُ، وَيَسْهَلُ عَلَيَّ مَنْ تَأَمَّلَهُ، مِنْ أَوْجِزِ مَا عَمِلَ فِي بَابِهِ، وَأَعْظَمِهِ فَائِدَةً^(٥) عَلَى مُتَحَفِّظِيهِ وَأَصْحَابِهِ.

وهذا كتابٌ أَنَا فِيهِ نَازِلٌ إِلَى دَرَجَةِ أَهْلِ زَمَانِنَا، تَعْجِيلًا لِمَنْفَعَتِهِمْ، وَتَحْصِيلًا لِّلْمَثُوبَةِ فِي إِفَادَتِهِمْ مَا تَمَنَّوْهُ طَوِيلًا، فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ أَحَدٌ فَتِيلًا، وَتَارِكًا مَا سَوَى قَوْلِ وَاحِدٍ مُعْتَمِدٍ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَوْ مَنْ هُوَ فِي مِثْلِ دَرَجَتِهِ، كَمَا يُتَرَجَّمُ عَنِ اللَّفْظِ الْعَوِيصُ بِأَسْهَلٍ مِنْهُ، وَهَذَا حِينَ أَفْتَتَحُهُ فَأَقُولُ: [قوله تعالى من]:

وأبي هريرة وعائشة، وعنه أبو الزناد وابن المنكدر. ولد في أوائل خلافة عثمان، ومات سنة ١٩٤هـ. كان عالماً بالسيرة حافظاً ثباتاً.

انظر: طبقات الحفاظ ١/٦٢؛ وطبقات ابن سعد ٥/١٧٨؛ تاريخ البخاري ٧/٣١؛ سير أعلام النبلاء ٤/٢١١.

(١) الحديث أخرجه البخاري في العلم، باب كيف يقبض العلم. فتح الباري ١/١٩٤؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧٣. والرواية: حتى إذا لم يبق عالماً.

(٢) الصُّبَابَةُ: البقية من الماء واللبن. القاموس.

(٣) الأَطْمَارُ: جمع طِمْرٍ، وهو الثَّوبُ الخلق، أو الكساء البالي من غير الصوف.

ويقال: اجتاب القميص: لبسه — القاموس.

(٤) فِي ظ: عليها وعلى الأحوال كلها.

(٥) فِي النسخ كلها عدا الأصل: عائدة.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[وهي سبع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾؛ أي: ابدؤوا أو افتتحوا بتسمية الله تيمناً وتبرُّكاً، و«الله»: اسمٌ تفرَّد الباري به سبحانه، يجري في وصفه مجرى أسماء الأعلام، لا يُعرف له اشتقاق. وقيل: معناه: ذو العبادة التي بها يُقصد. ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: صفتان لله تعالى معناه: ذو الرَّحمة، [أي: الرَّحمة لازمة له] ^(٢)، وهي إرادة الخير، ولا فرق بينهما، مثل: ندمانٍ ونديم.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ هو الثناء لله، والشُّكرُ له بإنعامه. ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: مالك المخلوقات كلها.

﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [مأخوذٌ من المَلِك، والمَلِك مأخوذٌ من المُلْك، أي] ^(٣): قاضي يوم الجزاء والحساب؛ لأنه متفرَّد ^(٣) في ذلك اليوم بالحكم.

(١) ما بين [] زيادة من عا و ظ.

(٢) ما بين [] زيادة من الأصل وليست هي في سائر المخطوطات.

(٣) ما بين [] زيادة من المطبوعة، وانظر: الحجة للفرسي ١٢/١. وفي عا و ظا: ينفرد.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٦﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: نخضع ونقصدك بالعبادة، وهي الطاعة مع الخضوع. ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ومنك نطلب المعونة.

﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، أي: دُلْنَا عليه، واسلك بنا فيه، وثبِّتْنَا عليه.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ بالهداية، وهم قوم موسى وعيسى عليهما السلام قبل أن يُغَيَّرُوا نعم الله عزَّ وجلَّ. وقيل: هم الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...﴾^(١) الآية. ﴿غير المغضوب عليهم﴾، أي: غير الذين غضبت عليهم، وهم اليهود، ومعنى الغضب من الله تعالى: إرادة العقوبة. ﴿وَالضَّالِّينَ﴾، أي: ولا الذين ضلُّوا، وهم النَّصَارَى، فكأنَّ المسلمين سألوا الله تعالى أن يهديهم طريق الذين أنعم عليهم ولم يغضب عليهم، كما غضب على اليهود، ولم يضلُّوا عن الحقِّ كما ضلَّت النَّصَارَى.

• • •

(١) وتامها: ﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: الآية

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مائتان وثمانون وسبع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾،

﴿الْم﴾ أنا الله أعلم ^(٢).

﴿٢﴾ ذلك الكتاب ﴿أَيَّ﴾ هذا الكتاب، يعني: القرآن. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أَيَّ: لا شكَّ فيه، [أَيَّ]: إِنَّهُ صَدَقَ وَحَقٌّ. [وقيل: لفظه لفظ خبر، ويُراد به النهي عن الارتياب. قال: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ﴾ ولا ريب فيه أَنَّهُ ^(٣) ﴿هُدًى﴾: بيانٌ ودلالةٌ ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾: للمؤمنين الذي يَتَّقُونَ الشُّرْكَ. [في تخصيصه كتابه بالهدى للمتقين دلالةٌ على أَنَّهُ ليس بهدىً لغيرهم، وقد قال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقِرْ...﴾ الآية] ^(٤).

﴿٣﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ: يُصَدِّقُونَ ﴿بِالْغَيْبِ﴾: بما غاب عنهم من الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْبَعْثِ.

(١) زيادة من ظ و عا، وهذا عدّها على العدِّ البصري، وهي في المصحف ٢٨٦ آية.

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٧/١؛ وابن جرير ٨٨/١؛ وفي سنده عطاء بن السائب، وشريك، وقد اختلطا وساء حفظهما.

(٣) زيادة من المطبوعة.

(٤) زيادة من المطبوعة.

والآية: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقِرْ﴾ رقمها ٤٤، من سورة فصلت.

وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا
 أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ
 اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

﴿ويقيمون الصلاة﴾: يُديمونها ويحافظون عليها، ﴿ومِمَّا رزقناهم﴾: أعطيناها
 ممَّا ينتفعون به. ﴿ينفقون﴾: يُخرجونه في طاعة الله تعالى.

﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ نزلت في [مؤمني] أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن،
 ﴿وما أنزل من قبلك﴾ يعني: التَّوراة، ﴿وبالآخرة﴾ يعني: وبالدار الآخرة ﴿هم
 يوقنون﴾: يعلمونها علماً باستدلال.

﴿أولئك﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصفات. ﴿على هدى﴾: بيان وبصيرة ﴿من
 ربهم﴾ أي: من عند ربهم، ﴿وأولئك هم المفلحون﴾: الباقون في النعيم المقيم.

﴿إنَّ الذين كفروا﴾: ستروا ما أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليهم من الهدى والآيات
 فجحدوها، وتركوا توحيد الله تعالى ﴿سواء عليهم﴾: معتدل ومتساو عندهم
 ﴿أنذرتهم﴾: أعلمتهم وخوَّفتهم [﴿أم لم تنذرهم﴾] أم تركت ذلك ﴿لا يؤمنون﴾
 نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته^(١)، ثم ذكر سبب تركهم الإيمان، فقال:

﴿ختم الله على قلوبهم﴾ [أي: طبع الله على قلوبهم]^(٢) واستوثق منها حتى
 لا يدخلها الإيمان، ﴿وعلى سمعهم﴾: [أي: مسامعهم] حتى لا ينتفعوا بما
 يسمعون، ﴿وعلى أبصارهم﴾: [على أعينهم] غشاوة ﴿غطاءً فلا يبصرون الحقَّ،
 ﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾ متواصل لا تتخلله فرجة.

(١) وهذا قول الضحاك. أسباب النزول ص ٥٧.

(٢) زيادة من المطبوعة.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿٨﴾ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر... الآية. نزلت في المنافقين حين أظهروا كلمة الإيمان، وأسرؤا الكفر، فنفى الله سبحانه عنهم الإيمان بقوله: ﴿وما هم بمؤمنين﴾ فدلّ أن حقيقة الإيمان ليس الإقرار فقط.

﴿٩﴾ يخادعون الله والذين آمنوا أي: يعملون عمل المخادع بإظهار غير ما هم عليه؛ ليدفعوا عنهم أحكام الكفر، ﴿وما يخدعون إلا أنفسهم﴾ لأن وبال خداعهم عاد عليهم بإطلاع الله تعالى نبيه [عليه السلام والمؤمنين] على أسرارهم وافتضاحهم، ﴿وما يشعرون﴾: وما يعلمون ذلك.

﴿١٠﴾ في قلوبهم مرضٌ شكٌ ونفاقٌ، ﴿فزادهم الله مرضاً﴾ أي: بما أنزل من القرآن فشكوا فيه كما شكوا في الذي قبله، ﴿ولهم عذاب أليم﴾: مؤلمٌ ﴿بما كانوا يكذبون﴾ بتكذيبهم آيات الله عز وجل ونبيه ﷺ. [ومن قرأ: «يُكذِّبون»^(١) فمعناه: يكذبهم في ادعائهم الإيمان]^(٢).

﴿١١﴾ وإذا قيل لهم [لهؤلاء] المنافقين: ﴿لا تفسدوا في الأرض﴾ بالكفر وتعويق الناس عن الإيمان ﴿قالوا إنما نحن مصلحون﴾ أي: الذي نحن عليه هو صلاحٌ عند أنفسنا، فردّ الله تعالى عليهم ذلك، فقال:

﴿١٢﴾ ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾: لا يعلمون أنهم مُفسدون.

(١) قرأ: «يُكذِّبون» بتشديد الذال، وضم الياء نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر. الإتحاف ص ١٢٩.

(٢) ما بين [] زيادة من المطبوعة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ ﴿﴾ هم أصحاب محمد ﷺ ﴿﴾ قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ﴿﴾ أي: لا نفعل كما فعلوا، وهذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم، فأخبر الله تعالى به عنهم.

﴿١٤﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿﴾ إذا اجتمعوا مع المؤمنين ورأوهم ﴿﴾ قالوا آمنا ﴿﴾ وإذا خلوا ﴿﴾ من المؤمنين وانصرفوا ﴿﴾ إلى شياطينهم ﴿﴾: كبرائهم وقادتهم ﴿﴾ قالوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿﴾ [أي: على دينكم] ﴿١﴾ ﴿ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾: مُظهرون غير ما نضمرة.

﴿١٥﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴿﴾: يجازيهم جزاء استهزائهم ﴿﴾ ويمدُّهم ﴿﴾: يُمهِّلهم ويطوِّل أعمارهم ﴿﴾ في طغيانهم ﴿﴾: في إسرافهم ومجاوزتهم القدر في الكفر ﴿﴾ يعمَهُونَ ﴿﴾ يتردّدون مُتَحَيِّرِينَ.

﴿١٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴿﴾: أخذوا الضلالة وتركوا الهدى ﴿﴾ فما ربحت تجارتهم ﴿﴾ فما ربحوا في تجارتهم، [وإضافة الربح إلى التجارة على طريق الاتساع، كإضافة الإيضاء إلى النار] ﴿٢﴾. ﴿وما كانوا مهتدين﴾ فيما فعلوا.

﴿١٧﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴿﴾ أي: حالهم في نفاقهم وإبطانهم الكفر كحال مَنْ أَوْقَدَ نَارًا فاستضاء بها، وأضاءت النَّار ما حوله ممّا يخاف ويحذر وأمن، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي مُظلمًا خائفًا مُتَحَيِّرًا، فذلك قوله تعالى: ﴿ذهب الله بنورهم...﴾ الآية. كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان اغترّبوا بها وآمَنُوا، فلمّا ماتوا عادوا إلى الخوف والعذاب.

صُمِّ بِكُمْ عُمِّي فَهَمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ

﴿١٨﴾ ﴿صُمِّ﴾ لتركهم قبول ما يسمعون ﴿بُكُمْ﴾ لتركهم القول بالخير ﴿عُمِّي﴾ لتركهم ما يُبصرون من الهداية ﴿فهَمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الجهل والعمى إلى الإسلام، ثم ذكر تمثيلاً آخر فقال:

﴿١٩﴾ ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ أَوْ كأصحاب مطرٍ شديدٍ ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾: مِنَ السَّحَابِ ﴿فِيهِ﴾: فِي ذَلِكَ السَّحَابِ ﴿ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ﴾ وَهُوَ صَوْتُ مَلِكٍ مُّوَكَّلٍ بِالسَّحَابِ ^(١) ﴿وَبَرْقٌ﴾ وَهِيَ النَّارُ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ ^(٢). ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ يَعْنِي: أَهْلُ هَذَا الْمَطَرِ ﴿مِنَ الصَّوَاعِقِ﴾ مِنْ شِدَّةِ صَوْتِ الرَّعْدِ يَسُدُّونَ آذَانَهُمْ بِأَصَابِعِهِمْ كَيْلَا يَمُوتُوا بِشِدَّةِ مَا يَسْمَعُونَ مِنَ الصَّوْتِ، فَالْمَطَرُ مَثَلٌ لِلْقُرْآنِ لِمَا فِيهِ مِنْ حَيَاةِ الْقُلُوبِ، وَالظُّلُمَاتُ مَثَلٌ لِمَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ ذِكْرِ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ، وَبَيَانِ الْفِتَنِ وَالْأَهْوَالِ، وَالرَّعْدُ مَثَلٌ لِمَا خُوفُوا بِهِ مِنَ الْوَعِيدِ وَذِكْرِ النَّارِ، وَالْبَرْقُ مَثَلٌ لِحُجُجِ الْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْبَيَانِ، وَجَعَلَ الْأَصَابِعَ فِي الْأَذَانِ حَذَرَ الْمَوْتِ مَثَلٌ لَجَعْلِ الْمُنَافِقِينَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ كَيْلَا يَسْمَعُوا الْقُرْآنَ مَخَافَةَ مِيلِ الْقَلْبِ إِلَى الْقُرْآنِ، فَيُؤَدِّي ذَلِكَ إِلَى الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ كُفْرٌ، وَالْكَفْرُ مَوْتُ. ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ مُهْلِكُهُمْ وَجَامِعُهُمْ فِي النَّارِ.

﴿٢٠﴾ ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ هَذَا تَمَثِيلٌ آخَرُ، يَقُولُ: يَكَادُ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنْ

(١) ورد هذا في حديثٍ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وقد أخرجه الترمذي وقال: حسنٌ غريب.

انظر: عارضة الأحوزي ٢٨٤/١١؛ وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨/١؛ وأحمد في المسند ٢٧٣/١؛ وابن جرير ١٥٠/١.

(٢) في ظ: ﴿وَبَرْقٌ﴾ هو مصعٌ ملكٌ يسوق السحاب. وفي حاشيتها: المصع: الضرب بالسيف، ومَصَعُ الْبَرْقِ: أَوْمَضَ.

كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوَافٍ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا

الحجج يخطف قلوبهم من شدة إزعاجها إلى النظر في أمر دينهم ﴿كلما أضاء لهم مشوا فيه﴾: كلما سمعوا شيئاً مما يُحبّون صدّقوا، وإذا سمعوا ما يكرهون وقفوا، وذلك قوله عز وجل: ﴿وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾ أي: بأسماعهم الظاهرة، وأبصارهم الظاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة حتى صاروا صُمّاً عُميّاً، فليحذروا عاجل عقوبة الله سبحانه وأجلها، ف ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ من ذلك.

﴿يا أيُّها النَّاسُ﴾ يعني: أهل مكّة ﴿اعبدوا ربكم﴾: اخضعوا له بالطاعة ﴿الذي خلقكم﴾: ابتدأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿والذين من قبلكم﴾ [آباءكم] ^(١) [وخلق الذين من قبلكم] ^(٢). أي: إن عبادة الخالق أولى من عبادة المخلوق وهو الصنم ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا بعبادته عقوبته أن تحلّ بكم.

﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾ بساطاً، لم يجعلها حَزَنَةً غليظة لا يمكن الاستقرار عليها ﴿والسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ سقفاً ﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات﴾ يعني: حمل الأشجار وجميع ما ينتفع به ممّا يخرج من الأرض ﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾: أمثالاً من الأصنام التي تعبدونها ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنّهم لا يخلقون، والله هو الخالق، وهذا احتجاجٌ عليهم في إثبات التوحيد، ثم احتجّ عليهم في إثبات نبوة محمد ﷺ بما قطع عذرهم به، فقال:

﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا﴾ [أي: وإن كنتم] ^(٣) في شك من صدق هذا الكتاب

عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

الذي أنزلناه على محمد ﷺ، وقلتم: لا ندري هل هو من عند الله أم لا ﴿فأتوا بسورة﴾ من مثل هذا القرآن في الإعجاز، وحسن النظم، والإخبار عما كان وما يكون، ﴿وادعوا شهداءكم﴾ واستعينوا بالهتكم التي تدعونها ﴿من دون الله﴾ إن كنتم صادقين ﴿أنَّ محمداً﴾ تقوله من نفسه.

﴿٢٤﴾ ﴿فإن لم تفعلوا﴾ هذا فيما مضى، ﴿ولن تفعلوا﴾ أيضاً فيما يستقبل أبداً ﴿فاتقوا﴾: فاحذروا أن تصلوا ﴿النار التي وقودها﴾ ما يؤقد به ﴿الناس والحجارة﴾ يعني حجارة الكبريت، وهي أشدُّ لاثقادها ﴿أعدت﴾ [خلقت وهيئت] ^(١) جزاء ﴿للكافرين﴾ بتكذيبهم. ثم ذكر جزاء المؤمنين فقال:

﴿٢٥﴾ ﴿وبشِّر الذين آمنوا﴾ أي: أخبرهم خبراً يظهر به أثر الشُّرور على بشرتهم ﴿وعملوا الصالحات﴾ أي: الأعمال الصَّالِحَات، يعني الطَّاعات فيما بينهم وبين ربِّهم ﴿أنَّ لهم﴾: بأنَّ لهم ﴿جَنَاتٍ﴾: حدائق ذات الشَّجر ﴿تجري من تحتها﴾ من تحت أشجارها ومساكنها ﴿الأنهار﴾ ﴿كلما رزقوا﴾: أطعموا من تلك الجنَّات ثمرة ﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾ لتشابه ما يؤتون به، وأرادوا: هذا من نوع ما رزقنا من قبل ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ في اللون والصُّورة، مختلفاً في الطَّعم، وذلك أبلغ في باب الإعجاب ﴿ولهم فيها أزواج﴾: من الحور العين والآدميات ﴿مطهرة﴾ عن كلِّ أدنى وقذر ممَّا في نساء الدُّنيا، ومن مساوئ الأخلاق، وآفات الشَّيب والهرم ﴿وهم فيها خالدون﴾ لأنَّ تمام النِّعمة بالخلود.

(١) زيادة من عا و ظ و ظا. وليس في الأخيرتين: خلقت.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢٦) الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي... ﴾ الآية. لَمَّا ضرب الله سبحانه المثل للمشركين بالذباب والعنكبوت في كتابه ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله سبحانه، فأنزل الله تعالى^(١): ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ﴾ لا يترك ولا يخشى ﴿ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا ﴾ أَنْ يُبَيِّنَ شَبَهًا ﴿ مَا بَعُوضَةٌ ﴾ «ما» زائدة مؤكدة، والبعوض: صغار البق، الواحدة: بعوضة. ﴿ فَمَا فَوْقَهَا ﴾ يعني: فما هو أكبر منها، والمعنى: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَتْرَكُ ضَرْبَ الْمَثَلِ بَبَعُوضَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِذَا عَلِمَ أَنَّ فِيهِ عِبْرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ، وَحُجَّةً عَلَى مَنْ جَحَدَ [وَاسْتَكْبَرَ]^(٢) ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ ﴾ أَنَّ الْمَثَلَ وَقَعَ فِي حَقِّهِ، ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مِنَ الْأَمْثَالِ؟ وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: أَيُّ فَائِدَةٍ فِي ضَرْبِ اللَّهِ الْمَثَلَ بِهَذَا؟ فَأَجَابَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا ﴾ أَيُّ: أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا الْمَثَلَ أَنْ يُضِلَّ بِهِ كَثِيرًا مِنَ الْكَافِرِينَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ وَيُكْذِّبُونَهُ ﴿ وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَهُ وَيَصَدِّقُونَهُ ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾ الْكَافِرِينَ الْخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِهِ.

﴿ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ ﴾ يَهْدُمُونَ وَيُفْسِدُونَ ﴿ عَهْدَ اللَّهِ ﴾: وَصِيَّتُهُ وَأَمْرُهُ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ بِالْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ ﴾ مِنْ بَعْدِ تَوْكِيدِهِ عَلَيْهِمْ بِإِجَابَةِ ذَلِكَ ﴿ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ﴾ يَعْنِي: الرَّحِمَ، وَذَلِكَ أَنَّ قَرِيشًا قَطَعُوا رَحِمَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَعَادَاةِ مَعَهُ ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ بِالْمَعَاصِي وَتَعْوِيقِ النَّاسِ عَنْ

(١) لأسباب النزول ص ٥٩؛ ولباب القول ص ١٨.

(٢) زيادة من ظا.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ [مغبونون]^(١) بفوت المشوبة، والمصير إلى العقوبة.

﴿٢٨﴾ كيف تكفرون بالله﴾ معنى «كيف» ها هنا استفهامٌ في معنى التَّعَجُّبِ للخلق، أي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله وحالهم أنهم كانوا تراباً فأحياهم، بأن خلق فيهم الحياة، فالخطاب للكفار، والتَّعَجُّبُ للمؤمنين، وقوله تعالى: ﴿ثم يميتكم﴾ أي: في الدنيا ﴿ثم يحييكم﴾ [في الآخرة] للبعث ﴿ثم إليه ترجعون﴾ تردون فيفعل بكم ما يشاء، فاستعظم المشركون أمر البعث والإعادة، فاحتجَّ الله سبحانه عليهم بخلق السموات والأرض، فقال:

﴿٢٩﴾ هو الذي خلق لكم﴾ لأجلكم ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ بعضها للانتفاع، وبعضها للاعتبار، ﴿ثم استوى إلى السماء﴾: أقبل على خلقها، وقصد إليها ﴿فسوَّاهنَّ سبع سموات﴾ فجعلهنَّ سبع سمواتٍ مُستوياتٍ لا شقوق فيها ولا فطور ولا تفاوت ﴿وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾ إذ بالعلم يصحُّ الفعل المحكم.

﴿٣٠﴾ وإذ قال ربك﴾ واذكر لهم يا محمدُ إذ قال ربُّك ﴿للملائكة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعني: آدم، جعله خليفةً عن الملائكة الذين كانوا سكَّان الأرض بعد الجنِّ، والمراد بذكر هذه القصَّة ذكرُ بدءِ خلق النَّاسِ. ﴿قالوا أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها﴾ كما فعل بنو الجانِّ، قاسوا [الشَّاهد]^(٢) على الغائب ﴿ونحن نُسبِّح بحمْدِكَ﴾ نُبرِّئُكَ من كلِّ سوءٍ، ونقول: سبحانه الله وبحمده، ﴿ونُقَدِّسُ لَكَ﴾

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَتَكَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَنَزَّلَهُكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِكَ ﴿٣٠﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ من إضمار إبليس العزم على المعصية، فلَمَّا قَالَ اللهُ تعالى هذا للملائكة قالوا فيما بينهم: لن يخلق ربُّنا خلقاً هو أعلم منا، ففَضَّلَ اللهُ تعالى عليهم آدم بالعلم، وعَلَّمَهُ اسم كلِّ شيء حتى القصعة [والقصعة] ^(١) والمِغْرَفَة، وذلك قوله تعالى:

﴿٣١﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴿٣١﴾ أَي: خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء، ثُمَّ عَرَضَهُمْ ﴿٣١﴾ أَي: عرض المسميات بالأسماء من الحيوان والجماد وغير ذلك ﴿٣١﴾ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي ﴿٣١﴾ أَخْبِرُونِي ﴿٣١﴾ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴿٣١﴾ وَهَذَا أَمْرٌ تَعْجِيزٌ، أَرَادَ اللهُ تعالى أَنْ يُبَيِّنَ عَجْزَهُمْ عَنْ عِلْمِ مَا يَرُونَ وَيُعَايِنُونَ ﴿٣١﴾ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ أَنِّي لَا أَخْلُقُ خَلْقاً أَعْلَمُ مِنْكُمْ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ إِقْرَاراً بِالْعَجْزِ وَاعْتِذَاراً:

﴿٣٢﴾ سُبْحَانَكَ ﴿٣٢﴾ تَنْزِيهاً لَكَ عَنِ الْإِعْتِرَاضِ عَلَيْكَ فِي حَكْمِكَ ﴿٣٢﴾ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿٣٢﴾ اعْتَرَفُوا بِالْعَجْزِ عَنْ عِلْمِ مَا لَمْ يُعَلِّمُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴿٣٢﴾ الْعَالِمُ ﴿٣٢﴾ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ الْحَاكِمُ تَحْكُمُ بِالْحَقِّ وَتَقْضِي بِهِ، فَلَمَّا ظَهَرَ عَجْزُ الْمَلَائِكَةِ قَالَ اللهُ تعالى لآدم:

﴿٣٣﴾ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ أَخْبِرْهُمْ بِتَسْمِيَاتِهِمْ، فَسَمَّى كُلَّ شَيْءٍ بِاسْمِهِ، وَالْحَقُّ كُلُّ شَيْءٍ بِجِنْسِهِ ﴿٣٣﴾ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴿٣٣﴾ أَخْبِرْهُمْ بِمَسْمِيَاتِهِمْ ﴿٣٣﴾ قَالَ اللهُ تعالى للملائكة: ﴿٣٣﴾ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴿٣٣﴾ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ يَتَضَمَّنُ التَّوْبِيخَ لَهُمْ عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿٣٣﴾ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يَفْسُدُ فِيهَا ﴿٣٣﴾. ﴿٣٣﴾ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿٣٣﴾ أَي: ما غاب

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا
فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ
كَلِمَاتٍ

فيهما عنكم ﴿وأعلم ما تبدون﴾: علانيتكم ﴿وما كنتم تكتمون﴾: سرّكم،
لا يخفى عليّ شيء من أموركم.

﴿٣٤﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿سجود تعظيم وتسليم وتحية﴾، وكان ذلك
انحناءً يدلُّ على التَّواضع، ولم يكن وضع الوجه على الأرض، ﴿فسجدوا إلا﴾
إبليس أبى ﴿امتنع﴾ واستكبر وكان من الكافرين ﴿في سابق علم الله عزَّ وجلَّ﴾.

﴿٣٥﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴿اتَّخذاها مأوىً ومنزلاً﴾ ﴿وكلا منها
رغداً﴾ واسعاً ﴿حيث شئتما﴾ ما شئتما إذا شئتما [كيف شئتما] ^(١) ﴿ولا تقربا هذه
الشجرة﴾ لا تحوما حولها بالأكل منها، يعني السُّبلة ﴿فتكونا﴾ فتصيرا ﴿من
الظالمين﴾: العاصين الذين وضعوا أمر الله عزَّ وجلَّ غير موضعه.

﴿٣٦﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ ﴿نَحَّاهما وبَعَدَهما﴾ ﴿عنها فأخرجهما ممَّا كانا فيه﴾ من الرُّتبة
ولين العيش ﴿وقلنا﴾ لآدم وحواء وإبليس والحيّة: ﴿اهبطوا﴾ أي: انزلوا إلى
الأرض ﴿بعضكم لبعض عدو﴾ يعني: العداوة التي بين آدم وحواء والحيّة ^(٢)،
وبين ذرية آدم عليه السَّلام من المؤمنين وبين إبليس لعنه الله، ﴿ولكم في الأرض
مستقر﴾ موضع قرارٍ ﴿ومتاع إلى حين﴾ ما تمتَّعون به ممَّا تُنبئه الأرض إلى حين
الموت.

﴿٣٧﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ﴿أخذ وتلقن﴾ ﴿كلماتٍ﴾ وهو أَنَّ الله تعالى ألهم آدم عليه

فَنَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي

السَّلام حين اعترف بذنبه وقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾^(١) الآية ﴿فَنَابَ عَلَيْهِ﴾ فعاد عليه بالمغفرة حين اعترف بالذنب واعتذر ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ﴾ يتوب على عبده بفضلله إذا تاب إليه من ذنبه.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ كرَّر الأمر بالهبوط للتأكيد ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ أي: فإن يأتكم مني شريعة ورسول وبيان ودعوة ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ أي: قبل أمري، واتبع ما أمره به ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في الآخرة ولا حزن، والخطاب لآدم وحواء وذريتهما، أعلمهم الله تعالى أنه يبتليهم بالطاعة، ويجازيهم بالجنة عليها، ويعاقبهم بالنار على تركها، وهو قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بأدلتنا وكتبنا ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

﴿يَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أولاد يعقوب عليه السَّلام ﴿أَذْكُرُوا﴾ اشكروا، وذكر النعمة هو شكرها ﴿نِعْمَتِي﴾ يعني: نعمي ﴿الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ يعني: فلق البحر، والإنجاء من فرعون، وتظليل الغمام، إلى سائر ما أنعم الله تعالى به عليهم، والمراد بقوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آبائكم، والنعمة على آبائهم نعمة عليهم، وشكر هذه النعم طاعته في الإيمان بمحمد ﷺ، ثم صرَّح بذلك، فقال: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣. وتامها: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾.

وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبیر، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس في الآية.

انظر: تفسير ابن أبي حاتم ١/١٣٦؛ وابن جرير ١/٢٤٣.

أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِئْتَىٰ فَارْهَبُونِ ﴿٤١﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِئْتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِئْتَىٰ فَاتَّقُونِ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكُنْهُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ

أي: في محمّد ﷺ ﴿أوف بعهدكم﴾ أدخلكم الجنة ﴿وإيتاي فارهبون﴾ فخافوني في نقض العهد.

﴿وآمنوا بما أنزلت﴾ يعني: القرآن ﴿مصدقاً لما معكم﴾ موافقاً للتّوراة في التّوحيد والثبوت ﴿ولا تكونوا أوّل كافر به﴾ أي: أوّل من يكفر به من أهل الكتاب؛ لأنكم إذا كفرتم كفر أتباعكم، فتكونوا أئمة في الضلالة، والخطاب لعلماء اليهود. ﴿ولا تشتروا﴾ ولا تستبدلوا ﴿بإيتاي﴾ ببيان صفة محمّد ﷺ ونعته ﴿ثمناً قليلاً﴾ عوضاً يسيراً من الدّنيا. يعني: ما كانوا يُصيبونه من سفلتهم، فخافوا إن هم بيّنوا صفة محمّد ﷺ أن تفوتهم تلك المآكل والرّئاسة، ﴿وإيتاي فاتقون﴾ فآخشوني في أمر محمّد ﷺ لا ما يفوتكم من الرّئاسة.

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾ أي: لا تخلطوا الحق الذي أنزلت عليكم من صفة محمّد عليه السّلام بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته، وتبديل نعته، ﴿وتكتموا الحق﴾ أي: ولا تكتموا الحق، فهو جزمٌ عُطِفَ على النّهي، ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنّه نبيّ مرسلٌ قد أنزل عليكم ذكره في كتابكم، فجحدتم نبوّته مع العلم به.

﴿وأقيموا الصّلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ الواجبة في المال ﴿واركعوا مع الراكعين﴾ وصلّوا مع المصلّين محمّد ﷺ وأصحابه في جماعة.

﴿أتأمرون الناس بالبر﴾ كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا على ما أنتم عليه، ولا يؤمنون به، فأنزل الله تعالى توبيخاً لهم^(١): ﴿أتأمرون الناس

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ورقة ٦٠ أ؛ والواحدي في أسباب النزول ص ٦٠ عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح. وهما ضعيفان.

يَالَيْرٍ وَتَنْسُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤١﴾ وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٢﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٣﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ
أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

بالبر ﴿ بالإيمان بمحمد ﷺ ﴾ وتنسون ﴿ وأنتم ﴾ وتتركون ﴿ أنفسكم ﴾ فلا تأمرونها بذلك
﴿ وأنتم تتلون الكتاب ﴾ تقرأون التوراة وفيها صفة محمد ﷺ ونعته ﴿ أفلا تعقلون ﴾
أنه حق فتنبهونه؟! ثم أمرهم الله تعالى بالصوم والصلاة؛ لأنهم إنما كان يمنعهم
عن الإسلام الشره، وخوف ذهاب مآكلتهم، وحب الرياسة، فأمرُوا بالصوم الذي
يذهب الشره، وبالصلاة التي تُورث الخشوع، وتنفي الكبر، وأريد بالصلاة الصلاة
التي معها الإيمان بمحمد ﷺ، فقال:

﴿ واستعينوا بالصبر ﴾ يعني بالصوم، ﴿ والصلاة ﴾ لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر،
﴿ وإنها لكبيرة ﴾ لثقلها [يعني: وإن الاستعانة بالصبر والصلاة لثقله] ^(١) ﴿ إلا على
الخاشعين ﴾ الساكنين إلى الطاعة. وقال بعضهم: رجع بهذا القول إلى خطاب
المسلمين، فأمرهم أن يستعينوا على ما يطلبونه من رضا الله تعالى ونيل جنته
بالصبر على أداء فرائضه [وهو الصوم] ^(٢) والصلاة.

﴿ الذين يظنون ﴾ يستيقنون ﴿ أنهم ملاقوا ربهم ﴾ أنهم مبعوثون وأنهم محاسبون
وأنهم راجعون إلى الله تعالى، أي: يُصدّقون بالبعث والحساب.

﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ مضى تفسيره ^(٣)، ﴿ وأني
فضلتكم ﴾ أعطيتكم الزيادة ﴿ على العالمين ﴾: على عالمي زمانكم، وهو ما ذكره
في قوله تعالى: ﴿ إذ جعل فيكم أنبياء... ﴾ ^(٤) الآية، والمراد بهذا التفضيل
سلفهم، ولكن تفضيل الآباء شرف الأبناء.

(١) زيادة من ظ وظا.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) انظر: ص ١٠١ آية ٤٠.

(٤) الآية: ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً
وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين ﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٠].

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿١٨﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا ﴿لا تجزي﴾ لا تقضي ولا تُغني ﴿نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعَةٌ﴾ أي: لا يكون شفاعَةٌ فيكون لها قبول، وذلك أَنَّ اليهود كانوا يقولون: يشفع لنا آباؤنا الأنبياء، فأيسهم الله تعالى عن ذلك ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فداء ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من عذاب الله تعالى.

﴿١٩﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ ﴿واذكروا ذلك﴾ من آل فرعون ﴿أتباعه ومن كان على دينه يسومونكم﴾: يُكَلِّفُونَكُمْ ﴿سوء العذاب﴾ شديد العذاب، وهو قوله تعالى: ﴿يذبحون﴾: يُقَتِّلُونَ ﴿أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ يستبقونها أحياء [لقول بعض الكهنة له: إِنَّ مَوْلوداً يُؤَلَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبِيًّا لَهُ ذَهَابٌ مُلْكًا] ^(١). ﴿وفي ذلكم﴾ الذي كانوا يفعلونه بكم ^(٢) ﴿بلاء﴾: ابتلاء واختبار وامتحان ﴿من ربكم عظيم﴾ وقيل: وفي تنجيتكم من هذه المحن نعمة عظيمة، والبلاء: النعمة، والبلاء: الشدة.

﴿٢٠﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ ^(٣) فجعلناه اثني عشر طريقاً حتى خاض فيه بنو إسرائيل. ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ إلى انطباق البحر عليهم وإنجائكم منهم.

(١) زيادة من ظ.

(٢) في ظ: ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بلاء﴾: ابتلاء أو إنعام ﴿من ربكم عظيم﴾.

(٣) في ظ: ﴿وإذ فرقنا﴾ قطعنا ﴿بكم﴾ بسبيكم البحر حتى دخلتموه هاربين من عدوكم. ﴿فأنجيناكم﴾ من الغرق ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِلَهُكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَنْتُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِكُمْ فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ

﴿٥١﴾ ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ^(١) أي: انقضاءها وتماها للتكلم معه ﴿ثُمَّ﴾ اتخذتم العجل ﴿معبوداً وإلهاً﴾ من بعده ﴿من بعد خروجه عنكم للميقات﴾ وأنتم ظالمون ﴿٢﴾ واضعون العبادة في غير موضعها، وهذا تنبيه على أن كفرهم بمحمد ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام. ﴿٥٢﴾ ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا﴾ محونا ذنوبكم ﴿عنكم من بعد ذلك﴾ من بعد عبادة العجل ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا نعمتي بالعمو.

﴿٥٣﴾ ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ﴾ [عطف تفسيري] ^(٣) يعني: التوراة الفارق بين [الحق والباطل] ^(٤) والحلال والحرام ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا بذلك الكتاب [من الضلال] ^(٥).

﴿٥٤﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ﴾ يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل ﴿إِلَهَاءً﴾ ﴿فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِئَكُمْ﴾ يعني: خالقكم ^(٦). قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المجرم ﴿ذلك﴾ أي:

(١) في ظ: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ بِالْفِ ودونها، ﴿موسىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ الذي صاغه لكم السامري إلهاً ﴿من بعده﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

ويلاحظ أن الفروق كثيرة بين نسخة ظ، والنسخ الثلاثة في هذه الآيات.

(٢) في ظ: ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها لوضعكم العبادة في غير محلها.

(٣) زيادة من ظ.

(٤) زيادة من ظ.

(٥) زيادة من ظ.

(٦) في ظ: ﴿فَتُوبُوا إِلَيَّ بَارِئَكُمْ﴾ خالقكم، من عبادته. ﴿فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾

التَّوْبَةُ ﴿خيرٌ لكم عند باريكم﴾^(١) من إقامتكم على عبادة العجل، ثم فعلتم ما أمرتكم به ﴿فتاب عليكم﴾ [: قبل توبتكم . ﴿إنَّه هو التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾]^(٢) .

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾^(٣) يعني : الذين اختارهم موسى عليه السَّلام ليعتذروا إلى الله سبحانه من عبادة العجل، فلمَّا سمعوا كلام الله تعالى، وفرغ موسى من مناجاة الله عزَّ وجلَّ قالوا له : [﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾]^(٤) لَنْ نَصَدِّقَكَ ﴿حتى نرى الله جهرة﴾ أي : عياناً لا يستره عنا شيءٌ ﴿فأخذتكم الصَّاعقة﴾ وهي نارٌ جاءت من السَّماء فأحرقتهم جميعاً ﴿وأنتم تنظرون﴾ إليها حين نزلت، وإنَّما أخذتهم الصَّاعقة ؛ لأنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسى عليه السَّلام بعد ظهور معجزته حتى يُريهم ربَّهم جهرة، والإيمان بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليه، فلهذا عاقبهم الله تعالى، وهذه الآية توبيخٌ لهم على مخالفة الرُّسول ﷺ مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم موسى مع ما أتى به من الآيات الباهرة .

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ نشرناكم وأعدناكم أحياء^(٥) ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ نعمة البعث .

(١) في ظ : ﴿ذلكم خير لكم عند باريكم﴾ فَرَّقَكُمْ بفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء لثلا يبصر بعضكم بعضاً، فبرحمه، حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً .

(٢) زيادة من ظ .

(٣) في ظ : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ﴾ وقد خرجتم مع موسى لتعتذروا إلى الله تعالى من عبادة العجل، وسمعتهم كلامه : ﴿يا موسى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حتى نرى الله جهرة﴾ عياناً ﴿فأخذتكم الصَّاعقة﴾ : الصيحة ﴿وأنتم تنظرون﴾ ما حلَّ بكم ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ .

(٤) زيادة من عا .

(٥) في ظ : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا بذلك . ﴿وظللنا =

وَوَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٧﴾ وظللنا عليكم الغمام ﴿ستراكم عن الشمس في التيه بالسحاب الرقيق﴾ وأنزلنا عليكم المنّ ﴿الطرنجيين كان يقع على أشجارهم بالأسحار﴾ والسلوى ﴿وهي طير أمثال الشمانى، وقلنا لهم: ﴿كلوا من طيبات﴾ من حلالات﴾ ما رزقناكم وما ظلمونا ﴿بإبائهم على موسى عليه السلام دخول قرية الجبارين، ولكنهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التيه، فلما انقضت مدة حبسهم وخرجوا من التيه قال الله تعالى لهم:

﴿٥٨﴾ ادخلوا هذه القرية ﴿وهي أريحا﴾ وادخلوا الباب ﴿يعني: باباً من أبوابها﴾ سجداً ﴿منحنيين متواضعين﴾ وقولوا حطة ﴿وذلك أنهم أصابوا خطيئةً بإبائهم على موسى عليه السلام دخول القرية، فأراد الله تعالى أن يغفرها لهم فقال لهم: قولوا حطة، أي: مسألتنا حطة، وهو أن تحط عنا ذنوبنا،﴾ وسنزيد المحسنين ﴿الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحساناً وثواباً﴾.

عليكم الغمام ﴿من حرّ الشمس في التيه، سترناكم بالسحاب الرقيق﴾ وأنزلنا عليكم ﴿المنّ والسلوى﴾ وهما الترنجيين والطير الشمانى، بتخفيف الميم، وقلنا: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ولا تدخروا، فكفروا النعمة وادخروا، فقطع عنهم. ﴿وما ظلمونا﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ لأنّ وباله عليهم. ﴿وإذ قلنا لهم﴾ بعد خروجهم من التيه: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ واسعاً لا حجر فيه. ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: بابها ﴿سجداً﴾ منحنيين ﴿وقولوا﴾: مسألتنا ﴿حطة﴾ أي: أن تحط عنا خطايا ﴿نغفر﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول ﴿لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾.

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ

﴿٥٩﴾ ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾ منهم ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ ^(١) أي: غَيَّرُوا تلك الكلمة التي أُمرُوا بها، وقالوا: حنطة ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا﴾: ظلمةً وطاعوناً، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً جزاءً لفسقهم بتبديل ما أُمرُوا به من الكلمة.

﴿وَإِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ في التَّيِّه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وكان حجراً

(١) في ظ: ﴿وستزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثواباً. ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة من شعيرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضممر مبالغة في تقبيح شأنهم. ﴿رِجْزًا﴾ عذاباً طاعوناً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن الطاعة، فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل.

واذكر ﴿إِذْ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ﴾ أي: طلب السقيا ﴿لِقَوْمِهِ﴾ وقد عطشوا في التَّيِّه، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فَرَّ بثوبه، خفيف مربَّع كُرَّاس الرجل، رخام أو كدان، فضربه ﴿فَانْفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿مِنهُ اثْنَا عَشَرَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط. ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ سِطِّهِمْ﴾ مشربهم ﴿مَوْضِعَ شَرِبِهِمْ﴾، فلا يشركهم فيه غيرهم، وقُلْنَا: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِمَّن رَزَقَ اللَّهُ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، مِنْ: عَيْي، بكسر المثلثة: أفسد.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَاحِدٍ﴾ وهو المَنِّ والسلوى ﴿فَادْعَ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا﴾ شيئاً ﴿مِمَّا تَنْبِت الْأَرْضُ مِنْ﴾ النبات ﴿بِقَلْهَا وَقَتْنَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسُهَا وَبِصَلْهَا﴾ قال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف، أي: تأخذون بدله، والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالى، فقال تعالى: ﴿اهْبُطُوا﴾: انزلوا ﴿مِصْرًا﴾ من الأمصار ﴿فَإِن لَّكُمْ فِيهِ﴾ ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات. ﴿وَضُرِبَتْ﴾: جعلت ﴿عَلَيْهِمُ الدَّلَّةُ﴾ الذل والهوان ﴿وَالْمَسْكَنَةُ﴾ أي: أثر الفقر، من السكون والخزي، فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكته، و ﴿بِأَوَّاهٍ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله ذلك ﴿أَيُّ الضَّرْبِ وَالْغَضَبِ﴾ بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله.

فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦١﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

خفيفاً مربّعاً مثل رأس الرّجل ﴿فانفجرت﴾ أي: فضرب، فانفجرت، يعني: فانشقّت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ فكان يأتي كل سبط عينهم التي كانوا يشربون منها، فذلك قوله تعالى: ﴿قد علم كل أناس مشربهم﴾ وقلنا لهم: ﴿كلوا﴾ من المنّ والسّلوى ﴿واشربوا﴾ من الماء، فهذا كلّهُ ﴿من رزق الله﴾ ﴿ولا تعتوا في الأرض مفسدين﴾ أي: لا تسعوا فيها بالفساد، فملّوا ذلك العيش، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر، فقالوا:

﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ يعني: المنّ الذي كانوا يأكلونه والسّلوى، فكانا طعاماً واحداً ﴿فادع لنا ربك﴾ سله وقل له: أَخْرِجْ ﴿يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ وهو كل نبات لا يبقى له ساقٌ ﴿وقثائها﴾ وهو نوعٌ من الخضروات ﴿وفومها﴾ وهو الحنطة، فقال لهم موسى عليه السّلام: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى﴾ أي: أخس وأوضع ﴿بالذي هو خير﴾ أي: أرفع وأجل؟ فدعا موسى عليه السّلام فاستجبنا له وقلنا لهم: ﴿اهبطوا مصرًا﴾: انزلوا بلدةً من البلدان ﴿فإنّ [لكم ما سألتهم﴾ أي: فإنّ^(١) الذي سألتهم لا يكون إلّا في القرى والأمصار ﴿وضربت عليهم﴾ أي: على اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ

(١) زيادة من ظا.

وعبارة ظ: ﴿اهبطوا﴾: انزلوا ﴿مصرًا﴾ من الأمصار ﴿فإنّ لكم﴾ فيه ﴿ما سألتهم﴾ من النبات، ﴿وضربت﴾: جعلت ﴿عليهم الذلّة﴾ الذّلّ والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكّته. ﴿وباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله﴾.

الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا ءَاتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَآذِكُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ

﴿الذِّلَّةُ﴾ يعني: الجزية وزي اليهودية ومعنى ضرب الذلة: إلزامهم إيّاها إلزاماً لا يبرح ﴿والمسكنة﴾ زي الفقر وأثر البؤس ﴿وباءوا﴾ احتملوا وانصرفوا ﴿بغضب من الله ذلك﴾ أي: ذلك الضرب والغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾ التي أنزلت على محمد ﷺ ﴿ويقتلون النبيين﴾ أي: يتولّون أولئك الذين فعلوا ذلك ﴿بغير حق﴾ أي: قتلاً بغير حق، يعني: بالظلم ﴿ذلك﴾ الكفر والقتل بشؤم ركوبهم المعاصي وتجاوزهم أمر الله تعالى.

﴿٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك ﴿والذين هادوا﴾ دخلوا في دين اليهودية ﴿والنصارى والصابئين﴾ الخارجين من دين إلى دين، وهم قومٌ يعبدون التّجوم ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ من هؤلاء ﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾ بالإيمان بمحمد عليه السّلام؛ لأنّ الدليل قد قام أنّ مَنْ لم يؤمن به لا يكون عمله صالحاً ﴿فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾.

﴿٦٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بالطّاعة لله تعالى والإيمان بمحمد عليه السّلام في حال رفع الطُّور فوقكم. يعني: الجبل، وذلك لأنّهم أبوا قبول شريعة التّوراة، فأمر الله سبحانه جبلاً فانقلع من أصله حتّى قام على رؤوسهم، فقبلوا خوفاً من أن يُرضخوا على رؤوسهم بالجبل، وقلنا لكم: ﴿خذوا ما آتيناكم﴾ اعملوا بما أمرتم به ﴿بقوّة﴾ بجِدٍّ ومواظبة على طاعة الله عزّ وجلّ ﴿واذكروا ما فيه﴾ من الثّواب والعقاب ﴿لعلكم تتقون﴾.

﴿٦٨﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أعرضتم عن أمر الله تعالى وطاعته من بعد أخذ الميثاق

فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٦﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾

﴿فلولا فضل الله عليكم ورحمته﴾ بتأخير العذاب عنكم ﴿لكنتم من الخاسرين﴾ الهالكين في العذاب.

﴿ولقد علمتم﴾ عرفتم حال ﴿الذين اعتدوا﴾ جاوزوا ما حُدَّ لهم من ترك الصَّيد في السَّبْتِ ﴿فقلنا لهم كونوا﴾ بتكويننا إيَّاكم ﴿قردة خاسئين﴾ مطرودين مبعدين.

﴿فجعلناها﴾ أي: تلك العقوبة والمسخة ﴿نكالاً﴾ عبرة ﴿لما بين يديها﴾ للأمم التي ترى الفرقة الممسوخة ﴿وما خلفها﴾ من الأمم التي تأتي بعدها ﴿وموعظة﴾ عبرة ﴿للمتقين﴾ للمؤمنين [الذين يتقون] ^(١) من هذه الأمة.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ وذلك أَنَّهُ وُجِدَ قَتِيلٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ يَدْرُوا قَاتِلَهُ، فَسَأَلُوا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَسَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ فَأَمَرَهُمْ بِذَبْحِ بَقَرَةٍ، فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ أَسْتَهْزِئُ بِنَا حِينَ نَسْأَلُكَ عَنِ الْقَتِيلِ فَتَأْمُرُنَا بِذَبْحِ الْبَقَرَةِ؟! ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ أَمْتَنِعُ بِهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا عَلِمُوا أَنَّ ذَلِكَ عَزْمٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ سَأَلُوهُ الْوَصْفَ، فَقَالُوا:

﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ أي: سلِّه بدعائك إِيَّاهُ ﴿يُبَيِّنْ مَا هِيَ﴾ مَا تِلْكَ الْبَقَرَةُ، وَكَيْفَ هِيَ، وَكَمْ سَنُهَا؟ وَهَذَا تَشْدِيدٌ مِنْهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا مُسِنَّةٌ كَبِيرَةٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ فَتِيَةٌ صَغِيرَةٌ ﴿عَوَانٌ﴾ نَصَفٌ بَيْنَ السَّيْنِينِ ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ [فيه تنبيهٌ على منعهم] ^(٢). وقوله تعالى:

قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ
النَّظِيرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا اذْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ
لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ
فِيهَا قَالُوا أَلَكُنْ جَنَّتْ بِالْحَقِّ فَذَبْجُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَرَأْتُمْ فِيهَا
وَاللَّهُ يُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ
﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٧٣﴾

﴿٦٩﴾ ﴿فاقع لونها﴾ أي: شديد الصفرة ﴿تسر الناظرين﴾ تعجبهم بحسنها.
﴿٧٠﴾ ﴿قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي﴾ أسائمة أم عاملة؟ ﴿إن البقر﴾ جنس البقر
﴿تشابه﴾ اشتبه وأشكل ﴿علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون﴾ إلى وصفها. قال
رسول الله ﷺ^(١): وايم الله، لو لم يستنوا لما بيئت لهم آخر الأبد.
﴿٧١﴾ ﴿قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول﴾ مُدَلَّلَةٌ بالعمل ﴿تثير الأرض﴾ تقلبها للزراعة،
أي: ليست تقلب؛ لأنها ليست ذلولاً ﴿ولا تسقي الحرث﴾ الأرض المهيأة للزراعة
﴿مسلمة﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿لا شية فيها﴾ لا لون فيها يفارق سائر لونها
﴿قالوا الآن جئت بالحق﴾ بالوصف التام الذي تتميز به من أجناسها، فطلبوها
فوجدوها ﴿فذبجوها وما كادوا يفعلون﴾ لغلاء ثمنها.
﴿٧٢﴾ ﴿وإذ قتلتم نفساً﴾ هذا أول القصة، ولكنه مؤخر في الكلام ﴿فادارأتم﴾ فاختلقتم
وتدافعتم ﴿والله مخرج﴾ مظهر ﴿ما كنتم تكتمون﴾ من أمر القتل.
﴿٧٣﴾ ﴿فقلنا اضربوه ببعضها﴾ بلسانها فيحيي، فضرِبَ فحيي ﴿كذلك يحيي الله
الموتى﴾ أي: كما أحيا هذا القتل ﴿ويريكم آياته﴾ آيات قدرته في خلق الحياة في
الأموات، [كما خلق في عاميل]^(٢).

(١) أخرجه ابن حاتم في تفسيره ٢٢٣/١؛ وابن جرير ٣٤٨/١.

قال ابن كثير في تفسيره ١٠٠/١: وهذا حديث غريب من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون
من كلام أبي هريرة.

(٢) هو اسم القتل، وما بين [] ليست في ظ.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ
الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَنُظْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا

﴿٧٤﴾ ثم قست قلوبكم﴾ يا معشر اليهود، أي: اشتدَّت وصلبت ﴿من بعد ذلك﴾ من
بعد هذه الآيات التي تقدَّمت من المسخ ورفع الجبل فوقهم، وانجاس الماء من
الحجر، وإحياء الميت بضرب عضو، وهذه الآيات ممَّا يصدِّقون بها ﴿فهي
كالْحِجَارَةِ﴾ في القسوة وعدم المنفعة؛ بل ﴿أشد قسوة﴾ وإنَّما عني بهذه القسوة
تركهم الإيمان بمحمَّد ﷺ بعد ما عرفوا صدقه، وقدرة الله تعالى على عقابهم
بتكذيبهم إيَّاه، ثم عذر الحجارة وفضلها على قلوبهم فقال: ﴿وإنَّ من الحجارة
لما يتفجر منه الأنهار وإنَّ منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإنَّ منها لما يهبط﴾
يتزل من علو إلى سفلي ﴿من خشية الله﴾. قال مجاهد^(١): كلُّ حجرٍ تفجَّر منه
الماء، أو تشقق عن ماء، أو تردَّى من رأس جبل فهو من خشية الله تعالى، نزل به
القرآن. ثم أوعدهم فقال: ﴿وما الله بغافل عما تعملون﴾ ثم خاطب النَّبِيَّ ﷺ
والمؤمنين، فقطع طمعهم عن إيمانهم، فقال:

﴿٧٥﴾ أَفَنُظْمِعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ وحالهم أنَّ طائفةً منهم كانوا ﴿يسمعون كلام الله﴾
يعني التَّوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ يُغيِّرونه عن وجهه. يعني: الذين غيَّروا أحكام
التَّوراة، وغيَّروا آية الرَّجْم، وصفة محمَّد ﷺ ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أي: لم يفعلوا
ذلك عن نسيانٍ وخطأ، بل فعلوه عن تعمَّدٍ ﴿وهم يعلمون﴾ أنَّ ذلك مكسبةٌ
للاؤزار.

﴿٧٦﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يعني: منافقي اليهود ﴿قالوا آمنا﴾ بمحمَّد، وهو نبيُّ

وَإِذَا خَلَا بِعَضُفِهِمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنْتَحِدْثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمَنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

صَادِقٌ نَجْدُهُ فِي كِتَابِنَا ﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يَعْنِي: إِذَا رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ إِلَى رُؤَسَائِهِمْ لَامُوهُمْ فَقَالُوا: ﴿أَنْتَحِدْثُونَهُمْ﴾ أَتُخْبِرُونَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ - ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ مِنْ صِفَةِ النَّبِيِّ الْمُبَشِّرِ بِهِ ﴿لِيُحَاجُّوكُمْ﴾ لِيُجَادِلُوكُمْ وَيُخَاصِمُوكُمْ ﴿بِهِ﴾ بِمَا قُلْتُمْ لَهُمْ ﴿عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فِي الْآخِرَةِ. يَقُولُونَ: كَفَرْتُمْ بِهِ بَعْدَ أَنْ وَقَفْتُمْ عَلَى صَدَقَةِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أَفَلَيْسَ لَكُمْ ذَهْنٌ إِنْسَانِيَّةٌ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿٧٧﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ مِنَ التَّكْذِيبِ، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ مِنَ التَّصْدِيقِ.

﴿٧٨﴾ وَمَنْهُمْ ﴿أُمِّيُّونَ﴾ لَا يَكْتُبُونَ وَلَا يَقْرَأُونَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ إِلَّا أَكَاذِيبَ وَأَحَادِيثَ مُفْتَعَلَةً يَسْمَعُونَهَا مِنْ كِبَرَائِهِمْ ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ أَيُّ: إِلَّا ظَانِّينَ ظَنًّا وَتَوْهُمًا، فَيُجْحَدُونَ بُيُوتَكَ بِالظَّنِّ.

﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ ﴿فَشْدَةُ عَذَابٍ﴾ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿أَيُّ: مِنْ قَبْلِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أُنْزِلَ﴾ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿الْآيَةِ﴾. يَعْنِي الْيَهُودَ، عَمِدُوا إِلَى صِفَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَكَتَبُوا صِفَتَهُ عَلَى غَيْرِ مَا كَانَتْ فِي التَّوْرَةِ، وَأَخَذُوا عَلَيْهِ الْأَمْوَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا] ^(١) فَلَمَّا أَوْعَدَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّارِ عِنْدَ تَكْذِيبِهِمْ إِيَّاهُ قَالُوا:

وَقَالُوا لَنْ تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٨٠﴾ لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة﴾ قليلة، ويعنون الأيام التي عبد آباؤهم فيها العجل، فكذبهم الله سبحانه فقال: قل لهم يا محمد: ﴿أَخَذْتُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ أخذتم بما تقولون من الله ميثاقاً؟ [﴿فلن يخلف الله عهده﴾] ^(١) والله لا ينقض ميثاقه ﴿أم تقولون على الله﴾ الباطل جهلاً منكم، ثم ردّ على اليهود قولهم: لن تمسنا النار، فقال: ﴿بلى﴾ أعذب.

﴿٨١﴾ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ وهي الشُّرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾: سدّت عليه مسالك النجاة، وهو أن يموت على الشُّرك ﴿فأولئك﴾ أصحاب النار هم فيها خالدون [الذين يُخَلَّدون في النار. ثم أخبر عن أخذ الميثاق عليهم بتبيين نعت محمد ﷺ فقال:

﴿٨٢﴾ وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أي: في التَّوراة ﴿لا تعبدون﴾ أي: بأن لا تعبدوا إلا الله وبالوالدين إحساناً﴾ أي: ووصيئناهم بالوالدين إحساناً ﴿وذِي الْقُرْبَى﴾ أي: القرابة في الرَّحْم [﴿واليتامى﴾ يعني: الذين مات أبوهم قبل البلوغ] ^(٢) ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ أي: صدقاً وحقاً في شأن محمد عليه السَّلام، وهو خطابٌ لليهود، ﴿ثم توليتم﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق، يعني: أوائلهم ﴿إلا قليلاً منكم﴾ يعني: مَنْ كان ثابتاً على دينه، ثم آمن بمحمد ﷺ ﴿وأنتم معرضون﴾ عمّا عهد إليكم كأوائلكم.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أشدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ بَأَنْ لَا يَقْتُلَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يُخْرِجَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا مِنْ دَارِهِ وَلَا يَغْلِبَهُ عَلَيْهَا، ﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ﴾ أَيُّ: قَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الْيَوْمَ ﴿تَسْهَدُونَ﴾ عَلَى إِقْرَارِ أَوَائِلِكُمْ، ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْمِيثَاقَ فَقَالَ:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ [أَرَادَ: يَا هَؤُلَاءِ] ^(١) ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ يَقْتُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا. ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ﴾ تَتَعَاوَنُونَ عَلَى أَهْلِ مِلَّتِكُمْ [بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ] ^(٢): بِالْمَعْصِيَةِ وَالظُّلْمِ ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسْرَى﴾ مَأْسُورِينَ يَطْلُبُونَ الْفِدَاءَ فَدَيِّمُوهُمْ ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ أَيُّ: وَإِخْرَاجَهُمْ عَنْ دِيَارِهِمْ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ يَعْنِي: فِدَاءَ الْأَسِيرِ ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ يَعْنِي: الْقَتْلَ وَالْإِخْرَاجَ وَالْمُظَاهَرَةَ عَلَى وَجْهِ الْإِبَاحَةِ؟ قَالَ السُّدِّيُّ: أَخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَرْبَعَةَ عَهُودٍ: تَرَكَ الْقَتْلَ، وَتَرَكَ الْإِخْرَاجَ، وَتَرَكَ الْمُظَاهَرَةَ، وَفِدَاءَ أُسْرَائِهِمْ، فَأَعْرَضُوا عَنْ كُلِّ مَا أُمِرُوا بِهِ إِلَّا الْفِدَاءَ. ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ فَضِيحَةٌ وَهَوَانٌ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، وَقَوْلُهُ:

﴿فَلَا يَخَفُفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ مَعْنَاهُ: فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَقِيلَ: هَذِهِ الْحَالَةُ مُخْتَصَّةٌ بِالْآخِرَةِ.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ

﴿٨٧﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسول ﴿٨٨﴾ أي: وأرسلنا رسولا بعد رسول ﴿٨٩﴾ وآتينا عيسى ابن مريم البينات ﴿٨٧﴾ يعني: ما أوتي من المعجزة ﴿٨٨﴾ وأيدناه ﴿٨٧﴾ وقويناه ﴿٨٧﴾ بروح القدس ﴿٨٧﴾ بجبريل عليه السلام، وذلك أنه كان قرينه يسير معه حيث سار، يقول: فعلنا بكم كل هذا فما استقمتم؛ لأنكم ﴿٨٧﴾ كلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ﴿٨٧﴾ ثم تعظمتم عن الإيمان به ﴿٨٧﴾ ففريقا كذبتم ﴿٨٧﴾ مثل عيسى ومحمد عليهما السلام ﴿٨٧﴾ وفريقا تقتلون ﴿٨٧﴾ مثل يحيى وزكريا عليهما السلام. ﴿٨٨﴾ وقالوا قلوبنا غلغ ﴿٨٨﴾ هو أن اليهود قالوا استهزاء وإنكاراً لما أتى به محمد عليه السلام: قلوبنا غلغ عليها غشاوة، فهي لا تعي ولا تفقه ما تقول، وكل شيء في غلاظ فهو أغلف، وجمعه: غلغ، ثم أكذبهم الله تعالى فقال: ﴿٨٧﴾ بل لعنهم الله ﴿٨٧﴾ أي: أبعدهم من رحمته فطردهم ﴿٨٧﴾ فقليلاً ما يؤمنون ﴿٨٧﴾ أي: فقليل يؤمنون بما في أيديهم. وقال قتادة: «قليلاً ما يؤمنون»، أي: ما يؤمن منهم إلا قليل، كعب الله بن سلام.

﴿٨٩﴾ ولما جاءهم كتاب ﴿٨٩﴾ يعني: القرآن ﴿٨٩﴾ مصدق ﴿٨٩﴾ موافق ﴿٨٩﴾ لما معهم ﴿٨٩﴾ وكانوا ﴿٨٩﴾ يعني: اليهود ﴿٨٩﴾ من قبل ﴿٨٩﴾ نزول الكتاب ﴿٨٩﴾ يستفتحون ﴿٨٩﴾ يستنصرون ﴿٨٩﴾ على الذين كفروا ﴿٨٩﴾ بمحمد عليه السلام وكتابه، ويقولون: اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ﴿٨٩﴾ فلما جاءهم ما عرفوا ﴿٨٩﴾ يعني: الكتاب وبعثة النبي ﴿٨٩﴾ كفروا ﴿٨٩﴾ ثم ذم منيعهم فقال:

﴿٩٠﴾ بئس ما اشتروا به أنفسهم ﴿٩٠﴾ أي: بئس ما باعوا به حظ أنفسهم من الثواب بالكفر

أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا
بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِيتٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا
نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ
أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ
اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ
الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا

بالقرآن ﴿بغياً﴾ أي: حسداً ﴿أن ينزل الله﴾ أي: إنزال الله ﴿من فضله على من﴾ من
يشاء من عباده ﴿وذلك أن كفر اليهود لم يكن من شك ولا اشتباه، وإنما كان
حسداً حيث صارت التوبة في ولد إسماعيل عليه السلام ﴿فباؤوا﴾ فانصرفوا
واحتملوا ﴿بغضب﴾ من الله عليهم لأجل تضييعهم التوراة ﴿على غضب﴾ لكفرهم
بالنبي محمد ﷺ والقرآن.

﴿٩٠﴾ ﴿وإذا قيل﴾ لليهود ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ بالقرآن ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾
يعني: التوراة ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ بما سواه ﴿وهو الحق﴾ يعني: القرآن
﴿مصدقاً لما معهم﴾ موافقاً للتوراة، ثم كذبهم الله تعالى في قولهم: نؤمن بما
أنزل علينا بقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله﴾ أي: أي كتاب جُوز فيه قتل نبي؟
[﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرط، وجوابه ما قبله] ^(١)، ثم ذكر أنهم كفروا بالله تعالى مع
وضوح الآيات في زمن موسى عليه السلام فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات﴾ يعني: العصا واليد وقلق البحر ﴿ثم اتخذتم
العجل من بعده﴾ إلهاً ﴿وأنتم ظالمون﴾.

﴿٩٣﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا﴾ مضى
تفسيره، ومعنى: واسمعوا، أي: [اقبلوا] ^(٢) ما فيه من حلاله وحرامه وأطيعوا

قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ أَلْعَجَلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِسْمَا
يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا
قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَنَجْذِثُنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوتِهِ وَمَنْ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ

﴿قالوا: سمعنا﴾ ما فيه ﴿وعصينا﴾ ما أمرنا به ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾
وسُقوا حبَّ العجل وخلطوا بحبِّ العجل حتى اختلط بهم، والمعنى: حُبَّب إليهم
العجل ﴿بكفرهم﴾ باعتقادهم التشبيه؛ لأنَّهم طلبوا ما يُتصوَّر في نفوسهم ﴿قل﴾
بس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴿هذا تكذيبٌ لهم في قولهم: نؤمن بما﴾
أنزل علينا، وذلك أنَّ آباءهم ادَّعوا الإيمان، ثمَّ عبدوا العجل، ف قيل لهم: بس
الإيمان إيمانٌ يأمركم بالكفر، والمعنى: لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل، يعني:
آباءهم، كذلك أنتم لو كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم ما كذبتُم محمَّدًا.

﴿قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن﴾
كنتم صادقين ﴿كانت اليهود تقول: لن يدخل الجنة إلا مَنْ كان هوداً، ف قيل لهم:﴾
إن كنتم صادقين فتمنوا الموت، فإنَّ مَنْ كان لا يشكُّ في أنَّه صائر إلى الجنة،
فالجنة أثرٌ عنده.

﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ لأنَّهم عرفوا أنَّهم كفَرُ، ولا نصيب لهم في الجنة، وهو قوله
تعالى: ﴿بما قدَّمت أيديهم﴾ أي: بما عملوا من كتمان أمر محمَّد ﷺ، وتغيير
نعتة ﴿والله عليم بالظالمين﴾ فيه معنى التهديد.

﴿ولتجدنهم﴾ يا محمَّد، يعني: علماء اليهود ﴿أحرص الناس على حياة﴾ لأنَّهم
علموا أنَّهم صائرون إلى النَّار إذا ماتوا؛ لما أتوا به في أمر محمَّد ﷺ ﴿ومن الذين﴾
أشركوا ﴿أي: وأحرص من منكري البعث، ومَنْ أنكر البعث أحبَّ طول العمر؛﴾
لأنَّه لا يرجو بعثاً، فاليهود أحرص منهم؛ لأنَّهم علموا ما جنوا فهم يخافون النَّار
﴿يودُّ أحدهم﴾ أي: أحد اليهود ﴿لو يعمرُ ألف سنة﴾ لأنَّه يعلم أنَّ آخرته قد

وَمَا هُوَ بِمُزْحَرْجِهِ مِّنَ الْعَذَابِ أَنَّ يُعَمَّرَ ۖ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا
لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى
لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِّلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ

فَسَدَّتْ عَلَيْهِ ﴿وما هو﴾ أَي: وما أحدهم ﴿بمزحزحه﴾ بِمُبْعِدِهِ مِّنَ ﴿العذاب﴾ أَنَّ
يُعَمَّرَ ﴿تعميره﴾.

﴿١٧﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ ﴿سألت اليهود نبيَّ الله ﷺ عن مَن يَأْتِيهِ مِنَ الملائكة؟
فقال: جبريل، فقالوا: هو عدونا، ولو أتاكَ ميكَائيلَ آمَنَّا بِكَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ هَذِهِ
الآيَةَ (١)﴾، والمعنى: قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فليمتَ غِيظًا ﴿فإنه نزلهُ﴾ أَي: نَزَلَ
القرآن ﴿على قلبك بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بِأَمْرِ اللَّهِ ﴿مُصَدِّقًا﴾ مُوَافِقًا لِّمَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ
﴿وهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ رَدُّ عَلَى الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا: إِنَّ جِبْرِيلَ يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ
وَالشَّدَّةِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ — وَإِنْ كَانَ يَنْزِلُ بِالْحَرْبِ وَالشَّدَّةِ عَلَى الْكَافِرِينَ — فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
بِالْهُدَى وَالْبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ.

﴿١٨﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿أَي: مَن
كَانَ عَدُوًّا لِأَحَدٍ هَؤُلَاءِ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لَهُ؛ لِأَنَّ عَدُوَّ الْوَاحِدِ عَدُوٌّ الْجَمِيعِ، وَعَدُوُّ
مُحَمَّدٍ عَدُوُّ اللَّهِ، وَالْوَاوُ هَاهُنَا بِمَعْنَى «أَوْ» كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ الْآيَةُ (٢). لِأَنَّ الْكَافِرَ بِالْوَاحِدِ كَافِرٌ بِالْكَلِّ، وَقَوْلُهُ: ﴿فإنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِّلْكَافِرِينَ﴾ أَي: إِنَّهُ تَوَلَّى تِلْكَ الْعَدَاوَةَ بِنَفْسِهِ، وَكَفَى مَلَائِكَتَهُ وَرُسُلَهُ أَمْرَ مَن
عَادَاهُمْ.

﴿١٩﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿دلالاتٍ واضحاتٍ، وهذا جوابٌ لابنِ صُورِيَا حِينَ

(١) الحديث أخرجه الترمذي وحسنه. انظر: العارضة ٢٨٤/١١؛ وأحمد ٢٧٤/١؛ وابن أبي حاتم ٢٨٨/١. وانظر أسباب النزول ص ٦٦؛ ولباب النقول ص ٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.

وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١١﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ

قال: يا محمد، ما أنزل عليك من آية بيّنة فتتبعك بها ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ الخارجون عن أديانهم، واليهود خرجت بالكفر بمحمد ﷺ عن شريعة موسى عليه السلام، ولما ذكر محمد ﷺ لهم ما أخذ الله تعالى عليهم من العهد فيه قال مالك بن الصّيف: والله ما عهد إلينا في محمد عهد ولا ميثاق، فأنزل الله تعالى^(١):

﴿أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾ الآية، وقوله: ﴿نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: الذين نقضوه من علمائهم ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾ لأنهم من بين ناقضٍ للعهد، وجاحِدٍ لنبوته معاندٍ له، وقوله:

﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ يعني: علماء اليهود ﴿كتاب الله﴾ يعني التّوراة ﴿وراء ظهورهم﴾ أي: تركوا العمل به حين كفروا بمحمد ﷺ والقرآن ﴿كأنهم لا يعلمون﴾ أنّه حقٌّ، وأنّ ما أتى به صدقٌ، وهذا إخبارٌ عن عنادهم، ثم أخبر أنّهم رفضوا كتابه واتبعوا السّحر فقال: ﴿واتبعوا﴾ يعني: علماء اليهود.

﴿ما تتلو الشياطين﴾ أي: ما كانت الشياطين تُحدّث وتقصّ من السّحر ﴿على ملك سليمان﴾ في عهده وزمان ملكه، وذلك أنّ سليمان عليه السلام لما نُزع ملكه دفنت الشياطين في خزائنه سحراً ونيرنجات، فلما مات سليمان دلّت الشياطين عليها النّاس حتى استخرجوها، وقالوا للنّاس: إنّما ملككم سليمان بهذا فتعلّموه، فأقبل بنو إسرائيل على تعلّمها، ورفضوا كتب أنبيائهم^(٢)، فبرأ الله سليمان عليه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩٥/١ بسندٍ صحيح عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٠٠/١، ونحوه في المستدرک ٢٦٥/٢ وصححه الذهبي، وذكره

المؤلف في أسباب النزول ص ٦٧ عن الكلبي، وهو ضعيف.

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِإِذْنِ هَارُوتَ وَمَرْوُتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ

السَّلام فقال: ﴿وما كفر سليمان﴾ أي: لم يكن كافراً ساحراً يسحر ﴿ولكن الشياطين كفروا﴾ بالله ﴿يعلمون الناس السحر﴾ يريد: ما كتب لهم الشياطين من كتب السحر ﴿وما أنزل على الملكين﴾ أي: ويعلمونهم ما أنزل عليهما، أي: ما علماً وألهماً، وقُذِفَ في قلوبهما من علم التفرقة، وهو رقيةٌ وليس بسحر، وقوله: ﴿وما يعلمان﴾ يعني: الملكين السحر ﴿من أحدٍ﴾ أحداً ﴿حتى﴾ يقولان إنما نحن فتنَةٌ ابتلاءً واختباراً ﴿فلا تكفر﴾ وذلك أن الله عزَّ وجلَّ امتحن النَّاسَ بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابلُ تعلُّم السحر، فيكفر بتعلُّمه ويؤمن بتركه، والله تعالى أن يمتحن عباده بما شاء، وهذا معنى قوله: ﴿إنما نحن فتنَةٌ فلا تكفر﴾ أي: محنةٌ من الله نخبرك أنَّ عمل السحر كفرٌ بالله، ونهاك عنه، فإنَّ أطعنا نجوت وإن عصيتنا هلكت، وقوله تعالى ﴿فيتعلمون﴾ أي: فيأتون فيتعلَّمون من الملكين ﴿ما يفرقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يؤخذ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه ويُغَضَّ كلُّ واحدٍ منهما إلى الآخر ﴿وما هم﴾ أي: السحرة الذين يتعلَّمون السحر ﴿بضارين به﴾ بالسحر ﴿من أحدٍ﴾ أحداً ﴿إلا بإذن الله﴾ بإرادته كون ذلك، أي: لا يضرُّون بالسحر إلا مَنْ أَرَادَ الله أن يلحقه ذلك الضرر ﴿ويتعلمون ما يضرُّهم﴾ في الآخرة ﴿ولا ينفعهم﴾ [في الدنيا] ^(١) ﴿ولقد علموا﴾ يعني: اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ من اختار السحر ﴿ما له في الآخرة من خلاقٍ﴾ من نصيب [في الجنة] ^(٢)، ثم ذمَّ صنيعهم فقال: ﴿ولبئس

مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٨﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٩﴾ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا

ما شروا به أنفسهم ﴿١٠٦﴾ أي: بش شيء باعوا به حظ أنفسهم حيث اختاروا السحر ونبذوا كتاب الله ﴿لو كانوا يعلمون﴾ كنه ما يصير إليه من يخسر الآخرة من العقاب.

﴿ولو أنهم آمنوا﴾ بمحمد عليه السلام والقرآن ﴿واتقوا﴾ اليهودية والسحر، لأثبوا ما هو خير لهم من الكسب بالسحر، وهو قوله تعالى: ﴿لمثوبة من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾ كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهودية سباً قبيحاً، فلما سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنهى الله تعالى المؤمنين عن ذلك^(١)، وأنزل هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا ﴿انظرننا﴾ أي: انظر إلينا حتى نفهمك ما نقول ﴿واسمعوا﴾ أي: أطيعوا واتركوا هذه الكلمة؛ لأن الطاعة تجب بالسمع. ﴿ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم﴾ أي: خير من عند ربكم.

﴿والله يختص برحمته﴾ يخص بنبوته ﴿من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾.

﴿ما ننسخ من آية أو ننسها﴾ أي: ما نرفع آية من جهة النسخ بأن نُبطل حكمها،

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهي سلسلة الكذب. وانظر لباب القول ص ٢٤. وأخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء مختصراً بسند جيد في تفسيره ٣١٨/١.

نَأْتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١١٨﴾

أو بالإنساء لها بأن نمحوها عن القلوب ﴿نأت بخير منها﴾ أي: أصلح لمن تُعبّد بها، وأنفع لهم وأسهل عليهم، وأكثر لأجرهم ﴿أو مثلها﴾ في المنفعة والمثوبة ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ من النسخ والتبديل وغيرهما ﴿قدير﴾. نزلت^(١) هذه الآية حين قال المشركون: إنَّ محمداً يأمر أصحابه بأمر، ثم ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً. ما هذا القرآن إلا كلام محمد، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقوله^(٢): ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية... الآية.﴾

﴿ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض﴾ يعمل فيهما ما يشاء، وهو أعلم بوجه الصّلاح فيما يتعبدهم به من ناسخ ومنسوخ ﴿ومالكم من دون الله من ولي﴾ أي: وإلي أمركم ويقوم به ﴿ولا نصير﴾ ينصركم، وفي هذا تحذير من عذابه إذ لا مانع منه.

﴿أم تريدون﴾ أي: بل تريدون ﴿أن تسألوا رسولكم﴾ محمداً ﷺ ﴿كما سئل موسى من قبل﴾ وذلك أن قريشاً^(٣) قالوا: يا محمد، اجعل لنا الصّفا ذهباً، ووسّع لنا أرض مكة، فنّهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسى عليه السّلام حين قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾^(٤) وذلك أن السّؤال بعد قيام البراهين كفر، ولذلك قال: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلّ سواء السبيل﴾ قصده ووسطه.

(١) أسباب النزول ص ٧٠.

(٢) الآية: ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل﴾ قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون ﴿سورة النحل: الآية ١٠١.﴾

(٣) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٨٥، وذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٠ عن ابن عباس.

(٤) سورة النساء: الآية ١٥٣.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ
 أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ
 أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَن أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
 مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ
 النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ

﴿١٠٩﴾ ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ...﴾ الآية. نزلت ^(١) حين قالت اليهود للمسلمين بعد
 وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هُزمتهم فارجعوا إلى
 ديننا، فذلك قوله تعالى: ﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند
 أنفسهم﴾ أي: في حكمهم وتدينهم ما لم يؤمروا به ﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾
 في التوراة أن قول محمدٍ صدقٌ ودينه حقٌ ﴿فاعفوا واصفحوا﴾ وأعرضوا عن
 مساوىء أخلاقهم وكلامهم وغلّ قلوبهم ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ بالقتال.

﴿١١٠﴾ ﴿وقالوا لن يدخل الجنة...﴾ الآية. أي: قالت اليهود: لن يدخل الجنة ﴿إلا من
 كان هوداً﴾ وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصارى، ﴿تلك أمانيتهم﴾ التي
 تمنّوها على الله سبحانه باطلاً ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ قربوا حجّتكم على ما تقولون،
 ثم بيّن من يدخلها فقال:

﴿١١١﴾ ﴿بلى﴾ يدخلها ﴿من أسلم وجهه لله﴾ انقاد لأمره وبذل له وجهه في السجود
 ﴿وهو محسن﴾ مؤمنٌ مصدقٌ بالقرآن.

﴿١١٢﴾ ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء﴾ لمّا قدم وفد نجران فتنازعوا مع

وَقَالَتِ الْفَصْرَىٰ لَيْسَ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ قَالَ اللَّهُ إِنَّكُمْ تُجَادِلُونَ فِيهِمُ الْفَيْصَمَةَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ

اليهود، وكفّر كل واحدٍ من الفريقين الآخر^(١)، وقوله تعالى: ﴿وهم يتلون الكتاب﴾ يعني: إنّ الفريقين يتلون التّوراة وقد وقع بينهما هذا الاختلاف وكتابهم واحد، فدلّ بهذا على ضلالتهم ﴿كذلك قال الذين لا يعلمون﴾ يعني: كفّار الأمم الماضية، وكفّار هذه الأمّة ﴿مثل قولهم﴾ في تكذيب الأنبياء والاختلاف عليهم، فسبيل هؤلاء الذين يتلون الكتاب كسبيل مَنْ لا يعلم الكتاب [أنّه من الله تعالى]^(٢) من المشركين في الإنكار لدين الله سبحانه ﴿فالله يحكم بينهم...﴾ الآية. أي: يُريهم عياناً مَنْ يدخل الجنّة وَمَنْ يدخل النّار.

﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله﴾ يعني: بيت المقدس ومحاربه. نزلت^(٣) في أهل الرّوم حين خرّبوا بيت المقدس ﴿أولئك﴾ يعني: أهل الرّوم ﴿ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين﴾ لم يدخل بيت المقدس بعد أن عمره المسلمون روميّاً إلّا خائفاً لو علّم به قُتل ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل للحربيّ، والجزية للذميّ.

﴿ولله المشرق والمغرب﴾ أي: إنّهُ خالقهما. نزلت^(٤) في قوم من الصّحابة سافروا فأصابهم الضّباب فتحرّوا القبلة وصلّوا إلى أنحاءٍ مختلفةٍ، فلمّا ذهب الضّباب

(١) أسباب النزول ص ٧١؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣٣٨/١؛ وابن جرير ٤٩٥/١.

(٢) زيادة من عا.

(٣) هذا قول ابن عباس في رواية الكلبي. تفسير ابن أبي حاتم ٣٤٢/١؛ وأسباب النزول ص ٧١.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير ١٥٥/٨، وقال: ليس إسناده بذلك، والبيهقي ١١/٢؛ والدارقطني ٢٧٢/١.

وانظر: أسباب النزول ص ٧٣.

فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

استبان أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. وقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا﴾ أي: تصرفوا وجوهكم ﴿ثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: فهناك قبلة الله وجهته التي تعبدكم الله بالتوجه إليها ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ أي: واسع الشريعة يُوسِّع على عباده في دينهم. [اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فمنهم من قال: هي منسوخة الحكم^(١) بقوله: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٢)؛ ومنهم من قال: حكمها ثابت غير أنها مخصوصة بالتوافل في السفر^(٣). وقيل^(٤): إنها نزلت في شأن النجاشي حين صَلَّى عليه النَّبِيُّ ﷺ مع أصحابه وقولهم له: كيف تُصَلِّي على رجلٍ صَلَّى إلى غير قبلتنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وبيَّن أنَّ النجاشي وإن صَلَّى إلى المشرق أو المغرب فإنما قصد بذلك وجه الله وعبادته، ومعنى ﴿ثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أي: ثمَّ رضا الله وأمره، كما قال: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ﴾^(٥). والوجهُ والجهةُ والوجهةُ: القبلةُ^(٦).

(١) قال مكِّي القيسي: وهو منسوخ عند مالك وأصحابه بقوله: ﴿فَوَلَّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، وهو قول قتادة وابن زيد، وهو مروى عن ابن عباس والحسن - الإيضاح للناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٣١.

وانظر: الناسخ والمنسوخ للزهري ص ١٨، وللنحاس ص ١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول عليه فقهاء الأمصار، ويدل ذلك على صحته عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ كان يصلي وهو مقبلٌ من مكة إلى المدينة على دابته، وفي ذلك أنزل الله: ﴿فَأَيْنَمَا تُولُوْا فَثُمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾. الناسخ والمنسوخ ص ١٧ مع حذف السند.

قلت: وهذا الحديث أخرجه مسلم في الصلاة برقم ٣٣؛ وأحمد ٣٢٣/٦؛ والترمذي ١٥٦/٨؛ والنسائي ٢٤٤/١.

(٤) أخرجه ابن جرير ٥٠٤/١ عن قتادة؛ وانظر الإيضاح ص ١٣٢؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٧.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٦) ما بين [] ساقط من عا وظا وظ، وهو في نسخة الأصل فقط.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنُكَ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَدِينُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَّهَتْ

﴿١١٦﴾ وقالوا اتخذ الله ولداً يعني: اليهود في قولهم: ﴿عزير ابنُ الله﴾^(١) والنصارى في قولهم: ﴿المسيح ابنُ الله﴾^(٢) والمشركين في قولهم: الملائكة بناتُ الله، ثم نزه نفسه عن الولد فقال: ﴿سبحانه بل﴾ ليس الأمر كذلك ﴿له ما في السموات والأرض﴾ عبداً وملكاً. ﴿كلُّ له قانتون﴾ مطيعون: يعني: أهل طاعته دون الناس أجمعين.

﴿١١٧﴾ بَدِيعُ السموات والأرض﴾ خالقهما وموجدهما لا على مثال سبق. ﴿وإذا قضىٰ أمراً﴾ قدره وأراد خلقه ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ أي: إنما يكونه فيكون، وشرطه أن يتعلّق به أمره. [وقال الأستاذ أبو الحسن: يكونه بقدرته فيكون على ما أراد]^(٣).

﴿١١٨﴾ وقال الذين لا يعلمون﴾ يعني: مشركي العرب قالوا لمحمد: لن نؤمن لك حتى يكلمنا الله﴾ أنّك رسوله ﴿أو تأتينا آية﴾ يعني: ما سألوا من الآيات الأربع في قوله تعالى: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا...﴾ الآيات^(٤). ومعنى ﴿لولا يكلمنا الله﴾ أي: هلاً يكلمنا الله أنّك رسوله. ﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾ يعني: كفّار الأمم الماضية كفروا بالتّعنتِ بطلب الآيات كهؤلاء ﴿تشابهت

(١) و (٢) قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠].

(٣) زيادة من ع.

(٤) الآيات هي: ﴿وقالوا: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً﴾ أو تكون لك جنة من نخيل وعنق فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً﴾ أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾ [سورة الإسراء: الآيات ٩٠ - ٩٣].

قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَنْ رَضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ

قلوبهم ﴿﴾ أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة ومسألة المحال ﴿﴾ قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون ﴿﴾ أي: مَنْ أيقن وطلب الحقَّ فقد أتته الآيات؛ لأنَّ القرآن برهانٌ شافٍ.

﴿١١٨﴾ ﴿إنا أرسلناك بالحق﴾ بالقرآن والإسلام، أي: مع الحقَّ ﴿بشيراً﴾ مُبشِّراً للمؤمنين ﴿ونذيراً﴾ مُخَوِّفاً ومُحذِّراً للكافرين ﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾ أي: لست بمسؤولٍ عنهم، وذلك أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل بأسه باليهود لآمنوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(١)، أي: ليس عليك من شأنهم عُهدةٌ ولا تبعة.

﴿١٢٠﴾ ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود...﴾ الآية نزلت في تحويل القبلة ^(٢)، وذلك أنَّ اليهود والنَّصارى كانوا يرجون أنَّ محمداً ﷺ يرجع إلى دينهم، فلمَّا صرف الله تعالى القبلة إلى الكعبة شقَّ عليهم، وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: ﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارىٰ حتىٰ تتبع ملتهم﴾ يعني: دينهم وتصلِّي إلى قبلتهم ﴿قل إنَّ هدىٰ الله هو الهدىٰ﴾ أي: الصَّراط الذي دعا إليه، وهدىٰ إليه هو طريق الحقَّ ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ يعني: ما كانوا يدعونه إليه من المهادنة والإمهال ﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾ أي: البيان بأنَّ دين الله عزَّ وجلَّ هو الإسلام وأنهم على الضَّلالة ﴿مالك من الله من وليٍّ ولا نصير﴾.

﴿١٢١﴾ ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني: مؤمني اليهود ﴿يتلونهُ حق تلاوته﴾ يقرؤونه كما أنزل ولا يُحرِّفونه، ويتَّبِعونه حقَّ اتِّباعه.

(١) ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٥ عن مقاتل.

(٢) أسباب النزول ص ٧٥.

أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ. وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٦﴾ يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ

﴿١٢٩﴾ ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ اختبره، أي: عامله معاملة المُختَبَر ﴿بكلمات﴾ هي عشر خصال: خمسٌ في الرأس، وهي: الفرق، والمضمضة، والاستنشاق، والسَّوَاك، وقصُّ الشَّارب، وخمسٌ في الجسد، وهي: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، ونفث الرُّفْعَيْن^(١) ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَذَاهُنَّ تَامَاتٍ غير ناقصات ﴿قَالَ﴾ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يقتدي بك الصَّالحون. فقال إبراهيم: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أي: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمةً يُقتدى بهم، فقال الله عزَّ وجلَّ ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ يريد: مَنْ كَانَ مِنْ وَلَدِكَ ظَالِمًا لَا يَكُونُ إِمَامًا، ومعنى: ﴿عَهْدِي﴾ أي: نُبُوتِي.

﴿١٢٩﴾ ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ يعني: الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ معاداً يعودون إليه لا يقضون منه وطراً، كلُّمَا انصرفوا اشتاقوا إليه ﴿وَأَمَّا﴾ أي: مؤمناً، وكانت العرب يرى الرَّجُلُ مِنْهُمْ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْحَرَمِ فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَلَا يُهَاجِ الْجَانِي إِذَا التَّجَأَ إِلَيْهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ: الْأَوَّلَى أَنْ لَا يُهَاجِ، فَإِنْ أُخِيفَ بِإِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ جَازَ. وَقَدْ قَالَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسَرِينَ: مَنْ شَاءَ آمَنَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يُؤْمِنْ، كَمَا أَنَّهُ لَمَّا جَعَلَهُ مَثَابَةً، مَنْ شَاءَ ثَابَ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَثْبِ. ﴿وَاتَّخِذُوا﴾ أي: النَّاسُ ﴿مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهو الحجر الذي يُعرف بمقام إبراهيم، وهو موضع

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٥٢٤/١؛ وابن أبي حاتم ٣٥٩/١؛ والبيهقي ١٤٩/١. وورد في الحديث مرفوعاً: عشرٌ من الفطرة، وذكرها. أخرجه مسلم في الإيمان رقم ٢٦١. وفي ظ: [ونفث الإبطين]. والرُّفْعُ: أصل الفخذ.

مُصَلَّى وَعَهْدَنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ
 السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ
 إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا
 مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً

قدميه ﴿مُصَلَّى﴾ وهو أنه تُسَنُّ الصَّلَاةُ خلف المقام، قُرِئَ على هذا الوجه على
 الخبر، وقُرِئَ بالكسر^(١) على الأمر. ﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل﴾ أمرناهما
 وأوصينا إليهما ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ من الأوثان والرَّيْبِ [لِلطَّائِفِينَ] حوله، وهم
 النزائع إليه من آفاق الأرض ﴿والعاكفين﴾ أي: المقيمين فيه، وهم سكان الحرم
 ﴿والركع﴾ جمع راعٍ و ﴿السجود﴾ جمع ساجد؛ مثله: قاعد وقعود^(٢).

﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا أَيْ: هذا المكان وهذا الموضع ﴿بلدًا﴾ مسكنًا
 ﴿آمِنًا﴾ أَيْ: ذا أَمْنٍ لَا يُصَاد طَيْرُهُ، وَلَا يُقَطَّع شَجَرُهُ وَلَا يُقْتَل فِيهِ أَهْلُهُ. ﴿وارزق
 أهلهم من الثمرات﴾ أنواع حمل الشجر ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ خَصَّ
 إبراهيم عليه السلام بطلب الرزق المؤمنين. قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾
 فسأرزقه إلى منتهى أجله ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ أُلْجِئَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ
 الْمَصِيرُ﴾ هي.

﴿١٢٧﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ أَصُولُ الْأَسَاسِ ﴿مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ويقولان:
 ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ تَقَرُّبُنَا إِلَيْكَ بِنَاءِ هَذَا الْبَيْتِ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ لدعائنا
 ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما في قلوبنا.

﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ مُطِيعِينَ مُتَقَادِينَ لِحُكْمِكَ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً﴾ جماعةً

(١) قرأ نافع وابن كثير بفتح الخاء على الخبر، والباقون بكسرها على الأمر.

الإتحاف ص ١٤٧؛ والإقناع لابن الباذش ٦٠٢/٢.

(٢) ما بين [] زيادة من ظ وظا.

مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرَنَا مَتَّاسِكًا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنْكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
 مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْنَا آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾
 وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ
 الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ
 وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿مسلمة لك﴾ وهم المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان ﴿وأرنا متأسكنا﴾ عرفنا متعبداً لنا.

﴿ربنا وابعث فيهم﴾ في الأمة المسلمة ﴿رسولاً منهم﴾ يريد: محمداً ﷺ ﴿يتلو﴾ عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴿أي: القرآن﴾ ﴿يُزَكِّيهِمْ﴾ ويُطَهِّرُهُمْ مِنَ الشُّرْكِ ﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب القوي الذي لا يعجزه شيء، ومضى تفسير الحكيم^(١).

﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: وما يرغب عنها ولا يتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ أي: جهلها بأن لم يعلم أنها مخلوقة لله تعالى يجب عليها عبادة خالقها ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ اخترناه للرَّسالة ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: من الأنبياء.

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ أخلص دينك لله سبحانه بالتوحيد، وقيل: أسلم نفسك إلى الله ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ بقلبي ولساني وجوارحي ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَوَصَّى بِهَا﴾ أي: أمر بالملة، وقيل: بكلمة الإخلاص ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ﴾ أراد: أَنْ يَا بَنِيَّ ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ﴾ أي: الإسلام دين الحنيفية ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي: الزموا الإسلام حتى إذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ

﴿١٣٣﴾ ﴿أم كنتم شهداء﴾ ترك الكلام الأول، وعاد إلى مخاطبة اليهود. المعنى: بل أكنتم شهداء، أي: حضوراً ﴿إذ حضر يعقوب الموت﴾ وذلك أن اليهود قالت للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية؟ فأكذبهم الله تعالى (١)، وقال: أكنتم حاضرين وصيته ﴿إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي﴾.

﴿١٣٤﴾ ﴿تلك أمة﴾ يعني: إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه ﴿قد خلت﴾ قد مضت ﴿لها ما كسبت﴾ من العمل ﴿ولكم﴾ يا معشر اليهود ﴿ما كسبتم﴾ أي: حسابهم عليهم، وإنما تُسألون عن أعمالكم.

﴿١٣٥﴾ ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران. قال كل واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا على ديننا فلا دين إلا ذلك (٢)، فقال الله تعالى: ﴿قل بل ملة إبراهيم حنيفاً﴾ يعني: بل تتبع ملة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ثم أمر المؤمنين أن يقولوا:

﴿آمنّا بالله وما أنزل إلينا﴾ يعني: القرآن ﴿وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط﴾ وهم أولاد يعقوب، وكان فيهم أنبياء لذلك قال: وما أنزل

(١) أسباب النزول ص ٥٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٩٦/١ وابن جرير ٥٦٤/١ وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري، مولى زيد بن ثابت، مدني، مجهول، تفرد عنه ابن إسحاق.

وانظر: أسباب النزول ص ٧٥.

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنِ
لَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صَبَغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا
أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا إِذْهَبْنَا وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ
شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّهِ مِنَ اللَّهِ

إليهم. وقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أي: لا نكفر ببعض ونؤمن ببعض،
كما فعلت اليهود والنصارى.

﴿١٣٦﴾ ﴿فَإِنِ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ أي: إِنْ أَتَوْا بِتَصَدِيقٍ مِثْلِ تَصَدِيقِكُمْ، وَكَانَ إِيمَانُهُمْ
كَإِيمَانِكُمْ ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ فَقَدْ صَارُوا مُسْلِمِينَ ﴿وَإِنِ تَوَلَّوْا﴾ أَعْرَضُوا ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ﴾ فِي خِلَافٍ وَعَدَاوَةٍ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ ثُمَّ فَعَلَ ذَلِكَ، فَكَفَاهُ أَمْرُ الْيَهُودِ
بِالْقَتْلِ وَالسَّبْيِ فِي قَرِيبَةٍ، وَالْجَلَاءِ وَالنَّفْيِ فِي بَنِي النَّضِيرِ، وَالْجَزِيَةِ وَالذَّلَّةِ فِي
نَصَارَى نَجْرَانَ.

﴿١٣٧﴾ ﴿صَبَغَهُ اللَّهُ﴾ أي: الزَمُوا دِينَ اللَّهِ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبْغَةً﴾ أَي: وَمَنْ أَحْسَنُ
مِنَ اللَّهِ دِينًا؟

﴿١٣٨﴾ ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى: ﴿أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ أَتُخَاصِمُونَنَا فِي دِينِ اللَّهِ؟
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ دِينَنَا هُوَ الْأَقْدَمُ، وَكِتَابُنَا هُوَ الْأَسْبَقُ، وَلَوْ كُنْتَ نَبِيًّا لَكُنْتَ مَثًّا
﴿وَلَنَا أَعْمَالُنَا﴾ نُجَازِي بِحَسَنَتِهَا وَسَيِّئَتِهَا، وَأَنْتُمْ فِي أَعْمَالِكُمْ عَلَيَّ مِثْلُ سَيْلِنَا
﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ مُوَحِّدُونَ.

﴿١٣٩﴾ ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَنْزَلَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ ﴿كَانُوا هُودًا
أَوْ نَصَارَى﴾ ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أَي: قَدْ أَخْبَرْنَا اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كَانُوا
دِينَهُمُ الْإِسْلَامَ، وَلَا أَحَدٌ أَعْلَمُ مِنْهُ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ هَذَا
تَوْبِيخٌ لَهُمْ، وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَشْهَدُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ أَنَّهُ بَاعَثَ فِيهِمْ

وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَدُهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ آلِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا

محمداً ﷺ من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأخذ موثيقهم أَنْ يُبَيِّنُوهُ وَلَا يَكْتُمُوهُ، ثُمَّ ذَكَرَ قِصَّةَ تَحْوِيلِ الْقِبْلَةِ، فَقَالَ:

الجزء الثاني:

﴿١٤٢﴾ ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ يعني: مشركي مكة ويهود المدينة ﴿مَا وَلَاَهُمْ﴾ ما صرفهم؟ يعنون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبَلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ وهي الصخرة ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ يأمر بالتَّوَجُّهُ إِلَى أَيِّ جِهَةٍ شَاءَ ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دينٍ مستقيم. يريد: إِنِّي رَضِيتُ هَذِهِ الْقِبْلَةَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ، ثُمَّ مَدَحَ أُمَّتَهُ فَقَالَ:

﴿١٤٣﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أَي: وكما هديناكم صراطاً مستقيماً ﴿جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ عدولاً خياراً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ لتشهدوا على الأمم بتبليغ الأنبياء ﴿وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ﴾ على صدقكم ﴿شَهِيدًا﴾ وذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْأَلُ الْأُمَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتُمْ الرُّسُلَ الرُّسَالَ؟ فَيَقُولُونَ: مَا بَلَّغْنَا أَحَدًا عَنْكَ شَيْئًا، فَيَسْأَلُ الرُّسُلَ فَيَقُولُونَ: بَلَّغْنَاهُمْ رِسَالَتَكَ فَعَصَوْا، فَيَقُولُ: هَلْ لَكُمْ شَهِيدٌ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، أُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَشْهَدُونَ لَهُمْ بِالتَّبْلِيغِ وَتَكْذِيبِ قَوْمِهِمْ إِيَّاهُمْ، فَتَقُولُ الْأُمَّةُ: يَا رَبِّ، بِمَ عَرَفُوا ذَلِكَ، وَكَانُوا بَعْدَنَا؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ نَبِيُّنَا فِي كِتَابِهِ، ثُمَّ يُزَكِّيهِمْ مُحَمَّدٌ ﷺ (١). ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أَي:

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾. فتح الباري ١٣/١١٦؛ وأحمد ٩/٣؛ والطبري ٨/٢؛ والنسائي في تفسيره ١٩٦/١.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ
وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي
السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

التي أنت عليها اليوم، وهي الكعبة، قِبْلَةً ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ لنرى [وقيل: معناه: لنميز] ^(١) ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ في تصديقه بنسخ القبلية ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ يرتدُّ ويرجع إلى الكفر، وذلك أَنَّ الله تعالى جعل نسخ القبلية عن الصَّخْرَةِ إلى الكعبة ابتلاءً لعباده المؤمنين، فَمَنْ عصمه صدَّق الرَّسُولَ في ذلك، وَمَنْ لم يعصمه شكٌّ في دينه وتردَّد عليه أمره، وظنَّ أَنَّ محمداً عليه السَّلام في حيرة من أمره، فارتدَّ عن الإسلام، وهذا معنى قوله: ﴿وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ أي: وقد كانت التَّوَلَّى إلى الكعبة لثِقِيلَةً إِلَّا ﴿عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ﴾ عصمهم الله بالهداية، فلمَّا حَوَّلَت القبلية قالت اليهود: فكيف بَمَنْ مات منكم وهو يصلي على القبلية الأولى؟ لقد مات على الضَّلالة، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: [صلاتكم التي صليتم و] ^(٢) تصديقكم بالقبلة الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ يعني: بالمؤمنين ﴿لِرَوْفٍ رَّحِيمٍ﴾ والرَّأْفَةُ أَشَدُّ الرَّحْمَةِ.

﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ...﴾ الآية. كانت الكعبة أحبَّ القبليتين إلى رسول الله ﷺ، ورأى أَنَّ الصَّلَاةَ إليها أدعى لقومه إلى الإسلام، فقال لجبريل عليه السَّلام: وددتُ أَنَّ الله صرفني عن قِبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبريل عليه السَّلام: إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مِثْلُكَ، وَأَنْتَ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّكَ فَسله، ثُمَّ ارتفع جبريل عليه السَّلام وجعل رسول الله ﷺ يُدِيمُ النَّظَرَ إِلَى السَّمَاءِ رَجَاءً أَنْ يَأْتِيَهُ جبريل عليه السَّلام بالذي سأل، فأنزل الله تعالى ^(٣): ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ أي: في النَّظَرِ إِلَى السَّمَاءِ ﴿فَلَنُوَلِّيَنَّكَ﴾ فَلَنُصَيِّرَنَّكَ تستقبل ﴿قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾ تحبُّها وتهواها ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ أي: أقبل بوجهك ﴿شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ نحوه وتلقاه

(٢) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظ.

(٣) الحديث ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٧؛ وفي الوسيط ٢١١/١. وأخرجه ابن جرير =

وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ أَتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿وحيثما كنتم﴾ في برٍّ أو بحرٍ وأردتم الصلاة ﴿فولوا وجوهكم شطره﴾ فلمّا تحوّلت القبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد، ما أمرت بهذا، وإنّما هو شيءٌ تبدّعه من تلقاء نفسك، فأنزل الله تعالى: ﴿وإنّ الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنّه الحق﴾ أنّ المسجد الحرام قبلة إبراهيم وأنّه لحقّ ﴿وما اللّهُ بغافل عما تعملون﴾ يا معشر المؤمنين من طلب مرضاتي.

﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾ يعني: اليهود والنصارى ﴿بكلّ آية﴾ [دلالة ومعجزة] ^(١) ﴿ما تبعوا قبلك﴾ لأنّهم مُعاندون جاحدون نبوّتك مع العلم بها ﴿وما أنت بتابع قبلتهم﴾ حسم بهذا أطماع اليهود في رجوع النّبي ﷺ إلى قبلتهم؛ لأنّهم كانوا يطمعون في ذلك ﴿وما بعضهم بتابع قبلة بعض﴾ أخبر أنّهم - وإن اتّفقوا في التّظاهر على النّبي ﷺ - مُختلفون فيما بينهم، فلا اليهود تتبع قبلة النّصارى، ولا النّصارى تتبع قبلة اليهود ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ أي: صليت إلى قبلتهم ﴿بعد ما جاءك من العلم﴾ أنّ قبلة الله الكعبة ﴿إنك إذا لمن الظالمين﴾ أي: إنّك إذا مثّلهم، والخطاب للنّبي ﷺ في الظاهر، وهو في المعنى لأمتّه.

﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾ يعرفون محمّداً ﷺ بنعته وصفته ﴿كما يعرفون أبناءهم﴾ وإنّ فريقاً منهم ليكتُمون الحقّ من صفته في التّوراة ﴿وهم يعلمون﴾ لأنّ الله بيّن ذلك في كتابهم.

الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَئِنَّمْ نَمَتِّي عَلَيْكُمْ

﴿الحق من ربك﴾ أي: هذا الحق من ربك ﴿فلا تكونن من الممترين﴾ الشاكين في الجملة التي أخبرتك بها من أمر القبلة، وعناد اليهود وامتناعهم عن الإيمان بك.

﴿ولكل﴾ أي: ولكل أهل دين ﴿وجهة﴾ قبلته ومُتَوَجِّه إليها في الصلاة ﴿هو مؤلِّها﴾ وجهه، أي: مستقبلها ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ فبادروا إلى القبول من الله عز وجل، وولُّوا وجوهكم حيث أمركم الله تعالى ﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾ يجمعكم الله تعالى للحساب، فيجزيك بأعمالكم، ثم أكَّد استقبال القبلة أينما كان بآيتين، وهما قوله تعالى:

﴿ومن حيث خرجت...﴾ الآية، وقوله: ﴿ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولُّوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة﴾ يعني: اليهود، وذلك أن اليهود كانوا يقولون: ما درى محمد أين قبلته حتى هديناه، ويقولون: يخالفنا محمد في ديننا ويتَّبِع قبلتنا، فهذا كان حجَّتهم التي كانوا يحتجُّون بها تمويهاً على الجهال، فلما صُرفت القبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجة، ثم قال تعالى: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ من الناس، وهم المشركون فإنهم قالوا: توجّه محمد إلى قبلتنا، وعلم أننا أهدى سبيلاً منه، فهؤلاء يحتجُّون بالباطل، ثم قال: ﴿فلا تخشوهم﴾ يعني: المشركين في تظاهروهم عليكم في المُحاجة والمحاربة ﴿واخشوني﴾ في ترك القبلة ومخالفتها، ﴿ولأنتم نعمتي عليكم﴾ أي: ولكي أنتم - عطف على لئلا يكون - نعمتي عليكم بهدايتي

وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ

إِيَّاكُمْ إِلَى قِبَلَةِ إِبْرَاهِيمَ، فَتَتَّكُمْ لَكُمْ الْمَلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ ﴿ولعلكم تهتدون﴾ ولكي تهتدوا إلى قِبَلَةِ إِبْرَاهِيمَ.

﴿١٥٠﴾ ﴿كما أرسلنا فيكم﴾ المعنى: ولأتمَّ نعمتي عليكم كإرسالي إليكم رسولاً، أي: أتمَّ هذه كما أتممت تلك بإرسالي ﴿رسولاً منكم﴾ تعرفون صدقه ونسبه ﴿يتلو﴾ عليكم آياتنا﴾ يعني: القرآن، وهذا احتجاجٌ عليهم؛ لأنَّهم عرفوا أنَّه أُمِّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فلَمَّا قرأ عليهم القرآن تبيَّن لهم صدقه في الثبوة ﴿ويُزَكِّيكُم﴾ أي: يُعَرِّضُكُمْ لما تكونوا به أَزْكِيَاءَ من الأمر بطاعة الله تعالى.

﴿١٥١﴾ ﴿فأذكروني﴾ بالطَّاعة ﴿أذكركم﴾ بالمغفرة ﴿واشكروا لي﴾ نعمتي ﴿ولا تكفرون﴾ أي: لا تكفروا نعمتي.

﴿١٥٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا﴾ على طلب الآخرة ﴿بالصبر﴾ على الفرائض، ﴿والصلاة﴾ وبالصَّلوات الخمس على تمحيص الذُّنوب ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: إِنِّي معكم أنصركم ولا أخذلكم.

﴿١٥٣﴾ ﴿ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات﴾ نزلت في قتلى بدر من المسلمين^(١)، وذلك أَنَّهُمْ كانوا يقولون لَمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ: مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدُّنْيَا، فقال الله تعالى: ولا تقولوا للمقتولين في سبيلي هم أمواتٌ ﴿بل﴾ هم

(١) وهذا قول الكلبي، كما ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره بحر العلوم ٥١١/١؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٧٨، ولم ينسبه.

أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَتَبْلُوَنَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ
مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا

﴿أحياء﴾ لأنَّ أرواح الشهداء في أجواف طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنة^(١). ﴿ولكن لا تشعرون﴾ بما هم فيه من النعيم والكرامة.

﴿ولنبلونكم﴾ ولنعاملنكم مُعاملة المبتلي ﴿بشيء من الخوف﴾ يعني: خوف العدو
﴿والجوع﴾ يعني: القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني: الخسران والتقصان في
المال وهلاك المواشي ﴿والأنفس﴾ يعني: الموت والقتل في الجهاد والمرض
والشَّيْب ﴿والثمرات﴾ يعني: الجوائح وموت الأولاد، فَمَنْ صَبَرَ عَلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ، وَمَنْ لَمْ يَصْبِرْ لَمْ يَسْتَحِقْ. يَدُلُّ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ﴾.

﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ مِمَّا ذَكَرَ ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أَيُّ:
أَمْوَالِنَا لِلَّهِ، وَنَحْنُ عِبِيدُهُ يَصْنَعُ بِنَا مَا يَشَاءُ، ثُمَّ وَعَدَهُمْ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَغْفِرَةَ
﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ أَيُّ: مَغْفِرَةٌ ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ وَنِعْمَةٌ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُهْتَدُونَ﴾ إِلَى الْجَنَّةِ وَالثَّوَابِ، وَالْحَقُّ وَالصَّوَابُ. وَقِيلَ: زِيَادَةُ الْهَدْيِ، وَقِيلَ:
هُمُ الْمُتَنَفِعُونَ بِالْهَدَايَةِ.

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ [وَهُمَا جَبَلَانِ مَعْرُوفَانِ بِمَكَّةَ]^(٢) ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَيُّ:
مُتَعَبَّدَاتِهِ ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ﴾ زَارَهُ مُعَظَّمًا لَهُ ﴿أَوْ اعْتَمَرَ﴾ قَصَدَ الْبَيْتَ لِلزِّيَارَةِ ﴿فَلَا

(١) الحديث عن كعب بن مالك، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خَضِرٍ
تَعْلُقُ فِي الْجَنَّةِ. أَيُّ: تَصِيبُ مِنْ وَرْقِهَا. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ١٨٦/٦؛ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ
صَحِيحٌ. عَارِضَةُ الْأَحْوَزِيِّ ١٤٠/٧.

(٢) زِيَادَةُ مِنْ ظ.

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا
 أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ
 اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّوْا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
 الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ
 أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

جناح عليه ﴿ فلا إثم عليه ﴾ أن يطوف بهما ﴿ بالجبلين ﴾، وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان مسحونهما، فكره المسلمون الطواف بينهما، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١). ﴿ومن تطوع خيراً﴾ فعل غير المفترض عليه من طواف، وصلاة، وزكاة، وطاعة ﴿فإن الله شاكر﴾ مجاز له بعمله ﴿عليم﴾ ببيئته.

﴿إن الذين يكتُمون ما أنزلنا﴾ يعني: علماء اليهود ﴿من البينات﴾ من الرِّجْم والحدود والأحكام ﴿والهدى﴾ أمر محمد ﷺ ونعته ﴿من بعد ما بيناه للناس﴾ لبني إسرائيل ﴿في الكتاب﴾ في التَّوراة ﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ كلُّ شيءٍ إلا الجنَّ والإنس.

﴿إلا الذين تابوا﴾ رجعوا من بعد الكتمان ﴿وأصلحوا﴾ السَّريَّة ﴿وبَيَّنَّوْا﴾ صفة محمد ﷺ ﴿فأولئك أتوب عليهم﴾ أعود عليهم بالمغفرة.

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كُفَّارٌ أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾ يعني: المؤمنين.

﴿خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾ أي: ولا هم يُمهلون للرجعة والتَّوبة والمُعذرة، إذ قد زال التَّكليف.

(١) أخرج ذلك البخاري في التفسير. فتح الباري ١٧٦/٨؛ ومسلم برقم ١٢٧٧؛ ومالك في الموطأ ٣٧٣/١؛ والنسائي في التفسير ١٩٩/١؛ والبيهقي في السنن ٩٦/٥.

وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ
الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ كان للمشركين ثلثمائة وستون صنماً يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالى، فبين الله سبحانه أنه إلههم، وأنه واحد، فقال: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أي: ليس له في الإلهية شريك، ولا له في ذاته نظير ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ كذبهم الله عز وجل في إشراكهم معه آلهة، فعجب المشركون من ذلك، وقالوا: إن محمداً يقول: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فليأتنا بآية إن كان من الصادقين، فأنزل الله تعالى^(١):

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع عظمهما وكثرة أجزائهما ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَالْفَلَكَ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ من التِّجَارَاتِ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ من مطرٍ ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ أخصبها بعد جدوبتها ﴿وَبَثَّ﴾ وفرق ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ تقليبها مرة جنوباً ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ﴾ المذلل لأمر الله ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ﴾ لدلالات على وحدانية الله ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فعلمهم الله عز وجل بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصانع وعلى توحيده، وردَّهم إلى التَّفَكُّرِ في آياته والنَّظَرِ في مصنوعاته، ثم أعلم أن قوماً بعد هذه الآيات والبيّنات يتخذون الأنناد مع علمهم أنهم لا يأتون بشيء ممّا ذكر، فقال:

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه؛ والفریابی في سننه؛ والبيهقي في شعب الإيمان؛ والواحدی في الأسباب ص ٨٩ عن أبي الضحی.

قال السيوطي في لباب النقول ص ٣١: هذا مُعْضَلٌ، لكن له شاهد.

قلت: وأبو الضحی اسمه: مسلم بن صبيح الهمداني، مشهور بكنيته، ثقة فاضل، من الرابعة، مات سنة مائة. انظر: تقريب التهذيب ص ٥٣٠.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّرْنَا فَتَنَ بَرَاءَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا

﴿١٦٥﴾ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يعني: الأصنام التي هي أنداد بعضها لبعض، أي: أمثال ﴿يحبونهم كحب الله﴾ أي: كحب المؤمنين الله ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ لأن الكافر يعرض عن معبوده في وقت البلاء، والمؤمن لا يعرض عن الله في السراء والضراء، والشدة والرخاء، ﴿ولو يرى الذين ظلموا﴾ كفروا ﴿إذ يرون العذاب﴾ شدة عذاب الله تعالى وقوته لعلموا مضرّة اتخاذ الأنداد، وجواب «لو» محذوف، وهو ما ذكرنا.

﴿١٦٦﴾ إذ تبرأ الذين اتبعوا هذه الآية تتصل بما قبلها؛ لأن المعنى: وإن الله شديد العذاب حين تبرأ المتبعون في الشرك من أتباعهم عند رؤية العذاب، يقولون: لم ندعكم إلى الضلالة وإلى ما كنتم عليه ﴿وتقطعت بهم﴾ عنهم ﴿الأسباب﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة، وصارت مخاللتهم عداوة.

﴿١٦٧﴾ وقال الذين اتبعوا وهم الأتباع ﴿لو أن لنا كرة﴾ رجعة إلى الدنيا تبرأنا منهم ﴿كما تبرؤوا منا كذلك﴾ أي: كتبرئ بعضهم من بعض ﴿يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم﴾ يعني: عبادتهم الأوثان رجاء أن تقرّبهم إلى الله تعالى، فلمّا عذبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسروا.

﴿١٦٨﴾ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً نزلت هذه الآية^(١) في الذين

(١) وهذا قول الكلبي عن أبي صالح، وهما من سلسلة الكذب.

انظر: أسباب النزول ص ٨١؛ وبحر العلوم ١/ ٥٣٠.

وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عُمًى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

حَرَّمُوا عَلَى أَنْفُسِهِمُ السَّوَابِ والوصائل والبحائر، فأَعْلَمَ اللهُ سبحانه أنها يحلُّ أكلها، وأنَّ تحريمها من عمل الشَّيْطَانِ، فقال: ﴿ولا تتبعوا خطوات الشَّيْطَانِ﴾ أي: سُبُهله وطرقه، ثُمَّ بَيَّنَّ عداوة الشَّيْطَانِ، فقال:

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ بالمعاصي ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ البخل، وقيل: كُلُّ ذَنْبٍ فِيهِ حُدٌّ ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم الأنعام والحرث.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء الذين حَرَّمُوا من الحرث والأنعام أشياء: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا﴾ ما وجدنا ﴿عَلَيْهِ ءَابَاءُنَا﴾ فقال اللهُ تعالى مُنْكَرًا عَلَيْهِمْ: ﴿أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ يَتَّبِعُونَهُمْ؟ والمعنى: أَيَتَّبِعُونَ ءَابَاءَهُمْ وَإِنْ كَانُوا جَهَّالًا؟! ثُمَّ ضَرَبَ لِلْكَفَّارِ مَثَلًا، فقال:

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في وعظهم ودعائهم إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿كَمَثَلِ الرَّاعِي﴾ الذي يَنْعِقُ يصيح بالغنم وهي لا تعقل شيئاً، ومعنى يَنْعِقُ: يصيح، وأراد ﴿بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الرَّاعِي، إِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتًا لَا تَدْرِي مَا تَحْتَهُ، كَذَلِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُمْ كَالْغَنَمِ؛ إِذْ كَانُوا لَا يَسْتَعْمِلُونَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ، وَمَضَى^(١) تَفْسِيرَ قَوْلِهِ: ﴿صُمُّ بَكُمْ عُمًى﴾، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ حَلَالٌ، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: حَلَالَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنَ الْحَرِّثِ وَالنَّعْمِ وَمَا حَرَّمَهُ الْمُشْرِكُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْهُمَا ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ ط
فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ

تعبدون ﴿أي: إن كانت العبادة لله واجبة عليكم بأنه إلهكم فالشكر له واجب؛ بأنه
منعم عليكم، ثم بين المحرم ما هو فقال:

﴿١٧٣﴾ ﴿إنما حرم عليكم الميتة﴾ وهي كل ما فارقه الروح من غير ذكاة ممّا يذبح
﴿والدم﴾ يعني: الدّم السائل لقوله في موضع آخر: ﴿أو دمًا مسفوحاً﴾^(١) وقد
دخل هذين الجنسيتين الخصوص بالسنّة، وهو قوله ﷺ: [أُحِلَّتْ لَنَا مِيتَانِ وَدَمَانِ]
الحديث^(٢). وقوله تعالى: ﴿ولحم الخنزير﴾ يعني: الخنزير بجميع أجزائه،
وخصّ اللحم لأنّه المقصود بالأكل ﴿وما أُهْلَ به لغير الله﴾ يعني: ما ذُبِحَ
للأصنام، فذكر عليه غير اسم الله تعالى ﴿فمن اضطر﴾ أي: أُحوج وأُلجى في
حال الضرورة. [وقيل: مَنْ أكره على تناوله، وأُجبر على تناوله كما يُجبر على
التلفّظ بالباطل]^(٣) ﴿غير باغ﴾ أي: غير قاطع للطريق مفارق للأئمة مُشاقٌّ للأئمة
﴿ولا عادٍ﴾ ولا ظالم متعذّر، فأكل ﴿فلا إثم عليه﴾ وهذا يدلُّ على أنّ العاصي
بسفوره لا يستبيح أكل الميتة عند الضرورة ﴿إنّ الله غفور﴾ للمعصية فلا يأخذ بما
جعل فيه الرخصة ﴿رحيم﴾ حيث رخص للمضطر.

﴿١٧٤﴾ ﴿إنّ الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب﴾ يعني: رؤساء اليهود ﴿ويشترون به﴾

(١) الآية: ﴿قل: لا أجد فيما أوحى إليّ محرماً على طاعمٍ يطعمه إلا أن يكون ميتةً أو دمًا
مسفوحاً﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٥].

(٢) أخرجه الشافعي في الأم ٢/٤٢٥؛ وأحمد ٢/٩٧؛ وابن ماجه برقم ٣٣١٤، وفيه
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ١/٢٥٤ من
طريق آخر عن ابن عمر موقوفاً، ثم قال: وهذا إسناد صحيح.

(٣) ما بين [] من نسخة الأصل، وليس هو في باقي النسخ.

ثُمَّ قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ يَأْنِي أَنْ اللَّهُ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

بما أنزل الله من نعت محمد ﷺ في كتابهم ﴿ثُمَّ قَلِيلًا﴾ يعني: ما يأخذون من الرُّشَى على كتمان نعته ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ إلّا ما هو عاقبته النَّار ﴿وَلَا يَكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: كلاماً يسرُّهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ ولا يطهرهم من دنس ذنوبهم.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾ استبدلوها ﴿بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ حين جحدوا أمر محمد ﷺ وكتَمُوا نعتَه ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾ أي: فأبى شيء صبرهم على النَّار، ودعاهم إليها حين تركوا الحقَّ واتبَعُوا الباطل؟! وهذا استفهامٌ معناه التَّوبيخ لهم. [وقيل: ما أجراهم على النار!] (١).

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك العذاب لهم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ يعني: القرآن فاختلفوا فيه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ فقالوا: إِنَّهُ رَجَزٌ، وَشِعْرٌ، وَكِهَانَةٌ، وَسِحْرٌ ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ لفي خلافٍ للحقِّ طويلٍ.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ...﴾ الآية. كان الرَّجُلُ في ابتداء الإسلام إذا شهد الشَّهادتين، وصَلَّى إلى أيِّ ناحية كانت ثُمَّ مات على ذلك وجبت له الجَنَّةُ، فلمَّا هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وصُرفت القِبلة إلى الكعبة أنزل الله تعالى هذه الآية (٢)، فقال: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ كُلُّهُ أَنْ تُصَلُّوا وَلَا تَعْمَلُوا غَيْرَ ذَلِكَ ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البرِّ ﴿مَنْ

(١) ما بين [] من نسخة الأصل، وليس هو في باقي النسخ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٩٤/٢ عن قتادة. وانظر: أسباب النزول ص ٨٢؛ ولباب النقول ص ٣٢.

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ

آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ﴿أي: على حبِّ المال. [وقيل: الضمير راجع إلى الإيتاء] ﴿ذوي القربى﴾ قيل: عنى به قرابة النبي ﷺ. وقيل: أراد به قرابة الميت﴾^(١) ﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع يمرُّ بك، والضيء ينزل بك ﴿وفي الرقاب﴾ أي: وفي ثمنها. يعني: المكاتبين ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ الله أو النَّاسُ ﴿والصابرين في البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وحين البأس﴾ وقت القتال في سبيل الله ﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة هم ﴿الذين صدقوا﴾ في إيمانهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ نزلت^(٢) في حَيِّينٍ من العرب أحدهما أشرف من الآخر، فقتل الأوضح من الأشرف قتلى، فقال الأشرف: لنقتلن الحرَّ بالعبد، والذكر بالأنثى، ولنضاعفن الجراح، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقوله: ﴿كُتِبَ﴾: أوجب وفرض ﴿عليكم القصاص﴾ اعتبار المماثلة والتساوي بين القتلى، حتى لا يجوز أن يقتل حرٌّ بعبد، أو مسلمٌ بكافر، فاعتبارُ المماثلة واجبٌ، وهو قوله: ﴿الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ ودلَّ قوله في سورة المائدة^(٣): ﴿أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ على أَنَّ الذَّكَرَ يُقْتَلُ بِالْأُنْثَىٰ فيقتل الحرُّ بالحرَّة ﴿فمن عفي له﴾ أي: ترك له ﴿من﴾ دم ﴿أخيه﴾ المقتول

(١) ما بين [] زيادة من ع.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٠٣/٢ عن الشعبي. وانظر: أسباب النزول ص ٨٢.

(٣) الآية: ﴿وكتبنا عليهم فيها أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٥].

شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ

﴿شيء﴾ وهو أن يعفو بعض الأولياء فيسقط القود ﴿فاتباع بالمعروف﴾ أي: فعلى العافي الذي هو ولي الدَّم أن يتبع القاتل بالمعروف، وهو أن يطالبه بالمال من غير تشدُّد وأذى، وعلى المطلوب منه المال ﴿أداء﴾ تأدية المال إلى العافي ﴿بإحسان﴾ وهو ترك المطل والتسوية. ﴿ذلك تخفيف من ربكم ورحمة﴾ هو أن الله تعالى خيَّرَ هذه الأمة بين القصاص والدية والعفو، ولم يكن ذلك إلا لهذه الأمة^(١) ﴿فمن اعتدى﴾ أي: ظلم بقتل القاتل بعد أخذ الدية ﴿فله عذاب أليم﴾.

﴿١٧٩﴾ ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ أي: في إثباته حياة، وذلك أن القاتل إذا قُتل ارتدع عن القتل كلُّ مَنْ يَهْمُ بالقتل، فكان القصاص سبباً لحياة الذي يَهْمُ بقتله، ولحياة الهام أيضاً؛ لأنه إن قُتل قُتل. ﴿يا أولي الألباب﴾ يا ذوي العقول ﴿لعلكم تتقون﴾ [إراقة]^(٢) الدماء مخافة القصاص.

﴿١٨٠﴾ ﴿كتب عليكم...﴾ الآية. كان أهل الجاهلية يوصون بمالهم للبعداء رياءً وسُمعةً، ويتركون أقاربهم [فقراء]^(٣)، فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿كتب عليكم﴾ فرض عليكم وأوجب ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ أي: أسبابه ومُقدّماته ﴿إن ترك خيراً﴾ مالا ﴿الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف﴾ يعني: لا يزيد على الثلث

(١) عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله تعالى لهذه الأمة: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحرُّ بالحرِّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى، فمن عفي له من أخيه شيء﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد. الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٧٦/٨؛ والنسائي في تفسيره ٣١٣/١؛ والبيهقي في السنن ٥١/٨.

(٢) ما بين [] من ظ وظا.

(٣) زيادة من ظا.

حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٦﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨٧﴾ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٨﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

﴿حقاً﴾ أي: حق ذلك حقاً ﴿على المتقين﴾ الذين يتقون الشرك، وهذه الآية منسوخة بآية المواريث^(١)، ولا تجب الوصية على أحد، [ولا تجوز الوصية للوارث]^(٢).

﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ أي: بَدَّلَ الإيصاء وغيَّره من وصيٍّ ووليٍّ وشاهدٍ بعد ما سمعه عن الميت ﴿فإنما إثمُهُ﴾ إثم التَّبدِيلِ ﴿على الذين يبدلونهُ﴾ وبرىء الميت ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ سمع ما قاله الموصي ﴿عليمٌ﴾ بنيتُهُ وما أراد، فكانت الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن استغرقت المال، فأنزل الله تعالى:

﴿فَمَنْ خَافَ﴾ أي: علم ﴿من مَوْصٍ جَنَفًا﴾ خطأ في الوصية من غير عمد، وهو أن يُوصي لبعض ورثته، أو يوصي بماله كله خطأ ﴿أو إثمًا﴾ أي: قصداً للميل، فخاف في الوصية وفعل ما لا يجوز مُتَعَمِّدًا ﴿فأصلح﴾ بعد موته بين ورثته وبين الموصي لهم ﴿فلا إثم عليه﴾ أي: إنه ليس بمبدلٍ يأثم، بل هو متوسطٌ للإصلاح، وليس عليه إثم.

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ يعني صيام شهر رمضان ﴿كما كتب﴾

(١) قال مكِّي القيسي: واختلف في الناسخ لها ما هو؟ فمن أجاز أن تنسخ السُّنة المتواترة القرآن قال: نسخ فرض الوصية للوالدين ما تواتر نقله من قول النَّبِيِّ ﷺ: «لا وصية لوارث»، ونسخت آية المواريث فرض الوصية للأقربين.

ومن منع نسخ القرآن بالسُّنة قال: نُسخَت الوصية للوالدين بقوله: «ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس». ونسخت الوصية للأقربين بالموارث.

الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه باختصار ص ١٤١؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٣؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص ١٦؛ وناسخ القرآن لابن البارزي ص ٢٥.

(٢) زيادة من ظ.

عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى

يعني: كما أوجب ﴿على الذين من قبلكم﴾ أي: أنتم مُتَعَبِّدُونَ بالصَّيَامِ كما تُعَبِّدُونَ مَنْ قَبْلَكُمْ ﴿لعلكم تتقون﴾ لكي تتقوا الأكل والشُّرب والجماع في وقت وجوب الصَّوم.

﴿١٨٣﴾ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ يعني: شهر رمضان ﴿فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ﴾ فافطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ أي: فعلية عِدَّةٌ، أي: صوم عِدَّةٍ. يعني: بعدد ما أفطر ﴿من أيامٍ أُخَرَ﴾ سوى أَيَّام مرضه وسفره ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعمام مسكين﴾ هذا كان في ابتداء الإسلام؛ مَنْ أَطَاقَ الصَّوْمَ جاز له أَنْ يُفْطِرَ، وَيُطْعِمَ لِكُلِّ يَوْمٍ مَسْكِيناً مُدّاً مِنْ طَعَامٍ، فَنَسَخَ^(١) بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾. ﴿فمن تطوع خيراً﴾ زاد في الفدية على مُدٍّ وَاحِدٍ ﴿فهو خيرٌ له وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أي: والصَّوم خيرٌ لكم من الإفطار والفدية، وهذا [إِنَّمَا] كان قبل النَّسخ.

﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ أي: هي شهر رمضان. يعني: تلك الأيام المَعْدُودَاتِ شهر رمضان ﴿الذي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ أُنْزِلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جَبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ نَجُوماً نَجُوماً عَشْرِينَ سَنَةً^(٢) ﴿هُدًى لِلنَّاسِ﴾ هَادِياً لِلنَّاسِ ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى﴾ وَأَيَّاتٍ وَاضِحَاتٍ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَالْحُدُودِ

(١) ويؤيده ما أخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت: ﴿وعلى الذين يطيقونه فدية طعمام مسكين﴾، كان مَنْ أَرَادَ أَنْ يَفْطِرَ وَيَقْتَدِي، حَتَّى نَزَلَتِ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَهَا. فتح الباري ١٨١/٨. وأخرجه مسلم أيضاً برقم ١١٤٥؛ وأبو داود برقم ٢٣١٥؛ والنسائي في تفسيره ١/٢١٧؛ والنحاس في النسخ ص ٢٦.

(٢) الخبر أخرجه ابن جرير ١٤٤/٢ عن ابن عباس، وسعيد بن جبیر.

وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٩﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي
فَإِنِّي

والأحكام ﴿والفرقان﴾ الفرق بين الحقِّ والباطل ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ فمن حضر منكم بلده في الشهر ﴿فليصمه﴾ ﴿ومَنْ كان مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخرٍ﴾ أعاد هاهنا تخيير المريض والمسافر؛ لأنَّ الآية الأولى وردت في التَّخْيِيرِ للمريض والمسافر والمقيم، وفي هذه الآية نُسخ تخيير المقيم^(١)، فأعيد ذكر تخيير المريض والمسافر ليعلم أنَّه باقٍ على ما كان ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ بالرُّخصة للمسافر والمريض ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ لأنَّه لم يشدّد ولم يُضَيَّق عليكم ﴿ولتكمّلوا﴾ [عطف على محذوف] والمعنى: يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر لِيَسْهُلَ عليكم ﴿ولتكمّلوا العِدَّةَ﴾ أي: ولتكمّلوا عِدَّةَ ما أفطرتُم بالقضاء إذا أقمتُم وبرأتُم ﴿ولتكبروا الله﴾ يعني التَّكْبِيرَ ليلة الفطر إذا رُئي هلال شوال ﴿على ما هداكم﴾ أرشدكم من شرائع الدِّين.

﴿وإذا سألَكَ عبادي عني...﴾ الآية. سأل بعض الصَّحابة النَّبيَّ ﷺ: أَقْرَبُ رَبُّنَا فَنَاجِيَهُ، أَمْ بَعِيدٌ فَنَنَادِيهِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ^(٢)، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنِّي

(١) وهذا قول معاذ بن جبل، وابن عمر، وعكرمة، والحسن، وعطاء، وإليه ذهب الشافعي.

انظر: الإيضاح ص ١٥٠؛ وأحكام القرآن للهراسي ٦٤/١.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٥٨/٢، عن معاوية بن حيدة الصحابي قال: جاء أعرابي إلى النَّبيِّ، وذكره. وانظر: لباب النقول ص ٣٣. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ١٠٨/١ عن كعب قال: قال موسى عليه السَّلام: أي ربِّ، أَقْرَبُ أَنْتَ فَنَاجِيكَ أَمْ بَعِيدٌ فَنَنَادِيكَ؟ قال: يا موسى، أنا جليس مَنْ ذكّرني، قال: يا ربِّ، فَإِنَّا نَكُونُ مِنَ الْحَالِ عَلَى حَالٍ نَعْظُمُكَ أَوْ نَجْلُكَ أَنْ نَذْكُرَكَ عَلَيْهَا، قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط. قال: يا موسى، اذكرني على كُلِّ حَالٍ.

قَرِيبٌ أُحِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ حِجْبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٧﴾
 أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ
 أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تُخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا
 كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا

قَرِيبٌ: يعني: قربه بالعلم ﴿أحيب﴾ أسمع ﴿دعوة الداع﴾ إذا دعان فليست حجبوا لي
 أي: فليجيبوني بالطاعة وتصديق الرُّسل ﴿وليؤمنوا بي﴾ لعلمهم يرشدون ﴿ليكونوا
 على رجاءٍ من إصابة الرُّشد.

﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ...﴾ الآية. كان في ابتداء الإسلام لا تحلُّ المجامعة في
 ليالي الصَّوم، ولا الأكل ولا الشُّرب بعد العشاء الآخرة، فأحلَّ الله تعالى ذلك كلَّه
 إلى طلوع الفجر، وقوله: ﴿الرفث إلى نسائكم﴾ يعني: الإفضاء إليهنَّ بالجماع
 ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ﴾ أي: فراشٌ ﴿وأنتم لباسٌ﴾ لحافٌ ﴿لَهُنَّ﴾ عند الجماع ﴿علم
 الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم﴾ تخونون أنفسكم بالجماع ليالي رمضان، وذلك
 أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره فعلوا^(١) ذلك، ثمَّ أتوا رسول الله ﷺ
 يسألونه، فنزلت الرُّخصة ﴿فتاب عليكم﴾ فعاد عليكم بالترخيص ﴿وعفا عنكم﴾
 ما فعلتم قبل الرُّخصة ﴿فالآن باشروهنَّ﴾ جامعوهنَّ ﴿وابتغوا﴾ واطلبوا ﴿ما كتب
 الله لكم﴾ ما قضى الله سبحانه لكم من الولد ﴿وكلوا واشربوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حتى
 يتبين لكم الخيط الأبيض﴾ يعني: بياض الصُّبح ﴿من الخيط الأسود﴾ من سواد
 اللَّيْلِ ﴿من الفجر﴾ بيانٌ أنَّ هذا الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره ﴿ثمَّ أتُمُوا

(١) ومنهم غير عمر بن الخطاب: كعب بن مالك، وأبو صرمة الأنصاري وفي أسباب النزول
 ص ٨٣: قيس بن صرمة، وقد اختلف في اسمه، وذكره النحاس في الناسخ ص ٣٠
 أبو قيس بن عمرو، قال ابن حجر في الفتح ١٨٢/٨: ولم يزد واحدٌ منهم في القصة على
 تسمية عمر إلَّا في حديث كعب بن مالك. اهـ.
 وحديث عمر أخرجه ابن جرير ١٦٤/٢. وذكر البخاري سبب نزول الآية عن البراء، ولم يسم
 أحداً. فتح الباري ١٨١/٨.

الصَّيَامَ إِلَى الْإِيلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا
كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ
وَتَذْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾
﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ

الصيام إلى الليل ﴿ بالامتناع من هذه الأشياء ﴾ ولا تباشروهم ﴿ وأنتم عاكفون في
المساجد ﴾ نهى للمعتكف عن الجماع؛ لأنه يفسده، ﴿ تلك ﴾ أي: هذه الأحكام
التي ذكرها ﴿ حدود الله ﴾ ممنوعاته ﴿ فلا تأتوها ﴾ كذلك ﴿ أي: مثل
هذا البيان ﴾ يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴿ المحارم

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾ أي: لا يأكل بعضكم مال بعض بما لا يحل
في الشرع، من الخيانة والغصب، والسَّرقة والقمار، وغير ذلك ﴿ وتذّلوا بها إلى
الحكام ﴾ ولا تصانعوها [أي: لا ترشوا] ^(١) بأموالكم الحكام لتتقطعوا حقاً لغيركم
﴿ لتأكلوا فريقاً ﴾ طائفة ﴿ من أموال الناس بالإثم ﴾ بأن ترشوا الحاكم ليقضي لكم
﴿ وأنتم تعلمون ﴾ أنكم مُبطلون، وأنه لا يحل لكم، والأصل في الإدلاء:
الإرسال، من قولهم: أدليت الدلو.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ﴾ سأل معاذ بن جبل رسول الله ﷺ عن زيادة القمر
ونقصانه، فأنزل الله تعالى ^(٢): ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ﴾ وهي جمع هلال ﴿ قل هي
مواقيت للناس والحج ﴾ أخبر الله عنه أن الحكمة في زيادته ونقصانه زوال الالتباس
عن أوقات الناس في حجّهم ومحلّ ذبّونهم، وعدّد نسائهم، وأجور أجرائهم،

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس. ولا يخفى ضعف هذا الطريق.

انظر: لباب القول ص ٣٥؛ وأسباب النزول ص ٨٥.

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
أَبْوَابِهَا وَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا
تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَنُوهُمْ وَادْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ

ومُدّد حواملهم، وغير ذلك. ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ كان
الرَّجل في الجاهليَّة إذا أحرم نحب من بيته نقباً من مؤخره يدخل فيه ويخرج،
فأمرهم الله بترك سنَّة الجاهليَّة^(١)، وأعلمهم أنَّ ذلك ليس ببرٍّ ﴿ولكن البرُّ﴾ برُّ
﴿من اتقى﴾ مخالفة الله ﴿وتأوتوا البيوت من أبوابها...﴾ الآية.

﴿وقاتلوا في سبيل الله...﴾ الآية. نزلت هذه الآية في صلح الحديبية^(٢)، وذلك
أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا انصرف من الحديبية إلى المدينة المنورة حين صدَّه
المشركون عن البيت، صالحهم على أن يرجع عامه القابل ويُخلَّو له مكَّة ثلاثة
أيَّام، فلمَّا كان العام القابل تجهَّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا
أن لا تفي لهم قريشٌ وأن يصدُّوهم عن البيت ويقاتلوهم، وكره أصحاب
رسول الله ﷺ قتالهم في الشَّهر الحرام في الحرم، فأنزل الله تعالى: ﴿وقاتلوا في
سبيل الله﴾ أي: في دين الله وطاعته ﴿الذين يقاتلونكم﴾ يعني: قريشاً ﴿ولا
تععدوا﴾ ولا تظلموا فتبدؤوا في الحرم بالقتال.

﴿واقتلوهم حيث تفتنموهم﴾ وجدتموهم وأخذتموهم ﴿وادرجوهم من حيث

(١) انظر: ابن جرير ١٨٧/٢، وأسباب النزول ص ٨٦؛ ولباب النقول ص ٣٦.

وأخرجه الحاكم في المستدرک ٤٨٣/١، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي.

(٢) وهذا قول ابن عباس من طريق الكلبي. انظر: أسباب النزول ص ٨٧؛ ولباب النقول ص ٣٦،
وبحر العلوم ٥٧٩/١.

وقيل: هذه أوَّل آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل مَنْ قاتله،
ويكف عمَّن كفَّ عنه حتى نزلت: ﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾.

انظر: تفسير ابن جرير ١٨٩/٢؛ وأحكام القرآن للهراسي ٧٩/١؛ والإيضاح ص ١٥٦؛
والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٣.

أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

أخرجوكم﴾ يعني: من مكة ﴿والفتنة أشد من القتل﴾ يعني: وشركهم بالله تعالى أعظم من قتلهم إياهم في الحرم ﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه﴾ نُهوا عن ابتدائهم بقتل أو قتال حتى يبتدئ المشركون ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أي: إن ابتدؤوا بقتالكم عند المسجد الحرام فلكم القتال على سبيل المكافأة، ثم بيّن أنهم إن انتهوا، أي: كفوا عن الشرك والكفر والقتال وأسلموا ﴿فإن الله غفور رحيم﴾ أي: يغفر لهم كفرهم وقاتلهم من قبل، وهو منعمٌ عليهم بقبول توبتهم وإيمانهم بعد كفرهم وقاتلهم.

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي: شرك. يعني: قاتلوهم حتى يُسلموا، وليس يُقبل من المشرك الوثنيّ جزيّة ﴿ويكون الدين﴾ أي: الطاعة والعبادة ﴿لله﴾ وحده فلا يُعبد دونه شيءٌ ﴿فإن انتهوا﴾ عن الكفر ﴿فلا عدوان﴾ أي: فلا قتل ولا نهب ﴿إلا على الظالمين﴾ والكافرين.

﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾ أي: إن قاتلوكم في الشهر الحرام فقاتلوهم في مثله ﴿والحرّات قصاص﴾ أي: إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا منهم مثل ذلك، أعلم الله سبحانه أنّه لا يكون للمسلمين أن ينتهكوها على سبيل الابتداء، ولكن على سبيل القصاص، وهو معنى قوله: ﴿فمن اعتدى عليكم...﴾ الآية.

﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾ في طاعة الله تعالى من الجهاد وغيره ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾ ولا تُمسكوا عن الإنفاق في الجهاد ﴿وأحسنوا﴾ أي: الظنّ بالله تعالى في الثواب والإخلاف عليكم.

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وتأدية كل ما فيهما ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾ حُبِستُمْ ومُنْعَتُمْ دون تمامهما ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ فواجبٌ عليكم ما تيسَّر ﴿مِنَ الْهَدْيِ﴾ وهو ما يُهدى إلى بيت الله سبحانه، أعلاه بدنة، وأوسطه بقرة، وأدناه شاة، فعليه ما تيسَّر من هذه الأجناس ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ﴾ أَي: لَا تَحِلُّوا مِنْ إِحْرَامِكُمْ ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ حَتَّىٰ يُنْحَرَ الْهَدْيُ بِمَكَّةَ فِي بَعْضِ الْأَقْوَال، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَفِي قَوْلِ غَيْرِهِمْ: مَحَلُّهُ حَيْثُ يَحِلُّ ذَبْحُهُ وَنَحْرُهُ، وَهُوَ حَيْثُ أُحْصِرَ، وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يعني الهوام تقع في الشعر وتكثر] ^(١) فحلق ﴿فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾ وَهُوَ صِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿أَوْ صَدَقَةٍ﴾ وَهِيَ إِطْعَامُ سِتَّةِ مَسَاكِينَ. لِكُلِّ مَسْكِينٍ مُدَّانِ ﴿أَوْ نُسْكَ﴾ ذَبِيحَةٍ ﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾ أَي: مِنَ الْعَدُوِّ، أَوْ كَانَ حِجٌّ لَيْسَ فِيهِ خَوْفٌ مِنْ عَدُوٍّ ﴿فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ أَي: قَدِمَ مَكَّةَ مُحْرَمًا وَاعْتَمَرَ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ، وَأَقَامَ حَلَالًا بِمَكَّةَ حَتَّىٰ يُنْشَأَ مِنْهَا الْحَجُّ عَامَهُ ذَلِكَ، وَاسْتَمْتَعَ بِمَحْظُورَاتِ الْإِحْرَامِ؛ لِأَنَّهُ حَلٌّ بِالْعُمْرَةِ، فَمَنْ فَعَلَ هَذَا ﴿ف﴾ عَلَيْهِ ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ثَمَنَ الْهَدْيِ ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي﴾ أَشْهُرِ ﴿الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ أَي: بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنَ الْحَجِّ ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ﴾ أَي: ذَلِكَ الْفَرَضُ الَّذِي أُمِرْنَا بِهِ مِنَ الْهَدْيِ أَوْ الصِّيَامِ ﴿لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَي: لِمَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ.

الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يٰٓأُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ

﴿الحج أشهر﴾ أي: أشهر الحج أشهر ﴿معلومات﴾ موقتة معينة، وهي شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة ﴿فمن فرض﴾ أوجب على نفسه ﴿فيهن الحج﴾ بالإحرام والتلبية ﴿فلا رفث﴾ فلا جماع ﴿ولا فسوق﴾ ولا معاصي ﴿ولا جدال﴾ وهو أن يجادل صاحبه حتى يغيضه، والمعنى: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا ﴿في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾ أي: يُجازيكم به الله العالم ﴿وتزودوا﴾ نزلت في قوم كانوا يحجّون بلا زاد، ويقولون: نحن متوكّلون، ثم كانوا يسألون الناس وربما ظلموهم وغصبوهم، فأمرهم الله أن يتزودوا^(١) فقال: ﴿وتزودوا﴾ ما تبغون به ﴿فإن خير الزاد التقوى﴾ يعني: ما تكفون به وجوهكم عن السؤال وأنفسكم عن الظلم.

﴿ليس عليكم جناح﴾... الآية. كان قوم يزعمون أنه لا حجّ لتاجر ولا جمّال، فأعلم الله تعالى أنه لا حرج في ابتغاء الرزق بقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾ أي: رزقاً بالتجارة في الحجّ ﴿فإذا أفضتم﴾ أي: دفعتم وانصرفتم من ﴿من عرفات فاذكروا الله﴾ بالدعاء والتلبية ﴿عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ أي: ذكراً مثل هدايته إياكم، أي: يكون جزاء هدايته إياكم ﴿وإن كنتم من قبله﴾ أي: وما كنتم من قبل هُداة إلا ضالّين.

﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾ يعني: العرب وعامة الناس إلا قريشاً، وذلك أنهم كانوا لا يقفون بعرفات وإنما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل حرم الله،

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٢/٢٧٩؛ والمؤلف في الأسباب ص ٩٣.

وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا
 اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي
 الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا
 حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آدَبَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ
 سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ

فلا نخرج منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفات، كما يقف سائر الناس حتى تكون
 الإفاضة معهم منها^(١). ﴿فإذا قضيت مناسككم﴾ أي: فرغتم من عباداتكم التي
 أمرتم بها في الحج ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ كانت العرب إذا فرغوا من
 حجهم ذكروا مفاخر آبائهم، فأمرهم الله عز وجل بذكره ﴿أو أشدَّ ذكراً﴾ يعني:
 وأشدَّ ذكراً ﴿فمن الناس...﴾ الآية، وهم المشركون كانوا يسألون المال والإبل
 والغنم، ولا يسألون حظاً في الآخرة؛ لأنهم لم يكونوا مؤمنين بها، والمسلمون
 يسألون الحظ في الدنيا والآخرة، وهو قوله:

﴿ومنهم مَن يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة...﴾ الآية. [ومعنى: ﴿في الدنيا
 حسنة﴾: العمل بما يرضي الله، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾: الجنة]^(٢).

﴿أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾ أي: ثواب ما عملوا ﴿والله سريع الحساب﴾ مع
 هؤلاء؛ لأنه يغفر سيئاتهم ويضاعف حسناتهم.

﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ يعني: التكبير أديار الصَّلوات في أيام التشريق

(١) أخرج البخاري وغيره عن عائشة: كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسمّون
 الخمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه ﷺ أن يأتي عرفات
 ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.
 فتح الباري ١٨٦/٨؛ ومسلم برقم ١٢١٩؛ وأبوداود برقم ١٩١٠؛ والنسائي في التفسير
 ٢٤٧/١؛ والبيهقي ١١٣/٥.

(٢) ما بين [] زيادة من ظ.

فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
 أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا
 فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
 وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ
 وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

﴿فمن تعجل في يومين﴾ من أيام التشريق فنفر في اليوم الثاني من منى ﴿فلا إثم عليه﴾ في تعجله، ﴿ومن تأخر﴾ عن التفر إلى اليوم الثالث ﴿فلا إثم عليه﴾ في تأخره ﴿لمن اتقى﴾ أي: طرح المأثم يكون لمن اتقى في حجه تضييع شيء مما حذاه الله تعالى.

﴿ومن الناس من يعجبك قوله...﴾ الآية. يعني: الأخنس بن شريق^(١)، وكان منافقاً حلو الكلام، حسن العلانية سيئ السريرة، وقوله: ﴿في الحياة الدنيا﴾ لأن قوله إنما يعجب الناس في الحياة الدنيا، ولا ثواب له عليه في الآخرة ﴿ويشهد الله على ما في قلبه﴾ لأنه كان يقول للنبي ﷺ: واللّه، إني بك لمؤمن، ولك محبٌ ﴿وهو ألد الخصام﴾ أي: شديد الخصومة، وكان جديلاً بالباطل.

﴿وإذا تولى سعى في الأرض...﴾ الآية، وذلك أنه رجع إلى مكة، فمرّ بزرع وحُمُرٍ للمسلمين، فأحرق الزرع وعقر الحُمُر، فهو قوله: ﴿ويهلك الحرث والنسل﴾ أي: نسل الدواب.

﴿وإذا قيل له اتق الله﴾ وإذا قيل له: مهلاً مهلاً ﴿أخذته العزة بالإثم﴾ حملته الأنفة وحمية الجاهلية على الفعل بالإثم ﴿فحسبه جهنم﴾ كافيه الجحيم جزاءً له ﴿ولبس المهاد﴾ ولبس المقر جهنم.

(١) أخرجه ابن جرير عن السدي ٣١٢/٢. وانظر: الأسباب ص ٩٦؛ وغرر البيان ص ٦٧؛ ولباب النقول ص ٤٠.

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَتَأْتِيهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ
عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ

﴿٢٠٧﴾ «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله. يعني: يبيع نفسه» نزلت في صهيب الرومي^(١).

﴿٢٠٨﴾ «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة» أي: جميعاً،
أي: في جميع شرائعه. نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه^(٢)، وذلك أنهم بعدما
دخلوا في الإسلام عظموا السبب، وكرهوا لحمان الإبل فأمروا بترك ذلك، وإنه
ليس من شرائع الإسلام تحريم السبب وكرهه لحوم الإبل «ولا تتبعوا خطوات
الشیطان» أي: آثاره ونزغاته «إنه لكم عدو مبين».

﴿٢٠٩﴾ «فإن زلتم» تنحيتهم عن القصد بتحريم السبب ولحوم الإبل «من بعد ما جاءكم
البيّنات» أي: القرآن «فاعلموا أن الله عزيز» في نعمته لا تعجزونه ولا يُعجزه
شيء «حكيم» فيما شرع لكم من دينه.

﴿٢١٠﴾ «هل ينظرون» أي: هل ينتظرون. يعني: التاركين الدخول في الإسلام، و«هل»
استفهاماً معناه النفي، أي: ما ينتظر هؤلاء في الآخرة «إلا أن يأتيهم» عذاب الله
في ظلل من الغمام والظلل جمع: ظلة، وهي كل ما أظلك، والمعنى: إن
العذاب يأتي فيها، ويكون أهول «والملائكة» أي: الملائكة الذين وُكِّلوا بتعذيبهم

(١) أخرج ابن جرير ٣٢١/٢ عن عكرمة في الآية قال: نزلت في صهيب الرومي وأبي ذر
الغفاري؛ والحاكم ٤٠٠/٢.

وانظر: أسباب النزول ص ٩٦؛ وغرر التبيان ص ٦٧؛ ولباب النقول ص ٤٠.

(٢) أخرجه الواحدي في الأسباب ص ٩٧ عن ابن عباس، وقال الطبري ٣٢٥/٢: والصواب من
القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع
الإسلام كلها.

وَقَضَى الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١١﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُدَلِّ
نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١٢﴾ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ
الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٣﴾ كَانَ النَّاسُ
أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ
النَّاسِ فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ

﴿وقضى الأمر﴾ فرغ لهم ممَّا يوعدون بأن قُدِّرَ ذلك عليهم ﴿وإلى الله ترجع
الأمور﴾ يعني: في الجزء من الثواب والعقاب.

﴿سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ سؤال توبيخ وتبكي وتقرير [كما يُقال: سلّه كم وعظته فلم
يقبل] (١) ﴿كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ من فلق البحر، وإنجائهم من عدوِّهم، وإنزال
الْمَنِّ وَالسَّلْوَى، وغير ذلك ﴿وَمَنْ يُدَلِّ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ يعني: ما أنعم
الله به عليهم من العلم بشأن مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَام، فبدّلوه وغيره.

﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: رؤساء اليهود ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فهي هِمَّتْهُمْ وَطَلَبَتْهُمْ،
فهم لا يريدون غيرها. ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: فقراء المهاجرين
﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ وَهُمْ هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءُ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لَأَنَّهُمْ فِي الْجَنَّةِ،
وهي عالية، والكافرين في النَّار، وهي هَاوِيَةٌ ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
يريد: إِنَّ أَمْوَالَ قَرِيطَةِ وَالنَّضِيرِ تَصِيرُ إِلَيْهِمْ بِلَا حِسَابٍ وَلَا قِتَالٍ، بل بأَسْهَلِ شَيْءٍ
وَأَيْسَرِهِ.

﴿كَانَ النَّاسُ﴾ على عهد إبراهيم عليه السَّلَام ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كفاراً كُلَّهُمْ ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ
النَّبِيِّنَ﴾ إبراهيم وغيره ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ والكتابُ اسم الجنس ﴿بِالْحَقِّ﴾
بالعدل والصِّدْق ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾ أي: الكتابُ ﴿فِي مَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ فِيهِ﴾
فيه إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا﴾ أي: وما اختلفَ فِيهِ أَمْرٌ

فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اُخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِن خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ۖ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِن خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

محمَّد بعد وضوح الدلالات لهم بغياً وحسداً إلا اليهود الذين أوتوا الكتاب؛ لأنَّ المشركين - وإن اختلفوا في أمر محمَّد عليه السَّلام - فإنَّهم لم يفعلوا ذلك للبغي والحسد، ولم تأتِهم البيِّنات في شأن محمَّد عليه السَّلام، كما أتت اليهود، فاليهود مخصوصون من هذا الوجه ﴿فهدى الله الذين آمنوا﴾ ﴿لـ﴾ معرفة ﴿ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ بعلمه وإرادته فيهم.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ...﴾ الآية. نزلت ^(١) في فقراء المهاجرين حين اشتدَّ الضَّرُّ عليهم؛ لأنَّهم خرجوا بلا مالٍ، فقال الله لهم [أَيُّ لِهَؤُلَاءِ الْمُهَاجِرِينَ]: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ مِنْ غَيْرِ بَلَاءٍ وَلَا مَكْرٍ؟ ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾ أَيُّ: وَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴿مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا﴾ أَيُّ: مِثْلَ مُحَنِّةِ الَّذِينَ مَضَوْا ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أَيُّ: وَلَمْ يُصِيبْكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَهُمْ، فَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا ﴿مَسْتَهْتِمُ الْبِأْسَاءِ﴾ الشَّدَّةُ ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الْمَرَضُ وَالْجُوعُ ﴿وَزَلْزَلُوا﴾ أَيُّ: حُرِّكَوا بِأَنْوَاعِ الْبَلَاءِ ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ﴾ أَيُّ: حِينَ اسْتَبْطَأُوا النَّصْرَ، فَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أَيُّ: أَنَا نَاصِرُ أَوْلِيَائِي لَا مُحَالَةٍ.

﴿يسألونك ماذا ينفقون﴾ نزلت في عمرو بن الجموح^(٢)، وكان شيخاً كبيراً وعنده

(١) وهذا قول عطاء، ذكره في الأسباب ص ٩٨، وغالب المفسرين على أن الآية نزلت في غزوة الخندق. انظر: ابن جرير ٣٤١/٢؛ وبحر العلوم ٦١٩/١؛ وأسباب النزول ص ٩٨؛ ولباب النقول ص ٤١؛ وتفسير القرطبي ٣٣/٣.

(٢) انظر: أسباب النزول ص ٩٨؛ وغرر التبيان ص ٦٨؛ ولباب النقول ص ٤١.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

مالٌ عظيمٌ، فسأل رسول الله ﷺ: ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعها؟ فنزلت هذه الآية. قال كثيرٌ من المفسرين: هذا كان قبل فرض الزكاة، فلما فرضت الزكاة نسخت الزكاة هذه الآية^(١).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ فرض وأوجب عليكم الجهاد ﴿وهو كُرْهُ لَكُمْ﴾ أي: مشقة عليكم لما يدخل منه على النفس والمال ﴿وعسى أن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ لأنَّ في الغزو إحدى الحسنين؛ إمَّا الظفر والغنيمة؛ وإمَّا الشهادة والجنة ﴿وعسى أن تحبُّوا شَيْئًا﴾ أي: القعود عن الغزو ﴿وهو شَرٌّ لَّكُمْ﴾ لما فيه من الدُّل والفقْر، وحرمان الغنيمة والأجر ﴿والله يعلم﴾ ما فيه مصالحكم، فبادروا إلى ما يأمركم به وإن شقَّ عليكم.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ نزلت في سرية^(٢) بعثها رسول الله ﷺ، فقاتلوا المشركين وقد أهلَّ هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك، فاستعظم المشركون سفك الدِّماء في رجب، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ يعني: المشركين. وقيل: هم المسلمون ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي: وعن قتالٍ فيه ﴿قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿وصد﴾ ومنع ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته. يعني: صدَّ

(١) انظر: ناسخ القرآن العزيز ص ٢٦ قال: وناسخها في براءة: ﴿إنما الصدقة للفقراء والمساكين﴾ الآية ٦٠.

وانظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص ٢٠.

(٢) وهي سرية عبد الله بن جحش، وقتلوا عمرو بن الحضرمي. انظر: ابن جرير ٣٤٧/٢؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٣٠٨/٢؛ وأسباب النزول ص ٩٩؛ ولباب القول ص ٤١.

وَكُفْرًا بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَإِخْرَاجَ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ

المشركين رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿وكفر به﴾ بالله ﴿والمسجد الحرام﴾ أي: وصدّ عن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله﴾ أي: أهل المسجد. يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه حين أخرجوا من مكة ﴿منه أكبر﴾ وأعظم وزراً ﴿عند الله والفتنة﴾ أي: والشرك ﴿أكبر من القتل﴾ يعني: قتل السرية المشركين في رجب ﴿ولا يزالون﴾ يعني: المشركين ﴿يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم﴾ إلى الكفر ﴿إن استطاعوا ومن يرتدّد منكم عن دينه﴾ الإسلام، أي: يرجع فيموت على الكفر ﴿فأولئك حبطت أعمالهم...﴾ الآية. [بطلت أعمالهم] ^(١). فقال هؤلاء السرية لرسول الله ﷺ: أصبنا القوم في رجب، أخرجوا أن يكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فارقوا عشائرهم وأوطانهم ﴿وجاهدوا﴾ المشركين ﴿في سبيل الله﴾ في نصرة دين الله ﴿أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ غفر لهؤلاء السرية ما لم يعلموا ورحمهم، والإجماع اليوم منعقد على أن قتال المشركين يجوز في جميع الأشهر حلالها وحرامها.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ نزلت ^(٢) في عُمر، ومعاذ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر؛ فإنهما مذمبة

(١) زيادة من عا.

(٢) أسباب النزول ص ٢٠٣؛ وغرر التبيان ص ٦٩؛ ومفحّمات الأقران ص ٥٣.

فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ
الْعَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿١١٩﴾

للعقل، مَسْلَبَةٌ للمال، فنزل قوله عز وجل ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ﴾ وهو كلُّ مسكرٍ مخالطٍ للعقل مُغَطٌّ عليه ﴿والميسر﴾: القمار ﴿قل فيهما إثم كبير﴾ يعني: الإثم بسببهما لما فيهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزور وغير ذلك. ﴿ومنافع للناس﴾ ما كانوا يصيبونه من المال في بيع الخمر والتجارة فيها، واللذة عند شربها، ومنفعة الميسر ما يُصاب من القمار، ويرتفق به الفقراء، ثم بيّن أنّ ما يحصل بسببهما من الإثم أكبر من نفعهما، فقال: ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾، وليست هذه الآية المُحرّمة للخمر والميسر، إنّما المُحرّمة التي في سورة المائدة^(١)، وهذه الآية نزلت قبل تحريمها. ﴿ويسأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ نزلت في سؤال عمرو بن الجموح لما نزل قوله^(٢): ﴿فللوالدين والأقربين﴾ في سؤاله أعاد السؤال، وسأل عن مقدار ما ينفق؟ فنزل قوله: ﴿قل العفو﴾ أي: ما فضل من المال عن العيال، وكان الرّجل بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه، وينفق باقيه إلى أن فُرِضَت الزّكاة، فنسخت آية الزّكاة التي في براءة هذه الآية وكلّ صدقة أُمرُوا بها قبل الزّكاة^(٣) ﴿كذلك﴾ أي: كيانه في الخمر والميسر، أو في الإنفاق ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ لتتفكروا في أمر الدُّنيا والآخرة، فتعرفوا فضل الآخرة على الدُّنيا.

(١) وهي قوله تعالى: ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [الآية ٩٠].

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٥، وقد تقدّم سببها قريباً.

(٣) وهذا قول ابن عباس والضحاك. وقال أبو جعفر النحاس: والقول أنّها منسوخة بعيدٌ، لأنّهم إنّما سألوا عن شيء فأجيبوا عنه بأنّهم سيبلغون ما سهل عليهم. الناسخ والمنسوخ ص ٦٧. وآية التوبة التي قصدتها المؤلف هي قوله تعالى: ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾ [الآية ٦٠].

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَتْكُمْ عَنْهُ إِذَا عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ

﴿٢٢٠﴾ ﴿ويسألونك عن اليتامى﴾ كانت العرب في الجاهلية يُشددون في أمر اليتيم ولا يُؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون بملابسة أموالهم، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، وقوله: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ يعني: الإصلاح لأموالهم من غير أجرٍ خيرٌ وأعظم أجراً ﴿وإن تخالطوهم﴾ تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمورهم ﴿فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم، والإخوان يُعين بعضهم بعضاً، ويصيب بعضهم من مال بعض، ﴿والله يعلم المفسد﴾ لأموالهم ﴿من المصلح﴾ لها، فاتقوا الله في مال اليتيم، ولا تجعلوا مخالطكم إيَّاهم ذريعةً إلى إفساد أموالهم وأكلها بغير حق ﴿ولو شاء الله لأغنتكم﴾ لضيَّق عليكم وأثمكم في مخالطتكم. ومعناه: التذكير بالنعمة في التوسعة ﴿إنَّ الله عزيزٌ﴾ في ملكه ﴿حكيمٌ﴾ فيما أمر به.

﴿٢٢١﴾ ﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾ نزلت في أبي مرثد الغنوي، كانت له خلية مشركة، فلما أسلم سأل رسول الله ﷺ: أيجلُّ له أن يتزوج بها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٢)، والمشركات ها هنا عامّة في كلِّ مَنْ كفرت بالنبي ﷺ. حرَّم الله تعالى بهذه الآية نكاحهن، ثم استثنى الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة^(٣)، فبقي نكاح الأمة الكتابية على التحريم ﴿ولأمة مؤمنة﴾ نزلت في عبد الله بن

(١) ابن جرير ٢/٣٧٠؛ وأسباب النزول ص ١٠٣؛ ولباب النقول ص ٤٢؛ والمستدرک ٢/٢٧٨؛

وصححه الحاكم وأقرّه الذهبي؛ وأبو داود برقم ٢٨٧١.

(٢) وهذا قول مقاتل أخرجه الواحدي في الأسباب ص ١٠٤؛ وانظر لباب النقول ص ٤٢.

(٣) يريد قوله تعالى: ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتوهن أجورهن﴾ [الآية ٥].

حَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢٧﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ

رواحة^(١) كانت له أمة مؤمنة فأعتقها وتزوجها، فطعن عليه ناسٌ، وعرضوا عليه حرّة مشركة، فنزلت هذه الآية، وقوله: ﴿ولو أعجبتكم﴾ المشركة بمالها وجمالها ﴿ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا﴾ لا يجوز تزويج المسلمة من المشرك بحال ﴿أولئك﴾ أي: المشركون ﴿يدعون إلى النار﴾ أي: الأعمال الموجبة للنار ﴿والله يدعو إلى الجنة والمغفرة﴾ أي: العمل الموجب للجنة والمغفرة ﴿بإذنه﴾ بأمره. يعني: إنّه بأوامره يدعوكم.

﴿ويسألونك عن المحيض﴾ [ذكر المفسرون أنّ العرب كانت إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها، ولم يَسَاكُنُوا معها في بيت، كفعل المجوس]^(٢)، فسأل أبو الدّحداح^(٣) رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف نصنع بالنساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية، والمحيض: الحيض ﴿قل هو أذى﴾ أي: قذر ودم ﴿فاعتزلوا النساء في المحيض﴾ أي: مجامعتهنّ إذا حضن ﴿ولا تقربوهن﴾ أي: ولا تجمعهنّ ﴿حتى يطهرن﴾ أي: يغتسلن، ومن قرأ: ﴿يطهرن﴾^(٤) بالتخفيف، أي: ينقطع عنهنّ الدّم، أي: توجد الطّهارة وهي الغسل ﴿فإذا تطهرن﴾ اغتسلن

(١) أخرجه ابن جرير ٣٧٨/٢؛ الواحدي في الأسباب ص ١٠٤ عن الشّدي.

(٢) زيادة من ظ. وهذا الذي ذكره عن المفسرين أخرجه أحمد ١٣٢/٣؛ ومسلم برقم ٣٠٢؛ وأبو داود برقم ١٢٦٥؛ والنسائي في السنن ١٥٢/١.

(٣) الأسباب ص ١٠٦؛ والدر المنثور ٦١٩/١.

(٤) قرأ يطهرن نافع وابن كثير وابن عامر، وحفص، وأبو عمرو، وأبو جعفر ويعقوب وقرأ الباقون يطهرن. انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٧؛ والإقناع ٦٠٨/٢.

فَأَتَوْهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٧﴾ سَأَوْكُم حَرْثٌ لَكُمْ
فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوُهُ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

﴿فأتوهنَّ﴾ أي: جامعوهنَّ ﴿من حيث أَمركم الله﴾ بتجنُّبه في الحيض - وهو
الفرج - ﴿إنَّ الله يحب التوابين﴾ من الذُّنوب و ﴿المتطهرين﴾ بالماء من الأحداث
والجنابات.

﴿سأؤكم حَرْثٌ لكم﴾ أي: مزرعٌ ومنبتٌ للولد ﴿فأتوا حَرْثكم أنى شئتم﴾ أي:
كيف شئتم ومن أين شئتم بعد أن يكون في صِمام واحد، فنزلت هذه الآية ^(١)
تكذيباً لليهود، وذلك أنَّ المسلمين قالوا: إنَّا نأتي النساء بركاتٍ وقائماتٍ
ومستلقياتٍ، ومن بين أيديهنَّ، ومن خلفهنَّ بعد أن يكون المأتي واحداً، فقالت
اليهود: ما أنتم إلَّا أمثال البهائم، لكنَّا نأتيهنَّ على هيئةٍ واحدةٍ، وإنَّا لنجد في
التَّوراة أنَّ كُلَّ إِيَّانٍ يُؤْتِيُ النِّسَاءَ غير الاستلقاء دنسٌ عند الله، فأكذب الله تعالى
اليهود. ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أي: العمل لله بما يحبُّ ويرضى ﴿واتقوا الله﴾ فيما
حدَّ لكم من الجماع وأمرِ الحائض ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أي: راجعون إليه
﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين خافوه وحذروا معصيته.

﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم﴾ أي: لا تجعلوا اليمين بالله سبحانه علَّةً مانعةً
من البرِّ والتَّقوى من حيث تتعمَّدون اليمين لتعتلُّوا بها. نزلت في عبد الله بن
رواحه ^(٢) حلف أن لا يُكَلِّمَ ختته، ولا يدخل بينه وبين خصم له، وجعل يقول:
قد حلفتُ أن لا أفعل فلا يحلُّ لي، وقوله: ﴿أن تبرؤا﴾ أي: في أن لا تبرؤا،
أو لدفع أن تبرؤا، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أن تبرؤا﴾ ابتداءً، وخبره محذوف

(١) ابن جرير ٣/٢٩٣؛ والأسباب ص ١٠٩.

(٢) وهذا قول الكلبي. انظر: أسباب النزول ص ١١٠؛ وتفسير القرطبي ٣/٩٧.

وذكر ابن جرير ٢/٤٠٢ من طريق ابن جريج قال: حَدَّثْتُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ولا تجعلوا الله
عرضةً لأيمانكم﴾، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ

على تقدير: أن تبرؤوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس أولى، أي: البر والتقى أولى. ﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾ يسمع أيمانكم، ويعلم ما تقصدون بها.

﴿٢٢٥﴾ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ أي: ما يسبق به اللسان من غير عقد ولا قصد، ويكون كالصلة للكلام، وهو مثل قول القائل: لا والله، وبلى والله. وقيل: لغو اليمين: اليمين المكفرة، سميت لغواً لأن الكفارة تسقط الإثم منه ﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾ أي: عزمتم وقصدتم، وعلى القول الثاني في لغو اليمين معناه: ولكن يؤاخذكم بعزمكم على ألا تبرؤوا وتعتلوا في ذلك بأيمانكم بأنكم حلفتُم ﴿والله غفورٌ حلِيمٌ﴾ يؤخر العقوبة عن الكفار والعصاة.

﴿٢٢٦﴾ للذين يؤلون من نسائهم﴾ أي: يحلفون أن لا يطؤوهنَّ ﴿تربص أربعة أشهر﴾ جعل الله تعالى الأجل في ذلك أربعة أشهر، فإذا مضت هذه المدة فإمّا أن يُطلق أو يطا، فإن أباهما جميعاً طلق عليه الحاكم ﴿فإن فاءوا﴾ رجعوا عمّا حلفوا عليه، أي: بالجماع ﴿فإنَّ الله غفورٌ رحيمٌ﴾ يغفر له ما قد فعل، [ولزمته كفارة اليمين] (١).

﴿٢٢٧﴾ وإن عزموا الطلاق﴾ أي: طلقوا ولم يفيؤوا بالوطء ﴿فإنَّ الله سميعٌ﴾ لما يقوله ﴿عليمٌ﴾ بما يفعله.

﴿٢٢٨﴾ والمطلقات﴾ أي: المخلّيات من حبال الأزواج. يعني: البالغات المدخول بهنَّ غير الحوامل؛ لأنَّ في الآية بيان عدتهنَّ ﴿يتربصن ثلاثة قروء﴾ أي: ثلاثة

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعُولِهِنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا

أطهار، يعني: ينتظرون انقضاء مدة ثلاثة أطهار حتى تمرّ عليهن ثلاثة أطهار. وقيل: ثلاث حيض. ﴿ولا يحلّ لهنّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنّ﴾ يعني: الولد؛ ليبطلن حقّ الزوج من الرجعة ﴿إن كنّ يؤمنن بالله واليوم الآخر﴾ وهذا تغليظ عليهنّ في إظهار ذلك ﴿وبعولنهنّ﴾ أي: أزواجهنّ ﴿أحقّ بردهنّ﴾ بمراجعتهنّ ﴿في ذلك﴾ في الأجل الذي أمرن أن يتربصن فيه ﴿إن أرادوا إصلاحاً﴾ لا إضراراً ﴿ولهنّ مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ أي: للنساء على الرجال مثل الذي للرجال عليهنّ من الحقّ بالمعروف، أي: بما أمر الله من حقّ الرجل على المرأة ﴿وللرجال عليهن درجة﴾ يعني: بما ساقوا من المهر، وأنفقوا من المال ﴿والله عزيز حكيم﴾ يأمر كما أراد ويمتنح كما أحبّ.

﴿الطلاق مرتان﴾ كان طلاق الجاهلية غير محصور بعدد، فحصر الله الطلاق بثلاث، فذكر في هذه الآية طلقتين، وذكر الثالثة في الآية الأخرى، وهي قوله: ﴿فإن طلقها فلا تحلّ له من بعد...﴾ الآية. وقيل: المعنى في الآية: الطلاق الذي يملك فيه الرجعة مرتان.

﴿فإمساك بمعروف﴾ يعني: إذا راجعها بعد الطلقتين فعليه إمساك بما أمر الله تعالى ﴿أو تسريح بإحسان﴾ وهو أن يتركها حتى تبين بانقضاء العدة، ولا يراجعها ضراراً ﴿ولا يحلّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً﴾ لا يجوز للزوج أن يأخذ من امرأته شيئاً ممّا أعطاه من المهر ليطلقها إلّا في الخلع، وهو قوله: ﴿إلّا أن يخافا﴾ أي: يعلما ﴿ألا يقيما حدود الله﴾ والمعنى: إنّ المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها بغضاً له، وخاف الزوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها حلّ له أن يأخذ الفدية منها إذا دعت إلى ذلك ﴿فإن خفتم﴾ أيها الولاة والحكام ﴿ألا يقيما

حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فَكُلْفٌ فَاتَّسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ

حدود الله ﴿ يعني: الزوجين ﴾ ﴿ فلا جناح عليهما فيما افتدت به ﴾ المرأة، لا جناح عليها فيما أعطته، ولا على الرجل فيما أخذ ﴿ تلك حدود الله ﴾ يعني: ما حدّه من شرائع الدين.

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ يعني: الزوج المطلق اثنتين ﴿ فلا تحلّ له ﴾ المطلقة ثلاثاً ﴿ من بعد ﴾ أي: من بعد التّطليقة الثالثة ﴿ حتى تنكح زوجاً غيره ﴾ غير المطلق [ويجامعها] ^(١) ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا ﴾ أي: الزوج الثاني ﴿ فلا جناح عليهما أن يتراجعا ﴾ بنكاح جديد ﴿ إن ظنا ﴾ أي: علما وأيقنا ﴿ أن يقيما حدود الله ﴾ ما بيّن الله من حقّ أحدهما على الآخر.

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ فَكُلْفٌ ﴾ أي: قاربن انقضاء عدتهنّ ﴿ فأتسكوهنّ بمعروف ﴾ أي: راجعوهنّ بإشهاد على الرّجعة وعقد لها لا بالوطء كما يقول أبو حنيفة ﴿ أو سرحوهنّ بمعروف ﴾ أي: اتركوهنّ حتى تنقضي عدتهنّ ويكنّ أملك بأنفسهنّ ﴿ ولا تمسكوهنّ ضرارا ﴾ أي: لا تُراجعوهنّ مضارةً وأنتم لا حاجة بكم إليهنّ ﴿ لتعتدوا ﴾ عليهنّ بتطويل العدة ﴿ ومن يفعل ذلك ﴾ الاعتداء ﴿ فقد ظلم نفسه ﴾ ضرّها وأثم فيما بينه وبين الله عزّ وجلّ ﴿ ولا تتخذوا آيات الله هزوا ﴾ كان الرّجل يُطلق في الجاهليّة ويقول: إنّما طلّقت وأنا لاعتب، فيرجع فيها، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(١). ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم ﴾ بالإسلام ﴿ وما أنزل عليكم من

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٤٨٢/٢ عن الربيع.

الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيُنَّ أَجْلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٧﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ

الكتاب﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ مواظب القرآن. ﴿وإذا طلقتم النساء﴾ ﴿فلا تعضلوهن﴾ لا تمنعهن ﴿أن ينكحن أزواجهن﴾ بنكاح جديد، أي: الذين كانوا أزواجاً لهن. نزلت ^(١) في أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فلما انقضت عدتها جاء يخطبها، فأبى معقل أن يزوجه ومنعها بحق الولاية ﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾ بعقد حلال ومهر جائز ﴿ذلك﴾ أي: أمر الله بترك العضل ﴿يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى﴾ أي: ترك العضل خير ﴿لكم﴾ وأفضل ﴿وأطهر﴾ لقلوبكم من الريبة، وذلك أنهما إذا كان في قلب كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن عليهما ﴿والله يعلم﴾ ما لكم فيه من الصلاح.

﴿والوالدات يرضعن أولادهن﴾ لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، وهو أمر استحباب لا أمر إيجاب. يريد: إنهن أحق بالإرضاع من غيرهن إذا أردن ذلك ﴿حولين﴾ سنتين ﴿كاملين﴾ تامين، وهذا تحديد لقطع التنازع بين الزوجين إذا اشتجرا في مدة الرضاع. يدل على هذا قوله: ﴿لمن أراد﴾ أي: هذا التقدير والبيان ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾، ﴿وعلى المولود له﴾ أي: الأب ﴿رزقهن وكسوتهن﴾ رزق الوالدات ولباسهن. قال المفسرون: وعلى الزوج رزق المرأة المطلقة وكسوتها إذا أرضعت الولد ﴿بالمعروف﴾ بما يعرفون أنه عدل على قدر الإمكان، وهو معنى

(١) أخرجه البخاري عن الحسن. فتح الباري ٨/١٩٢؛ وأبو داود برقم ٢٠٧٨؛ والترمذي في التفسير؛ عارضة الأحوذى ١١/١٠٣؛ والحاكم ٢/١٧٤؛ والنسائي في تفسيره ١/٢٥٨.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

لأن التي تُزَوِّج نفسها سمّاها النَّبِيُّ ﷺ زانية^(١)، وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾^(٢) الآية.

﴿٢٣٥﴾ ﴿ولا جناح عليكم فيما عرّضتم به﴾ أي: تكلمتم به من غير تصريح، وهو أن يُضْمَنَ الكلام دلالة على ما يريد ﴿من خطبة النساء﴾ أي: التماس نكاحهن في العدة. يعني: المتوفى عنها الزوج يجوز التعريض بخطبتها في العدة، وهو أن يقول لها وهي في العدة: إنك لجميلة، وإنك لناقضة، وإنك لصالحة، وإن من عزمي أن أتزوج، وما أشبه ذلك ﴿أو أكننتم﴾ أسررتم وأضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من خطبتنَّ ونكاحنَّ ﴿علم الله أنكم ستذكرونهن﴾ يعني: الخطبة ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ أي: لا تأخذوا ميثاقهن أن لا ينكحن غيركم ﴿إلا أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ أي: التعريض بالخطبة كما ذكرنا ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أي: لا تصححوا عقدة النكاح ﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾ حتى تنقضي العدة المفروضة ﴿واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم﴾ أي: مُطْلَعٌ على ما في ضمائركم. ﴿فاحذروه﴾ فخافوه.

(١) الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُزَوِّج المرأة المرأة، ولا تُزَوِّج المرأة نفسها، فإن الزّانية هي التي تزوج نفسها. أخرجه الدارقطني في السنن ٢٢٧/٣؛ وفيه جميل بن الحسن الأزدي وثقه ابن حبان وتكلم فيه غيره. قال ابن عدي: لا أعلم له حديثاً منكراً، وطعن فيه عبدان، وباقي رجاله ثقات وأخرجه ابن ماجه ٦٠٦/١، بنفس السند.

(٢) الآية: ﴿والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهن متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤٠]. والقول بأن هذه الآية منسوخة هو قول أكثر العلماء. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٨٧.

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرِهِ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ نزلت في رجلٍ من الأنصار^(١) تزوج امرأة ولم يسم لها مهرًا، ثم طلقها قبل أن يمسهَا، فأعلم الله تعالى أن عقد التزويج بغير مهر جائز، ومعناه: لا سبيل للنساء عليكم إن طلقتموهن من قبل الميسر والفرض بصدائق ولا نفقة. وقوله: ﴿أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ أي: تُوجبوا لَهُنَّ صَدَاقًا ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أي: زودوهنَّ وأعطوهنَّ من مالكم ما يتمتغن به، فالمرأة إذا طُلِّقَتْ قبل تسمية المهر وقبل الميسر فإنها تستحق المتعة بإجماع العلماء، ولا مهر لها و﴿عَلَى الْمَوْسِعِ﴾ أي: الغني الذي يكون في سعة من غناه ﴿قَدَرِهِ﴾ أي: قدر إمكانه ﴿وَعَلَى الْمُقْتَرِ﴾ الذي في ضيق من فقره قدر إمكانه. أعلاها خادم، وأوسطها ثوب، وأقلها أقل مال له ثمن. قال الشافعي: وحسن ثلاثون درهمًا. ﴿مَتَّعًا﴾ أي: متعوهنَّ متاعًا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بما تعرفون أنه القصد وقدّر الإمكان ﴿حَقًّا﴾ واجبًا ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ هذا في المطلقَة بعد التسمية وقبل الدخول، حكم الله تعالى لها بنصف المهر، وهو قوله: ﴿فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ أي: فالواجب نصف ما فرضتم ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ أي: النساء، أي: إِلَّا أَنْ يَتْرُكَنَّ ذَلِكَ النِّصْفَ، فلا يُطالبن الأزواج به ﴿أَوْ يَعْفُو الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ أي: الزَّوْج لا يرجع في شيء من المهر، فيدع لها المهر الذي وقَّاه عملاً ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ خطابٌ للرجال والنساء ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي: أدعى إلى اتقاء معاصي الله؛ لأنَّ هذا العفو ندبٌ، فإذا انتدب المرء له عُلِمَ أَنَّهُ — لما كان فرضاً — أشدُّ استعمالاً ﴿وَلَا تَنْسُوا

الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٢٧﴾ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٢٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٢٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

الفضل بينكم﴾ لا تتركوا أن يتفضل بعضكم على بعض. هذا أمرٌ للزوج والمرأة بالفضل والإحسان.

﴿٢٢٨﴾ ﴿حافظوا على الصلوات﴾ بأدائها في أوقاتها ﴿والصلاة الوسطى﴾ أي: صلاة الفجر، [لأنها بين صلاتي ليل وصلاتي نهار] ^(١). أفردتها بالذكر تخصيصاً ﴿وقوموا لله قانتين﴾ مطيعين.

﴿٢٢٩﴾ ﴿فإن خفتم فرجالاً﴾ أي: إن لم يمكنكم أن تصلُّوا موفِّين للصلاة حقها فصلُّوا مشاةً على أرجلكم ﴿أو ركباناً﴾ على ظهور دوابكم، وهذا في المطاردة والمسابقة ﴿فإذا أمتم فاذكروا الله﴾ أي: فصلُّوا الصَّلوات الخمس تامةً بحقوقها ﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ كما افترض عليكم في مواقيتها.

﴿٢٤١﴾ ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية﴾ فعليهم وصية ﴿لأزواجهم﴾ لنسائهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام لم يكن للمرأة ميراثٌ من زوجها، وكان على الزوج أن يُوصي لها بنفقة حول، فكان الورثة ينفقون عليها حولاً، وكان الحول عزيمةً عليها في الصبر عن التزوُّج، وكانت مُخيرةً في أن تعتدَّ إن شاءت في بيت الزوج، وإن شاءت خرجت قبل الحول وتسقط نفقتها، فذلك قوله: ﴿متاعاً إلى الحول﴾ أي: متعهنَّ متاعاً. يعني: النِّفقة ﴿غير إخراج﴾ أي: من غير إخراج الورثة إيَّاهَا ﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾ يا أولياء الميِّت في قطع النِّفقة عنهنَّ، وترك منعها عن التَّشوف للنِّكاح والتَّصُّع للأزواج، وذلك قوله:

فِي مَا فَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤﴾ وَلِلْمُطَلَّقَتِ مَتَاعٌ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ
اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَعْيَاهُمْ

﴿ فيما فعلن في أنفسهنَّ من معروف ﴾ وهذا كله منسوخٌ بآية المواريث وعدة المتوفى عنها زوجها^(١).

﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين ﴾ لَمَّا ذكر الله تعالى متعة المطلقة في قوله: ﴿ حقاً على المحسنين ﴾^(٢) قال رجلٌ من المسلمين: إن أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أُرِدْ ذلك لم أفعل، فأوجبها الله تعالى على المتقين. الذين يتَّقون الشُّركَ^(٣).
﴿ كذلك يبين الله لكم آياته ﴾ شبه الله البيان الذي يأتي بالبيان الذي مضى في الأحكام التي ذكرها.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ، أَلَمْ يَنْتَه عِلْمُكَ إِلَى هَؤُلَاءِ، وَهُمْ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ خَرَجُوا مِنْ بِلَدِهِمْ هَارِبِينَ مِنَ الطَّاغُوتِ، حَتَّى نَزَلُوا وَادِيًا فَأَمَاتَهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ أَيُّ: لَحْذَرَ الْمَوْتِ ﴿ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ مَقْتَهُمُ اللَّهُ عَلَى فِرَارِهِمْ مِنَ الْمَوْتِ، فَأَمَاتَهُمْ عِقَابًا لَهُمْ

(١) قال مكِّي القيسي: قوله تعالى: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهنَّ أربعة أشهرٍ وعشراً ﴾. أكثر العلماء على أنَّ الآية ناسخةٌ للآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿ والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج ﴾. فأوجب هذه الآية للمتوفى عنها زوجها أن ينفق عليها سنة من مال المتوفى، وتسكن سنة ما لم تخرج وتزوج، ثم نسخت بآية المواريث في النساء، وبقوله ﷺ: « لا وصية لوارث » ونُسِخَ الحول بأربعة أشهرٍ وعشر.

قُلْتُ: وآية المواريث هي: ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم... ﴾ الآية ١٢ من سورة النساء. انظر: الإيضاح ص ١٨٢؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٨٨.

(٢) الآية ٢٣٦ من هذه السورة. (٣) أخرجه ابن جرير ٥٨٤/٢ عن ابن زيد.

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَلِّعُهُ لَدُنْ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أَلْهِمْنَا لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِيَسْتَوِفُوا بَقْيَةَ آجَالِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أَيُّ: تفضل عليهم بأن أحيائهم بعد موتهم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يحرّض المؤمنين على القتال ﴿وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقوله المتعلّل ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يضمّره، فإياكم والتعلّل.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أَيُّ: مَنْ ذَا الَّذِي يعمل عمل المقرض، بأن يقدّم من ماله فيأخذ أضعاف ما قدّم، وهذا استدعاء من الله تعالى إلى أعمال البرّ ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ أَيُّ: يُمْسِكُ الرِّزْقَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ﴿وَيَبْصُطُ﴾ أَيُّ: وَيُسَّعِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أَيُّ: إِلَى الْجَمَاعَةِ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ أبعث لنا ملكاً﴾ سألوا نبيهم أشمويل عليه السّلام ملكاً تتّظم به كلمتهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوّهم، وهو قوله: ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ﴿فَقَالَ﴾ لَهُمْ ذَلِكَ النَّبِيُّ: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ أَيُّ: لَعَلَّكُمْ أَنْ تَجْبِنُوا عَنِ الْقِتَالِ ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: وَمَا يَمْنَعُنَا عَنْ ذَلِكَ؟ ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا﴾ ﴿و﴾ أَفْرَدْنَا مِنْ ﴿أَبْنَائِنَا﴾ بِالسَّبْيِ وَالْقَتْلِ. يعنون: إِذَا بَلَغَ الْأَمْرَ مَثَا هَذَا فَلَا بَدَّ مِنَ الْجِهَادِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ وَهُمْ الَّذِينَ عَبَرُوا النَّهْرَ، وَيَأْتِي ذِكْرُهُمْ ^(١).

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ

﴿٢٤٧﴾ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً ﴿٢٤٨﴾ أي: قد أجابكم إلى ما سألتكم من بعث الملك ﴿قالوا﴾: كيف يملك علينا؟ وكان من أدنى بيوت بني إسرائيل، ولم يكن من سبط المملكة، فأنكروا ملكه وقالوا: ﴿ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾ أي: لم يؤت ما يتملك به الملوك ﴿قال﴾ النبي: ﴿إن الله اصطفاه عليكم﴾ [اختاره] ^(١) بالملك ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾ كان طالوت يومئذ أعلم رجل في بني إسرائيل وأجمله وأتممه. والبسطة: الزيادة في كل شيء ﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾ ليس بالوراثه ﴿والله واسع﴾ أي: واسع الفضل والرزق والرحمة، فسألوا نبيهم على تملك طالوت آية ف:

﴿٢٤٨﴾ قال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت ﴿٢٤٩﴾ وكان تابوتاً أنزله الله تعالى على آدم عليه السلام فيه صور الأنبياء عليهم السلام. كانت بنو إسرائيل يستفتحون به على عدوهم، فغلبتهم العمالة على التابوت، فلما سألوا نبيهم البينة على ملك طالوت قال: إن آية ملكه أن يرد الله تعالى التابوت عليكم، فحملت الملائكة التابوت حتى وضعت في دار طالوت، وقوله: ﴿فيه سكينه من ربكم﴾ أي: طمأنينة. كانت قلوبهم تطمئن بذلك، ففي أي مكان كان التابوت سكنوا هناك، وكان ذلك من أمر الله تعالى ﴿وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون﴾ أي: تركاهما، وكانت البقية نعلي موسى وعصاه وعمامة هارون، وقفيزاً من المن الذي كان

تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ
مُلْكُوا اللَّهَ

ينزل عليهم^(١) ﴿تحمله الملائكة﴾ أي: الثَّابُوت. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآية﴾ أي: في رجوع الثَّابُوت إليكم علامة أن الله قد ملَّك طالوت عليكم ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: مصدِّقين.

﴿٢٤٩﴾ فلما فصل طالوت بالجنود ﴿أي: خرج بهم من الموضع الذي كانوا فيه إلى جهاد العدو﴾ قال ﴿لهم طالوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ أي: مُختبركم ومُعاملكم مُعاملة المختبر ﴿بنهر﴾ أي: بنهر فلسطين لِيَتَمَيَّزَ الْمُحَقَّقُ وَمَنْ لَهُ نِيَّةٌ فِي الْجِهَادِ مِنَ الْمُعَذَّرِ ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فليس مني﴾ أي: من أهل ديني ﴿ومن لم يطعمه﴾ لم يذقه ﴿فإنه مني إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ أي: مرَّةً واحدةً، أي: أخذ منه بجرَّة أو قِربَة وما أشبه ذلك مرَّةً واحدةً. قال لهم طالوت: مَنْ شَرِبَ مِنَ النَّهْرِ وَأَكْثَرَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ أَقْنَعْتَهُ، فَهَجَمُوا عَلَى النَّهْرِ بَعْدَ عَطَشٍ شَدِيدٍ، فَوَقَعَ أَكْثَرُهُمْ فِي النَّهْرِ وَأَكْثَرُوا الشُّرْبَ، فَهَؤُلَاءِ جَبُنُوا عَنْ لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَأَطَاعَ قَوْمٌ قَلِيلٌ عَدَدَهُمْ فَلَمْ يَزِيدُوا عَلَى الْإِغْتِرَافِ، فَقَوَّيْتُ قُلُوبَهُمْ وَعَبَرُوا النَّهْرَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ﴾ وَكَانُوا ثَلَاثًا مِائَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ أي: النَّهْرَ ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا﴾ يعني: الَّذِينَ شَرَبُوا وَخَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ﴾ يعني: الْقَلِيلُ الَّذِينَ اغْتَرَفُوا وَهُمْ ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ أي: يَعْلَمُونَ ﴿أَنَّهُمْ مَلَاقُوا اللَّهَ﴾ أي: رَاجِعُونَ

كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ ۖ يَٰأَذْنَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

إليه: ﴿كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ﴾ أي: جماعة قليلة ﴿غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ﴾ أي: غلبت فئة قليلة بالله والله مع الصابرين ﴿بِالْمَعُونَةِ وَالنَّصْرِ﴾.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا﴾ أي: خرجوا ﴿لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: لقتالهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ اصبب ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا.

﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ فردوهم وكسروهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره ﴿وَقَتَلَ دَاوُدَ النَّبِيَّ﴾، وكان في عسكر بني إسرائيل ﴿جَالُوتَ﴾ الكافر ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ [أعطى الله داود ملك بني إسرائيل] ^(١) ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: جمع له الملك والثبوة ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ صنعة الدُّرُوع ^(٢) ومنطق الطير ^(٣) ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين وخرَّبوا البلاد والمساجد.

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: هذه الآيات التي أخبرتك بها آيات الله، أي: علامات توحيده. ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ أي: أنت من هؤلاء الذين قصصْتُ عليك آياتهم.

(١) زيادة من ظ.

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ * وعلمناه صنعة لبوس لكم [سورة الأنبياء: الآية ٧٩ - ٨٠].

(٣) عِلْمُ مَنْطِقِ الطَّيْرِ كان لسليمان عليه السَّلام، كما قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ [سورة النمل: الآية ١٦]، أمَّا داود فكانت الطير والجبال تُسَبِّحُ معه.

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَتَّيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ

الجزء الثالث:

﴿ تلك الرسل ﴾ أي: جماعة الرُّسل ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ أي: لم نجعلهم سواءً في الفضيلة وإن استووا في القيام بالرسالة ﴿ منهم من كلم الله ﴾ وهو موسى عليه السلام ﴿ ورفع بعضهم درجات ﴾ يعني محمداً ﷺ أرسل إلى الناس كافة ﴿ وآتيناه عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ مضى تفسيره (١)، ﴿ ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم ﴾ أي: من بعد الرُّسل ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ من بعد ما وضحت لهم البراهين ﴿ ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ﴾ ثبت على إيمانه ﴿ ومنهم من كفر ﴾ كالتَّصارى بعد المسيح اختلفوا فصاروا فرقا، ثم تحاربوا ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ﴾ كرر ذكر المشيئة باقتتالهم تكذيباً لمن زعم أنَّهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لم يجز به قضاء من الله ﴿ ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ فيوفق من يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.

﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم ﴾ أي: الزكاة المفروضة، وقيل: أراد التَّفَقُّة في الجهاد ﴿ من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه ﴾ يعني: يوم القيامة. يعني: لا يؤخذ في ذلك اليوم بدلٌ ولا فداءً ﴿ ولا خلة ﴾ ولا صداقة ﴿ ولا شفاعَةٌ ﴾ عمَّ نفي الشَّفاعة لأنَّه عنى الكافرين بأنَّ هذه الأشياء لا تنفعهم، ألا ترى أنَّه قال: ﴿ والكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ أي: هم الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه.

﴿ الله لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ ﴾ الدَّائم البقاء ﴿ الْقَيُّومُ ﴾ القائم بتدبير أمر الخلق في

لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ
يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ

إنشائهم وأرزاقهم ﴿لا تأخذه سنة﴾ وهي أول^(١) الثُّعَاسِ ﴿ولا نوم﴾ وهو الغشية
الثَّقِيلَةُ ﴿له ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً وخلقاً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يشفع عنده
إلا بإذنه﴾ أي: لا يشفع عنده أحدٌ إلا بأمره، إبطالاً لزعم الكفار أنَّ الأصنام تشفع
لهم ﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة. ﴿ولا
يحيطون بشيء من علمه﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوم الله تعالى: ﴿إلا بما
شاء﴾ إلا بما أنبأ الله به الأنبياء وأطلعهم عليه ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾
أي: احتملها وأطاقهما. يعني: ملكه وسلطانه. وقيل: هو الكرسيُّ بعينه، وهو
مشمول بعظمته على السموات والأرض. وروي عن ابن عباس أنَّ كرسيه علمه^(٢).
﴿ولا يؤوده﴾ أي: لا يُجهدُه ولا يُثقلُه ﴿حفظهما﴾ أي: حفظ السموات والأرض
﴿وهو العليُّ﴾ بالقدرة ونفوذ السلطان عن الأشباه والأمثال ﴿العظيم﴾ عظيم
الشأن.

﴿لا إكراه في الدين﴾ بعد إسلام العرب؛ لأنهم أكرهوا على الإسلام فلم يُقبل
منهم الجزية؛ لأنَّهم كانوا مشركين، فلمَّا أسلموا أنزل الله تعالى هذه الآية^(٣).

(١) هكذا عبارة الأصل، وفي الباقي: وهي ثقل الثُّعَاسِ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٩/٣؛ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٩٧.

(٣) أخرجه ابن جرير عن قتادة ١٦/٣.

وأصحُّ ما ذكره المؤلف في سبب نزولها ما جاء عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار
لا يكون لها ولدٌ تجعل على نفسها لئن كان لها ولدٌ لتهودته، فلما أسلمت الأنصار قالوا: كيف
نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية.

أخرجه أبو داود برقم ٢٦٨٢؛ والنسائي في تفسيره ٢٧٣/١، والبيهقي في السنن ١٨٦/٩.

قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا ءُولِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ؕ أُولَٰئِكَ
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ
الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ؕ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ
يَأْتِي

﴿قد تبين الرشd من الغي﴾ ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة بكثرة
الحجج ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ بالشيطان والأصنام ﴿ويؤمن بالله﴾ واليوم الآخر
﴿فقد استمسك﴾ أي: تمسك ﴿بالعروة الوثقى﴾ عقد لنفسه عقداً وثيقاً، وهو
الإيمان وكلمة الشهادتين ﴿لا انفصام لها﴾ أي: لا انقطاع لها ﴿والله سميع﴾
لدعائك يا محمد إيتي بإسلام أهل الكتاب، وكان رسول الله ﷺ يحب إسلام أهل
الكتاب الذين حول المدينة، ويسأل الله ذلك ﴿عليم﴾ بحرصك واجتهادك.

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: ناصرهم ومتولّي أمورهم ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾
من الكفر والضلالة إلى الإيمان والهداية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: اليهود ﴿ءُولِيَآؤُهُمُ
الطَّاغُوتُ﴾ يعني: رؤساءهم كعب بن الأشرف وخي بن أخطب ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ
النُّورِ﴾ يعني: ممّا كانوا عليه من الإيمان بمحمد عليه السّلام قبل بعثه ﴿إِلَى
الظُّلُمَاتِ﴾ إلى الكفر به بعد بعثه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادل وخاصم ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ حين قال له: مَنْ
رَبُّكَ؟ ﴿أَن ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: الملك الذي آتاه الله. يريد: بطرُ الملك حملة
على ذلك، وهو نمرود بن كنعان ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فقال
عدو الله: ﴿أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ فعارضه بالاشتراك في العبارة من غير فعل حياة ولا
موت، فلما لبس في الحجّة بأن قال: أنا أفعل ذلك احتجّ إبراهيم عليه بحجّة
لا يمكنه فيها أن يقول: أنا أفعل ذلك، وهو قوله: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ
مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ
لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر ﴿٢٥٨﴾ أي: انقطع وسكت.

﴿٢٥٩﴾ ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾ [عطفٌ على المعنى لا على اللفظ، كأنه قال: أرايت
الذي حاج، أَوْ كَالَّذِي مَرَّ^(١) وهو عزيز ﴿عَلَى قَرْيَةٍ﴾ وهي إيليا ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾
ساقطة مُتَهَدِّمَةٌ ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ أي: سقوفها ﴿قَالَ: أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ﴾ أي:
من أين يُحْيِي هذه الله ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يعمرها بعد خرابها؟! استبعد أن يفعل الله
ذلك، فأحبَّ الله أن يُريه آيةً في نفسه في إحياء القرية ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ﴾ وذلك
أنه مرَّ بهذه القرية على حمارٍ ومعه ركوة^(٢) عصير، وسلَّةُ تين، فربط حماره،
وألقي الله عزَّ وجلَّ عليه النَّوْمَ، فلمَّا نام نزع الله عزَّ وجلَّ روحه مائة سنة، فلمَّا
مضت مائة سنة أحياه الله تعالى، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ﴾ كم
أقمت ومكثت ها هنا؟ ﴿قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ
إِلَى طَعَامِكَ﴾ أي: التَّيْنِ ﴿وَوَإِلَى شَرَابِكَ﴾ أي: العصير ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ أي:
لم يتغيَّر ولم يتنن بعد مائة سنة، وأراه علامة مكثه مائة سنة. بلبى عظام حماره،
فقال: ﴿وانظر إلى حمارك﴾ فرأى حماره ميتاً، عظامه بيضٌ تلوح ﴿ولنجعلك آيةً
للنَّاسِ﴾ الواو زائدة، والمعنى: لبثت مائة عام لنجعلك آيةً للنَّاسِ، وكونه آيةً أن
بعثه شاباً أسود الرأس واللحية، وبنو بنيه شيبَ ﴿وانظر إلى العظام﴾ أي: عظام

(١) زيادة من ظ.

(٢) الركوة بثلاث الراء: إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء. اللسان.

وفي ظ وظا: زكرة، وهي بمعناها.

كَيْفَ نُنشِرُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

حماره ﴿كَيْفَ نُنشِرُهَا﴾^(١) أي: نحييها. يقال: أنشَرَ الله الموتى، وقرىء: ﴿ننشزها﴾ أي: نرفعها من الأرض، ونشوز كل شيء: ارتفاعه ﴿ثم نكسوها لحماً﴾ فلما تبين له ﴿شاهد ذلك﴾ قال: أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿أي: أعلم العلم الذي لا يعترض عليه الإشكال، وتأويله: إنني قد علمت مشاهدة ما كنت أعلمه غيباً.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وذلك أنه رأى جيفةً بساحل البحر يتناولها سباع الطير والوحش ودواب البحر، ففكر كيف يجتمع ما قد تفرق منها، وأحب أن يرى ذلك، فسأل الله تعالى أن يريه إحياء الموتى، فقال الله تعالى: ﴿أولم تؤمن﴾ ألسنت آمنتم بذلك؟ ﴿قال بلى﴾ ولكن ليطمئن قلبي ﴿بالمُعَايَنَةِ بعد الإيمان بالغيب﴾ قال: فخذ أربعة من الطير ﴿طاووساً ونسراً وغباباً وديكاً﴾ فصُرْهُنَّ إِلَيْكَ أي: قطعهن، كَأَنَّهُ قال: خذ إليك أربعة من الطير فقطعهن ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يَخْلُطَ رِيشُهَا وَلَحُومُهَا، ثُمَّ يَفْرَقَ أَجْزَاءُهَا بِأَنْ يَجْعَلَهَا عَلَىٰ أَرْبَعَةِ أَجْبَلٍ ففعل ذلك إبراهيم، وأمسك رؤوسهنَّ عنده، ثُمَّ دَعَاهُنَّ فَقَالَ: تعالين يا ذن الله، فجعلت أجزاء الطيور يطير بعضها إلى بعض حتى تكاملت أجزاءها، ثُمَّ أَقْبَلْنَ عَلَىٰ رُؤُوسِهِنَّ فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ مَا يَرِيدُ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يدبر، فلَمَّا ذَكَرَ الدَّلَالََةَ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ بِمَا أَتَى الرُّسُلَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ حَثَّ عَلَى الْجِهَادِ وَالْإِنْفَاقِ فِيهِ فَقَالَ:

(١) قرأ «نشزها» بالراء نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، والباقون بالزاي. الإتحاف ص ١٦٢.

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٦﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢١٧﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَتَابَعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا

﴿٢١٦﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ الآية، أي: مَثَلُ صدقاتهم وإنفاقهم ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ الآية، يريد أنه يضاعف الواحد بسبع مائة، وجعله كالحبة تنبت سبع مائة حبة، ولا يشترط وجود هذا؛ لأنَّ هذا على ضرب المثل.

﴿٢١٧﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا...﴾ الآية، وهو أن يقول: أحسنتُ إلى فلانٍ ونعشتُهُ، وجبرتُ خلله، يَمْنٌ بما فعل ﴿وَلَا أَذًى﴾ وهو أن يذكر إحسانه لمن لا يحبُّ الذي أحسن إليه وقوفه عليه.

﴿٢١٨﴾ ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ كلامٌ حسنٌ وردُّ على السَّائِلِ جميلٌ ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي: تجاوزٌ عن السَّائِلِ إذا استطال عليه عند رده ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ أي: مَنْ وتعييرٌ للسَّائِلِ بالسُّؤال، ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ إذ لم يعجل بالعقوبة على مَنْ يَمْنُ.

﴿٢١٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾ أي: ثوابها ﴿بِالْمَنِّ﴾ وهو أن يَمْنَّ بما أعطى ﴿وَالْأَذَى﴾ وهو أن يورِّخَ الْمُعْطَى الْمُعْطَى له ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ﴾ أي: كإبطاله رياء النَّاسِ، وهو المُنَافِقُ يعطي ليوهم أنه مؤمنٌ ﴿فَمَثَلُهُ﴾ أي: مَثَلُ هذا المنافق ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ وهو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ﴾ مطرٌ شديدٌ ﴿فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾ برَّاقاً أملس. وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالى للمَنَّانِ والمنافق، يعني: إنَّ النَّاسَ يرون في الظَّاهر أنَّ لهؤلاء أعمالاً كما يُرى التُّراب على هذا الحجر، فإذا

لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَاءَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٦﴾ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ تَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَوْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ

كان يوم القيامة اضمحلَّ كلُّه وبطل، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان، فلا يقدر أحدٌ من الخلق على ذلك الثَّراب، كذلك هؤلاء إذا قدموا على ربِّهم لم يجدوا شيئاً، وهو قوله جلَّ وعزَّ: ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ أي: على ثواب شيءٍ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ والله لا يهدي القوم الكافرين ﴿لَا يَجْعَلُ جَزَاءَهُمْ عَلَى كُفْرِهِمْ أَنْ يَهْدِيَهُمْ﴾، ثُمَّ ضَرْبٌ مَثَلًا لِمَنْ يَنْفَقُ مَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَا يَمْنُ وَلَا يُؤْذِي فَقَالَ^(١):

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا﴾ أي: يَقِينًا وَتَصَدِيقًا ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالثَّوَابِ لَا كَالْمَنَافِقِ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالثَّوَابِ ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ وَهِيَ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَهِيَ أَكْثَرُ رِيْعًا مِنَ الْمُسْتَفْلِ ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ وَهُوَ أَشَدُّ الْمَطَرِ ﴿فَثَاءَتْ﴾ أَعْطَتْ ﴿أَكْلَهَا﴾ مَا يُؤْكَلُ مِنْهَا ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ أي: حَمَلَتْ فِي سَنَةٍ مِنَ الرَّيْعِ مَا يَحْمِلُ غَيْرَهَا فِي سَنَتَيْنِ ﴿فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ﴾ وَهُوَ أَشَدُّ الْمَطَرِ، وَأَصَابَهَا طُلٌّ وَهُوَ الْمَطَرُ الضَّعِيفُ، فَتَلَّكَ حَالَهَا فِي الْبَرَكَةِ، يَقُولُ: كَمَا أَنَّ هَذِهِ الْجَنَّةَ تُثْمِرُ فِي كُلِّ حَالٍ وَلَا يَخِيبُ صَاحِبَهَا قَلَّ الْمَطَرِ أَوْ كَثُرَ، كَذَلِكَ يَضَعُفُ اللَّهُ ثَوَابَ صَدَقَةِ الْمُؤْمِنِ قَلَّتْ نَفَقَتُهُ أَمْ كَثُرَتْ، ثُمَّ قَرَّرَ مَثَلُ الْمُرَائِي فِي التَّفَقُّعِ وَالْمُفْرِطِ فِي الطَّاعَةِ إِلَى أَنْ يَمُوتَ بِقَوْلِهِ:

﴿أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ...﴾ الْآيَةُ، يَقُولُ: مِثْلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ جَنَّةٌ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فَضَعُفَ عَنِ الْكَسْبِ، وَلَهُ أَطْفَالٌ لَا يَجِدُونَ عَلَيْهِ

وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ
 لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
 لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ غَفِيرٌ حَمِيدٌ ﴿٢١٧﴾ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ
 مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ
 فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢١٩﴾

ولا ينفعونهم ﴿فأصابها إعصار﴾ وهي ريحٌ شديدة ﴿فيه نارٌ فاحترقت﴾ ففقدوها
 أحوج ما كان إليها عند كبر السن وكثرة العيال وطفولة الولد، فبقي هو وأولاده
 عجزاً مُتَحِيرِينَ ﴿لا يقدرُونَ على﴾ حيلة، كذلك يُبطل الله عمل المنافق والمرائي
 حتى لا توبة لهما ولا إقالة من ذنوبهما ﴿كذلك يبين الله﴾ كمثل بيان هذه
 الأفاضيص ﴿يبين الله لكم الآيات﴾ في أمر توحيده.

﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم﴾ نزلت في قوم كانوا يتصدَّقون
 بشارر ثمارهم ورذالة أموالهم، والمراد بالطَّيِّبَاتِ هاهنا الجياد الخيار ممَّا كسبتم،
 أي: التَّجَارَةُ ﴿وممَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ يعني: الحبوب التي يجب فيها
 الزَّكَاةُ ﴿ولا تيمموا﴾ أي: لا تقصدوا ﴿الخبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ أي: تنفقونه ﴿ولستم
 بآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا﴾ أي: بآخِذِي ذَلِكَ الْخَبِيثِ لو أُعْطِيتُمْ فِي حَقِّ لَكُمْ إِلَّا
 بِالْإِغْمَاضِ وَالتَّسَاهُلِ، وفي هذا بيان أن الفقراء شركاء ربِّ المال، والشَّريك
 لا يأخذ الرَّدِيءَ مِنَ الْجَيِّدِ إِلَّا بِالتَّسَاهُلِ.

﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ أي: يُخَوِّفُكُمْ بِهِ. يقول: أَمْسِكْ مَالَكَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ
 تَصَدَّقْتَ افْتَقَرْتَ ﴿ويأمرُكم بالفحشاء﴾ بالبخل ومنع الزَّكَاةِ ﴿والله يعدكم﴾ أن
 يجازيكم على صدقتكم ﴿مغفرة﴾ لذنوبكم وأن يُخلف عليكم.

﴿يؤتي الحكمة﴾ علم القرآن والفهم فيه. وقيل: هي التَّوْبَةُ ﴿من يشاء﴾. ﴿وما
 يذكر إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: وما يَتَّعِظُ إِلَّا ذُوو الْعُقُولِ.

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ هُدُوءٌ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

﴿٢٧٠﴾ وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من زكاة ﴿أو نذرتم من نذر﴾ في صدقة التطوع، أي: نويتم أن تصدقوا بصدقة ﴿فإن الله يعلمه﴾ يجازي عليه ﴿وما للظالمين من أنصار﴾ وعيد لمن أنفق في غير الوجه الذي يجوز له من رياء أو معصية، أو من مالٍ مغصوب.

﴿٢٧١﴾ إن تبدوا الصدقات... الآية. سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: صدقة السر أفضل أم صدقة العلانية؟ فنزلت هذه الآية^(١)، والمفسرون على أن هذه الآية في التطوع لا في الفرض، فإن الفرض إظهاره أفضل، وعند بعضهم الآية عامة في كل صدقة، وقوله: ﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾ أي: يغفرها لكم، و «من» للصلة والتأكيد.

﴿٢٧٢﴾ ليس عليك هداهم ﴿نزلت حين سألت قتيلة أم أسماء بنت أبي بكر ابنتها أن تعطيها شيئاً وهي مشركة، فأبت وقالت: حتى أستأمر رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية^(٢). والمعنى: ليس عليك هدى من خالفك فمنعهم الصدقة ليدخلوا في الإسلام ﴿وما تنفقوا من خير﴾ أي: مال ﴿فلا أنفسكم﴾ ثوابه ﴿وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله﴾ خبر والمراد به الأمر. وقيل: هو خاص في المؤمنين، أي: قد علم الله ذلك منكم ﴿وما تنفقوا من خير﴾ [من مال على فقراء أصحاب الصفة]^(٣). ﴿يؤف لكم﴾ أي: يوفر لكم جزاؤه ﴿وأنتم لا تظلمون﴾ أي: لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً.

(١) ذكره في الأسباب ص ١٢٠ عن الكلبي.

(٢) ذكره في الأسباب ص ١٢١ عن الكلبي؛ والسمرقندي في بحر العلوم ١/ ٧٢١.

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْإِتْيَالِ وَالْتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ ﴿٢٧٣﴾ أي: هذه الصَّدَقَاتُ وَالْإِنْفَاقُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا﴾ أي: حُجِسُوا، أي: هم فعلوا ذلك. حَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي الْجِهَادِ. يَعْنِي: فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا﴾ أي: سِرًّا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ لَا يَتَفَرَّغُونَ إِلَى طَلَبِ الْمَعَاشِ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ أَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ أَمْرَ الْجِهَادِ، فَمَنْعَهُمْ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفِ، حَتَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْإِنْفَاقِ عَلَيْهِمْ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ يَخَالُهُمْ ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ عَنِ السُّؤَالِ ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ بِعَلَامَتِهِمْ، التَّخَشُّعِ وَالتَّوَاضُّعِ وَأَثَرِ الْجِهَادِ ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أي: إِلْحَاحًا. إِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ غَدَاءٌ لَمْ يَسْأَلُوا عِشَاءً، وَإِذَا كَانَ عِنْدَهُمْ عِشَاءٌ لَمْ يَسْأَلُوا غَدَاءً.

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ...﴾ ﴿٢٧٤﴾ نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ عِنْدَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمٍ لَا يَمْلِكُ غَيْرَهَا، فَتَصَدَّقَ بِدَرَاهِمٍ سَرًّا، وَدَرَاهِمٍ عَلَانِيَةً، وَدَرَاهِمٍ لَيْلًا، وَدَرَاهِمٍ نَهَارًا^(١).

(١) الْخَبَرُ ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، وَقَبْلَهُ ذَكَرَهُ شَيْخُهُ الثُّعَالِبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ج ٢ وَرَقَّة ١٩٣ أ مِنْ مَخْطُوطَةِ الْمَحْمُودِيَّةِ.

وَفِي طَرِيقِ الْوَاحِدِيِّ: عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: مَتْرُوكٌ، وَقَدْ كَذَّبَهُ الثُّورِيُّ. قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي مَنَاجِذِ السَّنَةِ ٦٢/٤: وَهُوَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي نَعِيمٍ بِإِسْنَادِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ. وَالْجَوَابُ مِنْ وَجْهِ:

أَحَدُهَا: الْمَطَالِبَةُ بِصَحَّةِ النُّقْلِ، وَرَوَايَةُ أَبِي نَعِيمٍ وَالثُّعَالِبِيُّ لَا تَدُلُّ عَلَى الصَّحَّةِ.

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا كَذِبٌ لَيْسَ بِثَابِتٍ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ يَنْفِقُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، سَرًّا وَعَلَانِيَةً، فَمَنْ عَمِلَ بِهَا دَخَلَ، سِوَاهُ كَانَ عَلِيًّا أَوْ غَيْرَهُ، وَيَمْتَنِعُ أَنْ يَرَادَ بِهِ وَاحِدٌ مُعَيَّنٌ.

وَقَالَ السِّيُوطِيُّ فِي لِبَابِ النُّقُولِ ص ٥٠؛ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَالتُّطَيْرَانِيُّ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

﴿٢٧٤﴾ الذين يأكلون الربا أي: يُعاملون به، فنبه بالأكل على غيره ﴿لا يقومون﴾ من قبورهم يوم القيامة ﴿إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان﴾ يصيبه بجنون ﴿من المس﴾ من الجنون، وذلك أن أكل الربا يُبعث يوم القيامة مجنوناً^(١) ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الذي نزل بهم ﴿بأنهم﴾ قالوا إنما البيع مثل الربا وهو أن المشركين قالوا: الزيادة على رأس المال بعد محل الدين كالزيادة بالربح في أول البيع، فكذبهم الله تعالى فقال: ﴿وأحلَّ الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه﴾ أي: وعظ ﴿فانتهى﴾ عن أكل الربا ﴿فله ما سلف﴾ أي: ما أكل من الربا، ليس عليه ردُّ ما أخذ قبل النهي ﴿وأمره إلى الله﴾ والله ولي أمره ﴿ومن عاد﴾ إلى استحلال الربا ﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

﴿٢٧٦﴾ يمحَقُّ الله الربا أي: ينقصه ويذهب بركته وإن كان كثيراً، كما يمحَقُّ القمر ﴿ويربي الصدقات﴾ يربِّيها لصاحبها كما يُربِّي أحدكم فصيله ﴿والله لا يحبُّ كل كفار﴾ بتحريم الربا مستحلَّ له ﴿أثيم﴾ فاجر بأكله [مُصِرٌّ عليه]^(٢).

(١) الحديث عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لَا تَغْفِرُ، فَمَنْ غَلَّ شَيْئاً أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَكَلَ الرِّبَا، فَمَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُجْنُوناً يَتَخَبَّطُ، ثُمَّ قُرَأَ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾. أخرجه الطبراني. انظر الدر المنثور ١٠٣/٢. وأخرجه ابن جرير ١٠٢/٢ عن سعيد بن جبَّير ولم يرفعه.

(٢) زيادة من ظ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى

﴿٢٧٨﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذرُوا ما بقي من الربا ﴿٢٧٨﴾ نزلت في العباس (١) وعثمان رضي الله عنهما طلبا رباً لهما كانا قد أسلفا قبل نزول التَّحريم، فلمَّا نزلت هذه الآية سمعا وأطاعا، وأخذوا رؤوس أموالهما، ومعنى الآية: تحريم ما بقي ديناً من الربا، وإيجاب أخذ رأس المال دون الزيادة على جهة الربا، وقوله: ﴿إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أي: إِنَّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا فهذا حكمه.

﴿٢٧٩﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴿٢٧٩﴾ فَإِن لَّمْ تَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴿فَأْذَنُوا﴾ فاعلموا ﴿بحرب من الله ورسوله﴾ أي: فأيقنوا أَنَّكم في امتناعكم من وضع ذلك حربٌ لله ورسوله ﴿وإن تبتم﴾ عن الربا ﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾ بطلب الزيادة ﴿ولا تظلمون﴾ بالتقصان عن رأس المال.

﴿٢٨٠﴾ وَإِن كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ ﴿٢٨٠﴾ أي: وإن وقع غريم ذو عُسْرَةٍ ﴿فَنَظِرَةٌ﴾ أي: فعليكم نظرة، أي: تأخير ﴿إلى ميسرة﴾ إلى غنى ووجود المال ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا﴾ على المعسرين برأس المال ﴿خير لكم﴾.

﴿٢٨١﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴿٢٨١﴾ يعني: يوم القيامة تُرَدُّونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴿ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾ أي: جزاء ما كسبت من الأعمال ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون شيئاً، فلمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الرِّبَا أَباح السَّلَمَ فقال:

﴿٢٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٢٨٢﴾ أي: تبايعتم بدين

فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي
عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا
شَهِيدَيْنِ مِنْ

﴿فاكتبوه﴾ أمر الله تعالى في الحقوق المؤجلة بالكتابة والإشهاد في قوله:
﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ حفظاً منه للأموال ثم نسخ ذلك بقوله^(١): ﴿فإن أمن
بعضكم بعضاً...﴾ الآية. ﴿وليكتب بينكم﴾ بين المستدين والمدين ﴿كاتب
بالعدل﴾ بالحق والإنصاف، ولا يزيد في المال والأجل ولا ينقص منهما:
﴿ولا يأب كاتب أن يكتب﴾ أي: لا يمتنع من ذلك إذا أمر، وكانت هذه عزيمة
من الله واجبة على الكاتب والشاهد، فنسخها قوله^(٢): ﴿ولا يضار كاتب ولا
شاهد﴾ ثم قال: ﴿كما علمه الله فليكتب﴾ أي: كما فضله الله بالكتابة ﴿وليمل
الذي عليه الحق﴾ أي: الذي عليه الدين يملئ؛ لأنه المشهود عليه فيقرأ على نفسه
بلسانه ليعلم ما عليه ﴿ولا يبخس منه شيئاً﴾ أمر أن يقرأ بمبلغ المال من غير نقصان
﴿فإن كان الذي عليه الحق﴾ [أي: الدين]^(٣) ﴿سفيهاً﴾ طفلاً ﴿أو ضعيفاً﴾ عاجزاً
أحمق ﴿أو لا يستطيع أن يملّ هو﴾ لخرس أو لعيي ﴿فليملّ وليه﴾ وارثه أو من
يقوم مقامه ﴿بالعدل﴾ بالصدق والحق ﴿واستشهدوا﴾ وأشهدوا ﴿شهادتين من

(١) وممن قال هذا من الصحابة أبو سعيد الخدري، فقد أخرج النحاس عنه في ناسخه ص ١٠١ أنه
تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تدايتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ إلى: ﴿فإن أمن بعضكم
بعضاً فليؤد الذي أؤتمن أمانته﴾ قال: نسخت هذه الآية ما قبلها.
وهذا قول الحسن والحكم وعبد الرحمن بن زيد. وقال بعضهم: هذا الأمر للنذب
والاستحباب.

(٢) والقول بأنها منسوخة هو قول الضحاك. وقال ابن العربي: والصحيح أنه أمر إرشاد، فلا
يكتب حتى يأخذ حقه، أحكام القرآن ١/٢٤٨.

(٣) زيادة من ظ.

رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَاتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقٌ بِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٨٧﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ

رجالكم ﴿أي: من أهل ملتكم من الأحرار البالغين، وقوله: ﴿ممن ترضون من الشهداء﴾ أي: من أهل الفضل والدين ﴿أن تضل أحدهما﴾ تنسى أحدهما ﴿فتذكر أحدهما الأخرى﴾ الشهادة ﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾ لتحمل الشهادة وأدائها ﴿ولا تسمأوا أن تكتبوه﴾ لا يمنعكم الضجر والملالة أن تكتبوا ما أشهدتم عليه من الحق ﴿صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾ إلى أجل الحق ﴿ذلكم﴾ أي: الكتابة ﴿أقسط﴾ أعدل ﴿عند الله﴾ في حكمه ﴿واقوم﴾ أبلغ في الاستقامة ﴿لِلشهادة﴾ لأنَّ الكتاب يُذكر الشهود، فتكون شهادتهم أقوم ﴿وأدنىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ أي: أقرب إلى أن لا تشكوا في مبلغ الحق والأجل ﴿إلَّا أن تكون﴾ تقع ﴿تجارة حاضرة﴾ أي: متجر فيه حاضر من العروض وغيرها ممَّا يتقابض، وهو معنى قوله: ﴿تدبرونها بينكم﴾ وذلك أنَّ ما يُخاف في النساء والتأجيل يؤمن في البيع يداً بيد، وذلك قوله: ﴿فليس عليكم جناحٌ أَلَّا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ قد ذكرنا أنَّ هذا منسوخ الحكم فلا يجب ذلك ﴿ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد﴾ نهى الله تعالى الكاتب والشاهد عن الضرار، وهو أن يزيد الكاتب أو ينقص أو يحرف، وأن يشهد الشاهد بما لم يُستشهد عليه، أو يمتنع من إقامة الشهادة ﴿وإن تفعلوا﴾ شيئاً من هذا ﴿فإنه فسوق بكم﴾.

﴿٧٨٧﴾ ﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً...﴾ الآية، أمر الله تعالى عند عدم الكاتب بأخذ الرهن ليكون وثيقة بالأموال، وذلك قوله: ﴿فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ أي: فالوثيقة

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ إِيَّائِمَّ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ

رهنٌ مقبوضة ﴿فإن آمن بعضكم بعضاً﴾ أي: لم يخف خيانتة وجحوده الحق ﴿فليؤد الذي أؤتمن﴾ أي: أمن عليه ﴿أمانته وليتق الله ربه﴾ بأداء الأمانة ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿ومن يكتمها فإنه إثمٌ﴾ فاجرٌ ﴿قلبه﴾.

﴿اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً، فهو مالك أعيانه ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ لما نزل هذا جاء ناس من الصحابة إلى النبي ﷺ فقالوا: كُلفنا من العمل ما لا نطيع، إن أحدنا ليحدث نفسه بما لا يحب أن يثبت في قلبه، فنحن نحاسب بذلك^(١)؟ فقال النبي: فلعلكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا، وقولوا: سمعنا وأطعنا فقالوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله تعالى الفرج بقوله: ﴿لا يكلف الله نفساً إلأً وسعها﴾ فنسخت هذه الآية ما قبلها^(٢)، وقيل: إن هذا في كتمان الشهادة وإقامتها، ومعنى قوله: ﴿يحاسبكم به الله﴾ يخبركم به ويُعرفكم إيَّاه.

﴿آمن الرسول...﴾ الآية، لما ذكر الله تعالى في هذه السورة الأحكام والحدود، وقصص الأنبياء وآيات قدرته، ختم السورة بذكر تصديق نبيّه عليه السَّلام

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم ١٢٦؛ وأحمد ٢٣٣/١؛ والترمذي في التفسير؛ عارضة الأحوزي ١١٣/١١؛ والطبري ٩٥/٣.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عمر قال في الآية: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها. فتح الباري ٢٠٧/٨؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٤.

لَا نَفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦٓ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦٓ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

والمؤمنين بجميع ذلك، ﴿لا نفرق بين أحد﴾ أي: يقولون: لا نفرق بين أحد من رسله كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض الرُّسل وكفروا ببعض، بل نجتمع بينهم في الإيمان بهم ﴿وقالوا سمعنا﴾ قوله ﴿وأطعنا﴾ أمره ﴿غفرانك﴾ أي: اغفر غفرانك.

﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ ذكرنا أنَّ هذه الآية نسخت ما شكاه المؤمنون من المحاسبة بالوسوسة وحديث النَّفس ﴿لها ما كسبت﴾ [من العمل بالطاعة]^(١) ﴿وعليها ما اكتسبت﴾ [من العمل بالإثم]^(٢) أي: لا يُؤَاخِذُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ غَيْرِهِ ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ أي: قولوا ذلك على التَّعليم للدُّعاء، ومعناه: لا تعاقبنا إن نسينا. كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً ممَّا شرع لهم عَجَّلَتْ لهم العقوبة بذلك، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك ﴿أو أخطأنا﴾ تركنا الصَّواب: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أي: ثِقَلًا، والمعنى: لا تحمل علينا أمراً يثقل ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ نحو ما أمر به بنو إسرائيل من الأثقال التي كانت عليهم ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أي: لا تعذبنا بالنَّار ﴿وأنت مولانا﴾ [ناصرنا]^(٣) والذي تلي علينا أمورنا ﴿فانصُرنا على القوم الكافرين﴾ في إقامة حُجَّتِنَا وغلَبَتِنَا إيَّاهم في حربِهِ، وسائر أمورهم حتَّى يظهر ديننا على الدِّين كلَّهِ كما وعدتنا.

[والله أعلم]^(٤)

(٣) زيادة من ظ، و ظا.

(٤) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

سُورَةُ الْاَعْمُرَانِ

[مدنية، وهي مائتا آية لا اختلاف في جملتها] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَم ۝ (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ (٣) مِن قَبْلُ هَدَى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ۝ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ (٦)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الْعَم﴾.

﴿٢﴾ ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾.

﴿٣﴾ ﴿نزل عليك الكتاب﴾ أي: القرآن ﴿بالحق﴾ بالصدق في إخباره ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ موافقاً لما تقدّم الخبر به في سائر الكتب ﴿وأنزل التوراة والإنجيل﴾.

﴿٤﴾ ﴿من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾ ما فرق به بين الحق والباطل. يعني: جميع الكتب التي أنزلها. ﴿إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذابٌ شديدٌ والله عزيز ذو انتقام﴾ ذو عقوبة.

﴿٥﴾ ﴿هو الذي يصوركم﴾ يجعلكم على صورٍ في أرحام الأمّهات ﴿كيف يشاء﴾ ذكراً وأنثى، قصيراً وطويلاً، وأسود وأبيض.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَةٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾ وهنَّ الثلاث الآيات في آخر سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أتْلُ إلى آخر الآيات الثلاث^(١). ﴿هنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ هنَّ أُمُّ كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ، فِيهِنَّ كُلُّ مَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ الَّذِي يُعْمَلُ عَلَيْهِ ﴿وَأُخَرُ﴾ أَيُّ: آيَاتٌ أُخَرُ ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ يَرِيدُ: الَّتِي تَشَابَهَتْ عَلَى الْيَهُودِ، وَهِيَ حُرُوفُ التَّهْجِي فِي أَوَائِلِ السُّورِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ أَوَّلُوهَا عَلَى حِسَابِ الْجُمْلِ، وَطَلَبُوا أَنْ يَسْتَخْرِجُوا مِنْهَا مَدَّةَ بَقَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَاخْتَلَطَ عَلَيْهِمْ وَاشْتَبَهَ. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ الَّذِينَ طَلَبُوا عِلْمَ أَجْلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ مِنَ الْكِتَابِ. يَعْنِي: حُرُوفُ التَّهْجِي ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طَلَبَ اللَّبْسِ لِيُضِلُّوا بِهِ جُهَاْلَهُمْ ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ طَلَبَ أَجْلِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ. ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ يَرِيدُ: مَا يَعْلَمُ انْقِضَاءَ مَلِكِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَّا اللَّهُ؛ لِأَنَّ انْقِضَاءَ مَلِكِهِمْ مَعَ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَلَا يَعْلَمُ ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أَيُّ: الثَّابِتُونَ فِيهِ. يَعْنِي: عُلَمَاءُ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أَيُّ: بِالْمُتَشَابَهَةِ ﴿كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ الْمَحْكَمِ

(١) الآيات: ﴿قل تعالوا أتْل ما حَرَّمَ رَبِّكُمْ عَلَيْكُمْ، أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَا تُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا، ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ، ذَلِكَمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الآيات ١٥١ - ١٥٣].

وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ

والمتشابهه، وما علمناه، وما لم نعلمه ﴿وما يذكر إلا أولوا الأبواب﴾ ما يتعظ بالقرآن إلا ذوو العقول.

﴿ربنا﴾ أي: ويقول الراسخون في العلم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ لا تملها عن الهدى والقصد كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ ﴿بعد إذ هديتنا﴾ للإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك.

﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ حاشرهم ﴿ليوم﴾ الجزاء في يوم ﴿لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد﴾ للبعث والجزاء.

﴿إن الذين كفروا﴾ يعني: يهود قريظة والنضير ﴿لن تغني عنهم﴾ [أي: لن تنفع و] ﴿لن تدفع عنهم﴾ ﴿أموالهم﴾ ﴿ولا أولادهم﴾ يعني: التي يتفاخرون بها ﴿من الله﴾ من عذاب الله ﴿شيئاً وأولئك هم وقود النار﴾ هم الذين توقد بهم النار.

﴿كذاب آل فرعون﴾ كصنيع آل فرعون وفعلهم في الكفر والتكذيب كفرت اليهود بمحمد ﷺ.

﴿قل للذين كفروا﴾ يعني: يهود المدينة ومشركي مكة ﴿ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ بئس ما مهد لكم.

﴿قد كان لكم آية﴾ علامة تدل على صدق محمد عليه السلام ﴿في فئتين﴾ يعني:

الْتَقَتَا فِتْنَةً تَقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي

المسلمين والمشركين ﴿التقنا﴾ اجتمعنا يوم بدرٍ للقتال ﴿فتنة تقاتل في سبيل الله﴾ وهم المسلمون ﴿وأخرى كافرة يرونهم مثلهم﴾ وهم كانوا ثلاثة أمثالهم، ولكن الله تعالى قللهم في أعينهم، وأراهم على قدر ما أعلمهم أنهم يغلبونهم لتقوى قلوبهم، وذلك أن الله عز وجل كان قد أعلم المسلمين أن المائة منهم تغلب المائتين من الكفار^(١) ﴿رأى العين﴾ أي: من حيث يقع عليهم البصر ﴿والله يؤيد﴾ يقوي ﴿بنصره﴾ بالغلبة والحجة من يشاء ﴿إن في ذلك لعلبة﴾ وهي الآية التي يُعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم ﴿لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ جمع الشهوة، وهي تَوَقَّانُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ ﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ﴾ الأموال الكثيرة المجموعة ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ الراعية، وقيل: المُعْلَمَةُ كالبلق وذوات الشِّبَاتِ، وقيل: الحسان. والخيـل: الأفراس ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿وَالْحَرْثِ﴾ وهو ما يُزْرَع ويغرس^(٢)، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مَتَاعُ الدُّنْيَا، وَهِيَ فَانِيَةٌ زَائِلَةٌ ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَبَاقِ﴾ المرجع، ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا أَعَدَّه لِأَوْلِيَائِهِ فَقَالَ:

﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ﴾ الذي ذكرت ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا، فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٦].

(٢) زيادة من ظا.

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ
 بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾
 الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِيتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ
 اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
 الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْكَتَبَ إِلَّا مِنْ
 بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْوَعْدُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد.

﴿١٧﴾ الصابرين ﴿على دينهم وعلى ما أصابهم﴾ والصادقين ﴿في نياتهم﴾ والقانتين ﴿المطيعين لله﴾ والمنفقين ﴿من الحلال في طاعة الله﴾ والمستغفرين بالأسحار ﴿المُصلِّين صلاة الصُّبح﴾. قيل: نزلت في المهاجرين والأنصار.

﴿١٨﴾ شهد الله ﴿بيّن وأظهر بما نصب من الأدلة على توحيده﴾ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ والملائكة ﴿أَي: وشهدت الملائكة، بمعنى: أقرت بتوحيد الله﴾ وأولوا العلم ﴿هم الأنبياء والعلماء من مؤمني أهل الكتاب والمسلمين﴾ قائماً بالقسط ﴿أَي: قائماً بالعدل، يُجري التدبير على الاستقامة في جميع الأمور﴾.

﴿١٩﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿افتخر المشركون بأديانهم، فقال كلُّ فريق: لا دين إلا ديننا، وهو دين الله، فنزلت هذه الآية وكذبهم الله تعالى فقال:﴾ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴿الذي جاء به مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ وما اختلف الذين أُوتوا الكتاب ﴿أي: اليهود، لم يختلفوا في صدق نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ لما كانوا يجدونه في كتابهم﴾ إِلَّا مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴿يعني: النبي ﷺ، سُمِّيَ علماً لَأَنَّهُ كَانَ معلوماً عندهم بنعته وصفته قبل بعثه، فلما جاءهم اختلفوا فيه؛ فأمن به بعضهم وكفر الآخرون﴾ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴿طلباً للرئاسة وحسداً له على النبوة﴾ ومن يكفر بآيات الله فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿أي: المجازاة له على كفره﴾.

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسْلَمْتُ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

﴿٢٠﴾ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴿٢٠﴾ أي: جادلوك ﴿فقل أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ أي: أخلصت عملي لله وانقدت له ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ يعني: المهاجرين والأنصار ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ﴾ يعني: العرب ﴿أَسْلَمْتُمْ﴾ استفهامٌ معناه الأمر، أي: أسلموا، وقوله: ﴿عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ أي: التبليغ وليس عليك هداهم ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ أي: بمن آمن بك وصدقك، ومن كفر بك وكذَّبك، وكان هذا قبل أن أمر بالقتال.

﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴿٢١﴾ قد مضى تفسيره في سورة البقرة^(١)، وقوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ قال رسول الله ﷺ: [قتلت بنو إسرائيل ثلاثة وأربعين نبياً من أول النَّهَارِ في ساعةٍ واحدةٍ، فقام مائةٌ واثنا عشر رجلاً من عبَاد بني إسرائيل، فأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ونهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَقَتَلُوا جَمِيعاً مِنْ آخِرِ النَّهَارِ في ذلك اليوم، فهم الذين ذكَّروهم الله في هذه الآية]^(٢). وهؤلاء الذين كانوا في عصر النَّبِيِّ ﷺ كانوا يتولَّونهم، فهم داخلون في جملتهم.

﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴿٢٢﴾ بطلت أعمالهم التي يدعونها من التَّمَسُّكِ بِالتَّوْرَةِ، وإقامة شرع موسى عليه السَّلام ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ لأنَّها لم تحقن دماءهم وأموالهم ﴿وَفِي﴾ في الآخرة ﴿لأنَّهم لم يستحقوا بها ثواباً﴾.

(١) انظر ص ١١٠ عند آية ٦١ من سورة البقرة.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ٣/٢١٦؛ وابن أبي حاتم في تفسير سورة آل عمران ص ١٦١؛ وهو ضعيف فيه أبو الحسن مولى بني أسد، قال في الجرح والتعديل ٣٥٧/٩: مجهول.

وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمْسَنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ يعني: اليهود ﴿يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم﴾ وذلك أنَّهم أنكروا آية الرِّجْم من التَّوْرَةِ، وسألوا رسول الله ﷺ عن حدِّ المحصنين إذا زنيا، فحكم بالرِّجْم فقالوا: جُرَّتْ يا محمد، فقال: بيني وبينكم التَّوْرَةُ، ثُمَّ أَتُوا بَابَن صُورِيَا الْأَعُورَ فَقَرَأَ التَّوْرَةَ، فَلَمَّا أَتَى عَلَى آيَةِ الرِّجْم سَتَرَهَا بِكَفِّهِ، فَقَامَ ابْنُ سَلَامٍ فَرَفَعَ كَفَّهُ عَنْهَا، وَقَرَأَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ لذلِكَ غَضَباً شَدِيداً وَانصَرَفُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ (١). ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ يعني: العلماء والرؤساء ﴿وهم معرضون﴾.

﴿ذلِكَ﴾ أي: ذلك الإعراض عن حكمك بسبب اغترارهم حيث قالوا: ﴿لن تمسنا النار إلاَّ أياماً معدوداتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ افتراؤهم، وهو قوله: ﴿لن تمسنا النار﴾ وقد مضى هذا في سورة البقرة (٢).

﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ﴾ أي: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم ﴿ل﴾ جزء ﴿يَوْمٍ

(١) الحديث أخرجه البخاري في الحدود. فتح الباري ١٢/١٦٦؛ ومسلم برقم ٤٤٤٧.

قال ابن حجر: ونزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾.

وكذا ذكرها ابن جرير عند هذه الآية في المائدة. ٢٣٢/٦.

أبو داود في الحدود برقم ٤٤٤٦ - ٤٤٤٨.

وذكر أنَّ هذه القصة نزل بسببها قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْزِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مُوَاضِعِهِ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤١].

(٢) انظر ص ١١٥.

لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

لا ريب فيه ووفيت كل نفس جزاء ﴿ ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ بنقصان حسناتهم أو زيادة سيئاتهم.

﴿٢٦﴾ قل اللهم مالك الملك... الآية. لما فتح رسول الله ﷺ مكة، ووعده أمته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات، [الفارس والروم أعز وأمنع من أن يغلب على بلادهم] ^(١)، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٢)، وقوله: ﴿تؤتي الملك من تشاء﴾ محمداً وأصحابه ﴿وتنزع الملك ممن تشاء﴾ أبي جهل وصناديد قريش ﴿وتعز من تشاء﴾ المهاجرين والأنصار ﴿وتذل من تشاء﴾ أبا جهل وأصحابه حتى حُزَّت رؤوسهم وألقوا في القليب ﴿بيدك الخير﴾ أي: عز الدنيا والآخرة، وأراد: الخير والشر، فاكتمى بذكر الخير، لأن الرغبة إليه في فعل الخير بالعبد دون الشر.

﴿٢٧﴾ تولج الليل في النهار ﴿تدخل الليل في النهار﴾ أي: تجعل ما نقص من أحدهما زيادة في الآخر ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ تخرج الحيوان من الطُفَّة، وتخرج الطُفَّة من الحيوان، وتخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ بغير تقتير وتضييق.

﴿٢٨﴾ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴿أي: أنصاراً وأعواناً من

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٢٢/٣ عن قتادة مرسلاً، وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ١٧١؛

والمؤلف في الأسباب ص ١٣٢.

وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسُهُ
وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

غير المؤمنين وسواهم. نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يُباطنون اليهود^(١)، [أي: يآلفونهم]^(٢) ويوالونهم. ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الاتِّخَاذُ ﴿فليس من الله في شيء﴾ أي: من دين الله، أي: قد برىء من الله وفارق دينه، ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تَقَاةً﴾ [أي: تَقِيَّةً]^(٣) هذا في المؤمن إذا كان في قوم كفَّار، وخافهم على ماله ونفسه، فله أن يُخالفهم ويُداريهم باللسان، وقلبه مطمئن بالإيمان دفعاً عن نفسه. قال ابن عباس: يريد مداراة ظاهرة ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي: يُخَوِّفُكم الله على موالاة الكفار عذاب نفسه، [يريد: عذابه، وخصَّصه بنفسه تعظيماً له]^(٤). فلماً نهى عن ذلك خوفاً وحذراً عن إبطان موالاتهم، فقال:

﴿قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ بُدُّوا﴾ من ضمايركم في موالاتهم وتركها ﴿يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ إتماماً للتحذير؛ لأنَّه إذا كان لا يخفى عليه شيء فيهما، فكيف يخفى عليه الضمير؟ ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ تحذير من عقاب مَنْ لا يعجزه شيء.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٢٨/٣ بسند حسن عن ابن عباس قال: كان الحجاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفٍ من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبى أولئك النفر إلاً مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ١٨٨ بسندٍ منقطع، وانظر: أسباب النزول ص ١٣٤؛ ولباب النقول ص ٥٢.

(٢) زيادة من ظا.

(٣) زيادة من ظ.

(٤) زيادة من ظ.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا
بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾

﴿٣٠﴾ «يوم تجد كل نفس» أي: ويحذركم الله عذاب نفسه يوم تجد، أي: في ذلك
اليوم، وقوله: «ما عملت من خير محضراً» أي: جزاء ما عملت بما ترى من
الثواب «وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً» غاية بعيدة كما بين
المشرق والمغرب.

﴿٣١﴾ «قل» [أي: للكفار] ^(١) «إن كنتم تحبون الله». وقف النبي ﷺ على قريش وهم
يسجدون للأصنام، فقال: يا معشر قريش، واللّه لقد خالفتم ملّة أبيكم إبراهيم،
فقلت قريش: إنّما نعبد هذه حبّاً لله ليقربونا إلى الله، فأنزل الله تعالى ^(٢): «قل»
يا محمد «إن كنتم تحبون الله» وتعبدون الأصنام لتقربكم إليه «فاتبعوني يحببكم
الله» فأنا رسوله إليكم، وحبّته عليكم، ومعنى «محبة العبد لله سبحانه إرادته
طاعته وإيثاره أمره، ومعنى «محبة الله العبد إرادته لثوابه وعفوه عنه وإنعامه عليه.

﴿٣٢﴾ «قل أطيعوا الله والرسول فإن تولّوا» عن الطاعة «فإن الله لا يحب الكافرين»
لا يغفر لهم ولا يثني عليهم.

﴿٣٣﴾ «إن الله اصطفى آدم» بالثبوة والرّسالة «ونوحاً وآل إبراهيم» يعني: إسماعيل
وإسحاق ويعقوب والأسباط «وآل عمران» موسى وهارون «على العالمين» على
عالمي زمانهم.

(١) زيادة من ظ.

(٢) رواه جوير عن الضحاك عن ابن عباس. أسباب النزول ص ١٣٥.

قلت: وجوير، هو أبو القاسم البلخي، راوي التفسير، ضعيف جداً. الضعفاء الكبير ١/٢٠٥؛

وتقريب التهذيب ص ١٤٣.

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتَهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِؤُكُمْ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

﴿ذرية﴾ أي: اصطفى ذرية ﴿بعضها من بعض﴾ أي: من ولد بعض؛ لأن الجميع ذرية آدم، ثم ذرية نوح ﴿والله سميع﴾ لما تقوله الذرية المصطفاة ﴿عليم﴾ بما تضره، فلذلك فضلها على غيرها.

﴿إذ قالت امرأة عمران﴾ وهي حنة أم مريم: ﴿إني نذرت لك ما في بطني﴾ أي: أوجبْتُ على نفسي أن أجعل ما في بطني ﴿محراً﴾ عتيقاً خالصاً لله، خادماً للكنيسة، مفرغاً للعبادة ولخدمة الكنيسة، وكان على أولادهم فرضاً أن يطيعوهم في نذرهم، فتصدقت بولدها على بيت المقدس.

﴿فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى﴾ اعتذرت ممّا فعلت من النذر لما ولدت أنثى ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ في خدمة الكنيسة لما يلحقها من الحيض والنفاس ﴿وإني أعيذها بك﴾ أي: أمنعها وأجيرها ﴿من الشيطان الرجيم﴾ الملعون المطرود.

﴿فتقبلها ربها بقبول حسن﴾ أي: رضيها مكان المحرّر الذي نذرتة ﴿وأنبتها نباتاً حسناً﴾ في صلاح وعفة ومعرفة بالله وطاعة له ﴿وكفلها زكريا﴾ ضمن القيام بأمورها، فبنى لها محراباً في المسجد لا يرتقى إليه إلاّ بسلم، والمحراب: الغرفة، وهو قوله: ﴿كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً﴾ أي: فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء تأتيها به الملائكة من الجنة، فلما رأى زكريا ما أوتيت مريم من [فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف]

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمَحَارِبِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَنَّا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا

على خلاف مجرى العادة طمع في رزق الولد من العاقر على خلاف العادة، وذلك قوله :

﴿هنالك﴾ أي: عند ذلك ﴿دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك﴾ أي: من عندك ﴿ذرية طيبة﴾ أي: نسلاً مباركاً تقيّاً، فأجاب الله دعوته وبعث إليه الملائكة مبشرين، وهو قوله :

﴿فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله﴾ أي: مُصَدِّقاً بَعِيسَى أَنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، وَسُمِّيَ عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ حَدَّثَ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿كُنْ﴾ فَوَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ الْكَلِمَةِ؛ لِأَنَّهُ بَهَا كَانَ ﴿وسيداً﴾ وكرماً على ربّه ﴿وحصوراً﴾ وهو الذي لا يأتي النساء ولا أرب له فيهنّ.

﴿قال﴾ زكريا لما بُشِّرَ بالولد: ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾ أي: على أي حال يكون ذلك؟ أتردني إلى حال الشباب وامرأتي أم مع حال الكبر؟ ﴿وقد بلغني الكبر﴾ أي: بلغته؛ لأنه كان ذلك اليوم ابن عشرين ومائة سنة ﴿وامرأتي عاقر﴾ لا تلد، وكانت بنت ثمان وتسعين سنة. قيل له: ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك من الأمر، وهو هبة الولد على الكبر يفعل الله ما يشاء، فسبحان من لا يعجزه شيء، فلما بُشِّرَ بالولد سأل الله علامة يعرف بها وقت حمل امرأته، وذلك قوله :

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ فقال الله تعالى: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام﴾ جعل الله تعالى علامة حمل امرأته أن يُمسك لسانه فلا يقدر أن يكلم الناس ثلاثة أيام ﴿إلا رمزا﴾ أي: إيماءً بالشفّتين والحاجبين والعينين، وكان مع ذلك يقدر على

وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْرَيْمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَرْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُ أَفْلَهِمْ أَفَلَمْهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَأِكَةُ يَمْرَيْمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

التَّسْبِيح وذكر الله، وهو قوله: ﴿واذكر ربك كثيراً وسبح﴾ أي: وصل ﴿بالعشي﴾ وهو آخر النهار ﴿والإبكار﴾ ما بين طلوع الفجر إلى الضحى.

﴿٤٢﴾ وإذ قالت الملائكة أي: جبريل عليه السلام وحده: ﴿يا مريم إن الله اصطفاك﴾ أي: بما لطف لك حتى انقطعت إلى طاعته ﴿وطهرتك﴾ من ملامسة الرجال والحيض ﴿واصطفاك على نساء العالمين﴾ على عالمي زمانك.

﴿٤٣﴾ يا مريم اقنتي لربك قومي للصلاة بين يدي ربك، فقامت حتى سالت قدميها قِيحاً ﴿واسجدي واركعي﴾ أي: اتني بالركوع والسجود، والواو لا تقتضي الترتيب ﴿مع الراكعين﴾ أي: افعلي كفعالهم، وقال: ﴿مع الراكعين﴾ ولم يقل: مع الراكعات؛ لأنه أعم.

﴿٤٤﴾ ذلك أي: ما قصصنا عليك من حديث زكريا ومريم ﴿من أنباء الغيب﴾ أي: من أخباره ﴿نوحيه إليك﴾ أي: نلقيه ﴿وما كنت لديهم﴾ فتعرف ذلك ﴿إذ يلقون أعلامهم﴾ وذلك أن حنة لما ولدت مريم أتت بها سدة بيت المقدس، وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافس فيها الأخبار حتى اقتصروا عليها، فخرجت القرعة لزكريا، فذلك قوله: ﴿إذ يلقون أعلامهم﴾ أي: قداحهم التي كانوا يفترون بها لينظروا أيهم تجب له كفالة مريم.

﴿٤٥﴾ إذ قالت الملائكة يعني: جبريل عليه السلام: ﴿يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه﴾ يعني: عيسى عليه السلام؛ لأنه في ابتداء أمره كان كلمة من الله، وكوّن بكلمة منه، أي: من الله ﴿اسمه المسيح﴾ وهو معرب من مشيحا بالسريانية، لقب

عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا
وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا
يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّن
الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُنْخِ
الْمَوْتِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

لعيسى ثم فسّر وبين من هو فقال: ﴿عيسى ابن مريم وجهًا﴾ أي: ذا جاهٍ وشرفٍ
وقدرٍ ﴿في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ إلى ثواب الله وكرامته.

﴿٤٦﴾ ويكلم الناس في المهد ﴿صغيراً﴾ ﴿وكهلاً﴾ أي: يتكلم بالنبوة كهلاً. وقيل: بعد
نزوله من السماء ﴿ومن الصالحين﴾ يريد: مثل موسى ويعقوب وإسحاق وإبراهيم
عليهم السلام.

﴿٤٧﴾ قالت ﴿مريم متعجبة﴾: ﴿أنى يكون لى ولد﴾ من غير مسيس بشرٍ؟ ﴿قال كذلك
الله يخلق ما يشاء﴾ مثل ذلك من الأمر، وهو خلق الولد من غير مسيس بشرٍ،
أي: الأمر كما تقولين، ولكن الله ﴿إذا قضى أمراً﴾ ذكر في سورة البقرة^(١) [إلى
آخرها]^(٢).

﴿٤٨﴾ ويعلمه الكتاب ﴿أراد: الكتابة والخط﴾.

﴿٤٩﴾ وقوله: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ أي: ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿أنى﴾
أي: بأننى ﴿قد جئتكم بآية من ربكم﴾ وهي ﴿أنى أخلق﴾ أي: أقدر وأصور
﴿كهينة الطير﴾ كصورته ﴿وأبرىء الأكمه﴾ وهو الذي ولد أعمى ﴿والأبرص﴾
أي: الذي به وضح [أي: بياض]^(٣) ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ في غدوكم ﴿وما﴾

تَدْخِرُونَ فِي يَوْمِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ
 مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَنْقُضُوا
 اللَّهُ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَفِيعٌ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ
 عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ
 وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ
 الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا مِّمَّا كَرِهَ اللَّهُ

كم ﴿تدخرون﴾ لباقي يومكم.

﴿٥٠﴾ ﴿ومصدقاً﴾ أي: وجئتكم مُصَدِّقًا ﴿لما بين يدي﴾ أي: الكتاب الذي أنزل من
 قبلي ﴿ولأحلَّ لكم بعض الذي حرَّم عليكم﴾ ﴿أحلَّ لهم على لسان المسيح لحوم
 الإبل، والثُّرُوب^(١)، وأشياء من الطَّيْرِ، والحيتان ممَّا كان محرِّمًا في شريعة موسى
 عليه السَّلام ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ أي: ما كان معه من المعجزات الدَّالَّة على
 رسالته، ووَحَّدَ لَأَنَّهَا كُلُّهَا جنسٌ واحدٌ في الدَّلالة.

﴿٥٢﴾ ﴿فلما أحسَّ عيسى﴾ علم ورأى ﴿منهم الكفر﴾ وذلك أَنَّهُم أرادوا قتله حين
 دعاهم إلى الله تعالى، فاستنصر عليهم و ﴿قال مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ أي: مع الله،
 وفي ذات الله ﴿قال الحواريون﴾ وكانوا قَصَّارِينَ يَحَوِّرُونَ الثِّياب، أي: يُبَيِّضُونَهَا،
 آمَنُوا بِعِيسَى وَاتَّبَعُوهُ: ﴿نحن أنصار الله﴾ أنصار دينه ﴿آمنا بالله واشهد﴾ يا عيسى
 ﴿بأننا مسلمون﴾. وقوله:

﴿٥٣﴾ ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع الذين شهدوا للأنبياء بالصِّدْق، والمعنى: أثبت
 أسماءنا مع أسمائهم؛ لنفوز بمثل ما فازوا.

﴿٥٤﴾ ﴿ومكروا﴾ سعوا في قتله بالمكر ﴿ومكر الله﴾ جازاهم على مكْرهم بإلقاء شبه

(١) الثُّرُوب: جمع ثَرْب، وهو شحمٌ رقيقٌ يغشى الكرش والأمعاء. تهذيب اللغة ٧٩/١٥.

وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى

عيسى على مَنْ دَلَّ عليه حتى أخذ وصلب ﴿والله خير الماكرين﴾ أفضل المجازين بالسيئة العقوبة، لأنه لا أحد أقدر على ذلك منه.

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى﴾ والمعنى: ومكر الله إذ قال الله يا عيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: قابضك من غير موتٍ وافيًا تامًا، أي: لم ينالوا منك شيئاً ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي: إلى سمائي ومحل كرامتي، فجعل ذلك رفعاً إليه للتفخيم والتعظيم، كقوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾^(١) وإنما ذهب إلى الشَّام، والمعنى: إلى أمر ربِّي ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: مُخرجك من بينهم ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ وهم أهل الإسلام من هذه الأمة. اتَّبَعُوا دين المسيح وصدَّقوه بأنه رسول الله، فوالله ما اتَّبَعَهُ مَنْ دَعَاهُ رَبًّا ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالبرهان والحُجَّة والعزُّ والغلبة.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: ما تقدَّم من النَّبَأ عن عيسى ومريم عليهما السَّلَام ﴿نَتْلُوهُ عَلَيْكَ﴾ نخبرك به ﴿مِنَ الْآيَاتِ﴾ أي: العلامات الدَّالَّة على رسالتك؛ لأنها أخبارٌ عن أمورٍ لم يشاهدها ولم يقرأها من كتاب ﴿وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾ أي: القرآن المحكم من الباطل. وقيل: الحكيم: الحاكم، بمعنى المانع من الكفر والفساد.

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى...﴾ الآية. نزلت في وفد نجران حين قالوا للنبي ﷺ: هل

عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُخْذَلِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا

رَأَيْتَ وَلَدًا مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ؟ فَاحْتِجَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)، أَيُّ: إِنْ قِيَاسَ خُلِقَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ كَقِيَاسِ خُلِقَ آدَمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَلِ الشَّأْنُ فِيهِ أَعْجَبُ؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى، وَقَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: فِي الْإِنْشَاءِ وَالْخُلُقِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾ ثُمَّ اسْتَأْنَفَ خَبْرًا آخَرَ مِنْ قِصَّةِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ أَيُّ: قَالِبًا مِنْ تُرَابٍ ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بَشَرًا ﴿فَيَكُونُ﴾ بِمَعْنَى فَكَانَ.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَيُّ: الَّذِي أَنْبَأْتِكَ مِنْ خَبَرِ عِيسَى الْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ أَيُّ: مِنَ الشَّاكِّينَ. الْخَطَابُ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْمُرَادُ بِهِ نَهْيُ غَيْرِهِ عَنِ الشَّكِّ.

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾ خَاصَمَكَ ﴿فِيهِ﴾ فِي عِيسَى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا﴾ هَلُمُّوا ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ لَمَّا احْتِجَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّصَارَى مِنْ طَرِيقِ الْقِيَاسِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ...﴾ الْآيَةُ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْتِجَّ عَلَيْهِمْ مِنْ طَرِيقِ الْإِعْجَازِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَفَدَ نَجْرَانَ إِلَى الْمِبَاهِلَةِ، وَهِيَ الدُّعَاءُ عَلَى الظَّالِمِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ وَعَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَهُوَ يَقُولُ لَهُمْ: إِذَا أَنَا دَعَوْتُ فَأَمُّنُوا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا...﴾ الْآيَةُ^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ آلِ عِمْرَانَ ص ٣٠٧ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ جُرَيْرٍ ٢٩٥/٣ بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ. كِلَاهُمَا مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَطِيَّةِ الْعُوفِيِّ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَمِّهِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ. وَمُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ لِيَيْنَ الْحَدِيثِ. لِسَانُ الْمِيزَانِ ١٧٤/٥؛ وَأَبُوهُ سَعْدٌ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ. الْجَرَحُ وَالتَّعْدِيلُ ٤٨/٣.

(٢) حَدِيثُ الْمِبَاهِلَةِ هَذَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ٧٧٦/٢ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ مُرْسَلٍ عَنِ الْحَسَنِ، وَالْحَاكِمِ مَرْفُوعًا وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ. الْمُسْتَدْرَكُ ١٥٠/٣؛ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ آلِ عِمْرَانَ ص ٣١١؛ وَابْنُ جُرَيْرٍ ٣٠٠/٣.

وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلَ فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَتَاهِلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وقوله: ﴿وأنفسنا وأنفسكم﴾ يعني: بني العم ﴿ثم نبتهل﴾ نتضرع في الدُّعاء. وقيل: ندعو بالبهلة، وهي اللعنة، فندعو الله باللَّعنة على الكاذبين، فلم تُجبه النَّصارى إلى المباهلة خوفاً من اللَّعنة، وقيلوا الجزية.

﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي أوحيناه إليك ﴿لهو القصص الحق﴾ الخبر الصدق.

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عما أتيت به من البيان ﴿فإنَّ الله﴾ يعلم مَنْ يفسد من خلقه فيجزيه على ذلك.

﴿قل يا أهل الكتاب﴾ يعني: يهود المدينة، ونصارى نجران ﴿تعالوا إلى كلمة سواء﴾ معنى الكلمة: كلام فيه شرحُ قِصَّةِ ﴿سواء﴾ عدلٍ ﴿بيننا وبينكم﴾ ثم فسَّر الكلمة فقال: ﴿ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾ أي: لا نعبد معه غيره ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾ كما اتَّخذت النَّصارى عيسى، وبنو إسرائيل عُزيراً. وقيل: لا نطيع أحداً في معصية الله، كما قال الله في صفتهم لَمَّا أطاعوا في معصيته علماءهم: ﴿اتخذوا أحبارهم...﴾ الآية^(١). ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإجابة ﴿فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ مُقرِّون بالتَّوحيد.

(١) الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً﴾ [سورة التوبة: الآية ٣١].

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَكَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

﴿٦٥﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴿١﴾. نزلت ^(١) لَمَّا تنازعت اليهود والنصارى مع رسول الله ﷺ في إبراهيم عليه السَّلام، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلَّا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إلَّا نصرانيًّا، وقوله: ﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلَّا من بعده﴾ أي: إِنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة حدثتا بعد نزول الكتابين، وإنَّما نزلا بعد موته بزمانٍ طويلٍ. ﴿أفلا تعقلون﴾ فساد هذه الدَّعوى.

﴿٦٦﴾ هَا أَنْتُمْ ﴿٢﴾ أَيُّ: أَنْتُمْ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أَيُّ: يَا هَؤُلَاءِ ﴿حَاجَجْتُمْ﴾ جَادَلْتُمْ وَخَاصَمْتُمْ ﴿فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ يَعْنِي: مَا وَجَدُوهُ فِي كِتَابِهِمْ وَأُنْزِلَ عَلَيْهِمْ بَيَانُهُ وَقَصَّتْهُ ﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ مِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام، وَلَيْسَ فِي كِتَابِكُمْ أَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ شَأْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ حَالَهُ فَقَالَ:

﴿٦٧﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا... ﴿الآيَةُ﴾، ثُمَّ جَعَلَ الْمُسْلِمِينَ أَحَقَّ النَّاسِ بِهِ، فَقَالَ:

﴿٦٨﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ ﴿٣﴾ أَيُّ: أَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِ وَأَحَقُّهُمْ بِهِ ﴿لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ عَلَى دِينِهِ وَمِلَّتِهِ ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أَيُّ: فَهَمُ الَّذِينَ يَنْبَغِي أَنْ يَقُولُوا: إِنَّا عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام.

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٣/٣٠٥، وفيه محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت مجهول. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣١٩ عن مجاهد بسندٍ حسنٍ، وكذا ابن جرير ٣/٣٠٥ عن مجاهد.

وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾
يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَأْهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ
الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْنُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ
عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجِهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ

﴿٦٩﴾ وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ ﴿٦٩﴾ أراد اليهود أن يستزلُّوا المسلمين عن دينهم ويردُّوهم إلى الكفر، فنزلت هذه الآية. ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ لأن المؤمنين لا يقبلون قولهم، فيحصل الإثم عليهم بتمنيهم إضلال المؤمنين ﴿وما يشعرون﴾ أن هذا يضرُّهم ولا يضرُّ المؤمنين.

﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴿٧٠﴾ أي: بالقرآن ﴿وأنتم تشهدون﴾ بما يدلُّ على صحَّته من كتابكم؛ لأنَّ فيه نعتَ محمَّدٍ عليه السَّلام وذكره.

﴿٧١﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ ﴿٧١﴾ ذكر في سورة البقرة (١).

﴿٧٢﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... ﴿٧٢﴾ الآية. وذلك أنَّ جماعةً من اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمَّدٍ والقرآن في أوَّل النَّهار، وارجعوا عنه في آخر النَّهار؛ فإنَّه أحرى أن ينقلب أصحابه عن دينه ويشكُّوا إذا قلتم: نظرنا في كتابكم فوجدنا محمَّدًا ليس بذاك، فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام على سرِّ اليهود ومكرهم بهذه الآية (٢).

﴿٧٣﴾ وَلَا تَوْمِنُوا ﴿٧٣﴾ هذا حكايةٌ من كلام اليهود بعضهم لبعض. قالوا: لا تُصدِّقوا ولا تُقرُّوا بـ ﴿أَنْ يُوتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ من العلم والحكمة، والكتاب، والحجَّة، والمنِّ والسَّلوٰى، والفضائل والكرامات ﴿إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ اليهوديَّة وقام

(١) انظر ص ١٠٢.

(٢) وهذا قول السدي. انظر: ابن جرير ٣/٣١١؛ وتفسير ابن أبي حاتم لسورة آل عمران

ص ٣٣٧؛ وأسباب النزول ص ١٤٢.

قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ أَنْ يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٧﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

بشرائعه، وقوله: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ﴾ اعتراضٌ بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله تعالى، وليس من كلام اليهود، ومعناه: إِنَّ الدِّينَ دِينُ اللَّهِ، وقوله: ﴿أَوْ يُحَاجُّوكُمْ﴾ عطف على قوله: ﴿أَنْ يُؤْتَى﴾ والمعنى: ولا تؤمنوا بأن يحاجُّوكم عند ربكم؛ لأنكم أصحُّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجَّة عليكم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ أي: ما تفضَّل الله به عليك وعلى أُمَّتِكَ.

﴿٧٦﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴿بِدِينِهِ الْإِسْلَامَ﴾ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ ﴿عَلَى أَوْلِيَائِهِ الْعَظِيمِ﴾ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ فِي الْأَمَانَةِ وَالْخِيَانَةِ بِقَوْلِهِ:

﴿٧٧﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ ﴿يَعْنِي: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، أَوْدَعَ أَلْفًا وَمِائَتِي أَوْقِيَّةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَدَّى الْأَمَانَةَ فِيهِ إِلَى مَنْ أَيْتَمَنَهُ﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴿يَعْنِي: فَتْحَاصُ بْنُ عَازُورَاءَ، أَوْدَعَ دِينَارًا فَخَانَهُ﴾ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴿عَلَى رَأْسِهِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهُ، فَإِنْ أَنْظَرْتَهُ وَأَخَّرْتَهُ أَنْكَرَ﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أَي: الاستحلال والخيانة ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ يَقُولُونَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا﴾ فِيمَا أَصَبْنَا مِنْ أَمْوَالِ الْعَرَبِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُمْ مُشْرِكُونَ، فَلَا يُؤْتُونَ فِي هَذِهِ آيَةِ الْعَرَبِ كُلِّهِمْ، ثُمَّ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذَا، فَقَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ لِأَنَّهُمْ ادَّعَوْا أَنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِمْ وَكَذَّبُوا، فَإِنَّ الْأَمَانَةَ مُؤَدَّاةٌ فِي كُلِّ شَرِيعَةٍ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَبِيلٌ﴾ بِقَوْلِهِ:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ

﴿بلى﴾ أي: بلى عليهم سبيل [في ذلك] ^(١)، ثم ابتداء فقال: ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بعهده﴾ أي: بعهد الله الذي عهد إليه في التَّوْرَةِ من الإيمان بمحمدٍ عليه السَّلام والقرآن، وأدَّى الأمانة، واتَّقَى الكفر والخيانة، ونَقَضَ العهد ﴿فَإِنَّ الله يحب المتقين﴾ أي: مَنْ كان بهذه الصفة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نزلت في رجلين ^(٢) اختصما إلى النبي ﷺ في ضِيعَةٍ، فَهَمَّ المَدْعَى عليه أن يحلف، فنزلت هذه الآية فنكل [المُدْعَى عليه] ^(٣) عن اليمين وأقرَّ بالحقِّ، ومعنى ﴿يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون، ﴿بعهد الله﴾ بوصيته للمؤمنين أن لا يحلفوا كاذبين باسمه ﴿وأيماهم﴾ جميع اليمين، وهو الحلف ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدُّنْيَا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: لا نصيب لهم فيها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ بكلام يسرُّهم ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ بِالرَّحْمَةِ. وأكثر المفسرين على أَنَّ الآية نزلت في اليهود، وكتمانهم أمر محمد ﷺ وإيمانهم الذي بدَّلوه من صفة محمد عليه السَّلام هو الحقُّ في التَّوْرَةِ، والدَّلِيل على صِحَّة هذا قوله:

﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من اليهود ﴿لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ﴾ يحرفونه بالتَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ، والمعنى: يلوون ألسنتهم عن سنن الصَّواب بما يأتونه به من عند أنفسهم ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: لتحسبوا ما لووا ألسنتهم به ﴿مِنْ الْكِتَابِ﴾.

(١) زيادة من المخطوطات كلها عدا ع.

(٢) هما الأشعث بن قيس وصاحبه، والحديث أخرجه البخاري في التفسير ٢١٣/٨؛ ومسلم برقم ٢٢٠؛ وأبو داود برقم ٣٢٤٣؛ والنسائي في تفسيره ٣٠٠/١؛ وأحمد ٣٧٧/١.

(٣) زيادة من ظ وظا.

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِمْ وَلَتَنْصُرُنَّهُمْ

﴿٧٩﴾ ﴿ما كان لبشر...﴾ الآية. لَمَّا ادَّعَت اليهود أنهم على دين إبراهيم عليه السلام، وكذبهم الله تعالى غضبوا وقالوا: ما يرضيك ممَّا يا محمد إلَّا أَنْ تَتَّخِذَ رَبًّا، فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أَنْ نأمر بعبادة غير الله، ونزلت هذه الآية^(١). ﴿ما كان لبشر﴾ أن يجمع بين هذين: بين النبوة وبين دُعاء الخلق إلى عبادة غير الله ﴿ولكن﴾ يقول: ﴿كونوا ربانيين...﴾ الآية. أي: يقول: كونوا معلّمي الناس بعلمكم ودرسكم، علّموا النَّاسَ وبيّئوا لهم، وكذا كان يقول النَّبِيُّ ﷺ لليهود؛ لأنهم كانوا أهل كتاب يعلمون ما لا تعلمه العرب.

﴿٨٠﴾ ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ كما فعلت النَّصارى والصَّابئون ﴿أيامركم بالكفر﴾ استفهامٌ معناه الإنكار، أي: لا يفعل ذلك ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ بعد إسلامكم.

﴿٨١﴾ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب﴾ «ما» هنا للشرط، والمعنى: لأن آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة، ومهما آتيتكم ﴿ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم لتؤمننَّ به﴾ ويريد بميثاق النَّبِيِّينَ عهدهم ليشهدوا لمحمد عليه السلام أنه رسول الله ﷺ، وهو قوله: ﴿ثم جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم﴾ يريد محمداً ﴿لتؤمننَّ به ولتنصرنَّ﴾ أي: إن أدرتكموه ولم يبعث الله نبياً إلَّا أخذ عليه العهد في

(١) أخرجه ابن جرير ٣/٣٢٥ عن ابن عباس، عن أبي رافع القرظي. وفيه محمد بن أبي محمد مجهول. وانظر: أسباب النزول ص ١٤٦؛ ولباب النقول ص ٥٤.

قَالَ أَقَرَّرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقَرَّرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾
فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ
مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ
يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

محمّد عليه السّلام، وأمره بأن يأخذ العهد على قومه ليؤمننّ به، ولئن بُعث وهم
أحياء لينصرنّه، وهذا احتجاج على اليهود، وقوله: ﴿أقّرّتم﴾ أي: قال الله
للنبيّين: أقّرّتم بالإيمان به والنّصرة له ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أي: قبلتم
عهدي؟ ﴿قالوا أقّرّنا قال فاشهدوا﴾ أي: على أنفسكم وعلى أتباعكم ﴿وأنا
معكم من الشاهدين﴾ عليكم وعليهم.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض من ﴿بعد ذلك﴾ بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبي ﷺ
﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الإيمان.

﴿أَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بعد أخذ الميثاق عليهم بالتّصديق بمحمّد عليه السّلام
﴿وله أسلم مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ الملائكة والمسلمون ﴿وكرها﴾
الكفّار في وقت البأس ﴿وإليه يُرْجَعُونَ﴾ وعيد لهم، أي: أيّغون غير دين الله مع
أنّ مرجعهم إليه؟

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ﴾ أمّر النبي ﷺ أن يقول: آمنا بالله وبجميع الرّسل من غير تفرّق
بينهم في الإيمان كما فعلت اليهود والنّصارى، ونظير هذه الآية قد مضى في سورة
البقرة^(١).

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَكِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَرَاءُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَالَهُمْ مِنْ تَنْصِرِينَ ﴿٩١﴾

﴿كيف يهدي الله﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكار، أي: لا يهدي الله ﴿قوماً كفروا بعد إيمانهم﴾ أي: اليهود كانوا مؤمنين بمحمدٍ عليه السلام قبل مبعته، فلما بُعث كفروا به، وقوله: ﴿وشهدوا﴾ أي: وبعد أن شهدوا ﴿أنَّ الرسول حقٌّ وجاءهم البينات﴾ ما بيّن في التّوراة ﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ أي: لا يرشد مَنْ نقض عهود الله بظلم نفسه.

﴿أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله﴾ مثل هذه الآية ذكر في سورة البقرة^(١).

﴿إلا الذين تابوا من بعد ذلك﴾ أي: راجعوا الإيمان بالله وتصديق نبيّه ﴿وأصلحوا﴾ أعمالهم.

﴿إن الذين كفروا بعد إيمانهم﴾ وهم اليهود ﴿ثم ازدادوا كفراً﴾ بالإقامة على كفرهم ﴿لن تقبل توبتهم﴾ لأنهم لا يتوبون إلاّ عند حضور الموت، وتلك التّوبة لا تُقبل.

﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً﴾ وهو القدر الذي يملؤها. يقول: لو افتدى من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يُقبل منه.

لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ
كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا
بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾

الجزء الرابع:

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ﴾ [التقوى]. وقيل: [١] أي: الجَنَّةُ ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أي: تُخْرِجُوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ.

﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَضَ مَرَضاً شَدِيداً، فَذَرَّ لِسْنِ عَافَاهُ اللَّهُ تَعَالَى لِيَحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ إِلَيْهِ لِحَمَانُ الْإِبِلِ وَأَلْبَانُهَا، فَلَمَّا ادَّعَى النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ عَلِمَ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَتِ الْيَهُودُ: كَيْفَ وَأَنْتَ تَأْكُلُ لَحُومَ الْإِبِلِ وَأَلْبَانُهَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: كَانَ ذَلِكَ حَلَالاً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَادَّعَتِ الْيَهُودُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ حَرَاماً عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيباً لَهُمْ (٢)، وَبَيَّنَّ أَنَّ ابْتِدَاءَ هَذَا التَّحْرِيمِ لَمْ يَكُنْ فِي التَّوْرَةِ، إِنَّمَا كَانَ قَبْلَ نَزُولِهَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ...﴾ الآية.

﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: بِإِضَافَةِ هَذَا التَّحْرِيمِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى إِبْرَاهِيمَ فِي التَّوْرَةِ ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ مِنْ بَعْدِ ظُهُورِ الْحُجَّةِ بِأَنَّ التَّحْرِيمَ إِنَّمَا كَانَ مِنْ جِهَةِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أَنْفُسَهُمْ.

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه أحمد ٢٤٧/١؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢٤٦/٢؛ وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣٩٦؛ وابن جرير ٢/٤ عن ابن عباس.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤٢/٨: رجاله ثقات.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ
 لِلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا يُبَيِّنُ مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا
 وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَى سَبِيلٍ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ قُلْ
 يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَنْ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لِمَنْ
 تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبَعُونَهَا عَوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
 يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا

﴿١٥﴾ قل صدق الله ﴿ في هذا وفي جميع ما أخبر به .

﴿١٦﴾ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ يُحَجُّ إِلَيْهِ ﴾ ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ ﴿مَكَّةَ﴾ ﴿مُبَارَكًا﴾ كثير الخير،
 بأن جعل فيه وعنده البركة ﴿وهدى﴾ ﴿وذا هدى﴾ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلة صلاتهم،
 ودلالة على الله بما جعل عنده من الآيات.

﴿١٧﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ أي: المشاعر والمناسك كلها، ثم ذكر بعضها فقال: ﴿مَقَامَ
 إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: منها مقام إبراهيم ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ أي: مَنْ حَجَّه فدخله كان
 آمناً من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك. وقيل: من النَّار ﴿وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ
 الْبَيْتِ﴾ عَمَّ الإيجاب ثم خصَّ، وأبدل من النَّاس فقال: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ
 سَبِيلًا﴾ يعني: مَنْ قَوِيَ فِي نَفْسِهِ، فلا تلحقه المشقة في الكون على الرَّاحلة، فَمَنْ
 كان بهذه الصِّفة وملك الزَّاد والرَّاحلة وجب عليه الحج ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ جحد فرض
 الْحَجِّ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿١٩﴾ ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ﴾ كان صدُّهم عن سبيل الله
 بِالْكَذِبِ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّ صِفَتَهُ لَيْسَتْ فِي كِتَابِهِمْ ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون لها
 عِوَجًا بِالشُّبْهِه التي تلبسونها على سفلتكم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ بما في التَّوْرَةِ أَنَّ دِينَ
 الله الإسلام.

﴿١٥﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا...﴾ الآية. نزلت في الأوس والخزرج حين

مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفَرِينَ ﴿١٠١﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

أَغْرَى قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ بَيْنَهُمْ لِيُفْتَنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ^(١)، ثُمَّ خَاطَبَهُمْ فَقَالَ:

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ أَيُّ: عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ يَقَعُ مِنْكُمُ الْكُفْرُ وَآيَاتُ اللَّهِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ تَوْحِيدِهِ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ﴾ يَوْمنَ بِاللَّهِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وَهُوَ أَنْ يُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ^(٢)، فَلَمَّا نَزَلَ هَذَا قَالَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ: وَمَنْ يَقْوَىٰ عَلَىٰ هَذَا؟ وَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣) فَنَسَخَتْ الْأُولَىٰ^(٤) ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ أَيُّ: كُونُوا عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَاكُمُ الْمَوْتُ صَادَفَكُمْ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ نَهْيٌ عَنِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ.

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ أَيُّ: تَمَسَّكُوا بِدِينِ اللَّهِ، وَالْخَطَابُ لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ كَمَا كُنْتُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مُقْتَتِلِينَ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِ اللَّهِ ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ يَعْنِي: مَا كَانَ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مِنْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٤٣٨؛ وابن جرير ٢٥/٤ عن مجاهد؛ وانظر الأسباب ص ١٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ص ٤٤٦ عن عبد الله بن مسعود؛ والحاكم ٢٩٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي؛ والطبراني في الكبير ٨٣/٩؛ وابن المبارك في الزهد ص ٨؛ وابن جرير ٢٨/٤.

(٣) سورة التغابن: الآية ١٦.

(٤) وهذا قول قتادة، والربيع بن أنس، والسدي، وابن زيد. قال مكي القيسي: وأكثر العلماء على أنه محكم لا نسخ فيه، لأنَّ الأمر بتقوى الله لا ينسخ، والآيتان ترجعان إلى معنى واحد. انظر: تفسير ابن أبي حاتم لسورة آل عمران ص ٤٤٩؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٧؛ والإيضاح ص ٢٠٣؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٠.

فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾

الحرب إلى أن أَلَفَ الله بين قلوبهم بالإسلام، فزالَت تلك الأحقاد، وصاروا إخواناً متوآدين، فذلك قوله: ﴿فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ﴾ أي: طرف حفرة من النار لو متتم على ما كنتم عليه ﴿فَأَنْقَذَكُمْ﴾ فنَجَّاكم ﴿مِنْهَا﴾ بالإسلام وبمحمد عليه السلام ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا البيان الذي تُلي عليكم ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

﴿١٠٤﴾ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ... الآية. أي: وليكن كلُّكم كذلك، ودخلت «مِنْ» لتخصيص المخاطبين من غيرهم.

﴿١٠٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: إن اليهود اختلفوا بعد موسى، فصاروا فرقا، وكذلك النصارى.

﴿١٠٦﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ أي: وجوه المهاجرين والأنصار وَمَنْ آمَنَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ اليهود والنصارى وَمَنْ كَفَرَ بِهِ. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ فيقال لهم: ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ لأنهم شهدوا لمحمد عليه السلام بالنبوة، فلما قدم عليهم كذبوه وكفروا به.

﴿١٠٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ أي: جنَّته.

﴿١٠٨﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ أي: القرآن ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ نُبَيِّئُهَا ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالصِّدْقِ ﴿وَمَا اللَّهُ يَرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعاقبهم بلا جرم.

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١١٠﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١١﴾ لَنْ يَضُرُّكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴿١١٢﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُ وَبِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٣﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٤﴾

﴿١١٠﴾ ﴿كنتم خير أمة﴾ عند الله في اللوح المحفوظ. يعني: أمة محمد ﷺ ﴿أخرجت للناس﴾ أظهرت لهم، وما أخرج الله تعالى للناس أمة خيراً من أمة محمد عليه السلام، ثم مدحهم بما فيهم من الخصال فقال: ﴿تأمرون بالمعروف... الآية.﴾
﴿١١١﴾ ﴿لن يضروكم﴾ أي: اليهود ﴿إلا أذى﴾ إلا ضرراً يسيراً باللسان، مثل الوعيد والبهت ﴿وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار﴾ منهزمين. وعد الله نبيه والمؤمنين النصرة على اليهود، فصدق وعده فلم يقاتل يهود المدينة رسول الله ﷺ إلا أنهزموا.
﴿١١٢﴾ ﴿ضربت عليهم الذلة﴾ ذكرناه^(١) ﴿أينما تقفوا﴾ ووجدوا وضودفوا ﴿إلا بحبل من الله﴾ أي: لكن قد يعتصمون بالعهد [إذا أعطوه، والمعنى: أنهم أذلاء في كل مكان إلا أنهم يعتصمون بالعهد]^(٢)، والمراد: ﴿بحبل من الله وحبل من الناس﴾ العهد والذمة والأمان الذي يأخذونه من المؤمنين بإذن الله، وباقي الآية ذكر في سورة البقرة^(٣)، ثم أخبر أنهم غير متساوين في دينهم فقال:

﴿١١٣﴾ ﴿ليسوا سواء﴾ وأخبر أن منهم المؤمنين فقال: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة﴾ أي: على الحق ﴿يتلون﴾ يقرؤون ﴿آيات الله﴾ كتاب الله ﴿آناء الليل﴾ ساعاته. يعني: عبد الله بن سلام ومن آمن معه من أهل الكتاب ﴿وهم يسجدون﴾ أي: يصلون.

(٣) انظر ص ١١٠.

(١) انظر ص ١٠٩.

(٢) زيادة من ظ، وظا.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي
الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٥﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا
وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ
رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ
يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ
قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

﴿١١٥﴾ ﴿وما تفعلوا من خيرٍ فلن تكفروه﴾^(١) لن تجحدوا جزاءه.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ الآية. سبقت في أوّل هذه السورة^(٢).

﴿١١٧﴾ ﴿مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا﴾ يعني: نفقة سفلة اليهود على علمائهم
﴿كمثل ريح فيها صرٌّ﴾ بردٌ شديدٌ ﴿أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم﴾ بالكفر
والمعصية. أعلم الله تعالى أنّ ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الرّيح على هذا
الزّرع ﴿وما ظلمهم الله﴾ لأنّ كلّ ما فعله بخلقه فهو عدلٌ منه ﴿ولكن أنفسهم
يظلمون﴾ بالكفر والعصيان، ثمّ نهى المؤمنين عن مباطنتهم فقال:

﴿١١٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة﴾ أي: دخلاً وخواصّاً ﴿من دونكم﴾ من غير
أهل ملّتكم ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ أي: لا يدعون جهدهم في مضرتكم وفسادكم
﴿ودّوا ما عنتهم﴾ تمنّوا ضلالكم عن دينكم ﴿قد بدت البغضاء﴾ أي: ظهرت
العداوة ﴿من أفواههم﴾ بالشتيمة والوقية في المسلمين ﴿وما تخفي صدورهم﴾
من العداوة والخيانة ﴿أكبر قد بيّنا لكم الآيات﴾ أي: علامات اليهود في عداوتهم

(١) قرأ بالتاء في ﴿تفعلوا﴾ و﴿تكفروه﴾: نافع وابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة عن

عاصم، وأبو جعفر ويعقوب. راجع الإتحاف ٤٨٦/١.

(٢) انظر ص ٢٠٠.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَآأَنْتُمْ أَوَّلَآءُ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا يَعِظُكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا

﴿إِنْ كُنْتُمْ تعقلون﴾ موقع نفع البيان.

﴿ها أنتم﴾ ﴿ها﴾ تنبيهٌ دخل على «أنتم» ﴿أولاء﴾ بمعنى: الذين. كأنه قيل: الذين ﴿تحبُّونهم ولا يحبُّونكم﴾ أي: تريدون لهم الإسلام، وهم يريدونكم على الكفر ﴿وتؤمنون بالكتاب كله﴾ أي: بالكتب، وهو اسم جنس ﴿وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل﴾ أي: أطراف الأصابع ﴿من الغيظ﴾ التقدير: عضُّوا الأنامل من الغيظ عليكم، وذلك لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يدعو عليهم بدوام غيظهم إلى أن يموتوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من خيرٍ وشرٍ.

﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمُ حَسَنَةٌ﴾ نصرٌ وغبنةٌ ﴿تَسُؤْهُمْ﴾ تحزنهم ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمُ سَيِّئَةٌ﴾ ضد ذلك، وهو كسرٌ وهزيمةٌ ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا﴾ على ما تسمعون من آذاهم ﴿وتتقوا﴾ مقاربتهم ومخالطتهم ﴿لا يضرُّكم كيدهم﴾ عداوتهم ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿عالمٌ به فلن تعدموا جزاءه﴾.

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ﴾ يعني: يوم أحدٍ ﴿من أَهْلِكَ﴾ من منزل عائشة رضي الله عنها ﴿تُبَوِّئُ﴾ تُهيئُ للمؤمنين ﴿مقاعد﴾ مراكز ومثابت ﴿لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عليهم﴾ بما في قلوبكم.

﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ بنو سَلِمةَ وبنو حارثة^(١) ﴿أَنْ تَفْشَلَا﴾ أَنْ تَجْبَنَا، وذلك

(١) عن جابر بن عبد الله قال: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيهِمَا﴾، قال:

وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٨﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ ﴿١٢٩﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٣٠﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنُظْمِنَ

أَنْ هُؤْلَاءِ هُمُومًا بِالْإِنْصِرَافِ عَنِ الْحَرْبِ، فَعَصَمَهُمُ اللَّهُ ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ نَاصِرَهُمَا وَمَوَالٍ لَّهُمَا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلْ﴾ فليعتمد في الكفاية ﴿المؤمنون﴾.

﴿١٢٧﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴿بَقْلَةُ الْعَدَدِ وَقْلَةُ السَّلَاحِ﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿أَيُّ: فَاتَّقُونَ فَإِنَّهُ شَكَرَ نِعْمَتِي﴾.

﴿١٢٨﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿يَوْمَ بَدْرِ: ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدِّدَ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ﴾.﴾

﴿١٢٩﴾ ﴿بَلَىٰ﴾ تصديقٌ لوعده الله ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ عَلَى لِقَاءِ الْعَدُوِّ ﴿وَتَتَّقُوا﴾ مَعْصِيَةَ اللَّهِ وَمُخَالَفَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ﴾ قِيلَ: مِنْ وَجْهِهِمْ. وَقِيلَ: مِنْ غِيظِهِمْ ﴿١﴾ ﴿يُمَدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ مُعَلِّمِينَ، وَكَانَتْ الْمَلَائِكَةُ قَدْ سُوِّمَتْ يَوْمَ بَدْرِ بِالصُّوفِ الْأَبْيَضِ فِي نَوَاصِي الْخَيْلِ وَأُذُنَابِهَا ﴿٢﴾، ثُمَّ صَبَرَ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ بَدْرِ فَأَمَدَّوْا بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

﴿١٣٠﴾ ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَيُّ: ذَلِكَ الْإِمْدَادُ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ﴾ أَيُّ: بَشَارَةً لَكُمْ ﴿وَلِنُظْمِنَ

نحن الطائفتان، بنو حارثة وبنو سلمة، وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٣٢٥/٨ ومسلم في فضائل الأنصار برقم ٢٥٠٥؛ وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥١١، وابن جرير ٧٣/٤.

(١) زيادة من ظ.

(٢) وهذا قول علي بن أبي طالب. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥٢٥؛ وأخرجه ابن جرير ٨٣/٤ عن ابن عباس.

قُلُوبِكُمْ بِهِ وَمَا النُّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٨﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ

قلوبكم به ﴿ فلا تجزع من كثرة العدو ﴾ وما النصر إلا من عند الله ﴿ لأن من لم ينصره الله فهو مخدول وإن كثرت أنصاره .

﴿ ليقطع طرفاً ﴾ أي: نصركم ببدر [ليقطع طرفاً، أي: (١) ليهدم ركناً من أركان الشُّرك بالقتل والأسر ﴿ أو يكبتهم ﴾ أي: يخزيهم ويذلهم . يعني: الذين انهزموا . قوله :

﴿ ليس لك من الأمر شيء... ﴾ الآية . لما كان يوم أحد من المشركين ما كان من كسر رباعية النبي ﷺ وشجّه، فقال: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟! فأنزل الله تعالى هذه الآية (٢) يعلمه أن كثيراً منهم سيؤمنون، والمعنى: ليس لك من الأمر في عذابهم أو استصلاحهم شيء، حتى يقع إنابتهم أو تعذيبهم، وهو قوله: ﴿ أو يتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ فلما نفى الأمر عن نبيه عليه السلام ذكر أن جميع الأمر له، فمن شاء عذبه، ومن شاء غفر له، وهو قوله :

﴿ والله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ﴾ أي: الذنب العظيم للموحدين ﴿ ويعذب من يشاء ﴾ يريد: المشركين على الذنب الصَّغير ﴿ والله غفورٌ ﴾ لأوليائه ﴿ رحيمٌ ﴾ بهم .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا... ﴾ الآية . هو أنهم كانوا يزدون على المال

(١) زيادة من عا وظا .

(٢) الحديث أخرجه أحمد ٢٥٣/٣؛ والبخاري في المغازي . فتح الباري ٣٦٥/٧؛ ومسلم برقم ١٧٩١؛ والنسائي في تفسيره ٣٢٩/١؛ والترمذي في التفسير . عارضة الأحوذى ١٣٠/١١ .

لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

ويؤخرون الأجل، كلما أخر أجل إلى غيره زيد في المال زيادة ﴿لعلكم تفلحون﴾ لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

﴿واتقوا النار﴾ بتحريم الربا وترك الاستحلال له ﴿التي أعدت للكافرين﴾ دون المؤمنين.

﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ أي: الإسلام الذي يوجب المغفرة. وقيل: إلى التوبة. وقيل: إلى أداء الفرائض ﴿وجنة عرضها السموات والأرض أعدت لكل واحد من أولياء الله﴾.

﴿الذين ينفقون في السراء والضراء﴾ في اليسر والعسر، وكثرة المال وقلة ﴿والكاظمين الغيظ﴾ الكافين غضبهم عن إمضائه ﴿والعافين عن الناس﴾ أي: الممالك وعمّن ظلمهم وأساء إليهم ﴿والله يحب المحسنين﴾ الموحدن الذين فيهم هذه الخصال.

﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾ أي: الزنا. نزلت في نيهان التمار أته امرأة حسنة تتباع منه التمر، فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك فأتى النبي ﷺ وذكر ذلك له، فنزلت^(١) هذه الآية، وقوله: ﴿أو ظلموا أنفسهم﴾ يعني: ما دون الزنا

(١) ذكره المؤلف في الأسباب ص ١٥٦، عن ابن عباس.

وقال ابن حجر: ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وأخرجه عبد الغني بن سعيد الثقيفي في تفسيره عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولاً. ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسى هالكان. الإصابة ٥٠٥/١.

ذَكُرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهم وَجَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا

من قُبْلَةٍ، أو لمسية، أو نظير ﴿ذكروا الله﴾ أي: ذكروا عقاب الله ﴿ولم يصبروا﴾ أي: لم يقيموا ولم يدوموا ﴿على ما فعلوا﴾ بل أقرؤوا واستغفروا ﴿وهم يعلمون﴾ أن الذي أتوه حراماً ومعصية.

﴿١٣٧﴾ قد خلت من قبلكم سننٌ قد مضت مني فيمن كان قبلكم من الأمم الكافرة سننٌ بإمهالي إياهم، حتى يبلغوا الأجل الذي أجلته في إهلاكهم، وبقيت لهم آثارٌ في الدنيا فيها أعظم الاعتبار. ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة﴾ آخر أمر ﴿المُكْذِبِينَ﴾ منهم. نزلت في قصّة يوم أُحد. يقول الله: فأنا أمهلهم حتى يبلغ أجلي الذي أجلتُ في نصره النبي عليه السّلام وأوليائه، وإهلاك أعدائه.

﴿١٣٨﴾ هذا بيانٌ للناس ﴿أي: القرآن بيانٌ للناس عامّة﴾ وهدى وموعظة للمتقين خاصة وهم الذين هداهم الله بفضلِهِ.

﴿١٣٩﴾ ولا تهنوا ولا تضعفوا عن جهاد عدوكم بما نالكم من الهزيمة ﴿ولا تحزنوا﴾

قلت: وقد جاء عن علي رضي الله عنه قال: إني كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدّثني رجلٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدّقتُهُ، حدّثني أبو بكرٍ وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ما من رجلٍ يذنب ذنباً، ثم يقوم فيطهر، فيحسن الطهور، ثم يستغفر الله تبارك وتعالى إلّا غفر له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله...﴾ الآية]. أخرجه أحمد ٢/١، والنسائي في تفسيره ٣٣٠/١؛ وأبو داود بسندٍ حسنٍ برقم ١٥٢١؛ والترمذي في التفسير؛ العارضة ١٣٤/١١.

وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا
يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا
الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ

أَيُّ: على ما فاتكم من الغنيمة ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ أَيُّ: لكم تكون العاقبة بالنَّصْر
والظَّفَر ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ أَيُّ: إِنَّ الْإِيمَانَ يُوجِبُ مَا ذَكَرَ مِنْ تَرْكِ الْوَهْنِ وَالْحُزَنِ.

﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ ﴿قَرْحٌ﴾ يَصْبِكُمْ ﴿قَرْحٌ﴾ جَرَأٌ وَالْمَهَا يَوْمٌ أَحَدٌ ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ﴾
الْمَشْرِكِينَ ﴿قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾ يَوْمٌ بَدَرَ ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ أَيُّ: أَيَّامُ الدُّنْيَا ﴿نُدَاوِلُهَا﴾
نُصَرَّفُهَا ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ مَرَّةً لِفَرَقَةٍ وَمَرَّةً عَلَيْهَا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مُمَيِّزِينَ
بِالْإِيمَانِ عَنْ غَيْرِهِمْ. أَيُّ: إِنَّمَا نَجْعَلُ الدَّوْلَةَ لِلْكَفَّارِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيُمَيِّزَ الْمُؤْمِنُ
الْمَخْلَصُ مِمَّنْ يَرْتَدُّ عَنِ الدِّينِ إِذَا أَصَابَتْهُ نَكْبَةٌ، وَالْمَعْنَى: لِيَعْلَمَهُمْ مَشَاهِدَةً كَمَا
عَلِمَهُمْ غِيَاباً ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾ أَيُّ: لِيَكْرُمَ قَوْمًا بِالشَّهَادَةِ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
الظَّالِمِينَ﴾ أَيُّ: الْمَشْرِكِينَ، أَيُّ: إِنَّهُ إِنَّمَا يُدِيلُ الْمَشْرِكِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِمَا ذُكِرَ؛
لَا لِأَنَّهُ يُحِبُّهُمْ.

﴿١٤١﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أَيُّ: لِيَخْلُصَهُمْ مِنْ ذُنُوبِهِمْ بِمَا يَقَعُ عَلَيْهِمْ مِنْ قَتْلِ
وَجَرَحٍ وَذَهَابِ مَالٍ ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ يَسْتَأْصِلُهُمْ إِذَا أَدَالَ عَلَيْهِمْ. يَعْنِي: أَنَّهُ
يُدِيلُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِمَا ذُكِرَ، وَيُدِيلُ عَلَى الْكَافِرِينَ لِإِهْلَاكِهِمْ بِذُنُوبِهِمْ.

﴿١٤٢﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ﴾ بَلْ أَحْسَبْتُمْ، أَيُّ: لَا تَحْسَبُوا ﴿أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ...﴾
الْآيَةُ. أَيُّ: وَلَمَّا يَقَعِ الْعِلْمُ بِالْجِهَادِ مَعَ الْعِلْمِ بِصَبْرِ الصَّابِرِينَ، وَالْآيَةُ خُطَابٌ لِلَّذِينَ
انْهَزَمُوا يَوْمَ أُحُدٍ. قِيلَ لَهُمْ: أَحْسَبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ كَمَا دَخَلَ الَّذِينَ قُتِلُوا وَثَبَتُوا
عَلَى أَلْمِ الْجَرَحِ وَالضَّرْبِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَسْلُكُوا طَرِيقَهُمْ وَتَصْبِرُوا صَبْرَهُمْ؟!

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ يَوْمًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَيَقُولُونَ: لَنَفْعَلَنَّ

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٧﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِنَبَأًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا

ولنفعلنَّ، ثُمَّ انهزموا يوم أُحُدٍ، فاستحقُّوا العقاب^(١)، وقوله: ﴿من قبل أن تلقوه﴾ أي: من قبل يوم أُحُدٍ ﴿فقد رأيتموه﴾ رأيتم ما كنتم تتمنون من الموت، أي: رأيتم أسبابه [ولم تثبتوا مع نبيكم. نزلت في معاتبه الرسول إياهم، فقالوا: بلغنا أنك قد قُتِلْتَ لذلك انهزمنا. ﴿وأنتم تنظرون﴾^(٢)] وأنتم بُصراءُ تتأملون الحال في ذلك كيف هي، فَلِمَ انهزمتُم؟

﴿وما محمدٌ إلاَّ رسولٌ قد خلت من قبله الرسل﴾ أي: يموت كما مات الرُّسل قبله ﴿إفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ ارتددتم كفَّاراً بعد إيمانكم، وذلك لَمَّا نُعي رسول الله ﷺ يوم أُحُدٍ وأُشيع أنه قد قُتِلَ قال ناس من أهل النَّفاق للمؤمنين: إن كان محمد قد قُتِلَ فالحقوا بدينكم الأوَّل، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(٣). ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ أي: فإنما يضرُّ نفسه باستحقاق العذاب ﴿وسيجزي الله﴾ بما يستحقون من الثَّواب ﴿الشَّاكرين﴾ الطَّائعين لله من المهاجرين والأنصار، ثُمَّ عاتب المنهزمين بقوله:

﴿وما كان لنفس أن تموت﴾ أي: ما كانت نفسٌ لتموت ﴿إلاَّ بإذن الله﴾ بقضائه وقدره، كتب الله ذلك ﴿كتاباً مؤجَّلاً﴾ إلى أجله الذي قدَّر له، فَلِمَ انهزمتُم؟ والهزيمة لا تزيد في الحياة. ﴿ومن يرد﴾ بعمله وطاعته ﴿ثواب الدنيا﴾ زينتها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير آل عمران ص ٥٧٧؛ من طريق العوفي، وهو ضعيف، وأخرجه ابن جرير ١١١/٤ عن الحسن، ورجاله ثقات.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥٨٢؛ وابن جرير ١١٣/٤ عن ابن إسحاق بسندٍ حسن.

نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قُتِلَ
مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

وزخرفها ﴿نؤتيه منها﴾ نعطه منها ما قدرناه له، [أي: لهؤلاء المنهزمين طلباً للغنيمة]^(١)، ﴿ومن يرد ثواب الآخرة﴾ يعني: الذين ثبتوا حتى قتلوا ﴿نؤتيه منها﴾ ثم احتج على المنهزمين بقوله:

﴿وَكَايِن﴾ أي: وكم ﴿من نبي قتل﴾^(٢) في معركة ﴿معه ريتون كثير﴾ جماعات كثيرة ﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾ أي: ما ضعفوا بعد قتل نبيهم... الآية.

﴿وما كان قولهم﴾ أي: قول أصحاب ذلك النبي المقتول عند الحرب بعد قتل نبيهم ﴿إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا﴾ تجاوزنا ما حُدَّ لنا ﴿في أمرنا وثبَّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بالقوة من عندك والنصرة.

﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ النصر والظفر ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ الأجر والمغفرة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: اليهود والمشركين حيث قالوا لكم يوم أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم، وهو قوله: ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ يرجعوكم إلى أول أمركم من الشرك بالله.

﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ أي: فاستغنوا عن موالة الكفار، فإنا ناصركم فلا تستنصروهم،

(١) ما بين [] هو عبارة الأصل، وفي البواقي: يعني بهذا المنهزمين طلباً للغنيمة.

(٢) قرأ ﴿قُتِلَ﴾ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، والباقون ﴿قَاتِلَ﴾. الإتحاف ص ١٨٠.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥٦﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرَيْنَكُم مَّا تَحِبُّونَ ۖ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُم عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٧﴾

ولمَّا انصرف المشركون من أحدٍ همُّوا بالرجوع لاستئصال المسلمين، وخاف المسلمون ذلك فوعدهم الله تعالى خذلان أعدائهم بقوله:

﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ الخوف حتى لا يرجعوا إليكم ﴿بِمَا أَشْرَكُوا﴾ أي: بإشراكهم بالله ﴿مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً، أي: الأصنام التي يعبدونها مع الله بغير حجة ﴿وَمَاوَاهُم النَّارُ﴾ أي: مرجعهم النار ﴿وبئس مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ مقامهم.

﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بالنصر والظفر ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم﴾ تقتلون المشركين يوم أحدٍ في أوَّل الأمر ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بعلم الله وإرادته ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ جَبِثْتُمْ عن عدوكم ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختلفتم في الأمر. يعني: قول بعضهم: ما مقامنا وقد انهزم القوم الكافرون، وقول بعضهم: لا نجاوز أمر رسول الله ﷺ، وهذا الاختلاف كان بين الرِّمَّة الذين كانوا عند المركز ﴿وعصيتم﴾ الرِّسول بترك المركز ﴿من بعد ما أراكم ما تحبُّون﴾ من الظفر والنصر على أعدائكم ﴿منكم مَن يريد الدنيا﴾ وهم الذين تركوا المركز، وأقبلوا إلى الذَّهَب ﴿ومنكم مَن يريد الآخرة﴾ أي: الذين ثبتوا في المركز ﴿ثمَّ صَرَفَكُم﴾ ردَّكم بالهزيمة ﴿عنهم﴾ عن الكفَّار ﴿ليبتليكم﴾ ليختبركم بما جعل عليكم من الدَّبرة، فيتبيَّن الصَّابر من الجازع، والمخلص من المنافق ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ذنبكم بعصيان النبي ﷺ والهزيمة ﴿والله ذو فضلٍ على المؤمنين﴾ بالمغفرة.

﴿إِذْ تَصْعِدُونَ وَلَا تَكْلُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ فَأَتَيْتُكُم بِغَمٍّ لِّكَيْلٍ تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٦﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ

﴿١٥٦﴾ ﴿إِذْ تَصْعِدُونَ﴾ تَبْعِدُونَ فِي الْهَزِيمَةِ ﴿وَلَا تَكْلُونَ﴾ لَا تَقِيمُونَ ﴿عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَابِكُمْ﴾ مِنْ خَلْفِكُمْ يَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ [إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ] ^(١)، وَأَنْتُمْ لَا تَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِ ﴿فَأَتَايَكُمْ﴾ أَيُّ: جَعَلَ مَكَانَ مَا تَرْجِعُونَ مِنَ الثَّوَابِ ﴿غَمًّا﴾ وَهُوَ غَمُّ الْهَزِيمَةِ وَظَفَرُ الْمَشْرِكِينَ ﴿بِغَمٍّ﴾ أَيُّ: بِغَمِّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَصَيْتُمُوهُ ﴿لِكَيْلًا تَحْزَنُوا﴾ أَيُّ: عَفَا عَنْكُمْ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ مِنَ الْغَنِيمَةِ ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ مِنَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحِ.

﴿١٥٦﴾ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَةً نُّعَاسًا﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَافُوا كَرَّةَ الْمَشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا تَحْتَ الْحَجَفِ ^(٢) مُتَاهِبِينَ لِلْقِتَالِ، فَأَمَّتْهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَمَنًا يَنَامُونَ مَعَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ خَاصًّا لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ ﴿يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ﴾ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ. كَانَ هَمُّهُمْ خَلَاصَ أَنفُسِهِمْ ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ أَيُّ: يَظُنُّونَ أَنَّ أَمْرَ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُضْمَحَلٌّ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ أَيُّ: كَظَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿يَقُولُونَ: هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ لَيْسَ لَنَا مِنَ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ شَيْءٌ كَمَا وَعَدْنَا. يَقُولُونَ ذَلِكَ عَلَىٰ جِهَةِ التَّكْذِيبِ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ أَيُّ: النَّصْرُ وَالشَّهَادَةُ، وَالْقَدْرُ وَالْقَضَاءُ ﴿يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ مِنَ الشَّكِّ وَالنِّفَاقِ ﴿مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ أَيُّ: لَوْ كَانَ

(١) مَا بَيْنَ [] فِي الْأَصْلِ، وَهُوَ فِي الْبَوَاقِي. وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٣٣/٤ عَنْ قَتَادَةَ بِسَنَدٍ

حَسَنِ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِ آلِ عِمْرَانَ ص ٦١٠ عَنْ الْحَسَنِ.

(٢) الْحَجَفُ جَمْعُ حَجَفَةٍ. قَالَ الصَّاعِقَانِي فِي الْعِبَابِ: حَجَفٌ: يَقَالُ لِلرَّسُولِ إِذَا كَانَ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ: حَجَفَةٌ وَدَرَقَةٌ.

مَا قُتِلْنَا هَهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٩﴾ يَتَّيْنَهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٦٠﴾

الاختيار إلينا ﴿ما قتلنا ههنا﴾ يعنون: أنهم أخرجوا كرهاً، ولو كان الأمر بيدهم ما خرجوا، وهذا تكذيبٌ منهم بالقدر، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم﴾ مصارعهم، ولم يكن لينجيهم قعودهم ﴿وليبتلي الله ما في صدوركم﴾ أيها المنافقون، فعلَّ الله ما فعلَ يوم أُحُدٍ ﴿وليمحَّص﴾ ليظهر ويكشف ﴿ما في قلوبكم﴾ أيها المؤمنون من الرضا بقضاء الله ﴿والله عليمٌ بذات الصدور﴾ بضمائرها.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ أيها المؤمنون ﴿يوم التقى الجمعان﴾ أي: الذين انهزموا يوم أُحُدٍ ﴿إنما استزلَّهُمُ الشيطان﴾ حملهم على الزَّلَّةِ ﴿ببعض ما كسبوا﴾ يعني: معصيتهم للنبي ﷺ بترك المركز ﴿ولقد عفا الله عنهم﴾ تلك الخطيئة.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا﴾ أي: المنافقين ﴿وقالوا لإخوانهم﴾ أي: في شأن إخوانهم في النَّسَبِ ﴿إذا ضربوا في الأرض﴾ أي: سافروا فماتوا وهلكوا ﴿أو كانوا غُرًى﴾ جمع غازٍ، فقتلوا ﴿لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا﴾ تكديباً منهم بالقضاء والقدر ﴿ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم﴾ أي: ليجعل ظنَّهم أنهم لو لم يحضروا الحرب لاندفع عنهم القتل ﴿حسرة في قلوبهم﴾ ينهى المؤمنين أن يكونوا كهؤلاء الكفار في هذا القول منهم، ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم دون قلوب المؤمنين ﴿والله يحيي ويميت﴾ فليس يمنع الإنسان تحرُّره من إتيان أجله.

وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾
 وَلَيْنَ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا
 غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ
 فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ
 فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ

﴿١٥٧﴾ «ولئن قتلتم» [أي: والله لئن قتلتم] ^(١). «في سبيل الله» في الجهاد أيها
 المؤمنون «أو متتم» في سبيل الله ليغفرن لكم وهو «خير مما يجمعون» من
 أعراس الدنيا.

﴿١٥٨﴾ «ولئن متتم» مقيمين على الجهاد «أو قتلتم» مجاهدين «لإلى الله تحشرون» في
 الحالين.

﴿١٥٩﴾ «فبما رحمة من الله» أي: فبرحمة، أي: فبنعمة من الله وإحسان منه إليك «لنت
 لهم» يا محمد. أي: سهلت أخلاقك لهم، وكثر احتمالك لهم، «ولو كنت فظاً» غليظاً
 في القول «غليظ القلب» في الفعل «لأنفضوا» لتفرقوا «من حولك فاعف
 عنهم» فيما فعلوا يوم أحد «واستغفر لهم» حتى أشفعك فيهم «وشاورهم في
 الأمر» تطبيقاً لنفوسهم، ورفعاً من أقدارهم، ولتصير سنة «فإذا عزمْتَ» على
 ما تريد إمضاءه «فتوكل على الله» لا على المشاورة.

﴿١٦٠﴾ «إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ» مِنَ النَّاسِ «وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ» [يوم أحد] ^(١)
 لا ينصركم أحدٌ من بعده، والمعنى: لا تتركوا أمري للناس، وارضضوا الناس لأمرى.

﴿١٦١﴾ «وما كان لنبي أن يغُلَّ» أي: يخون بكتمان شيء من الغنيمة عن أصحابه. نزلت
 في قطيفة حمراء فُقدت يوم بدر ^(٢)، فقال الناس: لعلَّ النَّبِيَّ أخذها، فنفى الله

(١) زيادة من عا. (٢) زيادة من ظ.

(٣) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٦٣٧، وفيه خفيف، وهو
 سيئ الحفظ، وابن جرير ١٥٥/٤.

وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾
 أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ
 عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرُهُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
 أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
 قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا

تعالى عنه الغلول، ويُنَّ أنه ما غلَّ نبِيٌّ، والمعنى: ما كان لنبِيٍّ غلولٌ ﴿ومن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ﴾ حاملاً له على ظهره ﴿يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت﴾ أي: تُجازى ثواب عملها ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

﴿١٦٢﴾ ﴿أفمن اتَّبَعَ رضوان الله﴾ بالإيمان به والعمل بطاعته. يعني: المؤمنين ﴿كَمَنْ بَاءَ بسخطٍ من الله﴾ احتمله بالكفر به، والعمل بمعصيته، يعني: المنافقين.

﴿١٦٣﴾ ﴿هم درجاتٌ عند الله﴾ أي: أهل درجات عند الله. يريد أنَّهم مختلفو المنازل، فَلَمَنْ اتَّبَعَ رضوان الله الكرامة والثَّواب، وَلِمَنْ بَاءَ بسخطٍ من الله المهانة والعذاب ﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾ فيه حثٌّ على الطَّاعة، وتحذيرٌ عن المعصية.

﴿١٦٤﴾ ﴿لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ أي: واحداً منهم عُرِف أمره، وخبرُ صدقه وأمانته، ليس بملك ولا أحدٍ من غير بني آدم، وباقي الآية ذكر في سورة البقرة^(١). ﴿وإن كانوا من قَبْلُ﴾ [وقد كانوا]^(٢) من قبل بعثه ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾.

﴿١٦٥﴾ ﴿أولمَّا أصابتكم﴾ أو حين أصابتكم مصيبة. يعني: ما أصابهم يوم أحدٍ ﴿وقد أصبتم﴾ أنتم ﴿مِثْلَهَا﴾ يوم بدر، وذلك أنَّهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين، وقُتل

(١) انظر ص ١٣٩.

(٢) ما بين [] ليس في الأصل، وهو في البواقي.

قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَيَا ذِينَ اللَّهِ وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلْيَعْلَمْ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَْادِفْعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَا هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

منهم يوم أحد سبعون ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون، ورسول الله ﷺ فينا؟! ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: إنكم تركتم المركز وطلبتُم الغنيمة، فَمِنْ قِبَلِكُمْ جاءكم الشرُّ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من النَّصْر مع طاعتكم نبيكم، وترك النَّصْر مع مخالفتكم إِيَّاه.

﴿١٦٦﴾ ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ يوم أُحُدٍ ﴿فَيَا ذِينَ اللَّهِ﴾ بقضائه وقدره، يُسَلِّهِمْ بذلك ﴿وَلْيَعْلَمْ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ثابتين صابرين، ولْيَعْلَمْ المنافقين جازعين ممَّا نزل بهم. ﴿١٦٧﴾ ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ لعبد الله بن أبيِّ وأصحابه لَمَّا انصرفوا ذلك اليوم عن المؤمنين ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْادِفْعُوا﴾ عَنَّا القوم بتكثيركم سوادنا إِنْ لَمْ تَقَاتِلُوا ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَتَّبِعُنَاكُمْ﴾ أي: لو نعلم أنكم تقاتلون اليوم لا تَتَّبِعُنَاكُمْ، ولكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا بهذا لأنهم لو علموا ذلك ما اتَّبَعُوهم. قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ﴾ بما أظهروا من خذلان المؤمنين ﴿أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ لأنهم كانوا قبل ذلك أَقْرَبَ إِلَى الْإِيمَانِ بظاهر حالهم، فلمَّا خذلوا المؤمنين صاروا أَقْرَبَ إِلَى الْكَفْرِ مِنْ حَيْثُ الظَّاهِر.

﴿١٦٨﴾ ﴿الَّذِينَ قَالُوا﴾ يعني: المنافقين ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ لأمثالهم من أهل النَّفاق ﴿وَقَعَدُوا﴾ عن الجهاد، الواو للحال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ يعنون: شهداء أُحُدٍ في الانصراف عن النبي ﷺ والقيود ﴿مَا قُتِلُوا﴾ فردَّ الله تعالى عليهم وقال: ﴿قُلْ﴾ لهم يا مُحَمَّدُ ﴿فَادْرُؤُوا﴾ فادفعوا ﴿عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِنْ صَدَقْتُمْ أَنَّ الْحَذَرَ ينفع من القدر.

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ

﴿١٦٩﴾ «ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله» يعني: شهداء أحدٍ «أمواتاً بل أحياء» بل هم أحياء «عند ربهم» في دار كرامته؛ لأنَّ أرواحهم في أجواف طير خضرٍ. «يرزقون» يأكلون.

﴿١٧٠﴾ «فرحين» مسرورين «بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم» ويفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم يرجون لهم الشهادة، فينالون مثل ما نالوا «ألا خوفٌ عليهم» أي: بأن لا خوفٌ عليهم. يعني: على إخوانهم المؤمنين إذا لحقوا بهم.

﴿١٧١﴾ «الذين استجابوا لله والرسول» أجابوهما «من بعد ما أصابهم القرع» أي: الجراحات «للذين أحسنوا منهم» بطاعة الرسول واتَّقوا مخالفته «أجر عظيم» نزلت في الذين أطاعوا الرسول حين ندبهم للخروج في طلب أبي سفيان يوم أحدٍ، لَمَّا هَمَّ أبو سفيان بالانصراف إلى محمَّدٍ عليه السَّلام وأصحابه ليستأصلوهم.

﴿١٧٢﴾ «الذين قال لهم الناس...» الآية. كان أبو سفيان واعد رسول الله ﷺ أن يوافيه العام المقبل من يوم أحدٍ يَبْدُرُ الصُّغْرَى، فلَمَّا كان العام المقبل بعث نعيم بن مسعود الأشجعيَّ ليجبِّن المؤمنين عن لقائه^(١)، وهو قوله: «الذين» يعني:

(١) أخرجه ابن جرير ١٨٠/٤ عن السدي، والمؤلف في الأسباب ص ١٦٤ عن قتادة. وانظر فتح الباري ٢٢٩/٨.

قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ دِيَارِهِمْ فَأَتَىٰ خِيَابَ الْمَدِينَةِ فَبُذِلَ لَهَا مِنْ دُونِ الْمَكَّةِ الْأَنْزِلُ فَاسْتَقْبَلَتْهُمْ فَخَبَرَ عَنْهُمُ الْغِيَاثَ وَشَجَرَ الْبَلَاءِ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْعُرُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

المؤمنين ﴿قال لهم الناس﴾ يعني: نعيم بن مسعود ﴿إنَّ الناس﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿قد جمعوا﴾ [باللطيمة سوق مكة] ^(١) ﴿لكم فاخشوهم﴾ ولا تأتوهم ﴿فزادهم﴾ ذلك القول ﴿إيماناً﴾ أي: ثبوتاً في دينهم، وإقامة على نصرته نيّهم ﴿وقالوا حسبنا الله﴾ أي: الذي يكفيننا أمرهم هو الله ﴿ونعم الوكيل﴾ أي: الموكول إليه الأمر.

﴿فانقلبوا بنعمة من الله وفضل﴾ [ربح] ^(٢) وذلك أنّ رسول الله ﷺ خرج لذلك الموعد، فلم يلق أحداً من المشركين، ووافقوا السُّوق، وذلك أنّه كان موضع سوقٍ لهم، فاتّجروا وربحوا، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، وهو قوله: ﴿لم يمسسهم سوء﴾ أي: قتل ولا جراح ﴿واتبعوا رضوان الله﴾ [إلى بدر الصغرى في طاعته و] ^(٣) في طاعة رسوله. قوله:

﴿إنما ذلکم الشیطان یخوِّف أَوْلِیَاءَهُ﴾ أي: یخوِّفکم بأولیائِهِ. یعنی: الکفّار ﴿فلا تخافوهم وخافوا﴾ في ترك أمری ﴿إن کنتم مؤمنین﴾ مُصدّقین لوعدی.

﴿ولا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر﴾ أي: فی نصرته، وهم المنافقون والیهود والمشرکون ﴿إنّهم لن یضرّوا الله﴾ أي: أَوْلِیَاءَهُ ودينه ﴿شیئاً﴾ وإنّما یعود وبال ذلک علیهم، یرید الله ألا یجعل لهم حظّاً نصیباً ﴿فی الآخرة﴾ فی الجَنَّةِ.

(٣) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِيٰ مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَمَنُّوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخَلُوا

[﴿١٧٧﴾] ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الكفر بالإيمان﴾ أي: استبدلوا. كرّر ﴿لن يضرّوا الله شيئاً﴾ لأنّه ذكره في الأول على طريق العلة لما يجب من التّسليّة عن المسارعة إلى الضّلالة، وذكره في الثاني على طريق العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصي^(١).

﴿١٧٨﴾ ﴿ولا يحسبنّ الذين كفروا أنّما نُملي لهم﴾ أي: أنّ إملأنا - وهو الإمهال والتأخير - ﴿خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهم﴾ أي: نُطوّل أعمارهم ليزدادوا إثماً لمعاندتهم الحق، وخلافهم الرّسول. نزلت الآية في قومٍ من الكفّار علم الله تعالى أنّهم لا يؤمنون أبداً، وأنّ بقاءهم يزيدهم كفراً.

﴿١٧٩﴾ ﴿ما كان الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه﴾ أيّها المؤمنون من التّباس المنافق بالمؤمن ﴿حتىٰ يميز الخبيث من الطيب﴾ أي: المنافق من المؤمن، ففعل ذلك يوم أحد؛ لأنّ المنافقين أظهرُوا التّفاق بتخلّفهم ﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾ فتعرفوا المنافق من المؤمن قبل التّمييز ﴿ولكنّ الله﴾ يختار لمعرفة ذلك مَنْ يَشَاء من الرّسل، وكان محمّد ممّن اصطفاه الله بهذا العلم.

﴿١٨٠﴾ ﴿ولا يحسبنّ الذين يبخلون﴾ أي: بخل الذين يبخلون ﴿بما آتاهم الله من فضله﴾ بما يجب فيه من الزّكاة. نزلت في مانعي الزّكاة ﴿هو خيراً لهم﴾ أي: البخل خيراً لهم ﴿بل هو شرٌّ لهم﴾ لأنّهم يستحقّون بذلك عذاب الله ﴿سيطوقون ما بخلوا

بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨١﴾ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٢﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٨٣﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِينَا بَقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٤﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ

به يوم القيامة ﴿وهو أنه يجعل ما يخل به من المال حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه إلى قدمه﴾ ﴿والله ميراث السموات والأرض﴾ أي: إنه يغني أهلها، وتبقى الأملاك والأموال لله، ولا مالك لها إلا الله تعالى.

﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ نزلت في اليهود حين قالوا — لما نزل قوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرض الله قرضاً...﴾ الآية —: إنَّ الله فقيرٌ يستقرضنا، ونحن أغنياء، ولو كان غنياً ما استقرضنا أموالنا ﴿سنكتب ما قالوا﴾ أي: نأمر الحفظة بإثبات ذلك في صحائف أعمالهم... الآية.

﴿ذلك﴾ أي: ذلك العذاب ﴿بما قدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ بما سلف من إجرامكم ﴿وأنَّ الله﴾ وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾ فيعاقبهم بغير جرم.

﴿الذين قالوا إنَّ الله عَهِدَ إِلَيْنَا...﴾ أي: اليهود، وذلك أنَّ الله أمر بني إسرائيل في التَّوراة ألاَّ يُصدِّقوا رسولاً جاءهم حتى يأتِيهم بقربانٍ تأكله النَّارُ إلاَّ المسيحَ ومحمداً عليهما السَّلام، فكانوا يقولون لمحمد عليه السَّلام: لا نُصدِّقك حتى تأتينا بقربان تأكله النَّارُ؛ لأنَّ الله عَهِدَ إِلَيْنَا ذلك، فقال الله تعالى لمحمد عليه السَّلام إقامة للحجة عليهم: ﴿قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي...﴾ الآية، ثمَّ عزَّى النَّبِيُّ ﷺ عن تكذيبهم بقوله:

﴿إِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ أي: الكتب

وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴿١٨٦﴾ لَتَبْلُوكَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قَلِيلاً فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

﴿والكتاب المنير﴾ أي: الهادي إلى الحق.

﴿١٨٥﴾ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ أي: ظفر بالخير، ونجا من الشر ﴿وما الحياة الدنيا﴾ أي: العيش في هذه الدار الفانية ﴿إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ لأنه يغتر الإنسان بما يُؤمن به من طول البقاء، وهو ينقطع عن قريب.

﴿١٨٦﴾ ﴿لَتَبْلُوكَ﴾ لتختبرنَّ أيها المؤمنون ﴿في أموالكم﴾ بالفرائض فيها ﴿وأنفسكم﴾ بالصلاة والصوم والحجَّ والجهاد ﴿ولتسمعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهم اليهود ﴿ومِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ وهم المشركون ﴿أذى كثيراً﴾ بالشتم والتعسير ﴿وإن تصبروا﴾ على ذلك الأذى بترك المعارضة ﴿فإن ذلك من عزم الأمور﴾ من حقيقة الإيمان.

﴿١٨٧﴾ ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾ الآية. أخذ الله ميثاق اليهود في التَّوْرَةِ لَيُبَيِّنَنَّ شَأْنَ مُحَمَّدٍ وَنَعْتَهُ وَمَبْعَثَهُ، وَلَا يَخْفُونَهُ، فَنَبَذُوا الْمِيثَاقَ وَلَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قَلِيلاً﴾ أي: ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برئاستهم في العلم ﴿فبئس ما يشترون﴾ قُبْحُ شَرَاؤِهِمْ وخسروا.

﴿١٨٨﴾ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. هم اليهود فرحوا بإضلال النَّاسِ، وَبِنِسْبَةِ النَّاسِ إِلَيْهِمْ إِلَى الْعِلْمِ، وَلَيْسُوا كَذَلِكَ، وَأَجَبُوا أَنْ يُحْمَدُوا بِالْتَّمَسُكِ بِالْحَقِّ،

فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا

وقالوا: نحن أصحاب الثَّوراة وأولو العلم القديم^(١) ﴿فلا تحسبَنهم بمفازة﴾ بمنجاة ﴿من العذاب﴾.

﴿والله ملك السموات والأرض﴾ أي: يملك تدبيرهما وتصريفهما على ما يشاء. الآية والتي بعدها ذكرت في سورة البقرة^(٢).

﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾ أي: يصلُّون على هذه الأحوال على قدر إمكانهم ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ فيكون ذلك أزيد في بصيرتهم ﴿ربنا﴾ أي: ويقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ أي: هذا الذي نراه من

(١) وأصحُّ من هذا ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري: إنَّ رجالاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبُّوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون...﴾ الآية. فتح الباري ٢٣٣/٨.

وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: ما لكم ولهذه الآية؟ إنَّما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثمَّ تلا ابن عباس: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لَتَبَيِّنَهُ لِّلنَّاسِ﴾، وتلا ابن عباس: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحْمَدوا بما لم يفعلوا﴾.

قال: سألهم النَّبِيُّ عن شيء فكتموه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وفرحوا أنَّهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إيَّاه ما سألهم عنه. أخرجه أحمد ٢٩٨/١، والبخاري فتح الباري ٢٣٣/٩، ومسلم برقم ٢٧٧٨، والنسائي في تفسيره ٣٥٣/١، والحاكم ٢٩٩/٢، والطبراني في الكبير برقم ١٠٧٣٠.

بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩٦﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٧﴾ إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ رَبَّنَا وَءَاثِمْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٩﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنِّي بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلِذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِّن دِينِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقَتِلُوا لَا كُفْرَنَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا ذُحِلَتْ عَنْهُمْ جَنَّتِ بَحْرِي مِّن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿٢٠٠﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿٢٠١﴾

خلق السموات والأرض ﴿باطلاً﴾ أي: خلقاً باطلاً. يعني: خلقته دليلاً على حكمتك وكمال قدرتك.

﴿١٩٦﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخُلِ النَّارَ ﴿للخلود فيها﴾ ﴿فقد أخزيت﴾: أهلكته وأهنته ﴿وما للظالمين﴾ أي: الكفار ﴿من أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿١٩٧﴾ ﴿ربنا إنا سمعنا منادياً﴾ أي: محمداً عليه السلام والقرآن ﴿ينادي للإيمان﴾ أي: إلى الإيمان ﴿أن آمنوا بربكم فآمنّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عتاً سيئاتنا﴾ أي: غط واستر عنا ذنوبنا بقبول الطاعات حتى تكون كفارة لها ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ يعني: الأنبياء، أي: في جملتهم حتى نصير معهم.

﴿١٩٨﴾ ﴿ربنا وآثنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أي: على ألسنتهم من النّصر لنا، والخذلان لعدونا ﴿ولا تخزنا يوم القيامة﴾ أي: لا تهلكنا بالعذاب. وقوله:

﴿١٩٩﴾ ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: حكم جميعكم حكم واحد منكم فيما أفعلكم من مجازاتكم على أعمالكم، وترك تضييعها لكم.

﴿٢٠٠﴾ ﴿لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد﴾ تصرفهم للتجارات في البلاد، وذلك أنهم كانوا يتجرون ويتنعمون في البلاد، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت هذه الآية. وقوله:

مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَتَسَّسُ الْإِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِعَاقِبَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

﴿١٩٧﴾ متاع قليل ﴿أي﴾: ذلك الكسب والربح متاع قليل؛ لأنه فانٍ منقطع وقوله: ﴿١٩٨﴾ نزلاً ﴿الترُّل﴾: ما يُهَيَّأ للضيف، ومعناه هاهنا الجزاء والثواب ﴿وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾ ممَّا يتقلَّب فيه الكفار، ثم ذكر مؤمني أهل الكتاب فقال: ﴿١٩٩﴾ وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله... الآية. ﴿٢٠٠﴾ يا أيها الذين آمنوا اصبروا ﴿أي﴾: اصبروا على دينكم فلا تدعوه لشدة نزلت بكم. وقيل: على الجهاد ﴿وصابروا﴾ عدوكم فلا يكوننَّ أصبر منكم ﴿ورابطوا﴾ أي: أقيموا على جهاد عدوكم بالحرب والحجة.

سُورَةُ النَّسَاءِ

[مدنيّة وهي مائة وسبعون وست آيات في عدد
أهل الكوفة، وسبع في عدد أهل الشام]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَبَدَّلُوا
الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴿١﴾ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿١﴾ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿١﴾ آدَمَ
﴿١﴾ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴿١﴾ حَوَّاءَ. خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ مِنْ أُضْلَاعِهِ. ﴿١﴾ وَبَثَّ ﴿١﴾ أَيُّ: فَرَّقَ
وَنَشَرَ ﴿١﴾ مِنْهُمَا، ﴿١﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١﴾ أَيُّ: خَافُوهُ وَأَطِيعُوهُ ﴿١﴾ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ﴿١﴾ أَيُّ:
تَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَكُمْ حَوَائِجَكُمْ وَحَقُوقَكُمْ بِهِ، وَتَقُولُونَ: أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ، وَأُنْشِدُكَ
اللَّهَ، وَقَوْلُهُ: ﴿١﴾ وَالْأَرْحَامَ ﴿١﴾ أَيُّ: وَاتَّقُوا الْأَرْحَامَ أَنْ تَقْطَعُوهَا ﴿١﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ
رَقِيبًا ﴿١﴾ أَيُّ: حَافِظًا يَرْقُبُ عَلَيْكُمْ أَعْمَالَكُمْ، فَاتَّقُوهُ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ.

﴿٢﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ ﴿٢﴾ الْخَطَابُ لِلْأَوْلِيَاءِ وَالْأَوْصِيَاءِ، أَيُّ: أَعْطَوْهُمْ أَمْوَالَهُمْ إِذَا
بَلَغُوا ﴿٢﴾ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ ﴿٢﴾ مِنْ أَمْوَالِهِمُ الْحَرَامِ [عَلَيْكُمْ] ﴿٢﴾ بِالطَّيِّبِ ﴿٢﴾ الْحَلَالِ مِنْ
مَالِكُمْ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ وَلِيُّ الْيَتِيمِ يَأْخُذُ الْجَيِّدَ مِنْ مَالِهِ، وَيَجْعَلُ مَكَانَهُ الرَّدِيءَ ﴿٢﴾ وَلَا
تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ﴿٢﴾ لَا تَضَيِّفُوهَا فِي الْأَكْلِ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِذَا احْتَجَجْتُمْ إِلَيْهَا
﴿٢﴾ إِنَّهُ ﴿٢﴾ أَيُّ: إِنَّ أَكَلَ أَمْوَالَهُمْ ﴿٢﴾ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ أَيُّ: إِثْمًا كَبِيرًا.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمْنَى فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرَبْعٌ فَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعَدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدَقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيَّةً ﴿٤﴾ وَلَا تُوْثَرُوا السَّفَهَاءَ أَمْوَالُكُمْ إِلَيْنَا جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ فِتْمَةٍ وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَمْنَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ

﴿٣﴾ ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾: أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿فِي الْيَمْنَى﴾ [أي: فِي نِكَاحِ الْيَتَامَى] ﴿١﴾

وَهُمَّكُمْ ذَلِكَ ﴿فَاَنْكِحُوا مَا طَابَ﴾ أَي: الطَّيِّبُ ﴿لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ يَعْنِي: مِنَ اللَّاتِي تَحِلُّ دُونَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَالَ لَنَا: فَكَمَا تَخَافُونَ أَلَّا تَعْدِلُوا بَيْنَ الْيَتَامَى إِذَا كَفَلْتُمُوهُمْ، فَخَافُوا أَيْضًا أَلَّا تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ إِذَا نَكَحْتُمُوهُنَّ، فَاَنْكِحُوا مِنَ النِّسَاءِ ﴿مَثْنَى﴾ أَي: اثْنَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ ﴿وَتِلْكَ﴾ ثَلَاثًا ثَلَاثًا ﴿وَرَبَاعٌ﴾ أَرْبَعًا أَرْبَعًا ﴿فَلَنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ أَي: فِي الْأَرْبَعِ ﴿فَوَاحِدَةً﴾ أَي: فَلْيَنْكِحْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ وَاحِدَةً وَ ﴿ذَلِكَ﴾ أَنَّ نِكَاحَ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ عَلَى قَلَّةٍ عَدَدُهُنَّ ﴿أَدْنَى﴾ أَي: أَقْرَبُ إِلَى الْعَدْلِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَّا تَعُولُوا﴾ أَي: تَمِيلُوا وَتَجُورُوا.

﴿٤﴾ ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ﴾ أَيُّهَا الْأَزْوَاجُ ﴿صَدَقَاتِهِنَّ﴾ مَهْرَهُنَّ ﴿نِحْلَةً﴾ فَرِيضَةً وَتَدْيِينًا ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ﴾ أَي: إِنْ طَابَتْ لَكُمْ أَنْفُسُهُنَّ ﴿عَنْ شَيْءٍ﴾ مِنَ الصَّدَاقِ ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا﴾ فِي الدُّنْيَا لَا يَقْضِي بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانٌ ﴿مَّرِيَّةً﴾ فِي الْآخِرَةِ لَا يُؤَاخِذُكُمْ اللَّهُ بِهِ.

﴿٥﴾ ﴿وَلَا تُوْثَرُوا السَّفَهَاءَ﴾ أَي: النِّسَاءُ وَالصَّبِيَّانِ ﴿أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ لِمَعَايِشِكُمْ وَصَلَاحِ دُنْيَاكُمْ. يَقُولُ: لَا تَعْمَدُوا إِلَى مَالِكِ الَّذِي خَوَّلَكَ اللَّهُ، وَجَعَلَهُ لَكُمْ مَعِيشَةً فَتَعْطِيهِ امْرَأَتُكَ وَبَنِيكَ، فَيَكُونُوا هُمُ الَّذِينَ يَقُومُونَ عَلَيْكَ، ثُمَّ تَنْتَظِرُ إِلَى مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَلَكِنْ أَمْسِكْ مَالَكَ وَأَصْلَحْهُ، وَكُنْ أَنْتَ الَّذِي تَنْفِقُ عَلَيْهِمْ فِي كَسْوَتِهِمْ وَرِزْقِهِمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾ [أي: اجْعَلُوا لَهُمْ فِيهَا رِزْقًا] ﴿٢﴾، ﴿وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرْغُوفًا﴾ أَي: عُدَّةً جَمِيلَةً مِنَ الْبَرِّ وَالصَّلَةِ.

﴿٦﴾ ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ أَي: اخْتَبِرُوهُمْ فِي عَقُولِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾

فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرٌ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ

أي: حال النكاح من الاحتلام ﴿فإن أنستم﴾ أبصرتهم ﴿منهم رشدا﴾ صلاحاً للعقل وحفظاً للمال. ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ أي: لا تبادروا بأكل مالهم كبرهم ورشدهم حذر أن يبلغوا، فيلزمكم تسليم المال إليهم ﴿ومن كان غنيا﴾ من الأوصياء ﴿فليستعفف﴾ عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً ﴿ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ يقدر أجره عمله ﴿فإذا دفعتم﴾ أيها الأولياء ﴿إليهم﴾ إلى اليتامى ﴿أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ لكي إن وقع اختلاف أمكن الولي أن يقيم البيّنة على ردّ المال إليه ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ محاسباً ومجازياً للمحسن والمسيء.

﴿للرجال نصيب...﴾ الآية. كانت العرب في الجاهليّة لا تورث النساء ولا الصغار شيئاً، فأبطل الله ذلك، وأعلم أنّ حقّ الميراث على ما ذكر في هذه الآية من الفرض.

﴿وإذا حضر القسمة﴾ أي: قسمة المال بين الورثة ﴿أولو القربى﴾ أي: الذين يُحجبون ولا يرثون ﴿واليتامى والمساكين فارزقوهم منه﴾ وهذا على التدب والاستحباب. يستحبّ للوارث أن يرضخ لهؤلاء إذا حضروا القسمة من الذهب والفضّة، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً إذا كان الميراث ممّا لا يمكن أن يرضخ منه كالأرضين والرّقق.

﴿وليخش الذين لو تركوا...﴾ الآية. أي: وليخش من كان له ولدٌ صغيرٌ، خاف عليهم من بعده الضيعة أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامى والمساكين

فَلْيَقُولُوا لِلَّهِ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ

وأقاربه الذين لا يرثون، فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كان هو الميِّت، وهذا قبل أن تكون الوصية في الثلث، وقوله: ﴿ذرية ضعافاً﴾ أي: صغاراً ﴿خافوا عليهم﴾ أي: الفقر ﴿فليتقوا الله﴾ فيما يقولون لمن حضره الموت ﴿وليقلوا قولاً سديداً﴾ عدلاً، وهو أن يأمره أن يخلف ماله لولده، ويتصدق بما دون الثلث أو الثلث، ثم ذكر الوعيد على أكل مال اليتيم ظلماً، فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا...﴾ الآية. تقول عاقبته إلى النار ﴿وسيصلون سعيراً﴾ ناراً ذات تلهب، أي: يُقاسون حرَّها وشِدَّتْها.

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ أي: يفرض عليكم؛ لأنَّ الوصية من الله فرض ﴿في أولادكم﴾ الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾ «فوق» ها هنا صلة؛ لأنَّ الثَّنتين يرثان الثَّلاثين بإجماع اليوم، وهو قوله: ﴿فلهن ثلثا ما ترك﴾ ويجوز تسمية الاثنين بالجمع، ﴿وإن كانت﴾ المتروكة الْمُخْلَفَةُ ﴿واحدة فلها النصف﴾ وتمَّ بيان ميراث الأولاد، ثمَّ قال: ﴿ولأبويه﴾ أي: ولأبوي الميِّت ﴿لكلِّ واحدٍ منهما السدس ممَّا ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأُمُّه الثلث، فإن كان له﴾ أي: للميِّت ﴿إخوة﴾ يعني أخوين؛ لأنَّ الأُمَّة أجمعت أنَّ الأخوين يحجبان الأمَّ من الثلث إلى السُّدُس، وقوله: ﴿من بعد وصية﴾ أي: هذه الأنصبا إنما تُقسم بعد قضاء الدَّين، وإنفاذ وصية الميِّت ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ في الدُّنيا فتعطونه

إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نَصْفُ مَا تَرَكَ آزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِّسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ

من الميراث ما يستحق، ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فأفسدتم وضيعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء قبل خلقها ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر من الفرائض، وقوله:

﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ الكلالة: مَنْ لا ولد له ولا والد، وكل وارث ليس بوالد ولا ولد للميت فهو كلالة أيضاً، والكلالة في هذه الآية الميت، أي: وإن مات رجلٌ ولا ولد له ولا والد ﴿وله أخٌ أو أُخت﴾ يريد: من الأم بإجماع من الأُمَّة ﴿فلِكُلِّ واحدٍ منهما السدس﴾ وهو فرض الواحد من ولد الأم ﴿فإن كانوا أكثر من﴾ واحدٍ اشتركوا في الثلث. الذكر والأنثى فيه سواء، وقوله: ﴿غير مضار﴾ أي: مُدْخِلِ الضَّرَرِ عَلَى الْوَرِثَةِ، وهو أَنْ يُوصِي بدين ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة ﴿والله عليم﴾ فيما دبر من هذه الفرائض ﴿حليم﴾ عَمَّنْ عصاه بتأخير عقوبته.

﴿واللاتي يأتين الفاحشة﴾ يفعلن الزنا ﴿فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾ أي: من

فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾
وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَأَنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرَضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ

المسلمين ﴿فإن شهدوا﴾ عليهن بالزنا ﴿فأمسكوهن﴾ فاحبسوهن ﴿في البيوت﴾
في الشُّجُون، وهذا كان في أوَّل الإسلام، إذا كان الزَّانِيَانِ مُتَّيِّنِ حُبْسًا وَمُنْعًا مِنْ
مَخَالَطَةِ النَّاسِ، ثُمَّ نُسَخَ ذَلِكَ بِالرَّجْمِ^(١)، وهو قوله: ﴿أو يجعل الله لهنَّ سبيلًا﴾
وهو سبيلهنَّ الذي جعله الله لهنَّ.

﴿واللذان يأتیانها﴾ أي: البكرين يزنيان ويأتیان الفاحشة ﴿فأذوهما﴾ بالتَّعْنِيفِ
والتَّوْبِيخِ، وهو أن يقال لهما: انتهكتما حرمت الله، وعصيتماه واستوجبتما
عقابه. ﴿فإن تابا﴾ من الفاحشة ﴿وأصلحا﴾ العمل فيما بعد فاتركوا أذاهما، وهذا
كان في ابتداء الإسلام، ثُمَّ نُسَخَ قَوْلُهُ: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ
وَاحِدٍ...﴾^(٢) الْآيَةِ.

﴿إنما التوبة على الله﴾ أي: إنما التوبة التي أوجب الله على نفسه بفضله قبولها
﴿للذين يعملون السوء بجهالة﴾ أي: إنَّ ذَنْبَ الْمُؤْمِنِ جَهْلٌ مِنْهُ، وَالْمَعَاصِي كُلُّهَا
جَهَالَةٌ، وَمَنْ عَصَى رَبَّهُ فَهُوَ جَاهِلٌ. ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ أي: من قبل الموت

(١) ليس في الأصل.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١١٧؛ والإيضاح ص ٢١٣؛ وناسخ القرآن لابن البارزي
ص ٢٩؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٣.قيل: ناسخها الشُّنَّة، وهو قوله ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهنَّ سبيلًا، البكر بالبكر مائة
جلدة وتغريب عام، والثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ الرَّجْمُ». أخرجه أحمد ٣١٨/٥؛ ومسلم في الحدود برقم
١٦٩٠؛ والنحاس في ناسخه ص ١١٨.

وقيل: نسختها آية النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [الآية ٢].

(٣) سورة النور: الآية ٢.

فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْفَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

ولو بفراق ناقة ﴿فأولئك يتوب الله عليهم﴾ يعود عليهم بالرحمة ﴿وكان الله عليماً حكيماً﴾ علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق، فحكم لهم بالتوبة قبل الموت بقدر فراق ناقة.

﴿١٨﴾ وليست التوبة للذين يعملون السيئات ﴿أي: المشركين والمنافقين﴾ ولا الذين يموتون وهم كفار ﴿يعني: ولا توبة لهؤلاء إذا ماتوا على كفرهم؛ لأنَّ التوبة لا تُقبل في الآخرة. ﴿أولئك أعتدنا﴾ أي: هيأنا وأعدنا.

﴿١٩﴾ يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم... ﴿الآية. كان الرَّجُلُ إذا ماتَ ورثَ قريه من عصبته امرأته، وصار أحقُّ بها من غيره، فأبطل الله ذلك، وأعلم أنَّ الرَّجُلَ لا يرث المرأة من الميت، وقوله: ﴿أن ترثوا النساء كرهاً﴾ يريد: عين النساء كرهاً، أي: [نكاح النساء]^(١) وهنَّ كارهاتٌ ﴿ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتينموهن﴾ كان الرَّجُلُ يمسك المرأة وليس له فيها حاجةٌ إضراراً بها حتى تفتدي بمهرها، فنهوا عن ذلك، ثم استثنى فقال: ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ أي: الزَّنا، فإذا رأى الرَّجُلُ من امرأته فاحشةً فلا بأس أن يضارَّها حتى تختلع منه ﴿وعاشروهنَّ بالمعروف﴾ أي: بما يجب لهنَّ من الحقوق، وهذا قبل أن يأتين الفاحشة ﴿فإن كرهتموهن﴾... ﴿الآية. أي: فيما كرهتم ممَّا هو الله رضى خيراً كثيراً وثوابٌ عظيمٌ، والخير الكثير في المرأة المكروهة أن يرزقه الله منها ولداً صالحاً.

وَأِنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدََالَ زَوْجٍ مَّكَاتٍ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنْ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ النِّسَاءِ أَنْ تَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

﴿٢٠﴾ وإن أردتم... الآية. أي: إذا أراد الرجل طلاق امرأته، وتزوج غيرها لم يكن له أن يرجع فيما آتاها من المهر، وهو قوله: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾ أي: مالا كثيرا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا﴾ ظلماً ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وفي هذا نهْيٌ عن الضَّرَارِ في غير حال الفاحشة، وهو أَنْ يَضَارَّهَا لِتَفْتَدِي مِنْهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَتَتْ بِفَاحِشَةٍ.

﴿٢١﴾ وكيف تأخذونه؟ أي: المهر أو شيئاً منه ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ أي: وصل إليه بالمجامعة، ولا يجوز الرجوع في شيء من المهر بعد الجماع ﴿وَأَخَذْتُ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ وهو ما أخذه الله على الرجال للنساء من إمساكٍ بمعروفٍ، أو تسريحٍ بإحسانٍ.

﴿٢٢﴾ ولا تنكحوا ما نكح آبائكم... الآية. كان الرجل من العرب يتزوج امرأة أبيه من بعده، وكان ذلك نكاحاً جائزاً في العرب، فحرَّمه الله تعالى ونهى عنه، وقوله: ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ يعني: لكن ما قد سلف فإن الله تجاوز عنه ﴿إِنَّهُ﴾ أي: إِنَّ ذَلِكَ النِّكَاحَ ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ زنا عند الله ﴿وَمَقْتًا﴾ بغضاً شديداً ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ وَقَبَّحَ ذَلِكَ الْفِعْلَ طَرِيقًا، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَحْرَمَاتِ مِنَ النِّسَاءِ فَقَالَ:

﴿٢٣﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ

وَرَبَّيْبُكُمْ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا
 دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ
 وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾
 ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ
 ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ
 أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ

وربائبكم ﴿جمع الربيبة، وهي بنت امرأة الرجل من غيره﴾ اللاتي في حجوركم ﴿أي: في ضمانكم وتربيتكم. ﴿وحلائل﴾ وأزواج ﴿أبنائكم﴾ الذين من أصلابكم﴾
 لا ممن تبنيتموه ﴿وأن تجمعوا﴾ أي: الجمع ﴿بين الأختين﴾ إلا ما قد سلف ﴿مضى﴾
 منكم في الجاهلية، فلا تؤاخذون به بعد الإسلام.

الجزء الخامس:

﴿والمحصنات﴾ وذوات الأزواج ﴿من النساء﴾ وهنَّ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ غَيْرِ
 أزواجهنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتُمُوهُنَّ بِالسَّبْيِ مِنْ دَارِ الْحَرْبِ؛ فَإِنَّهَا تَحِلُّ لِمَا لَهَا بَعْدَ
 الاستبراء بحیضة ﴿كتاب الله عليكم﴾ كتب تحريم ما ذكر من النساء عليكم
 ﴿وأحلَّ لكم ما وراء ذلك﴾ أي: ما سوى ذلك من النساء ﴿أن تبتغوا﴾ أي:
 تطلبوا بأموالكم؛ إمَّا بِنِكَاحٍ وَصَدَاقٍ؛ أَوْ بِمِلْكٍ يَمِينٍ ﴿محصنين﴾ ناكحين ﴿غير
 مسافحين﴾ زانين ﴿فما استمتعتم﴾ فما انتفعتم وتلذذتم ﴿به منهن﴾ أي: من
 النساء بالنكاح الصحيح ﴿فاتوهنَّ أجورهنَّ﴾ أي: مهورهنَّ ﴿فريضة﴾، فإن
 استمتع بالدخول بها أتى المهر تامًّا، وإن استمتع بعقد النكاح أتى نصف المهر،
 ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ من حطَّ المهر أو إبراء من
 بعض الصَّدَاقِ أَوْ كُلِّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بما يصلح أمر العباد ﴿حكيماً﴾ فيما
 بيَّن لهم من عقد النكاح.

﴿ومَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾ أي: قدرةً وَغْنَى ﴿أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ
 مِّنْ بَعْضٍ فَاذْكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ
 مُسَفِّحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى
 الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصِيرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ
 عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ
 عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

﴿المؤمنات فمما ملكت أيمنكم﴾ أي: فليتزوّج ممّا ملكت أيمنكم. يعني:
 جارية غيره ﴿من فنياتكم﴾ أي: مملوكاتكم ﴿المؤمنات والله أعلم بإيمانكم﴾ أي:
 اعملوا على الظاهر في الإيمان؛ فإنكم متعبّدون بما ظهر، والله يتولّى السرائر
 ﴿بعضكم من بعض﴾ أي: دينكم واحد، فأنتم متساوون من هذه الجهة، فمتى
 وقع لأحدكم الضرورة جاز له تزوّج الأمة ﴿فانكحوهنّ بإذن أهلهن﴾ أي:
 اخطبوهنّ إلى ساداتهنّ ﴿وآتوهنّ أجورهنّ﴾ مهورهنّ ﴿بالمعروف﴾ من غير مطلق
 وضرارٍ ﴿محصنات﴾ عفافنّ ﴿غير مسافحات﴾ غير زوانٍ علانيةٍ ﴿ولا متخذات
 أخدان﴾ زوانٍ سرّاً ﴿فإذا أُحصن﴾ تزوّجن ﴿فإن أتين بفاحشة﴾ بزنا ﴿فعليهنّ
 نصف ما على المحصنات﴾ الأبكار الحرائر ﴿من العذاب﴾ أي: الحدّ. ﴿ذلك﴾
 أي: ذلك النكاح نكاح الأمة ﴿لمن خشي العنت منكم﴾ أي: خاف أن تحمله
 شدة الغلّة على الزّنا، فيلقى العنت، أي: الحدّ في الدّنيا، والعذاب في الآخرة.
 أباح الله نكاح الأمة بشرطين: أحدهما: عدم الطّول، الثاني: خوف العنت. ثمّ
 قال: ﴿وأن تصبروا﴾ أي: عن نكاح الإماء ﴿خير لكم﴾ لئلا يصير الولد عبداً.

﴿يريد الله ليبيّن لكم﴾ شرائع دينكم، ومصالح أمركم ﴿ويهديكم سنن الذين من
 قبلكم﴾ دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السّلام، وهو دين الحنيفيّة ﴿ويتوب
 عليكم﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته.

﴿والله يريد أن يتوب عليكم﴾ أي: يُخرجكم من كلّ ما يكره إلى ما يحبّ

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا تِجَارَةً بِحَرَكَهٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ

ويرضى، ﴿ويريد الذين يتبعون الشهوات﴾ وهم الزناة وأهل الباطل في دينهم ﴿أن تميلوا﴾ عن الحق وقصد السبيل بالمعصية ﴿مَيْلًا عَظِيمًا﴾ فتكونوا مثلهم. ﴿٢٨﴾ يريد الله أن يخفف عنكم ﴿في كلِّ أحكام الشرع﴾ وخلق الإنسان ضعيفاً يضعف من الصبر عن النساء.

﴿٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴿وهو كلُّ ما لا يحلُّ في الشرع، كالربا، والغصب، والقمار، والسَّرقة، والخيانة﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً ﴿لكن إن كانت تجارة﴾ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ﴿برضى البيعين فهو حلال﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿لا يقتل بعضكم بعضاً﴾.

﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ﴿أي: أكل المال بالباطل وقتل النفس﴾ عُدْوَانًا ﴿وهو أن يعدو ما أمر به﴾ وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ ﴿أي: ندخله ناراً﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿أي: هو قادر على ذلك، ولا يتعذر عليه﴾.

﴿٣١﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴿وهي كلُّ ذنبٍ ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب، أو وعيد في القرآن﴾ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴿التي هي دون الكبائر بالصلوات الخمس﴾ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴿أي: الجنة﴾.

﴿٣٢﴾ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ... الآية. قالت أم سلمة: يا رسول الله، ليتنا كنّا رجالاً، فجاهدنا وغزونا، وكان لنا مثل أجر الرجال،

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٣﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيًّا مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ فَأَتَوْهُمْ نَصِيبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٤﴾ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ

فنزلت هذه الآية^(١). ﴿للرجال نصيب﴾ ثواب ﴿مما اكتسبوا﴾ من الجهاد ﴿ولللنساء نصيب﴾ [ثواب]^(٢) ﴿مما اكتسبن﴾ من حفظ فروجهن وطاعة أزواجهن ﴿واسألوا الله من فضله﴾ إن احتجتم إلى ما لغيركم فيعطيك من فضله.

﴿ولكل﴾ أي: ولكل شخص من الرجال والنساء ﴿جعلنا موالياً﴾ عصبه وورثة ﴿مما ترك الوالدان والأقربون﴾ أي: ممن تركهم والداه وأقربوه، أي: تشعبت العصبه والورثة عن الوالدين والأقربين، ثم ابتداءً فقال: ﴿والذين عاقدت أيمانكم﴾^(٣) وهم الحلفاء، أي: عاقدت حلفهم أيمانكم، وهي جمع يمين من القسم، وكان الرجل في الجاهلية يعاقد الرجل، ويقول له: دمي دمك، وحربي حربك، وسلمي سلمك، فلما قام الإسلام جعل للحليف الشدس، وهو قوله: ﴿فأتوهم نصيبهم﴾ ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله﴾^(٤). ﴿إن الله كان على كل شيء شهيداً﴾ أي: لم يغب عنه علم ما خلق.

﴿الرجال قوامون على النساء﴾ على تأديهن والأخذ فوق أيديهن ﴿بما فضل الله﴾

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک ٣٠٥/٢؛ وصححه وأقره الذهبي، وابن جرير ٤٦/٥؛ والمؤلف في الأسباب ص ١٨١.

(٢) زيادة من عا وظا.

(٣) قرأ عاصم وحزمة والكسائي وخلف: ﴿عقدت﴾، والباقون: ﴿عاقدت﴾ الإتحاف ٥١٠/١.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

وأخرج هذا عن ابن عباس النحاس في ناسخه ص ١٢٩؛ وابن جرير ٥٢/٥؛ وانظر: الإيضاح ص ٢٢٨؛ والناسخ والمنسوخ للزهري ص ٢٣.

بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحَ لِحَدِّ قَنَازِكٍ حَفِظَتْ لِلْغَيْبِ
بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّيْ نَخَافُونَ دُشُوزَهُنَّ فَعُظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ
فَإِنْ أَطَعَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ
شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ
بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٢٢﴾

الرَّجَالُ عَلَى النِّسَاءِ بِالْعِلْمِ، وَالْعَقْلِ، وَالْقُوَّةِ فِي التَّصَرُّفِ، وَالْجِهَادِ، وَالشَّهَادَةِ،
وَالْمِيرَاثِ ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عَلَيْهِنَّ ﴿مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ أَي: الْمَهْرَ، وَالْإِنْفَاقَ عَلَيْهِنَّ
﴿فَالصَّالِحَاتِ﴾ مِنَ النِّسَاءِ اللَّوَاتِي هُنَّ مَطِيعَاتٌ لِأَزْوَاجِهِنَّ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قَانِتَاتٌ
حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ﴾ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ فِي غِيَةِ أَزْوَاجِهِنَّ ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ بِمَا حَفَظَهُنَّ
اللَّهُ فِي إِجْبَابِ الْمَهْرِ وَالتَّفَقُّهِ لَهِنَّ، وَإِبْصَاءِ الزَّوْجِ بِهِنَّ ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ﴾ تَعْلَمُونَ
﴿نَشُوزَهُنَّ﴾ عَصْيَانَهُنَّ ﴿نَعُظُوهُنَّ﴾ بَكْتَابِ اللَّهِ، وَذَكْرُوهُنَّ اللَّهَ وَمَا أَمَرَهُنَّ بِهِ
﴿وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ فَرَّقُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ [فِي الْفُرَشِ] (١)
﴿وَأَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرُوحٍ شَدِيدٍ، وَلِلزَّوْجِ أَنْ يَتَلَفَّى نَشُوزَ امْرَأَتِهِ بِمَا أذنَ اللَّهُ
تَعَالَى فِيهِ، يَعْظَاهَا بِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ تَنْتَهِ هَجْرٌ مُضْجِعُهَا، فَإِنْ أَبَتْ ضَرْبُهَا، فَإِنْ أَبَتْ
أَنْ تَتَّعِظَ بِالضَّرْبِ بُعِثَ الْحَكَمَانِ ﴿فَإِنْ أَطَعَكُمْ﴾ فِيمَا يُلْتَمَسُ مِنْهُنَّ ﴿فَلَا تَبْغُوا
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ لَا تَتَجَنَّبُوا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْعِلَلِ.

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ [عَلِمْتُمْ] (٢) ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ عَلِمْتُمْ خِلَافًا بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ ﴿فَأَبْعَثُوا
حَكَمًا﴾ أَي: حَاكِمًا وَهُوَ الْمَانِعُ مِنَ الظُّلْمِ مِنْ أَقَارِبِهِ ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ حَتَّى
يَجْتَهِدَا وَيَنْظُرَا الظَّالِمَ مِنْهُمَا، فَيَأْمُرَاهُ بِالرُّجُوعِ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، أَوْ يُفَرِّقَا إِنْ رَأَى ذَلِكَ
﴿إِنْ يُرِيدَا﴾ أَي: الْحَكَمَانِ ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ مِنَ الزَّوْجِ وَالْمَرْأَةِ بِالصَّلَاحِ
﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ بِمَا فِي قُلُوبِ الزَّوْجَيْنِ وَالْحَكَمِينَ. قَوْلُهُ:

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من عا.

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ

﴿٣٦﴾ ﴿وبالوالدين إحساناً﴾ أي: أحسنوا بهما إحساناً، وهو البرُّ مع لين الجانب ﴿وبذي القربى﴾ وهو ذو القرابة يصله ويتعطف عليه ﴿واليتامى﴾ يرفق بهم ويُدنيههم ﴿والمساكين﴾ ببذلٍ يسير، أو ردِّ جميلٍ ﴿والجار ذي القربى﴾ وهو الذي له مع حقَّ الجوار حقُّ القرابة ﴿والجار الجنب﴾ البعيد عنك في النسب ﴿والصاحب بالجنب﴾ هو الرفيق في السَّفر ﴿وابن السبيل﴾ عابر الطَّرِيق. [وقيل: الضيف] ^(١) يؤويه ويطعمه حتى يرحل ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ أي: الممالك ﴿إنَّ الله لا يحبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ عظيماً في نفسه لا يقوم بحقوق الله ﴿فخوراً﴾ على عباده بما حَوَّلَهُ اللهُ مِنْ نِعْمَتِهِ.

﴿٣٧﴾ ﴿الذين يبخلون﴾ أي: اليهود. بخلوا بأموالهم أن ينفقوها في طاعة الله تعالى ﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾ أمروا الأنصار ألا ينفقوا أموالهم على رسول الله ﷺ، وقالوا: إِنَّا نَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الْفَقْرَ ﴿ويكتمون ما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: ما في التَّوْرَةِ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَنِعْتِهِ.

﴿٣٨﴾ ﴿والذين ينفقون أموالهم رياء الناس﴾ أي: المنافقين ﴿ومَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ يسوِّلُ لَهُ وَيَعْمَلُ بِأَمْرِهِ ﴿فساء قريناً﴾ بئس الصَّاحِبُ الشَّيْطَانُ.

﴿٣٩﴾ ﴿وماذا عليهم﴾ أي: على اليهود والمنفاقين، أي: ما كان يضرُّهم ﴿لو آمنوا بالله

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى

واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليماً لا يثيبهم بما ينفقون رثاء الناس .

﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ ﴿ لا ينقص أحداً ﴾ ﴿مِثْقَالَ﴾ [مقدار] ﴿ذَرَّةٍ﴾ ﴿١﴾ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا أَثَابَهُ عَلَيْهَا الرِّزْقَ فِي الدُّنْيَا، وَالْأَجْرَ فِي الْآخِرَةِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَطْعَمَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ﴿وإن تك حسنة﴾ من مؤمن ﴿يضاعفها﴾ بعشرة أضعافها ﴿ويؤت من لدنه﴾ من عنده ﴿أجراً عظيماً﴾ وهو الجنة .

﴿٤١﴾ ﴿فكيف﴾ أي: فكيف يكون حال هؤلاء اليهود والمنافقين [يوم القيامة]؟، وهذا استفهامٌ ومعناه التوبيخ ﴿إذا جئنا من كل أمة بشهيد﴾ أي: ينبي كل أمة يشهد عليها ولها ﴿وجئنا بك﴾ يا محمد ﴿على هؤلاء شهيداً﴾ على هؤلاء المنافقين والمشركين شهيداً تشهد عليهم بما فعلوا .

﴿٤٢﴾ ﴿يومئذ﴾ أي: في ذلك اليوم ﴿يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول﴾ وقد عصوه في الدنيا ﴿لو تسوَّى بهم الأرض﴾ أي: يكونون تراباً، فيستوون مع الأرض حتى يصيروا وهي شيئاً واحداً ﴿ولا يكتُمون الله حديثاً﴾ لأنَّ ما عملوه ظاهراً عند الله لا يقدرون على كتمانهِ .

﴿٤٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾ أي: مواضع الصَّلاة، أي: المساجد ﴿وأنتم سكارى﴾ نهوا عن الصَّلاة وعن دخول المسجد في حال السُّكر، وكان هذا

حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿١٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾

قبل نزول تحريم الخمر^(١)، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر والمسكر أوقات الصلاة، والسكران: المختلط العقل الذي يهذي، ولا يستمر كلامه، ألا ترى أَنَّ الله تعالى قال: ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ فإذا علم ما يقول لم يكن سكران، ويجوز له الصلاة ودخول المسجد ﴿ولا جنباً﴾ أي: ولا تقربوها وأنتم جنبٌ ﴿إلا عابري سبيل﴾ إلا إذا عبرتم المسجد فدخلتموه من غير إقامة فيه ﴿حتى تغتسلوا﴾ من الجنابة ﴿وإن كنتم مرضى﴾ أي: مرضاً يضره الماء كالقروح، والجُدري، والجراحات ﴿أو على سفر﴾ أي: مسافرين ﴿أو جاء أحدٌ منكم من الغائط﴾ أو الحدث ﴿أو لامستم النساء﴾ أي: لمستموهن بأيديكم ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾ تمسحوا بترابٍ طيبٍ مُنبتٍ.

﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾ وهم اليهود ﴿يشترون الضلالة﴾ أي: يختارونها على الهدى بتكذيب محمدٍ عليه السلام ﴿ويريدون أن تضلوا السبيل﴾ أن تضلوا أيها المؤمنون طريق الهدى.

(١) قال النحاس: وأكثر العلماء على أنها منسوخة. وقال الزهري: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾. وقوله تعالى: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيها إثمٌ كبيرٌ ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٩]. فنسخهما الله عز وجل بقوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [سورة المائدة: الآية ٩٠].

انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣٠، والناسخ والمنسوخ للزهري ص ٢٤، والناسخ والمنسوخ لجهة الله ص ٣٧ والإيضاح ص ٢٢٩.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا أَلَيْسَ لَنَا بِأَلْسِنَةٍ نَحْنُ بِهَا نَقُصِّدُهَا وَنَنصِفُهَا أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ إِذَا أَقْبَلُوا لِقَاءَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَنَنْظُرُ لَكَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

﴿٤٥﴾ والله أعلم بأعدائكم ﴿٤٥﴾ وهو يُعلمكم ما هم عليه ﴿٤٥﴾ وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً ﴿٤٥﴾ أي: إن ولايته ونصرتَه إياكم تُغيثكم عن غيره من اليهود، ومن جرى مجراهم. ﴿٤٦﴾ من الذين هادوا ﴿٤٦﴾ أي: قوم ﴿٤٦﴾ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴿٤٦﴾ أي: يغيرون صفة محمد ﷺ وزمانه، ونبوته في كتابهم ﴿٤٦﴾ ويقولون سمعنا ﴿٤٦﴾ قولك ﴿٤٦﴾ وعصينا ﴿٤٦﴾ أمرك ﴿٤٦﴾ واسمع غير مسمع ﴿٤٦﴾ كانوا يقولون للنبي ﷺ: اسمع، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت ﴿٤٦﴾ وراعنا لياً بالسنتهم ﴿٤٦﴾ أي: ويقولون راعنا، ويوجهونها إلى شتم محمد عليه السلام بالرُّعونة، وذكرنا أن هذا كان سباً بلغتهم ^(١) ﴿٤٦﴾ ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا ﴿٤٦﴾ مكان قولهم: سمعنا وعصينا وقالوا ﴿٤٦﴾ واسمع وانظرنا ﴿٤٦﴾ أي: انظر إلينا؛ بدل قولهم: راعنا ﴿٤٦﴾ لكان خيراً لهم ﴿٤٦﴾ عند الله ﴿٤٦﴾ ولكن لعنهم الله بكفرهم ﴿٤٦﴾ فلذلك لا يقولون ما هو خيرٌ لهم ﴿٤٦﴾ فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴿٤٦﴾ أي: إيماناً قليلاً، وهو قولهم: اللّهُ ربُّنا، والجنّة حقٌّ، والثَّارُ حقٌّ، وهذا القليل ليس بشيء مع كفرهم بمحمد ﷺ، وليس بمدح لهم.

﴿٤٧﴾ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً ﴿٤٧﴾ أي: نمحو ما فيها من عين، وفم، وأنف [ومارن] ^(٢)، وحاجب، فنجعلها كخف البعير، أو كحافر الدابة ﴿٤٧﴾ فنردها على أدبارها ﴿٤٧﴾ نُحوّلها قبل ظهورهم ﴿٤٧﴾ أو نلعنهم ﴿٤٧﴾ أو نجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأوائلهم ﴿٤٧﴾ وكان أمر الله مفعولاً ﴿٤٧﴾ لا رادَّ لحكمه ولا ناقض لأمره.

(٢) زيادة من ظ. والمارن: طرف الأنف.

(١) انظر ص ١٠٤.

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بِاللَّهِ يَزْكِي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا

﴿٤٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ... الآية. وعد الله تعالى في هذه الآية مغفرة ما دون الشرك، فيعفو عن مَنْ يشاء، ويغفر لمن يشاء إلاَّ الشرك؛ تكذيباً للقدرية، وهو قوله: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾ أي: الشرك ﴿لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾ أي: اختلق ذنباً غير مغفور.

﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴿أي: اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وما عملناه بالليل كُفْرَ عَنَّا بالنهار، وما عملناه بالنهار كُفْرَ عَنَّا بالليل﴾ (١) ﴿بل الله يزكي من يشاء﴾ أي: يجعل مَنْ يشاء زاكياً طاهراً نامياً في الصَّلاح. يعني: أهل التَّوحيد ﴿ولا يظلمون فتيلًا﴾ لا ينقصون من الثواب قدر الفتيل، وهو القشرة الرقيقة التي حول النواة، ثمَّ عَجَبَ نبيُّه عليه السَّلام من كذبهم، فقال:

﴿٥٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴿يعني: قولهم: يكفِّر عَنَّا ذُنُوبَنَا﴾ ﴿وكفَىٰ بِهِ﴾ بافترائهم ﴿إثماً مُّبِينًا﴾ أي: كفى ذلك في التعظيم.

﴿٥١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ ﴿يعني: علماء اليهود﴾ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ ﴿أي: الأصنام﴾ وَالطَّاغُوتِ ﴿سدنتها وتراجمتها﴾ (٢)، وذلك أَنَّهُمْ حَالَفُوا قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وسجدوا لأصنام قريش، وقالوا لهم: أنتم أهدى من محمدٍ عليه السَّلام، وأقوم طريقةً وديناً، وهو قوله: ﴿ويقولون للذين كفروا﴾

(١) أخرجه ابن جرير ١٢٧/٥ عن السدي.

(٢) وهم الذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب، ليضلوا الناس، وهذا تفسير ابن عباس. تفسير الطبري ١٣١/٥.

هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمَا تَضَيَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا

يعني: قريشاً ﴿هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً﴾، وقوله:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ﴾ أي: بل أَلهم نصيب من الملك؟ يعني: ليس لليهود ملك، ولو كان إذا لهم لم يؤتوا أحداً شيئاً، وهو قوله: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ أي: لضئوا بالقليل. وصفهم الله بالبخل في هذه الآية، والتَّقِيرُ يُضْرَبُ مثلاً للشَّيْءِ القليل، وهو نَقْرَةٌ في ظهر النَّوَّةِ [منها] تنبت النَّخْلَةُ.

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ يعني: محمّداً عليه السَّلام ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حسدت اليهود محمّداً عليه السَّلام على ما آتاه الله من الثُّبُوءِ، وما أباح له من النِّسَاءِ، وقالوا: لو كان نبياً لشغله أمر بالثُّبُوءِ عن النِّسَاءِ، فقال الله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ يعني: الثُّبُوءِ ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ يعني: ملك داود وسليمان عليهما السَّلام، وما أُوتوا من النِّسَاءِ، فكان لداود تسع وتسعون، وسليمان ألف من بين حُرَّةٍ ومملوكَةٍ، والمعنى: أَيْحَسُدُونَ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلام على الثُّبُوءِ وكثرة النِّسَاءِ وقد كان ذلك في آلِهِ؛ لأنَّه من آلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام.

﴿فَمِنْهُمْ﴾ من أهل الكتاب ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بمحمّدٍ عليه السَّلام ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ أَعْرَضَ عَنْهُ فَلَمْ يُؤْمِنْ ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ عَذَاباً لِمَنْ لَا يُؤْمِنُ. وقوله:

﴿كَلَّمَا تَضَيَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ يعني: أَنَّ جُلُودَهُمْ إِذَا تَضَيَّتْ وَاحْتَرَقَتْ جُدَّتْ، بَأَن تَرَدَّ إِلَى الْحَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا غَيْرَ مُحْتَرَقَةٍ ﴿لِيَذُوقُوا

الْعَذَابُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

العذاب ﴿ ليقاسوه وينالوه ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا ﴾ قوياً لا يغلبه شيء ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما دبر، وقوله:

﴿ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴾ يعني: ظلّ هواء الجنة، وهو ظليل، أي: دائم لا تنسخه الشمس.

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ نزلت في ردّ مفتاح الكعبة على عثمان بن طلحة الحبشي حين أخذ منه قسراً يوم فتح مكة، فأمره الله تعالى برده عليه^(١)، ثمّ هذه الآية عامّة في ردّ الأمانات إلى أصحابها كيف ما كانوا. ﴿ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ أي: نعم شيئاً يعظكم به، وهو القرآن ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا ﴾ لمقالتكم في الأمانة والحكم ﴿ بَصِيرًا ﴾ بما تعملون فيها، قال أبو روق^(٢): قال النبي ﷺ لعثمان: أعطني المفتاح، فقال: هاك بأمانة الله، ودفعه إليه، فأراد عليه السلام أن يدفعه إلى العباس، فنزلت هذه الآية^(٣)، فقال النبي ﷺ لعثمان: هاك [بأمانة الله]^(٤)، خالدة تالدة، لا يترعها عنكم إلّا ظالم، ثمّ إنّ عثمان هاجر ودفع إلى أخيه شيبة، فهو في ولده إلى اليوم.

(١) أخرجه ابن جرير ١٤٥/٥ عن ابن جريج، وانظر أسباب النزول ص ١٨٨.

(٢) هو عطية بن الحارث الهمداني، صاحب التفسير، صدوق. تقريب التهذيب ص ٣٩٣.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من طريق الكلبي. لباب النقول ص ٧١، والدر المنثور ٥٧٠/٢ وأسباب النزول ص ١٨٩ بسنده إلى شيبة بن عثمان بن طلحة، وهو صحابي من مسلمة الفتح.

(٤) زيادة من ظ.

فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۚ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ وهم العلماء والفقهاء. وقيل: الأمراء والسلاطين، وتجب طاعتهم فيما وافق الحق. ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ذلك خير. أي: ردُّكم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة، وردُّك التجادل ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ وأحمد عاقبة.

﴿ألم تر إلى الذين يزعمون...﴾ الآية. وقع نزاعٌ بين يهوديٍّ ومناقٍ، فقال اليهوديُّ: بيننا أبو القاسم، وقال المناقٍ: لا بل نُحكِّمُ بيننا كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية. وهو قوله: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطَّاغوتِ﴾ ومعناه: ذو الطُّغَيَّانِ ﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾ أي: أمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم ﴿ويريد الشيطان أن يضلَّهُم ضلالاً بعيداً﴾ لا يرجعون عنه إلى دين الله أبداً، وهذا تعجيبٌ للنبيِّ ﷺ من جهل مَنْ يعدل عن حكم الله إلى حكم الطَّاغوتِ مع زعمه بأنَّه يؤمن بالله ورسوله.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أَي: لِلْمُنَافِقِينَ ﴿تَعَالُوا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ أَي: فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ ﴿وَالِىَ الرَّسُولِ﴾ وَإِلَىٰ حُكْمِ الرَّسُولِ ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ يُعْرِضُونَ عَنْكَ إِعْرَاضًا إِلَىٰ غَيْرِكَ عَدَاوَةً لِلدِّينِ.

﴿كَيْفَ﴾ أَي: فَكَيْفَ يَصْنَعُونَ وَيَحْتَالُونَ ﴿إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ مُجَازَاةٌ لَهُمْ عَلَى مَا صَنَعُوا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَهُمْ﴾ وَتَمَّ الْكَلَامُ هُنَا، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى مَعْنَى مَا سَبَقَ فَقَالَ: ﴿ثُمَّ جَاؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أَي: تَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ،

إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنْتُمْ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ

وصدّوا عنك، ثمّ جاؤوك يحلفون، وذلك أنّ المنافقين أتوا النبي ﷺ، وحلفوا أنّهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة إلّا توفيقاً بين الخصوم، أي: جمعاً وتأييلاً، وإحساناً بالتّقريب في الحكم دون الحمل على مَرُّ الحقّ، وكلّ ذلك كذب منهم؛ لأنّ الله تعالى قال:

﴿٦٢﴾ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ﴿٦٣﴾ أي: من الشّرك والنّفاق ﴿٦٤﴾ فأعرض عنهم ﴿٦٥﴾ أي: اصفح عنهم ﴿٦٦﴾ وعظّمهم ﴿٦٧﴾ بلسانك ﴿٦٨﴾ وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً ﴿٦٩﴾ أي: خوفهم بالله، وازجرهم عمّا هم عليه بأبلغ الرّجر كيلا يستسرّوا الكفر. ﴿٧٠﴾ وما أرسلنا من رسولٍ إلّا ليطاع ﴿٧١﴾ فيما يأمر به ويحكم، لا ليُعصى ويطلب الحكم من غيره، وقوله: ﴿٧٢﴾ بإذن الله ﴿٧٣﴾ أي: لأنّ الله أذن في ذلك، وأمر بطاعته ﴿٧٤﴾ ولو أنّهم ﴿٧٥﴾ أي: المنافقين ﴿٧٦﴾ إذ ظلموا أنفسهم ﴿٧٧﴾ بالتّحاكم إلى الكفار ﴿٧٨﴾ جاؤوك فاستغفروا الله ﴿٧٩﴾ فزعوا وتابوا إلى الله، وقوله:

﴿٨٠﴾ فلا ﴿٨١﴾ أي: ليس الأمر كما يزعمون أنّهم آمنوا وهم يخالفون حكمك ﴿٨٢﴾ وربك لا يؤمنون ﴿٨٣﴾ حقيقة الإيمان ﴿٨٤﴾ حتّى يحكموك فيما شجر ﴿٨٥﴾ اختلف واختلط ﴿٨٦﴾ بينهم ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً ﴿٨٧﴾ ضيقاً وشكاً ﴿٨٨﴾ ممّا قضيت ﴿٨٩﴾ أي: أوجبت ﴿٩٠﴾ ويسلموا ﴿٩١﴾ الأمر إلى الله وإلى رسوله من غير معارضة بشيء.

﴿٩٢﴾ ولو أنّا كتبنا عليهم ﴿٩٣﴾ أي: على هؤلاء المنافقين [من اليهود] ﴿٩٤﴾ أن يقتلوا

أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا ﴿٢٦﴾ وَإِذَا لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِنَ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ وَلَهْدَيْنَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ

أنفسكم ﴿﴾ كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل ﴿﴾ أو اخرجوا من دياركم ﴿﴾ كما كتبنا على المهاجرين ﴿﴾ ما فعلوه إلا قليل منهم ﴿﴾ للمشقة فيه مع أنه كان ينبغي أن يفعلوه ﴿﴾ ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به ﴿﴾ ما يؤمرون به من أحكام القرآن ﴿﴾ لكان خيراً لهم ﴿﴾ في معاشهم وفي ثوابهم ﴿﴾ وأشد تثبيتاً ﴿﴾ منهم لأنفسهم في الدين، وتصديقاً بأمر الله.

﴿٢٦﴾ ﴿وإذا لا تيناهم من لدنا﴾ أي: ممّا لا يقدر عليه غيرنا ﴿أجراً عظيماً﴾ أي: الجنة. ﴿٢٧﴾ ﴿ولهديناهم﴾ أرشدناهم ﴿صراطاً مستقيماً﴾ [إلى دين مستقيم] ^(١) وهو دين الحنيفية لا دين اليهودية.

﴿٢٨﴾ ﴿ومن يطع الله...﴾ الآية. قال المسلمون للنبي ﷺ: ما لنا منك إلا الدنيا، فإذا كانت الآخرة رُفِعَتْ في الأعلى، فحزن وحزنوا، فنزلت ^(٢) ﴿ومن يطع الله﴾ في الفرائض ﴿والرسول﴾ في السنن ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين﴾ أي: إنه يستمتع برؤيتهم وزيارتهم، فلا يتوهم أن لا يراهم ﴿والصديقين﴾ أفاضل أصحاب الأنبياء ﴿والشهداء﴾ القتلى في سبيل الله ﴿والصالحين﴾ أي: أهل الجنة من سائر المسلمين ﴿وحسن أولئك﴾ الأنبياء وهؤلاء ﴿رفيقاً﴾ أي: أصحاباً ورفقاء.

﴿٢٩﴾ ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الثواب، وهو الكون مع النبيين ﴿الفضل من الله﴾ تفضّل به

(١) زيادة من عا.

(٢) أخرجه ابن جرير عن مسروق وقتادة والسدي. تفسير الطبري ١٦٣/٥ - ١٦٤، وأسباب النزول

وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يٰۤأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ اَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطُلَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَالْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلْبِغْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ

على مَنْ أطاعه ﴿وكفى بالله عليمًا﴾ بخلقه، أي: إنه عالم لا يخفى عليه شيء، ولا يضع عنده عمل، ثم حثَّ عباده المؤمنين على الجهاد، فقال:

﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذرکم﴾ سلاحکم عند لقاء العدو ﴿فانفروا﴾ أي: فانهضوا إلى لقاء العدو ﴿ثبات﴾ جماعات متفرقين إذا لم يكن معكم الرسول ﴿أو انفروا جميعاً﴾ إذا خرج الرسول إلى الجهاد.

﴿وإن منكم لمن ليبطئن﴾ أي: ليتخلفن ويتناقلن عن الجهاد، وهم المنافقون، وجعلهم من المؤمنين من حيث إنهم أظهروا كلمة الإسلام، فدخلوا تحت حكمهم في الظاهر ﴿فإن أصابكم مصيبة﴾ من العدو، وجهد من العيش ﴿قال قد أنعم الله علي﴾ بالعود حيث لم أحضر فيصيني ما أصابكم.

﴿ولئن أصابكم فضل من الله﴾ فتح وغنمة ﴿ليقولن﴾ هذا المنافق قول نادم حاسد: ﴿يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ أي: لأسعد بمثل ما سعدوا به من الغنمة، وقوله: ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾ متصل في المعنى بقوله: ﴿قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم﴾، ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودة﴾. أي: كأن لم يعاقدكم على الإسلام ويعاضدكم على قتال عدوكم، ولم يكن بينكم وبينه مودة في الظاهر، ثم أمر المؤمنين بالقتال فقال:

﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون﴾ أي: يبيعون ﴿الحياة الدنيا بالآخرة﴾ أي: بالجنة، أي: يختارون الجنة على البقاء في الدنيا ﴿ومن يقتل في سبيل الله فيقتل﴾ فيشهد ﴿أو يغلب﴾ فيظفر، فكلاهما سواء، وهو معنى قوله: ﴿فسوف

نُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٥﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٦﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ

نُوتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٥﴾ ثواباً لا صفة له، ثُمَّ حُصَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لَا اسْتِنَاقَ ضَعْفَةِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَيْدِي الْمَشْرِكِينَ، فَقَالَ:

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ وَهُمْ قَوْمٌ بِمَكَّةَ اسْتَضْعَفُوا فَحُبِسُوا وَعُذِّبُوا ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ إِلَى دَارِ الْهَجْرَةِ ﴿مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مَكَّةَ ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ أَيْ: جَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾ أَيْ: وَلِّ عَلَيْنَا رَجُلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يُوَالِينَا ﴿وَاجْعَل لَّنَا مِنْ لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ يَنْصُرُنَا عَلَى عَدُوِّكَ، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُمْ، وَوَلَّى عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَتَابَ بْنَ أُسَيْدٍ^(١)، وَأَعَانَهُمْ [اللَّهُ] بِهِ، فَكَانُوا أَعَزَّ بِهَا مِنَ الظُّلْمَةِ قَبْلَ ذَلِكَ.

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ أَيْ: فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ يَعْنِي: خَذَلَانَهُ إِيَّاهُمْ يَوْمَ قُتِلُوا بِبَدْرٍ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ عَنْ قِتَالِ الْمَشْرِكِينَ، وَأَذُوا مَا فُرِضَ عَلَيْكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. نَزَلَتْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتَأْذَنُوا النَّبِيَّ ﷺ وَهُمْ

(١) وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ أَخْرَجَهُ عَنْهُ الْعَقِيلِيُّ فِي الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ ٣٣٩/٤ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ، قَالَ الْعَقِيلِيُّ: لَا يُتَابَعُ عَلَيْهِ. اهـ. وَعَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ أَسْلَمَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَاسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَكَّةَ لَمَّا سَارَ إِلَى حَنِينٍ وَاسْتَمَرَّ. وَقِيلَ: إِنَّمَا اسْتَعْمَلَهُ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الطَّائِفِ، وَحُجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ الْفَتْحِ. الْإِصَابَةُ ٤٥١/٢.

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ

بمكة في قتال المشركين، فلم يأذن لهم^(١) ﴿فلما كتب عليهم القتال﴾ بالمدينة ﴿إذا فريق منهم يخشون الناس﴾ أي: عذاب الناس بالقتل ﴿كخشية الله﴾ كما يخشى عذاب الله ﴿أو أشد﴾ أكبر ﴿خشية﴾ وهذه الخشية إنما كانت لهم من حيث طبع البشرية، لا على كراهية أمر الله بالقتال ﴿وقالوا﴾ جزعاً من الموت، وحرصاً على الحياة: ﴿ربنا لم كتب﴾ فرضت ﴿علينا القتال لولا﴾ هلاً ﴿أخترنا إلى أجل قريب﴾ وهو الموت، أي: هلاً تركتنا حتى نموت بأجالنا، وعافيتنا من القتل ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿متاع الدنيا قليل﴾ أجل الدنيا قريب، وعيشها قليل ﴿والآخرة﴾ الجنة ﴿خير لمن اتقى﴾ ولم يشرك به شيئاً ﴿ولا تظلمون فتيلاً﴾ أي: لا تُنقصون من ثواب أعمالكم مثل فتيل الثّوّة، ثم أعلمهم أن آجالهم لا تخطئهم ولو تمنّعوا بأمنع الحصون، فقال:

﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج﴾ حصون وقصور ﴿مشيدة﴾ ﴿٧٨﴾ مَطْوَلَةٌ مرفوعة. [وقيل: بروج السّماء]^(٢). ﴿وإن تصبهم﴾ يعني: المنافقين [واليهود]^(٣) ﴿حسنه﴾ خصب ورخص سعر ﴿يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة﴾ جذبٌ وغلاء ﴿يقولوا هذه من عندك﴾ من شؤم محمد، وذلك أن النبي ﷺ لما قدم المدينة وكفرت اليهود أمسك الله عنهم ما كان قد بسط عليهم،

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ١٧٠/٥؛ وذكر أنهم عبد الرحمن بن عوف وأصحابه، والحاكم في المستدرک ٦٦/٢؛ وصححه وأقرّه الذهبي، والنسائي في تفسيره ١٩٤/١، والبيهقي في السنن ١١/٩.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) زيادة من ظ.

قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۖ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ مِّنْ نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُوا طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

فقالوا: ما رأينا أعظم شؤماً من هذا، نقصت ثمارنا، وغلت أسعارنا منذ قدم علينا، فقال الله تعالى: ﴿قل كل﴾ أي: الخصب والجذب ﴿من عند الله﴾ من قبل الله ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ لا يفهمون القرآن.

﴿٧٨﴾ ما أصابك ﴿من حسن﴾ من آدم ﴿من حسنة﴾ فتح وغنيمة وخصب فمن تفضل الله ﴿وما أصابك من سيئة﴾ من جذب وهزيمة وأمر تكرهه ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك يا ابن آدم ﴿وأرسلناك﴾ يا محمد ﴿لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك.

﴿٨٠﴾ من يطع الرسول فقد أطاع الله يعني: إن طاعتكم لمحمد طاعة لله ﴿ومن تولي﴾ أعرض عن طاعته ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ أي: حافظاً لهم من المعاصي حتى لا تقع، أي: ليس عليك بأس لتوليهم؛ لأنك لم ترسل عليهم حفيظاً من المعاصي.

﴿٨١﴾ ويقولون ﴿أي: المنافقون طاعة﴾ أي: طاعة لأمرك ﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيئت﴾ قَدَّر وأضمر ﴿طائفة منهم غير الذي تقول﴾ لك من الطاعة أي: أضمرنا خلاف ما أظهرنا، وقَدَّرنا ليلاً خلاف ما أعطوك نهراً ﴿والله يكتب ما يبيتون﴾ أي: يحفظ عليهم لِيَجَازُوا به ﴿فأعرض عنهم﴾ أي: فاصفح عنهم، وذلك أنه نُهي عن قتل المنافقين في ابتداء الإسلام، ثم نُسخ^(١) ذلك بقوله: ﴿جاهد الكفار والمنافقين﴾^(٢).

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٣.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٧﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٨﴾ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكْلَفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفٍ

﴿٨٧﴾ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ أي: المنافقون، [أفلا] يتأملون ويتفكرون فيه ﴿ولو كان﴾ القرآن ﴿من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ بالتناقض، والكذب، والباطل، وتفاوت الألفاظ.

﴿٨٨﴾ ﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن...﴾ الآية. نزلت في أصحاب الأراجيف^(١)، وهم قومٌ من المنافقين كانوا يُرجفون بسرايا رسول الله ﷺ، ويُخبرون بما وقع بها قبل أن يُخبر به النبي ﷺ، فيضعفون قلوب المؤمنين بذلك، ويؤذون النبي عليه السلام بسبقهم إياه بالإخبار، وقوله: ﴿أمرٌ من الأمن﴾ حديثٌ فيه أمنٌ ﴿أو الخوف﴾ يعني: الهزيمة ﴿أذاعوا به﴾ أي: أفشوه ﴿ولو رده إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم﴾ ولو سكتوا عنه حتى يكون الرسول هو الذي يُفشيهِ، وأولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم. وقيل: أمراء السرايا ﴿لعلهم الذين يستنبطونه﴾ يتبعونه ويطلبون علم ذلك. ﴿منهم﴾ من الرسول وأولي الأمر ﴿ولولا فضلُ الله﴾ أي: الإسلام ﴿ورحمته﴾ القرآن ﴿لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً﴾ ممّن عصم الله، كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسول ولا كتاب، نحو زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل، وطُلاب الدين، وهذا تذكيرٌ للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتى سلموا من التناق، وما دُمَّ به المنافقون.

﴿٨٩﴾ ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ أي: إلا فعل نفسك، على معنى: أنّه لا ضرر عليك في فعل غيرك، فلا تهتمّ بتخلّف من يتخلّف عن الجهاد ﴿وحرّض المؤمنين﴾ حُضّمهم على القتال ﴿عسى الله﴾ واجبٌ من الله ﴿أن يكف﴾ يصرف

بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنِ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيمًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾

ويمنع ﴿بأس الذين كفروا﴾ شدتهم وشوكتهم ﴿والله أشد بأساً﴾ عذاباً ﴿وأشد تنكيلاً﴾ عقوبة.

﴿مَنِ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ هي كل شفاعاة تجوز في الدين ﴿يكن له نصيب منها﴾ كان له فيها أجر ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ أي: ما لا يجوز في الدين أن يشفع فيه ﴿يكن له كفل منها﴾ أي: نصيب من الوزر والإثم ﴿وكان الله على كل شيء مقبلاً﴾ مقتدرًا.

﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ أي: إذا سَلَّم عليكم بسلام ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أي: أجيئوا بزيادة على التحية إذا كان المسلم من أهل الإسلام ﴿أو ردوها﴾ إذا كان من أهل الكتاب. [فقولوا: عليكم، ولا تزيدوا على ذلك] ^(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ [حفيظاً] ^(٢) مجازياً.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ أي: والله ليجمعنكم في القبور ﴿إلى يوم القيامة لا ريب فيه﴾ [لا شك فيه] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ أي: قولاً وخبراً. يريد: أنه لا خُلفَ لوعده.

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً﴾ نزلت ^(٣) في قوم قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فأقاموا ما شاء الله، ثم قالوا: إِنَّا اجتوينا المدينة، فأذن رسول الله ﷺ لهم أَنْ

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) أخرج هذا البخاري في التفسير. فتح الباري ٢٥٦/٨؛ ومسلم برقم ١٣٨٤؛ وأحمد ١٨٤/٥؛ والنسائي في تفسيره ٣٩٥/١.

وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْبَلُوا قَوْمَهُمْ

يخرجوا، فلمَّا خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلةً مرحلةً، حتى لحقوا بالمشركين، فاختلف المؤمنون فيهم، فقال بعضهم: إنَّهم كفار مرتدُّون، وقال آخرون: هم مسلمون حتى نعلم أنَّهم بدَّلوا، فبيَّن الله كفرهم في هذه الآية. والمعنى: ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين على فئتين، على فرقتين ﴿والله أركسهم﴾ ردَّهم إلى حكم الكفار من الدُّلِّ والصَّغار، والسَّبي والقتل ﴿بما كسبوا﴾ بما أظهرُوا من الارتداد بعدما كانوا على التَّفاق ﴿أتريدون﴾ أيُّها المؤمنون ﴿أن تهذبوا﴾ أي: ترشدوا ﴿مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾ لم يرشده الله، أي: يقولون: هؤلاء مهتدون، والله قد أضلَّهُم ﴿ومَنْ يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ أي: ديناً وطريقاً إلى الحجة.

﴿ودُّوا﴾ أي: هؤلاء ﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾ أنتم وهم ﴿سواءً﴾ فلا تتخذوا منهم أولياء ﴿أي: لا تُوالوهم ولا تُباطنوهم﴾ حتى يهاجروا في سبيل الله ﴿حتى يرجعوا إلى رسول الله﴾ فإن تولَّوا ﴿عن الهجرة وأقاموا على ما هم عليه﴾ فخذوهم بالأسر ﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾ أي: لا تتولَّوهم ولا تستنصروا بهم على عدوِّكم.

﴿إلا الذين يصلون﴾ أي: فاقتلوهم حيث وجدتموهم إلا الذين يتصلون ويلتجئون ﴿إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ فيدخلون فيهم بالحلف والجوار ﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم﴾ يعني: أو يتصلون بقوم جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم بقتالكم، وهم بنو مدلج كانوا صلحاً للنبي ﷺ، وهذا بيان أنَّ مَنْ انضمَّ إلى قوم ذوي عهدٍ مع النبي ﷺ فله مثلُ حكمهم في حقن الدم والمال، ثمَّ نُسخ هذا كُلُّه

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩١﴾ سَتَجِدُونَ عَآخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلٌّ مَا رَدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فخذوهم وأقتلوهم حيثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩٢﴾ وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا

بآية السِّيف^(١)، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَهُ بِكَفِّ بَأْسِ الْمُعَاهِدِينَ فَقَالَ: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ﴾ يَعْنِي: إِنْ ضَيَّقَ صُدُورُهُمْ عَنْ قِتَالِكُمْ إِنَّمَا هُوَ لِقَافِ اللَّهِ تَعَالَى الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلَوْ قَوَّى اللَّهُ تَعَالَى قُلُوبَهُمْ عَلَى قِتَالِكُمْ لَقَاتَلُوكُمْ، ﴿فَإِنْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ أَيُّ: فِي الْحَرْبِ ﴿وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أَيُّ: الصُّلْحَ ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ فِي قِتَالِهِمْ وَسَفَكَ دِمَائِهِمْ، ثُمَّ أَمَرَ بِقِتَالِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ:

﴿سَتَجِدُونَ آخِرِينَ...﴾ الْآيَةُ. هَؤُلَاءِ قَوْمٌ كَانُوا يَظْهَرُونَ الْمَوَافَقَةَ لِقَوْمِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَيَظْهَرُونَ الْإِسْلَامَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَالْمُؤْمِنِينَ، يَرِيدُونَ بِذَلِكَ الْأَمْنِ فِي الْفَرِيقَيْنِ، فَأُطْلِعَ اللَّهُ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى نِفَاقِهِمْ، [وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿يَرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾] ^(٢) وَقَوْلُهُ: ﴿كَلِمًا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ كَلِمًا دُعُوا إِلَى الشُّرْكِ رَجَعُوا فِيهِ ﴿وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ أَيُّ: حُجَّةً بَيِّنَةً فِي قِتَالِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ غَدَرُوا لَا يُؤْفُونَ لَكُمْ بِعَهْدٍ.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ أَلْبَتَّةَ ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَخْطِئُ الْمُؤْمِنُ بِالْقَتْلِ ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ مِثْلُ أَنْ يَقْصِدَ بِالرَّمْيِ غَيْرَهُ فَأَصَابَهُ ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾ إِلَى جَمِيعِ وَرَثَتِهِ ﴿إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا﴾ أَيُّ: يَعْضُوا

(١) وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾.

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ ظَا.

فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ

ويتركوا الدية ﴿فإن كان﴾ المقتول ﴿من قوم﴾ حرب لكم وكان مؤمناً ﴿فتحرير رقة مؤمنة﴾ كفارة للقتل، ولا دية، لأنَّ عصبته وأهله كفَّار فلا يرثون ديته ﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ كأهل الذمة فتجب فيه الدية والكفارة ﴿فمن لم يجد﴾ الرقة ﴿فصيام شهرين متتابعين توبة من الله﴾ أي: ليقبل الله توبة القاتل حيث لم يبحث عن المقتول وحاله، وحيث لم يجتهد حتى لا يخطيء.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا...﴾ الآية. غلَّظ الله وعيد قاتل المؤمن عمداً للمبالغة في الردع والزجر.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ أي: سرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: تأوَّأوا وتثبتوا. نزلت^(١) في رجلٍ كان قد انحاز بغنمٍ له إلى جبلٍ، فلقي سريةً من المسلمين عليهم أسامة بن زيد، فأتاهم وقال: السَّلام عليكم، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، محمد رسول الله، وكان قد أسلم، فقتله أسامة واستاقوا غنمه، فنزلت نهياً عن سفك دم مَنْ هو على مثل هذه الحالة، وذلك أَنَّ أسامة قال: إِنَّمَا قَالَهَا مُتَعَوِّذًا، فقال الله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ أي: حيَّاكم بهذه التَّحِيَّةِ ﴿لَسْتَ

(١) المقتول هو مرداس بن نهيك. والحديث أخرجه البخاري مختصراً. فتح الباري ٣٥٨/٨؛ ومسلم برقم ٣٠٢٥؛ وأبوداود برقم ٣٩٧٤؛ والنسائي في تفسيره ٣٩٨/١؛ وابن جرير ٢٢٣/٥.

مُؤْمِنًا تَبَتُّغُونَ عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ
 كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ كُنتُمْ عَلَيْهِمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
 خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
 وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ
 الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ
 الَّذِينَ تَوَقَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ

مؤمنًا تبتغون عرض الحياة الدنيا ﴿٩٤﴾ أي: متاعها من الغنائم ﴿٩٤﴾ فعند الله مغنم كثيرة ﴿٩٤﴾
 يعني: ثواباً كبيراً لمن ترك قتل مَنْ ألقى إليه السلام. ﴿٩٤﴾ كذلك كنتم من قبل ﴿٩٤﴾
 كفاراً ضاللاً كما كان هذا المقتول قبل إسلامه، ثم من الله عليكم بالإسلام كما
 من على المقتول، أي: إن كل مَنْ أسلم ممن كان كافراً فبمنزلة هذا الذي تعوذ
 بالإسلام قبل منه ظاهر الإسلام، ثم أعاد الأمر بالتبيين فقال: ﴿فتبينوا إن الله كان
 بما تعملون خبيراً﴾ أي: علم أنكم قتلتموه على ماله، ثم حمل رسول الله ﷺ ديته
 إلى أهله، وردَّ عليهم غنمه، واستغفر لأسامة، وأمره بعتق رقبة.

﴿٩٥﴾ لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر ﴿٩٥﴾ أي: الأصحاء الذين لا علة
 بهم تضرهم وتقطعهم عن الجهاد. لا يستوي هؤلاء ﴿٩٥﴾ والمجاهدون في سبيل الله
 بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين ﴿٩٥﴾ من أهل
 العذر ﴿درجة﴾؛ لأنَّ المجاهدين باشروا الطاعة، والقاعدين من أهل العذر
 قصدوها، وإن كانوا في الهمة والنية على قصد الجهاد، فمباشرة الطاعة فوق
 قصدتها بالنية ﴿وكلاً﴾ من المجاهدين والقاعدين المعذورين ﴿وعد الله الحسنَى﴾
 الجنة ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين﴾ من غير عذر ﴿أجراً عظيماً﴾.

﴿٩٦﴾ درجاتٍ منه ﴿٩٦﴾ أي: منازل بعضها فوق بعض، من منازل الكرامة.

﴿٩٧﴾ إنَّ الذين توفاهم الملائكة ﴿٩٧﴾ أي: قبضت أرواحهم. نزلت في قوم كانوا قد
 أسلموا ولم يهاجروا حتى خرج المشركون إلى بدر، فخرجوا معهم فقتلوا يوم

ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً
فَتَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ
عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ
مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ

بدر، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقوله: ﴿ظالمي أنفسهم﴾ بالمقام في
دار الشرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين ﴿قالوا: فيم كنتم﴾ أي: قالت
الملائكة لهؤلاء سؤال توبيخ وتقريع: أكنتم في المشركين أم كنتم في المسلمين؟
فاعتذروا بالضعف عن مقاومة أهل الشرك في دارهم فـ ﴿قالوا كنا مستضعفين في
الأرض﴾ أي: في مكة، فحاجتهم الملائكة بالهجرة إلى غير دارهم و ﴿قالوا
ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾
أخبر الله تعالى أن هؤلاء من أهل النار، ثم استثنى من صدق في أنه مستضعف
فقال:

﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الذين يوجدون ضعفاء ﴿لا يستطيعون حيلة﴾ لا يقدر
على حيلة ولا نفقة ولا قوة للخروج ﴿ولا يهتدون سبيلاً﴾ لا يعرفون طريقاً إلى
المدينة.

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً﴾ أي: مهاجراً ومتحولاً ﴿كثيراً
وسعة﴾ في الرزق ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله...﴾ الآية. نزلت في
حبيب^(١) بن ضمرة الليثي، وكان شيخاً كبيراً خرج متوجّهاً إلى المدينة فمات في
الطريق، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لو وافى المدينة لكان أتم أجراً، فأنزل الله

(١) في ظ: جندب. وقد اختلف فيمن نزلت به الآية. وانظر: غرر التبيان ص ٩٦؛ ومفحات
الأقران ص ٧٦.

وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنْ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٠٢﴾ وَإِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى

تعالى هذه الآية (٢)، وأخبر أن مَنْ قصد طاعة، ثم أعجزه العذر عن تمامها كتب الله ثواب تمام تلك الطاعة، ومعنى ﴿وقع أجره على الله﴾ وجب ذلك بإيجابه.

﴿١٠١﴾ ﴿وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا...﴾ الآية. نزلت في إباحة قصر الصلاة في السفر، وظاهر القرآن يدل على أن القصر يستباح بالسفر والخوف، لقوله: ﴿إن خفتهم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ أي: يقتلكم، والإجماع منعقد على أن القصر يجوز في السفر من غير خوف، وثبتت السنة بهذا عن النبي ﷺ (٢)، ولكن ذكر الخوف في الآية، على حال غالب أسفارهم في ذلك الوقت، ثم ذكر صلاة الخوف فقال:

﴿١٠٢﴾ ﴿وإذا كنت فيهم﴾ أي: إذا كنت أيها النبي مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم ﴿فأقم لهم الصلاة﴾ أي: ابتدأت بها إماماً لهم ﴿فلتقم طائفة منهم معك﴾ نصفهم يصلون معك ﴿ولياخذوا﴾ أي: وليأخذ الباقون أسلحتهم ﴿فإذا سجدوا﴾ فإذا سجدت الطائفة التي قامت معك ﴿فليكونوا من ورائكم﴾ أي: الذين أمروا بأخذ السلاح ﴿ولتأت طائفة أخرى﴾ أي: الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم

(١) انظر: ابن جرير ٤٢٠/٥؛ ولباب النقول ص ٨٠؛ وأسباب النزول ص ٢٠٨.

(٢) في الحديث عن يعلى بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب: رأيت إقصار الناس الصلاة، وإنما قال تعالى: ﴿إن خفتهم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فقد ذهب ذلك اليوم؟ فقال: عجبت ممّا عجبت منه، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته. أخرجه مسلم برقم ٦٨٦؛ وأبو داود برقم ١١٩٩؛ والنسائي في تفسيره ٤٠٣/١؛ والترمذي. العارضة ١٦٣/١١.

لَمْ يَصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٠١﴾ فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ الصَّلَاةُ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴿١٠٢﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا

﴿لم يصلوا﴾ [معك الركعة الأولى] ^(١) ﴿فليصلوا معك﴾ [الركعة الثانية] ^(٢) ﴿ولياخذوا حذرهم﴾ [من عدوهم] ^(٣) ﴿وأسلحتهم﴾ [سلاحهم معهم] ^(٤). يعني: الذين صلوا أول مرة ﴿ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ في صلاتكم ﴿فيميلون عليكم ميلاً واحدة﴾ بالقتال ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم﴾ ترخيص لهم في ترك حمل السلاح في الصلاة، وحمله فرض عند بعضهم، وسنة مؤكدة عند بعضهم، فرخص الله لهم في تركه لعذر المطر والمرض؛ لأنَّ السلاح يثقل على المريض، ويفسد في المطر ﴿وخذوا حذركم﴾ أي: كونوا على حذر في الصلاة كيلا يتغفلكم العدو.

﴿١٠١﴾ ﴿فإذا قضيتُم الصلاة﴾ فرغتم من صلاة الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ بتوحيده وشكره في جميع أحوالكم ﴿فإذا اطمأنتم﴾ رجعتُم إلى أهلكم وأقمتُم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أتموها ﴿إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ مفروضاً موقتاً فرضه.

﴿١٠٢﴾ ﴿ولا تهنوا﴾ أي: لا تضعفوا ﴿في ابتغاء القوم﴾ يعني: أبا سفيان ومن معه حين انصرفوا من أحد. أمر الله تعالى نبيه عليه السلام أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بآيَّام، فاشتكى أصحابه ما بهم من الجراحات، فقال الله تعالى: ﴿إن تكونوا

(٣) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظ.

(٤) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾

تألمون فإنهم يألمون كما تألمون ﴿١٠٤﴾ أي: إن ألتهم من جراحكم فهم أيضاً في مثل حالتكم من ألم الجراح ﴿وترجون من الله﴾ من نصر الله إياكم، وإظهار دينكم [في الدنيا] ^(١)، وثوابه في العقبى ﴿ما لا يرجون﴾ هم ﴿وكان الله عليماً﴾ بخلقه ﴿حكيماً﴾ فيما حكم.

﴿١٠٥﴾ ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة طعمة بن أبيرق؛ سرق درعاً ^(٢)، ثم رمى بها يهودياً، فلما طُلبت منه الدرع أحال على اليهودي، ورماه بالسرقة، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهودي، وأتوا رسول الله ﷺ، فسأل قوم طعمة النبي ﷺ أن يجادل عن صاحبهم، وأن يُبرّئهم، وقالوا: إنك إن لم تفعل افتضح صاحبنا وبرىء اليهودي، فهم النبي ﷺ أن يفعل، فنزل قوله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ في الحكم لا بالتعدي فيه ﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ أي: فيما علمك الله ﴿ولا تكن للخائنين﴾ طعمة وقومه ﴿خصيماً﴾ مخاصماً عنهم.

﴿١٠٦﴾ ﴿واستغفر الله﴾ من جدالك عن طعمة، وهمك بقطع اليهودي.

﴿١٠٧﴾ ﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾ يخونونها بالمعصية؛ لأن وبال خيانتهم راجع عليهم. يعني: طعمة وقومه ﴿إن الله لا يحب من كان خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ أي:

(١) زيادة من ظا.

(٢) القصة أخرجها الحاكم في المستدرک ٣٨٥/٤ في كتاب الحدود، وقال: صحيح على شرط مسلم؛ وأقره الذهبي والترمذي في التفسير. العارضة ١٦٤/١١؛ وقال الترمذي: حديث غريب؛ وابن جرير ٢٦٥/٥. وانظر: أسباب النزول ص ٢١٠.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَحِدِ اللَّهُ عَفْوَآ رَحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَنْ يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا

طعمة، لأنه خان في الدرع، وأثم في رمية اليهودي.

﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ ﴿يَسْتَرُونَ بخيانتهم﴾ ﴿من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ ﴿عالم بما يخفون﴾ ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾ وَيَقْدِرُونَ لِيلاً ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ وهو أَنَّ طعمة قال: أرمي اليهودي بأنه سارق الدرع، وأحلف أنني لم أسرق فيقبل يميني؛ لأنني على دينهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ عالماً، ثُمَّ خاطب قوم طعمة فقال:

﴿هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءَ جَدَلْتُمْ﴾ خَاصَمْتُمْ ﴿عَنْهُمْ﴾ عن طعمة وذويه ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيُّ: لا أحد يفعل ذلك، ولا يكون في ذلك اليوم عليهم وكيلٌ يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم، ثُمَّ عرض التَّوْبَةَ على طعمة وقومه بقوله:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ مَعْصِيَةً كَمَا عَمِلَ قَوْمُ طَعْمَةَ ﴿أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ﴾ بِذَنْبٍ كَفَعَلَ طَعْمَةَ ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ...﴾ الآية. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ ضَرَرَ الْمَعْصِيَةِ إِنَّمَا يَلْحَقُ الْعَاصِيَ، ولا يلحق الله من معصيته ضررٌ، فقال:

﴿وَمَنْ يَكْسِبِ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِالسَّارِقِ ﴿حَكِيمًا﴾ حَكَمَ بِالْقَطْعِ عَلَى طَعْمَةَ.

﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذَنْبًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى. يعني: يمينه الكاذبة أَنَّهُ مَا سَرَقَ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذَنْبًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ. يعني: سرقة ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ﴾ أَيُّ: بِإِثْمِهِ ﴿بَرِيئًا﴾

فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿١١٧﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٨﴾ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٩﴾ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ

كما فعل طعمة حين رمى اليهوديَّ بالسَّرقَة ﴿فقد احتمل بهتاناً﴾ برمي البريء ﴿وإثماً مبيناً﴾ باليمين الكاذبة والسَّرقَة.

﴿١١٧﴾ ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته﴾ بالنبوة والعصمة ﴿لهمَّت﴾ لقد همَّت ﴿طائفة منهم﴾ من قوم طعمة ﴿أن يضلوك﴾ أي: يُخطئوك في الحكم، وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يجادل عنهم ويقطع اليهوديَّ ﴿وما يضلون إلا أنفسهم﴾ بتعاونهم على الإثم والعدوان وشهادتهم الزور والبهتان ﴿وما يضررونك من شيء﴾ لأنَّ الضرر على مَنْ شهد بغير حقٍّ، ثمَّ مَنْ الله عليه فقال: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ أي: القضاء بالوحي، وبَيَّنَّ لك ما فيه الحكمة، فلمَّا بان أنَّ السَّارق طعمة تناجى قومه في شأنه، فأنزل الله تعالى:

﴿١١٨﴾ ﴿لا خير في كثير من نجواهم﴾ أي: مسارتهم ﴿إلا مَنْ أَمَرَ﴾ أي: إلا في نجوى من أَمَرَ ﴿بصدقة﴾ وقال مجاهد: هذه الآية عامَّةٌ للناس. يريد: أنَّه لا خير فيما يتناجى فيه النَّاسُ، ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال البرِّ، ثمَّ بَيَّنَّ أنَّ ذلك إنما ينفع مَنْ ابتغى به ما عند الله، فقال: ﴿ومَنْ يفعل ذلك...﴾ الآية. ثمَّ حكم رسول الله ﷺ على طعمة بالقطع، فخاف على نفسه الفضيحة، فهرب إلى مكة ولحق بالمشركين، فنزل قوله:

﴿١١٩﴾ ﴿ومَنْ يشاقق الرسول﴾ أي: يخالفه. ﴿من بعد ما تبَيَّنَّ له الهدى﴾ الإيمان بالله ورسوله، وذلك أنَّه ظهر له من الآية ما فيه بلاغ بما أطلع الله سبحانه على أمره، فعادى النبيَّ ﷺ بعد وضوح الحجَّة وقيام الدليل ﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين﴾ غير

تُولَّاهُ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْتَاوًا يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَاضِلَّيْنَهُمْ وَلَآمِنَيْنَهُمْ وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فليبتكنَّ أذان الأنعام ولأمرنهم فليغيرن خلق الله وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾

دين الموحدين ﴿نوله ما تولى﴾ ندعه وما اختار لنفسه ﴿ونصله جهنم﴾ ندخله إيّاها ونلزمه الثّار، ثمّ أشرك بالله طعمة فكان يعبد صنماً إلى أن مات، فأُنزل الله فيه:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ...﴾ الآية. ثمّ نزل في أهل مكة: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ أَيْ: مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿إِلَّا إِنْتَاوًا﴾ أَيْ: أصنامهم اللَّات والعزى ومناة ﴿وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ مَا يَعْبُدُونَ بعبادتهم لها إِلَّا شَيْطَانًا خَارِجًا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. يعني: إبليس؛ لأنّهم أطاعوه فيما سؤل لهم من عبادتها.

﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ دحره وأخرجه من الجنّة ﴿وَقَالَ﴾ يعني إبليس: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ﴾ باغوائي وإضلالي ﴿نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ معلوماً، أَيْ: مَنْ اتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ.

﴿وَلَاضِلَّيْنَهُمْ﴾ عَنْ الْحَقِّ ﴿وَلَآمِنَيْنَهُمْ﴾ أَنْ لَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ. وقيل: ركوب الأهواء. ﴿وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيَبْتَكُنَّ أَذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ [أَيْ: فليقطعنّها] يعني: البهائم، وسيأتي بيان ذلك فيما بعد [في سورة المائدة] ^(١). ﴿وَلَا مُرْتَهَنَهُمْ فَلْيَغْيِرْنَ خَلْقَ اللَّهِ﴾ أَيْ: دينه. يكفرون ويحرّمون الحلال، ويحلّون الحرام ﴿وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: [مَنْ] يُطْعِمُهُ فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنَ الضَّلَالِ ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا﴾ خسر الجنّة ونعيمها.

(١) ما بين [] عبارة عا. وبيانه في ص ٣٣٨. عند الآية ١٠٣.

يَعِدُّهُمْ وَيَمْنِيهِمْ^١ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا^{١٢٠} ﴿أُولَٰئِكَ مَا وَلَّهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾^{١٢١} وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا^{١٢٢} ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾^{١٢٣} وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ

﴿يعدهم﴾ طول العمر في الدنيا ﴿ويمنيهم﴾ نيل المراد منها ﴿وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ أي: إلا ما يغرهم من إيهام التّع في الضّرر.

﴿أولئك﴾ أي: الذين اتّخذوا الشيطان وليّاً ﴿مأواهم﴾ مرجعهم ومصيرهم ﴿جهنم﴾ ولا يجدون عنها محيصاً معدلاً.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ الآية.

﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب﴾ نزلت في كفّار قريش واليهود. قالت قريش: لا تُبعث ولا نُحاسب، وقالت اليهود: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾^(١)، فنزلت هذه الآية^(٢). أي: ليس الأمر بأمانى اليهود والكفار. ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً﴾ كفراً وشركاً ﴿يُجْزَى بِهِ﴾ ولا يجد له من دون الله وليّاً يمنعهُ ﴿ولا نصيراً﴾ ينصره، ثم بيّن فضيلة المؤمنين على غيرهم بقوله:

﴿ومن يعمل من الصالحات...﴾ الآية. وبقوله:

(١) سورة البقرة: الآية ٨٠.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢٩٠/٥ عن مجاهد. وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَى بِهِ﴾ شقّ ذلك على المسلمين، فأتوا رسول الله ﷺ فسألوه، فقال: قاربوا، وسدّوا، ففي كلّ ما يصاب به العبد كفارة، حتى النكبة يُنكبها، والشوكة يشاكها. صحيح مسلم رقم ٢٥٧٤؛ والترمذي. العارضة ١٦٩/١١؛ وتفسير النسائي ٤٠٥/١.

ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتْلَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ

﴿١٢٥﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: توجَّه بعبادته إلى الله خاضعاً له ﴿وهو محسن﴾ مُوَحِّدٌ ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ دَاخِلَةٌ فِي مِلَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَمَنْ أَقْرَبَ بِمِلَّةِ مُحَمَّدٍ فَقَدْ اتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صَفِيًّا بِالرَّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ، مُحِبًّا لَهُ خَالِصَ الْحُبِّ.

﴿١٢٦﴾ ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي النِّسَاءِ﴾ فِي تَوْرِيثِهِنَّ. كانت العرب لا تورث النِّسَاءَ وَالصَّبِيَّانَ شَيْئاً مِنَ الْمِيرَاثِ ﴿قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ أي: القرآن يُفْتِيكُمْ أَيْضاً. يعني: آية الموارث في أوَّل هذه السورة ^(١) ﴿فِي﴾ ميراث ﴿يَتَامَى النِّسَاءِ﴾؛ لِأَنَّهَا نَزَلَتْ فِي قِصَّةِ أُمِّ كَبْجَةَ ^(٢)، وَكَانَتْ لَهَا بَنَاتٌ ﴿الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ أي: فُرِضَ لَهُنَّ مِنَ الْمِيرَاثِ ﴿وَتَرْغَبُونَ﴾ عَنْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴿لَدَمَامَتِهِنَّ﴾. قالت عائشة ^(٣) رضي الله عنها: نزلت في اليتيمة يرغب

(١) وهي قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ...﴾ الآية.

(٢) ذكره الواقدي عن الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس أنَّ أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات، وامرأة يقال لها: أُمُّ كَبْجَةَ، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما سويد وعرفجة، فأخذوا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت أُمُّ كَبْجَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فذكرت ذلك له، فنزلت آية الموارث.

ولا يخفى ضعفه، وأخرجه أبو نعيم من رواية سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل. قال ابن حجر: رواه عن سفيان هو إبراهيم بن هراسة، ضعيف. الإصابة ٤/ ٤٨٧.

(٣) أخرج قول عائشة البخاري في التفسير ٨/ ٦٥؛ ومسلم برقم ٣٠١٨؛ وأبو داود برقم ٢٠٦٨؛ والبيهقي في السنن ٧/ ١٤١.

وَالْمُسْتَضَعِفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

وليها عن نكاحها، ولا يُنكحها فيعضلها طمعاً في ميراثها، فُهي عن ذلك ﴿والمستضعفين من الولدان﴾ أي: يُفتيكم في الصغار من الغلمان والجواري أن تعطوهنَّ حقهنَّ ﴿وأن تقوموا﴾ أي: وفي أن تقوموا ﴿لليتامى بالقسط﴾ أي: بالعدل في مهورهنَّ وموارثهنَّ ﴿وما تفعلوا من خير﴾ من حسن فيما أمرتكم به ﴿فإنَّ الله كان به عليماً﴾ يجازيكم عليه.

﴿وإن امرأة خافت﴾ علمت ﴿من بعلها﴾ زوجها ﴿نُشُورًا﴾ ترفعاً عليها لبغضها، وهو أن يترك مجامعتها ﴿أو إعراضاً﴾ بوجهه عنها ﴿فلا جناح عليهما أن يصالحا﴾^(١) بينهما صلحاً في القسمة والثقة، وهي أن ترضى هي بدون حقها، أو تترك من مهرها شيئاً ليسوي الزوج بينها وبين ضررتها في القسمة، وهذا إذا رضيت بذلك لكرهه فراق زوجها، ولا تجبر على هذا لأنها إن لم ترض بدون حقها كان الواجب على الزوج أن يوفيها حقها من الثقة والمبيت ﴿والصلح خير﴾ من النشوز والإعراض. أي: إن يتصالحا على شيء خير من أن يقيما على النشوز والكرهه بينهما ﴿وأحضرت الأنفس الشح﴾ أي: شحت المرأة بنصيبها من زوجها، وشحَّ الرجل على المرأة بنفسه إذا كان غيرها أحبَّ إليه منها ﴿وإن تحسنوا﴾ العشرة والصُّحبة ﴿وتتقوا﴾ الجور والميل ﴿فإنَّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ لا يضيع عنده شيء.

﴿ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم﴾ لن تقدروا على التسوية بينهما

(١) قرأ «يُصْلِحَا»: عاصم وحزمة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون: «يَصَالِحَا»؛ الإتحاف ١/ ٥٢١.

فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ يَنْفَرَقَا يُعَنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا ﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ۚ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٢٤﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٢٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٢٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٢٧﴾

في المحبة ولو اجتهدتم ﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾ إلى التي تحبّون في التفقة والقسمة ﴿ فتدروها كالمعلقة ﴾ فتدعوا الأخرى كأنها معلقة لا أيّماً ولا ذات بعل ﴿ وإن تصلحوا ﴾ بالعدل في القسم ﴿ وتتقوا ﴾ الجور ﴿ فإن الله كان غفوراً رحيماً ﴾ لما ملت إلى التي تحبّها بقلبك، ولمّا ذكر جواز الصلح بينهما إن أحبّ أن يجتمعا ذكر بعده الافتراق، فقال:

﴿ وإن يتفرقا ﴾ أي: إن أبت المرأة الكبيرة الصلح، وأبت إلاّ التسوية بينها وبين الشابة ففترقا بالطلاق، فقد وعد الله لهما أن يُغني كلّ واحد منهما عن صاحبه بعد الطلاق من فضله الواسع بقوله: ﴿ يغني الله كلّاً من سعته وكان الله واسعاً ﴾ لجميع خلقه في الرزق والفضل ﴿ حكيماً ﴾ فيما حكم ووعظ.

﴿ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ﴾ يعني: المشركين والمنافقين ﴿ ويأت بآخرين ﴾ أمثل وأطوع لله منكم.

﴿ من كان يريد ثواب الدنيا ﴾ أي: متاعها ﴿ فعند الله ثواب الدنيا والآخرة ﴾ أي: خير الدنيا والآخرة عنده، فليطلب ذلك منه، وهذا تعريض بالكفار الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث، وكانوا يقولون: ربنا آتانا في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خلاق.

بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
 أَيْبَنُوتُ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ
 ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ
 إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ

﴿١٣٨﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

﴿١٣٩﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ هذه الآية من صفة المنافقين،
 وكانوا يُوالون اليهود مخالفةً للمسلمين يتوهمون أَنَّ لَهُم الْقُوَّةَ وَالْمَنْعَةَ، وهو معنى
 قوله: ﴿أَيْبَنُوتُ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ﴾ أي: القُوَّةُ بالظهور على محمد ﷺ ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ
 أَي: الغلبة والقُوَّةُ﴾ لِلَّهِ جَمِيعًا.

﴿١٤٠﴾ وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ فِي الْقُرْآنِ ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ﴾
 الْكُفْرَ بآيَاتِ اللَّهِ وَالِاسْتِهْزَاءَ بِهَا ﴿فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ﴾ غَيْرِ
 الْكُفْرِ وَالِاسْتِهْزَاءِ. يعني: قوله في سورة الأنعام: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي
 آيَاتِنَا...﴾ (١) الآية. هذه كانت مما نزل عليهم في الكتاب، وقوله: ﴿إِنْكُمْ إِذَا
 مَثَلْتُمْ﴾ يعني: إِنْ قَعَدْتُمْ مَعَهُمْ رَاضِينَ بِمَا يَأْتُونَ مِنَ الْكُفْرِ بِالْقُرْآنِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِ،
 وَذَلِكَ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَجْلِسُونَ إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَيَسْخَرُونَ مِنَ الْقُرْآنِ، فَنَهَى
 اللَّهُ سَبْحَانَهُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ مَجَالَسَتِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ
 جَمِيعًا﴾ يريد: أَنَّهُمْ كَمَا اجْتَمَعُوا عَلَى الْاسْتِهْزَاءِ بِالْآيَاتِ يَجْتَمِعُونَ فِي جَهَنَّمَ عَلَى
 الْعَذَابِ.

﴿١٤١﴾ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ يعني: الْمُنَافِقِينَ يَنْتَظِرُونَ بِكُمْ الدَّوَائِرَ ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ

(١) الآية: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ،
 وَإِمَّا يَنْسِيَنَّ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ رقم ٦٨.

مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ
مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى
رِءَاوُنَ النَّاسِ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ

من الله ﴿ ظهوراً على اليهود ﴾ قالوا ألم نكن معكم ﴿ فأعطونا من الغنمة ﴾ وإن كان
للكافرين نصيب ﴿ من الظفر على المسلمين ﴾ قالوا ﴿ لهم ﴾ : ﴿ ألم نستحوذ ﴾
[نغلب] ﴿ عليكم ﴾ نمنعكم عن الدُّخُولِ في جملة المؤمنين ﴿ ونمنعكم من
المؤمنين ﴾ بتخذيلهم عنكم، ومراسلتنا إياكم بأخبارهم ﴿ فالله يحكم بينكم ﴾ يعني:
بين المؤمنين والمنافقين ﴿ يوم القيامة ﴾ يعني: أنه أخر عقابهم إلى ذلك اليوم،
ورفع عنهم السَّيْفَ [في الدنيا] ﴿ ١١ ﴾، ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلاً ﴾ أي: حجة يوم القيامة، ؛ لأنه يفردهم بالنعيم، وما لا يشاركونهم فيه من
الكرامات بخلاف الدنيا.

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ ﴾ أي: يعملون عمل المخادع بما يظهره، ويبطنون
خلافه. ﴿ وهو خادعهم ﴾ مجازيهم جزاء خداعهم، وذلك أَنَّهُمْ يُعْطُونَ نوراً كما
يُعطى المؤمنون، فإذا مضوا قليلاً أطفئ نورهم، وبقوا في الظلمة ﴿ وإذا قاموا
إلى الصلاة ﴾ مع النَّاسِ ﴿ قاموا كسالى ﴾ متثاقلين ﴿ يراؤون الناس ﴾ ليرى ذلك
النَّاسُ، لا لاتباع أمر الله. يعني: ليراهم النَّاسُ مُصَلِّينَ لا يريدون وجه الله ﴿ ولا
يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ لأنَّهم يعملونه رياءً وسمعةً، ولو أرادوا به وجه الله لكان
كثيراً.

﴿ مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ مُرَدِّدِينَ بين الكفر والإيمان، ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا
مشركين مصرِّحين بالشُّرك ﴿ لا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ ﴾ لا من الأنصار، ولا من

وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ بَنَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنَخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ أُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا
دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ
اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ لَا يُحِبُّ اللَّهُ
الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ

اليهود ﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾ من أضله الله فلن تجد له ديناً.
﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ يعني: الأنصار.
يقول: لا توالوا اليهود من قريظة والنضير ﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً
مبيناً﴾ حجة بيّنة في عقابكم بموالاةكم اليهود، أي: إنكم إذا فعلتم ذلك صارت
الحجة عليكم في العقاب.

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ أي: في أسفل درج النار ﴿ولن تجد
لهم نصيراً﴾ مانعاً يمنعهم من عذاب الله.

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من التَّفَاق ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ العمل ﴿واعتصموا بالله﴾ التجأوا إليه
﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ من شائب الرِّياء ﴿فأولئك مع المؤمنين﴾ أي: هم أدنى
منهم بعد هذا كله، ثم أوقع أجر المؤمنين في التسوية لانضمامهم إليهم فقال:
﴿وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾.

﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾ بعذاب خلقه ﴿إن شكرتم﴾ اعترفتم بإحسانه ﴿وآمنتم﴾
بنبيه ﴿وكان الله شاكراً﴾ للقليل من أعمالكم ﴿عليماً﴾ بنياتكم.

الجزء السادس:

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾ نزلت ترخيصاً للمظلوم أن يجهر بشكوى
الظَّالم، وذلك أن ضيفاً نزل بقوم فأسأوا قراه، فاشتكاهم، فنزلت ^(١) هذه الآية

إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ

رخصة في أن يشكوا، وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلِمَ﴾ لكن مَنْ ظلم فإنه يجهر بالسُّوء من القول، وله ذلك ﴿وكان الله سميعاً﴾ لقول المظلوم ﴿عليماً﴾ بما يضمه، أي: فليقل الحق، ولا يتعدَّ ما أُذن له فيه.

﴿١٤٩﴾ ﴿إِنْ تَبْدُوا خَيْرًا﴾ من أعمال البرِّ ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ يأتيك من أخيك المسلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا﴾ لِمَنْ عفا ﴿قَدِيرًا﴾ على ثوابه.

﴿١٥٠﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ هم اليهود كفروا بعيسى عليه السَّلام والإنجيل، ومحمد عليه السَّلام والقرآن ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرُّسل ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ الرُّسل ﴿وَنَكْفُرُ﴾ ببعضهم ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ بين الإيمان بالبعض، والكفر بالبعض ديناً يدينون به.

﴿١٥١﴾ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ أي: إِنَّ إيمانهم ببعض الرُّسل لا يُزيل عنهم اسم الكفر، ثم نزل في المؤمنين.

﴿١٥٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ...﴾ الآية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ...﴾ الآية. سألت اليهود رسول الله ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بكتابٍ جُمْلَةً مِنَ السَّمَاءِ، كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، وقوله: ﴿فَقَدْ

(١) أخرجه ابن جرير ٧/٦ عن محمد بن كعب القرظي؛ وانظر: الأسباب ص ٢١٧؛ ولباب النقول

سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفِّرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقُلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ

سألوا موسى أكبر من ذلك ﴿ يعني: السبعين الذين ذكروا في قوله: ﴿ وإذ قلت يا موسى لنؤمن لك... ﴾ (١) الآية. ﴾ ثم اتخذوا العجل ﴾ يعني: الذين خلّفهم موسى مع هارون ﴿ من بعد ما جاءتهم البينات ﴾ العصا، واليد، وقلق البحر ﴿ فعفونا عن ذلك ﴾ لم نستأصل عبدة العجل ﴿ وآتيناهم موسى سلطاناً مبيناً ﴾ حجة بيّنة قوي بها على من ناواه.

﴿ ١٥٤ ﴾ ﴿ ورفعنا فوقهم الطور ﴾ حين امتنعوا من قبول شريعة التّوراة ﴿ بميثاقهم ﴾ أي: بأخذ ميثاقهم ﴿ وقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ ﴾ لا تعتدوا باقتناص السّمك فيه ﴿ وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ عهداً مؤكّداً في النّبى ﷺ.

﴿ ١٥٥ ﴾ ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ أي: فبنقضهم، و «ما» زائدة للتوكيد، وقوله: ﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم ﴾ أي: ختم الله على قلوبهم فلا تعي وعظاً، مجازاة لهم على كفرهم ﴿ فلا يؤمنون إلا قليلاً ﴾ يعني: الذين آمنوا.

﴿ ١٥٦ ﴾ ﴿ وبكفرهم ﴾ بالمسيح ﴿ وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً ﴾ حين رموها بالزّنا.

﴿ ١٥٧ ﴾ ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن

(١) الآية: ﴿ وإذ قلت يا موسى لنؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ [البقرة: ٥٥].

شِبِّهِ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾
 بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ
 الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَاهِرُ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ
 وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾

شبه لهم ﴿١٥٧﴾ أي: أُلقي لهم شبه عيسى على غيره حتى ظنُّوه لمَّا رأوه أنه المسيح
 ﴿وإنَّ الذين اختلفوا فيه﴾ أي: في قتله، وذلك أنَّهم لمَّا قتلوا الشَّخص المشبَّه به
 كان الشَّبه أُلقي على وجهه، ولم يُلَق على جسده شبه جسد عيسى، فلمَّا قتلوه
 ونظروا إليه قالوا: الوجه وجه عيسى، والجسد جسد غيره، فاختلفوا، فقال
 بعضهم: هذا عيسى، وقال بعضهم: ليس بعيسى، وهذا معنى قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ
 مِنْهُ﴾ أي: مِنْ قَتْلِهِ ﴿مَا لَهُمْ بِهِ﴾ بعيسى ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ قُتِلَ أو لم يقتل ﴿إِلَّا اتِّبَاعَ
 الظَّنِّ﴾ لكنَّهم يَتَّبِعُونَ الظَّنَّ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ وما قتلوا المسيح على يقين من أنَّه
 المسيح.

﴿١٥٨﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴿١٥٩﴾ أي: إلى الموضع الذي لا يجري لأحدٍ سوى الله فيه حكمٌ،
 وكان رُفْعُهُ إلى ذلك الموضع رُفْعًا إِلَيْهِ؛ لَأَنَّهُ رُفِعَ عَنْ أَنْ يَجْرِيَ عَلَيْهِ حُكْمُ أَحَدٍ
 مِنَ الْعِبَادِ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ فِي اقْتِدَارِهِ عَلَى نَجَاتِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿حَكِيمًا﴾
 فِي تَدْبِيرِهِ فِي النَّجَاتِ.

﴿١٥٩﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ ﴿١٦٠﴾ أي: مَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَحَدٌ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ
 بِعَيْسَى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ إِذَا عَايَنَ الْمَلَكُ، وَلَا يَنْفَعُهُ حِينَئِذٍ إِيمَانُهُ، وَلَا يَمُوتُ يَهُودِيٌّ
 حَتَّى يُؤْمِنَ بِعَيْسَى ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ عَلَى أَنْ قَدْ بَلَغَ الرُّسَالَهَ،
 وَأَقْرَبَ بِالْعُبُودِيَّةِ عَلَى نَفْسِهِ.

﴿١٦٠﴾ فَيُظَاهِرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا... الآية. عاقب الله اليهود على ظلمهم وبغيهم بتحريم
 أشياء عليهم، وهي ما ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا كُلَّ ذِي
 ظُفْرِ...﴾ ^(١) الآية، ثُمَّ اسْتَشْنَى مُؤْمِنِيهِمْ فَقَالَ:

وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْلَهُمْ آمَوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١١٦﴾
 لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ
 الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٧﴾
 ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالْيَسَّىٰ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ
 زَبُورًا ﴿١١٩﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ
 مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٢٠﴾ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ
 وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٢١﴾ لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ
 يَشْهَدُونَ

﴿١١٦﴾ لكن الراسخون﴾ يعني: المبالغين في علم الكتاب منهم، كعبد الله بن سلام
 وأصحابه ﴿والمؤمنون﴾ من أصحاب محمد ﷺ ﴿يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل
 من قبلك والمقيمِينَ الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك
 سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾ ظاهرٌ إلى قوله:

﴿١٢٠﴾ رسلًا مبشرين﴾ أي: بالثواب على الطاعة ﴿ومُنْذِرِينَ﴾ بالعقاب على المعصية
 ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً
 يعلمنا دينك، فبعثنا الرسل قطعاً لعذرهم.

﴿١٢١﴾ لكن الله يشهد...﴾ الآية. نزلت حين قالت اليهود - لما سُئِلُوا عن نبوة
 محمدٍ - : ما نشهد له بذلك^(١)، فقال الله تعالى: ﴿لكن الله يشهد﴾ أي: يبين
 نبوتك ﴿بما أنزل إليك﴾ من القرآن ودلائله ﴿أنزله بعلمه﴾ أي: وهو يعلم أنك
 أهلٌ لأنزاله عليك لقيامك به ﴿والملائكة يشهدون﴾ لك بالنبوة إن جحدت اليهود،

(١) أخرجه ابن جرير ٣١/٦ عن ابن عباس. وانظر: الأسباب ص ٢١٧؛ ولباب النقول ص ٨٥.

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾
 إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ
 رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾
 يَتَأَهَّلَ الْكَتَبِ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى
 ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ

وشهادة الملائكة إنما تُعرف بقيام المعجزة، فمن ظهرت معجزته شهدت الملائكة
 بصدقه ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أي: كفى الله شهيداً.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني اليهود ﴿وظلموا﴾ محمداً عليه السلام بكتمان نعته
 ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ هذا فيمن علم أنه يموت على الكفر ﴿ولا ليهديهم
 طريقاً﴾ ولا ليرشدهم إلى دين الإسلام.

﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾ يعني: طريق اليهودية، وهو الطريق الذي يقودهم إلى جهنم
 ﴿خالدين فيها أبداً وكان ذلك﴾ أي: خلودهم ﴿على الله يسيراً﴾ لأنه لا يتعذر عليه
 شيء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: المشركين ﴿قد جاءكم الرسول بالحق﴾ بالهدى والصدق
 ﴿من ربكم فآمنوا خيراً لكم﴾ أي: ابتوا خيراً لكم من الكفر بالإيمان به ﴿وإن
 تكفروا﴾ تكذبوا محمداً وتكفروا نعمة الله عليكم به ﴿فإنَّ لله ما في السموات
 والأرض﴾ أي: لا تضرُّون إلا أنفسكم؛ لأنَّ الله غنيٌّ عنكم ﴿وكان الله عليماً﴾ بما
 تصيرون إليه من إيمان أو كفر ﴿حكيماً﴾ في تكليفه مع علمه بما يكون منكم.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ يريد: النَّصَارَى ﴿لا تغلوا﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ ولا تشدّدوا
 ﴿في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق﴾ فليس له ولدٌ، ولا زوجة، ولا شريك،
 وقوله: ﴿وكلمته ألقاها﴾ يعني: أنه قال له: كن فيكون ﴿وروح منه﴾ أي: روح

فَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً **﴿١٧٦﴾** أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا **﴿١٧٧﴾** لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا **﴿١٧٨﴾** فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا **﴿١٧٩﴾** يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا **﴿١٨٠﴾** فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا **﴿١٨١﴾** يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَكُمْ وَلَوْلَا

مخلوق من عنده ﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾ أي: لا تقولوا: آلهتنا ثلاثة. يعني قولهم: الله، وصاحبته، وابنه [تعالى الله عن ذلك] ^(١). ﴿انتهوا خيراً لكم﴾ أي: اتنوا بالانتهاء عن هذا خيراً لكم مما أنتم عليه.

﴿١٧٦﴾ ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ﴾ لن يأنف الذي تزعمون أنه إله ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من كرامة الله تعالى، وهم أكثر من البشر.

﴿١٧٧﴾ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: النبي عليه السلام ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ وهو القرآن.

﴿١٧٨﴾ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ أي: امتنعوا بطاعته من زيغ الشيطان ﴿فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ يعني: الجنة ﴿وَفَضْلٍ﴾ يتفضل عليهم بما لم يخطر على قلوبهم ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ ديناً مستقيماً.

﴿١٧٩﴾ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ فيمن مات ولا ولد له، ولا والد ^(٢) ﴿إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَكُمْ وَلَوْلَا﴾ أراد: ولا والد، فاكتمى بذكر أحدهما، لأنه الكلاله ﴿وَلَوْ

(١) زيادة من عا وظا.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٢٦٧/٨.

أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

أُخْتُ ﴿ يعني: من أبٍ وأُمٍّ، أو أبٍ؛ لأنَّ ذكر ولد الأم قد مضى في أوَّل السُّورة ﴾^(١) ﴿فلها نصف ما ترك وهو يرثها﴾ الأخ يرث الأخت جميع المال ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا﴾ أي: الأختان، ﴿فلهما الثُّلَثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً﴾ من أبٍ وأُمٍّ أو من أبٍ ﴿فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾^(٢). وقوله: ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضْلُوا﴾ أي: أن لا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا ﴿والله بكل شيء عليم﴾ من قسمه الموارث ﴿﴾^(٣).

• • •

(١) انظر ص ٢٥٥ عند آية ١٢.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) زيادة من ظ.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

[مدنية، وهي مائة وعشرون آية] (١)

[اللهم يسِّرْ علينا كلَّ عسير] (٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ يعني: بالعهود المؤكدة التي عاهدتموها مع الله والنَّاس، ثُمَّ ابْتَدَأَ كَلَامًا آخَرَ، فَقَالَ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ قيل: هي الأنعام نفسها، وهي الإِبِلُ والبقر والغنم. وقيل: بهيمة الأنعام: وحشيتها، كالظَّبَاءِ، وبقر الوحش، وحمر الوحش ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ [أي: ما يقرأ عليكم في القرآن] (٣) يعني: قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...﴾ (٤) الآية. ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ يعني: إِلَّا أَنْ تَحْلُوا الصَّيْدَ فِي حَالِ الْإِحْرَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ يحلُّ ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ يعني: الهدايا المُعلَّمة للذَّبْحِ بِمَكَّة. نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ فِي الْحُطَمِ [بن ضبيعة] (٥). أَغَارَ عَلَى سِرْحِ الْمَدِينَةِ (٦)، فَذَهَبَ بِهِ

(٥) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظ.

(٦) أخرجه ابن جرير ٥٨/٦ - ٥٩ عن السدي

(٢) زيادة من عا.

وعكرمة. وانظر الأسباب ص ٢١٩؛

(٣) زيادة من ظ.

ولباب النقول ص ٨٦.

(٤) الآية ٣ من هذه السورة.

وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَمْثِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامَ يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا
وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا
وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

إلى الإمامة، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجاج اليمامة، فقال رسول الله ﷺ: هذا الحطم فدونكم، وكان قد قُلِدَ ما نهب من سرح المدينة، وأهداه إلى الكعبة، فلمَّا توجَّهوا في طلبه أنزل الله تعالى: ﴿لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ يريد: ما أشعر لله، أي: أَعْلِمَ ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ وهي كُلُّ ما أهدى إلى بيت الله من ناقه، وبقرة وشاة، ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ يعني: الهدايا المقلَّدة من لحاء شجر الحرم ﴿وَلَا أَمْنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ قاصديه من المشركين. قال المفسرون: كانت الحرب في الجاهليَّة قائمةً بين العرب إلَّا في الأشهر الحرم، فَمَنْ وُجِدَ في غيرها أُصِيبَ مِنْهُ إلَّا أَنْ يَكُونَ مُشْعَرًا بِدَنِهِ، أو سائقًا هدايا، أو مُقْلَدًا نَفْسَهُ أو بَعِيرَهُ مِنْ لِحَاءِ شَجَرِ الْحَرَمِ، أو مُحْرَمًا، فلا يُتَعَرَّضُ لَهُؤُلَاءِ، فأمر الله سبحانه وتعالى المُسلمين بإقرار هذه الأمانة على ما كانت لضربٍ من المصلحة إلى أَنْ نَسْخَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى^(١): ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾، وقوله: ﴿يَنْتَعُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ﴾ أي: ربحًا بالتَّجَارَةِ ﴿وَرِضْوَانًا﴾ بِالْحَجِّ عَلَى زَعْمِهِمْ ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ مِنَ الْإِحْرَامِ ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أَمْرٌ بِإِبَاحَةِ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ ﴿شَنَاَنُ قَوْمٍ﴾ بَغْضُ قَوْمٍ، يعني: أهل مَكَّةَ ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني: عام الحديبية ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عَلَى حُجَّاجِ الْيَمَامَةِ، فَتَسْتَحِلُّوا مِنْهُمْ مُحْرَمًا ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ لِيُعِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿عَلَى الْبِرِّ﴾ وَهُوَ مَا أَمَرْتُ بِهِ ﴿وَالْتَّقْوَىٰ﴾ تَرْكُ مَا نَهَيْتُ عَنْهُ ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ يعني: معاصي الله ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ التَّعْدِي فِي حَدُودِهِ، ثُمَّ حَذَّرَهُمْ فَقَالَ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تستحلوا مُحْرَمًا ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) سورة التوبة: الآية ٥. وهذا قول مجاهد أخرجه ابن جرير ٦/٦٠؛ وأخرجه النحاس في ناسخه ص ١٤٣ عن قتادة. ونسبه مكِّي القيسي لابن زيد والسُّدي والشعبي. الإيضاح ص ٢٥٥.

شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَفَقَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَلِكُمْ فُسْقٌ يَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ

شديد العقاب ﴿٢﴾ إذا عاقب .

﴿٣﴾ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَلْمِيتَةُ﴾ سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة^(١)، إلى قوله: ﴿وَالْمُنْخَفَقَةُ﴾ وهي التي تخنق فتموت بأي وجه كان ﴿وَالْمَوْفُوذَةُ﴾ المقتولة ضرباً ﴿وَالْمُتَرَدِّيَةُ﴾ التي تقع من أعلى إلى أسفل فتموت ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي قتلت نطحاً ﴿وَمَا أَكَلَ﴾ منه ﴿السَّبُعُ﴾ فالباقي منه حرام، ثم استثنى ما يُدرك ذكاته من جميع هذه المحرمات فقال: ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أي: إلا ما ذبحتم ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ أي: على اسم الأصنام فهو حرام ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ تطلبوا على ما قسم لكم من الخير والشر من الأزلام: القداح التي كان أهل الجاهلية يُجِيلونها إذا أرادوا أمراً ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: الاستقسام من الأزلام ﴿فُسْقٌ﴾ خروج عن الحلال إلى الحرام ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم عرفة عام حج رسول الله ﷺ بعد الفتح^(٢). ﴿يَبْسُ﴾ الذين كفروا ﴿أَنْ تَرْتَدُّوا﴾ راجعين إلى دينهم ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ في مظاهرة محمد، واتباع دينه ﴿وَاخْشَوْنَ﴾ في عبادة الأوثان. ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني: يوم عرفة ﴿أَكْمَلْتُ﴾ لكم دينكم ﴿أَحْكَامَ دِينِكُمْ﴾ فلم ينزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ﴿وَأَتَمَمْتُ﴾ عليكم نعمتي ﴿يَعْنِي﴾ بدخول مكة آمنين كما وعدتكم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ﴾ إلى ما حُرِّمَ

(١) انظر ص ١٤٥ .

(٢) أخرج البخاري وغيره عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلمُ حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة، وإنا والله بعرفة؛ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ .

فتح الباري: ٢٧٠/٨؛ ومسلم برقم ٣٠١٧؛ والنسائي في تفسيره ٤٢٦/١؛ والترمذي .
العارضة ١٧١/١١ .

فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ
الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَانْفُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٧﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ

مِمَّا ذُكِرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فِي مَخْصَصَةٍ﴾ مَجَاعَةٍ ﴿غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ غَيْرِ مُتَعَرِّضٍ
لِمَعْصِيَةٍ، وَهُوَ أَنْ يَأْكُلَ فَوْقَ الشَّعْبِ، أَوْ يَكُونَ عَاصِيًا بِسَفَرِهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لَهُ
مَا أَكَلَ مِمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِأَوْلِيَائِهِ حَيْثُ رَخَّصَ لَهُمْ.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ﴾ سَأَلَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنَّا نَصِيدُ
بِالْكِلَابِ وَالْبُرَاةِ، وَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ الْمَيْتَةَ، فَمَاذَا يَحِلُّ لَنَا مِنْهَا؟ فَتَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ ^(١).
﴿قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ يَعْنِي: مَا تَسْتَطِيعُ الْعَرَبُ، وَهَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِي التَّحْلِيلِ،
فَكُلُّ حَيَوَانٍ اسْتَطَابَتْهُ الْعَرَبُ، كَالضَّبَابِ، وَالْيَرَابِيعِ، وَالْأَرَانِبِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا
اسْتَخْبَثَتْهُ الْعَرَبُ فَهُوَ حَرَامٌ ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ﴾ يَعْنِي: وَصِيدٌ مَا عَلَّمْتُمْ ﴿مِنَ الْجَوَارِحِ﴾
وَهِيَ الْكَوَاسِبُ مِنَ الطَّيْرِ وَالْكِلَابِ وَالسَّبَاعِ ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ مُعَلِّمِينَ إِيَّاهَا الصَّيْدَ
﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ تُوَدَّبُوهُنَّ لَطْلُبَ الصَّيْدِ ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾
هَذِهِ الْجَوَارِحُ وَإِنْ قَتَلْنَ إِذَا لَمْ يَأْكُلْنَ مِنْهُ، فَإِذَا أَكَلْنَ فَالظَّاهِرُ أَنَّهُ حَرَامٌ ﴿وَاذْكُرُوا
اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ عِنْدَ إِرْسَالِ الْجَوَارِحِ.

﴿الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ الَّتِي سَأَلْتُمْ عَنْهَا ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وَهُوَ
اسْمٌ لِجَمِيعِ مَا يُؤْكَلُ ﴿حَلْلٌ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ﴾ أَيُّ: حَلٌّ لَكُمْ أَنْ تَطْعَمُوهُمْ
﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الْعَفَائِفُ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ الْحَرَائِرُ ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ﴾ مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ يَعْنِي: مَهْوَرَهُنَّ ﴿مُحْصِنِينَ﴾
مُتَزَوِّجِينَ ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ مُعَالِنِينَ بِالزَّنا ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ مُسَرِّينَ بِالزَّنا بِهِنَّ

وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿وَمَنْ يَكْفُر بِالْإِيمَانِ﴾ بالله الذي يجب الإيمان به ﴿فقد حبط عمله﴾ إذا مات على ذلك ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ مَمَّنْ خسر الثواب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أي: إذا أردتم القيام إليها ﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾ يعني: مع المرفقين ﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ وهما النّاشزان من جانبي القدم ﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾ فاغسلوا ﴿وإن كنتم مرضىٰ﴾ مفسّر في سورة النساء^(١) إلى قوله: ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ من ضيق في الدين، ولكن جعله واسعاً بالرّخصة في التيمّم ﴿ولكن يريد ليطهركم﴾ من الأحداث والجنابات والدّنوب؛ لأنّ الوضوء يكفر الدّنوب ﴿وليتم نعمته عليكم﴾ ببيان الشرائع و﴿لعلكم تشكرون﴾ نعمتي فتطيعوا أمري.

﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالإسلام ﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾ يعني: حين بايعوا رسول الله ﷺ على السّمع والطاعة في كلّ ما أمر ونهى، وهو قوله: ﴿إذ قلتم﴾ [حين قلتم]^(٢) ﴿سمعنا وأطعنا واتقوا الله إنّ الله عليم بذات الصدور﴾ بخفياّات القلوب.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَءَاتَيْتُمُ

﴿٨﴾ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله ﴿تقومون لله بكل حق يلزمكم القيام به﴾ ﴿شهداء بالقسط﴾ تشهدون بالعدل ﴿ولا يجرمنكم شنان قوم﴾ لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل ﴿اعدلوا﴾ في الولي والعدو ﴿هو﴾ أي: العدل ﴿أقرب للتقوى﴾ أي: لا تقاء النار.

﴿١١﴾ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم... ﴿الآية﴾. يعني: ما أنعم الله على نبيه حين أتى اليهود هو وجماعة من أصحابه يستعينون بهم في دية، فتآمروا بينهم أن يطرحوا عليهم رحى، فأعلمهم الله بذلك على لسان جبرائيل حتى خرجوا^(١)، ثم أخبر عن نقض بني إسرائيل عهد الله، كما نقضت هذه الطبقة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله حين هموا بالاغتيال به، فقال:

﴿١٢﴾ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ﴿على أن يعملوا بما في التوراة﴾ ﴿وبعشنا﴾ وأقمنا بذلك ﴿منهم اثني عشر نقيباً﴾ كفيلاً وضميناً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد ﴿وقال الله﴾ لهم: ﴿إني معكم﴾ بالعون والثصرة ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم

(١) أخرجه ابن جرير ١٤٤/٦ عن مجاهد؛ وانظر الأسباب ص ٢٢٤؛ ولباب النقول ص ٨٩.

الزَّكَاةَ وَءَامَنَتْكُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يَحُفُّونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَالَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

الزكاة وآمنتكم برسلي وعزرتموهم ﴿أي: وقرتموهم﴾ وأقرضتم الله قرضاً حسناً يريد: الصدقات للفقراء والمساكين ﴿فمن كفر بعد ذلك﴾ أي: بعد هذا العهد والميثاق ﴿فقد ضلَّ سواء السبيل﴾ أخطأ قصد الطريق.

﴿١٢﴾ ﴿فبما نقضهم﴾ فنقضهم ﴿ميثاقهم﴾ وهو أنهم كذبوا الرسل بعد موسى فقتلوا الأنبياء، وضيعوا كتاب الله ﴿لعنناهم﴾ أخرجناهم من رحمتنا ﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾ يابسة عن الإيمان ﴿يحفرون الكلم﴾ يغيرون كلام الله ﴿عن مواضعه﴾ من صفة محمد ﷺ في كتابهم وآية الرجم ﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ وتركوا نصيباً مما أمروا به في كتابهم من اتباع محمد ﷺ ﴿ولا تزال﴾ يا محمد ﴿تطلع على خائنة﴾ خيانة ﴿منهم﴾ مثل ما خانوك حين هموا بقتلك ﴿إلا قليلاً منهم﴾ يعني: من أسلم ﴿فاعف عنهم واصفح﴾ منسوخ بآية السيف^(١) ﴿إن الله يحب المحسنين﴾ المتجاوزين.

﴿١٤﴾ ﴿ومن الذين قالوا إنا نصاري﴾ أخذنا ميثاقهم ﴿كما أخذنا ميثاق اليهود﴾ فنسوا حظاً مما ذكروا به ﴿فتركوا ما أمروا به من الإيمان بمحمد ﷺ﴾ فأغرينا بينهم ﴿فألقينا بين اليهود والنصارى﴾ العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون ﴿وعيدٌ لهم، ثم دعاهم إلى الإيمان بمحمد ﷺ عليه السلام، فقال:

(١) قال ابن عباس: هي منسوخة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [سورة التوبة: =

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى

﴿١٥﴾ يا أهل الكتاب يعني: اليهود والنصارى ﴿قد جاءكم رسولنا﴾ محمد ﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ تكتُمون ممَّا في التَّوراة والإنجيل، كآية الرِّجَم، وصفة محمد عليه السَّلام ﴿ويعفو عن كثير﴾ يتجاوز عن كثير فلا يخبركم بكتمانه ﴿قد جاءكم من الله نور﴾ يعني: النبي ﴿وكتاب مبين﴾ القرآن فيه بيان لكل ما تختلفون فيه.

﴿١٦﴾ يهدي به الله يعني: بالكتاب المبين ﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ اتَّبَعَ ما رَضِيَهُ الله من تصديق محمد عليه السَّلام ﴿سُبُلَ السَّلام﴾ طرق السَّلامة التي مَنْ سَلَكَهَا سَلِمَ فِي دِينِهِ ﴿ويُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإِيْمَان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بِتَوْفِيقِهِ وَإِرَادَتِهِ ﴿ويُهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وهو الإسلام.

﴿١٧﴾ لقد كفر الذين قالوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ يعني: الذين اتَّخَذُوهُ إِلَهًا ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَدْفَعَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا ﴿إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ﴾ أَيُّ: يُعَذِّبُهُ، وَلَوْ كَانَ إِلَهًا لَقْدَرُ عَلَى دَفْعِ ذَلِكَ.

[آية ٥]. الإيضاح ص ٢٦٩.

وقال قتادة: هي منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ [سورة التوبة:

آية ٢٩]. وانظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٤١، وناسخ القرآن العزيز ص ٣١.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا اللَّهَ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَتَأَهَّلُ الْكِتَابُ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَتَقَوَّمُ أذكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَتَقَوَّمُ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمَقْدَسَةَ

﴿١٨﴾ «وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه» أمّا اليهود فإنهم قالوا: إنّ الله من حَبَّتِهِ^(١) وعطفه علينا كالأب الشفيق، وأمّا النصارى فإنهم تأوّلوا قول عيسى: إذا صليتم فقولوا: يا أبانا الذي في السماء تقدّس اسمه، وأراد أنّه في برّه ورحمته بعباده الصالحين كالأب الرحيم. وقيل: أرادوا نحن أبناء رسل الله، وإنما قالوا هذا حين حدّثهم النبي ﷺ عقوبة الله، فقال الله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي: فلمَ عَذَّبَ مَنْ قَبْلَكُمْ بِذُنُوبِهِمْ، كأصحاب السَّبَبِ وغيرهم ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ كسائر بني آدم ﴿يَغْفِرْ لِمَن يَشَاءُ﴾ لِمَنْ تَابَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ مَنْ مَاتَ عَلَيْهَا. وقوله:

﴿١٩﴾ «على فترة من الرسل» على انقطاع من الأنبياء «أن تقولوا» لئلا تقولوا «ما جاءنا من بشير ولا نذير». وقوله:

﴿٢٠﴾ «وجعلكم ملوكًا» أي: جعل لكم الخدم والحشم، وهم أوّل مَنْ مَلَكَ الخدم والحشم من بني آدم ﴿وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ من فلق البحر لكم، وإغراق عدوكم، والمنّ والسلوى، وغير ذلك.

﴿٢١﴾ «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة» المطهرة. يعني: الشام، وذلك أنّها طُهِرَتْ من

(١) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: [من حذبه]، وهي بمعناها، يقال حَدَبَ فلانٌ على فلانٍ، يَحْدُبُ حَدْبًا، فهو حَدِيبٌ، وتَحْدُبُ: تعطف عليه. اللسان: حذب.

الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا
جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ
رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُم
غَالِبُونَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا
فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي
وَأَخِي ۖ فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً
يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

الشُّرْكُ، وَجُعِلَتْ مَسْكَنًا لِلْأَنْبِيَاءِ ﴿التي كتب الله لكم﴾ أَمْرُكُمْ اللَّهُ بِدخولها ﴿ولا
ترتدوا على أدباركم﴾ لا ترجعوا إلى دينكم الشُّرْكِ بالله.

﴿٢٢﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ ﴿طوالاً ذوي قوَّة، وكانوا من بقايا عادٍ يقال
لهم العمالقة﴾.

﴿٢٣﴾ قَالَ رَجُلَانِ ﴿وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا﴾ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ ﴿اللَّهُ فِي
مخالفة أمره﴾ ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ بِالْفَضْلِ وَالْيَقِينِ: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ...﴾
الآيَةِ، وَإِنَّمَا قَالَا ذَلِكَ تَيْقُنًا بِنَصْرِ اللَّهِ، وَإِنْ جَاز وَعَدَهُ لِنَبِيِّهِ، فَخَالَفُوا نَبِيَّهُمْ وَعَصَوْا
أَمْرَ اللَّهِ، وَأَتَوْا مِنَ الْقَوْلِ بِمَا فَسَقُوا بِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿٢٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَ نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا
قَاعِدُونَ ﴿فقال موسى عند ذلك﴾:

﴿٢٥﴾ لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴿يقول: لم يُطعني منهم إِلَّا نفسي وَأَخِي﴾ ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا
وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ فَاقْضَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْعَاصِينَ، فَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ
عَصَوْا دُخُولَ الْقَرْيَةِ، وَحَبَسَهُمْ فِي الثَّيِّهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى مَاتُوا، وَلَمْ يَدْخُلْهَا أَحَدٌ
مِنْ هَؤُلَاءِ، وَإِنَّمَا دَخَلَهَا أَوْلَادُهُمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿٢٦﴾ ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ...﴾ الْآيَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يَتَحَيَّرُونَ فَلَا
يَهْتَدُونَ لِلْخُرُوجِ مِنْهَا ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ لَا تَحْزَنْ عَلَى عَذَابِهِمْ

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ

﴿٢٧﴾ ﴿واتل عليهم﴾ يعني: على قومك ﴿نبا﴾ خبر ﴿ابني آدم﴾ هابيل وقابيل ﴿إذ قربا قربانا﴾ تقرب إلى الله هابيل بخير كبش في غنمه، فنزلت من السماء ناراً فاحتملته، فهو الكبش الذي فُدي به إسماعيل^(١)، وتقرَّب إلى الله قابيل بأردأ ما كان عنده من القمح، وكان صاحب زرع، فلم تحمل النار قربانه، والقربان: اسم لكل ما يُتقَرَّب به إلى الله، فقال الذي لم يُتَقَبَّل منه: ﴿لأقتلنك﴾ حسداً له، فقال هابيل: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ للمعاصي [لا من العاصين]^(٢).

﴿٢٨﴾ ﴿لئن بسطت إلي يدك﴾ لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل ﴿إني أخاف الله﴾ في قتلك.

﴿٢٩﴾ ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾ أن تحتمل إثم قتلي وإثم الذي كان منك قبل قتلي.

﴿٣٠﴾ ﴿فطوَّعت له نفسه قتل أخيه﴾ سهَّلت له ذلك ﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾ خسر دنياه بإسقاط والديه، وآخرتَه بسخط الله عليه، فلمَّا قتله لم يدر ما يصنع به؛ لأنَّه كان أوَّل ميِّت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله في جرابٍ على ظهره.

﴿٣١﴾ ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾ يثير الثُّراب من الأرض على غرابٍ ميِّتٍ

(١) وهذا مروئي عن ابن عباس، أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر الدر المنثور ١١٣/٦.

(٢) زيادة من الأصل.

لِيرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَ أَخِيهِ قَالَ يَوَلِّيَتِي أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأُوَارِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ

﴿ليريه كيف يوارى﴾ يستر ﴿سوء﴾ جيفة ﴿أخيه﴾ فلما رأى ذلك قال: ﴿يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوء أخي فأصبح من النادمين﴾ على حمله والتطوف به.

﴿من أجل ذلك﴾ من سبب ذلك الذي فعل قاييل ﴿كتبنا﴾ فرضنا ﴿على﴾ بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ بغير قودٍ ﴿أو فسادٍ﴾ شركٍ ﴿في الأرض﴾ فكأنما قتل الناس جميعاً يُقتل كما لو قتلهم جميعاً، ويصلى النار كما يصلها لو قتلهم ﴿ومن أحياها﴾ حرّمها وتورّع عن قتلها ﴿فكأنما أحيا الناس جميعاً﴾ لسلامتهم منه؛ لأنه لا يستحلّ دماءهم. ﴿ولقد جاءتهم﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿رسلنا بالبينات﴾ بأنّ لهم صدق ما جاؤوهم به ﴿ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون﴾ أي: مجاوزون حدّ الحقّ.

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله﴾ أي: يعصونهما ولا يطيعونهما. يعني: الخارجين على الإمام وعلى الأمة بالسيف. نزلت هذه الآية في قصة العُرَينين^(١)، وهي معروفة، تعليماً لرسول الله ﷺ عقوبة من فعل مثل فعلهم، وقوله: ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ بالقتل وأخذ الأموال ﴿أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم

(١) أخرجها البخاري في التفسير؛ فتح الباري ٢٧٤/٨؛ ومسلم برقم ١٦٧١؛ وأبو داود برقم ٤٣٦٤؛ والنسائي في تفسيره ٤٣٤/١.

وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يَنْفُوا مِّنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي
 الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَّيِبُهَا لَازِلِينَ ءَامَنُوا أَتَقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي
 سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
 وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾
 يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ
 وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴿معنى «أو» ها هنا الإباحة، فلإمام أن يفعل ما أراد من هذه الأشياء، ومعنى النفي من الأرض الحبس في السجن؛ لأنَّ المسجون بمنزلة المخرج من الدنيا﴾ ذلك لهم خزي ﴿هوانٌ وفضيحةٌ﴾ في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴿وهذا للكفار الذين نزلت فيهم الآية؛ لأنَّ العرنيين ارتدوا عن الدين، والمسلم إذا عوقب في الدنيا بجنايته صارت مكفرة عنه.

﴿٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ﴿آمنوا من قبل أن تعاقبوهم فالله غفورٌ رحيمٌ لهم. هذا في المشرك المحارب إذا آمن قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود، فأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه سقط عنه حدود الله، ولا تسقط حقوق بني آدم.

﴿٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ﴿الله﴾ بالطاعة ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ تقربوا إليه بطاعته ﴿وجاهدوا﴾ العدو ﴿في سبيله﴾ في طاعته ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة.

﴿٣٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴿الآية. ظاهرة.

﴿٣٧﴾ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ ﴿يتمنّون بقلوبهم أن يخرجوا من النار﴾.

﴿٣٨﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴿يمينَ هذا ويمين هذه، فجمع ﴿جَزَاءً بما

بِمَا كَسَبَ نَكَلًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ

كسبا﴾ أي: بجزاء فعلهما ﴿نكالا﴾ عقوبة ﴿من الله والله عزيز﴾ في انتقامه ﴿حكيم﴾ فيما أوجب من القطع.

﴿٣٩﴾ فمن تاب من بعد ظلمه ﴿الناس﴾ العمل بعد السرقة ﴿فإن الله يتوب عليه﴾ يعود عليه بالرحمة.

﴿٤٠﴾ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ﴿على الذنب الصغير ويغفر لمن يشاء﴾ الذنب العظيم.

﴿٤١﴾ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ﴿إذ كنت موعود النصر عليهم، وهم المنافقون، وبأن لهم ذلك بقوله﴾ ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون﴾ أي: فريق سماعون ﴿للكذب﴾ يسمعون منك ليكذبوا عليك، فيقولون: سمعنا منه كذا وكذا لما لم يسمعوا ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ أي: هم عيون لأولئك الغيب ينقلون إليهم أخبارك ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله مواضعه. يعني: آية الرجم. ﴿يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ يعني: يهود خبير بالجلد، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿لقوم آخرين لم يأتوك﴾ وذلك أنهم بعثوا إلى قريظة ليستفتوا محمداً ﷺ في الزانين المحصنين، وقالوا لهم: إن أفتى بالجلد فاقبلوا، وإن أفتى بالرجم فلا تقبلوا^(١)، فذلك قوله: ﴿إن أوتيتم هذا﴾ يعني: الجلد ﴿فخذوه﴾

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٢٣٧/٦؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٠٠؛ وتفسير النسائي ٤٣٧/١.

وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمِعْتُمْ لِلْكَذِبِ أَكْالُونَ لِلْسُّحْتِ إِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا

فأقبلوه. ﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾ أن تعملوا به ﴿ومن يرد الله فتنته﴾ ضلّالته وكفره ﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾ لن تدفع عنه عذاب الله ﴿أولئك الذين﴾ أي: مَنْ أراد الله فتنته فهم الذين ﴿لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾ أن يُخلص نياتهم ﴿لهم في الدنيا خزي﴾ بهتك ستورهم ﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهو النار.

﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾ وهو الرشوة في الحكم. يعني: حكام اليهود، يسمعون الكذب ممّن يأتيهم مُبطلاً، ويأخذون الرشوة منه فيأكلونها ﴿فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾ خير الله نبيّه في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿وأن احكم بينهم...﴾ الآية.

﴿وكيف يحكمونك﴾ عَجَب الله نبيّه عليه السّلام من تحكيم اليهود إيّاه بعد علمهم بما في التّوراة من حكم الرّأني وحده، وقوله: ﴿فيها حكم الله﴾ يعني: الرّجم ﴿ثم يتولون من بعد ذلك﴾ التّحكيم فلا يقبلون حكمك بالرّجم ﴿وما أولئك﴾ الذين يُعرضون عن الرّجم ﴿بالمؤمنين﴾.

﴿إنا أنزلنا التّوراة فيها هدى﴾ بيان الحكم الذي جاؤوك يستفتونك فيه ﴿ونور﴾ بيان أن أمرَك حقّ ﴿يحكم بها النّبيون﴾ من لدن موسى إلى عيسى، وهم الذين أسلموا أي: انقادوا لحكم التّوراة ﴿للذين هادوا﴾ تابوا من الكفر، وهم بنو إسرائيل إلى زمن عيسى ﴿والرّبانيون﴾ العلماء ﴿والأحبار﴾ الفقهاء ﴿بما

أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُونِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤١﴾ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَفِينَا عَلَى آثَرِهِمْ بَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ

استحفظوا ﴿ استرعوا ﴾ [أي: بما كُلِّفُوا حفظه من كتاب الله . وقيل: العمل بما فيه، وذلك حفظه] ^(١). ﴿ من كتاب الله وكانوا عليه شهداء ﴾ أنه من عند الله، ثم خاطب اليهود فقال: ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ في إظهار صفة محمد ﷺ والرجم ﴿ واخشون ﴾ في كتمان ذلك ﴿ ولا تشتروا بآياتي ﴾ بأحكامي وفرائضي ﴿ ثمنًا قليلًا ﴾ يريد: متاع الدنيا ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ نزلت في من غير حكم الله من اليهود، وليس في أهل الإسلام منها ومن اللتين بعدها شيء.

﴿ وكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا ﴾ وفرضنا عليهم في التَّوْرَةِ ﴿ أَنْ النَّفْسَ ﴾ تُقْتَلُ ﴿ بِالنَّفْسِ، والعَيْنَ بِالْعَيْنِ... ﴾ الآية. كلُّ شخصين جرى القصاص بينهما في النَّفْسِ جرى القصاص بينهما في جميع الأعضاء والأطراف إذا تماثلا في السَّلامة، وقوله: ﴿ والجروح قصاص ﴾ في كلِّ ما يمكن أن يُقْتَصَّ فيه، مثل الشَّفتين، والذَّكَر، والأُنثيين، والأليتين، والقدمين، واليدين، وهذا تعميمٌ بعد التَّفصيل بقوله: ﴿ والعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ﴾. ﴿ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ﴾ مَنْ عفا وترك القصاص فهو مغفرةٌ له عند الله، وثواب عظيم.

﴿ وَقَفِينَا عَلَى آثَرِهِمْ بَعِيسَى ﴾ أي: جعلناه يقفوا آثار النَّبِيِّينَ. يعني: بعثناه بعدهم على آثَرِهِمْ ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ يُصَدِّقُ أَحْكَامَهَا ويدعو إليها

وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
 الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا
 عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ
 شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا
 الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٤٨﴾

﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً﴾
 معناه: وهادياً وواعظاً.

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ﴾ أي: وقلنا لهم: ليحكموا بهذا الكتاب في ذلك الوقت.

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ أي: شاهداً وأميناً، [وحفيظاً ورقيباً]^(١) على الكتب التي قبله، فما أخبر أهل الكتاب بأمر؛ فإن كان في القرآن فصدّقوا، وإلا فكدّبوا ﴿فاحكم بينهم﴾ بين اليهود ﴿بما أنزل الله﴾ بالقرآن والرجم ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ يقول: لا تتبعهم عما عندك من الحق، فتركه وتتبعهم ﴿لكل جعلنا منكم﴾ من أمة موسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين ﴿شريعة ومنهاجاً﴾ سبيلاً وسنة، فللتّوارة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على أمرٍ واحدٍ ملّة الإسلام ﴿ولكن ليلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم من الكتاب والسّنن ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا إلى الأعمال الصّالحة [الزّاكاة]^(٢) ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تخلصون﴾ من الدّين والفرائض والسّنن. يعني: إنّ الأمر سيؤول إلى ما يزول معه الشّكوك بما يحصل من اليقين.

وَأَن أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَم أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾
 أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا
 الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ

﴿٤٩﴾ واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴿أي: يستزرك عن الحق إلى أهوائهم. نزلت (١) حين قال رؤساء اليهود بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى محمد لعننا نفثته، فردّه عمّا هو عليه، فأتوه وقالوا له: قد علمت أننا إن اتبعناك اتبعك الناس، ولنا خصومة فاقض لنا على خصومنا إذا تحاكمنا إليك، ونحن نؤمن بك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله هذه الآية: ﴿فإن تولوا فاعلم أننا يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾ [أي: فإن أعرضوا عن الإيمان، والحكم بالقرآن فاعلم أن ذلك من أجل أن الله يريد أن يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم] ويجازيهم في الآخرة بجميعها، ثم كان تعذيبهم في الدنيا الجلاء والتقي ﴿وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ يعني: اليهود.

﴿٥٠﴾ أفحكم الجاهلية يبغون ﴿أي: يطلب اليهود في الزّانيين حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب، كما فعل أهل الجاهلية؟! ﴿ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ أي: من أيقن تبين عدل الله في حكمه، ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود، وأوعد عليها بقوله:

﴿٥١﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء... الآية.

﴿٥٢﴾ فتري الذين في قلوبهم مرض ﴿يعني: عبد الله بن أبي وأصحابه﴾ يسارعون فيهم ﴿في مودة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم﴾

(١) وهذا قول ابن عباس: أخرجه ابن جرير ٢٧٣/٦؛ وانظر: سيرة ابن هشام ٢/٢١٦؛ وأسباب النزول ص ٢٢٩؛ ولباب النقول ص ٩٢.

يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتِ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

﴿يقولون: نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي: يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها. يعنون: الجذب فتقطع عنا الميرة والقرض ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح﴾ يعني: لمحمد على جميع من خالفه ﴿أو أمر من عنده﴾ بقتل المنافقين، وهتك سترهم ﴿فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم﴾ يعني: أهل التفاق على ما أضمروا من ولاية اليهود، ودس الأخبار إليهم ﴿نادمين﴾.

﴿ويقول الذين آمنوا﴾ المؤمنون إذا هتك الله ستر المنافقين: ﴿أهؤلاء﴾ يعنون: المنافقين ﴿الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم﴾ حلفوا بأغلظ الأيمان ﴿إنهم لمعكم﴾ إنهم مؤمنون وأعوانكم على من خالفكم ﴿حبطت أعمالهم﴾ بطل كل خير عملوه بكفرهم ﴿فأصبحوا خاسرين﴾ صاروا إلى التار، وورث المؤمنون منازلهم من الجنة.

﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه﴾ علم الله تعالى أن قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيهم ﷺ، فأخبرهم تعالى أنه سـ ﴿يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾ وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ﴿أذلة على المؤمنين﴾ كالولد لوالده، والعبد لسيده ﴿أعزة على الكافرين﴾ غلاظ عليهم، كالسبع على فريسته ﴿يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ كالمنافقين الذين كانوا يرقبون الكافرين، ويخافون لومهم في نصره الدين ﴿ذلك فضل الله﴾ أي: محبتهم لله عز وجل، ولين جانبهم للمسلمين، وشدتهم على الكفار بفضل من الله عليهم.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا لِنَخْذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارُ أَوْلِيَاءُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابُ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا

﴿٥٥﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴿٥٦﴾ نزلت لما هجر اليهود مَنْ أسلم منهم، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله، إِنَّ قَوْمَنَا قد هَجَرُونَا، وَأَقْسَمُوا أَلَا يَجَالِسُونَا، فَنزلت هذه الآية، فقال: رضيْنَا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ أَوْلِيَاءُ، وَقوله: ﴿وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ يعني: صلاة التَّطَوُّع.

﴿٥٦﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٥٧﴾ يتولَّى القيام بطاعته ونصرة رسوله والمؤمنين ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ﴾ جند الله وأنصار دينه ﴿هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ غلبوا اليهود فأجلوهم من ديارهم، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولَّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ.

﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا... الآية. نزلت في رجال كانوا يوادُّون منافقي اليهود^(١)، ومعنى قوله: ﴿اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ إظهارهم ذلك باللسان، واستبطانهم الكفر تلاعباً واستهزاءً ﴿وَالْكَفَّارُ﴾ يعني: مشركي العرب وكفَّار مكة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿إِنْ كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بوعدِهِ ووَعِيدِهِ.

﴿٥٨﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ ﴿٥٩﴾ دَعَوْتُمُ النَّاسَ إِلَيْهَا بِالْأَذَانِ ﴿اتَّخَذُوهَا هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ تَضَاحَكُوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السُّخْفِ والمجون تجهيلاً لأهلها ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ما لهم في إجابتها لو أجابوا إليها، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿٥٩﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا... الآية. [أي: هل تنكرون

(١) أخرجه ابن جرير ٢٩٢/٦ عن ابن عباس؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٣٢؛ والسيوطي في لباب النقول ص ٩٣.

إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءَكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾

وتكروهون] (١). أتى نفرٌ من اليهود رسول الله ﷺ فسأله عمن يؤمن به من الرُّسل؟ فقال: «أؤمنُ بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: ما نعلم ديناً شراً من دينكم، فأنزل الله تعالى: ﴿هل تنقمون﴾ أي: هل تكروهون وتنكرون منا إلا إيماننا وفسقكم، أي: إنما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا على حق، لأنكم قد فسقتم، بأن أقمتهم على دينكم لمحبتكم الرئاسة، وكسبكم بها الأموال، وتقدير قوله: ﴿وأنَّ أكثركم فاسقون﴾ ولأنَّ أكثركم، والواو زائدة، والمعنى: لفسقكم نقمتم علينا الإيمان. قوله:

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم، جوابٌ لقول اليهود: ما نعرف أهل دين شراً منكم، فقال الله: ﴿هل أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بشراً من﴾ ذلك المسلمين الذين طعنتم عليهم ﴿مَثُوبَةً﴾ جزاءً وثواباً ﴿عند الله؟ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أي: هو مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ: أبعدَه عن رحمته ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ يعني: أصحاب السَّبِّ ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [نسق على ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ وعبد الطَّاغُوتَ: (٢) أطاع الشَّيْطَانَ فيما سَوَّلَ له. ﴿أُولَئِكَ شَرُّ مَكَانًا﴾ لأنَّ مكانهم سَقَرٌ ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ قصد الطريق، وهو دين الحنيفية، فلما نزلت هذه الآية عيَّر المسلمون اليهود، وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير، فسكتوا وافتضحوا.

﴿وَإِذَا جَاؤُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ يعني: منافقي اليهود ﴿وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به﴾ أي: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كلتي حالهم.

(٢) زيادة ليست في الأصل، وهي ثابتة في الباقي.

(١) زيادة من ظ.

وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ

﴿وترى كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾ يجترئون على الخطأ والظلم، ويبادرون إليه ﴿وأكلهم السُّحْتَ﴾ ما كانوا يأخذونه من الرِّشَا على كتمان الحق، ثم ذمَّ فعلهم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾.

﴿لولا﴾ [هلاً]^(١) ﴿ينهاهم﴾ عن قبح فعلهم ﴿الربانيون والأحبار﴾ علماءهم وفقهاؤهم ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ حين تركوا التَّكْيِيرَ عليهم.

﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ مقبوضة عن العطاء وإسباغ النِّعم علينا. قالوا هذا حين كفَّ الله تعالى عنهم بكفرهم بمحمد عليه السَّلام ما كان يسلِّط عليهم من الخِصْبِ والنِّعمة، فقالوا - لعنهم الله على جهة الوصف بالبخل - : ﴿يد الله مغلولة﴾ وقوله: ﴿غلت أيديهم﴾ أي: جعلوا بخلاء وألزموا البخل، فهم أبخل قوم ﴿ولعنوا بما قالوا﴾ عذَّبوا في الدُّنيا بالجزية [والذَّلَّة والصَّغار، والقحط والجلَاء]^(٢)، وفي الآخرة بالنَّار ﴿بل يدها مبسوطتان﴾ قيل: معناه: الوصف بالمبالغة في الجود والإنعام. وقيل: معناه: نِعْمَةٌ مبسوطة، ودلَّت التَّثْنِيَةُ على الكثرة، كقولهم: [لبيك وسعديك]^(٣). وقيل: نعمته، أي: نعمة الدُّنيا، ونعمة الآخرة ﴿مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ يرزق كما يريد؛ إن شاء قَتَرَ، وإن شاء وسَّع ﴿وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ كلُّما أنزل عليك شيء من القرآن كفروا به، فيزيد كفرهم ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ بين طوائف

(١) زيادة من عا وظا.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) شطر حديث أخرجه البخاري في الحج. فتح الباري ٣/٣٢٤؛ ومسلم برقم ١١٨٤.

إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ
 جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ
 فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ
 بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ

اليهود، وجعلهم الله مختلفين متباغضين، كما قال: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم
 شتى﴾^(١). ﴿كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله﴾ كلما أرادوا محاربتك ردَّهم
 الله، وألزمهم الخوف ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ يعني: يجتهدون في دفع
 الإسلام، ومحو ذكر النبي ﷺ من كتبهم.

﴿ولو أنَّ أهل الكتاب آمنوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿واتقوا﴾ اليهودية والنصرانية ﴿لكفرنا
 عنهم سيئاتهم﴾ كل ما صنعوا قبل أن تأتيهم.

﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل﴾ عملوا بما فيهما من التصديق بك ﴿وما أنزل
 إليهم﴾ من كتب أنبيائهم ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ لأنزلت عليهم
 القطر، وأخرجت لهم من نبات الأرض كلما أرادوا. ﴿منهم أمة مقصدية﴾ مؤمنة.

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ أي: لا تراقب أحداً، ولا تترك شيئاً
 ممَّا أنزل إليك تخوفاً من أن ينالك مكروه. بلغ الجميع مجاهراً به ﴿وإن لم تفعل
 فما بلغت رسالته﴾ إن كتمت آية ممَّا أنزلت إليك لم تبلغ رسالتي. يعني: إنه إن
 ترك بلاغ البعض كان كمن لم يبلغ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أن ينالك بسوء.
 قال المفسرون: كان النبي ﷺ يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفار، وكان
 لا يُجاهرهم بعيب دينهم وسب آلهتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الرسول بلغ
 ما أنزل إليك من ربك﴾ فقال: يا رب، كيف أصنع وأنا واحد أخاف أن يجتمعوا
 عليّ؟ فأنزل الله تعالى^(٢): ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من

النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا
التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ
وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾
لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا
تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُّوا
ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ
كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي بَيْتٌ أَعْبُدُوا
اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا
لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾

الناس إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين ﴿ لا يرشد مَنْ كَذَّبَكَ .

﴿٦٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴿ من الدِّين ﴾ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ﴿ حتى تعملوا بما ﴾
في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، وبأقي الآيات مَضَىٰ تفسيره إلىٰ
قوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إنَّ
كَذَّبُوكَ .

﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا ﴿ سبق تفسيره في سورة البقرة (١) .

﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً ﴿ ظَنُّوا وَقَدَّرُوا أَلَّا تَقَعَ بِهِمْ عِقُوبَةُ، وَعَذَابٌ فِي الْإِصْرَارِ
عَلَى الْكُفْرِ بِقَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ ﴾ فَعَمُوا وَصَمُّوا ﴿ عن الهدى فلم يعقلوه
﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بِإِرساله محمداً ﷺ دَاعِيًا إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿ثُمَّ عَمُوا
وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْحَقِّ لَهُمْ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ﴾ مِنْ قَتْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَتَكْذِيبِ الرُّسُلِ .

لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا
عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ
وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ بُنِيتِ
لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّيُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ اتَّعَبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ
غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا

﴿٧٣﴾ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴿أي: ثالث ثلاثة من الآلهة، والمعنى: أنهم قالوا: الله واحد ثلاثة آلهة: هو، والمسيح، ومريم؛ فزعموا أن الإلهية مشتركة بين هؤلاء الثلاثة، فكفروا بذلك.﴾

﴿٧٤﴾ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴿أي: إنه رسول ليس بإله، كما أن من قبله كانوا رسلاً﴾ وأمه صديقة ﴿صدقت بكلمات ربها وكتبه﴾ كانا يأكلان الطعام ﴿يريد: هما لحم ودم يأكلان ويشربان، ويبولان ويتغوطان، وهذه ليست من أوصاف الإلهية﴾ انظر كيف نبين لهم الآيات ﴿نفسر لهم أمر ربوبيتي﴾ ثم انظر أنيؤفكون ﴿يصرفون عن الحق الذي يؤدي إليه تدبر الآيات.﴾

﴿٧٦﴾ قل للنصارى: ﴿اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرراً ولا نفعاً﴾ يعني: المسيح؛ لأنه لا يملك ذلك إلا الله عز وجل ﴿والله هو السميع﴾ لكفركم ﴿العليم﴾ بضميركم.

﴿٧٧﴾ قل يا أهل الكتاب ﴿يعني: اليهود والنصارى﴾ لا تغلوا في دينكم ﴿لا تخرجوا عن الحد في عيسى، وغلوا اليهود فيه بتكذيبهم إياه، ونسبته إلى أنه غير رشة، وغلوا النصارى فيه ادعائهم الإلهية له، وقوله: ﴿غير الحق﴾ أي: مخالفين للحق﴾ ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل ﴿يعني: رؤساءهم الذين مضوا من

وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَالْآخِرِ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِ مَا أَخَذْنَاهُمْ أَقْرَبَاءَ وَلَكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ

الفريقين. أي: لا تتبعوا أسلافكم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿وضلوا عن سواء السبيل﴾ عن قصد الطريق بإضلالهم الكثير.

﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل﴾ يعني: أصحاب السَّبِّ، وأصحاب المائدة ﴿على لسان داود﴾ لأنهم لما اعتدوا قال داود عليه السَّلَام: اللهم العنهم واجعلهم آيةً لخلقك، فمسخوا قردة [على لسان داود] ^(١) ﴿وعيسى ابن مريم﴾ عليه السَّلَام؛ لأنه لعن مَنْ لم يؤمن من أصحاب المائدة، فقال: اللهم العنهم كما لعنت السَّبِّ، فمسخوا خنازير.

﴿٧٩﴾ كانوا لا يتناهون ﴿عن منكر فعلوه﴾.

﴿٨٠﴾ ترى كثيراً منهم ﴿من اليهود﴾ يتولون الذين كفروا ﴿كفار مكة﴾ لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم ﴿بئسما قدّموا من العمل لمعادهم في الآخرة﴾ سخط الله عليهم.

﴿٨٢﴾ لتجدنَّ يا محمد ﴿أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود﴾ وذلك أنهم ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبي عليه السَّلَام ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين

ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ قِسِيْسِيْنَ وَرُهْبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَكُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ
الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴿يعني: النجاشي﴾^(١) ووفده الذين قدموا من الحبشة
على رسول الله ﷺ وآمنوا به، ولم يرد جميع النصارى. ﴿ذلك﴾ [يعني: قرب
المودة] ^(٢) ﴿بأن منهم قسيسين ورهبانا﴾ أي: علماء بوصاة عيسى بالإيمان بمحمد
عليه السلام ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن اتباع الحق كما يستكبر اليهود وعبد
الأوثان.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ يعني: النجاشي وأصحابه، قرأ عليهم
جعفر بن أبي طالب بالحبشة ﴿كهيمص﴾ فما زالوا يبكون، وهو قوله: ﴿ترى
أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق﴾ يريد: الذي نزل على محمد وهو
الحق ﴿يقولون ربنا آما﴾ وصدقنا ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمة محمد ﷺ الذين
يشهدون بالحق.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ أي: أي شيء لنا إذا تركنا الإيمان بالله ﴿وما جاءنا من
الحق﴾ أي: القرآن ﴿و﴾ نحن ﴿نطمع أن يدخلنا ربنا﴾ الجنة مع أمة محمد عليه
السلام. يعنون: أنهم لا شيء لهم إذا لم يؤمنوا بالقرآن، ولا يتحقق طمعهم في
دخول الجنة.

﴿فَأَثْبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا﴾ يعني: بما سألوا الله من قولهم: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾
وقولهم: ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا...﴾ الآية. ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار

(١) أخرجه ابن جرير ١/٧، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبیر.

(٢) زيادة من ظ.

خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرَمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا
يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْهُ بِإِطْعَامِ
عَشْرَةِ مَسْكِينٍ

خالدين فيها وذلك ﴿[أي: الثواب]﴾^(١) ﴿جزاء المحسنين﴾ الموحدين، ثم ذكر
الوعيد لمن كفر من أهل الكتاب وغيرهم، فقال:

﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾. ﴿٨٦﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم﴾ هم قوم^(٢) من أصحاب
النبي ﷺ تعاهدوا أن يحرموا على أنفسهم المطاعم الطيبة، وأن يصوموا النهار،
ويقوموا الليل، ويخصوا أنفسهم فأنزل الله تعالى هذه الآية، وسمي الخفاء
اعتداءً، فلمَّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، إنَّا كنَّا قد حلفنا على ذلك،
فنزلت:

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم﴾ وفسرنا هذا في سورة البقرة^(٣) ﴿ولكن
يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ وهو أن يقصد الأمر، فيحلف بالله ويعقد عليه
اليمين بالقلب متعمداً ﴿فكفارته﴾ إذا حنثتم ﴿إطعام عشرة مساكين﴾ لكل مسكين

(١) زيادة من ظ.

(٢) وكانوا عشرة، وهم علي بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وأبو بكر الصديق، وعبد الله بن
مسعود، وعبد الله بن عمرو، وأبو ذر الغفاري، وسالم مولى أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود،
وسلمان الفارسي، ومقل بن مقرن. انظر: أسباب النزول ص ٢٣٧؛ وابن جرير ٩/٧؛ ولباب
النقول ص ٩٧، وذكر سبب نزولها البخاري مختصراً. فتح الباري ٢٧٦/٨.

(٣) انظر ص ١٦٨.

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتَهُمْ أَوْ تَحَرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحَنُورُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْحَنُورِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾

مدّ، وهو [رطلٌ وثلاث،^(١)] وهو قوله: ﴿من أوسط ما تطعمون أهليكم﴾ لأنّ هذا القدر وسط في السُّبع. وقيل: من خير ما تطعمون أهليكم، كالحنطة والتمر ﴿أو كسوتهم﴾ وهو أقلّ ما يقع عليه اسم الكسوة من إزار، ورداء، وقميص ﴿أو تحرير رقبة﴾ يعني: مؤمنة، والمُكفّر في اليمين مُخَيَّر بين هذه الثلاث ﴿فمن لم يجد﴾ يعني: لم يفضل من قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم عشرة مساكين ﴿ف﴾ عليه ﴿صيام ثلاثة أيام﴾. ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ فلا تحلفوا، واحفظوها عن الحنث.

﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر﴾ يعني: الأشربة التي تخمر حتى تشتدّ وتُسكّر ﴿والميسر﴾ القمار بجميع أنواعه ﴿والأنصاب﴾ الأوثان ﴿والأزلام﴾ قدام الاستقسام التي ذكرت في أوّل السُّورة^(٢) ﴿رجس﴾ قذرٌ قبيحٌ ﴿من عمل الشيطان﴾ ممّا يسوّله الشيطان لبني آدم ﴿فاجتنبوه﴾ كونوا جانباً منه.

﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر﴾ وذلك لما يحصل بين أهلها من العداوة والمقابح، والإقدام على ما يمنع منه العقل ﴿ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة﴾ لأنّ مَنْ اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله والصلاة ﴿فهل أنتم متهون﴾ [استفهامٌ بمعنى الأمر]^(٣). قالوا: انتهينا، ثمّ أمر

(١) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: [ثلاثاً من].

(٢) عند قوله: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ انظر ص ٣٠٨.

(٣) زيادة من ظ.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٧﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٨﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْلُغُوا أَصْدَافَكُمْ بِالْبَهَائِمِ بِشَيْءٍ مِنْ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا

بالطاعة فقال:

﴿٩٧﴾ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴿المحارم والمناهي﴾ ﴿فإن توليتم﴾ عن الطاعة ﴿فأعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ فليس عليه إلا البلاغ، فإن أطعتم وإلا استحققت العقاب، فلما نزل تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله، ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربونها، ويأكلون الميسر؟ فتول ﴿٩٨﴾:

﴿٩٨﴾ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا ﴿من الخمر والميسر﴾ قبل التحريم ﴿إذا ما اتقوا﴾ المعاصي والشرك ﴿ثم اتقوا﴾ داموا على تقواهم ﴿ثم اتقوا﴾ ظلم العباد مع ضم الإحسان إليه.

﴿٩٩﴾ يا أيها الذين آمنوا ليلونكم الله بشيء من الصيد ﴿كان هذا عام الحديبية، كانت الوحش والطير تغشاهم في رحالهم كثيرة، وهم مُحْرِمُونَ ابتلاءً من الله تعالى.﴾ ﴿تناله أيديكم﴾ يعني: الفراخ والصغار ﴿ورماحكم﴾ يعني: الكبار ﴿ليعلم الله﴾ ليرى الله ﴿من يخافه بالغيب﴾ أي: من يخاف الله ولم يره ﴿فمن اعتدى﴾ ظلم بأخذ الصيد ﴿بعد ذلك﴾ بعد النهي ﴿فله عذاب أليم﴾.

﴿٩٩﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ﴿حرّم الله قتل الصيد على المُحْرِمِ، فليس له أن يتعرض للصيد بوجه من الوجوه ما دام مُحْرِمًا﴾ ﴿ومن قتل منكم متعمداً﴾

(١) أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٢٧٨/٨؛ ومسلم برقم ١٧٤٨؛ وابن جرير ٣٧/٧؛ والحاكم ١٤١/٤؛ والنسائي في تفسيره ٤٤٧/١؛ والترمذي. العارضة ١٧٨/١.

فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قُتِلَ مِنَ النَّعْمِ بِحَكْمِ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذَا يَبْلُغُ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ
 عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو
 أَنْتِقَامٍ ﴿١٩﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ وَطَعَامَهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا
 دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
 قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ

فجزاء مثل ما قتل من النعم ﴿أي﴾: فعليه جزاءً مماثل للمقتول من النعم في
 الخلقة، ففي النعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الضبع كبش، على هذا
 التقدير ﴿يحكم به ذوا عدل﴾ يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان ﴿منكم﴾
 من أهل [ملتكم] فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم، فيحكمان به ﴿هدياً بالغ
 الكعبة﴾ أي: إذا أتى مكة ذبحه، وتصدق به ﴿أو كفارة طعام مساكين أو عدل
 ذلك﴾ أي: مثل ذلك ﴿صياماً﴾ والمُحَرَّم إذا قتل صيداً كان مخيراً؛ إن شاء جزاه
 بمثله من النعم؛ وإن شاء قَوَّم المثل دراهم، ثُمَّ الدراهم طعاماً، ثُمَّ يتصدق به،
 وإن شاء صام عن كلِّ مَدٍّ يوماً ﴿ليذوق وبال أمره﴾ جزاء ما صنع ﴿عفا الله عما
 سلف﴾ قبل التحريم ﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾ مَنْ عاد إلى قتل الصيد مُحَرَّمًا
 حُكْم عليه ثانياً، وهو بصدد الوعيد ﴿والله عزيز﴾ منيع ﴿ذو انتقام﴾ من أهل
 معصيته.

﴿١٩﴾ أَحَلَّ لَكُمْ صَيْدَ الْبَحْرِ ما أُصِيبَ مِنْ دَاخِلِهِ، وَهَذَا الْإِحْلَالُ عَامٌّ لِكُلِّ أَحَدٍ مُحَرَّمًا
 كَانَ أَوْ مُحِلًّا ﴿وطعامه﴾ وهو ما نضب عنه الماء ولم يُصَدَّ ﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾
 منفعة للمقيم والمسافر، يبيعون ويتزودون منه، ثُمَّ أعاد تحريم الصيد في حال
 الإحرام، فقال: ﴿وحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
 تُحْشَرُونَ﴾ خافوا الله الذي إليه تبعثون.

﴿٢٠﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يعني: البيت الذي حَرَّمَ أَنْ يَصَادَ عِنْدَهُ، وَيَخْتَلَى
 لِلحَجِّ وَقِضَاءِ التَّسْكِكِ ﴿والشهر الحرام﴾ يعني: الأشهر الحرم، فذكر بلفظ الجنس
 ﴿والهدي والقلائد﴾ ذكرناه في أوَّل السورة، وهذه الجملة ذُكِرَتْ بَعْدَ ذِكْرِ الْبَيْتِ؛

ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾
 أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 يَتَذَكَّرُ أَلَّا تُكَلِّبُوا لَكُمْ تَفْلِيحُونَ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ
 لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْءَانُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢١﴾

لأنها من أسباب الحج فذكرت معه ﴿ذلك﴾ أي: ذلك الذي أنبأتكم به في هذه
 السورة من أخبار الأنبياء، وأحوال المنافقين واليهود، وغير ذلك ﴿لتعلموا أن الله
 يعلم ما في السموات...﴾ الآية. أي: يدلُّكم ذلك على أن لا يخفى عليه شيء.

﴿قل لا يستوي الخبيث والطيب﴾ أي: الحرام والحلال ﴿ولو أعجبك كثرة
 الخبيث﴾ وذلك أن أهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ نزلت حين سئل
 النبي حتى أحفوه بالمسألة، فقام مُغضباً خطيباً، وقال: لا تسألوني في مقامي هذا
 عن شيء إلا أخبرتكموه، فقام رجل من بني سهم يطعن في نسبه فقال: مَنْ أبي؟
 فقال: أبوك حذافة، وقام آخر فقال: أين أنا؟^(١) فقال: في النَّار، فأنزل الله تعالى
 هذه الآية^(٢)، ونهاهم أن يسألوه عما يُحزنهم جوابه وإبدائه، كسؤال مَنْ سأل عن
 موضعه، فقال: في النَّار، ﴿وإن تسألوا عنها﴾ أي: عن أشياء ﴿حين ينزل
 القرآن﴾ فيها ﴿تبد لكم﴾ يعني: ما ينزل فيه القرآن من فرض، أو نهي، أو حكم؛
 ومست الحاجة إلى بيانه، فإذا سألتكم عنها حينئذ تبدى لكم. ﴿عفا الله عنها﴾ أي:
 عن مسألتكم ممَّا كرهه النبي ﷺ ولا حاجة بكم إلى بيانه. نهاهم أن يعودوا إلى
 مثل ذلك، وأخبر أنه عفا عما فعلوا ﴿والله غفورٌ حلِيمٌ﴾ لا يعجل بالعقوبة، ثم

(١) في ظ: أين أبي؟.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الاعتصام. فتح الباري ١٣/٢٦٤؛ ومسلم برقم ٢٣٥٩؛ والترمذي

في التفسير؛ عارضة الأحوذى ١١/١٨٠؛ وابن جرير ٧/٨٠.

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَثُرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ

أخبرهم عن حال مَنْ تكلف سؤال ما لم يُكلّفوا فقال:

﴿١٠٦﴾ ﴿قد سألتها﴾ أي: الآيات ﴿قومٌ من قبلكم...﴾ الآية. يعني: قوم عيسى سألوا المائدة ثُمَّ كفروا بها، وقوم صالح سألوا الثّاقفة ثُمَّ عقروها.

﴿١٠٦﴾ ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أي: ما أوجبها ولا أمر بها، والبحيرة: الثّاقفة إذا تُنّجت خمسة أبطن شقّوا أذنّها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها ﴿ولا سائبة﴾ هو ما كانوا يُسيّبونه لآلهتهم في نذر يلزمهم إن شفي مريض، أو قضيت لهم حاجة ﴿ولا وصيلة﴾ كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ﴿ولا حام﴾ إذا تُنّجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمى ظهره، فلم يُركب ولم يُتفع، وسيب لأصنامهم فلا يُحمل عليه ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ يتقوّلون على الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام، وهم جعلوها مُحَرّمة لا الله، ﴿وأكثرهم﴾ يعني: أتباع رؤسائهم الذين سنّوا لهم تحريم هذه الأنعام ﴿لا يعقلون﴾ أن ذلك كذبٌ وافتراءٌ على الله من الرؤساء.

﴿١٠٧﴾ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله﴾ في القرآن من تحليل ما حرّمتم ﴿قالوا﴾ حسبنا ما وجدنا عليه آبائنا ﴿من الذين﴾ أولّو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴿مفسّرة في سورة البقرة﴾^(١).

﴿١٠٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ احفظوها من ملابس المعاصي والإصرار

لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ

على الذنوب ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ﴾ من أهل الكتاب ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ أنتم ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ مرجعكم جميعاً ﴿مَصِيرُكُمْ وَمَصِيرَ مَنْ خَالَفَكُمْ﴾ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يُجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ﴾ نزلت هذه الآيات في قصّة تميم وعديّ وبديل، خرجوا تجاراً إلى الشام، فمرض بديل ودفع إليهما متاعه، وأوصى إليهما أن يدفعاه إلى أهله إذا رجعا، فأخذا من متاعه إناءً من فضّة، وردّا الباقي إلى أهله، فعلموا بخيانتهم ورفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فأَنْزَلَ اللهُ تعالى هذه الآيات^(١)، ومعنى الآية: ليشهدكم ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾ وأردتم الوصية ﴿اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ من أهل ملّتكم تشهدونهما على الوصية ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ من غير دينكم إذا ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ سافرتم ﴿فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ علم الله أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسَافِرُ فَيَصْحَبُهُ فِي سَفَرِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ دُونَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَحْضُرُهُ الْمَوْتُ فَلَا يَجِدُ مَنْ يُشْهَدُهُ عَلَى وَصِيَّتِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: ﴿أَوْ آخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ فَالذَّمَّيَانِ فِي السَّفَرِ [خَاصَّةً]^(٢) إِذَا لَمْ يَوْجَدْ غَيْرُهُمَا [تَقْبَلُ شَهَادَتُهُمَا فِي ذَلِكَ]^(٣)، وَقَوْلُهُ: ﴿تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ١١٥/٧؛ والترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري، وقال: هذا حديث غريب، وليس إسناده بصحيح. العارضة ١٨٢/١١؛ والنحاس في النسخ والمنسوخ ص ١٦٤.

قلت: وتمام هو الداري، وعدي هو ابن بداء، وبديل هو ابن أبي مريم، ويقال له: ابن أبي مارية.

(٢) زيادة من عا و ظ.

(٣) زيادة من ظ.

شَمًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ يُهْدِيَ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ثُمَّ ﴿أَيُّ﴾: أَنْ ارْتَبْتُمْ فِي شَهَادَتِهِمَا وَشَكَّكْتُمْ، وَخَشِيتُمْ أَنْ يَكُونَا قَدْ خَانَا حَبَسْتُمُوهُمَا عَلَى الْيَمِينِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ وَيَقُولَانِ فِي يَمِينِهِمَا: لَا نَبِيعُ اللَّهَ بَعْرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَا نُحَابِي أَحَدًا فِي شَهَادَتِنَا ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ ولو كَانَ الْمُشْهُودُ لَهُ ذَا قُرْبَى ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: الشَّهَادَةُ الَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِإِقَامَتِهَا ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ إِنْ كَتَمْنَاهَا، وَلَمَّا رَفَعُوهُمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَسْتَحْلِفُوهُمَا، وَذَلِكَ أَنََّّهُمَا كَانَا نَصْرَانِيَيْنِ، وَبُدِّلَ كَانِ مُسْلِمًا، فَحَلَفَا أَنََّّهُمَا مَا قَبِضَا غَيْرَ مَا دَفَعَا إِلَى الْوَرِثَةِ، وَلَا كَتَمَا شَيْئًا، وَخَلَّى سَبِيلَهُمَا ثُمَّ أَطْلَعَ عَلَى الْإِنَاءِ فِي أَيْدِيهِمَا، فَقَالَا: اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ، فَارْتَفَعُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَزَلَّ قَوْلُهُ:

﴿فَإِنْ عُرِيَ﴾ أَيُّ: ظَهَرَ وَاطْلَعَ ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أَيُّ: اسْتَوْجِبَاهُ بِالْخِيَانَةِ وَالْحَنْثِ فِي الْيَمِينِ ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ مِنَ الْوَرِثَةِ، وَهُمَ الَّذِينَ ﴿اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمْ﴾ أَيُّ: اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْوَصِيَّةُ، أَوِ الْإِيصَاءُ، وَذَلِكَ أَنَّ الْوَصِيَّةَ تَسْتَحِقُّ عَلَى الْوَرِثَةِ ﴿الْأَوَّلِيَيْنِ﴾ بِالْمِيتِ، أَيُّ: الْأَقْرَبَانِ إِلَيْهِ، وَالْمَعْنَى: قَامَ فِي الْيَمِينِ مَقَامَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ قَرَابَةِ الْمِيتِ، فَيَحْلِفَانِ بِاللَّهِ: لَقَدْ ظَهَرْنَا عَلَى خِيَانَةِ الدُّمَيِّينِ وَكَذِبَهُمَا وَتَبَدَّلَهُمَا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ أَيُّ: يَمِينُنَا أَحَقُّ مِنْ يَمِينِهِمَا ﴿وَمَا اعْتَدَيْنَا﴾ فِيمَا قُلْنَا، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَامَ اثْنَانِ مِنْ وَرِثَةِ الْمِيتِ فَحَلَفَا بِاللَّهِ أَنََّّهُمَا خَانَا وَكَذَبَا، فَدَفَعَ الْإِنَاءَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمِيتِ.

﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ: مَا حَكَمَ بِهِ فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ، وَيَبَيِّنُهُ مِنْ رَدِّ الْيَمِينِ ﴿أَدْنَى﴾ إِلَى الْإِثْمَانِ بِالشَّهَادَةِ عَلَى مَا كَانَتْ ﴿أَوْ يَخَافُوا﴾ أَيُّ: أَقْرَبُ إِلَى أَنْ يَخَافُوا ﴿أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ﴾ عَلَى أَوْلِيَاءِ الْمِيتِ بَعْدَ أَيْمَانِ الْأَوْصِيَاءِ، فَيَحْلِفُوا عَلَى خِيَانَتِهِمْ وَكَذِبِهِمْ فَيَفْتَضَحُوا

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩) إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَلَدَيْكَ إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تحلفوا أيماناً كاذبَةً، أو تخونوا أمانة ﴿واسمعوا﴾ الموعظة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يرشد مَنْ كان على معصيته.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ أي: اذكروا ذلك اليوم ﴿فيقول﴾ لهم: ﴿مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ ما أجابكم قومكم في التَّوْحِيدِ؟ ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ من هول ذلك اليوم يذهلون عن الجواب، ثُمَّ يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم، فيشهدون لمن صدَّقهم، وعلى مَنْ كَذَّبهم.

﴿١١٠﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴿مضى﴾ تفسير الآية (١١٠) إلى قوله: ﴿وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ أي: عن قتلك.

﴿١١١﴾ ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أي: ألهمتهم.

﴿١١٢﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴿لم يشكوا﴾ في قدرته، ولكن معناه: هل يقبل ربُّكَ دعاءك، وهل يسهل لك إنزال مائدة علينا من السماء،

اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٧﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنُقْطِعَ قُلُوبَنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونَ عَلَيْنَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٨﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَآرْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٩﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٢١﴾

عَلَّمَ لَكَ ودلالةً على صدقك؟ فقال عيسى: ﴿اتقوا الله﴾ أن تسأله شيئاً لم تسأله الأمم من قبلكم.

﴿قالوا﴾: نريد أن نأكل منها ﴿أي﴾: نريد السؤال من أجل هذا ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ نزداد يقيناً بصدقك ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ لله بالتوحيد، ولك بالثبوت. وقوله:

﴿تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾ أي: نتخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نُعظِّمه نحن ومن يأتي بعدنا ﴿وآيةً منك﴾ دلالةً على توحيدك وصدق نبيك ﴿وارزقنا﴾ عليها طعاماً نأكله. وقوله:

﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ أي: بعد إنزال المائدة ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ أراد: جنساً من العذاب لا يُعَذَّب به غيرهم من عالمي زمانهم.

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ واذكر يا مُحَمَّدٌ حين يقول الله تعالى يوم القيامة لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ هذا استفهامٌ معناه التوبيخ لمن ادَّعى ذلك على المسيح؛ ليكذبهم المسيح، فتقوم عليهم الحجَّة ﴿قال سبحانه﴾ أي: براءتك من الشؤء. ﴿تعلم ما في نفسي﴾ أي: ما في سري وما أضمره ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ أي: ما تخفيه أنت، وما عندك علمه ولم تُطلعنا عليه. وقوله:

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنَّ تَعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٧﴾ «وكنْتُ عليهم شَهِيداً» أي: كنت أشهد على ما يفعلون ما كنت مقيماً فيهم «فلما توفيتني» [يعني: رفعتني] ^(١) إلى السماء «كنت أنت الرقيب» الحفيظ «عليهم وأنت على كلِّ شيء شَهِيدٌ» أي: شهدت مقالي فيهم، وبعد ما رفعتني شهدت ما يقولون من بعدي ^(٢).

﴿١١٨﴾ «إن تعذبهم» أي: مَنْ كفر بك «فإنهم عبادك» وأنت العادل فيهم «وإن تغفر لهم» أي: مَنْ تاب منهم وآمن فأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك.

﴿١١٩﴾ «قال الله: هذا يوم» يعني: يوم القيامة «ينفع الصادقين» في الدنيا «صدقهم» لأنَّه يوم الإثابة والجزاء. «رضي الله عنهم» بطاعته «ورضوا عنه» بثوابه «ذلك الفوز العظيم» لأنهم فازوا بالجنة.

﴿١٢٠﴾ «لله ملك السموات والأرض» عظم نفسه عما قالت النصارى: إنَّ معه إلهاً.

• • •

(١) زيادة من ظ.

(٢) ورد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون، وإنَّ ناساً يُؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول كما قال العبد الصالح: «وكنْتُ عليهم شَهِيداً ما دُمْتُ فيهم، فلَمَّا توفيتني كنت أنت الرَّقِيبَ عليهم وأنت على كلِّ شيء شَهِيدٌ * إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم». أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٣٨٦/٨؛ ومسلم برقم ٢٨٦٠؛ والنسائي في التفسير ٤٦٣/١؛ والترمذي في التفسير. العارضة ٢٦/١٢.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ مِائَةٌ وَسِتُونَ وَخَمْسُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴿١﴾ وخلق الليل والنهار ﴿١﴾ ثم الذين كفروا ﴿١﴾ بعد قيام الدليل على وحدانيته بما ذكر من خلقه ﴿١﴾ بربهم يعدلون ﴿١﴾ الحجارة والأصنام فيعبدها معها .

﴿٢﴾ هو الذي خلقكم من طين ﴿٢﴾ يعني : آدم أبا البشر ﴿٢﴾ ثم قضى أجلاً ﴿٢﴾ يعني : أجل الحياة إلى الموت ﴿٢﴾ وأجل مسمى عنده ﴿٢﴾ من الممات إلى البعث ﴿٢﴾ ثم أنتم ﴿٢﴾ أيها المشركون بعد هذا ﴿٢﴾ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ تشكون وتكذبون بالبعث . يريد : إن الذي ابتداء الخلق قادرٌ على إعادته .

﴿٣﴾ وهو الله ﴿٣﴾ أي : المعبود المعظم المتفرد بالتدبير ﴿٣﴾ في السموات وفي الأرض ﴿٣﴾ .

﴿٤﴾ وما تأتئهم من آية من آيات ربهم ﴿٤﴾ الدالة على وحدانيته ، كما ذكر من خلق آدم ،

إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

وخلق الليل والنهار ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ تاركين التفكر فيها.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ يعني: مشركي أهل مكة ﴿بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ يعني: القرآن ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: أخبار استهزائهم وجزاؤه.

﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني: هؤلاء الكفار ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ من جيل وأمة ﴿مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ﴾ أعطيناهم من المال والعبيد والأنعام ما لم نُعْطِكم ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ الْمَطَرَ﴾ عليهم مدراراً ﴿كَثِيرَ الدَّرَرِ﴾ وهو إقباله ونزوله بكثرة ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ بكفرهم ﴿وَأَنْشَأْنَا﴾ أوجدنا ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ وهذا احتجاج على منكري البعث.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ...﴾ الآية. قال مشركو مكة: لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من السماء [جملة واحدة] ^(١) مُعَايِنَةً، فقال الله: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ أي: مكتوباً ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾ يعني: الصحيفة ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ فعانوا ذلك مُعَايِنَةً، ومُسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴿لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾. أخبر الله تعالى أنهم يدفعون الدليل حتى لو رأوا الكتاب ينزل من السماء لقالوا: سحر.

﴿وَقَالُوا: لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ طلبوا ملكاً يروونه يشهد له بالرسالة، فقال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لأهلكوا بعذاب الاستئصال، كسنة مَنْ قَبْلِهِمْ مِمَّنْ طَلَبُوا الْآيَاتِ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ﴿ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ﴾ لا يُمَهِّلُونَ لِتَوْبَةٍ وَلَا لغير ذلك.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيْسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ مَا سَكَنَ فِي الْإِيلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

﴿٩﴾ ولو جعلناه ملكاً أي: ولو جعلنا الرُّسول الذي ينزل عليهم ليشهدوا له بالرسالة ملكاً كما يطلبون ﴿لجعلناه رجلاً﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته، لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة، ولذلك كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبي ﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾ ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكُّوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي، أي: فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان، ثم عزَّى الله نبيَّه عليه السلام بقوله:

﴿١٠﴾ ولقد استهزىء برسول من قبلك ﴿وكذبوا ونُسبوا إلى السحر﴾ ﴿فحاق﴾ فحلَّ ونزل ﴿بالذين سخروا﴾ من الرُّسل ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب وينكرون وقوعه.

﴿١١﴾ قل لهم يا محمَّد: ﴿سيروا في الأرض﴾ سافروا في الأرض ﴿ثم انظروا﴾ فاعتبروا ﴿كيف كان عاقبة﴾ مُكذَّبي الرُّسل. يعني: إذا سافروا رأوا آثار الأمم الخالية المهلكة، يحذِّرهم مثل ما وقع بهم.

﴿١٢﴾ قل لمن ما في السموات والأرض ﴿فإن أجابوك وإلاً﴾ قل لله كتب على نفسه الرحمة ﴿أوجب على نفسه الرحمة، وهذا تلطُّف في الاستدعاء إلى الإنابة ليجمعنكم﴾ أي: والله ليجمعنكم ﴿إلى يوم القيامة﴾ أي: ليضمنكم إلى هذا اليوم الذي أنكرتموه، وليجمعنَّ بينكم وبينه، ثم ابتدأ فقال: ﴿الذين خسروا أنفسهم﴾ أهلكوها بالشُّرك ﴿فهم لا يؤمنون﴾.

﴿١٣﴾ وله ما سكن في الليل والنهار﴾ أي: ما حلَّ فيهما، واشتملا عليه. يعني: جميع المخلوقات.

قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَمْتَهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يَطْعَمُهُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
 أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ
 بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
 عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
 الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ

﴿١٤﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَمْتَهُ وَلِيًّا فَاطِرَ السموات والأرض ﴿خالقهما ابتداء﴾ وهو يطعم ولا
 يطعم ﴿يرزق ولا يُرزق﴾.

﴿١٦﴾ مَنْ يصرف عنه ﴿أي: العذاب﴾ يوم القيامة ﴿فقد رحمه﴾ فقد أوجب
 الله له الرَّحْمَةَ لا محالة.

﴿١٧﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ الله بضر... الآية. أي: إِنْ جعل الضَّرُّ وهو المرض والفقر
 يمسُّكَ.

﴿١٨﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ القادر الذي لا يعجزه شيء ﴿فوق عباده﴾ أي: إِنْ قهره قد استعلى
 عليهم، فهم تحت التَّسخير.

﴿١٩﴾ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قال أهل مكة للنبي ﷺ: ائتنا بِمَنْ يشهد لك بالنبوة،
 فَإِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَنْكُرُونَكَ، فنزلت هذه الآية. أمر الله تعالى محمداً عليه السَّلام
 أَنْ يسألهم، ثُمَّ أمر أَنْ يخبرهم^(١) فيقول: ﴿الله شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: الله الذي
 اعترفتم بأنَّه خالق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ يشهد لي بالنبوة بِإِقَامَةِ
 البراهين، وَإِنْزَالِ الْقُرْآنِ عَلَيَّ. ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ الْمُعْجَزُ بِلَفْظِهِ وَنَظْمِهِ
 وَأَخْبَارِهِ، عَمَّا كَانَ وَيَكُونُ ﴿لَأُنذِرَكُمْ﴾ لِأَخَوَفِكُمْ ﴿بِهِ﴾ عِقَابِ اللَّهِ عَلَى الْكُفْرِ
 ﴿وَمَنْ بَلَغَ﴾ يعني: وَمَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ مِنْ بَعْدِكُمْ، فَكُلُّ مَنْ بَلَغَهُ الْقُرْآنُ فَكَأَنَّمَا رَأَى

أَيِّنْكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَىٰ قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

محمداً عليه السَّلام. قل: ﴿إنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى﴾ استفهام معناه الجحد والإنكار ﴿قل لا أشهد...﴾ الآية.

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ مفسرة في سورة البقرة^(١).

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ أي: لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً. يعني: الذين ذكرهم في قوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة...﴾^(٢) الآية. ﴿أو كذب بآياته﴾ بالقرآن وبمحمد عليه السَّلام ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يسعد من جحد ربوبيته، وكذب رسله، وهم الذين ظلموا أنفسهم بإهلاكها بالعذاب.

﴿ويوم﴾ واذكر يوم ﴿نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم﴾ أصنامكم وآلهتكم ﴿الذين كنتم تزعمون﴾ أنها تشفع لكم، وهذا سؤال توبيخ.

﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ أي: لم تكن عاقبة افتتانهم بالأوثان وحبهم لها ﴿إلا أن﴾ تبرؤوا منها ف ﴿قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾.

﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف كذبوا على أنفسهم﴾ بجحد شركهم في الآخرة ﴿وضلاً﴾ وكيف ضلَّ ذلك: زال وبطل ﴿عنهم ما كانوا يفترون﴾ بعبادته من الأصنام.

﴿ومنهم﴾ ومن الكفار ﴿من يستمع إليك﴾ إذا قرأت القرآن ﴿وجعلنا على قلوبهم

(١) انظر ص ١٣٧.

(٢) الآية: ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ [الأعراف: ٢٨].

أَكِنَّةَ أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقَرَّ وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوُونَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتُنَا نُرَدُّ وَلَا نَكْذِبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا

أَكِنَّةٌ ﴿أُغْطِيَةٌ﴾ ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ لثلاث يفهموه، ولا يعلموا الحق ﴿وفي آذانهم﴾ ﴿وقرَّ﴾ ثقلًا وصممًا، فلا يعون منه شيئًا، ولا ينتفعون به ﴿وإن يروا كل آية﴾ علامة تدلُّ على صدقك ﴿لا يؤمنوا بها﴾ هذا حالهم في البعد عن الإيمان ﴿حتى﴾ إذا جاؤوك يجادلونك ﴿مخاصمين معك في الدين﴾^(١) ﴿يقول الذين كفروا﴾ مَنْ كفر منهم: ﴿إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلا أساطير الأولين﴾ أحاديث الأمم المتقدمة التي كانوا يسطرونها في كتبهم.

﴿وهم ينهون﴾ النَّاسُ عَنْ اتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ ﴿وينأون﴾ ويتباعدون ﴿عنه﴾ فلا يؤمنون به^(٢) ﴿وإن﴾ وما ﴿يهلكون إلا أنفسهم﴾ بتماديهم في معصية الله تعالى ﴿وما يشعرون﴾ وما يعلمون ذلك.

﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ وقفوا على النار﴾ أي: حُبسوا على الصُّراط فوق النَّارِ، ﴿فقالوا يا ليتنا نرد﴾ تَمَنَّوْا أَنْ يَرُدُّوا إِلَى الدُّنْيَا فَيُؤْمِنُوا، وهو قوله: ﴿ولا نكذب﴾ أي: ونحن لا نكذب ﴿بآيات ربنا﴾ بعد المعاينة ﴿ونكون من المؤمنين﴾ ضمنا أَنْ لَا يُكْذِبُوا وَيُؤْمِنُوا، فقال الله تعالى:

﴿بل﴾ ليس الأمر على ما تَمَنَّوْا فِي الرَّدِّ ﴿بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ وهو أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا شُرَكَاهُمْ، فأنطق الله سبحانه جوارحهم حتى شهدت عليهم بالكفر، والمعنى: ظهرت فضيحتهم في الآخرة، وتهتكت أستارهم ﴿ولو ردوا لعادوا لما

(١) زيادة من ظ.

(٢) قال ابن عباس: نزلت في أبي طالب، كان ينهى المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به. أخرجه الحاكم ٣١٥/٢؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي. والمؤلف في الأسباب ص ٢٤٧، وابن جرير ١٧٣/٧.

نُهِوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ
 وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ ﴿٣٠﴾ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣١﴾
 قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ
 يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَلَدَارُ
 الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٣﴾

نُهِوا ﴿إلى ما نُهِوا﴾ عنهُ ﴿من الشُّرك، للقضاء السَّابق فيهم بذلك، وأنَّهُم خلقوا
 للشَّقاوة﴾ وإنَّهُم لكاذِبُونَ ﴿في قولهم: ﴿ولا نكذبُ بآيات ربنا﴾.
 ﴿وقالوا﴾ يعني: الكفار: ﴿إن هي إلَّا حياتنا الدنيا...﴾ الآية. أنكروا البعث.
 ﴿ولو ترىٰ إذ وقفوا على ربهم﴾ عرفوا ربَّهم ضرورة. وقيل: وقفوا على مسألة
 ربَّهم وتوبيخه إيَّاهم، ويؤكدُ هذا قوله: ﴿أليس هذا بالحق﴾ أي: هذا البعث،
 فيقرُّون حين لا ينفعهم ذلك، ويقولون: ﴿بلى وربنا﴾ فيقول الله تعالى: ﴿فذوقوا
 العذاب بما كنتم تكفرون﴾ بكفركم.
 ﴿قد خسر الذين كذبوا بقاء الله﴾ بالبعث والمصير إلى الله ﴿حتىٰ إذا جاءتهم
 السَّاعة بغتة﴾ فجأة ﴿قالوا يا حسرتنا علىٰ ما فرطنا فيها﴾ قصَّرتنا وضيَّعتنا عمل
 الآخرة في الدُّنيا ﴿وهم يحملون أوزارهم﴾ أثقالهم وأثامهم ﴿على ظهورهم﴾
 وذلك أنَّ الكافر إذا خرج من قبره استقبله عمله أقبح شيء صورة، وأخبثه ريحاً،
 فيقول: أنا عمَلُك السيِّئ طال ما ركبتني في الدُّنيا، فأنا أركبك اليوم^(١). ﴿ألا
 ساء ما يزررون﴾ بش الحمل ما حملوا.
 ﴿وما الحياة الدنيا إلَّا لعبٌ ولهو﴾ لأنَّها تَفْنى وتُنْقِض كاللَّهو واللَّعب، تكون لذَّة
 فانية عن قريب ﴿وللدار الآخرة﴾ الجَنَّة ﴿خير للذين يتقون﴾ الشُّرك ﴿أفلا
 تعقلون﴾ أنَّها كذلك، فلا تَفْتَرُوا في العمل لها، ثمَّ عزَّى نبيَّهِ ﷺ علىٰ تكذيب
 قریش إيَّاه، فقال:

(١) أخرجه ابن جرير ٢٧٨/٧ من كلام الشَّدي.

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾
 وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِ
 اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ
 تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا
 تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٣﴾ ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾ في العلانية: إِنَّكَ كَذَّابٌ وَمُفْتِرٍ ﴿فإنهم لا يكذبونك﴾ في السرِّ قد علموا صدقك ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ بالقرآن بعد المعرفة. نزلت في المعاندين الذين تركوا الانقياد للحق، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم...﴾ الآية (١).

﴿٣٤﴾ ﴿ولقد كذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذِّبُوا﴾ رجاء ثوابي ﴿وأودوا﴾ حتى نشروا بالمناشير، وحرَّقوا بالنَّار ﴿حتى أتاهم نصرنا﴾ معونتنا إيَّاهم بإهلاك مَنْ كَذَّبَهُمْ ﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾ لا ناقض لحكمه، وقد حكم بنصر الأنبياء في قوله: ﴿كتب الله لأعلن أنا ورسلي﴾ (٢). ﴿ولقد جاءك من نبا المرسلين﴾ أي: خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ودمرنا قومهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وإن كان كبر﴾ عَظَمَ وَثَقُلَ ﴿عليك إعراضهم﴾ عن الإيمان بك وبالقرآن، وذلك أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يحرص على إيمان قومه، فكانوا إذا سألوه آيةً أحبَّ أن يريهم ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فإن استطعت أن تبغني﴾ تطلب ﴿نفقاً﴾ سرباً ﴿في الأرض أو سلماً﴾ مصعداً ﴿في السماء فتأتيهم بآية﴾ فافعل ذلك، والمعنى: أَنَّكَ بَشَرٌ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِالْآيَاتِ، فلا سبيل لك إِلَّا الصَّبْرُ حتى يحكم الله ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى﴾ أي: إِنَّمَا تركوا الإيمان لسابق قضائي فيهم، لو شئت لاجتمعوا على الإيمان ﴿فلا تكوننَّ من الجاهلين﴾ بأنَّه

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ (٣٦) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٧) وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٣٨)

يؤمن بك بعضهم دون بعض، وأنهم لا يجتمعون على الهدى، وغلظ الجواب زجراً لهم عن هذه الحال.

﴿٣٦﴾ ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ أي: يُجيبك إلى الإيمان ﴿الذين يسمعون﴾ وهم المؤمنون الذين يسمعون الذكر، فيقبلونه ويتفعلون به، والكافر الذي ختم الله على سمعه كيف يصغي إلى الحق؟! ﴿والموتى﴾ يعني: كفار مكة ﴿يبعثهم الله ثمَّ إليه يرجعون﴾ يردون فيجازيهم بأعمالهم.

﴿٣٧﴾ ﴿وَقَالُوا﴾ يعني: رؤساء قريش ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ يعنون: نزول ملك يشهد له بالنبوة ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما عليهم في ذلك من البلاء، وهو ما ذكرنا في قوله: ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقَضَى الْأَمْرَ﴾ (١).

﴿٣٨﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ يعني: جميع الحيوانات؛ لأنها لا تخلو من هاتين الحالتين ﴿إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ أصناف مصنفة تُعرف بأسمائها، فكلُّ جنس من البهائم أُمَّةٌ، كالطَّير، والطَّيَّاء، والدُّبَاب، والأسود، وكلُّ صنفٍ من الحيوانات أُمَّةٌ مثل بني آدم يعرفون بالإنس ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ما تركنا في الكتاب من شيءٍ بالعباد إليه حاجةٌ إلَّا وقد بيَّناه؛ إمَّا نصًّا؛ وإمَّا دلالةً؛ وإمَّا مجملًا؛ وإمَّا مفصلاً كقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (٢) أي: لكلِّ شيءٍ يُحتاج إليه من أمر الدِّين ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي: هذه الأمم ﴿يُحْشَرُونَ﴾ للحساب والجزاء.

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُفُّوا فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَن يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتُنْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٩﴾ والذين كذبوا بآياتنا ﴿صم﴾ بما جاء به محمد عليه السلام ﴿صم﴾ عن القرآن لا يسمعون سماع انتفاع ﴿وبكم﴾ عن القرآن لا ينطقون به، ثم أخبر أنهم بمشيئته صاروا كذلك، فقال: ﴿من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم﴾.

﴿٤٠﴾ قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ﴿أرايتكم﴾ معناه: أخبروني ﴿إن أناكم عذاب الله﴾ يريد: الموت ﴿أو أتكم الساعة﴾ القيامة ﴿أغير الله تدعون﴾ أي: أتدعون هذه الأصنام والأحجار التي عبدتموها من دون الله ﴿إن كنتم صادقين﴾ جواب لقوله: ﴿أرايتكم﴾ لأنه بمعنى أخبروني، كأنه قيل: إن كنتم صادقين أخبروا من تدعون عند نزول البلاء بكم.

﴿٤١﴾ بل أي: لا تدعون غيره ﴿إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه﴾ أي: يكشف الضر الذي من أجله دعوتهم ﴿إن شاء وتنسون﴾ وتتركون ﴿ما تشركون﴾ به من الأصنام فلا تدعونه.

﴿٤٢﴾ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴿رسلاً فكفروا بهم﴾ فأخذناهم بالبأساء وهو شدة الفقر ﴿والضراء﴾ الأوجاع والأمراض ﴿لعلهم يتضرعون﴾ لكي يتذللوا ويتخشعوا.

﴿٤٣﴾ فلولا ﴿فها﴾ إذ جاءهم بأسنا ﴿عذابنا يتضرعون﴾ تذللوا، والمعنى: لم يتضرعوا ﴿ولكن قست قلوبهم﴾ فأقاموا على كفرهم ﴿وزين لهم الشيطان الضلالة التي هم عليها، فأصروا﴾.

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَمَّ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نُصْرِفُ الْأَيَّاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْذَفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِن أَنَا أَنَا اللَّهُ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمْسُهِمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِن أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ

﴿٤٤﴾ فلما نسوا ما ذكروا به ﴿تركوا ما وُعظوا به﴾ ﴿فتحنا عليهم أبواب كل شيء﴾ من النعمة والسرور بعد الضر الذي كانوا فيه ﴿حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم﴾ في حال فرحهم؛ ليكون أشدَّ لتحسُّرهم ﴿بغته فإذا هم مبلسون﴾ آيسون من كل خير.

﴿٤٥﴾ ﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾ أنفسهم أي: غابهم الذي يتخلف في آخر القوم، والمعنى: استؤصلوا بالهلاك فلم يبق منهم باقية ﴿والحمد لله رب العالمين﴾ على نصر الرُّسل، وإهلاك الظَّالِمِينَ.

﴿٤٦﴾ ﴿قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾ أي: أصمَّكم وأعماكم ﴿وختم على قلوبكم﴾ حتى لا تعرفوا شيئاً. يعني: أذهب هذه الأعضاء عنكم أصلاً ﴿مَنْ إِلَه غير الله يأتاكم به﴾ أي: بما أخذ عنكم ﴿انظر كيف نصرف﴾ نبين لهم في القرآن ﴿الآيات ثم هم يصدفون﴾ يعرضون عمَّا ظهر لهم.

﴿٤٧﴾ ﴿قل أرايتكم إن أناكم عذاب الله بغته أو جهرة﴾ ليلاً أو نهاراً ﴿هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾ الذين جعلوا الله شركاء.

﴿٤٨﴾ ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ التي منها يرزق ويعطي ﴿ولا أعلم الغيب﴾ فأخبركم بعاقبة ما تصيرون إليه ﴿ولا أقول لكم إنني ملك﴾ أشاهد من أمر الله ما لا يشاهده البشر ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ أي: ما أخبركم إلا بما أنزل الله

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۖ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۖ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

عَلَيَّ ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ الكافر والمؤمن ﴿أفلا تتفكرون﴾ أنهما لا يستويان.

﴿٥١﴾ ﴿وأنذر به﴾ خوفاً بالقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ يريد: المؤمنين، يخافون يوم القيامة، وما فيها من الأهوال ﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع﴾ يعني: إن الشفاعة إنما تكون بإذنه، ولا شفيع ولا ناصر لأحد في القيامة إلا بإذن الله ﴿لعلهم يتقون﴾ كي يخافوا في الآخرة ويتهوا عملاً نهيتهم.

﴿٥٢﴾ ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم...﴾ الآية. نزلت في فقراء المؤمنين^(١) لما قال رؤساء الكفار للنبي ﷺ: نَحْ هَؤُلَاءِ عَنْكَ لِنَجَالِسَكَ وَنُؤْمِنُ بِكَ. ومعنى: ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ يعبدون الله بالصَّلوات المكتوبة. ﴿يريدون وجهه﴾ يطلبون ثواب الله ﴿ما عليك من حسابهم﴾ من رزقهم ﴿من شيء﴾ فتملأهم وتطردهم ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ أي: ليس رزقك عليهم، ولا رزقهم عليك، وإنما يرزقك وإياهم الله الرَّازِق، فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ لهم بطردهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ ابتلينا الغني بالفقير، والشریف بالوضيع ﴿ليقولوا﴾ يعني: الرؤساء ﴿أهؤلاء﴾ الفقراء والضعفاء ﴿من الله عليهم من بيننا﴾ أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلة، أو خصوا بنعمة، فقال الله تعالى: ﴿أليس الله بأعلم

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٤١٣؛ والنسائي في تفسيره ٤٧٠/١؛ والحاكم ٣١٩/٣؛ وابن ماجه برقم ٤١٢٨.

بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا كَمَا كُنْتُمْ تُسَلِّمُونَ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ وَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ لَظَهِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ

بالشاكرين ﴿٥٣﴾ أي: إنما يهدي إلى دينه مَنْ يعلم أنه يشكر.

﴿٥٤﴾ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا ﴿٥٤﴾ يعني: الصحابة وهؤلاء الفقراء ﴿٥٤﴾ فقل سلام عليكم ﴿٥٤﴾ [سلم عليهم] ﴿٥٤﴾ بتحية المسلمين ﴿٥٤﴾ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴿٥٤﴾ أوجب الله لكم الرحمة إيجاباً مؤكداً ﴿٥٤﴾ أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ﴿٥٤﴾ يريد: إن ذنوبكم جهلٌ ليس بكفر ولا جحود، لأنَّ العاصي جاهلٌ بمقدار العذاب في معصيته ﴿٥٤﴾ ثم تاب من بعده ﴿٥٤﴾ رجع عن ذنبه ﴿٥٤﴾ وأصلح عمله ﴿٥٤﴾ فأنه غفور رحيم ﴿٥٤﴾.

﴿٥٥﴾ وكذلك ﴿٥٥﴾ وكما بينا لك في هذه السورة دلائلنا على المشركين ﴿٥٥﴾ نفصل ﴿٥٥﴾ نبين لك حجتنا وأدلتنا، ليظهر الحق وتعرف يا محمد سبيل المجرمين في شركهم بالله في الدنيا، وما يصيرون إليه من الخزي يوم القيامة بإخباري إياك.

﴿٥٦﴾ قل إنني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ﴿٥٦﴾ الأصنام التي يعبدونها من دون الله ﴿٥٦﴾ قل لا أتبع أهواءكم ﴿٥٦﴾ أي: إنما عبدتموها على طريق الهوى لا على طريق البرهان، فلا أتبعكم على هواكم ﴿٥٦﴾ قد ضللت إذا ﴿٥٦﴾ إن أنا فعلت ذلك ﴿٥٦﴾ وما أنا من المهتدين ﴿٥٦﴾ الذين سلكوا سبيل الهدى.

﴿٥٧﴾ قل إنني على بينة ﴿٥٧﴾ يقين وأمر بيِّن ﴿٥٧﴾ من ربي ﴿٥٧﴾ لا متَّبِعُ لهوى ﴿٥٧﴾ وكذبتُم به ﴿٥٧﴾ أي: برَّبِّي ﴿٥٧﴾ ما عندي ما تستعجلون به ﴿٥٧﴾ يعني: العذاب أو الآيات التي اقترحتُموها، ثم

إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا آَرْضٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾

أعلم أن ذلك عنده، فقال: ﴿إن الحكم إلا لله يقص الحق﴾ أي: يقول [القصص] (١) الحق. ومن قرأ (٢): ﴿يقضي الحق﴾ فمعناه: يقضي القضاء الحق وهو خير الفاصلين الذين يفصلون بين الحق والباطل.

﴿٥٨﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ﴿من العذاب لعجلت لكم، ولا تفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة، وهو معنى قوله: ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ هو أعلم بوقت عقوبتهم، فهو يؤخرهم إلى وقته، وأنا لا أعلم ذلك. قوله:

﴿٥٩﴾ ﴿وعنده مفاتيح الغيب﴾ خزائن (٣) ما غاب عن بني آدم من الرزق، والمطر، ونزول العذاب، والثواب، والعقاب ﴿لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر﴾ الفقار ﴿والبحر﴾ كل قرية فيها ماء؛ لا يحدث فيهما شيء إلا أعلم الله ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ ساقطة، وقبل أن تسقط ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ في الثرى تحت الأرض ﴿ولا رطب﴾ وهو ما ينبت ﴿ولا يابس﴾ وهو ما لا ينبت ﴿إلا في كتاب مبين﴾ أثبت الله ذلك كله في كتاب قبل أن يخلق الخلق.

(١) زيادة من عا.

(١) زيادة من ظ.

(٢) وهم ابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب.

الإتحاف ص ٢٠٩.

(٣) في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس» ﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ إن الله عليم خبير. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٢٩١/٨؛ ومسلم برقم ١٠؛ وأحمد ٥٢/٢.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَقَّ لَا إِلَهَ إِلَّا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِّنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ اللَّهُ يُنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكُرُونَ ﴿٦٤﴾

﴿٦٠﴾ وهو الذي يتوفاكم بالليل ﴿يقبض أرواحكم في منامكم﴾ ويعلم ما جرحتم ﴿ما كسبتم من العمل﴾ بالنهار ثم يبعثكم فيه ﴿يردُّ إليكم أرواحكم في النَّهار﴾ ليقضى أجل مسمى ﴿يعني: أجل الحياة إلى الموت، أي: لتستوفوا أعماركم المكتوبة﴾.

﴿٦١﴾ وهو القاهر فوق عباده ﴿مضى هذا﴾ ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ من الملائكة يحصون أعمالكم ﴿حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا﴾ أعوان ملك الموت ﴿وهم لا يفرطون﴾ لا يعجزون ولا يضيِّعون.

﴿٦٢﴾ ثم ردوا ﴿يعني: العباد. يُردُّون بالموت﴾ إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم ﴿أي: القضاء فيهم﴾ وهو أسرع الحاسبين ﴿أقدر المجازين﴾.

﴿٦٣﴾ قل من ينجيكم ﴿سؤال توبيخ وتقدير. أي: إن الله يفعل ذلك﴾ من ظلمات البر والبحر ﴿أهوالهما وشدائدهما﴾ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴿علانيةً وسراً﴾ لئن أنجانا من هذه ﴿أي: من هذه الشَّدائد﴾ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿من المؤمنين الطَّائِعِينَ، وكانت قریش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلُّوا الطَّرِيقَ وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم، وهو قوله﴾:

﴿٦٤﴾ قل الله ينجيكم منها... الآية. أعلم الله سبحانه أن الله الذي دعوه هو

قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۚ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ ۚ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ

ينجيهم، ثم هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنها من صنعهم، وأنها لا تضر ولا تنفع. والكر ب أشد الغم، ثم أخبر أنه قادر على تعذيبهم، فقال: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ كالصيحة، والحجارة، والماء^(١) ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كالخسف والزلزلة ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ يخلطكم فرقاً بأن يبت فيكم الأهواء المختلفة، فتخالفون وتقاتلون، وهو معنى قوله: ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض﴾. انظر كيف نصرف نبيّن لهم ﴿آيات﴾ في القرآن ﴿لعلهم يفقهون﴾ لكي يعلموا.

﴿وكذب به﴾ بالقرآن ﴿قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾ [بمسلط]^(٢) أي: إنما أدعوكم إلى الله، ولم أؤمر بحربكم، ولا أخذكم بالإيمان، وهذا منسوخ بآية القتال^(٣).

﴿لكل نأ مستقر﴾ لكل خبر يخبره الله وقت ومكان يقع فيه من غير خلف

(١) عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾، قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك. قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال: أعوذ بوجهك. ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٢٩١/٨؛ ومسلم في الإيمان برقم ١٢٤؛ والنسائي في تفسيره ٤٧٤/١؛ والترمذي في التفسير. العارضة ١٨٦/١١.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) قال مكّي القيسي: قال ابن عباس: نسخ هذا آية السيف: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾. [التوبة: ٥].

وفي الرواية عنه بذلك ضعف، ولا يحسن نسخ هذا؛ لأنه خبر، إنما أمر الله أن يخبر عن نفسه بذلك، لم يأمره ألا يكون عليهم وكلاً فنسخ ذلك. الإيضاح لناسخ القرآن ص ٢٨١.

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيءَ آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن تَبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ

﴿وسوف تعلمون﴾ ما كان منه في الدنيا فستعرفونه، وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم. يعني: العذاب الذي كان يعدمهم في الدنيا والآخرة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالكذب والاستهزاء ﴿فأعرض عنهم﴾ أمر الله تعالى رسوله عليه السلام فقال: إذا رأيت المشركين يُكذِّبون بالقرآن، وبك، ويستهزئون فاترك مجالستهم ﴿حتى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ حتى يكون خوضهم في غير القرآن ﴿وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ﴾ إن نسيت فقعدت ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ فقم إذا ذكرت، فقال المسلمون: لئن كنَّا كلُّما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، وأن نطوف بالبيت، فرخص للمؤمنين في القعود معهم يُذكِّرونهم فقال:

﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ الشُّرْكَ وَالْكَبَائِرَ﴾ من حسابهم ﴿آثَامِهِمْ﴾ من شيء ولكن ذكرى ﴿يقول: ذكروهم بالقرآن وبمحمد، فرخص لهم بالقعود بشرط التذكير والموعظة﴾ لعلهم يتقون ﴿ليرجى منهم التقوى﴾.

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ يعني: الكفار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها ﴿وذكَّره﴾ وعظ بالقرآن ﴿أن تبسل نفس بما كسبت﴾ تُسلم للهلكة، وتحبس في جهنم فلا تقدر على التَّخلص، ومعنى الآية: وذكرهم بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلهم يخافون فيتقون ﴿وإن تعدل كل عدل﴾ يعني: النفس المُبسلة. تفد كل فداء. يعني: تفد بالدنيا وما فيها ﴿لا يؤخذ

مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِّرْنَا لِنُؤْمِنَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَن أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَنِلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرِني إِبراهيمَ وَقَوْمَكَ فِي صَلَاتٍ مِّمَّنْ قَدِ اتَّخَذُوا أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ

منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا ﴿أسلموا للهلاك﴾ لهم شرابٌ من حميم ﴿وهو الماء الحار﴾.

﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴿أنعبد ما لا يملك لنا نفعاً ولا ضرراً؛ لأنه جماد؟﴾ ونردُّ على أعقابنا بعد إذ هَدَانَا اللَّهُ ﴿نردُّ وراءنا إلى الشُّرك بالله، فيكون حالنا كحال﴾ الَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ﴿استغوته واستفزته الغيلان في المهامه﴾ حَيْرَانٌ ﴿متردداً لا يهتدي إلى المحجَّة﴾ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ الَّذِي يَسْتَهْوِيهِ فِي الْمَفَازَةِ، فَيَصْبَحُ فِي مَضَلَّةٍ مِنَ الْأَرْضِ يَهْلِكُ فِيهَا، وَيَعْصِي مَنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْمَحَجَّةِ، كَذَلِكَ مَنْ ضَلَّ بَعْدَ الْهُدَىٰ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ رَدُّ عَلَى مَنْ دَعَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، أَيُّ: لَا نَفْعَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى لَا هُدَىٰ غَيْرُهُ.

﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴿أَيُّ: بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ، وَشُمُولِ عِلْمِهِ، وَإِتْقَانِ صَنْعِهِ، وَكُلُّ ذَلِكَ حَقٌّ﴾ وَيَوْمَ يَقُولُ ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ وَادْكُرْ يَا مُحَمَّدُ يَوْمَ يَقُولُ لِلشَّيْءِ ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ لِلْخَلْقِ انْتَشَرُوا فَيَنْتَشِرُونَ.

﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ... ﴿الآية. أَيُّ: وَكَمَا أَرَيْنَا إِبْرَاهِيمَ اسْتِقْبَاحَ مَا كَانَ عَلَيْهِ

مَلَكَوَتِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنُ مِنَ الْمُوقِنِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَاَ الْكَوْكَبَآءَ قَالَتْ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَتْ لَا أُحِبُّ الْاَافِلِيْنَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَتْ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَتْ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَأَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّيْنَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَاَ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَتْ هٰذَا رَبِّيْ هٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَتْ يَنْقُوْمُ اِنِّيْ بَرِيْءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ ﴿٧٨﴾ اِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيفًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ ﴿٧٩﴾

أبوه من عبادة الأصنام نريه ﴿ملكوت السموات والأرض﴾ يعني: ملكهما، كالشمس، والقمر، والنجوم، والجبال، والشجر، والبحار. أراه الله تعالى هذه الأشياء حتى نظر إليها معتبراً مستدلاً بها على خالقها، وقوله: ﴿وليكون من الموقنين﴾ عطف على المعنى. تقديره: ليستدل بها وليكون من الموقنين.

﴿فلما جن﴾ أي: ستر وأظلم ﴿عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي﴾ أي: في زعمكم أيها القائلون بحكم النجم، وذلك أنهم كانوا أصحاب نجوم يرون التدبير في الخليقة لها ﴿فلما أفل﴾ أي: غاب ﴿قال: لا أحب الآفلين﴾ عرفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النجوم، ودل على أن من غاب بعد الظهور كان حادثاً مسخراً، وليس برّب.

﴿فلما رأى القمر بازغاً﴾ طالعا، فاحتج عليهم في القمر والشمس بمثل ما احتج به عليهم في الكوكب، وقوله: ﴿لئن لم يهديني ربي﴾ أي: لئن لم يثبتني على الهدى. وقوله للشمس:

﴿هذا ربي﴾ ولم يقل هذه؛ لأن لفظ (١) الشمس مذكّر، ولأن الشمس بمعنى الضياء والثور، فحمل الكلام على المعنى ﴿هذا أكبر﴾ أي: من الكوكب والقمر، فلما توجهت الحجة على قومه قال: ﴿إني بريء مما تشركون﴾.

﴿إني وجهت وجهي﴾ أي: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عز وجل، وباقي الآية مفسر فيما مضى (٢).

وَحَاجَّهِ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٦﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا

﴿٨٦﴾ ﴿وَحَاجَّه قومه﴾ جادلوه وخاصموه في تركه آلهتهم، وعبادة الله، وخوفوه أن تصيبه آلهتهم بسوء، فقال: ﴿أتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ﴾ أي: في عبادته وتوحيده ﴿وقد هدان﴾ بَيَّن لي ما به اهتديت ﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾ من الأصنام أن تصيبني بسوء ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ إني لا أخاف إِلَّا مشيئة الله أن يعذبني ﴿وسع ربي كلَّ شيء علماً﴾ علمه علماً تاماً ﴿أفلا تتذكرون﴾ تتعظون وتتركون عبادة الأصنام.

﴿٨٧﴾ ﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾ يعني: الأصنام. أنكر أن يخافها ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ ما ليس لكم في إشراكه بالله حجة وبرهان ﴿فأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ بأن يأمن العذاب، الموحد أم المشرك؟

﴿٨٨﴾ ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ لم يخلطوا إيمانهم بشرك ﴿أولئك لهم الأمن﴾ من العذاب ﴿وهم مهتدون﴾ إلى دين الله.

﴿٨٩﴾ ﴿وتلك حجتنا﴾ يعني: ما احتج به عليهم ﴿آتيناه إبراهيم﴾ ألهمناها إبراهيم، فأرشدناه إليها ﴿نرفع درجات مَنْ نشاء﴾ مراتبهم بالعلم والفهم، ثم ذكر نوحاً وَمَنْ هَدَى مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ أَوْلَادِهِ إِلَى قَوْلِهِ:

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْبَيْنَهُمْ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفْرِينَ ﴿٨٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهَتَهُمْ أَقْتَدَ قُلٌ لَا آسَأُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْمَعُونَ قُرْآنَ قُرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا

﴿٨٦﴾ «وكلًّا»: أي: من المذكورين هاهنا ﴿فضلنا على العالمين﴾ عالمي زمانهم.

﴿٨٧﴾ «ومن آبائهم»: أي: وهدينا بعض آبائهم ﴿وذرياتهم وإخوانهم﴾ ف «من» هاهنا للتبعض.

﴿٨٨﴾ «ذلك هدى الله»: دين الله الذي هم عليه ﴿يهدى به من يشاء﴾ يريد: يرشد إليه من يشاء ﴿من عباده ولو أشركوا﴾ عبدوا غيري ﴿لحبط﴾ بطل عملهم.

﴿٨٩﴾ «أولئك الذين آتيناهم الكتاب﴾ يعني: الكتب التي أنزلها عليهم ﴿والحكم﴾ العلم والفقه ﴿فإن يكفر بها﴾ أي: بآياتنا ﴿هؤلاء﴾ أهل مكة ﴿فقد وكلنا بها﴾ أي: أرسدنا لها ﴿قومًا﴾ وفقناهم لها، وهم المهاجرون والأنصار.

﴿٩٠﴾ «أولئك الذين هدى الله﴾ يعني: النبيين الذين تقدّم ذكرهم ﴿فبهدهم اقتده﴾ أي: اصبر كما صبروا؛ فإن قومهم كذبوهم فصبروا ﴿قل لا أسألكم عليه﴾ على القرآن وتبليغ الرسالة ﴿أجرًا﴾ مالا تعطونه ﴿إن هو﴾ يعني: القرآن ﴿إلا ذكرى للعالمين﴾ موعظة للخلق أجمعين.

﴿٩١﴾ «وما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموا الله حقَّ عظمته، وما وصفوه حقَّ صفته ﴿إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء﴾ وذلك أن اليهود أنكروا إنزال الله عز وجل من السماء كتاباً إنكاراً للقرآن ﴿قل﴾ لهم يا محمد: ﴿من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى﴾ يعني: التوراة. ﴿تجعلونه قراطيس﴾ مكتوبة وتودعونه إياها ﴿تبدونها﴾

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلِمَتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾
 وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
 بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ
 أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ

يعني: القراطيس يبدون ما يحبُّون، ويكتُمون صفة محمد ﷺ ﴿وعُلِّمْتُمْ ما لم تعلموا أنتم ولا آبَاؤُكم﴾ في التَّوراة، فضيَّعتموه ولم تنتفعوا به ﴿قل الله﴾ أي: الله أنزله ﴿ثم ذرهم في خوضهم﴾ إفكهم وحديثهم الباطل ﴿يلعبون﴾ يعملون ما لا يُجدي عليهم.

﴿وهذا كتاب﴾ يعني: القرآن ﴿أنزلناه مبارك﴾ كثيرٌ خيرُه، دائمٌ نفعه، يشرُّ بالثواب، ويزجر عن القبيح، إلى ما لا يحصى من بركاته ﴿مصدق الذي بين يديه﴾ موافقٌ لما قبله من الكتب ﴿ولتنذر أُمَّ القُرَى﴾ أهل مكة ﴿ومَنْ حولها﴾ يعني: أهل سائر الآفاق ﴿والذين يؤمنون بالآخرة﴾ إيماناً حقيقياً ﴿يؤمنون به﴾ بالقرآن.

﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ نزلت في مسيلمة والأسود العنسي^(١)؛ ادَّعيا النبوة، وأنَّ الله قد أوحى إليهما، وهذا معنى قوله: ﴿أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ يعني: المستهزئين الذين قالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾^(٢). ﴿ولو ترى﴾ يا محمد ﴿إذ الظالمون﴾ يعني: الذين

(١) أخرج ابن جرير ٢٧٣/٧ عن قتادة في الآية قال: ذكر لنا أنَّ هذه الآية نزلت في مسيلمة، ذكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: رأيت فيما يرى النَّائم كأنَّ في يدي سوارين من ذهب، فكَبَّرَا عَلَيَّ وأهْمَانِي، فأوحى إِلَيَّ أَنْ أنْفَخَهُمَا، فنَفَخْتُهُمَا فطارا، فأَوَّلْتُهُمَا فِي منامي الكَذَّابِينَ الَّذِينَ أَنَا بَيْنَهُمَا: كَذَّابُ الْيَمَامَةِ مسيلمة، وكَذَّابُ صَنْعَاءَ، وكان يقال: الأسود.

قلت: وهو حديثٌ مرسل، وأخرجه الحاكم في المستدرک ٣٩٨/٤ من طريق آخر مرفوعاً عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣١.

فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا
خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ
أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ
وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَى ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآنِ تَوْفَكُونَ ﴿١٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ

ذكرهم ﴿في غمرات الموت﴾ شدائده وأحواله ﴿والملائكة باسطوا أيديهم﴾ إليهم
بالضرب والتعذيب ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ أي: يقولون ذلك ونفس الكافر تخرج
بمشقة وكره، لأنها تصير إلى أشد العذاب، والملائكة يكرهونهم على نزع الروح،
ويقولون: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ كرهاً ﴿اليوم تجزون عذاب الهون﴾ أي: العذاب
الذي يقع به الهوان الشديد ﴿بما كنتم تقولون على الله غير الحق﴾ من أنه أوحى
إليكم ولم يوح ﴿وكنتم عن آياته تستكبرون﴾ عن الإيمان بها تتعظمون.

﴿١٤﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى يُقَالُ لِلْكَفَّارِ فِي الْآخِرَةِ: جِئْتُمُونَا فُرَادَى بِلَا أَهْلٍ، وَلَا
مَالٍ، وَلَا شَيْءٍ قَدَّمْتُمُوهُ ﴿كما خلقناكم أوَّلَ مَرَّةٍ﴾ كما خرجتم من بطون أمهاتكم
﴿وتركتم ما خَوَّلْنَاكُمْ﴾ ملكناكم وأعطيناكم من المال والعبيد والمواشي ﴿وراء
ظهوركم وما نرى معكم شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ وذلك أَنَّ
المشركين كانوا يعبدون الأصنام على أَنَّهُمْ شُرَكَاءُ اللَّهِ وَشُفَعَاؤُهُمْ عِنْدَهُ ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ
بَيْنَكُمْ وَصَلَّكُمْ وَمَوَدَّتْكُمْ﴾ وَضَلَّ عَنْكُمْ ﴿ذهب عنكم﴾ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿تَكْذِبُونَ
فِي الدُّنْيَا﴾.

﴿١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ شَاقُّهُ بِالْبَابَاتِ ﴿وَالنَّوَى﴾ بِالنَّخْلَةِ ﴿يُخْرِجُ الْحَى مِنَ الْمَيِّتِ﴾
يُخْرِجُ النَّطْفَةَ بَشَرًا حَيًّا ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ﴾ النَّطْفَةُ ﴿مِنَ الْحَى﴾ وَقِيلَ: يُخْرِجُ
الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ﴾ الَّذِي فَعَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي
تَشَاهِدُونَهَا رَبِّكُمْ ﴿فَآنِ تَوْفَكُونَ﴾ فَمَنْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ الْبَيَانِ!

﴿١٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ شَاقُّ عُمُودِ الصُّبْحِ عَنْ ظِلْمَةِ اللَّيْلِ وَسَوَادِهِ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُ خَالَقُهُ

وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النَّجْمَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ

ومُبدية ﴿وجاعل الليل سكوناً﴾^(١) للخلق يسكنون فيه سكون الراحة ﴿والشمس والقمر حسباناً﴾ وجعل الشمس والقمر بحسبان لا يجاوزانه فيما يدوران في حساب ﴿ذلك تقدير العزيز﴾ في ملكه يصنع ما أراد ﴿العليم﴾ بما قدر من خلقهما.

﴿وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم ﴿فمستقر﴾ أي: فلكم مستقر في الأرحام ﴿ومستودع﴾ في الأصلاب.

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ ينبت ﴿فأخرجنا﴾ من ذلك النبات ﴿خضراً﴾ أخضر، كالقمح، والشعير، والذرة، وما كان رطباً أخضر مما ينبت من الحبوب ﴿نخرج منه﴾ من الخضر ﴿حباً متراكباً﴾ بعضه على بعض في سنبلة واحدة ﴿ومن النخل من طلعها﴾ أول ما يطلع منها ﴿قنوان﴾ يعني: العراجين التي قد تدلت من الطلع ﴿دانية﴾ ممّن يجتنيها. يعني: قصار النخل اللأحقّة عذوقها بالأرض ﴿وجنات﴾ أي: وأخرجنا بالماء جنّات ﴿من أعناب والزيتون﴾ وشجر الزيتون ﴿والرمان﴾ وشجر الرُّمان ﴿مشتبهاً﴾ [في اللون. يعني: الرُّماني]^(٢) ﴿وغير متشابه﴾ [في الطّعم. أي: مختلفة في

(١) قرأ «جاعل» جميع القراء إلا عاصماً وحزمة والكسائي وخلف، فقرأوا: «جعل».

الإتحاف ص ٢١٤.

(٢) زيادة من ظ.

أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ كُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

الطَّعْم. وقيل: ^(١) مُشْتَبَهَا ورقها، مُخْتَلَفَا ثمرها ﴿انظروا إلى ثمره﴾ نظر الاستدلال والعبرة أول ما يعقد ﴿وينعه﴾ نضجه ﴿إنَّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يصدّقون أنَّ الذي أخرج هذا النَّبات قادرٌ على أن يحيي الموتى.

﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ أطاعوا الشَّياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾ افتعلوا ذلك كذباً وكفراً. يعني: الذين قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنَّصارى حين دعوا لله ولداً ﴿بغير علم﴾ لم يذكروه عن علم، إنّما ذكروه تكذباً. وقوله:

﴿أأنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أي: من أين يكون له ولد؟ ولا يكون الولد إلّا من صاحبة، ولا صاحبة له ﴿وخلق كلّ شيء﴾ أي: وهو خالق كلّ شيء.

﴿لا تدركه الأبصار﴾ في الدُّنيا؛ لأنّه وعد في القيامة الرُّؤية بقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ إلى ربها ناظرة... ﴿الآية﴾ ^(٢) والمُطلق يحمل على المقيد. وقيل: لا يحيط بكنهه وحقيقته الأبصار وهي تراه، فالأبصار ترى الباري ولا تحيط به ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ يراها ويحيط بها علماً، لا كالمخلوقين الذين لا يدركون حقيقة البصر، وما الشَّيء الذي صار به الإنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما ﴿وهو اللطيف﴾ الرّقيق بأوليائه ﴿الخبير﴾ بهم.

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ. وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾
وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ أَلْبَعِ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ
عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ

﴿١٠٤﴾ ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني: بينات القرآن ﴿فمن أبصر﴾ اهتدى ﴿فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن عمي فعليها﴾ فعلى نفسه جنى العذاب. ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ بربيب على أعمالكم حتى أجازيكم بها.

﴿١٠٥﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بينا في هذه السورة ﴿ننصر﴾ نبيّن ﴿الآيات﴾ في القرآن ندعوهم بها ونخوّفهم ﴿وليقلوا درست﴾ عطف على المضمّر في المعنى، والتقدير: [ننصر الآيات] ^(١) لتلزمهم الحجة وليقلوا درست، أي: تعلّمت من يسار، وجبر، واليهود. ومعنى درس: قرأ على غيره، ومعنى هذه اللام في قوله: ﴿وليقلوا﴾ معنى لام العاقبة، أي: نصرّ الآيات ليكون عاقبة أمرهم تكذيباً للشقاوة التي لحقتهم ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾ يعني: أولياء الذين هداهم، والذين سعدوا بتبيين الحق.

﴿١٠٦﴾ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أي: ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب، إنّما بُعثت مُبَلِّغاً فلا تهتمّ لشركهم؛ فإنّ ذلك لمشية الله.

﴿١٠٧﴾ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ يعني: أصنامهم ومعبودهم، وذلك أنّ المسلمين كانوا يسبّون أصنام الكفار، فنهاهم الله عزّ وجلّ عن ذلك لئلا يسبّوا الله عدواً بغير علم. أي: ظلماً بالجهل ﴿كذلك﴾ أي: كما زينا لهؤلاء عبادة

كَذَلِكَ زَيْنًا لِّكُلِّ أُمَّةٍ عَلَيْهِمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِّيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا
جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١١٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ

الأوثان وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان ﴿زينا لكل أمة عملهم﴾ من الخير والشر.

﴿١١٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿اجتهدوا في المبالغة في اليمين﴾ لئن جاءتهم آية لِّيُؤْمِنُوا بِهَا ﴿وذلك أنه لما نزل: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ...﴾﴾ (١) الآية. أقسم المشركون بالله لئن جاءتهم آية لِّيُؤْمِنُوا بِهَا، وسأل المسلمون ذلك، وعلم الله سبحانه أنهم لا يؤمنون، فأنزل الله هذه الآية. ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو القادر على الإتيان بها ﴿وما يشعركم﴾ وما يدریکم إيمانهم، أي: هم لا يؤمنون مع مجيء الآيات إِيَّاهُمْ، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿إِنهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وَمَنْ قَرَأَ «أَنهَا» (٢) بفتح الألف كانت بمعنى «لعلها»، ويجوز أن تجعل «لا» زائدة مع فتح «أن».

﴿١٢٠﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴿نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية بتقليب قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن تكون عليه فلا يؤمنون﴾ كما لم يؤمنوا به ﴿بالقرآن، أو بمحمد [عليه السلام]﴾ ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أتهم الآيات، مثل انشقاق القمر وغيره ﴿ونذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون.

الجزء الثامن:

﴿١٢١﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ ﴿فأروهم عياناً﴾ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ ﴿فشهدوا لك﴾

(١) الآية: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

(٢) قرأ «أَنهَا» بفتح الهمزة نافع، وابن عامر، وعاصم بخلفٍ عن شعبة، وحمزة، والكسائي. انظر:

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾
 وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ
 غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا
 يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ
 الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

بالصدق والثبوة ﴿وحشرنا عليهم﴾ وجمعنا عليهم ﴿كل شيء﴾ في الدنيا ﴿قبلاً﴾
 و﴿قبلاً﴾^(١) أي: مُعَايَنَةً وَمُوَاجَهَةً ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ لما سبق لهم من الشقاء
 ﴿إلا أن يشاء الله﴾ أن يهديهم ﴿ولكن أكثرهم يجهلون﴾ أنهم لو أوتوا بكل آية
 ما آمنوا.

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا﴾ كما ابتليناك بهؤلاء القوم كذلك جعلنا لكل نبي
 قبلك أعداء؛ ليعظم ثوابه، والعدو هاهنا يُراد به الجمع، ثُمَّ بَيَّنَّ مَنْ هُمْ فَقَالَ:
 ﴿شياطين الإنس﴾ يعني: مردة الإنس، والشيطان: كل متمرّد عاتٍ من الجنّ
 والإنس ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ يعني: إِنَّ شَيَاطِينَ الْجَنِّ
 الَّذِينَ هُمْ مِنْ جَنْدِ إِبْلِيسَ يُوحُونَ إِلَى كِفَارِ الْإِنْسِ وَمَرَدَتِهِمْ، فَيُغْوُونَهُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ،
 وَزُخْرَفَ الْقَوْلِ: بَاطِلُهُ الَّذِي زُيِّنَ وَوُشِيَ بِالْكَذِبِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُزَيِّنُونَ لَهُمْ
 الْأَعْمَالَ الْقَبِيحَةَ غُرُورًا ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ لَمَنَعَ الشَّيَاطِينَ مِنَ الْوَسْوَسَةِ
 لِلْإِنْسِ.

﴿ولتصغى إليه﴾ ولتميل إلى ذلك الزُخْرَفِ والغرور ﴿أفئدة الذين لا يؤمنون
 بالآخرة﴾ قلوب الذين لا يصدّقون بالبعث ﴿وليرضوه﴾ ليحبّوه ﴿وليقترفوا﴾
 ليعملوا ما هم عاملون.

﴿أفغير الله﴾ أي: قل لأهل مكّة: أفغير الله ﴿أبتغي حكماً﴾ قاضياً بيني وبينكم
 ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلاً﴾ مُبَيَّنّاً فِيهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ ﴿والذين

(١) قرأ ﴿قبلاً﴾ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والباقون ﴿قبلاً﴾. الإتحاف ص ٢١٥.

ءَاتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ
كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ
فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ
هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ
كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا
حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا

آتيناهم الكتاب ﴿﴾ من اليهود والنصارى ﴿يعلمون﴾ أن القرآن ﴿منزل من ربك
بالحق فلا تكونن من الممترين﴾ من الشاكين أنهم يعلمون ذلك.

﴿١١٥﴾ وتمت كلمات ربك ﴿١﴾ أقضيته وعداته وأوليائه في أعدائه ﴿صدقاً﴾ فيما وعد
﴿وعدلاً﴾ فيما حكم. والمعنى: صادقة عادلة ﴿لا مبدل لكلماته﴾ لا مُغَيِّر
لحكمه، ولا خلف لوعده ﴿وهو السميع﴾ لتضرع أوليائه، ولقول أعدائه
﴿العليم﴾ بما في قلوب الفريقين.

﴿١١٦﴾ وإن تطع أكثر من في الأرض ﴿يعني﴾ المشركين ﴿يضلوك عن سبيل الله﴾ دين
الله الذي رضىه لك، وذلك أنهم جادلوه، في أكل الميتة، وقالوا: أأأكلون
ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم؟ ﴿إن يتبعون إلا الظن﴾ في تحليل الميتة ﴿وإن
هم إلا يخرصون﴾ يكذبون في تحليل ما حرّمه الله.

﴿١١٨﴾ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ﴿أي﴾ ممّا ذكّي على اسم الله ﴿إن كنتم بآياته
مؤمنين﴾ تأكيد لاستحلال ما أباحه الشرع ثم أبلغ في إباحة ما ذبح على اسم الله
بقوله:

﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ عند الذبح ﴿وقد فصل﴾ بين ﴿لكم
ما حرّم عليكم﴾ في قوله: ﴿حرّمت عليكم الميتة...﴾ ﴿٢﴾ الآية. ﴿إلا﴾

(١) قرأ «كلمات» بالجمع نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والباقون «كلمة»
بالإفراد. الإتحاف ص ٢١٦.

(١) انظر ص ٣٠٨

مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنْ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَايِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾
 وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا
 تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ
 لِيُجْدِلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي
 بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا

ما اضطررتم إليه ﴿ دعتمكم الضرورة إلى أكله مما لا يحل عند الاختيار ﴾ وإن كثيراً
 ليضلون بأهوائهم ﴿ أي: الذين يحلون الميتة، وينظرونكم في إحلالها ضلوا باتِّباع
 أهوائهم ﴾ بغير علم ﴿ إنما يتبعون فيه الهوى، ولا بصيرة عندهم ولا علم ﴾ إن
 ربك هو أعلم بالمعتدين ﴿ المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

﴿١٢٠﴾ وذرُوا ظاهر الإثم وباطنه ﴿ سره وعلايته، ثم أوعد بالجزاء فقال: ﴾ إن الذين
 يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون.﴾

﴿١٢١﴾ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ﴿ مما لم يُذَكَّ ومات ﴾ وإن أكله
 ﴿ لفسق ﴾ خروج عن الحق ﴿ وإن الشياطين ﴾ يعني: إبليس وجنوده وسوسوا ﴿ إلى
 أوليائهم ﴾ من المشركين ليخاصموا محمداً وأصحابه في أكل الميتة ﴿ وإن
 أطعتموهم ﴾ في استحلال الميتة ﴿ إنكم لمشركون ﴾ لأن من أحل شيئاً مما حرّمه
 الله فهو مشرك.

﴿١٢٢﴾ ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ ضالاً كافراً فهديناه ﴿ وجعلنا له نوراً ﴾ ديناً وإيماناً
 ﴿ يمشي به في الناس ﴾ مع المسلمين مستضيئاً بما قذف الله في قلبه من نور
 الحكمة والإيمان ﴿ كَمَنْ مَثَلُهُ ﴾ كمن هو ﴿ في الظلمات ﴾ في ظلمات الكفر
 والضلالة ﴿ ليس بخارج منها ﴾ ليس بمؤمن أبداً. نزلت في أبي جهل وحمزة بن
 عبد المطلب ^(١) ﴿ كذلك ﴾ كما زُيِّنَ للمؤمنين الإيمان ﴿ زين للكافرين ما كانوا

(١) ذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٥٧؛ وأخرج ابن جرير ٢٢/٨، عن الضحاك أنها نزلت في
 عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام.

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٨﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى تُؤْتِيَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٩﴾ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٣٠﴾

يعملون ﴿من عبادة الأصنام.

﴿١٢٧﴾ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ﴿يعني: كما أن فساق مكة أكابرها، كذلك جعلنا فساق كل قرية أكابرها. يعني: رؤساءها ومترفيها ﴿ليمكروا فيها﴾ بصد الناس عن الإيمان ﴿وما يمكرون إلا بأنفسهم﴾ لأن وبال مكرهم يعود عليهم ﴿وما يشعرون﴾ أنهم يمكرون بها.

﴿١٢٨﴾ وإذا جاءتهم آية ﴿مما أطلع الله عليه نبيه عليه السلام مما يخبرهم به ﴿قالوا: لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله﴾ حتى يوحى إلينا ويأتينا جبريل فنصدق [به]، وذلك أن كل واحد من القوم سأل أن يخص بالوحي، كما قال الله: ﴿بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منسرة﴾^(١)، فقال الله سبحانه: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ يعني: أنهم ليسوا بأهل لها، هو أعلم بمن يختص بالرسالة ﴿سيصيب الذين أجرموا صغاراً﴾ مذلّة وهوان ﴿عند الله﴾ أي: ثابت لهم عند الله ذلك.

﴿١٢٩﴾ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ﴿يوسّع قلبه ويفتحه ليقبل الإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ شديد الضيق ﴿كأنما يصعد في السماء﴾ إذا كلف الإيمان لشدة وثقله عليه ﴿كذلك﴾ مثل ما قصصنا عليك ﴿يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾.

وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلُمَّ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ
وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِّنَ
الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ
النَّارُ مَثْوٍ لِّكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ نُوَلِّيُ بَعْضَ الظَّالِمِينَ
بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَمْعَشَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ
مَا يَنْبَغِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ دُونَهُمَا وَشَهِدُوا عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٦﴾ وهذا صراط ربك ﴿هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربك﴾ ﴿مستقيماً قد فصلنا
الآيات لقوم يذكرون﴾ وهم المؤمنون.

﴿١٢٧﴾ لهم دار السلام ﴿الجنة﴾ عند ربهم ﴿مضمونة لهم حتى يدخلهموها﴾ وهو
وليهم ﴿يتولى إيصال الكرامات إليهم﴾ بما كانوا يعملون ﴿من الطاعات﴾.

﴿١٢٨﴾ ويوم يحشرهم جميعاً ﴿الجن والإنس﴾، يقال لهم: ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم
من الإنس﴾ أي: من إغوائهم وإضلالهم ﴿وقال أولياؤهم﴾ الذين أضلهم الجن
﴿من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض﴾ يعني: طاعة الإنس للجن وقبولهم منهم
ما كانوا يغرونهم به من الضلالة، وتزيين الجن للإنس ما كانوا يهوونه حتى يسهل
عليهم فعله ﴿وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ يعني: الموت، والظاهر أنه البعث
والحشر ﴿قال النار مثواكم﴾ فيها مقامكم ﴿خالدين فيها إلا ما شاء الله﴾ من شاء
الله، وهم من سبق في علم الله أنهم يسلمون ﴿إن ربك حكيم﴾ حكم للذين
استثنى بالتوبة والتصدق ﴿عليم﴾ علم ما في قلوبهم من البر.

﴿١٢٩﴾ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً ﴿كما خذلنا عصاة الجن والإنس نكل بعض
الظالمين إلى بعض حتى يضل بعضهم بعضاً﴾.

﴿١٣٠﴾ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴿الرسل كانت من الإنس، والذين
بلغوا الجن منهم عن الرسل كانوا من الجن﴾، وهم النذر كالذين استمعوا القرآن

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣٦﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَّبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٨﴾ إِنْ مَأْتَوْكُمْ دُورٌ لَّا تَرْبُوا وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٩﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٤٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا

[من محمد ﷺ] ^(١) من الجن، فأبلغوه قومهم.

﴿١٣٦﴾ ذَٰلِكَ ﴿الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل لَأَنَّهُ﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ أَيُّ: بذنوبهم ومعاصيهم من قبل أن يأتِيهم الرُّسول فينهاهم، وهو معنى قوله: ﴿وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ أَيُّ: لكلِّ عاملٍ بطاعة الله درجات في الثَّواب، ثُمَّ أُوْعِدَ المشركين، فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾.

﴿١٣٧﴾ ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ﴾ عن عبادة خلقه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ بخلقهم فلا يُعَجِّلُ عليهم بالعقوبة ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبْكُمْ﴾ يعني: أهل مَكَّةَ ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ﴾ وينشئ من بعدكم خلقاً آخر ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ابتداءً ﴿مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ يعني: آباءهم الماضين.

﴿١٣٨﴾ ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ علىٰ حالاتكم التي أنتم عليها ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ علىٰ مكاتي، وهذا أمرٌ تهديد. يقول: اعْمَلُوا مَا أَنْتُمْ عَامِلُونَ، إِنِّي عَامِلٌ مَا أَنَا عَامِلٌ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أَيُّنَا تَكُونُ لَهُ الْجَنَّةُ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ لا يسعد مَنْ كفر بالله وأشرك بالله.

﴿١٣٩﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ﴾ كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم ﴿نَصِيبًا﴾ وللأوثان نصيباً، فما كان للصَّنم أنْفَقَ عليه، وما كان

فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ
إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائُهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ
بِرَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ
بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

لله أطمع الضيفان والمساكين، فما سقط ممّا جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه،
وقالوا: إنّ الله غنيّ عن هذا، وإن سقط ممّا جعلوه للأوثان من نصيب الله التقطوه
ورُدُّوه إلى نصيب الصنم، وقالوا: إنّهُ فقير، فذلك قوله: ﴿فَمَا كَانَ لَشُرَكَائِهِمْ فَلَا
يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ ثمّ ذمّ فعلهم فقال: ﴿سَاءَ
مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ساء الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوه لله على جهة التبرُّز
إلى الأوثان.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ ومثل ذلك الفعل القبيح ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ
شُرَكَائُهُمْ﴾ يعني: الشياطين أمروهم بأن يندوا أولادهم خشية العيلة ﴿لِيَرُدُّوهُمْ﴾
ليهلكوهم في النار ﴿وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾ ليخلطوا ويُدخلوا عليهم الشكّ في
دينهم، ثمّ أخبر أنّ جميع ما فعلوه كان بمشيئته، فقال: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ من أنّ الله شريكاً.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرًا﴾ حرّموا أنعاماً وحرثاً، وجعلوها لأصنامهم،
فقالوا: ﴿لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِرَعْمِهِمْ﴾ أعلم الله سبحانه أنّ هذا التّحريم كذبٌ
من جهتهم ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ كالسّائبة والبحيرة والحامي ﴿وَأَنْعَامٌ
لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَاءَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ يقتلونها لآلهتهم خنقاً، أو وقذاً ﴿افْتِرَاءً عَلَيْهِ﴾ أي:
يفعلون ذلك للافتراء على الله، وهو أنّهم زعموا أنّ الله أمرهم بذلك.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مِّتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّاتَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّكُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ

﴿١٣٩﴾ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام يعني: أجنة ما حرّموها من البحائر والسوائب ﴿خالصة لذكورنا﴾ حلال للرجال خاصة دون النساء. هذا إذا خرجت الأجنة أحياء، وإن كان ميتة اشترك فيها الرجال والنساء ﴿سيجزّيهم وصفهم﴾ سيجزيهم الله جزاء وصفهم الذي هو كذب، أي: سيعذبهم الله بما وصفوه من التحليل والتّحريم الذي كلّ كذب ﴿إنه حكيم عليم﴾ أي: هو أعلم وأحكم من أن يفعل ما يقولون.

﴿١٤٠﴾ قد خسر الذين قتلوا أولادهم بالوَاد ﴿سَفَهًا﴾ للسّفه ﴿وَحَرَّمُوا ما رزقهم الله﴾ من الأنعام. يعني: البهيّة وما ذُكر معها.

﴿١٤١﴾ وهو الذي أنشأ أبداع وخلق ﴿جَنَاتٍ مَعْرُوشَاتٍ﴾ يعني: الكرم وغير معروشات ما قام على ساق ولم يُعرش له، كالنّخل والشّجر والنّخل والزّرع مختلفاً أكله أكل كل واحد منهما، وكل نوع من الثمر له طعم غير طعم النوع الآخر، وكل حب من حبوب الزّرع له طعم غير طعم الآخر ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ أمر إباحة ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ يعني: العشر ونصف العشر ﴿ولا تسرفوا﴾ فتعطوا كلّ حتّى لا يبقى لعيالكم شيء ﴿إنه لا يحبّ المسرفين﴾ يعني: المجاوزين أمر الله.

﴿١٤٢﴾ ومن الأنعام وأنشأ من الأنعام ﴿حَمُولَةٌ﴾ وهي كلّ ما حمل عليها ممّا أطاق

وَفَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٧﴾
 ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا
 أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبُؤُنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ
 وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالِ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أُمُّ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ
 أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
 لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ

العمل والحمل ﴿وفرشاً﴾ وهو الصغار التي لا يحمل عليها، كالغنم، والبقرة،
 والإبل الصغار ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ أي: أحلّ لكم ذبحه ﴿ولا تتبعوا خطوات
 الشيطان﴾ في تحريم شيء مما أحله الله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة أخرج
 أباكم من الجنة، وقال: لأحتكن ذريته، ثم فسر الحمولة والفرش فقال:

﴿ثمانية أزواج﴾ الذكر زوج، والأنثى زوج، وهي الضأن والمعز، وقد ذكرا في
 هذه الآية، والإبل والبقرة ذكرا فيما بعد، وجعلها ثمانية؛ لأنه أراد الذكر والأنثى
 من كل صنف، وهو قوله: ﴿من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ والضأن: ذوات
 الصوف من المعز، والغنم: ذوات الشعر ﴿قل﴾ يا محمد للمشركين الذين
 يُحرّمون على أنفسهم ما حرّموا من النعم: ﴿الذكرين﴾ من الضأن والمعز ﴿حرّم﴾
 الله عليكم ﴿أم الأنثيين﴾ فإن كان حرّم من الغنم ذكورها، فكلّ ذكورها حرام،
 وإن كان حرّم الأنثيين، فكلّ الإناث حرام ﴿أمّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾ وإن
 كان حرّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز، فقد حرّم الأولاد
 كلّها، وكلّها أولاد فكلّها حرام ﴿نبؤني بعلم﴾ أي: فسروا ما حرّمتم بعلم إن كان
 لكم علم في تحريمه، وهو قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾.

﴿أم كنتم شهداء﴾ إذ وصاكم الله بهذا هل شاهدتم الله قد حرّم هذا إذ كنتم
 لا تؤمنون برسول الله؟! فلما لزمهم الحجة بين الله تعالى أنّهم فعلوا ذلك كذباً
 على الله، فقال: ﴿فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير
 علم...﴾ الآية. يعني: عمرو بن لحي، وهو الذي غيّر دين إسماعيل، وسنّ هذا

إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

التَّحْرِيمِ . ثُمَّ ذَكَرَ الْمَحْرَمَاتِ بِوَحْيِ اللَّهِ ، فَقَالَ :

﴿١٤٥﴾ ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ يعني : سائلاً ﴿أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ يعني : مَا ذُبِحَ عَلَى الثَّنْبِ .

﴿١٤٦﴾ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ يعني : الإِبِلَ ، وَالنَّعَامَةَ ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا﴾ وَهِيَ الْمَبَاعِرُ ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ فَإِنِّي لَمْ أَحْرَمَهُ . يعني : مَا تَعَلَّقَ مِنَ الشَّحْمِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ ﴿ذَلِكَ﴾ التَّحْرِيمِ ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ﴾ عَاقَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ التَّحْرِيمِ ، وَعَنْ بَغْيِهِمْ ، فَلَمَّا ذَكَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا حُرِّمَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَمَا حُرِّمَ عَلَى الْيَهُودِ قَالُوا لَهُ : مَا أَصَبْتَ ، وَكَذَّبُوهُ ^(١) ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿١٤٧﴾ ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وَلِذَلِكَ لَا يَعَجَلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ ﴿وَلَا يَرُدُّ بِأَسِهِ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ يعني : الَّذِينَ كَذَّبُوكَ بِمَا تَقُولُ .

(١) أَخْرَجَ ابْنُ جُرَيْرٍ ٧٧/٨ عَنْ الشُّدِّيِّ قَالَ : كَانَتْ الْيَهُودُ يَقُولُونَ : إِنَّمَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ ، يَعْنِي : الثَّرْبَ وَشَحْمَ الْكَلْبَتَيْنِ ، فَتَحَنَّنَ نَحْرُهُ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ، وَلَا يَرُدُّ بِأَسِهِ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ .

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعَدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

﴿سيقول الذين أشركوا﴾ إذا لزمتهم الحجة وتيقنوا باطل ما هم عليه: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آبأنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب﴾ جعلوا قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ حجة لهم على إقامتهم على الشرك، وقالوا: إن الله رضي منا ما نحن عليه وأراد منا، وأمرنا به، ولو لم يرضه لحال بيننا وبينه، ولا حجة لهم في هذا؛ لأنهم تركوا أمر الله وتعلقوا بمشيئته، وأمر الله بمعزل عن إرادته؛ لأنه يريد لجميع الكائنات، غير أمر بجميع ما يريد، فعلى العبد أن يحفظ الأمر ويتبعه، وليس له أن يتعلق بالمشيئة بعد ورود الأمر، فقال الله تعالى: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أي: كما كذبت هؤلاء كذب كفار الأمم الخالية أنبياءهم، ولم يتعرض لقولهم: ﴿لو شاء الله﴾ بشيء ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ من كتاب نزل في تحريم ما حرمت ﴿إن تتبعون إلا الظن﴾ ما تتبعون فيما أنتم عليه إلا الظن لا العلم واليقين، ﴿وإن أنتم إلا تخرصون﴾ وما أنتم إلا كاذبين.

﴿قل فللله الحجة البالغة﴾ بالكتاب والرسول والبيان ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ إخبار عن تعلق مشيئة الله تعالى بكفرهم، وأن ذلك حصل بمشيئته، إذ لو شاء الله لهداهم.

﴿قل هلم شهداءكم﴾ أي: هاتوا شهداءكم وقربوهم، وباقي الآية ظاهر.

﴿قل تعالوا أتْل ما حرم ربكم عليكم﴾ اقرأ عليكم الذي حرّمه الله، ثم ذكر فقال: ﴿ألا تشرکوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ وأوصيكم بالوالدين إحساناً ﴿ولا تقتلوا

أُولَٰئِكَ كُنتُمْ مِنْ أُمَّلَيْتُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَنِّعْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ

أولادكم ﴿من أولادكم من مخافة الفقر﴾ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ﴿يعني: سر الزنا وعلايته﴾ ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق ﴿يريد: القصاص.

﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾ وهو أن يصلح ماله ويقوم فيه بما يشره، ثم يأكل بالمعروف إن احتاج إليه ﴿حتى يبلغ أشده﴾ أي: احفظوه عليه حتى يحتلم ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتموه من غير نقص ﴿والميزان﴾ أي: وزن الميزان ﴿بالقسط﴾ بالعدل لا بخس ولا شطط ﴿لا تكلف نفساً إلا وسعها﴾ إلا ما يسعها ولا تضيق عنه، وهو أنه لو كلف المعطي الزيادة لضاق نفسه عنه، وكذلك لو كلف الآخذ أن يأخذ بالتقصان ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ إذا شهدتم أو تكلمتم فقولوا الحق ﴿ولو﴾ كان المشهود له أو عليه ﴿ذا قربى﴾.

﴿وأن هذا﴾ ولأن هذا ﴿صراطي مستقيماً﴾ يريد: ديني دين الحنيفية أقوم الأديان ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعبادة الأوثان ﴿فتفرق بكم عن سبيله﴾ فتضل بكم عن دينه ﴿ذلكم﴾ الذي ذكر ﴿وصاكم﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لعلكم تتقون﴾ كي تتقوا السبل.

﴿ثم آتينا﴾ أي: ثم أخبركم أننا آتينا ﴿موسى﴾ الكتاب تماماً على الذي أحسن ﴿أي: على الذي أحسنه موسى من العلم والحكمة، وكتب الله المتقدمة، أي: علمه،

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ
مُبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا
وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ
جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا سَنَجَرَى الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ
تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا

ومعنى: ﴿تماماً﴾ على ذلك أي: زيادةً عليه حتى تم له العلم بما آتياه
﴿وتفصيلاً﴾ أي: آتياه للتمام والتفصيل، وهو البيان ﴿لعلهم بلى ربهم يؤمنون﴾
لكي يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب.

﴿١٥٥﴾ وهذا كتابٌ يعني: القرآن ﴿أنزلناه مبارك﴾ مضى تفسيره في هذه السورة^(١).

﴿١٥٦﴾ أن تقولوا ﴿لثلاثاً تقولوا﴾: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني:
اليهود والنصارى ﴿وإن كنّا عن دراستهم لغافلين﴾ وما كنّا إلّا غافلين عن تلاوة
كتبهم، والخطاب لأهل مكة، والمراد: إثبات الحجّة عليهم بإنزال القرآن على
محمد عليه السلام كيلا يقولوا يوم القيامة: إنّ التّوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين
من قبلنا، وكنّا غافلين عمّا فيهما، وقوله:

﴿١٥٧﴾ وصدف عنها أي: أعرض.

﴿١٥٨﴾ هل ينظرون إذا كذبوك ﴿إلّا أن تأتيهم الملائكة﴾ عند الموت لقبض أرواحهم،
وذكرنا معنى ﴿ينظرون﴾ في سورة البقرة^(٢) ﴿أو يأتي ربك﴾ أي: أمره فيهم بالقتل
﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يعني: طلوع الشّمس من مغربها، والمعنى: إنّ هؤلاء
الذي كذبوك إمّا أن يموتوا فيقعوا في العذاب، أو يؤمر فيهم بالسّيف، أو يمهلون
قدر مدّة الدّنيا فيتوالدون ويتنعمون فيها، فإذا ظهرت أمارات القيامة ﴿لا ينفع نفساً

إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾
مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ
إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ
صَلَاحِي وَنُفْسِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴿١٥٨﴾ قدّمت طاعة وهي مؤمنة ﴿١٥٩﴾ قل انتظروا ﴿١٦٠﴾ أحد هذه الأشياء ﴿١٦١﴾ إنا منتظرون ﴿١٦٢﴾ بكم أحدها.

﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ ﴿١﴾ يعني: اليهود والنصارى، أخذوا ببعض ما أمروا، وتركوا بعضه، كقوله إخباراً عنهم: ﴿نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض﴾ ﴿١٥٩﴾ وكانوا شيعاً ﴿١٦٠﴾ أحزاباً مختلفة. بعضهم يُكفر بعضاً ﴿١٦١﴾ لست منهم في شيء ﴿١٦٢﴾ لم تؤمر بقتالهم، فلمّا أمر بقتالهم نسخ هذا ﴿٢﴾.

﴿١٦٠﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ﴿١﴾ من عمل من المؤمنين حسنة ﴿٢﴾ فله عشر أمثالها ﴿٣﴾ كتبت له عشر حسنات ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ﴿٥﴾ الخطيئة ﴿٦﴾ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ﴿٧﴾ أي: جزاء مثلها لا يكون أكثر منها ﴿٨﴾ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٩﴾ لا ينقص ثواب أعمالهم.

﴿١٦١﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا ﴿١﴾ أي: عرفني ديناً ﴿٢﴾ قِيمًا ﴿٣﴾ مستقيماً.

﴿١٦٢﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاحِي وَنُفْسِي ﴿١﴾ عبادتي من حجّي وقرباني ﴿٢﴾ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣﴾ أي: هو يحييني وهو يميتني، وأنا أتوجّه بصلاتي وسائر المناسك إلى

(١) قرأ «فارقوا» حمزة والكسائي، والباقون «فرّقوا» الإتحاف ص ٢٢٠.

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه عنه النحاس في ناسخه ص ١٧٨ وقال: ثُمَّ نَسَخَهَا: ﴿فَاتْلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

وقال أبو جعفر النحاس: وقال غيره: ليس في هذا نسخ؛ لأنّه معروف في اللغة أن يقال: لست من فلان، ولا هو مني: إذا كنت مخالفاً له مُتَكَرراً عليه ما هو فيه.

الناسخ والمنسوخ ص ١٧٨ - ١٧٩.

لَا شَرِيكَ لَّهِ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

الله، لا إلى غيره، وقوله:

﴿وبذلك أمرت﴾ بذلك أوحى إليَّ ﴿وأنا أول المسلمين﴾ من هذه الأمة.

﴿قل أغير الله أبغى ربًّا وإلهًا﴾ وهو ربُّ كلِّ شيء ﴿مالكه وسيِّده﴾ ولا تكسب كلُّ نفس إلاَّ عليها ﴿لا تجني نفسُ ذنباً إلاَّ أخذت به﴾ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴿يعني: الوليد بن المغيرة، كان يقول: اتَّبِعُوا سَبِيلِي أَحْمِلْ أَوْزَارَكُمْ. [فأنزل الله]:﴾ ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى ﴿لا يحمل أحدٌ جناية غيره حتى لا يُؤاخَذ بها الجاني.﴾

﴿وهو الذي جعلكم﴾ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﴿خلائف﴾ الأمم الماضية في ﴿الأرض﴾ بأنَّ أهلكهم وأورثكم الأرض بعدهم ﴿ورفع بعضكم فوق بعض درجات﴾ بالغنى والرِّزق ﴿ليبلوكم فيما آتاكم﴾ ليختبركم فيما رزقكم ﴿إنَّ ربك سريع العقاب﴾ لأعدائه ﴿وإنه لغفور﴾ لأوليائه ﴿رحيم﴾ بهم.

سُورَةُ الْاَعْرَافِ

[مكية، وهي مائتان وست آيات]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَصَّ ﴿١﴾ كَتَبْتُ أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ. وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ الْمَصَّ ﴿١﴾ أَنَا اللَّهُ أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ^(٢).

﴿٢﴾ كِتَابٌ ﴿٢﴾ أَيُّ: هَذَا كِتَابٌ ﴿أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ مِنْ رَبِّكَ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾
فَلَا يَضِيقَنَّ صَدْرَكَ بِإِبْلَاجِ مَا أَرْسَلْتُ بِهِ ﴿لَتُنْذِرَ بِهِ﴾ أَيُّ: أَنْزَلَ لَتُنْذِرَ بِهِ النَّاسَ
﴿وَذَكَرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ مَوَاعِظَ لِلْمُصَدِّقِينَ.

﴿٣﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴿يَعْنِي: الْقُرْآنَ﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
لَا تَتَّخِذُوا غَيْرَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قَلِيلًا يَا مَعْشَرَ الْمُشْرِكِينَ اتَّعَظْكُمْ.

﴿٤﴾ وَكُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴿يَعْنِي: أَهْلِهَا﴾ ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿بَيِّنًا﴾ لَيَّا
﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ نَائِمُونَ نَهَارًا. يَعْنِي: جَاءَهُمْ بَأْسُنَا وَهُمْ غَيْرُ مُتَوَقِّعِينَ لَهُ.

(١) ما بين [] من ظا وظ.

(٢) هذا قول ابن عباس. تفسير الطبري ١١٥/٨.

فَمَا كَانَ دَعْوَتُهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْضَنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشٌ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ

﴿٥﴾ فما كان دعواهم ﴿٥﴾ دعاؤهم وتضرعهم ﴿٥﴾ إذ جاءهم بأسنا ﴿٥﴾ إلا أن ﴿٥﴾ أقرؤا على أنفسهم بالشرك و ﴿٥﴾ قالوا إنا كنا ظالمين ﴿٥﴾.

﴿٦﴾ فلنستلن الذين أرسل إليهم ﴿٦﴾ نسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرُّسل، ونسأل الرُّسل هل بلغوا ما أرسلوا به.

﴿٧﴾ فلنقضن عليهم بعلم ﴿٧﴾ لنخبرنهم بما عملوا بعلم منا ﴿٧﴾ وما كنا غائبين ﴿٧﴾ عن الرُّسل والأمم ما بلغت وما ردَّ عليهم قومهم.

﴿٨﴾ والوزن يومئذ ﴿٨﴾ يعني: وزن الأعمال يوم السؤال الذي ذكر في قوله: ﴿٥﴾ فلنستلن ﴿٨﴾ الحق ﴿٨﴾ العدل، وذلك أن أعمال المؤمنين تتصور في صورة حسنة، وأعمال الكافرين في صورة قبيحة، فتوزن تلك الصورة، فذلك قوله: ﴿٥﴾ فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴿٥﴾ النَّاجُونَ الْفَائِزُونَ، وهم المؤمنون.

﴿٩﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴿٩﴾ صاروا إلى العذاب ﴿٩﴾ بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴿٩﴾ يجحدون بما جاء به محمد عليه السلام.

﴿١٠﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴿١٠﴾ ملكناكم فيما بين مكة إلى اليمن، وإلى الشام. يعني: مشركي مكة ﴿١٠﴾ وجعلنا لكم فيها معاش ﴿١٠﴾ ما تعيشون به من الرزق والمال والتجارة ﴿١٠﴾ قليلاً ما تشكرون ﴿١٠﴾ أي: إنكم غير شاكرين لما أنعمت عليكم.

﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ﴿١١﴾ يعني: آدم ﴿١١﴾ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ﴿١١﴾ في ظهره... الآية.

﴿١٢﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴿١٢﴾ «لا» زائدة. معناها: ما منعك أن تسجد؟! وهو سؤال

إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذَّةً وَمَا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَبَقَادُمْ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

التوبيخ والتعنيف ﴿قال أنا خير منه...﴾ الآية. معناه: منعني من السُّجود له أني خيرٌ منه إذ كنتُ ناريًا، وكان طينياً، فترك الأمر وقاس، فعصى.

﴿١٣﴾ ﴿قال فاهبط منها﴾ فانزل من الجنة. وقيل: من السماء ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ عن أمري وتعصيني ﴿فاخرج إنك من الصاغرين﴾ الأذلاء بترك الطاعة.

﴿١٤﴾ ﴿قال أنظرني﴾ أمهلني ﴿إلى يوم يبعثون﴾ يريد: النِّفخة الثانية.

﴿١٥﴾ ﴿قال إنك من المنظرين﴾.

﴿١٦﴾ ﴿قال: فيما أغويتني﴾ يريد: فيما أضللتني، أي: بإغوائك إياي ﴿لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم﴾ على الطريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنة، بأن أزيّن لهم الباطل.

﴿١٧﴾ ﴿ثم لَا تَبْنِيَهُمْ من بين أيديهم﴾ يعني: آخرتهم التي يردون عليها، فأشككهم فيها ﴿ومن خلفهم﴾ دنياهم التي يُخَلِّفُونَهَا، فأرغبهم فيها ﴿وعن أيمنهم﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿وعن شمائلهم﴾ أشهي لهم المعاصي.

﴿١٨﴾ ﴿قال اخرج منها﴾ من الجنة ﴿مذمومًا﴾ مذمومًا بأبلغ الذم ﴿مدحورًا﴾ مطرودًا ملعونًا ﴿لمن تبعك منهم﴾ من أولاد آدم ﴿لأملأنَّ جهنم منكم﴾ يعني: من الكافرين وقرنائهم من الشياطين.

﴿١٩﴾ ﴿ويا آدم اسكن﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة^(١).

تَقَرَّبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءٍ تَهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنْ كُنَا لِمَنِ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿٢٠﴾ ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾ أي: حدّث لهما في أنفسهما ﴿ليبدي لهما﴾ هذه اللام لام العاقبة، وذلك أنّ عاقبة تلك الوسوسة أدّت إلى أن بدت لهما سوائتهما، يعني: فروجهما بتهافت اللباس عنهما، وهو قوله: ﴿ما ووري﴾ أي: ستر عنهما من سوائتهما ﴿وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾ أي: عن أكلها ﴿إلا أن تكونا﴾ «لا» هاهنا مضمرة، أي: إلا أن لا تكونا ﴿ملكين﴾ بيقيان ولا يموتان، كما لا تموت الملائكة. يدلّ على هذا المعنى قوله: ﴿أو تكونا من الخالدين﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وقاسمهما﴾ حلف لهما ﴿إني لكم لمن الناصحين﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿فدلاهما بغرور﴾ غرّهما باليمين، ومعنى دلاهما: جرّأهما على أكل الشجرة بما غرّهما به من يمينه ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوائتهما﴾ تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كلّ واحدٍ منهما عورة صاحبه، فاستحييا ﴿وطفقَا يَخْصِفَانِ﴾ أقبلا وجعلا يُرْقِعَانِ الورق كهيئة الثوب ليستترا به ﴿وناداهما ربهما ألم أنهماكما عن تلكما الشجرة وأقل لكم إنّ الشيطان لكم عدو مبين﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر﴾ موضع قرار، ثمّ فسّر ذلك بقوله:

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوْءَ تَكْمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَ تَكْمُ إِنَّهُ يَرَنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

﴿فيها تحيون...﴾ الآية. ولَمَّا ذكر عُريَّ آدَمَ وحواء مِّنْ علينا بما خلق لنا من اللِّباس، فقال:

﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم﴾ أي: خلقنا لكم ﴿لباساً يوارى سواكم﴾ يستر عوراتكم ﴿وريشاً﴾ أي: مالا، وما تتجملون به من الثياب الحسنة ﴿ولباس التقوى﴾ أي: ستر العورة لِمَنْ يَتَّقِي الله فيواري عورته ﴿ذلك خير﴾ لصاحبه إذا أخذ به، أو خيرٌ من التَّعْرِي، وذلك أَنَّ جماعةً من المشركين كانوا يتعبدون بالتَّعْرِي وخلق الثياب في الطَّواف بالبيت^(١). ﴿ذلك من آيات الله﴾ أي: من فرائضه التي أوجبها بآياته. يعني: ستر العورة ﴿لعلهم يذكرون﴾ لكي يتَّعظوا.

﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ لا يخدعنكم ولا يضلنكم ﴿كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما﴾ أضاف التَّرع إليه - وإن لم يتولَّ ذلك - ؛ لأنَّه كان بسبب منه ﴿إنَّه يراكم هو وقبيله﴾ يعني: ومَنْ كان من نسله ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ سلَّطناهم عليهم ليزيدوا في غيِّهم، كما قال: ﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين...﴾^(٢) الآية.

(١) وذلك ما جاء عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، وتقول: اليوم يبدو بعضه أو كلُّه وما بدا منه فلا أُحِلَّه

فنزلت: ﴿يا بني آدم خذوا زيتكم عند كلِّ مسجد﴾.

أخرجه مسلم برقم ٣٠٢٨؛ والنسائي في تفسيره ٤٩٦/١.

(٢) الآية: ﴿ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزاً﴾ [سورة مريم: الآية ٨٣].

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آيَةً وَاللَّهُ أَمَرْنَا بِهَا قُلْ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ يَبْنِي أَدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ وإذا فعلوا فاحشة ﴿يعني: طوافهم بالبيت عارين.﴾

﴿٢٩﴾ قل أمر ربي بالقسط ﴿ردّ لقولهم: ﴿والله أمرنا بها﴾ والقسط: العدل﴾ وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد ﴿وجّهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة إلى الكعبة﴾ وادعوه مخلصين له الدين ﴿وحّدوه ولا تشركوا به شيئاً.﴾ كما بدأكم ﴿في الخلق شقيّاً وسعيداً، فكذاك ﴿تعودون﴾ سعداء وأشقياء. يدلُّ على صحة هذا المعنى قوله:﴾

﴿٣٠﴾ ﴿فريقاً هدى﴾ أرشد إلى دينه، وهم أولياؤه ﴿وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة﴾ أضلَّهم، وهم أولياء الشياطين ﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾ ثم أمرهم أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرّوا، فقال:

﴿٣١﴾ يا بني آدم خذوا زينتكم ﴿يعني: ما وارى العورة﴾ عند كل مسجد ﴿لصلاة أو طواف﴾ واكلوا واشربوا ﴿كان أهل الجاهلية لا يأكلون أيام حجّهم إلّا قوتاً، ولا يأكلون دسماً. يُعْظَمُونَ بذلك حجّهم، فقال المسلمون: نحن أحقُّ أن نفعل، فأنزل الله تعالى^(١):﴾ واكلوا ﴿يعني: اللحم والدّسم﴾ واشربوا ﴿اللّبن والماء وما أحلَّ لكم﴾ ولا تسرفوا ﴿بحظركم على أنفسكم ما قد أحللته لكم من اللحم والدّسم﴾ إنّه لا يحب ﴿من فعل ذلك، أي: لا يثيبه ولا يدخله الجنة.﴾

(١) وهذا قول الكلبي ذكره في أسباب النزول ص ٢٦٠؛ وأخرج نحوه ابن جرير ١٦٢/٨ عن السدي.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَبْنِي ۖ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي فَمَنْ أَتَقَى ۖ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده ﴿من حرم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم﴾ والطيبات من الرزق ﴿يعني: ما حرموه على أنفسهم أيام حجهم﴾ قل هي ﴿أي: الطيبات من الرزق﴾ للذين آمنوا في الحياة الدنيا ﴿مباحة لهم مع اشتراك الكافرين معهم فيها في الدنيا، ثم هي تخلص للمؤمنين يوم القيامة، وليس للكافرين فيها شيء، وهو معنى قوله:﴾ خالصة يوم القيامة ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ نفسر ما أحلت وما حرمت ﴿لقوم يعلمون﴾ أني أنا الله لا شريك لي.

﴿٣٣﴾ قل إنما حرم ربي الفواحش ﴿الكبائر والقبايح﴾ ما ظهر منها وما بطن ﴿سرها وعلايتها﴾ والإثم ﴿يعني: المعصية التي توجب الإثم﴾ والبغي ﴿ظلم الناس، وهو أن يطلب ما ليس له﴾ وأن تشركوا بالله ﴿تعدلوا به في العبادة﴾ ما لم ينزل به سلطاناً ﴿لم ينزل كتاباً فيه حجة﴾ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴿من أنه حرم الحرث والأنعام، وأن الملائكة بنات الله.

﴿٣٤﴾ ولكل أمة أجل ﴿وقت مضروب لعذابهم وهلاكهم﴾ فإذا جاء أجلهم ﴿بالعذاب﴾ لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴿لا يتأخرون ولا يتقدمون حتى يُعذبوا.

﴿٣٥﴾ يا بني آدم إنا يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي ﴿فرائضي وأحكامي﴾ فمن اتقى ﴿اتقني﴾ وخافني ﴿وأصلح﴾ ما بيني وبينه ﴿فلا خوف عليهم﴾ إذا خاف الخلق في القيامة ﴿ولا هم يحزنون﴾ إذا حزنوا.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَٰهُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكَفْلِ حَتَّىٰ إِذَا جَآءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا۟ آيُنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَٰى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالِ ادْخُلُوا۟ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعْنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِيَهُمْ لِأُولَٰئِهِمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالِ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِن لَّا نَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَٰئِهِمْ لِأُخْرِيَهُمْ فَمَا كَآتَ لَكُم عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

﴿٣٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿﴾ فجعل له ولداً أو شريكاً ﴿﴾ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب ﴿﴾ ما كُتِبَ لهم من العذاب، وهو سواد الوجه، وزرقة العيون ﴿﴾ حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ﴿﴾ يريد: الملائكة يقبضون أرواحهم ﴿﴾ قالوا آين ما كنتم تدعون من دون الله ﴿﴾؟ سؤال توبيخ وتبكيت وتقريع ﴿﴾ قالوا ضلوا عنا ﴿﴾ بطلوا وذهبوا ﴿﴾ وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين ﴿﴾ اعترفوا عند مُعَاينة الموت، وأقروا على أنفسهم بالكفر.

﴿٣٨﴾ قَالِ ادْخُلُوا۟ آيُنَ: قال الله تعالى لهم: ادخلوا النار [﴿في أمم﴾ أي:] مع ﴿أمم﴾ قد خلت من قبلكم ﴿﴾. ﴿كلما دخلت أمة﴾ النار ﴿لعنت أختها﴾ يعني: الأمم التي سبقتها إلى النار؛ لأنهم ضلوا باتباعهم ﴿حتى إذا ادَّارَكُوا فيها﴾ أي: تداركوا، وتلاحقوا، واجتمعوا جميعاً في النار ﴿قالت أخراهم﴾ أي: أخرهم دخولاً إلى النار ﴿لأولاهم﴾ دخولاً. يعني: قالت الأتباع للقادة: ﴿ربنا هؤلاء أضلونا﴾ لأنهم شرعوا لنا أن نتخذ من دونك إلهاً ﴿فَاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا﴾ أَضْعَفُ عَلَيْهِمُ الْعَذَابَ بِأَشَدَّ مِمَّا تَعَذَّبْنَا بِهِ ﴿قال﴾ الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ لِلتَّابِعِ وَالمُتَّبِعِ عَذَابٌ مِّضَاعَفٌ﴾ ولكن لا تعلمون ﴿يا أهل الكتاب في الدنيا مقدار ذلك، وقوله:

﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لأنكم كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم في الكفر سواء.

إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يُلَاجِ
الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ
غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا
إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ فَجَرَى مِنْ
تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا

﴿٤١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴿بحجبنا التي تدلُّ على توحيد الله، ونبوة الأنبياء
﴿واستكبروا عنها﴾ ترفعوا عن الإيمان بها والانقياد لأحكامها ﴿لا تفتح لهم أبواب
السَّمَاءِ﴾ لا تصعد أرواحهم، ولا أعمالهم، ولا شيء ممَّا يريدون الله به إلى
السَّمَاءِ ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج﴾ يدخل ﴿الجمال في سم الخياط﴾ ثقب
الإبرة. يعني: أبدأ ﴿وكذلك﴾ وكما وصفنا ﴿نجزى المجرمين﴾ أي: المكذِّبين
بآيات الله، ثم أخبر عن إحاطة النَّارِ بهم من كلِّ جانب، فقال:

﴿٤١﴾ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴿يعني: لهم منها غطاء، ووطاء، وفراش
ولحاف﴾ وكذلك نجزي الظالمين ﴿يعني: الذين أشركوا بالله.

﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴿أي: إلَّا ما تطيقه ولا
تعجز عنه، والمعنى: لا نكلِّفُ نفساً منهم إلَّا وسعها، ثم أخبر بباقي الآية عن
مآلهم.

﴿٤٣﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴿أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض
في دار الدنيا ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ من تحت منازلهم وقصورهم، فإذا
استقروا في منازلهم ﴿قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾ أي: هدانا لما صيرنا إلى
هذا الثَّواب من العمل الذي أدَّى إليه، وأقروا أَنَّ المهتدي مَنْ هدى الله ^(١) بقوله:

(١) أخرج ابن جرير ١٨٤/٨ عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ:

«كلُّ أهل النَّارِ يرى منزله من الجنَّة فيقولون: لو هدانا الله، فتكون عليهم حسرة، وكلُّ أهل
الجنَّة يرى منزله من النَّار، فيقولون: لولا أن هدانا الله، فهذا شكرهم».

وَمَا كُنَّا لِنَهْدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبَّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ فحين رأوا ما وعدهم الرُّسل عياناً قالوا: ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة﴾ قيل لهم: هذه تلكم الجنة التي وعدتم ﴿أورثتموها﴾ أورثتم منازل أهل النار فيها لو عملوا بطاعة الله ﴿بما كنتم تعملون﴾ توحدون الله وتطيعونه.

﴿ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾ في الدنيا من الثواب ﴿حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾ من العذاب ﴿حقاً؟﴾ وهذا سؤال تعبير وتقرير، فأجاب أهل النار و﴿قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم﴾ نادى منادٍ وسطهم نداءً يُسمع الفريقين، وهو صاحب الصور ﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾.

﴿الذين يصدون﴾ يمنعون ﴿عن سبيل الله﴾ دين الله وطاعته ﴿ويبغونها عوجاً﴾ ويطلبونها بالصلاة لغير الله، وتعظيم ما لم يعظمه الله.

﴿وبينهما﴾ بين أهل الجنة وبين أهل النار ﴿حجاب﴾ حاجز، وهو سور الأعراف ﴿وعلى الأعراف﴾ يريد: سور الجنة ﴿رجال﴾ وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم ﴿يعرفون كلًّا بسيماهم﴾ يعرفون أهل الجنة ببياض الوجوه، وأهل النار بسوادها، وذلك لأنَّ موضعهم عالٍ مرتفع، فهم يرون الفريقين ﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ إذا نظروا إلى الجنة سلّموا على أهلها ﴿لم يدخلوها﴾ يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة ﴿وهم يطمعون﴾ في دخولها.

﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾ أي: جهة لقائهم.

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾
 أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
 تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ
 اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا
 وَغَرَّتُهُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا
 بِيَايِنِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾
 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا

﴿٤٨﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً ﴿يعرفونهم بسماهم﴾ من رؤساء
 المشركين فيقولون لهم: ﴿ما أغنى عنكم جمعكم﴾ المال واستكثراكم منه ﴿وما
 كنتم تستكبرون﴾ عن عبادة الله، ثم يقسم أصحاب النار أن أصحاب الأعراف
 داخلون معهم النار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف:

﴿٤٩﴾ أهؤلاء الذين أقسمتم ﴿يا أصحاب النار﴾ لا ينالهم الله برحمة ﴿يقولون
 لأصحاب الأعراف﴾: ﴿ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون﴾.

﴿٥٠﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم
 الله ﴿يعني: الطعام، وهذا يدل على جوعهم وعطشهم﴾ قالوا إن الله حرمهما على
 الكافرين ﴿تحريم منع [لا تحريم تعبد]﴾.

﴿٥١﴾ الذين اتخذوا دينهم ﴿الذي شرع لهم﴾ لهواً ولعباً ﴿يعني: المستهزئين
 المُقتسمين﴾ فالיום ننساهم ﴿تركهم في جهنم﴾ كما نسوا لقاء يومهم هذا ﴿كما
 تركوا العمل لهذا اليوم﴾ وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿أي: وكما جحدوا بآياتنا ولم يصدقوها﴾.

﴿٥٢﴾ ولقد جئناهم ﴿يعني: المشركين﴾ بكتاب ﴿هو القرآن﴾ فصلناه ﴿بيناه﴾ على
 علم ﴿فيه﴾. يعني: ما أودع من العلوم وبيان الأحكام ﴿هدى﴾ هادياً ﴿ورحمة﴾
 وذا رحمة ﴿لقوم يؤمنون﴾ لقوم أريد به هدايتهم وإيمانهم.

﴿٥٣﴾ هل ينظرون ﴿ينتظرون، أي: كأنهم ينتظرون ذلك؛ لأنه يأتيهم لا محالة﴾ إلا

تَأْوِيلُهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٣﴾ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٤﴾

تأويله ﴿ عاقبة ما وعد الله في الكتاب من البعث والثُّور ﴾ ﴿يوم يأتي تأويله﴾ وهو يوم القيامة ﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾ تركوا الإيمان به والعمل له من قبل إتيانه: ﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ بالصدق والبيان ﴿فهل لنا من شفعاء﴾ هل يشفع لنا شافع؟ ﴿أو﴾ هل ﴿نردُّ﴾ إلى الدنيا ﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾ نوحّد الله ونترك الشُّرك، يقول الله: ﴿قد خسروا أنفسهم﴾ حين صاروا إلى الهلاك ﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ سقط عنهم ما كانوا يقولونه مِنْ أَنَّ مع الله إلهاً آخر.

﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في مقدار ستة أيام، من الأحد إلى السَّبْت، واجتمع الخلق في الجمعة ﴿ثم استوى على العرش﴾ أقبل على خلقه، وقصد إلى ذلك بعد خلق السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿يغشي الليل النهار﴾ يلبسه ويدخله عليه ﴿يطلبه حثيثاً﴾ يطلب الليل دائباً لا غفلة له ﴿والشمس﴾ وخلق الشمس ﴿والقمر والنجوم مسخرات﴾ مُذَلَّلَاتٍ لما يُراد منها من طلوع وأفول، وسيرٍ ورجوع ﴿بأمره﴾ بإذنه ﴿ألا له الخلق﴾ يعني: إِنَّ جميع ما في العالم مخلوق له ﴿و﴾ له ﴿الأمر﴾ فيهم، يأمر بما أراد ﴿تبارك الله﴾ تمجّد وتعظم وارتفع وتعالى.

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً﴾ أي: تملّقاً ﴿وخفية﴾ سرّاً ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المجاوزين ما أمروا به.

وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٦﴾ «ولا تفسدوا في الأرض» بالشرك والمعاصي وسفك الدماء «بعد» إصلاح الله إياها ببعث الرسول «وادعوه خوفاً» من عقابه «وطمعاً» في ثوابه «إنَّ رحمة الله» ثواب الله «قريب من المحسنين» وهم الذين يطيعون الله فيما أمر.

﴿٥٧﴾ «وهو الذي يرسل الرياح نُشْراً»^(١) طيبة ليئة، من النُّشْر وهو الرائحة الطيبة. وقيل: مُتَفَرِّقَةً في كلِّ جانبٍ، بمعنى المنتشرة «بين يدي رحمته» قدام مطره «حتى إذا أقْلَّتْ» أي: حملت هذه الرياح «سحاباً ثِقَالاً» بما فيها من الماء سُقْنَا السَّحَاب «لبلد ميت» إلى مكانٍ ليس فيه نباتٌ «فأنزلنا به» بذلك البلد «الماء فأخرجنا» بذلك الماء «من كلِّ الثمرات كذلك نخرج الموتى» أي: نحْيي الموتى مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت «لعلكم تذكرون» لعلكم بما بيَّنا تتعظون، فتستدلُّون على توحيد الله وقدرته على البعث، ثمَّ ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال:

﴿٥٨﴾ «والبلد الطيب» يعني: العذب الثُّراب «يخرج نباته بإذن ربه» وهذا مثل المؤمن يسمع القرآن فينتفع به، ويحسن أثره عليه «والذي خبث» ترابه وأصله «لا يخرج» نباته «إلا نكداً» عسراً مُبْطِئاً، وهو مثل الكافر يسمع القرآن، ولا يُؤثِّر فيه أثراً محموداً، كالبلد الخبيث لا يُؤثِّر فيه المطر «كذلك نصرف الآيات» نبينها «لقوم يشكرون» نعم الله ويطيعونه.

(١) قرأ «نُشْراً» ابن عامر الدمشقي. الإتحاف ص ٢٢٦.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُوا لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

﴿٥٩﴾ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ ظاهرٌ إلى قوله :

﴿٦٢﴾ ﴿وانصح لكم﴾ أي: أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ من أنه غفورٌ لمن رجع عن معاصيه، وأنَّ عذابه أليمٌ لمن أصرَّ عليها. ﴿٦٣﴾ ﴿أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾ موعظةٌ من الله ﴿على رجل﴾ على لسان رجل ﴿منكم﴾ تعرفون نسبه. وقوله :

﴿٦٤﴾ ﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾ عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقدرته.

﴿٦٥﴾ ﴿وإلى عاد أخاهم﴾ وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم ابن أبيهم ﴿هوداً﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ﴿وحذوا الله﴾ ﴿ما لكم من إله غيره أفلا تتقون﴾ أفلا تخافون نقمته.

﴿٦٦﴾ ﴿قال الملأ﴾ الرؤساء والجماعة ﴿الذين كفروا من قومه إننا لنراك في سفاهة﴾ حمقٍ وجهل ﴿وإننا لنظنك من الكاذبين﴾ فيما جئت به من ادعاء النبوة. وقوله :

﴿٦٨﴾ ﴿ناصح أمين﴾ أي: على الرسالة لا أكذب فيها.

﴿٦٩﴾ ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾ أي: استخلفكم في الأرض بعد

وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَيْنَا يِمَّا نَعِدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۖ فَانظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَايِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُ عِبَادُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَ تَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ إِلِيمُ ﴿٧٣﴾ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ ۖ تَتَخَذُونَ مِّنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا

هلاكمهم ﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾ فضيلة في الطول ﴿فاذكروا آلاء الله﴾ نعم الله عليكم ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، وقوله:

﴿فأنا بما نعدنا﴾ أي: من العذاب ﴿إن كنت من الصادقين﴾ أن العذاب نازل بنا. ﴿قال: قد وقع﴾ وجب ﴿عليكم من ربكم رجس وغضب﴾ عذاب وسخط ﴿أتجادلونني في أسماء سميتُموها﴾ كانت لهم أصنام سموها أسماء مختلفة، فلما دعاهم الرسول إلى التوحيد استنكروا عبادة الله وحده. ﴿ما نزل الله بها من سلطان﴾ من حجة وبرهان لكم في عبادتها ﴿فانظروا﴾ العذاب ﴿إني معكم من المنتظرين﴾ ذلك في تكذيبهم إياي، وقوله:

﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾ أي: سهّل الله عليكم أمرها، فليس عليكم رزقها ولا مؤنتها، وقوله:

﴿وبوأكم في الأرض﴾ أي: أسكنكم وجعل لكم فيها مساكن ﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾ تبنون القصور بكل موضع ﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾ يريد: بيوتاً في الجبال تُشققونها، وكانوا يسكنونها شتاءً، ويسكنون القصور بالصيف.

فَازْكُرُوا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ اتَّعَلَمْتُمْ أَنَّ صَلَاحًا مَرَّسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَصْلِحُ أَثْنَانَا بِمَا نَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقُورِ لَقَدْ أَتَلَفْتُكُمْ رَسُولَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تَحِبُّونَ النَّصِيحَةَ ﴿٧٩﴾ وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٤﴾ قال الملأ ﴿الذين استكبروا من قومه﴾ عن عبادة الله ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ يريد المساكين ﴿لَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدلٌ من قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ لأنَّهم المؤمنون.

﴿٧٧﴾ فعقروا الناقة ﴿نحروها﴾ وعتوا عن أمر ربهم ﴿عصوا الله وتركوا أمره في الناقة﴾ وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ﴿من العذاب﴾.

﴿٧٨﴾ فأخذتهم الرجفة ﴿وهي الزلزلة الشديدة﴾ فأصبحوا في دارهم ﴿بلدهم﴾ جاثمين ﴿خامدين ميّتين﴾.

﴿٧٩﴾ فتولى عنهم ﴿أعرض عنهم صالحٌ بعد نزول العذاب بهم﴾ وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ﴿خوفتكم عقاب الله﴾، وهذا كما خاطب رسول الله ﷺ قتلَى بدر.

﴿٨٠﴾ ولوطاً ﴿وأرسلنا لوطاً، أي: واذكر لوطاً﴾ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ﴿يعني: إتيان الذكور﴾ ما سبقكم بها من أحد من العالمين ﴿قالوا: ما نزا ذكرٌ على ذكرٍ حتى كان قوم لوط﴾.

﴿٨١﴾ إنكم لتأتون الرجال... الآية.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْظَهُرُونَ ﴿٨٢﴾
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا
كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدِينٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ الْعَبْدُ
اللَّهُ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَاقِفُوا أَلْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ
وَتَصْدُونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَآذَكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ
قَلِيلًا فَكُتِرْكُمْ وَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَقِيبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٢﴾ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريبتكم يعني: لوطاً وأتباعه
﴿إنهم أناس يتطهرون﴾ عن إتيان الرجال في أدبارهم.

﴿٨٣﴾ فأنجيناه وأهله ﴿إلا امرأته كانت من الغابرين﴾ الباقي في عذاب الله.

﴿٨٤﴾ وأمطرنا عليهم مطراً ﴿يعني: حجارة﴾.

﴿٨٥﴾ وإلى مدين ﴿وهم قبيلة من ولد إبراهيم عليه السلام﴾ ﴿قد جاءكم بينة من
ربكم﴾ موعظة ﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾ أتموهمما، وكانوا أهل كفر وبخس
للمكيال والميزان ﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾ لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أن
أصلحها الله ببعثة شعيب والأمر بالعدل.

﴿٨٦﴾ ﴿ولا تقعدوا بكل صراط توعدون﴾ لا تقعدوا على طريق الناس، فتخوفون أهل
الإيمان بشعيب بالقتل ونحو ذلك [وتأخذون ثياب من مر بكم من الغرباء] ^(١)
﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾ وتصرفون عن الإسلام من آمن بشعيب
﴿وتبغونها عوجاً﴾ تلتمسون لها الزَّيغ ﴿واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم﴾ بعد القلة،

وَلِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِٱلَّذِى أُرْسِلْتُ بِهِ، وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخْرُجَ إِلَيْكُمْ إِلَهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَكِيمِينَ ﴿٨٧﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ بَعَدْنَا ٱللَّهَ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَٰلِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنْ أَتَيْتُمُ شُعَيْبًا إِنْ كُنْ إِذًا ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَٱخَذَتْهُمْ ٱلرَّجْفَةُ فَٱصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَنَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٍ لَقَدْ أَهْلَكْتُمُ رِسَالَاتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

وأعزكم بعد الدلة، وذلك أنه كان مدين بن إبراهيم، وزوجه ريثا بنت لوط، فولدت حتى كثر عدد أولادها.

الجزء التاسع:

﴿٨٨﴾ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لنعودن في ملتنا﴾ معناه أنهم قالوا لشعيب وأصحابه: ليكونن أحد الأمرين؛ إما الإخراج من القرية؛ أو عودكم في ملتنا، ولا نفارقكم على مخالفتنا، فقال شعيب: ﴿أو لو كنا كارهين﴾ أي: تجبروننا على العود في ملتكم، وإن كرهنا ذلك؟ وقوله:

﴿٨٩﴾ وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا﴾ أي: إلا أن يكون قد سبق في علم الله وفي مشيئته أن نعود فيها ﴿وسع ربنا كل شيء علماً﴾ علم ما يكون قبل أن يكون ﴿ربنا افتح﴾ احكم واقض ﴿بيننا وبين قومنا بالحق﴾، وقوله:

﴿٩٠﴾ كأن لم يغنوا فيها﴾ أي: لم يقيموا فيها، ولم ينزلوا، وقوله:

﴿٩١﴾ فكيف آسى على قوم كافرين﴾ أي: كيف يشتد حزني عليهم، ومعناه: الإنكار. أي: لا آسى.

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا

﴿٩٤﴾ وما أرسلنا في قرية في مدينة ﴿من نبي﴾ فكذب به أهلها ﴿إلا أخذنا﴾ هم ﴿بالبأساء والضراء﴾ بالفقر والجوع ﴿لعلهم يضَّرَّعون﴾ كي يستكينوا ويرجعوا.

﴿٩٥﴾ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة بدل البؤس والمرض الغنى والصحة ﴿حتى عفوا﴾ كثروا وسمنوا، وسمنت أموالهم ﴿وقالوا﴾ من غرتهم وجهلهم: ﴿قد مسَّ آباءنا الضراء والسراء﴾ قد أصاب آباءنا في الدَّهر مثل ما أصابنا، وتلك عادة الدَّهر، ولم يكن ما مسَّنا عقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، فلمَّا فسدوا على الأمرين جميعاً أخذهم الله بغتة ﴿وهم لا يشعرون﴾ بنزول العذاب، وهذا تخويف لمشركي قريش.

﴿٩٦﴾ ولو أنَّ أهل القرى آمنوا وحَّدوا الله واتَّقوا الشُّرك ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾ بالمطر ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ بالنبات والثمار ﴿ولكن كذبوا﴾ الرُّسل ﴿فأخذناهم﴾ بالجدوبة والقحط ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من الكفر والمعصية.

﴿٩٧﴾ أفأمن أهل القرى يعني: أهل مكَّة وما حولها، ومعنى هذه الآية وما بعدها: أنَّه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلاً ولا نهاراً بعد تكذيب محمَّد ﷺ، وقوله:

﴿٩٨﴾ وهم يلعبون أي: وهم في غير ما يُجدي عليهم.

﴿٩٩﴾ أفأمنوا مكر الله عذاب الله أن يأتيهم بغتة.

﴿١٠٠﴾ أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها كفار مكَّة ومن حولهم

أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ
 نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا
 مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
 وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنْفِرُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ عذبناهم ﴿بذنوبهم﴾ ثم ﴿نطبع على قلوبهم﴾ حتى يموتوا
 على الكفر، فيدخلوا النار، والمعنى: ألم يعلموا أننا لو نشاء فعلنا ذلك.

﴿تلك القرى﴾ التي أهلكت أهلها ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ نتلو عليك من
 أخبارها، كيف أهلكت ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يعني: الذين أرسلوا
 إليهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ فما كان أولئك الكفار ليؤمنوا عند
 إرسال الرسل بما كذبوا يوم أخذ ميثاقهم، فأقروا بلسانهم وأضمروا التكذيب
 ﴿كذلك﴾ أي: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفار الأمم ﴿يطبع الله على
 قلوب الكافرين﴾ الذين كتب عليهم ألا يؤمنوا أبداً.

﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ يعني: الوفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق.

﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ الأنبياء الذين جرى ذكرهم ﴿موسىٰ بآياتنا إلى فرعون وملائته﴾
 فظلموا بها ﴿فجحدوا بها وكذبوا﴾ فانظر ﴿بعين قلبك﴾ كيف كان عاقبتهم،
 وكيف فعلنا بهم، وقوله:

﴿حقيق على أن لا أقول﴾ أي: أنا حقيق بأن لا أقول ﴿على الله إلا﴾ ما هو
 ﴿الحق﴾ وهو أنه واحد لا شريك له ﴿قد جئكم ببينة من ربكم﴾ [أي: بأمر من

فَأَرْسَلَ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِثَآئِفَةٍ فَإِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾
فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ
قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا
أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تَوْكُ يَا كُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ
فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾
قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾

ربكم] ^(١) وهو العصا ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أي: أطلق عليهم، وخلّهم،
وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة، وقوله:

﴿فإذا هي﴾ ^(١٠٧) أي: العصا ﴿ثعبان﴾ وهو أعظم ما يكون من الحيات ﴿مبين﴾ بين أنه
حية لا لبس فيه.

﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه. ^(١٠٨)

﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ هذا قول الأشراف من قوم فرعون، قالوا: يريد
موسى أن يخرجكم معشر القبط من أرضكم، ويزيل ملككم بتقوية عدوكم
بني إسرائيل، فقال فرعون لهم: ﴿فماذا تأمرون﴾ أيش تُشيرون به عليّ؟

﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أخر أمره وأمر أخيه ولا تعجل ﴿وأرسل في المدائن﴾ في
مدائن صعيد مصر ﴿حاشرين﴾ رجالاً يحشرون إليك من في الصعيد من السحرة،
فأرسل ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ وطالبوه بالمال والجوائز إن غلبوه، فأجابهم
فرعون إلى ذلك، وهو قوله:

﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾ أي: ولكم من الأجر المنزلة الرفيعة عندي. ^(١١٢)

﴿قالوا يا موسى إمّا أن تلقى﴾ عصاك ﴿وإمّا أن نكون نحن الملقيين﴾ ما معنا من
الحبال والعصي.

قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾
 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ
 الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ
 مَكْرَتُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأَقْطَعَ أَبْيَدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ
 ثُمَّ لَأُسَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿١١٦﴾ قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ﴿قلبوها عن صحة إدراكها﴾
 حيث رأوها حَيَات ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾ وذلك أَنَّهُم ألقوا حبالاً غلاظاً فإذا هي
 حَيَاتٌ قد ملأت الوادي.

﴿١١٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿ما يافكون﴾ يكذبون
 فيه، وذلك أَنَّهُم زعموا أَنَّ عَصِيَّتَهُمْ وحبالهم حَيَاتٍ، وكذبوا في ذلك.

﴿١١٨﴾ ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ ظهر وغلب.

﴿١١٩﴾ ﴿فَغُلِبُوا هُنَاكَ وَانْقَلَبُوا﴾ وانصرفوا ﴿صاغرين﴾ ذليلين.

﴿١٢٠﴾ ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ خرُّوا لله عابدين سامعين مطيعين.

﴿١٢١﴾ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أَصَدَقْتُمْ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلِ أَمْرِي إِيَّاكُمْ؟!
 ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُوهُ فِي الْمَدِينَةِ﴾ لصنيعُ صنعتموه فيما بينكم وبين موسىٰ في
 مصر قبل خروجكم إلىٰ هذا الموضع ﴿لتخرجوا منها أهلها﴾ لتستولوا علىٰ مصر
 فتخرجوا منها أهلها، وتتغلبوا عليها بسحركم ﴿فسوف تعلمون﴾ ما يظهر لكم.

﴿١٢٢﴾ ﴿لَأَقْطَعَ أَبْيَدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ علىٰ مخالفة، وهو أن يقطع من كلِّ شقِّ
 طرف.

﴿١٢٥﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ راجعون بالتَّوْحِيدِ والإِخْلَاصِ.

وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْهُنَّ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾
 وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ الْهَتَكُ قَالَ
 سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ
 وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا
 أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ
 وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ

﴿١٢٦﴾ ﴿وما ننقم منا﴾ وما تطعن علينا ولا تكره منا ﴿إلا أن آمنّا بآيات ربنا﴾ ما أتى به
 موسى من العصا واليد ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾ اصعب علينا الصبر عند الصلب
 والقطع حتى لا نرجع كفّاراً ﴿وتوفنا مسلمين﴾ على دين موسى، ثم أغرى الملاء
 من قوم فرعون بموسى فقالوا:

﴿١٢٧﴾ ﴿أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض﴾ ليدعوا الناس إلى مخالفتك وعبادة
 غيرك ﴿ويذركم وآلهتك﴾ وذلك أن فرعون كان قد صنع لقومه أصناماً صغاراً،
 وأمرهم بعبادتها وقال: أنا ربكم ورب هذه الأصنام، فذلك قوله: ﴿أنا ربكم
 الأعلى﴾، فقال فرعون: ﴿سنقتل أبناءهم﴾ وكان قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل،
 فلما كان من أمر موسى ما كان أعاد عليهم القتل، فذلك قوله: ﴿سنقتل أبناءهم
 ونستحيي نساءهم﴾ للمهنة والخدمة ﴿وإنّا فوقهم قاهرون﴾ وإنّا على ذلك
 قادرون، فشكا بنو إسرائيل إلى موسى إعادة القتل على أبنائهم، فقال لهم موسى:
 ﴿١٢٨﴾ ﴿استعينوا بالله واصبروا﴾ على ما يفعل بكم ﴿إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من
 عباده﴾ أطعمهم موسى أن يعطيهم الله ملكهم ومالهم ﴿والعاقبة للمتقين﴾ أي:
 الجنة لمن اتقى. وقيل: النصر والظفر.

﴿١٢٩﴾ ﴿قالوا أوذينا﴾ بالقتل الأوّل ﴿من قبل أن تأتينا﴾ بالرّسالة ﴿ومن بعد ما جئتنا﴾
 بإعادة القتل علينا، والإتعب في العمل ﴿قال: عسى ربكم أن يهلك عدوكم﴾
 فرعون وقومه ﴿ويستخلفكم في الأرض﴾ يملككم ما كان يملك فرعون ﴿فينظر

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذَكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ
مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ
لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَ

كيف تعملون ﴿ فيرى ذلك لوقوع ذلك منكم .

﴿١٣٠﴾ ﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾ بالجدوب لأهل البوادي ﴿ونقص من الثمرات﴾
لأهل القرى، [وصرفنا الآيات: بيتناها لهم من كل نوع] ^(١) ﴿لعلهم يذكرون﴾ كي
يتعظوا.

﴿١٣١﴾ ﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾ الخصب وسعة الرزق ﴿قالوا لنا هذه﴾ أي: إننا مستحقوه
على العادة التي جرت لنا من النعمة، ولم يعلموا أنه من الله فيشكروا عليه ﴿وإن
تصيبهم سيئة﴾ قحط وجذب ﴿يطيروا﴾ يتشاءموا ﴿بموسى﴾ وقومه، وقالوا: إننا
أصابنا هذا الشرُّ بشؤمهم ﴿ألا إننا طائرهم عند الله﴾ شؤمهم جاءهم بكفرهم بالله
﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أن الذي أصابهم من الله.

﴿١٣٢﴾ ﴿وقالوا﴾ لموسى: ﴿مهما تأتينا به﴾ أي: متى ما تأتينا به ﴿من آية لتسحرنا بها فما
نحن لك بمؤمنين﴾ فدعا عليهم موسى، فأرسل الله عليهم السماء بالماء حتى
امتلات بيوت القبط ماءً، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، فذلك
قوله:

﴿١٣٣﴾ ﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾ ودام ذلك سبعة أيام، فقالوا: ﴿يا موسى ادعُ لنا ربك﴾
يكشف عنا فتؤمن لك، فدعا ربّه فكشف، فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد،
فأكلت عامّة زروعهم وثمارهم، فوعده أن يؤمنوا إن كشف عنهم، فكشف فلم

(١) ما بين [] زيادة من الأصل ورقة ٤٥ ب، وهي زيادة لا محل لها، إذ ليس في الآية ﴿وصرفنا
الآيات﴾ ولا ندرى هل هذا الوهم من المؤلف أو الناسخ، ولعلّه من الناسخ أقرب، على أن
للمؤلف بعض الأخطاء في الآيات أحياناً كما بيناه سابقاً.

ءَايَتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى آدَعْ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيَلِينَ كَشْفَتْنَا عَنْكَ الرِّجْزَ لِنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلَغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيَتِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا أَلَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ

يؤمنوا، فبعث الله عليهم القمّل، وهو الدّباء الصّغار [البق] التي لا أجنحة لها، فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم، فصرخوا فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فعادوا بكفرهم، فأرسل الله عليهم الضّفادع تدخل في طعامهم وشرابهم، فعاهدوا موسى أن يؤمنوا، فكشف عنهم فعادوا لكفرهم، فأرسل الله عليهم الدّم، فسال النّيل عليهم دماً، وصارت مياههم كلّها دماً، فذلك قوله:

﴿آيات مفصلات﴾ مبيّنات ﴿فاستكبروا﴾ عن عبادة الله.

﴿١٣٤﴾ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أي: العذاب، وهو ما كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده ﴿قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ بما أوصاك به وتقدّم إليك أن تدعوه به ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك ولنرسلنّ معك بني إسرائيل﴾، وقوله:

﴿١٣٥﴾ ﴿إلى أجل هم بالغوه﴾ يعني: إلى الأجل الذي غرّقههم فيه ﴿إذا هم ينكثون﴾ ينقضون العهد ولا يوفون.

﴿١٣٦﴾ ﴿فانتقمنا منهم﴾ سلّينا نعمتهم بالعذاب ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ في البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ جزاء تكذيبهم ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غير معتبرين بها.

﴿١٣٧﴾ ﴿وأورثنا القوم﴾ ملكناهم ﴿الذين كانوا يستضعفون﴾ بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مشارك الأرض ومغاريها﴾ جهات شرق أرض الشّام، وجهات غربها، ﴿التي باركنا فيها﴾ بإخراج الزّروع والثّمار، والأنهار والعيون ﴿وتمت كلمة ربك

الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَجْنَيْنَاكُمْ مِنْ آيِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ * وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا

الحسنَى ﴿مواعيده التي لا خلف فيها بما كانوا يحبُّون، وذلك جزاء صبرهم على صنع فرعون ﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾ أهلكنا ما عمل فرعون وقومه في أرض مصر ﴿وما كانوا يعرشون﴾ وما بنوا المنازل والبيوت. ﴿١٣٨﴾ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر ﴿عبرنا بهم البحر﴾ فأَتُوا عَلَى قوم يعكفون على أصنام لهم ﴿يعبدونها مقيمين عليها﴾ قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا ﴿من دون الله﴾ كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴿نعمة الله عليكم وما صنع بكم، حيث توهمتم أنه يجوز عبادة غيره. ﴿١٣٩﴾﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ ﴿يعني: الذين عكفوا على أصنامهم﴾ متَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ ﴿مهلك ومدمر﴾ وباطل ما كانوا يعملون ﴿يعني: إِنَّ عملهم للشَّيْطَان، ليس لله فيه نصيب. ﴿١٤٠﴾﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ ﴿أطلب لكم﴾ إِلَهًا ﴿معبوداً﴾ وهو فضلكم على العالمين ﴿على عالمي زمانكم بما أعطاكم من الكرامات. ﴿١٤١﴾﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ﴿يترقَّب انقضاءها للمناجاة، وهي ذو القعدة. أمره الله تعالى أن يصوم فيها، فلَمَّا انسلخ الشَّهْر استاك لمناجاة ربِّه يريد إزالة الخلف، فأمر بصيام عشرة من ذي الحجة؛ ليكلِّمه بخُلوْفٍ فيه، فذلك قوله (١)﴾: ﴿وأتممناها

(١) ورد هذا في حديث ضعيف عن ابن عباس رفعه للنبي ﷺ. أخرجه الديلمي. انظر الدر المنثور

بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ ۖ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَمُْوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

بعشر فتم ميقات ربه أي: الوقت الذي قدره الله لصوم موسى ﴿أربعين ليلة﴾ فلما أراد الانطلاق إلى الجبل استخلف أخاه هارون على قومه، وهو معنى قوله: ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح﴾ أي: وارفق بهم ﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ لا تطع من عصى الله، ولا توافقه على أمره.

﴿١٤٢﴾ ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا﴾ أي: في الوقت الذي وقتنا له ﴿وكلمه ربه﴾ فلما سمع كلام الله ﴿قال: رب أرني﴾ نفسك ﴿أنظر إليك﴾ والمعنى: إني قد سمعت كلامك فأنا أحب أن أراك ﴿قال لن تراني﴾ في الدنيا ﴿ولكن﴾ أجعل بيني وبينك ما هو أقوى منك، وهو الجبل ﴿فإن استقر مكانه﴾ أي: سكن وثبت ﴿فسوف تراني﴾ وإن لم يستقر مكانه فإنك لا تطيق رؤيتي، كما أن الجبل لا يطيق رؤيتي ﴿فلما تجلَّى ربه﴾ أي: ظهر وبان ﴿جعله دكاً﴾ أي: مدقوقاً مع الأرض كسراً تراباً ﴿وخرَّ﴾ وسقط ﴿موسى صعقاً﴾ مغشياً عليه ﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾ تنزيهاً لك من الشؤء ﴿ثبْتُ إِلَيْكَ﴾ من مسألتي الرؤية في الدنيا ﴿وأنا أول المؤمنين﴾ أول قومي إيماناً.

﴿١٤٤﴾ ﴿قال يا موسى إني اصطفيتك﴾ اتخذتك صفوة ﴿على الناس برسالاتي﴾ أي: بوحياي إليك ﴿وبكلامي﴾ كلمتك من غير واسطة ﴿فخذ ما آتيتك﴾ من الشرف والفضيلة ﴿وكن من الشاكرين﴾ لأنعمي في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٥﴾ ﴿وكتبنا له في الألواح﴾ يعني: الألواح الثوراة ﴿من كل شيء﴾ يحتاج إليه في أمر

مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ
الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَاصْرِفْ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ
آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ
الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ
بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ
وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾

دينه ﴿موعظة﴾ نهياً عن الجهل ﴿وتفصيلاً لكل شيء﴾ من الحلال والحرام
﴿فخذها﴾ أي: وقلنا له: فخذها ﴿بقوة﴾ بجدٍّ وصحّةٍ وعزيمةٍ ﴿وأمر قومك﴾ أن
﴿ياخذوا بأحسنها﴾ أي: بحسنها، وكلّها حسن ﴿سأريكم دار الفاسقين﴾ يعني:
جهنّم، أي: ولتكن على ذكّر منكم لتحذروا أن تكونوا منهم.

﴿سأصرف عن آياتي﴾ يعني: السّموات والأرض. أصرّفهم عن الاعتبار بما فيها
﴿الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ يعني: المشركين. يقول: أعاقبهم
بحرمان الهداية ﴿وإن يروا سبيل الرشد﴾ الهدى والبيان الذي جاء من الله
﴿لا يتخذوه سبيلاً﴾ ديناً ﴿وإن يروا سبيل الغي﴾ طاعة الشيطان ﴿يتخذوه سبيلاً﴾
ديناً ﴿ذلك﴾ فعل الله بهم ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ جحدوا الإيمان بها ﴿وكانوا عنها
غافلين﴾ غير ناظرين فيها، ولا معتبرين بها.

﴿والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة﴾ يريد: الثّواب والعقاب ﴿حبطت أعمالهم﴾
ضلّ سعيهم ﴿هل يجزون إلّا ما﴾ أي: جزاء ما ﴿كانوا يعملون﴾.

﴿واتخذ قوم موسى من بعده﴾ أي: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿من حلّيتهم﴾ التي
بقيت في أيديهم ممّا استعاروه من القبط ﴿عجلاً جسداً﴾ لحماً ودماً ﴿له خوار﴾
صوتٌ ﴿ألم يروا﴾ يعني: قوم موسى ﴿أنّ العجل﴾ لا يكلمهم ولا يهديهم
سبيلاً ﴿لا يرشدهم إلى دين﴾. ﴿اتخذوه﴾ أي: إلهاً ومعبوداً ﴿وكانوا ظالمين﴾ مشركين.

وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَشْمَأُظْلَمُونَ مِنِّي بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا

﴿١٤٩﴾ ﴿ولما سقط في أيديهم﴾ أي: ندموا على عبادتهم العجل ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ قد ابتلوا بمعصية الله، وهذا كان بعد رجوع موسى إليهم.

﴿١٥٠﴾ ﴿ولما رجع موسى إلى قومه غضبان﴾ عليهم ﴿أسفا﴾ حزينا؛ لأن الله تعالى فتنهم ﴿قال بش ما خلفتموني من بعدي﴾ بشما عملتم من بعدي حين اتخذتم العجل إلهًا، وكفرتم بالله ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أسبقتم باتخاذ العجل ميعاد ربكم؟ يعني: الأربعين ليلة، وذلك أنه كان قد وعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثين ليلة، فلمَّا لم يأتهم على رأس الثلاثين قالوا: إنه قد مات ﴿والقى الألواح﴾ التي فيها التوراة ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ بذؤابته وشعره ﴿يجرُّه إليه﴾ إنكاراً عليه إذ لم يلحقه فيعرفه ما فعل بنو إسرائيل، كما قال في سورة طه: ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن...﴾ الآية^(١). فأعلمه هارون أنه إنما أقام بين أظهرهم خوفاً على نفسه من القتل، وهو قوله: ﴿قال ابن أُمَّ﴾ وكان أخاه لأبيه وأمه، ولكنه قال: يا ابن أُمَّ ليرققه عليه ﴿إنَّ القوم استضعفوني﴾ استدلوني وقهروني ﴿وكادوا﴾ وهموا أن يقتلوني فلا تشمت بي الأعداء يعني: أصحاب العجل بضربي وإهاتي ﴿ولا تجعلني﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مع القوم الظالمين﴾ الذين عبدوا العجل، فلمَّا عرف براءة هارون ممَّا يوجب العتب عليه، إذ بلغ من إنكاره على عبدة العجل ما خاف على نفسه القتل.

﴿١٥١﴾ ﴿قال رب اغفر لي﴾ ما صنعتُ إلى أخي ﴿ولإخِي﴾ إن قصر في الإنكار ﴿وأدخلنا

فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٧﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٨﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي سُخْرَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٩﴾ وَأَخَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتْلِكَنَّهُمْ

في رحمتك ﴿ جئتك .

﴿١٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ يعني: اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ، وهم أبناء الذين اتَّخَذُوا الْعِجْلَ إِلَهًا، فأضيف إليهم تعبيراً لهم بفعل آبائهم ﴿سينالهم غضب من ربهم﴾ عذابٌ في الآخرة ﴿وذلة في الحياة الدنيا﴾ وهي الجزية ﴿وكذلك نجزي المفتري﴾ كذلك أعاقب من اتَّخَذَ إِلَهًا دُونِي.

﴿١٥٧﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ الشُّرْكُ ﴿ثم تابوا﴾ رجعوا عنها ﴿وآمَنُوا﴾ صدَّقوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ غَيْرِي ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا﴾ من بعد التَّوْبَةِ ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿١٥٨﴾ وَلَمَّا سَكَتَ [سكن] ^(١) ﴿عن موسى الغضب أخذ الألواح﴾ التي كان ألقاها ﴿وفي نسختها﴾ وفيما كُتِبَ فيها: ﴿هُدًى﴾ من الضَّلَالَةِ ﴿ورحمة﴾ من العذاب ﴿لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ للخائفين من ربِّهم.

﴿١٥٩﴾ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ ﴿من قومه﴾ سبعين رجلاً لمِيقَاتِنَا ﴿أمره الله تعالى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدته لذلك موعداً، فاخترَ موسى سبعين رجلاً ليعتذروا، فلَمَّا سَمِعُوا كَلَامَ اللَّهِ قَالُوا لِمُوسَى: أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ وهي الحركة الشَّدِيدَةُ، فماتوا جميعاً، فقال موسى: ﴿رب لو شئت أَهْلَكْتَهُمْ﴾ وإِنِّي قَبْلَ خُرُوجِنَا لِلْمِيقَاتِ، وَكَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُعَايِنُونَ ذَلِكَ وَلَا يَتَّهِمُونَنِي، وَظَنَّ أَنَّهُمْ أَهْلَكُوا بِاتِّخَاذِ أَصْحَابِهِمُ الْعِجْلَ، فَقَالَ: ﴿أَتَهْلِكُنَا

بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَكَتُبْنَا لَكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا
إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَن أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ
يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الَّذِي يَخْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

بما فعل السفهاء منا ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ أي: تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن إلا فتنتك، أي: اختبارك وابتلاؤك أضللت بها قوماً فافتنوا، وعصمت آخرين وهذا معنى قوله: ﴿تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء﴾.

﴿واكتب لنا﴾ أوجب لنا ﴿في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾ أي: اقبل وفادتنا، ورُدُّنا بالمغفرة والرحمة ﴿إنا هُنا إليك﴾ تبنا ورجعنا إليك بالتوبة ﴿قال عذابي أُصيب به من أشاء﴾ آخذ به من أشاء على الذنب اليسير ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ يعني: إن رحمة في الدنيا وسعت البرِّ والفاجر، وهي في الآخرة للمؤمنين خاصة، وهذا معنى قوله: ﴿فساكنها﴾ فسأوجبها في الآخرة ﴿للذين يتقون﴾ يريد: أمة محمد ﷺ ﴿ويؤتون الزكاة﴾ صدقات الأموال عند محلها ﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ يصدقون بما أنزل على محمد والنبيين.

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي﴾ وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ، وكانت هذه الخلَّة مؤكدة لمعجزته في القرآن ﴿الذي يجدونه﴾ بنعته وصفته ﴿مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف﴾ بالتوحيد وشرائع الإسلام ﴿وبينهاهم عن المنكر﴾ عبادة الأوثان وما لا يُعرف في شريعة ﴿ويحلُّ لهم الطيبات﴾ يعني: ما حرَّم عليهم في التوراة من لحوم الإبل، وشحوم الضأن ﴿ويحرِّم عليهم

الْجَبَبِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ
إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ۚ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الَّذِي يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾
وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ ۚ آبَ أَضْرِبَ
يَعَصَاكَ الْحَجَرَ ۚ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ أَثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۚ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا
عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ ۚ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ ۚ وَالسَّلْوَىٰ ۚ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا
ظَلَمُونَا وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

الخبائث ﴿ الميته والدم، وما ذكر في سورة المائدة (١) ﴾ ويضع عنهم إصرهم ﴿ ويسقط عنهم ثقل العهد الذي أخذ عليهم ﴾ والأغلال التي كانت عليهم ﴿ الشدائد التي كانت عليهم، كقطع أثر البول، وقتل النفس في التوبة، [وقطع] الأعضاء الخاطئة ﴾ فالذين آمنوا به ﴿ من اليهود ﴾ وعزروه ﴿ ووقروه ﴾ ونصروه ﴿ على عدوه ﴾ واتبعوا النور الذي أنزل معه ﴿ يعني: القرآن . . الآيتين .

﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق﴾ يدعون إلى الحق ﴿وبه يعدلون﴾ وبالحق ﴿يحكمون، وهم قوم وراء الصّين﴾ (٢) آمنوا بالنبي ﷺ لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منّا إليهم. وقوله:

﴿فانبجست﴾ أي: انفجرت، وهذه الآية مفسرة في سورة البقرة (٣) إلى قوله:

(١) في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ المِيتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِتِيرِ، وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ، وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾.

(٢) ورد هذا في أثر عن ابن جريج. أخرجه ابن جرير ٨٨/٩.

(٣) انظر ص ٣٠٨.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا
 الْبَابَ سُجَّدًا نَفِّرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٧﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا
 كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٨﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ
 يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا
 تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ
 مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٧٠﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا
 ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
 يَفْسُقُونَ ﴿١٧١﴾

﴿واسألهم﴾ يعني: سؤال توبيخ وتقرير ﴿عن القرية﴾ وهي أيلة التي كانت
 حاضرة البحر مجاورته ﴿إذ يعدون في السبت﴾ يظلمون فيه بصيد السمك ﴿إذ
 تأتاهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾ ظاهرة على الماء ﴿ويوم لا يسبتون﴾ لا يفعلون
 ما يفعل في السبت. يعني: سائر الأيام ﴿لا تأتاهم﴾ الحيتان ﴿كذلك﴾ مثل هذا
 الاختبار الشديد ﴿نبلوهم﴾ نختبرهم ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بعصيانهم الله، أي:
 شددت عليهم المحنة لفسقهم، ولما فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاث فرق: فرقة
 صادت وأكلت، وفرقة نهت وزجرت، وفرقة أمسكت عن الصيد، وهم الذين قال
 الله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ﴾ قالوا للفرقة النّاهية: ﴿لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ لا موهم
 على موعظة قوم يعلمون أنهم غير مُقْلَعِينَ، فقالت الفرقة النّاهية للذين لا موهم:
 ﴿معذرة إلى ربكم﴾ أي: الأمر بالمعروف واجب علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً
 إلى الله ﴿ولعلهم يتقون﴾ فيتركون الصيد في السبت.

﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾ تركوا ما وعظوا به ﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء
 وأخذنا الذين ظلموا﴾ اعتدوا في السبت ﴿بعذاب بئيس﴾ شديد، وهو المسخ

فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ مِنْ أَسْوَأِ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُمْ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ

جزاء لنفسهم وخروجهم عن أمر الله .

﴿١٦٦﴾ ﴿فلما عتوا﴾ أي: طغوا واستكبروا ﴿عما نهوا عنه﴾ أي: عن ترك ما نهوا عنه من صيد الحيتان يوم السبت ﴿قلنا لهم﴾ الآية مفسرة في سورة البقرة^(١).

﴿١٦٧﴾ ﴿وإذ تأذن ربك﴾ قال وأعلم ربك ﴿ليبعثن﴾ ليرسلن ﴿عليهم﴾ على اليهود ﴿من يسومهم﴾ أي: يذيقهم ﴿سوء العذاب﴾ إلى يوم القيامة . يعني: محمداً ﷺ وأُمَّته يقاتلونهم أو يعطون الجزية ﴿إن ربك لسريع العقاب﴾ لمن استحقَّ تعجيله .

﴿١٦٨﴾ ﴿وقطعناهم في الأرض أُمَمًا﴾ فرقناهم في البلاد، فلم يجتمع لهم كلمة ﴿منهم الصالحون﴾ وهم الذين آمنوا ﴿ومنهم دُونَ ذَلِكَ﴾ الذين كفروا ﴿وبلوناهم﴾ عاملناهم معاملة المختبر ﴿بالحسنات﴾ بالخصب والعافية ﴿والسيئات﴾ الجذب والشدائد ﴿لعلهم يرجعون﴾ كي يتوبوا .

﴿١٦٩﴾ ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ﴾ من بعد هؤلاء الذين قَطَعْنَاهُمْ خَلْفٌ من اليهود . يعني: أولادهم ﴿ورثوا الكتاب﴾ أخذوه عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ يأخذون ما أشرف لهم من الدنيا حلالاً أو حراماً ﴿ويقولون سيغفر لنا﴾ ويتمنون على الله المغفرة ﴿وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه﴾ وإن أصابوا عرضاً، أي: متاعاً من الدنيا مثل رشوتهم تلك التي أصابوا بالأمس^(٢) قبلوه . وهذا إخبارٌ عن

أَلَمْ يُوْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَنَّ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ
لِّلَّذِينَ يَنْتَقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٦﴾ وَالَّذِينَ يَمْسِكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ
الْمُصْلِحِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴿١٦٨﴾ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا

حرصهم على الدنيا ﴿ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق﴾ وأكد الله عليهم في التوراة ألا يقولوا على الله إلا الحق فقالوا الباطل، وهو قولهم: ﴿سيغفر لنا﴾ وليس في التوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار ﴿ودرسوا ما فيه﴾ أي: فهم ذاكرون لما أخذ عليهم من الميثاق؛ لأنهم قد قرؤوه.

﴿١٦٧﴾ ﴿والذين يمسكون بالكتاب﴾ يؤمنون به ويحكمون بما فيه. يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿وأقاموا الصلاة﴾ التي شرعها محمد ﷺ ﴿إنا لا نضيع أجر المصلحين﴾ منهم.

﴿١٦٨﴾ ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم﴾ رفعناه باقتلاع له من أصله. يعني: ما ذكرنا عند قوله: ﴿ورفعنا فوقكم الطور...﴾ (١) الآية. ﴿وظنوا﴾ وأيقنوا ﴿أنه واقع بهم﴾ إن خالفوا، وباقي الآية مضى فيما سبق (٢).

﴿١٦٩﴾ ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم﴾ (٣) أخرج الله تعالى ذرية آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، وجميع ذلك أخرجه من صلب آدم مثل الذر، وأخذ عليهم الميثاق أنه خالقهم، وأنهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا ذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً، وذلك قوله: ﴿وأشهدهم على أنفسهم ألسن بربكم﴾ أي: قال: ألسن بربكم ﴿قالوا بلى﴾ فأقرؤا له بالربوبية، فقالت الملائكة عند ذلك ﴿شهدنا﴾ أي: على إقراركم ﴿أن﴾ لا

(١) سورة البقرة: الآية ٦٣.

(٢) انظر ص ١١٠.

(٣) قرأ «ذرياتهم» بالجمع: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٧﴾ أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٨﴾ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٩﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٨٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا

﴿تقولوا﴾ لئلا [تقولوا، أي: لئلا] ^(١) يقول الكفار ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا﴾ الميثاق ﴿غافلين﴾ لم نحفظه ولم نذكره، ويذكرون الميثاق ذلك اليوم فلا يمكنهم الإنكار مع شهادة الملائكة، وهذه الآية تذكيرٌ لجميع المكلفين ذلك الميثاق؛ لأنها وردت على لسان صاحب المعجزة، فقامت في النفوس مقام ما هو على ذكر منها.

﴿١٧٧﴾ أَوْ تَقُولُوا ﴿أَيُّهَا الذُّرِّيَّةُ مُحْتَجِّينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أَي: قبلنا، ونقضوا العهد ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ صغاراً فاقتدينا بهم ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ أَفَتُعَذِّبُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ الْمَكْذِبُونَ بِالتَّوْحِيدِ، وَإِنَّمَا اقْتَدَيْنَا بِهِمْ، وَكُنَّا فِي غَفْلَةٍ عَنِ الْمِيثَاقِ، وَهَذِهِ الْآيَةُ قَطْعٌ لِمَعْذَرَتِهِمْ، فَلَا يُمْكِنُهُمُ الْاِحْتِجَاجُ بِكَوْنِ الْآبَاءِ عَلَى الشُّرْكِ بَعْدَ تَذْكِيرِ اللَّهِ بِأَخْذِ الْمِيثَاقِ بِالتَّوْحِيدِ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الذُّرِّيَّةِ.

﴿١٧٨﴾ وَكَذَلِكَ ﴿وَكَمَا بَيَّنَّا فِي أَمْرِ الْمِيثَاقِ ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ نَبِّئُهَا لِيَتَذَكَّرَ الْعِبَادُ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ولكي يرجعوا عمّا هم عليه من الكفر.

﴿١٧٩﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ ﴿واقصص يا محمد على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ عَلَّمْنَاهُ حَجَجَ التَّوْحِيدِ ﴿فَانْسَلَخَ﴾ خرج ﴿مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ أدركه ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الضَّالِّينَ. يعني: بلعم بن باعوراء. أعان أعداء الله على أوليائه بدعائه، فَتَزَعَّ عَنْهُ الْإِيمَانُ.

﴿١٨٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴿بالعمل بها. يعني: وَفَّقْنَاهُ لِلْعَمَلِ بِالْآيَاتِ، وَكُنَّا نَرْفَعُ

وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٧﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ مِّنْ يَّهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدَىٰ وَمَنْ يُضِلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ

بذلك منزلته ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ مال إلى الدنيا وسكن إليها، وذلك أن قومه أهدوا له رشوة ليدعوه على قوم موسى، فأخذها ﴿واتبع هواه﴾ انقاد لما دعاه إليه الهوى ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ أراد أن هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتد، فالحالتان عنده سواء، كحالتي الكلب اللاهث، فإنه إن حُمِلَ عليه بالطرد كان لاهثاً، وإن تُرك وربض كان أيضاً لاهثاً كهذا الكافر في الحالتين ضالاً، وذلك أنه زجر في المنام عن الدُّعاء على موسى فلم ينزجر، وترك عن الزجر فلم يهتد، فضرب الله له أخصَّ شيءٍ في أخصِّ أحواله، وهو حال اللّهث مثلاً، وهو إدلاع اللسان من الإعياء والعطش، والكلب يفعل ذلك في حال الكلال وحال الراحة، ثم عمَّ بهذا التمثيل جميع المكذِّبين بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني: أهل مكّة. كانوا يتمنّون هادياً يهديهم، فلما جاءهم من لا يشكّون في صدقه كذبوه، فلم يهتدوا لمّا تركوا، ولم يهتدوا أيضاً لمّا دعوا بالرسول، فكانوا ضالّين عن الرُّشد في الحالتين ﴿فاقصص القصص﴾ يعني: قصص الذين كذبوا بآياتنا ﴿لعلهم يتفكرون﴾ فيتعظون، ثم ذمّ مثلهم، فقال:

﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: بش مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴿بذلك التّكذيب﴾. يعني: إنّما يخسرون حظّهم.

﴿ولقد ذرأنا﴾ [خلقنا]^(١) ﴿لجهم كثيراً من الجن والإنس﴾ وهم الذين حقّت

هَمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

عليهم الشقاوة ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها﴾ لا يعقلون بها الخير والهدى ﴿ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ سبل الهدى ﴿ولهم آذان لا يسمعون بها﴾ مواعظ القرآن ﴿أولئك كالأنعام﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿بل هم أضل﴾ لأن الأنعام مطيعة لله، والكافر غير مطيع ﴿أولئك هم الغافلون﴾ عمًا في الآخرة من العذاب.

﴿ولله الأسماء الحسنى﴾ يعني: التسعة والتسعين ﴿فادعوه بها﴾ كقولك: يا الله، يا قدير، يا علیم ﴿وذروا الذين يلحدون في أسمائه﴾ يميلون عن القصد، وهم المشركون عدلوا بأسماء الله عمًا هي عليه، فسئوا بها أو ثانهم، وزادوا فيها ونقصوا، واشتقوا اللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المئان ﴿سيجزون ما كانوا يعملون﴾ جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة.

﴿وممن خلقنا أمة...﴾ الآية. يعني: أمة محمد ﷺ، كما قال في قوم موسى عليه السلام: ﴿ومن قوم موسى أمة...﴾ الآية^(١).

﴿والذين كذبوا بآياتنا﴾ محمد والقرآن. يعني: أهل مكة ﴿سنستدرجهم﴾ سنمكر بهم ﴿من حيث لا يعلمون﴾ كلما جدّدوا لنا معصية جدّدنا لهم نعمة.

﴿وأُمْلِي لهم﴾ أطيل لهم مدّة عمرهم ليتمادوا في المعاصي ﴿إنّ كيدي متين﴾ مكري شديد. نزلت في المستهزئين من قريش، قتلهم الله في ليلة واحدة بعد أن أمهلهم طويلاً.

(١) الآية: ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ الآية ١٥٩ من هذه السورة.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يَضِلِلِ اللَّهُ فَكَلا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٤﴾ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا ﴿ما بصاحبهم﴾ محمّد ﴿من جنة﴾ من جنون.

﴿١٨٥﴾ ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ ليستدلّوا بها على توحيد الله، وفسّرنا ملكوت السموات والأرض في سورة الأنعام^(١) ﴿وما خلق الله من شيء﴾ وفيما خلق الله من الأشياء كلها ﴿وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم﴾ وفي أن لعلّ آجالهم قريبة، فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى التّار ﴿فبأيّ حديث بعده يؤمنون﴾ فبأيّ قرآنٍ غير ما جاء به محمّد يُصدّقون؟ يعني: إنّ خاتم الرّسل، ولا وحي بعده، ثمّ ذكر علّة إعراضهم عن الإيمان، فقال:

﴿١٨٦﴾ ﴿ومن يضلّل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾.

﴿١٨٧﴾ ﴿يسألونك عن الساعة﴾ أي: السّاعة التي يموت فيها الخلق. يعني: القيامة. نزلت^(٢) في قريش قالت لمحمّد ﷺ: أسرّ إلينا متى السّاعة ﴿أيّان مرساها﴾ متى وقوعها وثبوتها؟ ﴿قل إنما علمها﴾ العلم بوقتها ووقوعها ﴿عند ربي لا يجليها لوقتها إلّا هو﴾ لا يظهرها في وقتها إلّا هو ﴿ثقلت في السموات والأرض﴾ ثقل وقوعها وكبّر على أهل السموات والأرض لما فيها من الأهوال ﴿لا تأتكم إلّا بغتة﴾ فجأة ﴿يسألونك كأنك حفيٌّ عنها﴾ عالمٌ بها مسؤول عنها ﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ أنّ علمها عند الله حين سألوا محمداً عن ذلك.

(١) انظر ص ٣٦٢.

(٢) أخرجه ابن جرير ١٣٧/٩ عن قتادة، وانظر: أسباب النزول ص ٢٦٢؛ ولباب النقول

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكَوِّنَنَّ مِنَ الشَّكْرِ مِنْ ﴿١٨٩﴾

﴿ قل لا أملك لنفسي... ﴾ الآية. إِنَّ أهل مكة قالوا: يا محمد، ألا يخبرك ربك بالسَّعر الرَّخيص، قبل أن يغلو، فنشتري من الرَّخيص لنربح عليه؟ وبالأرض التي تريد أن تجذب فنرتحل عنها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، ومعنى قوله: ﴿ لا أملك لنفسي نفعاً ﴾ أي: اجتلاب نفع بأن أربح، ﴿ ولا ضرراً ﴾ دفع ضرر بأن أرتحل من الأرض التي تريد أن تجذب ﴿ إلا ما شاء الله ﴾ أن أملكه بتمليكه ﴿ ولو كنت أعلم الغيب ﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿ لاستكثرت من الخير ﴾ لادّخرت في زمان الخِصْب لزمن الجذب ﴿ وما مسني السوء ﴾ وما أصابني الضر والفقر ﴿ إن أنا إلا نذير ﴾ لمن يصدّق ما جئت به ﴿ وبشير ﴾ لمن اتّبعني وآمن بي.

﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ يعني: آدم ﴿ وجعل منها زوجها ﴾ حواء. خلقها من ضلعه ﴿ ليسكن إليها ﴾ ليأنس بها، فيأوي إليها ﴿ فلما تغشاها ﴾ جامعها ﴿ حملت حملاً خفيفاً ﴾ يعني: الطُّفلة والمنى ﴿ فمرّت به ﴾ استمرت بذلك الحمل الخفيف، وقامت وقعدت، ولم يُثقلها ﴿ فلما أثقلت ﴾ صار إلى حال الثقل ودنت ولادتها ﴿ دعوا الله ربهما ﴾ آدم وحواء ﴿ لئن آتيتنا صالحاً ﴾ بشراً سوياً مثلنا ﴿ لنكوننَّ من الشاكرين ﴾ وذلك أنَّ إبليس أتاها في غير صورته التي عرفته، وقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: إنني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أو خنزيراً، وذكرت ذلك لآدم، فلم يزالا في همٍّ من ذلك، ثمَّ أتاها وقال: إن سألتُ الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك أَسْمِيَنه عبد الحارث؟ وكان إبليس في الملائكة الحارث، ولم يزل بها حتى غرّها، فلَمَّا ولدت ولداً سوياً

فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُمْ شُرَكَاءَ فِيمَا أَتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾

الخلق سَمَّته عبد الحارث، فرضي آدم^(١)، فذلك قوله:

﴿١٩٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمَا صَاحِبًا ﴿١﴾ وَلَدًا سَوِيًّا ﴿٢﴾ جَعَلَا لَهُ ﴿٣﴾ شُرَكَاءَ ﴿٤﴾ لِهَ ﴿٥﴾ اللَّهِ ﴿٦﴾ شُرَكَاءَ ﴿٧﴾ يَعْنِي: إِبْلِيسَ، فَأَوْقَعَ الواحد موقع الجميع. ﴿٨﴾ فِيمَا أَتَاهُمَا ﴿٩﴾ مِنَ الْوَلَدِ إِذْ سَمَّيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَبْدًا إِلَّا لِلَّهِ، وَلَمْ تَعْرِفْ حَوَاءَ أَنَّهُ إِبْلِيسَ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا شُرَكَاءَ بِاللَّهِ، لِأَنَّهُمَا لَمْ يَذْهَبَا إِلَى أَنَّ الْحَارِثَ رَبَّهُمَا، لَكِنَّهُمَا قَصِدَا إِلَى أَنَّهُ كَانَ سَبَبَ نَجَاتِهِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿أَتَاهُمَا﴾، ثُمَّ ذَكَرَ كَفَّارَ مَكَّةَ، فَقَالَ: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

﴿١٩١﴾ أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١﴾ يَرِيدُ: أَيْعْبُدُونَ مَا لَا يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا وَهُمْ مَخْلُوقُونَ! عَنِ الْأَصْنَامِ.

﴿١٩٢﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا ﴿١﴾ لَا تَنْصُرُ مَنْ أَطَاعَهَا ﴿٢﴾ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٣﴾ وَلَا يَدْفَعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ مَكْرَهُهُ مَنْ أَرَادَهُمْ بِكَسْرٍ أَوْ نَحْوِهِ، ثُمَّ خَاطَبَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ:

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جُرَيْرٍ ١٤٥/٩ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ، وَذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي الْأَسْبَابِ ص ٢٦٣ عَنْ مُجَاهِدٍ. وَأَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ سَمُرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا حَمَلَتْ حَوَاءَ طَافَ بِهَا إِبْلِيسَ، وَكَانَ لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ، فَقَالَ: سَمَّيْهُ عَبْدَ الْحَارِثِ، فَسَمَّته عبد الحارث فعاش، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرِهِ. وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعاً إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ.

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ: وَهَذَا كُلُّهُ عَلَى قَوْلِ مَنْ يَرَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي آدَمَ وَحَوَاءَ، وَمَنْ يَرَى أَنَّهَا فِي جَمِيعِ الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ أَشَارَ إِلَى مَا كَانَ يَنْسَبُ الْعِبُودِيَّةُ فِي أَبْنَائِهِمْ إِلَى الْأَصْنَامِ، وَعَلَيْهِ ابْنَتِي آخِرُ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيْشُرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا...﴾ إِلَى آخِرِهَا. عَارِضَةُ الْأَحْزَدِيِّ ٢٠٠/١١.

وَقَالَ بَيَانُ الْحَقِّ النِّيسَابُورِيُّ: وَمَنْ حَمَلَ الْآيَةَ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ قَدَّرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ﴾ حَذْفًا، أَيْ: جَعَلَ ذَرِيَّتَهُمَا، كَمَا تَقُولُ: فَعَلْتُ تَغْلِبَ، أَيْ: بَنُو تَغْلِبَ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وَضَحَّ الْبَرْهَانُ ٣٧٤/١.

وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَالِكُمْ قَدْ دَعَوْتُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٧﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ﴿١٩٨﴾ إِنَّ وَلِيَیَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابُ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٩﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٢٠٠﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ خُذِ الْعَفْوَ

﴿١٩٣﴾ ﴿وإن تدعوهم﴾ يعني: المشركين ﴿إلى الهدى لا يتبعوكم...﴾ الآية.

﴿١٩٤﴾ ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ يعني: الأصنام ﴿عباد﴾ مملوكون مخلوقون ﴿أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾ فاعبدوهم هل يشيرونكم أو يجازونكم؟! ﴿إن كنتم صادقين﴾ أن لكم عند الأصنام منفعة، أو ثواباً، أو شفاعَةً، ثم بين فضل الآدمي عليهم فقال:

﴿١٩٥﴾ ﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾ مشي بني آدم ﴿أم لهم أيدي يبطشون بها﴾ يتناولون بها مثل بطش بني آدم ﴿أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم﴾ الذين تعبدون من دون الله ﴿ثم كيدون﴾ أنتم وشركاؤكم ﴿فلا تنظرون﴾ لا تهملون واعجلوا في كيدي.

﴿١٩٦﴾ ﴿إن وليي الله﴾ الذي يتولى حفظي ونصري ﴿الذي نزل الكتاب﴾ القرآن ﴿وهو يتولى الصالحين﴾ الذين لا يعدلون بالله شيئاً. وقوله:

﴿١٩٧﴾ ﴿وتراهم ينظرون إليك﴾ تحسبهم يرونك ﴿وهم لا يبصرون﴾ وذلك لأن لها أعيناً مصنوعة مركبة بالجواهر، حتى يحسب الإنسان أنها تنظر إليه.

﴿١٩٨﴾ ﴿خذ العفو﴾ اقبل الميسور من أخلاق الناس^(١)، ولا تستقص عليهم. وقيل: هو

(١) عن عبد الله بن الزبير في الآية قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

أخرجه البخاري في التفسير ٣٠٥/٨؛ والنسائي في تفسيره ٥١٢/١.

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿١٢١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي

أن يعفو عمن ظلمه، ويصل من قطعه^(١) ﴿وأمر بالعرف﴾ المعروف الذي يعرف حسنه كلُّ أحد. ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ لا تقابل السفه بسفه، فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: كيف يا ربَّ والغضب^(٢)؟ فنزل:

﴿وَأَمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ يعرض لك من الشيطان عارضٌ، ونالك منه أدنى وسوسة ﴿فاستعذ بالله﴾ اطلب النجاة من تلك البلية بالله ﴿إنَّه سميعٌ﴾ لدعائك ﴿عليمٌ﴾ عالمٌ بما عرض لك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ يعني: المؤمنين ﴿إِذَا مَسَّهُمْ﴾ أصابهم ﴿طيفٌ﴾^(٣) من الشيطان عارضٌ من وسوسته ﴿تذكَّروا﴾ استعاذوا بالله ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ مواقع خطيئهم، فيزعون من مخالفة الله.

﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ يعني: الكفار، وهم إخوان الشياطين ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ أي: الشياطين يطوِّلون لهم الإغواء والضلالة ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ عن الضلالة ولا يبصرونها، كما أقصر المتقي عنها حين أبصرها.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ﴾ يعني: أهل مكة ﴿بِآيَةٍ﴾ سألوها ﴿قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ اختلقتها وأنشأتها من قبل نفسك ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ أي: لست آتي

(١) ورد هذا في حديث مُرسَل. أخرجه ابن جرير الطبري ١٥٥/٩.

(٢) وهذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما أخرجه عنه ابن جرير ١٥٧/٩. قلت: وعبد الرحمن ضعيف.

(٣) وهي قراءة: ابن كثير، وأبي عمرو، والكسائي، ويعقوب. الإتحاف ٧٣/٢.

هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٥﴾

بِآيَاتٍ مِنْ قَبْلِ نَفْسِي. ﴿هذا﴾ أَيُّ: هَذَا الْقُرْآنُ الَّذِي أَتَيْتُ بِهِ ﴿بصائر من ربكم﴾ حَجَجٌ وَدَلَالٌ تَعُودُ إِلَى الْحَقِّ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِي تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ^(١)، وَكَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ فِي بَدْءِ الْأَمْرِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي تَرْكِ الْجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ وَرَاءَ الْإِمَامِ. وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي السُّكُوتِ لِلخُطْبَةِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْصِتُوا﴾ أَيُّ: عَمَّا يَحْرُمُ مِنَ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ، أَوْ عَنْ رَفْعِ الصَّوْتِ خَلْفَ الْإِمَامِ، أَوْ اسْكُتُوا لاسْتِمَاعِ الْخُطْبَةِ.

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ يَعْنِي: الْقِرَاءَةَ فِي الصَّلَاةِ ﴿تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ اسْتِكَانَةً لِي وَخَوْفًا مِنْ عَذَابِي ﴿وَدُونَ الْجَهْرِ﴾ دُونَ الرَّفْعِ ﴿مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ بِالْبُكْرِ وَالْعَشِيِّاتِ. أَمْرٌ أَنْ يَقْرَأَ فِي نَفْسِهِ فِي صَلَاةِ الْإِسْرَارِ، وَدُونَ الْجَهْرِ فِيمَا يَرْفَعُ بِهِ الصَّوْتُ ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ الَّذِينَ لَا يَقْرَءُونَ فِي صَلَاتِهِمْ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: الْمَلَائِكَةُ، وَهُمْ بِالْقَرَبِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أَيُّ: هُمْ مَعَ مِثْلَتِهِمْ وَدَرَجَتِهِمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ. كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَسْتَكْبِرُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يُزَيِّهِونَهُ عَنِ السُّوءِ ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾.

• • •

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٦٢/٩ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَانْظُرْ: أَسْبَابُ النُّزُولِ ص ٢٦٤؛ وَالدر المَشْهُور

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية سبعون وخمس آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿يسألونك عن الأنفال﴾ الغنائم، لمن هي؟ نزلت حين اختلفوا في غنائم بدر، فقال الشُّبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا الحرب، وقالت الأشياخ: كنا رداءً لكم؛ لأننا وقفنا في المصافِّ مع رسول الله ﷺ، ولو انهزمتمهم لانحزمت إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، فأنزل الله تعالى (٢): ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ يضعها حيث يشاء من غير مشاركة فيها، فقسمها بينهم على السَّواء ﴿فاتقوا الله﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾ حقيقة وصلكم، أي: لا تخالفوا ﴿وأطيعوا الله ورسوله﴾ سلّموا لهما في الأنفال؛ فإنَّهما يحكمان فيها ما أرادا ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، ثم وصف المؤمنين فقال:

﴿٢﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴿٢﴾ أي: المؤمن الذي إذا خُوف

(١) زيادة من ظا.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم ٣٢٦/٢، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي؛ وأبو داود برقم ٢٧٣٧ والنسائي في تفسيره ٥١٥/١ وابن حبان في صحيحه برقم ١٧٤٣؛ والبيهقي في السنن ٢٩١/٦.

وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ ءَايَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِن بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَكُنْمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ

بالله فرق قلبه، وانقاد لأمره ﴿وَإِذَا تَلَّيْت عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقاً و يقيناً ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ بالله يثقون لا يرجون غيره.

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقاً من غير شك، لا كإيمان المنافقين ﴿لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: درجات الجنة ﴿وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو رزق الجنة.

﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ أي: امض لأمر الله في الغنائم وإن كره بعضهم ذلك؛ لأنَّ الشُّبَّان أرادوا أن يستبدُّوا به، فقال الله تعالى: أعط مَنْ شِئْتَ وإن كرهوا، كما مضيت لأمر الله في الخروج وهم له كارهون. ومعنى ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ﴾ أمرك بالخروج من المدينة لغير قريش ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالوحي الذي أتاك به جبريل ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ الخروج معك كراهة الطَّبَع لاحتمال المشقة؛ لأنَّهم علموا أنَّهم لا يظفرون بالغير دون القتال.

﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ في القتال بعد ما أمرت به، وذلك أنَّهم خرجوا للغير، ولم يأخذوا أهبة الحرب، فلمَّا أمروا بحرب التَّغِيرِ شَقَّ عَلَيْهِمْ ذلك، فطلبوا الرُّخْصَةَ في ترك ذلك، فهو جدالهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: لشدة كراهيتهم للقاء القوم كأنَّهم يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ عِيَانًا.

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النَّعِير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ أي: العير التي لا سلاح فيها تكون لكم ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحَقِّقَ

الْحَقَّ بِكَلِمَتِهِ وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ

الحق﴾ يُظْهِرُهُ وَيُعْلِيهِ ﴿بكلماته﴾ بِعَدَاتِهِ الَّتِي سَبَقَتْ بِظُهُورِ الْإِسْلَامِ ﴿ويقطع دابر الكافرين﴾ آخِر مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ. يَعْنِي: إِنَّهُ إِنَّمَا أَمْرُكُمْ بِحَرْبِ قُرَيْشٍ لِهَذَا.

﴿لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ﴾ أَيُّ: وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ وَيُعْلِيَهُ ﴿ويبطل الباطل﴾ وَيُهْلِكُ الْكُفْرَ وَيُقْنِيهِ ﴿ولو كره المجرمون﴾ ^(١) ذَلِكَ.

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تَطْلُبُونَ مِنْهُ الْمَعُونَةَ بِالنَّصْرِ عَلَى الْعَدُوِّ لَقَلَّتْكُمْ ﴿فاستجاب لكم أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ مُتَابِعِينَ، جَاءُوا بَعْدَ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ فَتَحَ الدَّالَّ ^(٢) أَرَادَ: بِأَلْفٍ أَرَدَفَ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ.

﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَيُّ: الْإِرْدَافَ ﴿إِلَّا بُشْرَى﴾ الْآيَةُ مَاضِيَةٌ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ^(٣).

﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسُ أَمَنَةً مِنْهُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَّنَهُمْ أَمْنًا غَشِيَهُمُ النُّعَاسُ مَعَهُ، وَهَذَا كَمَا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ^(٤). ﴿وَيُنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا بَايَعُوا الْمُشْرِكِينَ بِيَدِ أَصَابَتِ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ جَنَابَاتٍ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ قَدْ سَبَقُوهُمْ إِلَى الْمَاءِ، فَوَسَّسَ إِلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، وَقَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تَرْجُونَ الظَّفَرَ وَقَدْ غَلَبَكُمْ عَلَى الْمَاءِ؟ وَأَنْتُمْ تُصَلُّونَ مُجَنِّبِينَ وَمُحَدِّثِينَ، وَتَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَفِيكُمْ نَبِيُّهُ ^(٥)؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى مَطَرًا سَالَ مِنْهُ الْوَادِي حَتَّى اغْتَسَلُوا، وَزَالَتِ الْوَسْوسَةُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ أَيُّ: مِنْ

(١) فِي الْمَخْطُوطَاتِ كُلِّهَا: «وَلَوْ كَرِهَ» (٣) رَاجِعٌ ص ٢٣٠.

(٤) انْظُرْ ص ٢٣٨. الْمُشْرِكُونَ، وَهُوَ خَطَأٌ.

(٢) قَرَأَ «مُرْدِفِينَ» بِفَتْحِ الدَّالِّ نَافِعٌ وَأَبُو جَعْفَرٍ (٥) وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَيَعْقُوبُ. الْإِتْحَافُ ص ٢٣٦.

وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلَتْنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ كَيْفَ فَذَوْقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُؤَلِّهْهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ

الأحداث والجنابات ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان﴾ وسوسته التي تكسب عذاب الله ﴿وليربط﴾ به ﴿على قلوبكم﴾ باليقين والنصر ﴿ويثبت به الأقدام﴾ وذلك أنهم كانوا قد نزلوا على كتيب تغوص فيه أرجلهم، فلبَّده المطر حتى ثبتت عليه الأقدام.

﴿١٢﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ ﴿الذين أمدَّ بهم المسلمون﴾ ﴿أنِّي معكم﴾ بالعون والنصرة ﴿فثبتوا الذين آمنوا﴾ بالتبشير بالنصر، وكان الملك يسير أمام الصف على صورة رجلٍ ويقول: أبشروا؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكُمْ ﴿سألني في قلوب الذين كفروا الرعب﴾ الخوف من أوليائي ﴿فأضربوا فوق الأعناق﴾ أي: الرؤوس ﴿وأضربوا منهم كلَّ بنان﴾ أي: الأطراف من اليدين والرجلين.

﴿١٣﴾ ذَلِكَ ﴿الضرب﴾ ﴿بأنهم شاقوا الله ورسوله﴾ باينوهما وخالفوهما. ﴿١٤﴾ ذَلِكَ ﴿القتل والضرب ببدر﴾ فذوقوه وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿بعدما نزل بهم من ضرب الأعناق﴾.

﴿١٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا ﴿مجتمعين مُتدائنين إليكم للقتال﴾ ﴿فلا تولوهم الأدبار﴾ لا تجعلوا ظهوركم ممَّا يليهم.

﴿١٦﴾ ﴿وَمَنْ يُؤَلِّهْهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم لقاء الكفار ﴿دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ مُنْعِطًا مُسْتَطَرِدًا يطلب العودة ﴿أو متحيزًا﴾ مُنْضَمًّا ﴿إلى فئة﴾ لجماعة يريدون العود إلى

فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَفْهِحُوا

القتال ﴿فقد باء بغضب من الله...﴾ الآية. وأكثر المفسرين على أن هذا الوعيد، إنما كان لمن فر يوم بدر، وكان هذا خاصاً للمنهزم يوم بدر^(١).

﴿١٧﴾ ﴿فلم تقتلوهم﴾ يعني: يوم بدر ﴿ولكن الله قتلهم﴾ بتسبيبه ذلك، من المعونة عليهم وتشجيع القلب ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وذلك أن جبريل عليه السلام قال للنبي عليه السلام يوم بدر: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، فأخذ رسول الله ﷺ قبضة من حصي الوادي، فرمى بها في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل عينيه منها شيء^(٢)، وكان ذلك سبب هزيمتهم، فقال الله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ أي: إن كفاً من حصي لا يملأ عيون ذلك الجيش الكثير برمية بشر، ولكن الله تعالى تولى إيصال ذلك إلى أبصارهم ﴿وليبلّي المؤمنين منه بلاءً حسناً﴾ وينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة فعل ذلك. ﴿إن الله سميعٌ لدعائهم﴾ عليهم ﴿بنياتهم﴾.

﴿١٨﴾ ﴿ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين﴾ يهنيء رسوله بإيهاه كيد عدوه، حتى قُتلت جابرتهم، وأسر أشرافهم.

﴿١٩﴾ ﴿إن تستفتحوا﴾ هذا خطاب للمشركين، وذلك أن أبا جهل قال يوم بدر^(٣): اللهم

(١) قال عبد الله بن عمر في الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾: إنما أنزلت هذه لأهل بدر، لا لقبها ولا لبعدها.

أخرجه النسائي في التفسير ٥١٧/١؛ وسنده حسن.

(٢) وهذا قول أكثر المفسرين. وأخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي والسدي وابن زيد وغيرهم. تفسير الطبري ٢٠٥/٩؛ وأسباب النزول ص ٢٦٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٤٣١/٥؛ والنسائي في التفسير ٥١٨/١؛ وابن جرير ٢٠٧/٩؛ عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير وكذا الحاكم ٣٢٨/٢، ورجاله ثقات.

فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

انصر أفضل الدِّينين، وأهدى الفتنين، فقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ تستنصروا لأهدى الفتنين ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ النَّصْر ﴿وَإِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الشُّرْك بالله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا﴾ لقتال مُحَمَّدٍ ﴿نَعُدْ﴾ عليكم بالقتل والأسر ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ﴾ تدفع عنكم ﴿فِتْنَتُكُمْ﴾ جماعتكم ﴿شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ في العدد ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فالتَّصْر لهم.

﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ لَا تُعْرِضُوا عَنْهُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ ما نزل من القرآن.

﴿٢١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا سَمَاعٌ قَابِلٌ، وليسوا كذلك، يعني: المنافقين، وقيل: أراد المشركين؛ لِأَنَّهُمْ سَمِعُوا وَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِيمَا سَمِعُوا، فَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ.

﴿٢٢﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ يريد نفراً من المشركين كانوا صُمًّا عَنِ الْحَقِّ، فَلَا يَسْمَعُونَهُ، بُكْمًا عَنِ التَّكَلُّمِ بِهِ. بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ هَؤُلَاءِ شَرُّ مَا دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْحَيَوَانِ.

﴿٢٣﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَوْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَصْلَحُونَ بِمَا يُورَدُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ حُجْجِهِ وَأَيَّاتِهِ ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ إِيَّاهَا سَمَاعٌ تَفْهَمُ ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك و ﴿لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

﴿٢٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ أَجِيبُوا لَهَا بِالطَّاعَةِ ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

يُحْيِيكُمْ ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ۚ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا
 فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ۖ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾
 وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَخطفْكُمْ النَّاسُ فَيَكُونُوا
 وَأَيْدِيكُمْ بِنَصْرِهِ ۚ وَرَزَقْكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَا تَخُونُوا اللَّهَ
 وَالرَّسُولَ

يحييكم﴾ يعني: الجهاد؛ لأنَّ به يحيا أمرهم ويقوى، ولأنَّه سبب الشَّهادة،
 والشُّهداء أحياءٌ عند ربهم، ولأنَّه سببٌ للحياة الدَّائمة في الجَنَّة ﴿واعلموا أنَّ الله
 يحول بين المرء وقبلة﴾ يحول بين الإنسان وقبلة، فلا يستطيع أن يؤمن إلا بإذنه،
 ولا أن يكفر، فالقلوب بيد الله تعالى يُقلِّبها كيف يشاء ﴿وأنَّه إليه تحشرون﴾
 للجزاء على الأعمال.

﴿واتقوا فتنة...﴾ الآية. أمر الله تعالى المؤمنين ألا يُقرِّوا المنكر بين أظهرهم،
 فيعمَّهم الله بالعذاب، والفتنة ها هنا: إقرار المنكر، وترك التَّغيير له، وقوله:
 ﴿لا تصيبَنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾ أي: تصيب الظَّالم والمظلوم، ولا تكون
 للظَّلمة وحدهم خاصَّة، ولكِنَّها عامَّة، والتَّقدير: واتَّقوا فتنة، إن لا تتقوها
 لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصَّة، أي: لا تقع بالظَّالِّمين دون غيرهم، ولكنها
 تقع بالصَّالحين والطَّالحين ﴿واعلموا أنَّ الله شديد العقاب﴾ حثٌّ على لزوم
 الاستقامة خوفاً من الفتنة، ومن عقاب الله بالمعصية فيها.

﴿واذكروا﴾ يعني: المهاجرين ﴿إذ أنتم قليل﴾ يعني: حين كانوا بمكَّة في عنفوان
 الإسلام قبل أن يُكملوا أربعين ﴿مستضعفون في الأرض﴾ يعني: أرض مكَّة
 ﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾ المشركون من العرب لو خرجتم منها ﴿فأواكم﴾
 جعل لكم مأوىً ترجعون إليه، وضمَّكم إلى الأنصار ﴿وأيدكم بنصره﴾ يوم بدرٍ
 بالملائكة ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ يعني: الغنائم أحلَّها لكم ﴿لعلكم تشكرون﴾
 كي تطيعوا.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله﴾ بترك فرائضه ﴿والرسول﴾ بترك سنَّته

وَتَخَوَّنُوا أَمَانَتَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ مَا أَمْلَأَكُمْ وَأَوَلَدَكُمْ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا

﴿وتخونوا﴾ أي: ولا تخونوا ﴿أماناتكم﴾ وهي كل ما ائتمن الله عليها العباد، وكل أحد مؤتمن على ما افترض الله عليه ﴿وأنتم تعلمون﴾ أنها أمانة من غير شبهة. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي لبابة^(١) حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا له: ما ترى لنا؟ أنزل على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه، أنه الذبح، فلا تفعلوا، وكانت منه خيانة لله ورسوله.

﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ أي: محنة يظهر بها ما في النفس من اتباع الهوى أو تجنبه، ولذلك مال أبو لبابة إلى قريظة في إطلاعهم على حكم سعد؛ لأن ماله وولده كانت فيهم ﴿وأن الله عنده أجر عظيم﴾ لمن أدى الأمانة ولم يخن.

﴿يا أيها الذين آمنوا إن تقوا الله﴾ باجتناب الخيانة فيما ذكر ﴿يجعل لكم فرقانا﴾ يفرق بينكم وبين ما تخافون، فتنجون ﴿ويكفر عنكم سيئاتكم﴾ يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿والله ذو الفضل العظيم﴾ لا يمنعكم ما وعدكم على طاعته.

﴿وإذ يمكر بك الذين كفروا﴾ وذلك أن مشركي قريش تأمروا في دارة الندوة في شأن محمد عليه السلام^(٢)، فقال بعضهم: قيّدوه نترصد به ريب المنون، وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل - لعنه الله - : ما هذا برأي، ولكن اقتلوه، بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل، فيضربوه ضربة رجل

(١) وهذا قول الزهري. أخرجه ابن جرير ٢٢١/٩.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٢٢٧/٩؛ والبيهقي في الدلائل ٤٦٦/٢؛ وأبو نعيم في

دلائل النبوة ص ١٥٦ من طريق ابن إسحاق.

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنَّا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا آيَاتٌ مِمَّا نَدَّيْكَ ۖ فَانزِلْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾

واحد، فإذا قتلوه تفرَّق دمه في القبائل، فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلها، فأوحى الله تعالى إلى نبيه بذلك، وأمره بالهجرة، فذلك قوله: ﴿ليثبتوك﴾ أي: ليوثقوك ويشدوك ﴿أو يقتلوك﴾ بأجمعهم قتلة رجل واحد، كما قال اللعين أبو جهل، ﴿أو يخرجوك﴾ من مكة إلى طرف من أطراف الأرض ﴿ويمكرون ويمكر الله﴾ أي: يجازيهم جزاء مكرهم بنصر المؤمنين عليهم ﴿والله خير الماكرين﴾ أفضل المجازين بالسيئة العقوبة، وذلك أنه أهلك هؤلاء الذين دبّروا لنبيه الكيد، وخلّصه منهم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا...﴾ الآية. كان النضر بن الحارث خرج إلى الحيرة تاجراً، واشترى أحاديث قليلة ودمنة، فكان يقعد به مع المستهزين، فيقرأ عليهم، فلمّا قصّ رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النضر بن الحارث: لو شئت لقلت مثل هذا، إن هذا إلا ما سطر الأولون في كتبهم^(١)، وقال النضر أيضاً^(٢):

﴿اللهم إن كان هذا الذي يقوله محمدٌ حقاً﴾ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ﴿كما أمطرتها على قوم لوط﴾ أو اثنتا بعذاب أليم ﴿أي: ببعض ما عذبت

(١) أخرجه ابن جرير ٢٣١/٩ عن السدي.

(٢) وهذا قول مجاهد وعطاء. أخرجه ابن جرير ٢٣٢/٩، والمؤلف في الأسباب ص ٢٧٠.

وأصح منه ما جاء عن أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: «اللهم إن كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فتزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.

أخرجه البخاري في التفسير ٣٠٨/٨؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٩٦.

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۖ إِنْ أَوْلِيَائِهِمْ إِلَّا الْمُتَفَقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

به الأمم. حمله شدة عداوة النبي ﷺ على إظهار مثل هذا القول، ليوهم أنه على بصيرة من أمره، وغاية الثقة في أمر محمد، أنه ليس على حق.

﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾ وما كان الله ليعذب المشركين وأنت مقيم بين أظهرهم؛ لأنه لم يعذب الله قرية حتى يخرج النبي منها والذين آمنوا معه ﴿وما كان الله﴾ معذب هؤلاء الكفار وفيهم المؤمنون ﴿يستغفرون﴾ يعني: المسلمين، ثم قال:

﴿وما لهم ألا يعذبهم الله﴾ أي: ولم لا يعذبهم الله بالسيف بعد خروج من عنى بقوله: ﴿وهم يستغفرون﴾ من بينهم ﴿وهم يصدون﴾ يمنعون النبي والمؤمنين ﴿عن المسجد الحرام﴾ أن يطوفوا به ﴿وما كانوا أولياءه﴾ وذلك أنهم قالوا: نحن أولياء المسجد، فرد الله عليهم بقوله: ﴿إن أولياؤه إلا المتقون﴾ يعني: المهاجرين والأنصار ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ غيب علمي وما سبق في قضائي.

﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديَةً﴾ أي: صغيراً وتصفيقاً، وكانت قریش يطوفون بالبيت عراً يُصَفِّقُونَ وَيُصَفِّقُونَ، جعلوا ذلك صلاة لهم، فكان تقرُّبهم إلى الله بالصَّفير والصَّفِّيق^(١) ﴿فذوقوا العذاب﴾ ببدر ﴿بما كنتم تكفرون﴾ تجحدون توحيد الله تعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نزلت في المُتَفَقِينَ على حرب رسول الله ﷺ أَيَّامَ بَدْرٍ^(٢)،

(١) انظر: أسباب النزول ص ٢٧١.

(٢) وهذا قول مقاتل والكلبي، وذكرهم المؤلف في الأسباب ص ٢٧١، وهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه، ومنبه ابنا حجاج، وأبو البخري بن هشام، والنضر بن =

يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ آتَهُوا قَاتِ اللَّهِ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٣٩﴾

وكانوا اثني عشر رجلاً^(١). قال تعالى: ﴿فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾
بذهاب الأموال، وفوات المرات.

﴿٣٧﴾ ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ أي: إنما تحشرون إلى جهنم ليميز بين أهل الشقاوة، وأهل السعادة ﴿ويجعل الخبيث﴾ أي: الكافر، وهو اسم الجنس ﴿بعضه على بعض﴾ يلحق بعضهم ببعض ﴿فيركمه جميعاً﴾ أي: يجمعه حتى يصير كالسحاب المركوم ثم ﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾ لأنهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة.

﴿٣٨﴾ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أبي سفيان وأصحابه: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن الشرك وقتال المؤمنين ﴿يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ تقدّم من الزنا والشرك؛ لأنّ الحربي إذا أسلم عاد كمثله يوم ولدته أمه ﴿وإن يعودوا﴾ للقتال ﴿فقد مضت سنة الأولين﴾ بنصر الله رسله ومن آمن على من كفر.

﴿٣٩﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ كفر ﴿ويكون الدين كله لله﴾ لا يكون مع دينكم كفر في جزيرة العرب ﴿فإن انتهوا﴾ عن الشرك ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ يجازيهم مجازاة البصير بهم وبأعمالهم.

الحارث، وحكيم بن حزام، وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر، والعباس بن عبد المطلب. وذكرهم ابن حبيب في المحبر ص ١٦٢.

(١) المصدر السابق.

وإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَكُمْ نِعَمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٤١﴾ * وَعَلِمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامِنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْصِيلِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ

﴿وإن تولوا﴾ أبوا أن يدعوا الشُّرك وقاتل محمد ﴿فاعلموا أن الله مولاكم﴾ ناصركم يا معشر المؤمنين .

الجزء العاشر :

﴿واعلموا أنما غنمتم من شيء﴾ أخذتموه قسراً من الكفار ﴿فإن لله خمس﴾ هذا تزيين لافتتاح الكلام، ومصرف الخمس إلى حيث ذكر، وهو قوله: ﴿وللرسول﴾ كان له خمس الخمس يصنع فيه ما شاء، واليوم يُصرف إلى مصالح المسلمين ﴿ولذي القربى﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين حُرِّمَتْ عليهم الصَّدَقَاتُ المفروضة، لهم خمس الخمس من الغنيمة ﴿واليتامى﴾ وهم أطفال المسلمين الذين هلك آبائهم، يُنفق عليهم من خمس الخمس ﴿والمساكين﴾ وهم أهل الحاجة والفاقة من المسلمين، لهم أيضاً خمس الخمس ﴿وابن السبيل﴾ المنقطع به في سفره، فخمس الغنيمة يقسم على خمسة أخماس كما ذكره الله تعالى، وأربعة أخماسها تكون للغانمين، وقوله: ﴿إن كنتم آمنتم بالله﴾ أي: فافعلوا ما أمرتم به في الغنيمة إن كنتم آمنتم بالله ﴿وما أنزلنا على عبدنا﴾ يعني: هذه السُّورة ﴿يوم الفرقان﴾ اليوم الذي فرقت به بين الحقِّ والباطل ﴿يوم التقى الجمعان﴾ حزب الله، وحزب الشَّيْطَان ﴿والله على كلِّ شيء قدير﴾ إذ نصركم الله وأنتم أقلَّةٌ أذلةٌ .

﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا﴾ نزولٌ بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة، وعدوكم نزولٌ بشفير الوادي الأقصى إلى مكة ﴿والركب﴾ أبو سفيان وأصحابه، وهم أصحاب الإبل . يعني: العير ﴿أسفل منكم﴾ إلى ساحل البحر ﴿ولو تواعدتم﴾ للقتال

لَا خَتْلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلَيْهِ يُدَاتِ الصَّدُورَ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

﴿لاختلفتم في الميعاد﴾ لتأخرتم فنقضتم الميعاد لكثرتهم وفلتكم ﴿ولكن﴾ جمعكم الله من غير ميعاد ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ في علمه وحكمه من نصر النبي ﷺ والمؤمنين. ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة﴾ أي: فعل ذلك ليضل ويكفر من كفر من بعد حجة قامت عليه، وقطعت عذره، ويؤمن من آمن على مثل ذلك، وأراد بالبينّة نصره المؤمنين مع قتلهم على ذلك الجمع الكثير مع كثرتهم وشوكتهم ﴿وإن الله لسميع﴾ لدعائكم ﴿عليم﴾ بنياتكم.

﴿٤٢﴾ ﴿إذ يريكمهم الله في منامك﴾ عينك، وهو موضع النوم ﴿قليلًا﴾ لتحقرهم وتجتروا عليهم ﴿ولو أراكمهم كثيراً لفشلتم﴾ لجبشتم وتأخرتم عن حربهم ﴿ولتنازعتم في الأمر﴾ واختلفت كلمتكم ﴿ولكن الله سلم﴾ عصمكم وسلمكم من المخالفة فيما بينكم ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ علم ما في صدوركم من اليقين، ثم خاطب المؤمنين جميعاً بهذا المعنى فقال:

﴿٤٣﴾ ﴿إذ يريكمهم إذ التقيتم في أعينكم قليلًا﴾ قال ابن مسعود^(١): لقد قُللوا في أعيننا يوم بدرٍ حتى قلت لرجلٍ إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، وأسرنا رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً. ﴿ويقللکم في أعينهم﴾ ليجتروا عليكم ولا يرجعوا عن قتالكم ﴿ليقضي الله أمراً كان مفعولاً﴾ في علمه بنصر الإسلام وأهله، وذلّ الشّرك وأهله ﴿وإلى الله ترجع الأمور﴾ وبعد هذا إليّ مصيركم، فأكرم أوليائي، وأعاقب أعدائي.

يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتُمْ فِتْنَةً فَاقْبَتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾
 وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾
 وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ
 النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ
 إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة﴾ جماعة كافرة ﴿فاقبتوا﴾ لقتالهم ولا تنهزموا
 ﴿واذكروا الله كثيراً﴾ ادعوه بالنصر عليهم ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا
 في الجنة، فإنهما خصلتان؛ إما الغنيمة؛ وإما الشهادة.
 ﴿وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا﴾ ولا تختلفوا ﴿فتفشلوا﴾ تجنبوا ﴿وتذهب
 ريحكم﴾ جلدكم وجراتكم ودولتكم.
 ﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم﴾ يعني: التَّغِيرَ ﴿بطراً﴾ طغياناً في النعمة،
 للجميل مع إبطان القبيح ﴿ويصدون عن سبيل الله﴾ لمعاداة المؤمنين وقتالهم
 ﴿والله بما يعملون محيطٌ﴾ عالم فيجازيهم به.
 ﴿واذ زين لهم الشيطان أعمالهم...﴾ الآية. وذلك أَنَّ قريشاً لما أجمعت المسير
 خافت كنانة وبني مدلج لطوائل كانت بينهم، فتبدئ لهم إبليس [في جنده] على
 صورة سُرَاقَة بن مالك بن جعشم الكناني ثم المدلجي، فقالوا له: نحن نريد قتال
 هذا الرّجل، ونخاف من قومك، فقال لهم: أنا جارٌ لكم^(١)، أي: حافظٌ من
 قومي، فلا غالب لكم اليوم من النَّاسِ ﴿فلما تراءت الفئتان﴾ التقى الجمعان
 ﴿نكص على عقبيه﴾ رجع مولياً، فقليل له: يا سُرَاقَة، أفراراً من غير قتال؟! فقال:
 ﴿إني أرى ما لا ترون﴾ وذلك أَنَّهُ رأى جبريل مع الملائكة جاؤوا لنصر المؤمنين
 ﴿إني أخاف الله﴾ أَن يهلكني فيمن يهلك ﴿والله شديد العقاب﴾.

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذْنُوبُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغِيرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغِيرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿٤٩﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴿٤٩﴾ وهم قومٌ أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلَمَّا خرجت قريش لحرب رسول الله ﷺ خرجوا معهم، وقالوا: نكون مع أكثر الفتيين، فلَمَّا رَأَوْا قُلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قالوا: ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾ إِذْ خرجوا مع قُلَّتِهِمْ يقاتلون الجمع الكثير، ثُمَّ قُتِلُوا جميعاً مع المشركين. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُسَلِّمُ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ قَوِيٌّ مَنِيعٌ﴾ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِي خَلْقِهِ.

﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ ﴿٥٠﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿٥٠﴾ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ ﴿٥٠﴾ يَأْخُذُونَ أَرْوَاحَهُمْ. يعني: مَنْ قُتِلُوا بِبَدَنِ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٥٠﴾ مقاديرهم إِذَا أَقْبَلُوا إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَا خَيْرُهُمْ إِذَا وَلَّوْا ﴿٥٠﴾ وَذُوقُوا ﴿٥٠﴾ أَيُّ: وَيَقُولُونَ لَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ: ذُوقُوا بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿٥٠﴾ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾.

﴿٥١﴾ ذَلِكَ ﴿٥١﴾ أَيُّ: هَذَا الْعَذَابُ ﴿٥١﴾ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ ﴿٥١﴾ بِمَا كَسَبْتُمْ وَجَنَيْتُمْ ﴿٥١﴾ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ لِأَنَّهُ حَكَمَ فِيمَا يَقْضِي.

﴿٥٢﴾ كَذَابٍ آلِ فِرْعَوْنَ... ﴿٥٢﴾ الْآيَةُ. يريد: عَادَةُ هَؤُلَاءِ فِي التَّكْذِيبِ كَعَادَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِمْ عَقُوبَتَهُ، كَمَا أَنْزَلَ بِآلِ فِرْعَوْنَ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ قَادِرٌ لَا يَغْلِبُهُ شَيْءٌ ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لَمَنْ كَفَرَ بِهِ وَكَذَّبَ رُسُلَهُ.

﴿٥٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ... ﴿٥٣﴾ الْآيَةُ. إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَطْعَمَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ جُوعٍ، وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ، وَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُحَمَّدًا رَسُولًا، وَكَانَ هَذَا كُلُّهُ مِمَّا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَكُنْ

كَذَّابٍ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا
 ءَالَ فِرْعَوْنَ ۖ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾
 الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي
 الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَخَافُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَإِنِذْ
 إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ ﴿٥٨﴾

يُغَيِّرُ عَلَيْهِمْ لَوْ لَمْ يُغَيِّرُوا هُمْ، وَتَغْيِيرُهُمْ كَفَرُهُمْ بِهَا وَتَرْكُهُمْ شُكْرَهَا، فَلَمَّا غَيَّرُوا
 ذَلِكَ غَيَّرَ اللَّهُ مَا بِهِمْ، فَسَلَبَهُمُ النِّعْمَةَ وَأَخَذَهُمْ، ثُمَّ نَزَلَ فِي يَهُودِ قَرِيظَةَ:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ...﴾ الآية. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ نَقَضُوا عَهْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَعَانُوا
 عَلَيْهِ مُشْرِكِي مَكَّةَ بِالسَّلَاحِ، ثُمَّ اعْتَذَرُوا وَقَالُوا: أَخْطَأْنَا، فَعَاهَدَهُمْ ثَانِيَةً فَنَقَضُوا
 الْعَهْدَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾
 عِقَابَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ.

﴿فَإِنَّمَا تَتَّقَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ فَإِنْ أَدْرَكْتَهُمْ فِي الْقِتَالِ وَأَسْرَتَهُمْ ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ
 خَلَفَهُمْ﴾ فَافْعَلْ بِهِمْ فِعْلًا مِنَ التَّنْكِيلِ وَالْعُقُوبَةِ يَفْرُقُ بِهِ جَمْعُ كُلِّ نَاقِضٍ عَهْدٍ،
 فَيَعْتَبِرُوا بِمَا فَعَلْتَ بِهِؤَلَاءِ، فَلَا يَنْقُضُوا الْعَهْدَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُمْ
 يَذْكُرُونَ﴾.

﴿وَإِنَّمَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ تَعْلَمَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ﴾ نَقَضُوا لِلْعَهْدِ بِدَلِيلٍ يَظْهَرُ لَكَ
 ﴿فَإِنِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ أَيِ: انْبِذْ عَهْدَهُمُ الَّذِي عَاهَدْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ لِتَكُونَ أَنْتَ وَهُمْ
 سَوَاءً فِي الْعِدَاوَةِ، فَلَا يَتَوَهَّمُوا أَنَّكَ نَقَضْتَ الْعَهْدَ بِنَصَبِ الْحَرْبِ، أَيِ: أَعْلَمَهُمْ
 أَنَّكَ نَقَضْتَ عَهْدَهُمْ لِثَلَا يَتَوَهَّمُوا بِكَ الْغَدْرَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾ الَّذِينَ
 يَخُونُونَ فِي الْعُهُودِ وَغَيْرِهَا.

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا

﴿٥٩﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ^(١) الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴿٥٩﴾ وذلك أَنَّ مَنْ أَفْلَتَ مِنْ حَرْبٍ بِدَرٍ مِنَ الْكُفَّارِ خَافُوا أَنْ يَنْزَلَ بِهِمْ هَلَكَةٌ فِي الْوَقْتِ، فَلَمَّا لَمْ يَنْزِلْ طَغَوْا وَبَغَوْا، فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَحْسَبَنَّهُمْ سَبَقُونَا بِسَلَامَتِهِمْ الْآنَ فَ ﴿٥٩﴾ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَا ﴿٥٩﴾ سَا وَلَا يَفُوتُونَنَا فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَ مِنَ الْأَوْقَاتِ.

﴿٦٠﴾ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ﴿٦٠﴾ أَيُّ: خَذُوا الْعُدَّةَ لِعَدُوِّكُمْ ﴿٦٠﴾ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴿٦٠﴾ مِمَّا تَتَّقُونَ بِهِ عَلَى حَرْبِهِمْ، مِنَ السَّلَاحِ وَالْقَسِيِّ وَغَيْرِهِمَا^(٢) ﴿٦٠﴾ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴿٦٠﴾ مِمَّا يَرْتَبِطُ مِنَ الْفَرَسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٦٠﴾ تُرْهِبُونَ بِهِ ﴿٦٠﴾ تَخَوُّفُونَ بِهِ بِمَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿٦٠﴾ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾ مُشْرِكِي مَكَّةَ وَكُفَّارَ الْعَرَبِ ﴿٦٠﴾ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ ﴿٦٠﴾ وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴿٦٠﴾ لَأَنْتُمْ مَعَكُمْ يَقُولُونَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَغْزُونَ مَعَكُمْ، وَالْمُنَافِقُ يَرِيبُهُ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ ﴿٦٠﴾ مِنْ آلَةٍ، وَسِلَاحٍ، وَصَفَرَاءَ، وَبَيْضَاءَ ﴿٦٠﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٦٠﴾ طَاعَةَ اللَّهِ ﴿٦٠﴾ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ ﴿٦٠﴾ يَخْلِفُ لَكُمْ فِي الْعَاجِلِ، وَيُوَفِّرُ لَكُمْ أَجْرَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَنْقُصُونَ مِنَ الثَّوَابِ.

﴿٦١﴾ وَإِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ ﴿٦١﴾ مَالُوا إِلَى الصُّلْحِ ﴿٦١﴾ فَاجْنَحْ لَهَا ﴿٦١﴾ فَمَلَّ إِلَيْهَا. يَعْنِي:

(١) قَرَأَ «تَحْسَبَنَّ» بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ السَّيْنِ: نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَالْكَسَائِيُّ، وَيَعْقُوبٌ، وَخَلْفٌ.

(٢) عَنْ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيَ.

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الرَّمْيِ، بِرَقْمِ ١٩١٧؛ وَأَبُو دَاوُدَ فِي الْجِهَادِ بِرَقْمِ ٢٥١٤؛ وَالتِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْمِ ٣٠٨٣.

وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ
بَيْتَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ
أَتْبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ

المشركين واليهود، ثُمَّ نسخ^(١) هذا بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾^(٢).
﴿وتوكل على الله﴾ ثَقُ بِهِ ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿العليم﴾ بما في قلوبكم.

﴿٦٢﴾ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ بِالصُّلْحِ لَتَكْفَ عَنْهُمْ ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ أَيُّ: فالذي
يتولَّى كفايتك الله ﴿هو الذي أيدك﴾ قَوَاك ﴿بنصره﴾ يوم بدرٍ ﴿وبالمؤمنين﴾
يعني: الأنصار.

﴿٦٣﴾ ﴿وَأَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ﴾ بَيْنَ قُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخَزْجِ، وَهُمْ الْأَنْصَارُ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴿لِلْعَدَاوَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَهُمْ﴾، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ
بَيْنِهِمْ﴾ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ بِيَدِهِ يُؤَلِّفُهَا كَيْفَ يَشَاءُ ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ
﴿حَكِيمٌ﴾ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُهُ.

﴿٦٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبَكَ اللَّهُ... الآية. أسلم مع النبي ﷺ ثَلَاثَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا،
وَسَتْ نِسْوَةٌ، ثُمَّ أسلم عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية^(٣)، والمعنى: يكفيك
الله، ويكفي من أتبعك من المؤمنين.

﴿٦٥﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ حُضِّهِمْ عَلَى نَصْرِ دِينِ اللَّهِ ﴿إِنْ يَكُنْ

(١) القول بأنها منسوخة أخرجه النحاس في ناسخه ص ١٨٨ عن ابن عباس؛ وابن جرير ٣٤/١٠
عن قتادة والحسن. ثم قال الطبري: فأما ما قاله قتادة وَمَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ مِنْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ
مَنْسُوخَةٌ، فَقَوْلٌ لَا دَلَالَةَ عَلَيْهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا سُنَّةٍ، وَلَا فِطْرَةٍ وَلَا عَقْلِ.. وانظر: الإيضاح المكي
ص ٣٠٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) ذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٧٣ عن ابن عباس؛ والسيوطي في لباب النقول ص ١١٣
وقال: أخرجه البزار بسندٍ ضعيف.

مِّنْكُمْ عَشْرُونَ صَدِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَتُخَذَ فِي الْأَرْضِ تَرْيَدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴿٦٥﴾ يريد: الرَّجُل منكم بعشرة منهم في الحرب، ﴿وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ أي: هم على جهالة، فلا يشتون إذا صدقتموهم القتال خلاف مَنْ يقاتل على بصيرة يرجو ثواب الله، وكان الحكم على هذا زماناً، يُصابِر الواحد من المسلمين العشرة من الكفار، فتضرّعوا وشكوا إلى الله عزَّ وجلَّ ضعفهم، فنزل:

﴿الآن خفف الله عنكم﴾ هوَّن عليكم ﴿وعلم أنَّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾. فصار الرَّجُل من المسلمين برجلين من الكفار، وقوله: ﴿بإذن الله﴾ أي: بإرادته ذلك.

﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى...﴾ الآية. نزلت في فداء أسارى بدر^(١)، فادوهم بأربعة آلاف ألف، فأنكر الله عزَّ وجلَّ على نبيه ﷺ ذلك بقوله: لم يكن لنبي أن يحبس كافراً قَدَّرَ عليه للفداء، فلا يكون له أيضاً حتى يُتخذ في الأرض: يُبالغ في قتل أعدائه ﴿تريدون عرض الدنيا﴾ أي: الفداء ﴿والله يريد الآخرة﴾ يريد لكم الجنة بقتلهم، وهذه الآية بيان عمَّا يجب أن يجتنب من اتَّخاذ الأسرى للمَنْ أو الفداء قبل الإِثخان في الأرض بقتل الأعداء، وكان هذا في يوم بدر، ولم يكونوا قد أئخذوا، فلذلك أنكر الله عليهم، ثمَّ نزل بعده: ﴿فإمَّا متًّا بعدُ وإمَّا فداء﴾^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد برقم ٢٦٩٠؛ والواحدي في الأسباب ص ٢٧٣.

(٢) سورة محمد: الآية ٤.

لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرِ إِن يَعْلَمِ
اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِيَكُم خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُم وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن
يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ

﴿٦٨﴾ ﴿لولا كتاب من الله سبق﴾ يا محمد أن الغنائم وفداء الأسرى لك ولائمتك حلال
﴿لَمَسَّكُمْ فيما أخذتم﴾ من الفداء ﴿عذاب عظيم﴾ فلما نزل هذا أمسكوا أيديهم
عما أخذوا من الغنائم، فتل:

﴿٦٩﴾ ﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله﴾ بطاعته ﴿إِنَّ الله غفور﴾ غفر لكم
ما أخذتم من الفداء ﴿رحيم﴾ رحمكم لأنكم أولياؤه.

﴿٧٠﴾ ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾ إرادة
للإسلام ﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ من الفداء. يعني: إن أسلمتم وعلم الله
إسلام قلوبكم أخلف عليكم خيراً مما أخذ منكم ﴿ويغفر لكم﴾ ما كان من كفركم
وقتالكم رسول الله ﷺ.

﴿٧١﴾ ﴿وإن يريدوا خيانتك﴾ وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: آمناً بك، ونشهد أنك رسول
الله، فقال الله تعالى: إن خانوك وكان قولهم هذا خيانة ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾
كفروا به ﴿فأمكن منهم﴾ المؤمنون ببدري، وهذا تهديد لهم إن عادوا إلى القتال
﴿والله عليم﴾ بخيانة إن خانوها ﴿حكيم﴾ في تدبيره ومجازاته إيّاهم.

﴿٧٢﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ الآية. نزلت في الميراث كانوا في ابتداء الإسلام
يتوارثون بالهجرة والنصرة، فكان الرجل يُسلم ولا يهاجر، فلا يرث أخاه فذلك
قوله: ﴿الذين آمنوا وهاجروا﴾ هجروا قومهم وديارهم وأموالهم. ﴿والذين آووا
ونصروا﴾ يعني: الأنصار، أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم ﴿أولئك بعضهم

أُولِيَاءَ بَعْضٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ التَّصَرُّؤُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

أولياء بعض ﴿ أي: هؤلاء هم الذين يتوارثون بعضهم من بعض. ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ أي: ليسوا بأولياء، ولا يثبت التوارث بينكم وبينهم ﴿حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين﴾ يعني: هؤلاء الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم ﴿إلا﴾ أن يستنصروكم ﴿على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾ عهدٌ فلا تغدروا ولا تعاونوهم.

﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ أي: لا توارث بينكم وبينهم، ولا ولاية، والكافر وليُّ الكافر دون المسلم ﴿إلا تفعلوه﴾ إلا تعاونوا وتناصروا وتأخذوا في الميراث بما أمرتكم به ﴿تكن فتنة في الأرض﴾ شركٌ ﴿وفساد كبير﴾ وذلك أنَّ المسلم إذا هجر قريبه الكافر كان ذلك أدعى إلى الإسلام، فإن لم يهجره وتوارثه بقي الكافر على كفره، وقوله:

﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا﴾ أي: هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنصرة خلاف من أقام بدار الشرك.

﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾ يعني: الذين هاجروا بعد الحديبية، وهي الهجرة الثانية ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض﴾ نسخ الله

فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

الميراث بالهجرة والحلف بعد فتح مكة^(١). ردَّ الله الموارث إلى ذوي الأرحام: ابن الأخ والعمَّ وغيرهما ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في حكم الله ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

• • •

(١) أخرج النحاس في النسخ والمنسوخ ص ١٩١ عن قتادة، قال: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، كان الرجل إذا أسلم ولم يهاجر لم يرث أخاه، ونسخ ذلك قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنيّة وهي مائة وتسع وعشرون آية] (١)

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ
وَأَعْلَمُوا أَنكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ
يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ

﴿١﴾ براءة من الله ورسوله... الآية. أخذت المشركون ينقضون عهوداً بينهم وبين
رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالى أن ينقض عهودهم وينبذها إليهم، وأنزل هذه
الآية، والمعنى: قد برىء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذ نكثوا،
ثم خاطب المشركين فقال:

﴿٢﴾ فسبحوا في الأرض أربعة أشهر ﴿٣﴾ سيروا فيها آمنين حيث شئتم. يعني: شوالاً إلى
صفر، وهذا تأجيل من الله سبحانه للمشركين، فإذا انقضت هذه المدة قُتلوا حيثما
أدركوا ﴿٤﴾ واعلموا أنكم غير معجزي الله ﴿٥﴾ لا تفوتونه وإن أُجَلِّتُمْ هذه المدة ﴿٦﴾ وأنَّ
الله مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ مذلهم في الدنيا بالقتل، والعذاب في الآخرة.

﴿٣﴾ وأذان من الله ﴿٤﴾ إعلامٌ منه ﴿٥﴾ ورسوله إلى الناس ﴿٦﴾ يعني: العرب ﴿٧﴾ يوم الحج
الأكبر ﴿٨﴾ يوم عرفة. وقيل: يوم النحر، والحجُّ الأكبر [الحجُّ] بجميع أعماله،

أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزُّ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

والأصغر العمرة ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يعلم مشركي العرب في يوم الحج الأكبر ببراءته من عهودهم، فبعث علياً رضي الله عنه حيث قرأ صدر براءة عليهم يوم النحر^(١)، ثُمَّ خَاطَبَ الْمُشْرِكِينَ، فقال: ﴿فَإِنْ تَبْتُمْ﴾ رجعتُم عن الشُّرك ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الإقامة عليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ لا تفوتونه بأنفسكم عن العذاب، ثُمَّ أَوَعَدَهُمْ بِعَذَابِ الْآخِرَةِ فقال: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ثُمَّ اسْتَشَىٰ قَوْمًا مِنْ بَرَاءَةِ الْعُهُودِ، فقال:

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ﴾ من شروط العهد ﴿شَيْئًا﴾ وهم بنو ضمرة وبنو كنانة ﴿وَلَمْ يَظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ لم يعاونوا عليكم عدوًّا ﴿فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ إِلَىٰ انْقِضَاءِ مُدَّتِهِمْ، وكان قد بقي لهم من مُدَّتِهِمْ تسعة أشهر، فأمر النبي ﷺ بإتمامها لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ مَنِ اتَّقَاهُ بِطَاعَتِهِ.

(١) عن أبي هريرة قال: كنتُ مع علي بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءة. قال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجله وأمهده إلى أربعة أشهر، فإذا مضت الأربعة أشهر فإنَّ الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج بعد العام مشرك، وكنت أنا نادي حتى صحل صوتي.

أخرجه البخاري في التفسير ٣٢٠/٨، ومسلم في الحج برقم ١٣٤٧؛ وأبو داود في الحج برقم ١٩٤٦؛ والنسائي في تفسيره ٥٣٥/١؛ وأحمد ٢٩٩/٢؛ والحاكم ٣٣١/٢.

فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا ذِمَّةً يَرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى

﴿٥﴾ ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾ يعني: مدة التأجيل ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ في حلٍّ أو حرم ﴿وخذوهم﴾ بالأسر ﴿واحصروهم﴾ إن تحصنوا ﴿واقعدوا لهم كل مرصد﴾ على كل طريق تأخذون فيه ﴿فإن تابوا﴾ رجعوا عن الشرك ﴿وأقاموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ من العين والثمار والمواشي ﴿فخلوا سبيلهم﴾ فدعوهما وما شأوا ﴿إن الله غفور رحيم﴾ لمن تاب وآمن.

﴿٦﴾ ﴿وإن أحد من المشركين﴾ الذين أمرتك بقتلهم ﴿استجارك﴾ طلب منك الأمان من القتل ﴿فأجره﴾ فاجعله في أمن ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ القرآن، فتقيم عليه حجة الله، وتبين له دين الله ﴿ثم أبلغه مأمنه﴾ إذا لم يرجع عن الشرك لينظر في أمره ﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون﴾ [يفعلون] كل هذا لأنهم قومٌ جهلة لا يعلمون دين الله وتوحيده.

﴿٧﴾ ﴿كيف يكون للمشركين عهدٌ عند الله وعند رسوله﴾ مع إضمارهم الغدر ونكثهم العهد ﴿إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾ يعني: الذين استثناهم من البراءة ﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾ ما أقاموا على الوفاء بعهدهم فأقيموا أنتم.

﴿٨﴾ ﴿كيف﴾ أي: كيف يكون لهم عهدهم ﴿و﴾ حالهم أنهم ﴿إن يظهروا عليكم﴾ يظفروا بكم ويقدرُوا عليكم ﴿لا يرقبوا فيكم﴾ لا يحفظوا فيكم ﴿إلا ولا ذمة﴾ قرابة ولا عهداً ﴿يرضونكم بأفواههم﴾ يقولون بالستهم كلاماً حلواً ﴿وتأبى

قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أُولَئِكَ مَرَّةً كَانُوا فِيهَا يَخْشَوْنَ

قلوبهم ﴿الفاء به﴾ وأكثرهم فاسقون ﴿غادرون ناقضون للعهد.

﴿٩﴾ ﴿اشترؤا بآيات الله ثمنًا قليلًا﴾ استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا ﴿فصدوا عن سبيله﴾ فأعرضوا عن طاعته ﴿إنهم ساء﴾ بش ﴿ما كانوا يعملون﴾ من اشترائهم الكفر بالإيمان.

﴿١٠﴾ ﴿لا يرقبون﴾ يعني: هؤلاء الناقضين للعهد ﴿وأولئك هم المعتدون﴾ المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد.

﴿١١﴾ ﴿فإن تابوا﴾ عن الشرك ﴿وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم﴾ أي: فهم إخوانكم ﴿في الدين ونفصل الآيات﴾ نبين آيات القرآن ﴿لقوم يعلمون﴾ أنها من عند الله.

﴿١٢﴾ ﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾ نقضوا عهودهم ﴿وطعنوا في دينكم﴾ اغتابوكم وعابوا دينكم ﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾ رؤساء الضلالة. يعني: صناديد قريش. ﴿إنهم لا أيمان لهم﴾ لا عهود لهم ﴿لعلهم ينتهون﴾ كي ينتهوا عن الشرك بالله، ثم حرّض المؤمنين عليهم فقال:

﴿١٣﴾ ﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾ يعني: كفّار مكة نقضوا العهد، وأعانوا بني بكر على خزاعة ﴿وهموا بإخراج الرسول﴾ من مكة ﴿وهم بدؤوكم﴾ بالقتال ﴿أول مرة﴾ حين قاتلوا حلفاءكم خزاعة، فبدؤوا بنقض العهد ﴿أتخشونهم﴾ أن ينالكم

قَالَ اللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَبْطِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ

من قتالهم مكروه فتركوا قتالهم ﴿فإن الله أحق أن تخشوه﴾ فمكروه عذاب الله أحق أن يخشى في ترك قتالهم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ مصدقين بعقاب الله وثوابه.

﴿قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم﴾ يقتلهم بسيوفكم ورماحكم ﴿ويخزهم﴾ يذلهم بالقهر والأسر ﴿ويشف صدور قوم مؤمنين﴾ يعني: بني خزاعة. أعانت قريش بني بكر عليهم حتى نكثوا فيهم، فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي والمؤمنين.

﴿ويذهب غيظ قلوبهم﴾ كزبها ووجدتها بمعونة قريش بكرأ عليهم ﴿ويتوب الله على من يشاء﴾ من المشركين، كأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو. هداهم الله للإسلام.

﴿أم حسبتم﴾ أيها المنافقون ﴿أن تتركوا﴾ على ما أنتم عليه من التلبيس، وكتمان النفاق ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ بنية صادقة. يعني: العلم الذي يتعلق بهم بعد الجهاد، وذلك أنه لما فرض القتال تبين المنافق من غيره، ومن يوالي المؤمنين ممن يوالي أعداءهم ﴿ولم يتخذوا﴾ أي: ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا ﴿من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة﴾ أولياء ودخلاً.

﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجد الله﴾ نزلت^(١) في العباس بن عبد المطلب

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٥٩/١٠؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٧٩.

شَهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾

حين عُيِّر بالكفر لَمَّا أُسِر، فقال: إِنَّا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاج، فردَّ الله ذلك عليه بقوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ بدخوله والتعوذ^(١) فيه؛ لأنَّهم ممنوعون عن ذلك ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ بسجودهم للأصنام واتخاذها آلهة. ﴿أولئك حبطت أعمالهم﴾ لأنَّ كفرهم أذهب ثوابها.

﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ ﴿بزيارتها والقعود فيها﴾ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ ﴿والمعنى: إِنَّ مَنْ كَانَ بِهِذِهِ الصِّفَةُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ عِمَارَةِ الْمَسْجِدِ﴾ وَلَمْ يَخْشَ ﴿فِي بَابِ الدِّينِ﴾ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ ﴿أَيُّ: فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ وَالْمَتَمَسِّكُونَ بِطَاعَةِ اللَّهِ الَّتِي تَوْدِي إِلَى الْجَنَّةِ﴾.

﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ ﴿قَالَ الْمُشْرِكُونَ: عِمَارَةُ بَيْتِ اللَّهِ، وَقِيَامٌ عَلَى السَّقَايَةِ خَيْرٌ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الْآيَةَ^(٢)﴾. وَسِقَايَةُ الْحَاجِّ: سَقِيهِم الشَّرَابَ فِي الْمَوْسَمِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَعِمَارَةُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يَرِيدُ: تَجْمِيرَهُ وَتَخْلِيْقَهُ ﴿كَمَنْ ءَامَنَ﴾ أَيُّ: كَالْإِيمَانِ مَنْ ءَامَنَ ﴿بِاللَّهِ﴾؟ ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِي الْفَضْلِ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يَعْنِي: الَّذِينَ زَعَمُوا أَنََّّهُمْ أَهْلُ الْعِمَارَةِ سَمَّاهُمْ ظَالِمِينَ بِشُرْكِهِمْ.

(١) فِي ظ: وَالْقُعُودُ فِيهِ.

(٢) وَهَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ. أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ٥٩/١٠.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ

﴿٢٠﴾ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴿٢١﴾ أي: من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقي الحاج ﴿٢٢﴾ وأولئك هم الفائزون الذين ظفروا بأمنيتهم.

﴿٢١﴾ يبشرهم ربهم برحمة منه... الآية. أي: يعلمهم في الدنيا ما لهم في الآخرة. ﴿٢٣﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم... الآية. لما أمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلى المدينة كان من الناس من يتعلّق به زوجته وولده وأقاربه، ويقولون: ننشدك بالله أن تضيّعنا، فيرقّ لهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالى^(١): ﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾ أصدقاء تؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة ﴿إن استحبوا﴾ اختاروا ﴿الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾ أي: مشركون مثلهم، فلما نزلت هذه الآية قالوا: يا نبي الله، إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطع آباءنا وعشائرننا، وتذهب تجارتنا وتخرّب ديارنا، فأنزل الله تعالى:

﴿٢٤﴾ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها ﴿٢٥﴾ أي: اكتسبتموها ﴿فتربصوا﴾ مقيمين بمكة ﴿حتى يأتي الله بأمره﴾ فتح مكة،

وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ

فيسقط فرض الهجرة، وهذا أمر تهديد ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ تهديد لهؤلاء بحرمان الهداية.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ وهو وادٍ بين مكة والطائف، قاتل عليه نبيُّ الله عليه السلام هوازن وثقيفاً ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ وذلك أَنَّهُمْ قالوا: لن نُغلب اليوم من قَلَّةٍ، وكانوا اثني عشر ألفاً^(١) ﴿فَلَمْ تُغْنِ﴾ لم تدفع عنكم شيئاً ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ لشدة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض على سعتها، فلم تجدوا فيها موضعاً يصلح لقراركم ﴿ثُمَّ وَلَيْتُمْ مُدِيرِينَ﴾ انهزمتم. أعلمهم الله تعالى أَنَّهُمْ ليسوا يغلِبون بكثرتهم، إِنَّمَا يَغْلِبُونَ بنصر الله.

﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ وهو ما يسكن إليه القلب من لطف الله ورحمته ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ يريد: الملائكة ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأسيافكم ورماحكم ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ فيهديهم إلى الإسلام، من الكفار ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بِمَنْ آمَنَ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ لا يغتسلون من جنابة، ولا يتوضؤون من حدثٍ ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم. مُنَعُوا من دخول

بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ

الحرم، فالحرم حرام على المشركين ﴿بعد عامهم هذا﴾ يعني: عام الفتح، فلما مُنعوا من دخول الحرم قال المسلمون: إنهم كانوا يأتون بالميرة، فالآن تنقطع عنا المتاجر، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن خفتكم عيلة﴾ فقرأ ﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾ فأسلم أهل جدّة وصنعاء وجرش، وحملوا الطعام إلى مكّة، وكفاهم الله ما كانوا يتخوفون ﴿إن الله عليم﴾ بما يصلحكم ﴿حكيم﴾ فيما حكم في المشركين، ثم نزل في جهاد أهل الكتاب من اليهود والنصارى قوله:

﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ يعني: كإيمان الموحّدين، وإيمانهم غير إيمان إذا لم يؤمنوا بمحمد ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله﴾ يعني: الخمر والميسر ﴿ولا يدينون دين الحق﴾ لا يتدينون بدين الإسلام ﴿حتى يعطوا الجزية﴾ وهي ما يعطي المعاهد على عهده ﴿عن يد﴾ يعطونها بأيديهم، يمشون بها كارهين، ولا يجيئون بها ركبانا، ولا يرسلون بها ﴿وهم صاغرون﴾ ذليلون مهجورون يُجْرُونَ إلى الموضع الذي تقبض منهم فيه بالعنف، حتى يؤدّوها من يدهم.

﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾ ليس فيه برهان ولا بيان، إنّما هو قولٌ بالفم فقط ﴿يضاهئون﴾ يتشبهون بقول المشركين حين قالوا: الملائكة بنات الله، وقد أخبر الله عنهم

قَالَهُمْ اللَّهُ أَفَّ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

بقوله: ﴿وخرقوا له بنين وبنات﴾^(١). ﴿قائلهم الله﴾ لعنهم الله ﴿أنى يؤفكون﴾ كيف يصرفون عن الحق بعد وضوح الدليل حتى يجعلوا لله الولد، وهذا تعجيب للنبي ﷺ والمؤمنين.

﴿٣١﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ ﴿أرباباً﴾ آلهة ﴿من دون الله﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله^(٢) ﴿والمسيح ابن مريم﴾ اتَّخَذُوهُ رَبًّا ﴿وما أمروا﴾ في التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو الذي لا إله غيره ﴿سبحانه عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ تنزيهاً له عن شركهم.

﴿٣٢﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴿يخمدوا دين الإسلام بتكذيبهم﴾ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ ﴿إِلَّا أَنْ يُظْهِرَ دِينَهُ﴾.

﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ ﴿محمداً﴾ بِالْهُدَى ﴿بالقرآن﴾ وَدِينِ الْحَقِّ ﴿الحنيفية﴾ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴿ليعليه على جميع الأديان﴾.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٢) عن عدي بن حاتم قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي، اطرح عنك هذا الوثن، وسمعتة يقرأ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾. قال: إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلَّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه.

أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٠٩٤؛ وقال: حديث غريب، وابن جرير ١١٥/١٠.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ

﴿٣٤﴾ يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحرار والرهبان من فقهاء أهل الكتاب وعلمائهم ﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾ يعني: ما يأخذونه من الرشا في الحكم و﴿يصدون عن سبيل الله﴾ ويصرفون الناس عن الإيمان بمحمد عليه السلام، ثم أنزل في مانعي الزكاة^(١) من أهل القبلة: ﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾ لا يؤدّون زكاتها ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أخبرهم أن لهم عذاباً أليماً.

﴿٣٥﴾ يوم يحمى عليها يوم تدخل كنوزهم النار حتى تحمى وتشتد حرارتها ﴿فتكوى بها﴾ أي: فتلصق بجباههم وجنوبهم وظهورهم حتى يلتقي الحر في أجوافهم، ويقال لهم: هذا الذي تكونون به ما جمعتم لأنفسكم، وبخلتم به عن حق الله ﴿فذوقوا﴾ العذاب بـ ﴿ما كنتم تكتزون﴾.

﴿٣٦﴾ إن عذة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً عدد شهور المسلمين التي تُعبّدوا بأن يجعلوها لستهم اثنا عشر شهراً، على منازل القمر واستهلال الأهلة، لا كما يعده أهل الروم وفارس ﴿في كتاب الله﴾ في الإمام الذي عند الله كتبه يوم خلق

(١) عن ابن عمر أن أعرابياً قال له: أخبرني عن قول الله تعالى:

﴿والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾؟

قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها ويل له. هذا كان قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.

أخرجه البخاري في التفسير ٣٢٤/٨، وفي الزكاة.

يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُهُمْ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿منها أربعة حرم﴾ رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، يعظم انتهاك المحارم فيها بأشدَّ ممَّا يعظم في غيرها ﴿ذلك الدين القيم﴾ الحساب المستقيم ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ تحفظوا من أنفسكم في الحرم، فإنَّ الحسنات فيهن تضعف، وكذلك السيئات ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ قاتلوهم كلَّهم، ولا تُحابوا بعضهم بترك القتال، كما إنَّهم يستحلُّون قتال جميعكم ﴿واعلموا أنَّ الله مع المتقين﴾ مع أوليائه الذين يخافونه.

﴿إنما النسيء﴾ تأخير حرمة شهر حرَّمه الله إلى شهرٍ آخر لم يحرِّمه، وذلك أنَّ العرب في الجاهليَّة ربما كانت تستحلُّ المحرم، وتحرِّم بدله صفر، فأخبر الله تعالى أنَّ ذلك كلُّه ﴿زيادة في الكفر﴾ حيث أحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّموا ما أحلَّ الله ﴿يضل به﴾ بذلك التأخير ﴿الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرّمونه عاماً﴾ إذا قاتلوا فيه أحلُّوه وحرَّموا مكانه صفر، وإذا لم يقاتلوا فيه حرَّموه ﴿ليواطئوا﴾ ليوافقوا ﴿عدَّة ما حرم الله﴾ وهو أنَّهم لم يحلُّوا شهراً من الحرم إلَّا حرَّموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرَّموا شهراً من الحلال إلَّا أحلُّوا مكانه شهراً من الحرم، لئلا يكون الحرم أكثر من الأربعة كما حرَّم الله، فيكون موافقة للعدد. ﴿زين لهم سوء أعمالهم﴾ زين لهم الشيطان ذلك.

﴿يا أيها الذين آمنوا ما لكم﴾ نزلت في حثِّ المؤمنين على غزوة تبوك^(١)، وذلك

(١) وهذا قول مجاهد. أخرجه ابن جرير ١٣٣/١٠؛ والمؤلف في الأسباب ص ٢٨٣.

إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
 الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ
 عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
 فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا نَرَى اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا

أَنَّهُمْ دُعُوا إِلَيْهَا فِي زَمَانٍ عَسِرَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَجَدِبٍ مِنَ الْبِلَادِ، وَشَدِيدٍ مِنَ الْحَرْ،
 فَشَقَّ عَلَيْهِمُ الْخُرُوجَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
 اُخْرَجُوا فِي الْجِهَادِ لِحَرْبِ الْعَدُوِّ ﴿اتَّأَخَذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَخْبَيْتُمْ الْمَقَامَ ﴿أَرْضَيْتُمْ
 بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بَدَلًا ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ يَعْنِي: الْجَنَّةَ ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي
 الْآخِرَةِ﴾ يَرِيدُ: الدُّنْيَا كُلَّهَا ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ عِنْدَ شَيْءٍ مِنَ الْجَنَّةِ.

﴿إِلَّا تَنْفِرُوا﴾ تَخْرَجُوا مَعَ نَبِيِّكُمْ إِلَى الْجِهَادِ ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بِالْقَحْطِ وَحَبْسِ
 الْمَطَرِ ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ يَأْتِ بِقَوْمٍ آخَرِينَ يَنْصُرُ بِهِمْ رَسُولَهُ ﴿وَلَا تَضُرُّهُ
 شَيْئًا﴾ لِأَنَّ اللَّهَ عَصَمَهُ عَنِ النَّاسِ، وَلَا يَخْذُلُهُ أَنْ تَأْخُذْتُمْ، كَمَا لَمْ يَضُرَّهُ قَلَّةُ نَاصِرِيهِ
 حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ وَهُمْ بِهِ الْكَفَّارَ، فَتَوَلَّى اللَّهُ نَصْرَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَيُّ: اضْطَرُّوهُ إِلَى الْخُرُوجِ لَمَّا
 هَمُّوا بِقَتْلِهِ، فَكَانُوا سَبَبًا لَخُرُوجِهِ مِنْ مَكَّةَ هَارِبًا مِنْهُمْ ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ أَيُّ: وَاحِدٍ
 اثْنَيْنِ هُوَ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمَعْنَى: نَصَرَهُ اللَّهُ مُنْفَرِدًا إِلَّا مِنْ أَبِي بَكْرٍ:
 ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ هُوَ غَارٌ فِي جَبَلِ مَكَّةَ يُقَالُ لَهُ: ثَوْرٌ ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾
 أَبِي بَكْرٍ: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُ خَافَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الطَّلَبِ، فَقَالَ
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يَمْنَعُهُمْ مَنًّا، وَيَنْصُرُنَا ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾
 الْقَيُّ فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ مَا سَكَنَ بِهِ، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أَيُّ: رَسُولَهُ ﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾
 قَوَاهُ وَأَعَانَهُ بِالْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ. أَخْبَرَ أَنَّهُ صَرَفَ عَنْهُ كَيْدَ أَعْدَائِهِ، ثُمَّ أَظْهَرَ: نَصْرَهُ

وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤١﴾ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكُمْ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٣﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكِ الْذِينَ صدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٤﴾ لَا يَسْتَنْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

بالملائكة يوم بدر ﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾ وهي كلمة الشُّرك ﴿السفلى﴾ وكلمة الله هي العليا ﴿يعني: كلمة التوحيد﴾^(١) لأنها علت وظهرت، وكان هذا يوم بدر.

﴿٤١﴾ ﴿أنفروا خفافاً وثقالاً﴾ شباباً وشيوخاً ﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ ذلكم خير لكم ﴿من الثَّاقِلِ إلى الأرض﴾ ﴿إن كنتم تعلمون﴾ ما لكم من الثَّواب والجزاء، ثُمَّ نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن هذه الغزوة: ﴿٤٢﴾ ﴿لو كان عرضاً قريباً﴾ أي: لو كان ما دُعوا إليه غنيمَةً قَرِيبَةً ﴿وسفراً قاصداً﴾ قَرِيباً هَيئاً ﴿لاتبعوك﴾ طمعاً في الغنيمه ﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾ المسافة ﴿وسيحلفون بالله﴾ عندك إذا رجعت إليهم ﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾ لو قدرنا وكان لنا سعةٌ من المال ﴿يهلكون أنفسهم﴾ بالكذب والنِّفاق ﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾ لأنهم كانوا يستطيعون الخروج.

﴿٤٣﴾ ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ كان رسول الله ﷺ أذن لطائفةٍ في التَّخَلُّفِ عنه، من غير مؤامرة، ولم يكن له أن يمضي شيئاً إلّا بوحي، فعاتبه الله سبحانه وقال: لم أذنت لهم في التَّخَلُّفِ ﴿حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ حتى تعرف مَنْ له العذر منهم، وَمَنْ لا عذر له، فيكون إذكَ لَمَنْ له العذر.

﴿٤٤﴾ ﴿لا يستأذِنُكَ الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ في القعود والتَّخَلُّفِ عن الجهاد

أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَفِذُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَازْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا ضَعُفًا خَلَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونُ حُثَمٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَهُ ﴿٤٨﴾

كراهة ﴿أن يجاهدوا﴾ في سبيل الله ﴿بأموالهم وأنفسهم﴾ الآية.

﴿إنما يستأذنك﴾ في التَّخَلُّفِ ﴿الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم﴾ شَكُّوا في دينهم ﴿فهم في ريبهم يترددون﴾ في شكهم يتمادون.

﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدَّة﴾ من الزَّاد والمركوب، لأنَّهم كانوا مياسير ﴿ولكن كره الله انبعاثهم﴾ لم يرد خروجهم معك ﴿فثبطهم﴾ فخذلهم وكسَّ لهم ﴿وقيل اقعدوا﴾ وحيًّا إلى قلوبهم. يعني: إِنَّ الله أَلْهَمَهُمْ أسباب الخذلان ﴿مع القاعدين﴾ الزَّمَنِي وأولي الضَّرر، ثُمَّ بَيَّنَّ لِمَ كره خروجهم فقال:

﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إِلَّا خَبَالًا﴾ يقول: لو خرجوا لأفسدوا عليكم أمركم ﴿ولأوضعوا خلالكم﴾ لأسرعوا بالنَّيْمَةِ في إفساد ذات بينكم ﴿يبغونكم الفتنة﴾ يُثَبِّطُونَكُمْ ويفرِّقون كلمتكم حتى تنازعوا فتفتنوا ﴿وفيكُم سماعون لهم﴾ مَنْ يسمع كلامهم ويطيعهم، ولو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم ﴿والله عليم بالظالمين﴾ المنافقين.

﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل﴾ طلبوا لك الشرَّ والعنتَ قبل تبوك، وهو أَنَّ جماعةً منهم أرادوا الفتك به ليلة العقبة ﴿وقلبوا لك الأمور﴾ اجتهدوا في الحيلة عليك، والكيد بك ﴿حتى جاء الحق﴾ الآية. أي: حتى أخزاهم الله بإظهار الحق، وإعزاز الدِّين على كُرهٍ منهم.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
 بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
 أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ
 لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى
 الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَرَبِصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ ۚ

﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائِذْنَ لِي﴾ نزلت في جدِّ بن قيس المنافق^(١)، قال
 لرسول الله ﷺ: هل لك في جلاد بني الأصفر، تتخذ منهم سراري وُصفاء، فقال:
 ائِذْنَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي الْقُعُودِ عَنْكَ وَأُعَيْنِكَ بِمَالِي ﴿وَلَا تَفْتِنِّي﴾ ببنات [بني]
 الأصفر، فإني مُسْتَهْتَرٌ بالنساء، إني أخشى إن رأيتهنَّ ألا أصبر عنهنَّ، فقال الله
 تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ أي: في الشُّرْكِ وقَعُوا بنفاقهم وخلافهم أَمَرَكَ
 ﴿وإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لمحدقة بمن كفر جامعة لهم.

﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ﴾ نصرٌ وغنيمة ﴿تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ من قتلٍ وهزيمة
 ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قد أخذنا حذرنا، وعملنا بالحزم [حين تخلفنا]
 ﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ وينصرفوا ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ معجبون بذلك، وبما نالك من السُّوء.
 ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا﴾ خيرٌ ولا شرٌّ ﴿إِلَّا﴾ وهو مقدَّرٌ مكتوبٌ علينا. ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾
 ناصرنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وإليه فليفوض المؤمنون أمورهم على
 الرِّضَا بتدبيره.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا﴾ هل تنتظرون أن يقع بنا ﴿إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ الغنيمة
 أو الشَّهادة ﴿وَنَحْنُ نَرَبِصُ بِكُمْ﴾ ننتظر ﴿بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقارعةٍ

(١) ورد هذا عن ابن عباس يرفعه. أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيى الحماني،
 وهو ضعيف. وانظر مجمع الزوائد ٣٣/٧؛ وأخرجه ابن جرير ١٤٨/١٠ عن مجاهد.

أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٦﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنَّا كُنْتُمْ قَوْمًا فَدِيقِينَ ﴿٥٧﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٨﴾ فَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٩﴾ وَيَخْلَفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمَنَّكَ وَمَا هُمْ بِمَنَّكَ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْهَمُونَ ﴿٦٠﴾ لَوْ يَخْدُونَ مَلَجَأًا أَوْ مَغْرَبَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٦١﴾

من السَّمَاء ﴿أو بأيدينا﴾ يأذن لنا في قتلكم فنقتلكم ﴿فتربصوا﴾ إنا معكم متربصون ﴿فانتظروا مواعيد الشَّيْطَانِ﴾، إِنَّا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه وهلاك مَنْ خالفه، ثُمَّ ذكر في الآية الثانية والثالثة أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ مَا أَنْفَقُوا فِي الْجِهَادِ، لِأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اقعد وأُعينك بمالي، فأخبر الله تعالى أَنَّهُ لَا يَقْبَلُ ذَلِكَ؛ فَعَلَوْهُ طَائِعِينَ أَوْ مُكْرَهِينَ، وَبَيَّنَّ أَنَّ الْمَانِعَ لِقَبُولِ ذَلِكَ كُفْرُهُمْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَسَلُهُمْ فِي الصَّلَاةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرْجُونَ لَهَا ثَوَابًا، وَكَرَاهَتُهُمُ الْإِنْفَاقَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعُدُّونَهُ مَغْرَمًا.

﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾ لَا تَسْتَحْسِنُ مَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ الْكَثِيرَةِ وَالْأَوْلَادِ ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يَعْنِي: بِالصَّائِبِ فِيهَا، فَهِيَ لَهُمْ عَذَابٌ، وَلِلْمُؤْمِنِ أَجْرٌ ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ وَتَخْرُجَ أَرْوَاحُهُمْ ﴿وَهُمْ﴾ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿ويخلفون بالله إنهم لمنكم﴾ أَيُّ: إِنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ، وَلَيْسُوا مُؤْمِنِينَ ﴿ولكنهم قوم يفرقون﴾ يَخَافُونَ فَيُخْلَفُونَ تَقِيَّةً لَكُمْ.

﴿لو يجدون ملجأً مهرباً﴾ أَوْ مَغَارَاتٍ ﴿سرايب﴾ أَوْ مُدْخَلًا ﴿وجهاً يدخلونه﴾ لَوَلَّوْا إِلَيْهِ لَرَجَعُوا إِلَيْهِ ﴿وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ يُسْرِعُونَ إِسْرَاعًا لَا يَرُدُّ وَجْهَهُمْ شَيْءٌ، أَيُّ: لَوْ أَمَكْنَهُمُ الْفِرَارَ مِنْ بَيْنِ الْمُسْلِمِينَ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ لَفَرُّوا، وَلَمْ يُقِيمُوا بَيْنَهُمْ.

وَمِنْهُمْ مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوقِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَامِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿وَمِنْهُمْ﴾ ﴿٥٨﴾ ومن المنافقين ﴿مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ويطعن عليك ﴿في﴾ أمر ﴿الصدقات﴾ يقول: إنما يعطيها محمد من أحب، فإن أكثرت لهم من ذلك فرحوا، وإن أعطيتهم قليلاً سخطوا، ثم ذكر في الآية الثانية أنهم لو رضوا بذلك وتوكلوا على الله لكان خيراً لهم، وهو قوله:

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ ثم بين لمن الصدقات، فقال:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ وهم المتعففون عن السؤال ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين يسألون ويطوفون على الناس ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ السعاة لجباية الصدقة ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ﴾ كانوا قوماً من أشرف العرب استألفهم رسول الله ﷺ ليردوا عنه قومهم ويُعينوه على عدوه ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ المكاتبين ﴿وَالْغَرَامِينَ﴾ أهل الدين ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الغزاة والمرابطون ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ افترضها الله على الأغنياء في أموالهم.

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بنقل حديثه وعيبه ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ أنهم قالوا فيما بينهم: نقول ما شئنا، ثم نأتيه فنخلف له فيصدقنا؛ لأنه أذن [والأذن: الذي يسمع كل ما يقال له] ^(١)، فقال الله تعالى ﴿قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي: مستمع خير

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
 أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مِنْ يُحَادِدِ اللَّهِ وَرَسُولَهُ فَأَبَقَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي
 قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهِزُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا
 كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ

وصلاح، لا مستمع شرٍّ وفساد، ثم أكد هذا وبينه فقال: ﴿يؤمن بالله﴾ أي: يسمع
 ما ينزله الله عليه، فيصدق به ﴿ويؤمن للمؤمنين﴾ ويصدق المؤمنين فيما يخبرونه،
 لا الكافرين ﴿ورحمة للذين آمنوا منكم﴾ أي: وهو رحمة؛ لأنه كان سبب
 إيمانهم.

﴿٦٢﴾ يحلفون بالله لكم ليرضوكم﴾ يحلف هؤلاء المنافقون فيما بلغكم عنهم من أذى
 الرسول والطعن عليه أنهم ما أتوا ذلك؛ ليرضوكم بيمينهم ﴿والله ورسوله أحق أن
 يرضوه﴾ فيؤمنوا بهما ويصدقوهما إن كانوا على ما يظهرون.

﴿٦٤﴾ يحذر المنافقون أن تنزل عليهم﴾ على المؤمنين ﴿سورة﴾ تخبرهم ﴿بما في
 قلوبهم﴾ من الحسد لرسول الله ﷺ والمؤمنين، وذلك أنهم كانوا يفرقون من
 هتكهم وفضيحتهم ﴿قل استهزؤا﴾ أمر وعيد ﴿إن الله مخرج﴾ مظهر ﴿ما
 تحذرون﴾ ظهوره.

﴿٦٥﴾ ولئن سألتهم﴾ عما كانوا فيه من الاستهزاء ﴿ليقولنَّ إنما كنا نخوض ونلعب﴾
 وذلك أن رجلاً من المنافقين قال في غزوة تبوك^(١): ما رأيت مثل هؤلاء أرغب
 بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء. يعني: رسول الله ﷺ والمؤمنين،

(١) أخرجه ابن جرير ١٧٢/١٠ عن ابن عمر، وزيد بن أسلم، وذكره المؤلف في الأسباب
 ص ٢٨٨ وقائل هذه المقالة وديعة بن ثابت.

قُلْ أَيْلَهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ فَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ وَخُضْتُمْ

فأخبر رسولُ الله ﷺ بذلك، فجاء هذا القائل ليعتذر، فوجد القرآن قد سبقه، فقال: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، ونتحدث بحديث الركب نقطع به عنا الطريق، وهو معنى قوله: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ﴾ أي: في الباطل من الكلام، كما يخوض الركب، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿٦٦﴾ لا تعذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان ﴿إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ وذلك أَنَّهُمْ كَانُوا ثَلَاثَةَ نَفَرٍ، فَهَٰذَا ائْتَانٌ وَضَحْكٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَعْفُو عَنْهُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَرِءٌ مِنَ التَّفَاقُ.

﴿٦٧﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ عَلَى دِينٍ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ بالكفر بمحمد ﷺ ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ عَنْ اتِّبَاعِهِ ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عَنِ التَّفَقُّعِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ، فَتَرَكَهُمْ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ وَخَذَلَهُمْ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ الْخَارِجُونَ عَمَّا أَمَرَ اللَّهُ.

﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ...﴾ الْآيَةُ ظَاهِرَةٌ، ثُمَّ خَاطَبَهُمْ فَقَالَ:

﴿٦٩﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ أَي: فَعَلْتُمْ كَأَفْعَالِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ﴾ رَضُوا بِنَصِيْبِهِمْ مِنَ الدُّنْيَا، فَعَلْتُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا مِثْلَ مَا فَعَلُوا ﴿وَخُضْتُمْ

كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ
 وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
 وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ
 مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ
 وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

على النبي ﷺ كما خاضوا في الطعن على أنبيائهم ﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ لأنها لا تقبل منهم ولا يثابون عليها.

﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ألم يأتهم خبر الذين أهلكوا في الدنيا بذنوبهم، فیتعظوا، ثم ذكرهم ﴿قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم﴾ يعني: نمرود وأصحاب مدين ﴿قوم شعيب﴾ والمؤتفكات، وهي قرى قوم لوط ﴿فما كان الله ليظلمهم﴾ ليعذبهم قبل بعث الرسول ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بتكذيب الرسل.

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في الرحمة والمحبة ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يدعون إلى الإسلام ﴿ويَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الشُّرْكُ بِاللَّهِ. الآية.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً﴾ يريد قصور الزُّبرجد والذُّرَّ والياقوت ﴿في جنات عدن﴾ هي قصبة الجنة، وسقفها عرش الرحمن ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ ممَّا يوصف.

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بالسَّيْفِ ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ بِاللِّسَانِ وَالْحُجَّةِ ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ يريد شدة الانتهاز، والنَّظَرُ بِالْبَغْضَةِ وَالْمَقْتِ.

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَوْمًا يُنَالُونَ
وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ
اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ
عَاهَدَ اللَّهَ

﴿يحلِفون بالله ما قالوا﴾ نزلت حين أساء المنافقون القول في رسول الله ﷺ،
وطعنوا في الدين، وقالوا: إذا قدمنا المدينة عقدنا على رأس عبد الله ابن أبي
تاجاً يباهي به رسول الله ﷺ - ، فسعى بذلك إلى رسول الله ﷺ فدعاهم،
فحلفوا ما قالوا ﴿ولقد قالوا كلمة الكفر﴾ سبهم الرسول وطمعهم في الدين
﴿وهموا بما لم ينالوا﴾ من عقدهم التاج على رأس ابن أبي. وقيل: من الاغتيال
بالرسول^(١) ﴿وما نقموا﴾ كرهوا ﴿إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾ بالغنمة
حتى صارت لهم الأموال، أي: إنهم عملوا بضد الواجب، فجعلوا موضع شكر
الغنى أن نقموه، ثم عرض عليهم التوبة فقال: ﴿فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن
يتولوا﴾ يعرضوا عن الإيمان ﴿يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا﴾ بالقتل ﴿و﴾ في
﴿الآخرة﴾ بالنار ﴿وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير﴾ لا يتولاهم أحد من
المسلمين.

﴿ومنهم من عاهد الله﴾ يعني: ثعلبة بن حاطب^(٢)، عاهد ربّه لئن وسّع عليه أن

(١) عن ابن عباس في قوله عز وجل: «هموا بما لم ينالوا» قال: هم رجل يقال له الأسود بقتل
رسول الله ﷺ. أخرجه الطبراني في الأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط. انظر مجمع
الزوائد ٣٤/٧.

(٢) حديث نزول هذه الآية في ثعلبة بن حاطب أخرجه ابن جرير ١٨٩/١٠؛ والمؤلف في الأسباب
ص ٢٩٠؛ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٢٧٢/٣؛ والطبراني في الكبير.
وفيه: علي بن يزيد الألهماني، متروك. وثعلبة بن حاطب المذكور من أهل بدر، فكيف يصح
فيه هذا؟! وقيل: المنافق ثعلبة بن أبي حاطب، فهو غير البدري.

لَيْتَ أَتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ

يؤتي كل ذي حق حقه، ففعل الله ذلك فلم يف بما عاهد، ومنع الزكاة، فهذا معنى قوله: ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقن﴾ لنطين الصدقة، ﴿ولنكونن﴾ من الصالحين ﴿ولنعملن﴾ ما يعمل أهل الصلاح في أموالهم.

﴿٧٦﴾ ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به...﴾ الآية.

﴿٧٧﴾ ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ صير عاقبة أمرهم إلى ذلك بحرمان التوبة، حتى ماتوا على النفاق جزاءً لإخلافهم الوعد، وكذبهم في العهد، وهو قوله: ﴿إلى يوم يلقونه...﴾ الآية.

﴿٧٨﴾ ﴿الذين يلمزون﴾ يعيبون ويغتابون ﴿المطوعين﴾ المتطوعين المتنفلين ﴿من المؤمنين في الصدقات﴾ وذلك أن رسول الله ﷺ حث على الصدقة، فجاء بعض الصحابة بالمال الكثير، وبعضهم — وهم الفقراء — بالقليل، فاغتابهم المنافقون وقالوا: مَنْ أَكْثَرَ [أكثر] رياءً، وَمَنْ أَقَلَّ أراد أن يذكر نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١): ﴿والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ وهو القليل الذي يتعيش به ﴿فيسخرون

(١) عن أبي مسعود الأنصاري قال: لما أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة، تصدق أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بشيء أكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا؛ وما فعل هذا الآخر إلا رياءً، فترزت: ﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾ أخرجه البخاري في التفسير ٣٣٠/٨؛ ومسلم في الزكاة برقم ١٠١٨؛ والنسائي في السنن ٥٩/٥.

مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَنْبِكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾

منهم سخر الله منهم ﴿﴾ جازاهم جزاء سخرتهم حيث صاروا إلى النار، ثم آيس الله رسوله من إيمانهم ومغفرتهم فقال:

﴿٨٠﴾ ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ وهذا تخيير لرسول الله ﷺ، ثم قال: ﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ أي: إن استكثر من الدُّعاء بالاستغفار للمنافقين لن يغفر الله لهم.

﴿٨١﴾ ﴿فرح المخلفون﴾ يعني: الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من المنافقين ﴿بمقعدهم﴾ بقعودهم ﴿خلاف رسول الله﴾ مخالفة له ﴿وقالوا: لا تنفروا﴾ مع محمد إلى تبوك ﴿في الحرِّ﴾ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لو كان يفقهون ﴿يعلمون أنَّ مصيرهم إليها﴾.

﴿٨٢﴾ ﴿فليضحكوا قليلاً﴾ في الدنيا، لأنها تنقطع عنهم ﴿ولينبكوا كثيراً﴾ في النار بكاء لا ينقطع ﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾ في الدنيا من التَّفَاق.

﴿٨٣﴾ ﴿فإن رجعتك الله﴾ ردك ﴿إلى طائفة منهم﴾ يعني: الذين تخلَّفوا بالمدينة ﴿فاستأذنوك للخروج﴾ إلى الغزو معك ﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾ إلى غزاة ﴿ولن تقاتلوا معي عدواً﴾ من أهل الكتاب ﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾ حين لم تخرجوا إلى تبوك ﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾ يعني: النساء والصبيان والزَّمنِي الذين يخلفون الدَّاهِبِينَ إلى السَّفَر، ثم نهي رسول الله ﷺ عن الصَّلَاة عليهم إذا

وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَن آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرُّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

ماتوا، والدُّعاء لهم عند الوقوف على القبر^(١)، فقال:

﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره...﴾ الآية.

﴿ولا تعجبك أموالهم﴾ مضى تفسيره^(٢).

﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم﴾ يعني: أصحاب الغنى والقدرة يستأذنونك في التَّخَلُّف.

﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾ النساء اللاتي يخلفن في البيت ﴿وطبع على قلوبهم﴾ بالتَّغَاقُ ﴿فهم لا يفقهون﴾ لا يفهمون الإيمان وشرائعه وأمر الله.

﴿وجاء المعتذرون﴾ المعتذرون، وهم قوم ﴿من الأعراب﴾ اعتذروا إلى رسول الله ﷺ في التَّخَلُّف فعذرهم، وهو قوله: ﴿ليؤذن لهم﴾ أي: في القعود ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ لم يُصدِّقوا نبيّه، واتَّخذوا إسلامهم جُنَّةً، ثم ذكر

(١) نزلت في عبد الله بن أبي، وحديث نزولها أخرجه البخاري في الجنائز. فتح الباري ٣/٢٢٨؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٧٤؛ والنسائي في التفسير ١/٥٥١؛ وابن ماجه برقم ١٥٢٣.

(٢) انظر ص ٤٦٨.

لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا
 نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ
 إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
 الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ
 أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
 ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ تُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأْنَا اللَّهَ مِنْ
 أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ

أهل العذر، فقال:

﴿١١﴾ ليس على الضعفاء يعني: الرُمنى والمشايخ والعجزي ﴿ولا على المرضى ولا
 على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾ أخلصوا أعمالهم من
 الغشّ لهما ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾ من طريق بالعقاب، لأنه قد سُدَّ طريقه
 بإحسانه ﴿والله غفور رحيم﴾ لمن كان على هذه الخصال.

﴿١٢﴾ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ﴿نزلت في سبعة نفر﴾^(١) سألوا رسول الله ﷺ
 أن يحملهم على الدواب، فقال: ﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾ فانصرفوا باكين شوقاً
 إلى الجهاد، وحزناً لضيق ذات اليد.

الجزء الحادي عشر:

﴿١٤﴾ يعتذرون إليكم بالباطل ﴿إذا رجعتم إليهم﴾ من هذه الغزوة ﴿قل لا تعتذروا
 لنؤمن لكم﴾ لن نصدقكم ﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾ قد أخبرنا الله بسرائركم
 وما تخفي صدوركم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ فيما تستأنفون، تبتم من التفاق

(١) وهم عبد الله بن مُغفل، وعائذ بن عمرو، وعُلبة بن زيد، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب،
 وسالم بن عمير، والعرباض بن سارية، ومقل المزني. انظر الدرر لابن عبد البر ص ٢٣٩؛
 والمحبر ص ٢٨١؛ وغرر البيان ص ١٤٩.

ثُمَّ تَرْدُونَ إِلَىٰ عَلِيمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِنَرِضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

أم أقمتم عليه ﴿ثمَّ تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ إلى مَنْ يعلم ما غاب عنا من ضمائركم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيخبركم بما كنتم تكتُمون وتسرون.

﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إذا رجعتكم ﴿إِلَيْهِمْ﴾ من تبوك أَنَّهُمْ ما قدرُوا على الخروج ﴿لِنَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ إعراض الصَّفْح ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ اتركوا كلامهم وسلامهم ﴿إِنَّهُمْ رَجِسٌ﴾ إِنَّ عملهم قبيحٌ من عمل الشَّيْطَان، ثُمَّ نزل في أعارب أسدٍ وغطفان:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ من أهل المدر، لأنَّهُمْ أجفَى وأقسى ﴿وأجدر﴾ وأولى [وأحق] ﴿أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من الحلال والحرام.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ لأنَّه لا يرجو له ثواباً ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ﴾ وينتظر أن ينقلب الأمر عليكم بموت الرَّسُول عليه السَّلَام ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ عليهم يدور البلاء والخزي، فلا يرون في محمد ودينه إلَّا ما يسوءهم، ثُمَّ نزل في مَنْ أسلم منهم:

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ يتقرَّب بذلك إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ﴾ يعني: دعاءه بالخير والبركة، والمعنى: أَنَّهُ يتقرَّب بصدقته ودعاء الرَّسُول إلى الله ﴿أَلَّا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ أي: نورٌ

وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا
نَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا
بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

ومكرمة عند الله .

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ﴾ يعني: الذين شهدوا بدرًا ﴿من المهاجرين والأنصار﴾
يعني: الذين آمنوا منهم قبل قدوم الرسول عليهم، فهؤلاء السَّابِقُونَ من الفريقين .
وقيل: أراد كُلَّ مَنْ أدركه من أصحابه، فَإِنَّهُمْ كُلَّهُمْ سبقوا هذه الأمة بصحبة
النبي ﷺ ورؤيته ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ يعني: ومن اتَّبَعَهُمْ على مناجهم
إلى يوم القيامة مِمَّنْ يُحَسِّنُ الْقَوْلَ فِيهِمْ .
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ يعني: مزينة وجهينة وغفارا ﴿ومِنَ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ﴾ الأوس والخزرج ﴿مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ﴾ لَجُّوا فِيهِ، وَأَبَوْا غَيْرَهُ ﴿سَنُعَذِّبُهُمْ
مَّرَّتَيْنِ﴾ بِالْأَمْرَاضِ وَالْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ
عَظِيمٍ﴾ وَهُوَ الْخُلُودُ فِي النَّارِ .
﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فِي التَّخَلُّفِ عَنِ الْغَزْوِ ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا﴾ وَهُوَ
جِهَادُهُمْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ هَذَا ﴿وَآخِرُ سَيِّئًا﴾ تَقَاعَدَهُمْ عَنِ هَذِهِ الْغَزْوَةِ ﴿عَسَىٰ
اللَّهُ﴾ وَاجِبٌ مِنَ اللَّهِ ﴿أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ثُمَّ تَابَ عَلَى هَؤُلَاءِ
وَعَذَّرَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ أَمْوَالُنَا الَّتِي خَلَقْتَنَا عَنْكَ فَخُذْهَا مِنَّا صَدَقَةً
وَطَهِّرْنَا، وَاسْتَغْفِرْ لَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا أَمَرْتُ أَنْ أَخْذَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئًا^(١)،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ:

(١) هذا قول ابن عباس . أخرجه ابن جرير ١٦/١١ من طريق علي بن أبي طلحة، وهو أصح طريق
عن ابن عباس لكن فيه انقطاع لأنَّ عليَّ بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وقد أخرج
البخاري له في صحيحه .

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ

﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾ فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم، وكانت كفارةً للذنوب التي أصابوها، وهو قوله: ﴿تطهرهم﴾ يعني: هذه الصَّدقة تطهرهم من الذنوب ﴿وتزكيهم بها﴾ أي: ترفعهم أنت يا محمدُ بهذه الصَّدقة من منازل المنافقين ﴿وصل عليهم﴾ ادع لهم ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ إِنَّ دُعَاؤَكَ مِمَّا تَسْكُنُ نفوسهم إليه بأن قد تاب الله عليهم ﴿والله سميع﴾ لقولهم ﴿عليهم﴾ بنداמתهم، فلمَّا نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا لا يُكَلِّمون ولا يُجالسون، فما لهم؟ وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا رَجَعَ إِلَى المدينة نهى المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم، فَأَنْزَلَ اللهُ سبحانه:

﴿١٠٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ يقبلها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ يرجع على مَنْ يَرْجِعُ إِلَيْهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ.

﴿١٠٥﴾ وَقُلِ اعْمَلُوا﴾ يا معشر عبادي، المحسن والمسيء ﴿فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ أي: إِنَّ اللَّهَ يُطْلِعُهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِ إِخْوَانِهِمْ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فيحبُّون المحسن ويبغضون المسيء بإيقاع الله ذلك في قلوبهم، وباقي الآية سبق تفسيره.

﴿١٠٦﴾ وَآخَرُونَ مُرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾ مُؤَخَّرُونَ ليقضي الله فيهم ما هو قاضٍ، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كانوا تخلفوا من غير عذر، ثُمَّ لَمْ يَبَالِغُوا فِي الاعتذار، كما فعل أولئك الذين تصدَّقوا بأموالهم، فوقف رسولُ الله ﷺ أمرهم، وهم مهجورون حتَّى نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿وعلى الثلاثة الذين

إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

خَلَفُوا... ﴿الآيات﴾. ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ﴾ بعقابه جزاءً لهم ﴿وإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ بفضلِهِ ﴿والله عليم﴾ بما يؤول إليه حالهم ﴿حكيم﴾ فيما يفعله بهم.

﴿والذين اتخذوا﴾ ومنهم الذين اتَّخذوا مسجدًا، وكانوا اثني عشر رجلًا^(١) من المنافقين، بنوا مسجدًا يضارُّون به مسجد قباء، وهو قوله: ﴿ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ بالنبي ﷺ وما جاء به ﴿وتفريقًا بين المؤمنين﴾ يفرِّقون به جماعتهم، لأنَّهم كانوا يصلُّون جميعاً في مسجد قباء، فبنوا مسجد الضُّرار ليصلِّي فيه بعضهم، فيختلفوا بسبب ذلك ﴿وإِرْصَادًا﴾ وانتظاراً ﴿لمن حارب الله ورسوله من قبل﴾ يعني: أبا عامر الرَّاهِب، كان قد خرج إلى الشَّام ليأتي بجندٍ يحارب بهم رسول الله ﷺ، وأرسل إلى المنافقين أن ابنوا لي مسجدًا ﴿وليحلفنَّ إِنْ أَرَدْنَا﴾ ببنائه ﴿إِلَّا﴾ الفعلة ﴿الحسنى﴾ وهي الرِّفق بالمسلمين، والتَّوسعة عليهم، فلمَّا بنوا ذلك المسجد سألوا النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَأْتِيَهُمْ فيصلِّي بهم في ذلك المسجد، فنهاه الله عزَّ وجلَّ، وقال:

﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ بُنِيَ جُدْرُهُ، وَرُفِعَتْ قَوَاعِدُهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ بُنِيَ وَحَدَّثَ بِنَاؤُهُ، وَهُوَ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

(١) وهم خذام بن خالد، وبحزج، وثعلبة بن حاطب (أو ابن أبي حاطب) وهو الأصح؛ لأنَّ الأول بدري، ووديعه بن ثابت، ومعتب بن قشير، وعَبَاد بن حنيف، ونبئل بن الحارث، وبجاد بن عون، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وزيد، ومجمّع ابنه.
انظر: التعريف والإعلام ص ١٥٠، وغرر التبيان ص ١٥٠، وأسباب النزول ص ٢٩٩.

أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ
 أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ
 هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا
 رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ

وقيل: هو مسجد قباء ﴿أحقُّ أن تقوم فيه﴾ للصلاة ﴿فيه رجال﴾ يعني: الأنصار
 ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ يعني: غسل الأدبار بالماء، وكان من عاداتهم في الاستنجاء
 استعمال الماء بعد الحجر ﴿والله يحب المطهرين﴾ من الشرك والتفانق.

﴿أفمن أسس بنيانه﴾ أي: بناءه الذي بناه ﴿على تقوى من الله﴾ مخافة الله، ورجاء
 ثوابه، وطلب مرضاته ﴿خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ على حرف
 مهواة ﴿فانهار به﴾ أوقع بنيانه ﴿في نار جهنم﴾ وهذا مثل. والمعنى: إنَّ بناء هذا
 المسجد كبناءٍ على حرفٍ جهنم يتهور بأهله فيها، لأنَّه معصيةٌ وفعلٌ لما كرهه الله
 من الضرار.

﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ شكاً في قلوبهم ﴿إلا أن تقطع
 قلوبهم﴾ بالموت، والمعنى: لا يزالون في شكٍّ منه إلى الموت، يحسبون أنَّهم
 كانوا في بنائه محسنين ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ فيما جعل لكلٍّ أحدٍ.

﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾ الآية. نزلت في بيعة
 العقبة^(١)، لما بايعت الأنصار رسول الله ﷺ على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به

(١) عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك
 ولنفسك ما شئت. قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن
 تمنعوني ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأموالكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنة.
 قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إنَّ الله اشترى من المؤمنين...﴾ الآية.
 أخرجه ابن جرير ٣٦/١١؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٠١.

وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ
 لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٨﴾ وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى
 يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٩﴾

وكان رسول الله ﷺ قد قال: لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه^(١)، فبيّن
 الله سبحانه كيف كان ذلك، فقال:

﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ وذلك أنه كان قد
 وعده أن يستغفر له رجاء إسلامه، وأن ينقله الله باستغفاره إِيَّاهُ من الكفر إلى
 الإسلام، وهذا ظاهر في قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٢)، وقوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ
 لَكَ﴾^(٣)، فلَمَّا مات أبوه مشركاً تَبَرَّأَ مِنْهُ وقطع الاستغفار. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾
 دَعَاءٌ كثير البكاء ﴿حَلِيمٌ﴾ لم يعاقب أحداً إلا في الله، ولم ينتصر من أحدٍ إلا لله،
 فَلَمَّا حَرَّمَ الاستغفار للمشرَكين بَيَّنَّ أَنَّهُ لَا يَأْخُذُهُمْ بِمَا فَعَلُوا؛ لَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ بَيَّنَّ
 لَهُمْ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، فقال:

﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ لِيُوقِعَ الضَّلَالَةَ فِي قُلُوبِهِمْ بَعْدَ الْهُدَى
 ﴿حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ فَلَا يَتَّقُوهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَحِقُّونَ الْإِضْلَالَ.

(١) عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه، قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةَ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ،
 وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ: أَيُّ عَمٍّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةٌ أَحَاجُ لَكَ بِهَا
 عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتُرْغَبُ عَنْ مَلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ،
 فَلَمْ يَزَالَا يَكْلِمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرُ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مَلَّةِ عَبْدِ الْمَطْلُبِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
 لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُكِّ عَنْكَ، فَتَزَلْتَ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾،
 وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ، فَتَحَ الْبَارِي ٣٤١/٨؛
 وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ بِرَقْمٍ ٢٤؛ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٥٦٢/١.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٧.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٤.

إِنَّ اللَّهَ لَكُم مَّلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ يَهْتَمِرُ بِهِمْ رُفُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِم عَن نَّفْسِهِ

﴿١١٦﴾ ﴿لقد تاب الله على النبي﴾ من إذنه للمنافقين في التَّخَلُّف عنه، وهو ما ذكر في قوله: ﴿عفا الله عنك...﴾ الآية ﴿والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبَعوه في ساعة العسرة﴾ في زمان عسرة الظَّهر، وعسرة الماء، وعسرة الزَّاد ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ من بعد ما همَّ بعضهم بالتَّخَلُّف عنه والعصيان، ثمَّ لحقوا به ﴿ثم تاب عليهم﴾ ازداد عنهم رضا.

﴿١١٧﴾ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي: عن التَّوْبَةِ عليهم. يعني: مَنْ ذكروا في قوله: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾^(١) ﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض﴾ لأنَّهم كانوا مهجورين لا يُعاملون ولا يُكَلِّمون ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ بالهم الذي حصل فيها ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾ أن لا مُعْتَصِم من عذاب الله إلاَّ به ﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾ أي: لطف بهم في التَّوْبَةِ ووفَّقهم لها.

﴿١١٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿اتقوا الله﴾ بطاعته ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ محمد وأصحابه. يأمرهم أن يكونوا معهم في الجهاد والشَّدة والرِّخاء. وقوله:

﴿١١٩﴾ ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدَّعة،

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا
يَغِيظُ الْكَفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا
يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا
إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ
لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ
إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ
الْكَفَّارِ

ورسول الله ﷺ في الحرِّ والمشقة. ﴿ذلك﴾ أي: ذلك النهي عن التخلف ﴿بأنهم﴾
لا يصيبهم ظمأٌ وهو شدة العطش ﴿ولا نصب﴾ إعياء من التعب ﴿ولا مخمصة﴾
مراجعة ﴿ولا يطؤون موطئاً﴾ ولا يقفون موقفاً ﴿يغيظ الكفار﴾ يغضبهم ﴿ولا﴾
ينالون من عدو نيلاً أسراً وقتلاً إلا كان ذلك قرينة لهم عند الله.

﴿١٢١﴾ ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ تمرّة فما فوقها ﴿ولا يقطعون وادياً﴾
يُجاوزونه في سيرهم ﴿إلا كتب لهم﴾ آثارهم وخُطاهم ﴿ليجزىهم الله أحسن﴾
بأحسن ﴿ما كانوا يعملون﴾ فلما عيب من تخلف عن غزوة تبوك قال المسلمون:
والله لا نتخلف عن غزوة بعد هذا، ولا عن سرية أبداً، فلما أمر رسول الله ﷺ
بالسرايا إلى العدو، نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو، وتركوا رسول الله ﷺ وحده
بالمدينة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿١٢٢﴾ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ ليخرجوا جميعاً إلى الغزو ﴿فلولا نفر من كلِّ﴾
فرقة منهم طائفة ﴿فهلّا خرج إلى الغزو من كلِّ قبيلة جماعة﴾ ليتفقهوا في الدين ﴿ليتعلموا القرآن والسُّنن والحدود﴾ يعني: الفرقة القاعدية ﴿وليُنذروا قَوْمَهُمْ إِذَا﴾
رجعوا إليهم ﴿وليُعلموهم ما نزل من القرآن ويخوفوهم به﴾ لعلهم يحذرون ﴿فلا﴾
يعملون بخلاف القرآن.

﴿١٢٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم﴾ يقربون منكم. أمروا بقتال الأدنى

وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُنْكَفِئِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ
 أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
 فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ
 أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ
 يَذْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَيْنَا مِنْ أَحَدٍ
 ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفٌ ﴿١٢٧﴾ اللَّهُ قُلُوبُهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

فالأدنى من عدوهم من المدينة ﴿وليجدوا فيكم غلظة﴾ شدة وعنفاً.

﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم﴾ من المنافقين ﴿من يقول أيكم زادته هذه إيماناً﴾
 يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزواً، فقال الله تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا فزادتهم
 إيماناً﴾ تصديقاً، لأنهم صدقوا بالأولى والثانية ﴿وهم يستبشرون﴾ يفرحون بنزول
 السورة.

﴿وأما الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ونفاق ﴿فزادتهم رجساً إلى رجسهم﴾ كفراً
 إلى كفرهم؛ لأنهم كلما كفروا بسورة ازداد كفرهم.

﴿أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ يُمتحنون بالأمراض والأوجاع،
 وهنَّ روائد الموت ﴿ثم لا يتوبون﴾ من التناق، ولا يتعظون كما يتعظ المؤمن
 بالمرض.

﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ كان إذا نزلت سورة فيها عيبُ المنافقين، وتلا عليهم
 رسول الله ﷺ شق ذلك عليهم، و﴿نظر بعضهم إلى بعض﴾ يريدون الهرب من
 عند رسول الله ﷺ، وقال بعضهم لبعض: ﴿هل يراكم من أحد﴾ إن قمتم، فإن
 لم يره أحدٌ خرجوا من المسجد، وإن علموا أن أحداً يراهم ثبتوا مكانهم حتى
 يفرغ من خطبته ﴿ثم انصرفوا﴾ على عزم الكفر والتكذيب ﴿صرف الله قلوبهم﴾
 عن كلِّ رشيدٍ وهدى ﴿بأنهم قومٌ لا يفقهون﴾ جزاء على فعلهم، وهو أنهم
 لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم الله إليه.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿١٢٨﴾ ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ من العرب من بني إسماعيل ليفهموا منه ﴿عزیز
عليه ما عنتم﴾ شديد عليه مشقتكم وكلُّ مضرّة تُصيبكم ﴿حريص عليكم﴾ أن
تؤمنوا. وهذا خطابٌ للكفار ومَن لم يؤمن به، ثم ذكر أنّه ﴿بالمؤمنين رؤوف
رحيم﴾.

﴿١٢٩﴾ ﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان. يعني: المشركين والمنافقين ﴿فقل حسيبي
الله﴾ أي: الذي يكفيني الله ﴿لا إله إلا هو عليه توكلت﴾ وبه وثقت ﴿وهو رب
العرش العظيم﴾ خصّ بالذكر لأنه أعظم ما خلق الله عزَّ وجلَّ.



سُورَةُ يُوسُفَ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَتِسْعُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الرَّ﴾ أنا الله أرى ^(٢). ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه الآيات التي أنزلتها عليك آيات القرآن ﴿الحكيم﴾ الحاكم بين الناس.

﴿أكان للناس﴾ أهل مكة ﴿عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم﴾ وذلك أنهم قالوا: ما وجد الله من يرسله إلينا إلا يتيماً أبي طالب؟! ﴿أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا﴾ أي: بعثناه بشيراً ونذيراً ﴿أن لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: الأعمال الصالحة. ﴿قال الكافرون إن هذا﴾ القرآن ﴿لـسحر مبين﴾.

﴿إن ربكم الله﴾ مفسرة في سورة الأعراف ^(٣)، وقوله: ﴿يدبر الأمر﴾ يقضيه

(١) ما بين [] زيادة من ظ وظا.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٧٩/١١؛ وفيه شريك، وهو صدوق يخطئ كثيراً، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط. فالحديث ضعيف.

(٣) انظر ص ٣٩٧.

مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢﴾ إِلَيْهِ
 مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ
 الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا
 خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا
 خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
 وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَحْمَدُكَ فِيهَا
 سَلَامٌ وَأَخْرَجَهُمْ مِنْهَا دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ ردُّ لقولهم: الأصنام شفعاؤنا عند الله.

﴿هو الذي جعل الشمس ضياء﴾ ذات ضياء ﴿والقمر نوراً﴾ ذا نور ﴿وقدَّره﴾
 وقَدَّرَ له ﴿منازل﴾ على عدد أيام الشهر ﴿ما خلق الله ذلك﴾ يعني: ما تقدَّم ذكره
 ﴿إلا بالحق﴾ بالعدل، أي: هو عادلٌ في خلقه، لم يخلقه ظلماً ولا باطلاً ﴿يفصِّل
 الآيات﴾ يُبَيِّنُهَا ﴿لقوم يعلمون﴾ يستدلُّون بها على قدرة الله.

﴿إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدلاً من
 الآخرة ﴿واطمأننوا بها﴾ وركنوا إليها ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ ما أنزلت من الحلال
 والحرام والشرائع ﴿غافلون﴾. وقوله:

﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ أي: إلى الجنان ثواباً لهم بإيمانهم.

﴿دعواهم﴾ دعاؤهم ﴿فيها سبحانك اللهم﴾ وهو أنَّهم كلَّمَا اشتبهوا شيئاً قالوا:
 سبحانك اللهم، فجاءهم ما يشتهون، فإذا طعموا ممَّا يشتهون قالوا: الحمد لله

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ (١١) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٢) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٣)

ربِّ العالمين^(١).

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ... ﴾ الآية. نزلت في دعاء الرَّجُل على نفسه وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له، والمعنى: لو استجبتُ لهم في الشرِّ كما يحبُّون أن يستجاب لهم في الخير ﴿لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ لماتوا، وفُرِّغَ من هلاكهم. نزلت في النَّضْر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ...﴾^(٢) الآية. يدلُّ على هذا قوله: ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ يعني: الكفَّار الذين لا يخافون البعث.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ﴾ يعني: الكافر ﴿الضُّرُّ﴾ المرض والبلاء ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ﴾ أي: مضطجعاً ﴿أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ فلما كشفنا عنه ضُرَّهُ مَرَّ ﴿طَائِعِيًّا﴾ على ترك الشُّكْرِ ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ﴾ لَنسيانته ما دعا الله فيه، وما صنع الله به ﴿كَذَلِكَ﴾ زين ﴿كما زُيِّنَ لهذا الكافر الدُّعاء عند البلاء، والإِعْرَاض عند الرَّخَاء﴾ زين للمُسْرِفِينَ عملهم، وهم الذين أسرفوا على أنفسهم، إذ عبدوا الوثن.

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يخوِّف كفار مَكَّةَ بمثل عذاب الأمم الخالية ﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾ لأنَّ الله طبع على قلوبهم جزاءً لهم على كفرهم ﴿كَذَلِكَ﴾ نجزي القوم المجرمين ﴿نفعل بمنْ كَذَّبَ بِمُحَمَّدٍ﴾ كما فعلنا بمنْ قبلهم جزاءً لكفرهم.

(١) وهذا قول ابن جريج. أخرجه ابن جرير ٨٩/١١.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنْتَ بِفِرْعَوْنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ

﴿١٤﴾ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم يعني: أهل مكة ﴿لننظر كيف تعملون﴾ لنختبر أعمالكم.

﴿١٥﴾ وإذا تتلى عليهم على هؤلاء المشركين ﴿آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿أنت بفرآن غير هذا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أو بدله﴾ تكلم به من ذات نفسك، فبدل منه ما نكرهه ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ ما ينبغي لي أن أغیره من قبل نفسي ﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾ ما أخبركم إلا ما أخبرني الله به، أي: الذي أتيت به من عند الله، لا من عندي نفسي فأبدله.

﴿١٦﴾ قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ما قرأت عليكم القرآن ﴿ولا أدراكم به﴾ ولا أعلمكم الله به ﴿فقد لبثت فيكم عمراً من قبله﴾ أقمت فيكم أربعين سنة لا أحدثكم شيئاً ﴿أفلا تعقلون﴾ أنه ليس من قبلي.

﴿١٧﴾ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً لا أحد أظلم ممن يظلم ظلم الكفر، أي: إني لم أفتر على الله، ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أن معه شريكاً ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾ لا يسعد من كذب أنبياء الله.

﴿١٨﴾ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم إن لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ في إصلاح معاشهم في الدنيا؛ لأنهم لا يقرؤون

قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُتِحَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى

بالبعث ﴿ قل أننبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ﴾ أتخبرون الله أن له شريكاً، ولا يعلم الله سبحانه لنفسه شريكاً في السموات ولا في الأرض، ثم نزه نفسه عما افتروه فقال: ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾.

﴿ وما كان الناس إلا أمة واحدة ﴾ يعني: من لدن عهد إبراهيم عليه السلام إلى أن غير الدين عمرو بن لحي ﴿ فاختلفوا ﴾ واتخذوا الأصنام ﴿ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴾ بتأخير عذاب هذه الأمة إلى القيامة ﴿ لقضي بينهم ﴾ بنزول العذاب.

﴿ ويقولون ﴾ يعني: أهل مكة: ﴿ لولا ﴾ هلاً ﴿ أنزل عليه آية من ربه ﴾ مثل العصا، وما جاءت به الأنبياء ﴿ فقل إنما الغيب لله ﴾ أي: إن قولكم: هلاً أنزل عليه آية غيب، وإنما الغيب لله لا يعلم أحدٌ لم يفعل ذلك ﴿ فانتظروا ﴾ نزول الآية ﴿ إني معكم من المنتظرين ﴾.

﴿ وإذا أذقنا الناس ﴾ كفار مكة ﴿ رحمة ﴾ مطراً وخصباً ﴿ من بعد ضراء مستهم ﴾ فقر وبؤس ﴿ إذا لهم مكر في آياتنا ﴾ قول بالكذب، أي: إذا أخصبوا بطروا، فاحتالوا لدفع آيات الله ﴿ قل الله أسرع مكرًا ﴾ أسرع نقمة. يعني: إن ما يأتيهم من العقاب أسرع في إهلاكهم مما أتوه من المكر في إبطال آيات الله ﴿ إن رسلنا ﴾ يعني: الحفظة ﴿ يكتبون ما تمكرون ﴾ للمجازاة به في الآخرة.

﴿ هو الذي يسيركم في البر ﴾ على المراكب والظهور ﴿ والبحر ﴾ على السفن ﴿ حتى

إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَجَبْنَاهُمْ مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَجَبْنَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغِيكُم عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أُنْزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا عَلَيْهِمْ أَتَيْنَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ

إذا كنتم في الفلك السفن وجرين بهم يعني: وجرت السفن بمن ركبها في البحر بريح طيبة رضاء ليثة وفرحوا بتلك الريح اللينة واستوائها وجاءتها ريع عاصف شديدة وجاءهم الموج وهو ما ارتفع من الماء من كل مكان من البحر وظنوا أنهم أحيط بهم دنوا من الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين تركوا الشرك وأخلصوا لله الربوبية، وقالوا لئن أنجيتنا من هذه الريح العاصفة لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين.

﴿٢٢﴾ فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يعملون بالفساد والمعاصي والجرأة على الله. ﴿يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أي: بغى بعضكم على بعض متاع الحياة الدنيا أي: ما ينالونه بهذا الفساد والبغى إنما يتمتعون به في الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم.

﴿٢٣﴾ إنما مثل الحياة الدنيا يعني: الحياة الفانية في هذه الدار كماء كمطر أنزلناه من السماء فاختلط به بذلك المطر ويسببه نبات الأرض مما يأكل الناس من البقول والحبوب والثمار والأنعام من المراعي والكلأ حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وزيتها وحسناها وازيمنت بنباتها وظن أهل تلك الأرض أنهم قادرون على حصادها والانتفاع بها أتاها أمرنا عذابنا فجعلناها حصيدا لا شيء فيها كأن لم تغن بها لم تكن بالأمس كذلك

نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾

الحياة في الدنيا سببٌ لاجتماع المال وزهرة الدنيا، حتى إذا كثر ذلك عند صاحبه، [وظنَّ] أنَّه ممتَّعٌ به سلب ذلك عنه بموته، أو بحادثة تهلكه ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ كما بيَّنا هذا المثل للحياة الدنيا كذلك يُبين الله آيات القرآن ﴿لقوم يتفكرون﴾ في المعاد.

﴿والله يدعو إلى دار السلام﴾ وهي الجنة ^(١) يبعث الرُّسول، ونصب الأدلة ﴿ويهدي من يشاء﴾ عمَّ بالدعوة، وخصَّ بالهداية مَنْ يشاء. ﴿للذين أحسنوا﴾ قالوا: لا إله إلا الله ﴿الحسنَى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾ النَّظر إلى وجه الله الكريم عزَّ وجلَّ ^(٢) ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قترٌ﴾ سوادٌ من الكآبة ﴿ولا ذلة﴾ كما يصيب أهل جهنَّم، وهذا بعد نظرهم إلى ربِّهم تبارك وتعالى.

(١) عن النّوأس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، على كتفي الصراط سوران لهما أبوابٌ مُفْتَحَةٌ، وعلى الأبواب سورٌ، وداع يدعو على رأس الصراط، وداع يدعو من فوقه ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾. فالأبواب التي على كتفي الصراط حدود الله، لا يقع أحدٌ في حدود الله حتى يكشف ستر الله، والذي يدعو من فوقه واعظ الله.

أخرجه الترمذي برقم ٢٨٥٩؛ وأحمد ٤/١٨٣؛ وابن أبي حاتم في تفسير الفاتحة رقم ٣٣؛ والحاكم ١/٧٣؛ وصححه ووافقه الذهبي، وسنده حسن.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه، في تفسير سورة يونس. وقال ابن حجر: ولعبد بن حميد عن عكرمة قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ قالوا لا إله إلا الله ﴿الحسنَى﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾: النظر إلى وجه الله الكريم. وقد ورد ذلك في حديث مرفوع أخرجه مسلم والترمذي وذكره. فتح الباري ٣٤٧/٨. قلت: وحديث مسلم أخرجه في الإيمان برقم ١٨١؛ والترمذي في صفة الجنة برقم ٢٥٥٢؛ وكذا أخرجه ابن ماجه برقم ١٨٧؛ والنسائي في التفسير ١/٥٧٠؛ والحاثر بن أبي أسامة في مسنده. انظر: المطالب العالية ٣/٣٤٢.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ كَأَنَّمَا أَغْشِيَتْ
وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ أَلِيلٍ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ
نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾
فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَوْنَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا
أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

﴿٢٧﴾ والذين كسبوا السيئات ﴿جزاء سيئة﴾ عملوا الشُّرك ﴿جزاء سيئة﴾ أي: فلهم جزاء سيئة
بمثلها وترهقهم ذلة ﴿يُصيبهم ذلٌّ وخزيٌّ وهوانٌ﴾ ما لهم من الله ﴿من عذاب الله﴾
﴿من عاصم﴾ من مانع يمنعهم ﴿كأنما أغشيت﴾ ألبست ﴿وجوههم قطعاً﴾ طائفة
﴿من الليل﴾ وهو مظلم.

﴿٢٨﴾ ويوم نحشرهم جميعاً ﴿نجمعهم جميعاً: الكفارَ والتهتهم﴾ ثمَّ نقول للذين
أشركوا مكانكم ﴿قفوا والزموا مكانكم﴾ أنتم وشركاؤكم ﴿فرّقنا وميّزنا﴾
﴿بينهم﴾ بين المشركين وبين شركائهم، وانقطع ما كان بينهم من التّواصل في
الدُّنيا ﴿وقال شركاؤهم﴾ وهي الأوثان: ﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾ أنكروا عبادتهم،
وقالوا: ما كنّا نشعر بأنكم إيانا تعبدون، والله يُنطقها بهذا.

﴿٢٩﴾ فكفى بالله شهيداً... الآية. هذا من كلام الشُّركاء. قالوا: شهد الله على علمه
فينا، ما ﴿كنّا عن عبادتكم﴾ إلا غافلين؛ لأنّا كنّا جماداً لم يكن فينا روحٌ.

﴿٣٠﴾ هنالك ﴿في ذلك الوقت﴾ تختبر ﴿تبلو﴾ كلُّ نفس ما أسلفت ﴿جزاء ما قدّمت من﴾
خيرٍ أو شرٍّ ﴿ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾ أي: الذي يملك تولّي أمرهم ويجازيهم
بالحقّ ﴿وضلّ عنهم﴾ زال وبطل ﴿ما كانوا يفترون﴾ في الدُّنيا من التّكذيب.

﴿٣١﴾ قل مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَنْ يُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرَ، وَيُخْرِجُ النَّبَاتَ
مِنَ الْأَرْضِ؟ ﴿أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ مَنْ جعلها وخلقها لكم؟ على
معنى: مَنْ يملك خلقها ﴿ومن يخرج الحيّ من الميت﴾ المؤمن من الكافر،

وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ
الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ
فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدُوا الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَوَفَّكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِيَ إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِمَنْ يَهْدِي إِلَى
الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَأَلَكُمُ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

وَالنَّبَات من الأرض، والإنسان من التُّفْطَة، وعلى الضد من ذلك ﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ
من الحيِّ وَمَنْ يُدِيرُ﴾ أمر الدنيا والآخرة ﴿فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ أي: الله الذي يفعل هذه
الأمور، فإذا أقرؤوا بعد الاحتجاج عليهم ﴿فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ أفلا تخافون الله، فلا
تشركون به شيئاً.

﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ أي: الذي هذا كله فعله هو الحق، ليس هؤلاء الذين
جعلتم معه شركاء ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ﴾ بعد عبادة الله ﴿إِلَّا الضَّلَالُ﴾ يعني: عبادة
الشَّيْطَان ﴿فَأَنْتُمْ تُصِرُّونَ﴾ يريد: كيف تُصِرُّ عقولكم إلى عبادة ما لا يرزق ولا
يحيي ولا يميت.

﴿كَذَلِكَ﴾ هكذا ﴿حَقَّتْ﴾ صدقت ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ بالشَّقَاوَة والخِذْلَان ﴿عَلَى
الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ تَمَرَّدُوا في الكفر ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ يعني: أَلَهْتِكُمْ ﴿مَنْ يَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَى الْحَقِّ﴾ إلى دين
الإسلام ﴿قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ أي: إلى الحق ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي﴾ أي: الله الذي يهدي، ويرشد إلى الحق أهل الحق أحقُّ أَنْ
يُتَّبَعَ أمره أَمْ الأصنام التي لا تهدي أحداً ﴿إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ يُرشد، وهي - وإنْ
هُدِيت - لم تهتد، ولكنَّ الكلام نزل على أَنَّهَا إنْ هُودِيت اهتدت؛ لأنَّهم لَمَّا
اتخذوها آلهةً عَبَّرَ عنها كما يُعَبَّرُ عَمَّنْ يَعْلَمُ ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ أيُّ شيء لكم في عبادة
الأوثان، وهذا كلام تامٌّ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ يعني: كيف تقضون حين زعمتم أنَّ مع
الله شريكاً.

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

﴿٣٦﴾ وما يتبع أكثرهم ﴿يعني: الرؤساء؛ لأنَّ السَّفلة يتَّبِعون قولهم﴾ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ يظنون أنَّها آلهة ﴿إِنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ليس الظنُّ كاليقين. يعني: إِنَّ الظَّنَّ لا يقوم مقام العلم. ﴿إِنَّ الله عليم بما يفعلون﴾ من كفرهم.

﴿٣٧﴾ وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ﴿هذا جوابٌ لقولهم:﴾ ﴿أئت بقرآنٍ غير هذا﴾^(١) يقول: ما كان هذا القرآن افتراءً من دون الله ﴿ولكن تصديق﴾ [ولكن كان تصديقاً]^(٢) ﴿الذي بين يديه﴾ من الكتب ﴿وتفصيل الكتاب﴾ [يعني: تفصيل]^(٣) المكتوب من الوعد لمن آمن، والوعيد لمن عصى ﴿لا ريب فيه﴾ لا شك في نزوله من عند ربِّ العالمين.

﴿٣٨﴾ أم يقولون افتراه ﴿بل أتقولون: افتراه محمد﴾ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴿إِنْ كَانَ مَفْتَرًى﴾ وادعوا ﴿إلى معاونتكم على المعارضة كلِّ مَنْ تقدرون عليه﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنَّ محمداً اختلقه من عند نفسه، ونظيرُ هذه الآية في سورة البقرة: ﴿وإن كنتم في ريب...﴾^(٤) الآية.

﴿٣٩﴾ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴿أي: بما في القرآن من الجنة والنار، والبعث والقيامة﴾ ولما يأتهم تأويله ﴿ولم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعدوا في الكتاب﴾ كذلك كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ بالبعث والقيامة.

(١) سورة يونس: الآية ١٥.

(٢) ليس في الأصل.

(٣) ليس في الأصل.

(٤) الآية: ﴿وإن كنتم في ريبٍ ممَّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبِّكَ
 أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا
 بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾
 وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
 النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ
 النَّهَارِ

﴿ومِنْهُمْ﴾ ﴿٤٠﴾ ومن كفَّار مَكَّةَ ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يعني: قوماً علم أنَّهم يؤمنون ﴿ومِنْهُمْ
 مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ، وربك أعلم بالمفسدين﴾ يريد: المكذِّبين، وهذا تهديدٌ لهم.

﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي...﴾ الآية. نسختها آية الجهاد.

﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ نزلت في المستهزئين كانوا يستمعون الاستهزاء
 والتكذيب، فقال الله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ يريد أنَّهم بمنزلة الصُّمِّ لشدة
 عداوتهم ﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾ أي: ولو كانوا مع كونهم صمًّا جهالاً! أخبر الله
 سبحانه أنَّهم بمنزلة الصُّمِّ الجهال إذ لم ينتفعوا بما سمعوا.

﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ مُتَعَجِّباً منك غير منتفع بنظره ﴿أَفَأَنْتَ تهدي العمي ولو
 كانوا لا يبصرون﴾ يريد: إِنَّ اللَّهَ أَعْمَى قلوبهم فلا يبصرون شيئاً من الهدى.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ لَمَّا ذَكَرَ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ ذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَظْلِمْهُمْ بِتَقْدِيرِ
 الشَّقَاوَةِ عَلَيْهِمْ؛ لَأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي مَلِكِهِ ﴿وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بكسبهم
 المعاصي.

﴿وَيَوْمَ نُحْشَرُهُمْ﴾ ^(١) كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ ﴿كَانَ لَمْ يَلْبَثُوا فِي قُبُورِهِمْ

(١) قرأ «نحشرهم» جميع القراء إلا حفصاً؛ فإنه قرأ «يحشرهم» بالياء. الإنحاف ص ٢٥٠.

يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّمَا نُرِيكَ بِعَضِّ أَلَدِي نَعْدُهُمْ
أَوْ نَتُوفِيكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ
رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا
يَسْتَجِيرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعِيدُونَ ﴿٤٩﴾

إِلَّا قَدْرَ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، استقصروا تلك المدة من هول ما استقبلوا من أمر البعث والقيامة ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً تعارف توبيخ؛ لأنَّ كلَّ فريق يقول للآخر: أنت أضللتني وما يشبه هذا ﴿قد خسر﴾ ثواب الجنة ﴿الذين كذبوا﴾ بالبعث.

﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بِعَضِّ أَلَدِي نَعْدُهُمْ﴾ يريد: ما ابتلوا به يوم بدرٍ ﴿أو نتوفيك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ أي: فنعدّ بهم في الآخرة ﴿ثمَّ الله شهيد على ما يفعلون﴾ من محاربتك وتكذيبك، فيجزئهم بها، ومعنى الآية: إن لم ينتقم منهم في العاجل ينتقم منهم في الآجل.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ يُرْسَلُ إِلَيْهِمْ ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ وهو هلاك مَنْ كَذَبَهُ، ونجاة من تبعه ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ لا يُنْقَصُ ثَوَابُ الْمُصَدِّقِ، وَيُجَازَى الْمَكْذِبُ بِتَكْذِيبِهِ.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ قالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿وَإِنَّمَا نُرِيكَ بِعَضِّ أَلَدِي نَعْدُهُمْ...﴾^(١) الآية، فقالوا: متى هذا العذاب الذي تعدنا يا محمّد؟ ﴿إِنْ كُنْتُمْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدٌ وَأَتْبَاعُكَ صَادِقِينَ.

﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ الآية مفسّرة في آيتين من سورة الأعراف^(٢)، فلمّا استعجلوا العذاب قيل للنبي ﷺ:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ ؕ الْكُنْ وَكُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ﴿ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ؕ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ؕ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٠﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أعلمتم ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ المجرمون ﴿أَيُّ شَيْءٍ يَسْتَعْجِلُ الْمُجْرِمُونَ مِنَ الْعَذَابِ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّهْوِيلُ وَالتَّفْطِيعُ، أَيُّ: مَا أَعْظَمَ مَا يَلْتَمِسُونَ وَيَسْتَعْجِلُونَ! كَمَا تَقُولُ: أَعْلَمْتُ مَاذَا تَجْنِي عَلَى نَفْسِكَ؟! فَلَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا، قَالُوا: نَكْذِبُ بِالْعَذَابِ وَنَسْتَعْجِلُهُ، فَإِذَا وَقَعَ آمَنَّا بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿٥١﴾ ﴿أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ وَحَلَّ بِكُمْ ﴿آمَنْتُمْ بِهِ﴾ بَعْدَ نَزْوِلِهِ، فَلَا يَقْبَلُ مِنْكُمْ الْإِيمَانَ، وَيُقَالُ لَكُمْ: ﴿الْآنَ﴾ تَوْمِنُونَ بِهِ ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا مُسْتَهْزِئِينَ.

﴿٥٢﴾ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ﴾ يَسْتَخْبِرُونَكَ ﴿أَحَقُّ﴾ مَا أَخْبَرْتَنَا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَالبُعْثِ؟ ﴿قُلْ: إِي﴾ نَعَمْ ﴿وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ يَعْنِي: الْعَذَابُ نَازِلٌ بِكُمْ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بَعْدَ الْمَوْتِ، أَيُّ: فَتَجَازُونَ بِكُفْرِكُمْ.

﴿٥٣﴾ ﴿لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ أَشْرَكَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ لِبَذْلَتِهِ لِدَفْعِ الْعَذَابِ عَنْهَا ﴿وَأَسْرُوا﴾ أَخْفَوْا وَكْتَمُوا ﴿النَّدَامَةَ﴾ يَعْنِي: الرُّؤْسَاءُ مِنَ السَّفَلَةِ الَّذِينَ أَضْلَوْهُمْ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ بَيْنَ السَّفَلَةِ وَالرُّؤْسَاءِ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ، فَيَجَازِي كُلُّ عَلَى صَنِيعِهِ.

﴿٥٤﴾ ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ مَا وَعَدَ لِأَوْلِيَائِهِ [وَأَعْدَائِهِ] ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ.

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
الْصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَللَّهُ
أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ
مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ

﴿٥٦﴾ يا أيها الناس يعني: قريشاً ﴿قد جاءكم موعظة من ربكم﴾ القرآن ﴿وشفاء لما﴾
في الصدور ﴿ودواء لداء الجهل﴾ وهدى ﴿وبيان من الضلالة﴾ ورحمة للمؤمنين ﴿ونعمة من الله سبحانه لأصحاب محمد﴾.

﴿٥٨﴾ قل بفضل الله ﴿والإسلام﴾ وبرحمته ﴿القرآن﴾ ﴿فبذلك﴾ الفضل والرحمة ﴿فليفرحوا هو خير﴾ أي: ما آتاهم الله من الإسلام والقرآن خير مما يجمع غيرهم
من الدنيا.

﴿٥٩﴾ قل ﴿لكفار مكة﴾: ﴿أرأيتم ما أنزل الله﴾ خلقه وأنشأ لكم ﴿من رزق فجعلتم منه﴾
حراماً وحلالاً يعني: ما حرّموه ممّا هو حلالٌ لهم من البحيرة وأمثالها، وأحلّوه
ممّا هو حرامٌ من الميتة وأمثالها ﴿قل الله أذن لكم﴾ في ذلك التّحريم والتّحليل
﴿أم﴾ بل ﴿على الله تفترون﴾.

﴿٦٠﴾ وما ظنّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة أي: ما ظنّهم ذلك اليوم بالله
وقد افتروا عليه؟ ﴿إنّ الله لذو فضلٍ على الناس﴾ أهل مكة حين جعلهم في أمنٍ
وحرّم إلى سائر ما أنعم به عليهم ﴿ولكنّ أكثرهم لا يشكرون﴾ لا يؤخّدون
ولا يطيعون.

﴿٦١﴾ وما تكون يا محمد ﴿في شأن﴾ أمرٍ من أمورك ﴿وما تتلو منه﴾ من الله ﴿من﴾
قرآن ﴿أنزله عليك﴾ ولا تعملون من عمل ﴿خاطبه وأمّته﴾ ﴿إلا كُنّا عليكم شهوداً﴾
نشاهد ما تعلمون ﴿إذ تفيضون﴾ تأخذون ﴿فيه وما يعزب﴾ يغيب ويبعد ﴿عن﴾

رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكَلِمَتِهِ أَنْ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا

ربك من مثقال ذرة ﴿﴾ وزن ذرة ﴿﴾ إلا في كتاب مبين ﴿﴾ يريد: اللوح المحفوظ الذي أثبت الله سبحانه فيه الكائنات.

﴿٦١﴾ ﴿﴾ ألا إن أولياء الله ﴿﴾ هم الذين تولّى الله سبحانه هداهم.

﴿٦٢﴾ ﴿﴾ الذين آمنوا ﴿﴾ صدّقوا النبي ﴿﴾ وكانوا يتقون ﴿﴾ خافوا مقامهم بين يدي الله سبحانه.

﴿٦٣﴾ ﴿﴾ لهم البشرى في الحياة الدنيا ﴿﴾ عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشرى من الله ﴿﴾ وفي الآخرة ﴿﴾ يُبَشِّرُونَ بِثَوَابِ اللَّهِ وَجَنَّتْهُ ﴿﴾ لا تبديل لكلمات الله ﴿﴾ لا خلف لمواعيده.

﴿٦٤﴾ ﴿﴾ ولا يحزنك قولهم ﴿﴾ تكذيبهم إياك ﴿﴾ إن العزة لله ﴿﴾ القوة لله والقدرة لله ﴿﴾ جميعاً ﴿﴾ وهو ناصرك ﴿﴾ وهو السميع ﴿﴾ يسمع قولهم ﴿﴾ العليم ﴿﴾ بما في ضميرهم، فيجازيهم بما يقتضيه حالهم.

﴿٦٥﴾ ﴿﴾ ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض ﴿﴾ يعني: يفعل بهم وفيهم ما يشاء ﴿﴾ وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ﴿﴾ أي: ليسوا يتبعون شركاء على الحقيقة؛ لأنهم يعدّونها شركاء شفعاء لهم، وليست على ما يظنون ﴿﴾ إن يتبعون إلا الظن ﴿﴾ ما يتبعون إلا ظنهم أنها تشفع لهم ﴿﴾ وإن هم إلا يخرصون ﴿﴾ يقولون ما لا يكون.

﴿٦٦﴾ ﴿﴾ هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ﴿﴾ مُضِيئاً لتَهْتَدُوا به في

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِّن سُلْطٰنٍ بِهٰذَا أَتَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ قُلْ إِنَّمَا الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٠﴾ * وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَفْقَهُوا إِن كَان كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي وَتَذِكْرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ

حوائجكم ﴿٨٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٨٣﴾ سَمِعَ اعتبار.

﴿٧٨﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٧٩﴾ يعني: قولهم: الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عما قالوه ﴿هو الغني﴾ أن يكون له زوجة أو ولد ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا﴾ ما عندكم من حجة بهذا، وقوله:

﴿٧٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ﴿٨٠﴾ أي: لهم متاع في الدنيا يتمتعون به أياماً يسيراً، وقوله:

﴿٨١﴾ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِي ﴿٨٢﴾ أي: عَظُمَ وَشَقَّ عَلَيْكُمْ مَكْنِي وَلَبِي فِيكُمْ ﴿وتذكيري بآيات الله﴾ وعظي وتخويفي إِيَّاكُمْ عقوبة الله ﴿فعلى الله توكلت﴾ فافعلوا ما شئتم، وهو قوله: ﴿فاجمعوا أمركم وشركاءكم﴾ أي: اعزموا على أمرٍ مُحْكَمٍ تجتمعون عليه ﴿وشركاءكم﴾ مع شركائكم. وقيل: معناه: وادعوا شركاءكم يعني: آلهتكم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي: ليكن أَمْرُكُمْ ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه ممّا شئتم لا كَمَنْ يَكْتُمُ أَمْرًا وَيُخْفِيهِ، فلا يقدر أن يفعل ما يريد ﴿ثُمَّ اقضوا إِلَيَّ﴾ افعلوا ما تريدون، وامضوا إِلَيَّ بمكروهكم ﴿ولا تنظرون﴾ ولا تُؤْخَرُوا أَمْرِي، والمعنى: ولا تألوا في الجمع والقوة؛ فإنكم لا تقدرُونَ على مساءتي؛ لأنَّ لي إلهاً يمنعني، وفي هذا تقوية لقلب مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ سبيله مع قومه كسبيل الأنبياء من قبله.

﴿٨٣﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ ﴿٨٤﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ مالٍ تعطونه، وهذا

إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَعَلْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلْقًا وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسِحْرٌ مِثْلُ سِحْرِ مُوسَى ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَاجْتَنَّا لِتُلْقِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ

من قول نوح عليه السلام لقومه، وقوله:

﴿٧٤﴾ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ يعني: أمم الأنبياء والرُّسل ﴿بِمَا﴾ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُ نوح. أي: هؤلاء الآخرون لم يؤمنوا بما كَذَّبَ بِهِ أَوْلُوهُمْ، وقد علموا أَنَّ الله سبحانه أغرقهم بتكذيبهم، ثم قال: ﴿كَذَلِكَ﴾ كما طبعنا على قلوبهم ﴿نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ المُجَازِينَ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِل، وقوله:

﴿٧٨﴾ ﴿قَالُوا أَاجْتَنَّا لِتُلْقِنَا لِرَدِّدْنَا﴾ لِرَدِّدْنَا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمُ الْكِبْرِيَاءُ﴾ الْمَلِكُ وَالْعِزُّ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فِي أَرْضِ مِصْر، وقوله:

﴿٨١﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ سَيُهْلِكُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لَا يَجْعَلُهُ يَنْفَعُهُمْ.

﴿٨٢﴾ ﴿وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ﴾ وَيُظْهِرُهُ بِالذَّلَائِلِ الْوَاضِحَةِ ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ بِوَعْدِهِ.

﴿٨٣﴾ ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ يعني: مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَكَانُوا ذُرِيَّةَ أَوْلَادٍ يَعْقُوبُ ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ وَرُؤَسَائِهِمْ ﴿أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾

وَأَن فِرْعَوْنَ لَّعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَقَوْمُ إِن كُنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

يصرفهم عن دينهم بمحنة وبليّة يوقعهم فيها ﴿وَأَن فِرْعَوْنَ لَّعَالِي﴾ متناول ﴿في الأرض﴾ في أرض مصر ﴿وإنه لمن المسرفين﴾ حيث كان عبداً فادّعى الربوبية، وقوله:

﴿٨٥﴾ ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ أي: لا تظهرهم علينا فيروا أنهم خيرٌ منا، فيزدادوا طغياناً ويقولوا: لو كانوا على حقٍّ ما سلطنا عليهم، فيفتنوا.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ...﴾ الآية. لما أرسل موسى صلوات الله عليه إلى فرعون أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فخرّبت كلّها، ومنعوا من الصلاة، فأمرُوا أَن يَتَّخِذُوا مساجد في بيوتهم، ويصلُّوا فيها خوفاً من فرعون، فذلك قوله: ﴿تَبَوَّءَا لِقَوْمَكُمَا﴾ أي: اتَّخَذَا لهم ﴿بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ في دورهم ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ أي: صلُّوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف، وقوله:

﴿٨٨﴾ ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ﴾ أي: جعلت هذه الأموال سبباً لضلالهم؛ لأنهم بطروا، فاستكبروا عن الإيمان ﴿رَبَّنَا اطمس على أموالهم﴾ امسخها وأذهبها عن صورتها، فصارت دراهمهم ودنانيرهم حجارةً منقوشةً صحاحاً وأنصافاً، وكذلك سائر أموالهم ﴿واشدّد على قلوبهم﴾ اطبع عليها حتى لا تلين ولا تشرح للإيمان ﴿فلا يؤمنوا﴾ دعاءٌ عليهم ﴿حتى يروا العذاب الأليم﴾ يعني: الغرق، فاستجيب في ذلك، فلم يؤمن فرعون حتى أدركه الغرق.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ فَاَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَالَتْنِ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ يَدْنِكَ لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿٨٩﴾ قال قد أجيب دعوتكما ﴿فاستقيما﴾ وذلك أن موسى دعا، وأمن هارون^(١) ﴿فاستقيما﴾ على الرسالة والدعوة ﴿ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون﴾ لا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلا قضائي، وقوله:

﴿٩٠﴾ ﴿فأتبعهم فرعون وجنوده﴾ طلبوا أن يلحقوا بهم ﴿بغياً﴾ طلباً للاستعلاء بغير حق ﴿وعدوا﴾ ظلماً ﴿حتى﴾ إذا أدركه الغرق ﴿تلفظ بما أخبر الله عنه حين لم ينفعه ذلك^(٢)، لأنه رأى اليأس وعائنه، فقبل له: ﴿الآن وقد عصيت قبل﴾ أي: الآن تؤمن أو تتوب؟ فلما أغرقه الله جحد بعض بني إسرائيل غرقه، وقالوا: هو أعظم شأناً من أن يغرق، فأخرجه الله سبحانه من الماء حتى رأوه، فذلك قوله:

﴿٩١﴾ ﴿فاليوم ننجيك﴾ نخرجك من البحر بعد الغرق ﴿بيدنك﴾ بجسدك الذي لا روح فيه ﴿لتكون لمن خلفك آية﴾ نكالاً وعبرة ﴿وإن كثيراً من الناس﴾ يريد: أهل مكة ﴿عن آياتنا﴾ عما يراد بهم ﴿لغافلون﴾ .

(١) وهذا قول ابن جريج وعكرمة ومحمد بن كعب، وأبي العالية، وغيرهم. تفسير ابن جرير ١٦١/١١.

(٢) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: لما أغرق الله فرعون قال: ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ قال جبريل: يا محمد، فلو رأيته وأنا آخذ من حال البحر فادش في فيه مخافة أن تُدركه الرحمة. (والحال: الطين الأسود).

أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٠٦، وقال: حسن غريب صحيح، وأخرجه أحمد ٢٤٠/١، وابن جرير ١٦٣/١١ بسند صحيح؛ والحاكم ٣٤٠/٢؛ وصححه، وأقره الذهبي؛ والطيالسي برقم ٢٦١٨.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أُنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونُوا مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَنْفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمُ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

﴿٩٣﴾ ﴿ولقد بَوَّأْنَا بني إسرائيل مَبُوءًا صدق﴾ أنزلنا قريظة والنضير منزل صدق، أي: محموداً مختاراً، يريد: من أرض يثرب، ما بين المدينة والشَّام ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ من النَّخْلِ والثمار، ووسَّعنا عليهم الرِّزْق ﴿فما اختلفوا﴾ في تصديق النبي ﷺ وأَنَّهُ رسولٌ مبعوثٌ ﴿حتى جاءهم العلم﴾ حقيقة ما كانوا يعلمونه، وهو مُحَمَّدٌ عليه السَّلام بنعته وصفته، والقرآن، وذلك أَنَّهُم كانوا يُخبرون عن زمانه ونبوته، ويؤمنون به، فلَمَّا أتاهم اختلفوا، فكفر به أكثرهم.

﴿٩٤﴾ ﴿فإن كنت في شك﴾ هذا في الظَّاهر خطابٌ للنبي ﷺ، والمراد به غيره من الشَّاكِّين في الدِّين، وقوله: ﴿فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك﴾ يعني: مَنْ آمَن من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، فيشهدون على صدق محمد، ويخبرون بنبوته وباقي الآية والتي تليها خطاب للنبي ﷺ والمراد به غيره.

﴿٩٥﴾ ﴿إن الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾ وجبت عليهم كلمة العذاب.

﴿٩٦﴾ ﴿لا يؤمنون﴾ ولو جاءتهم كلُّ آية ذلك أَنَّهُم كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتى يؤمنوا، فقال الله تعالى: ﴿لا يؤمنون﴾ ولو جاءتهم كلُّ آية حتى يروا العذاب الأليم﴾ فلا ينفعهم حينئذٍ الإيمان كما لم ينفع فرعون.

﴿٩٧﴾ ﴿فلولا كانت قرية﴾ أي: فما كانت قرية ﴿آمنت فنفعها إيمانها﴾ عند نزول العذاب ﴿إلا قوم يونس لما آمنوا﴾ عند نزول العذاب ﴿كشفنا عنهم عذاب

الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الخيزي ﴿يعني: سخط الله سبحانه﴾ ومتعناهم إلى حين ﴿يريد: حين آجالهم، وذلك أنهم لما رأوا الآيات التي تدلُّ على قرب العذاب أخلصوا التوبة، وترادُّوا المظالم، وتضرَّعوا إلى الله تعالى، فكشف عنهم العذاب.

﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً﴾ الآية. كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يؤمن جميع الناس، فأخبره الله سبحانه أنه لا يؤمن إلا من سبق له من الله السَّعادة، وهو قوله:

﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ أي: إلا بما سبق لها في قضاء الله وقدره ﴿ويجعل الرجس﴾ العذاب ﴿على الذين لا يعقلون﴾ عن الله تعالى أمره ونهيه، وما يدعوهم إليه.

﴿قل﴾ للمشركين الذين يسألونك الآيات: ﴿انظروا ماذا﴾ [أي: الذي أعظم منها] ﴿في السموات والأرض﴾ من الآيات والعبر التي تدلُّ على وحدانية الله سبحانه، فيعلموا أن ذلك كله يقتضي صانعاً لا يشبه الأشياء، ولا تشبهه، ثم بيَّن أن الآيات لا تُغني عمَّن سبق في علم الله سبحانه أنه لا يؤمن فقال: ﴿وما تغني الآيات والنذر﴾ جمع نذير ﴿عن قوم لا يؤمنون﴾ يقول: الإنذار غير نافع لهؤلاء.

﴿فهل ينتظرون﴾ أي: يجب ألا ينتظروا بعد تكذيبك ﴿إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾ إلا مثل وقائع الله سبحانه فيمن سلف قبلهم من الكفار.

ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ يَضُرَّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١١٧﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ

﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ هذا إخبارٌ عن ما كان الله سبحانه يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرُّسل والمُصدِّقين لهم عما يعذَّب به مَنْ كَفَرَ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل هذا الإنجاء ﴿نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بِمُحَمَّدٍ ﷺ من عذابي.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يريد: أهل مَكَّةَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ الذي جئت به ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بشرككم في ديني لا أعبد غير الله ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ﴾ يأخذ أرواحكم، وفي هذا تهديدٌ لهم؛ لأنَّ وفاة المشركين ميعة عذابهم. وقوله:

﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ استقم بإقبالك على ما أُمِرْتُ به بوجهك.

﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ أي: شيئاً ما؛ لأنَّه لا يتحقق النفع والضَّرُّ إلَّا من الله، فكأنَّه قال: ولا تدع من دون الله شيئاً.

﴿وَإِنْ يَمَسَّكَ اللَّهُ بَضْرًا﴾ بمرضٍ وفقرٍ ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ﴾ لا مزيل له ﴿إِلَّا هُوَ﴾، ﴿وَإِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ﴾ يرد بك الخير ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ لا مانع لما تفضَّل به عليك من رخاءٍ ونعمةٍ ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ بكلِّ واحدٍ ممَّا ذُكِرَ ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني: أهل مَكَّةَ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وفيه البيان والشفاء ﴿فَمَنِ اهْتَدَى﴾ من الضلالة ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ يريد: مَنْ

وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١١٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ
 اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٩﴾

صَدَقَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّمَا يَحْتَاطُ لِنَفْسِهِ ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ بِتَكْذِيبِهِ ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ﴾
 عَلَيْهَا ﴿إِنَّمَا يَكُونُ وَبَالَ ضَلَالِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بِحَفِظٍ مِنَ
 الْهَلَاكِ حَتَّى لَا تَهْلِكُوا.

﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ نَسَخَتْهُ آيَةُ السَّيْفِ ^(١)؛ لِأَنَّ اللَّهَ
 سَبَحَانَهُ حَكَمَ بِقَتْلِ الْمُشْرِكِينَ، وَالْجَزِيَّةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ.

• • •

(١) قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ فِي النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ ص ٢١٠: فَمَذْهَبُ ابْنِ زَيْدٍ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وَإِنَّمَا
 نُسَخَ مِنْهَا الصَّبْرُ عَلَيْهِمْ، قَالَ: أَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدَ هَذَا الْأَمْرَ بِالْجِهَادِ وَالْغَلْظَةِ عَلَيْهِمْ.
 وَكَذَا فِي تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ ١١/١٧٨، وَالْإِيضَاحُ ص ٣٢٣.

سُورَةُ هُودٍ

[وهي مائة وثلاث وعشرون آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ
وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبُّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي
فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الر﴾ ١ أنا الله الرحمن ﴿كتاب﴾ هذا كتاب ﴿أُحْكِمْتُ آيَاتِهِ﴾ بعجيب النظم، وبديع
المعاني وورعين اللفظ ﴿ثُمَّ فُصِّلَتْ﴾ بيّنت بالأحكام من الحلال والحرام، وجميع
ما يحتاج إليه من ﴿لَدُنْ حَكِيمٍ﴾ في خلقه ﴿خَبِيرٍ﴾ بمن يُصدّق نبيّه وبمن يكذّبه.

﴿أَلَّا تَعْبُدُوا﴾ أي: بأن، والتقدير: هذا كتاب بأن لا تعبدوا ﴿إِلَّا اللَّه﴾.

﴿و﴾ ٢ ب ﴿أَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: من ذنوبكم السّالفة ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ من
المستأنفة متى وقعت ﴿يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا﴾ يتفضل عليكم بالرزق والسّعة ﴿إِلَى
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ يؤت كل من فضّل
حسناته على سيئاته فضله؛ يعني: الجنّة، وهي فضل الله سبحانه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾
تولّوا عن الإيمان ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ وهو يوم القيامة.

أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٥﴾ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا

﴿٥﴾ ألا إنهم ينتنون صدورهم ﴿٥﴾ نزلت في طائفة من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشنا ثيابنا، وطوينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم ربنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿٥﴾ ألا إنهم ينتنون صدورهم ﴿٥﴾ أي: يعطفونها ويطوونها على عداوة محمد ﷺ ﴿٥﴾ ليستخفوا منه ﴿٥﴾ ليتواروا عنه ويكتموا عداوته ﴿٥﴾ ألا حين يستغشون ثيابهم ﴿٥﴾ يتدثرون بها ﴿٥﴾ يعلم ما يسرون وما يعلنون ﴿٥﴾ أعلم الله سبحانه أن سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهرهم ﴿٥﴾ إنه عليم بذات الصدور ﴿٥﴾ بما في النفوس من الخير والشر.

الجزء الثاني عشر:

﴿٦﴾ وما من دابة ﴿٦﴾ حيوان يدب ﴿٦﴾ في الأرض إلا على الله رزقها ﴿٦﴾ فضلاً لا وجوباً ﴿٦﴾ ويعلم مستقرها ﴿٦﴾ حيث تأوي إليه ﴿٦﴾ ومستودعها ﴿٦﴾ حيث تموت ﴿٦﴾ كل في كتاب مبين ﴿٦﴾ يريد: اللوح المحفوظ، والمعنى: أن ذلك ثابت في علم الله.

﴿٧﴾ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴿٧﴾ ذكرنا تفسيره في سورة الأعراف ^(١) ﴿٧﴾ وكان عرشه على الماء ﴿٧﴾ يعني: قبل خلق السموات والأرض ﴿٧﴾ ليلوكم ﴿٧﴾ أي: خلقها لكم لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياته؛ ليعلم إحسان المحسن وإساءة المسيء، وهو قوله تعالى: ﴿٧﴾ أيكم أحسن عملاً ﴿٧﴾ أي: أعمل بطاعة الله تعالى. ﴿٧﴾ ولئن قلتم ﴿٧﴾ للكفار بعد خلق الله السموات والأرض وبيان قدرته ﴿٧﴾ إنكم مبعوثون من بعد الموت ﴿٧﴾ كذبوا بذلك وقالوا: ﴿٧﴾ إن هذا إلا

سَحَرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسٌ مَّصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ

سحر مبين ﴿٧﴾ أي: باطلٌ وخداعٌ.

﴿٨﴾ «ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ﴿٧﴾ إلى أجلٍ وحينٍ معلومٍ ﴿٧﴾ ليقولنَّ ما يحبسهُ ﴿٧﴾ ما يحبس العذاب عنا؟ تكذيباً واستهزاء، فقال الله سبحانه: ﴿٧﴾ ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم ﴿٧﴾ إذا أخذتهم سيوف المسلمين لم تغمد عنهم حتى يُباد الكفر، وتعلو كلمة الإخلاص ﴿٧﴾ وحاق ﴿٧﴾ نزل وأحاط ﴿٧﴾ بهم ﴿٧﴾ جزاء ﴿٧﴾ ما كانوا به يستهزون ﴿٧﴾ وهو العذاب والقتل.

﴿٩﴾ «ولئن أذقنا الإنسان ﴿٩﴾ يعني: الوليد بن المغيرة ﴿٩﴾ منّا رحمة ﴿٩﴾ رزقاً ﴿٩﴾ ثم نزعناها منه إنه ليؤس ﴿٩﴾ مؤيس قانط ﴿٩﴾ كفور ﴿٩﴾ كافرٌ بالنعمة. يريد: إنه لجهله بسعة رحمة الله يستشعر القنوط واليأس عند نزول الشدة.

﴿١٠﴾ «ولئن أذقناه نعماء... ﴿١٠﴾ الآية. معناه: إنه يبطر فينسى حال الشدة، ويترك حمد الله على ما صرف عنه، وهو قوله: ﴿١٠﴾ ليقولنَّ ذهب السيئات عني ﴿١٠﴾ فارقني الضرُّ والفقر ﴿١٠﴾ إنه لفرحٌ فخورٌ ﴿١٠﴾ يُفاخر المؤمنين بما وسَّع الله عليه، ثم ذكر المؤمنين فقال:

﴿١١﴾ «إلا الذين صبروا ﴿١١﴾ والمعنى: لكن الذين صبروا على الشدة والمكاره ﴿١١﴾ وعملوا الصالحات ﴿١١﴾ في السراء والضراء.

﴿١٢﴾ «فلعلك تاركٌ... ﴿١٢﴾ الآية. قال المشركون لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتابٍ ليس فيه سبُّ آلِهتنا حتى نتبعك، وقال بعضهم: هلاً أنزل عليك ملكٌ يشهد لك بالنبوة والصدق، أو تُعطى كنزاً تستغني به أنت وأتباعك، فهم رسولُ الله ﷺ أن يدع سبَّ

بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ
 إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ
 مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ
 فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
 الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا

آلهتهم، فأنزل الله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك﴾ أي: لعظيم ما يردُّ على قلبك من تخليطهم تتوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربك ﴿وضائق به صدرك أن يقولوا﴾ أي: ضائق صدرك بأن يقولوا ﴿لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير﴾ عليك أن تُنذِرهم، وليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون ﴿والله على كل شيء وكيل﴾ حافظ لكل شيء.

﴿١٣﴾ ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون ﴿افتراه﴾ افترى القرآن وأتى به من قبل نفسه ﴿قل فأتوا بعشر سُوْرٍ مثله﴾ مثل القرآن في البلاغة ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ بزعمكم ﴿وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنه افتراه.

﴿١٤﴾ ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ فإن لم يستجب لكم مَنْ تدعونهم إلى المعاونة، ولم يتهيأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجة ﴿فاعلموا أنما أُنْزِلَ بعلم الله﴾ أي: أنزل والله عالمٌ بآزواجه، وعالمٌ أنه من عنده ﴿فهل أنتم مسلمون﴾ استفهامٌ معناه الأمر، كقوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾^(١).

﴿١٥﴾ ﴿من كان يريد الحياة الدنيا﴾ أي: مَنْ كان يريدُها من الكفار، ولا يؤمن بالبعث ولا بالثواب والعقاب ﴿نوف إليهم أعمالهم﴾ جزاء أعمالهم في الدنيا. يعني: إن مَنْ أتى من الكافرين فعلاً حسناً من إطعام جائع، وكسوة عارٍ، ونصرة مظلوم من المسلمين عُجِّلَ له ثواب ذلك في دنياه بالزيادة في ماله ﴿وهم فيها﴾ في الدنيا

لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾

﴿لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا يُنْقَصُونَ ثواب ما يستحقُّون، فإذا وردوا الآخرة وردوا على عاجل الحسرة؛ إذ لا حسنة لهم هناك، وهو قوله تعالى:

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ...﴾ الآية.

﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ يعني: النَّبِيُّ ﷺ ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ بيان من ربِّه، وهو القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ﴾ وهو جبريل عليه السَّلام ﴿مِنْهُ﴾ من الله عزَّ وجلَّ. يريد أنه يتَّبَعَهُ ويؤيِّدُهُ ويشهده ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ ومن قبل القرآن ﴿كِتَابَ مُوسَى﴾ التَّوْرَةُ. يتْلُوهُ أَيْضًا فِي التَّصْدِيقِ، لأنَّ مُوسَى عليه السَّلام بَشَّرَ بِهِ فِي التَّوْرَةِ، فَالتَّوْرَةُ تَتْلُو النَّبِيَّ ﷺ فِي التَّصْدِيقِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ يعني أَنَّ كِتَابَ مُوسَى كَانَ إِمَامًا لِقَوْمِهِ وَرَحْمَةً، وَتَقْدِيرُ الْآيَةِ: أَفَمَنْ كَانَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ كَمَنْ لَيْسَ يَشْهَدُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ؟ فَتَرَكَ ذَكَرَ الْمُضَادَّ لَهُ. ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يعني: مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ [أَهْلِ] الْكِتَابِ ﴿وَمَنْ يَكْفُرُ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ﴾ أَصْنَافِ الْكُفَّارِ ﴿فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾ مِنْ هَذَا الْوَعْدِ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني: أَهْلُ مَكَّةَ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فزعم أنَّ له ولداً وشريكاً ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ إِبْعَادُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ الْمُشْرِكِينَ.

الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿١٩﴾ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْعِفُ لَهُمْ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿ مثلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْبَحِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ الذين يصدون عن سبيل الله ﴿ تقدّم تفسير هذه الآية (١) ﴾.

﴿٢٠﴾ أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض ﴿ أي: سابقين فائتين، لم يعجزونا أن نعدّهم في الدنيا، ولكن أخرنا عقوبتهم ﴿ وما كان لهم من دون الله من أولياء ﴾ يمنعونهم من عذاب الله ﴿ يضاعف لهم العذاب ﴾ لإضلالهم الأتباع ﴿ ما كانوا يستطيعون السمع ﴾ لأنني حُلْتُ بينهم وبين الإيمان، فكانوا صُمًّا عن الحق فلا يسمعون، وعمياً عنه فلا يبصرون ولا يهتدون.

﴿٢١﴾ أولئك الذين خسروا أنفسهم ﴿ بأن صاروا إلى النار ﴾ وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ﴿ بطل افتراؤهم في الدنيا، فلم ينفعهم شيئاً.

﴿٢٢﴾ لا جرم ﴿ حقاً ﴾ أنهم في الآخرة هم الأخسرون ﴿.

﴿٢٣﴾ ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ اطمأنوا وسكنوا. وقيل: تابوا.

﴿٢٤﴾ ﴿ مثل الفريقين ﴾ فريق الكافرين وفريق المسلمين ﴿ كالأعمى والأصم ﴾ وهو الكافر ﴿ والبصير والسميع ﴾ وهو المؤمن ﴿ هل يستويان مثلاً ﴾ أي: في المثل. أي: هل يتشابهان؟ ﴿ أفلا تذكرون ﴾ أفلا تتعظون يا أهل مكة.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْمِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرِيكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرِيكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا لَنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرِي لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ آرَاءَ يَتَمُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَءَانِنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِيَتْ عَلَيْهِمْ أَنْزَلْنَاهُمْ مَكْمُوهًا وَأَتَمَّ لَهُمَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَتَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا

﴿٢٥﴾ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ فقال [لهم]: يا قومي ﴿إني لكم نذير مبين﴾ *

﴿٢٦﴾ ﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾ أي: أنذركم لثوحدوا الله وتركوا عبادة غيره ﴿إني أخاف عليكم﴾ بكفركم ﴿عذاب يوم اليم﴾ مؤلم.

﴿٢٧﴾ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ وهم الأشراف والرؤساء: ﴿ما نراك إلا بشراً مثلاً﴾ إنساناً مثلاً لا فضل لك علينا ﴿وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا﴾ أخسائونا. يعنون: من لا شرف لهم ولا مال ﴿بادي الرأي﴾ اتبعوك في ظاهر الرأي، وباطنهم على خلاف ذلك ﴿وما نرى لكم﴾ يعنون لنوح وقومه ﴿علينا من فضل﴾ وهذا تكذيب منهم؛ لأنَّ الفضل كلُّه في النبوة ﴿بل نَظُنُّكُمْ كاذبين﴾ ليس ما أتينا به من الله.

﴿٢٨﴾ ﴿قال يا قوم أرايتم﴾ أي: أعلمتم ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ يقين وبرهان ﴿وأتاني رحمة من عنده﴾ نبوة ﴿فعميت عليكم﴾ فخفيت عليكم؛ لأنَّ الله تعالى سلبكم علمها، ومنعكم معرفتها لعنادكم الحق ﴿أنزلنكموها﴾ أنزلنكم قبولها ونضطرركم إلى معرفتها إذا كرهتم؟

﴿٢٩﴾ ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مألاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ سألوه طرد المؤمنين عنه ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء، فقال: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون الله فيجزئهم بإيمانهم،

إِنَّهُمْ مُلْقُوا رَبَّهُمْ وَلَكِنْ أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَنْتُحِ قَدْ جَدَلْنَا فَاكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأُنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيَكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَفْعَلُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَجْحَرُونَ ﴿٣٥﴾

و يأخذ لهم مَن ظلمهم وصغر شؤونهم، وهو قوله: ﴿إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾ أن هؤلاء خيرٌ منكم؛ لإيمانهم وكفركم.

﴿ويا قوم من ينصرني من الله﴾ من يمنعني من عذاب الله ﴿إن طردتهم﴾؟

﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ يعني: مفاتيح الغيب، وهذا جوابٌ لقولهم: اتَّبِعوك في ظاهرٍ ما نرى منهم، وهم في الباطن على خلافك، فقال مجيباً لهم: ﴿ولا أقول لكم عندي خزائن الله﴾ غيوب الله ﴿ولا أعلم الغيب﴾ ما يغيب عني ممَّا يسترونه في نفوسهم، فسيبلي قبول ما ظهر منهم ﴿ولا أقول إِنِّي مَلَكٌ﴾ جوابٌ لقولهم: ﴿ما نراك إلَّا بشراً مثلنا﴾. ﴿ولا أقول للذين تزدري﴾ تستصغر وتستحققر ﴿أعينكم﴾ يعني: المؤمنين: ﴿لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم﴾ أي: بضمايرهم، وليس عليَّ أن أطلع على ما في نفوسهم ﴿إني إذا لمن الظالمين﴾ إن طردتهم تكديباً لهم بعد ما ظهر لي منهم الإيمان، وقوله:

﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ أي: يُضِلَّكُمْ ويوقع الغيَّ في قلوبكم لما سبق لكم من الشَّقَاءِ ﴿هو ربكم﴾ خالقكم وسيِّدكم، وله أن يتصرَّف فيكم كما شاء.

﴿أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿افتراه﴾ اختلف ما أتى به من الوحي ﴿قل إن افتريته فعليَّ إجرامي﴾ عقوبة جرمي ﴿وأنا بريء مما تجرمون﴾ من الكفر والتكذيب، وقوله:

وَأَوْحَىٰ إِلَيْ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾
 وَأَصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَكَ
 وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا
 تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ
 أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 وَمَنْ

﴿٣٦﴾ ﴿فلا تبتئس﴾ أي: لا تحزن ولا تغتم.

﴿٣٧﴾ ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ بمرأى منا، وتأويله: بحفظنا إياك حفظ مَنْ يراك، ويملك
 دفع الشؤء عنك ﴿ووحننا﴾ وذلك أنه لم يعلم صنعة الفلك حتى أوحى الله إليه
 كيف يصنعها. ﴿ولا تخاطبني﴾ لا تراجعني ولا تحاورني ﴿في الذين ظلموا﴾ في
 إمهالهم وتأخير العذاب عنهم، وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿إن تسخروا منا﴾ أي: لما يرون من صنعه الفلك ﴿فإننا نسخر منكم﴾ ونعجب
 من غفلتكم عما قد أظلكم من العذاب.

﴿٣٩﴾ ﴿فسوف تعلمون مَنْ يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ أي: فسوف تعلمون مَنْ أخسر عاقبة.

﴿٤٠﴾ ﴿حتى إذا جاء أمرنا﴾ بعذابهم وهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ بالماء، يعني: تنور
 الخابز^(١)، وكان ذلك علامة لنوح عليه السلام، فركب السفينة ﴿قلنا احمل فيها﴾
 في الفلك ﴿من كل زوجين﴾ من كل شيء له زوج ﴿اثنتين﴾ ذكراً وأنثى
 ﴿وأهلك﴾ واحمل أهلك يعني: ولده وعياله ﴿إلا مَنْ سبق عليه القول﴾ يعني:
 مَنْ كان في علم الله أنه يغرق بكفره، وهو امرأته واغلة، وابنه كنعان، ﴿ومَنْ

(١) وهذا التفسير الذي اختاره المؤلف قول حسن، ورجَّحه الطبري حيث قال: وأولى هذه الأقوال
 عندنا بتأويل قوله «التنور» قول مَنْ قال: هو التَّنُّور الذي يخبز فيه؛ لأنَّ ذلك هو المعروف من
 كلام العرب. ثم قال: وفار التَّنُّور الذي جعلنا فورانه بالماء آيةً مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك
 قومه. تفسير ابن جرير ٤٠/١٢.

ءَامَنَ وَمَاءَ أَمْنٍ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَعَلْنَاهَا مِرْسِيًّا وَمَرْسِيًّا إِنَّا رَبُّكَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنَئُ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ سَاوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٤﴾ وَقِيلَ يَكَارِضُ أِبْلَى مَاءُكَ وَيَسْمَاءُ أَقْلَى وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٥﴾

﴿ آمن ﴾ واحمل مَنْ صَدَّقَكَ ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ ثمانون إنساناً.

﴿ وقال ﴾ ﴿ نوح ﴾ لقومه الذين أمر بحملهم: ﴿ اركبوا ﴾ يعني: الماء ﴿ فيها ﴾ في الفلك ﴿ بسم الله مجريها ومرساها ﴾ يريد: تجري باسم الله، وترسي باسم الله، فكان إذا أراد أن تجري السفينة قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسي قال: بسم الله، فرست، أي: ثبتت ﴿ إن ربي لغفور ﴾ لأصحاب السفينة ﴿ رحيم ﴾ بهم.

﴿ وهي تجري بهم في موج ﴾ جمع موجة، وهي ما يرتفع من الماء ﴿ كالجبال ﴾ في العظم ﴿ ونادى نوح ابنه ﴾ كنعان، وكان كافراً ﴿ وكان في معزل ﴾ من السفينة، أي: في ناحية بعيدة عنها.

﴿ قال ساوي إلى جبل ﴾ أنضمَّ إلى جبل ﴿ يعصمني ﴾ يمنعني ﴿ من الماء ﴾ فلا أغرق، ﴿ قال ﴾ نوح: ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله ﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿ إلا مَنْ رحم ﴾ لكن مَنْ رحم الله فإنه معصوم ﴿ وحال بينهما ﴾ بين ابن نوح وبين الجبل ﴿ الموج ﴾ ما ارتفع من الماء.

﴿ وقيل يا أرض ابلعي ماءك ﴾ اشربي ماءك ﴿ ويا سماء أقلعي ﴾ أمسكي عن إنزال الماء ﴿ وغيض الماء ﴾ نقص ﴿ وقضي الأمر ﴾ أهلك قوم نوح، وفُريغ من ذلك ﴿ واستوت ﴾ السفينة ﴿ على الجودي ﴾ وهو جبل بالجزيرة ﴿ وقيل ﴾ بعداً ﴿ من رحمة الله ﴾ للقوم الظالمين ﴿ المتخذين من دون الله إلهاً ﴾.

وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَبْنَوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

﴿٤٥﴾ وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي ﴿من أهلي وإنَّ وعدك الحق﴾ وعدتني أن تنجينني وأهلي، أي: فأنجاه من الغرق ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدل العادلين.

﴿٤٦﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴿الذين وعدتك أن أنجيهم﴾ إنه عمل غير صالح ﴿أَيُّ: سؤالك إياي أن أنجي كافرًا عملٌ غير صالح، وقيل: معناه: إنَّ ابنك ذو عملٍ غير صالح﴾ ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وذلك أنَّ نوحًا لم يعلم أنَّ سؤاله رَبَّهُ نَجَاةٌ وَلَدِهِ مَحْظُورٌ عَلَيْهِ مع إصراره على الكفر، حتى أعلمه الله سبحانه ذلك، والمعنى: فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ بجواز مسألته. ﴿إِنِّي أَعِظُكَ﴾ أَنَّهُكَ ﴿أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ مِنَ الْآثِمِينَ، فاعتذر نوحٌ عليه السَّلَامُ لَمَّا أعلمه الله سبحانه أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَسْأَلَ ذَلِكَ وَقَالَ:

﴿٤٧﴾ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي ﴿جهلي﴾ وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ.

﴿٤٨﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ ﴿من السَّفِينَةِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ بِسَلَامٍ. وقيل: بِتَحِيَّةٍ ﴿مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ وذلك أَنَّهُ صَارَ أَبَا الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ جَمِيعَ مَنْ بَقِيَ كَانُوا مِنْ نَسْلِهِ ﴿وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ أَيُّ: مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَذُرَارِيهِمْ، وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَهْلُ السَّعَادَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا. يَعْنِي: الْأُمَمُ الْكَافِرَةُ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَنْقُورِ لَا أَشْكُرُ عَلَيْهَ اجْرِئْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَنْقُورِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٤٩﴾ تِلْكَ القصة التي أخبرتك بها ﴿من أنباء الغيب﴾ أخبار ما غاب عنك وعن قومك ﴿فاصبر﴾ كما صبر نوح على أذى قومه ﴿إِنَّ العاقبة للمتقين﴾ آخر الأمر بالظفر لك ولقومك، كما كان [للمؤمنين] قوم نوح، وقوله:

﴿٥٠﴾ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿ما أنتم إِلَّا كاذبون في إشراككم الأوثان، وقوله:

﴿٥٢﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿كثير الدَّر. يعني: المطر﴾ ﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾ يعني: المال والولد، وكان الله سبحانه قد حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فقال لهم هود: إِنْ آمَنْتُمْ أَحْيَا الله سبحانه بلادكم، ورزقكم المال والولد.

﴿٥٣﴾ قَالُوا ﴿مُنْكَرِينَ لنبوته﴾ ﴿يا هود ما جئتنا ببينة﴾ بحجة واضحة، وقوله:

﴿٥٤﴾ اعْتَرَاكَ ﴿أصابك ومسك﴾ ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوْرٍ﴾ بجنون فآفسد عقلك، فالذي يظهر مِنْ عِيْبِهَا لما لحق عقلك من التَّغْيِيرِ ﴿قال﴾ نبيُّ الله عليه السَّلام عند ذلك: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أَي: إِنْ كَانَتْ عِنْدَكُمْ الْأَصْنَامُ أَنَّهَا عَاقِبَتِي لَطَعْنِي عَلَيْهَا، فَإِنِّي أَزِيدُ الْآنَ فِي الطَّعْنِ عَلَيْهَا، وقوله:

﴿٥٥﴾ ﴿فَيَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي ﴿ثم لا تنظرون﴾ لا تُوجِّلُون، وقوله:

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ
 عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾
 وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا

﴿٥٦﴾ ﴿ما من دابة إلا هو آخذٌ بناصيتها﴾ أي: هي في قبضته، وتناولها بما شاء قدرته
 ﴿إنَّ ربي على صراط مستقيم﴾ أي: إنَّ الذي بعثني الله به دينٌ مستقيم.

﴿٥٧﴾ ﴿فإن تولوا﴾ تتولَّوا، بمعنى: تُعرضوا عمَّا دعوتكم إليه من الإيمان ﴿فقد أبلغتكم﴾
 ما أُرسلت به إليكم ﴿فقد ثبتت الحُجَّةُ عليكم ببلاغي﴾ ﴿ويستخلف ربي قوماً﴾
 غيركم ﴿أي: ويخلف بعدكم مَنْ هو أطوعُ له منكم﴾ ﴿ولا تضرونه﴾ بإعراضكم
 ﴿شيئاً﴾ إنّما تضرون أنفسكم ﴿إنَّ ربي على كل شيء﴾ من أعمال العباد
 ﴿حفيظٌ﴾ حتَّى يجازيهم عليها.

﴿٥٨﴾ ﴿ولما جاء أمرنا﴾ بهلاك عادٍ ﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا﴾ حيث
 هديناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر ﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾ يعني:
 ما عُدِّب به الذين كفروا.

﴿٥٩﴾ ﴿وتلك عاد﴾ يعني: القبيلة ﴿جحدوا بآيات ربهم﴾ كذبوها فلم يُقرِّروا بها
 ﴿وعصوا رسله﴾ يعني: هوداً عليه السَّلام؛ لأنَّ مَنْ كَذَّبَ رسولاً واحداً فقد كفر
 بجميع الرُّسل. ﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾ واتبَع السَّفْلَةُ الرُّؤساء. والعنيد:
 المعارضُ لك بالخلاف.

﴿٦٠﴾ ﴿واتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أَرَدُوا لَعْنَةً تلحقهم وتنصرف معهم ﴿ويوم القيامة﴾
 أي: وفي يوم القيامة، كما قال: ﴿لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ^(١) ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا

كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ تَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَصْلِحْ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَتَقَوَّمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَتَقَوَّمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أََرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ

كفروا ربهم ﴿٦٠﴾ قيل: برّبهم. وقيل: كفروا نعمة ربّهم ﴿٦١﴾ ألا بعداً لعاد ﴿٦٢﴾ يريد: بعدوا من رحمة الله تعالى، وقوله:

﴿٦١﴾ هو أنشأكم ﴿٦٢﴾ أي: خلقكم ﴿من الأرض﴾ من آدم، وآدم خلق من تراب الأرض ﴿واستعمركم فيها﴾ جعلكم عمّاراً لها.

﴿٦٢﴾ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوًّا قبل هذا ﴿٦٣﴾ وذلك أن صالحاً عليه السلام كان يعدل عن دينهم، ويشنأ أصنامهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلما أظهر دعاءهم إلى الله تعالى زعموا أن رجاءهم انقطع منه، وقوله ﴿مریب﴾ موقع في الرّيبة.

﴿٦٣﴾ قال يا قوم أرايتم... الآية، يقول: أعلمتم من ينصرني من الله، أي: من يمنعني من عذاب الله إن عصيته بعد بيّنة من ربّي ونعمة ﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾ أي: ما تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام، [وقولكم]: ﴿أتنهانا أن نعبد ما يعبد آبائنا﴾ ^(١) إلّا بنسبتي إياكم إلى الخسارة، أي: كلما اعتذرتكم بشيء زادكم تخسيراً. وقيل: معنى الآية: ما تزيدونني غير تخسير [لي] إن كنتم أنصاري، ومعنى التّخسير: التّضليل والإبعاد من الخير، وقوله:

تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيارِهِمْ جَثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا آلَا إِنَّ ثَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدُ لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَّرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾

﴿٦٥﴾ تمتعوا في داركم أي: عيشوا في بلادكم ﴿ثلاثة أيام ذلك وعد﴾ للعذاب ﴿غير مكذوب﴾ [غير كذب] ^(١)، وقوله:

﴿٦٦﴾ ومن خزي يومئذ أي: نجيناهم من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمهم، وبقي العار فيهم ماثورا عنهم، فالواو في ﴿ومن﴾ نسق على محذوف، وهو العذاب.

﴿٦٧﴾ وأخذ الذين ظلموا الصيحة ﴿لما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة، وصوت كل شيء في الأرض، فتقطعت قلوبهم في صدورهم.﴾

﴿٦٨﴾ ولقد جاءت رسلنا يعني: الملائكة الذين أتوا ﴿إبراهيم﴾ عليه السلام على صورة الأضياف ﴿بالبشرى﴾ بالبشارة بالولد ﴿قالوا سلاما﴾ أي: سلموا سلاماً ﴿قال سلام﴾ أي: عليكم سلام ﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيد﴾ مشوي.

﴿٧٠﴾ فلما رأى أيديهم لا تصل إليه ﴿إلى العجل﴾ أنكرهم ﴿أنكرهم﴾ وأوجس منهم خيفة ﴿أضمر منهم خوفاً، ولم يأمن أن يكونوا جاؤوا لبلاء لما لم يتحرّموا بطعامه، فلما رأوا علامة الخوف في وجهه﴾ قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ﴿بالعذاب.﴾

(١) ما بين [] ليس في الأصل، وهو ثابت في البواقي.

وَأَمَرَأْتُهُ قَائِمَةً فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَوَاسِقَ آلِدْ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُمْ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

﴿وامراته﴾ سارة ﴿قائمة﴾ وراء الستّر تسمّع إلى الرّسل ﴿فضحكت﴾ سروراً بالأمن حيث قالوا: ﴿إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾، وذلك أنّها خافت كما خاف إبراهيم عليه السّلام، فقليل لها: يا أيتها الضّاحكة ستلدين غلاماً، فذلك قوله: ﴿فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق﴾ أي: بعده ﴿يعقوب﴾ [عليهما السّلام]. وذلك أنّهم بشروها بأنّها تعيش إلى أن ترى ولد ولدها.

﴿قالت يا ويلتى ألد وأنا عجوز﴾ وكانت بنت تسع وتسعين سنة ﴿وهذا بعلي شيخاً﴾ وكان ابن مائة سنة [واثنتي عشرة سنة] ^(١) ﴿إنّ هذا﴾ الذي [تذكرون] من ولادتي على كبر سنّي وسنّ بعلي ﴿لشيء عجيب﴾ معجب.

﴿قالوا أنعجبين من أمر الله﴾ قضاء الله وقدره ﴿رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت﴾ يعني: بيت إبراهيم عليه السّلام، فكان من تلك البركات أنّ الأسباط، وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة، وكان هذا دعاءً من الملائكة لهم، وقوله: ﴿إنّه حميدٌ﴾ أي: محمودٌ في أفعاله ﴿مجيدٌ﴾ كريمٌ.

﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع﴾ الفزع ﴿وجاءته البشرى﴾ بالولد ﴿يجادلنا﴾ أي: أقبل وأخذ يجادل رسلنا ﴿في قوم لوط﴾ وذلك أنّهم لما قالوا لإبراهيم عليه السّلام: ﴿إنّا مهلكو أهل هذه القرية﴾ ^(٢) قال لهم: رأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَتَذَكَّرُ لَهُمْ أَنْ عَرِضَ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَانْتِهَمَ عَذَابٌ غَيْرَ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئَاءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَتَقَوَّمُ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ

حتى قال: فواحد؟ قالوا: لا^(١)، فاحتجَّ عليهم بلوط، و﴿قال: إِنَّ فِيهَا لوطاً قالوا: نحن أعلم...﴾^(٢) الآية. فهذا معنى جداله، وعند ذلك قالت الملائكة: ﴿يا إبراهيم أعرض عن هذا﴾ الجدال، وخرجوا من عنده فأتوا قرية قوم لوط، وذلك قوله:

﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيئاً بهم﴾ حزن بمجيئهم؛ لأنه رآهم في أحسن صورة، فخاف عليهم قومه، وعلم أنه يحتاج إلى المدافعة عنهم، وكانوا قد أتوه في صورة الأضياف ﴿وضاق بهم ذرعاً﴾ أي: صدرأ ﴿وقال هذا يوم عصيب﴾ شديد. ولما علم قومه بمجيء قوم حسان الوجوه أضيافاً للوط قصدوا داره، وذلك، قوله:

﴿وجاءه قومه يهرعون إليه﴾ أي: يُسرعون إليه ﴿ومن قبل﴾ أي: ومن قبل مجيئهم إلى لوط ﴿كانوا يعملون السيئات﴾ يعني: فعلهم المنكر ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي﴾ أزواجكموهنَّ فـ ﴿هنَّ أطهر لكم﴾ من نكاح الرجال. أراد أن يقي أضيافه ببناته ﴿فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي﴾ لا تفضحوني فيهم؛ لأنهم إذا هجموا إلى أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة ﴿أليس منكم رجل رشيد﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

﴿قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق﴾ لسنَّ لنا بأزواج فنستحقهنَّ ﴿وإنك

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه ابن جرير ٧٩/١٢.

(٢) وتتمتها: ﴿نحن أعلم بمن فيها لننجيَّه وأهله إلا امرأته﴾ [العنكبوت: ٣٢].

وإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَانِكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَىهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

لتعلم ما نريد ﴿أي﴾: إِنَّا نريد الرِّجال لا النِّساء.

﴿٨٠﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ ﴿لو أَنَّ﴾ معي جماعة أقوى بها عليكم ﴿أو آوي﴾ أنضمُّ ﴿إلى ركن شديد﴾ عشيرة تمنعني وتنصرنني لَحُلْتُ بينكم وبين المعصية، فلَمَّا رأت الملائكة ذلك،

﴿٨١﴾ قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ﴿بسوءٍ﴾ فَإِنَّا نَحُولُ بينهم وبين ذلك ﴿فأسرِ بأهلك﴾ بقطع من الليل ﴿في ظلمة الليل﴾ ولا يلتفت منكم أحد ﴿لا ينظر أحدٌ إلى ورائه﴾ إذا خرج من قريته ﴿إلا أمرأتك﴾ فلا تسر بها، وخلفها مع قومها؛ فَإِنَّ هَوَاهَا إِلَيْهِمْ و ﴿إِنَّه مصيبها ما أصابهم﴾ من العذاب ﴿إِنَّ موعدهم الصبح﴾ للعذاب، فقال لوط: أريد أعجل من ذلك، بل السَّاعة يا جبريل، فقالوا له: ﴿أليس الصبح بقريب﴾.

﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا ﴿عذابنا﴾ جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا ﴿وذلك أنَّ﴾ جبريل عليه السَّلام أدخل جناحه تحتها حتى قلعها، وصعد بها إلى السَّماء، ثمَّ قلبها إلى الأرض ﴿وأمطرنا عليها حجارة﴾ قبل قلبها إلى الأرض ﴿من سجيل﴾ من طين مطبوخ، طُبِخَ حتى صار كالآجر، فهو سنك كل بالفارسية، فَعَرَّبَ، ﴿منضود﴾ يتلو بعضه بعضاً.

﴿٨٣﴾ مُسَوَّمَةً ﴿مُعَلِّمةٌ بعلامة تُعرف بها أنَّها ليست من حجارة أهل الدُّنيا﴾ ﴿عند ربك﴾ في خزائنه التي لا يُتَصَرَّفُ في شيء منها إلاَّ بإرادته ﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ يعني: كَفَّار قريش، يُرهبهم بها.

﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَنْفَوِرَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا
 الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَبُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾
 وَيَنْفَوِرَ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا
 فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
 بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتَك تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي
 أَمْوَالِنَا مَا نَشَؤُا إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَنْفَوِرَ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنْتُ عَلَىٰ يَنبُوتَ مِنْ
 رَبِّى

﴿وإلى مدين﴾ ذكرنا تفسير هذه الآية في سورة الأعراف^(١)، وقوله: ﴿إني أراكم
 بخير﴾ يعني: النعمة والخصب، يقول: أي حاجة بكم إلى التطفيف مع ما أنعم
 الله سبحانه به عليكم من المال ورخص السعر ﴿وإني أخاف عليكم عذاب يوم
 محيط﴾ يؤعدهم بعذابٍ يُحيط بهم فلا يفلت منهم أحدٌ.

﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾ أتموهما بالعدل.

﴿بقية الله﴾ أي: ما أبقي الله لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿خير لكم﴾ من
 البخس، يعني: من تعجيل النفع به ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ [مُصدِّقين] في نعمه.
 شرط الإيمان لأنهم إنما يعرفون صحة ما يقول إذا كانوا مؤمنين ﴿وما أنا عليكم
 بحفيظ﴾ أي: لم أؤمر بقتالكم وإكراهكم على الإيمان.

﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾ يريدون: دينك يأمرك،
 أي: أفي دينك الأمر بذا؟ ﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ من البخس والظلم،
 ونقص المكيال والميزان ﴿إنك لانت الحليم الرشيد﴾ أي: السفه الجاهل،
 وقالوا: الحليم الرشيد على طريق الاستهزاء.

﴿قال يا قوم أرايتم﴾ أعلمتم ﴿إن كنت على بينة من ربي﴾ بيانٍ وحجةٍ من ربي

وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالَفَكُمْ إِلَّا مَا أَنَهَيْتُكُمْ عَنْهُ إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا
 اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَنْقُومُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ
 يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾
 وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا
 مِمَّا تَقُولُ

﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ حالاً، وذلك أنه كان كثير المال، وجواب «إن» محذوف على معنى: إن كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال أتبع الضلال فأبخر وأطفف؟ يريد: إن الله تعالى قد أغناه بالمال الحلال، ﴿وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾ أي: لست أنهاكم عن شيء وأدخل فيه، وإنما اختار لكم ما اختار لنفسه ﴿إن أريد﴾ ما أريد ﴿إلا الإصلاح﴾ فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده، وأن تفعلوا ما يفعل من يخاف الله ﴿ما استطعت﴾ أي: بقدر طاقتي، وطاقاة الإبلاغ والإنذار، ثم أخبر أنه لا يقدر هو ولا غيره على الطاعة إلا بتوفيق الله سبحانه، فقال: ﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع في المعاد.

﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقى﴾ لا يكسبنكم خلافي وعداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ عذاب العاجلة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الريح العقيم ﴿أو قوم صالح﴾ من الرجفة والصيحة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزمان الذي بينكم وبينهم وكان إهلاكهم أقرب الإهلاكات التي عرفوها.

﴿واستغفروا ربكم﴾ اطلبوا منه المغفرة ﴿ثم توبوا إليه﴾ توصلوا إليه بالتوبة ﴿إن ربي رحيم﴾ بأوليائه ﴿ودود﴾ محب لهم.

﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾ [ما نفهم] ^(١) ﴿كثيراً مما تقول﴾ أي: صحته. يعنون:

(١) ما بين [] ليس في الأصل، وهو ثابت في البواتي.

وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَبْقَومُ آرْهَطِيْ
 أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَقَوْمِ
 أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ
 كَذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ
 بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِئْرِهِمْ جَثْمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ؕ أَلَا
 بَعْدَ لَمَدَيْنِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ ﴿٩٥﴾

ما يذكر من التوحيد والبعث والشُّور ﴿وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لَأَنَّهُ كَانَ أَعْمَى^(١)
 ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ قتلناك ﴿وما أنت علينا بعزیز﴾ بمنيع.

﴿٩١﴾ قال يا قوم أرهطي أعزُّ عليكم من الله يريد: أُنْعِ عليكم من الله، كأنه يقول:
 حفظكم إِيَّاي في الله أولى منه في رهطي ﴿واتخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ أَلْقَيْتُمُوهُ
 خلف ظهوركم، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعزُّ وأكبر من جميع خلقه
 ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ خبيرٌ بأعمال العباد حتى يجازيهم بها، ثُمَّ هَدَّاهُمْ
 فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿ويا قوم اعملوا...﴾ الآية. يقول: اعملوا على ما أنتم عليه ﴿إني عاملٌ﴾ على
 ما أنا عليه من طاعة الله، وسترون منزلتكم من منزلتي، وهو قوله: ﴿سوف
 تعلمون مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ يفضحه ويذله ﴿ومَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ مَنَّا ﴿وارتقبوا
 إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ ارتقبوا العذاب من الله سبحانه، إِنِّي مرتقب من الله سبحانه
 الرَّحْمَةَ، وقوله:

﴿٩٣﴾ ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبريل صيحةً فماتوا في أمكنتهم.

﴿٩٤﴾ ﴿ألا بعداً لمدين﴾ أي: قد بعدوا من رحمة الله سبحانه.

(١) وهذا لا يصح؛ لأن الأنبياء موصوفون بصفات الكمال.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوَرْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرَّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَىٰ نَقِصُهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ

﴿٩٦﴾ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يريد: التَّوراة وما أنزل الله فيها من الأحكام ووسطان مبين ﴿٩٧﴾ وحقبة بيّنة، وهي العصا.

﴿٩٧﴾ وما أمر فرعون برشيد ﴿٩٨﴾ بمرشد إلى خير.

﴿٩٨﴾ يتقدم قومه ﴿٩٩﴾ يتقدمهم إلى النَّار، وهو قوله: ﴿فأوردتهم النار﴾ أدخلهم النار ﴿١٠٠﴾ وبئس الورد المورود ﴿١٠١﴾ المدخل المدخول.

﴿٩٩﴾ وأتبعوا في هذه ﴿لعنة﴾ يعني: الغرق ﴿ويوم القيامة﴾ يعني: ولعنة يوم القيامة، وهو عذاب جهنم ﴿بئس الرفد المرفود﴾ يعني: اللعنة بعد اللعنة، وقوله: ﴿١٠٠﴾ منها قائمٌ وحصيدٌ أي: من القرى التي أهلكت قائمٌ بقيت حيطانه، وحصيدٌ مخسوفٌ به قد مُحي أثره.

﴿١٠٠﴾ وما ظلمناهم ﴿بالعذاب والإهلاك﴾ ولكن ظلموا أنفسهم ﴿بالكفر والمعصية﴾ فما أغنت عنهم ﴿ما نفعتهم وما دفعت عنهم﴾ آلهتهم التي يدعون ﴿يعبدون﴾ من دون الله ﴿سوى الله﴾ وما زادوهم ﴿وما زادتهم عبادتها﴾ غير تنبيب ﴿بلاءٍ وهلاكٍ وخسارة﴾.

﴿١٠٢﴾ وكذلك ﴿وكما ذكرنا من إهلاك الأمم﴾ ﴿أخذ ربك﴾ بالعقوبة ﴿إذا أخذ القرى﴾ وهي ظالمة ﴿يعني: أهلها﴾.

﴿١٠٣﴾ إن في ذلك ﴿يعني: ما ذكر من عذاب الأمم الخالية﴾ ﴿آية﴾ لعلبة ﴿لمن خاف

عَذَابِ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١١٣﴾ وَمَا تُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ
مَعْدُودٍ ﴿١١٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١١٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي
النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١١٦﴾ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ
رَبَّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٨﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوفٍ ﴿١١٩﴾ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ مَا يَعْبُدُونَ
إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوفُونَ ﴿١٢٠﴾ نَصِيبُهُمْ غَيْرَ مَنْقُوصٍ ﴿١٢١﴾

عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس ﴿١١٣﴾ لأنَّ الخلق كلهم يحشرون ويجمعون
لذلك اليوم ﴿١١٤﴾ وذلك يوم مشهود ﴿١١٥﴾ يشهده البرُّ والفاجر .

﴿١١٤﴾ وما تؤخره ﴿١١٥﴾ وما تؤخر ذلك اليوم فلا تُقيمه عليكم ﴿١١٦﴾ إلا لأجل معدود ﴿١١٧﴾ لوقت
معلوم، ولا يعلمه أحدٌ غير الله سبحانه .

﴿١١٨﴾ يوم يأتِ ﴿١١٩﴾ ذلك اليوم ﴿١٢٠﴾ لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقيٌّ وسعيدٌ ﴿١٢١﴾ فمن
الأنفس في ذلك اليوم شقيٌّ وسعيدٌ .

﴿١٢٢﴾ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴿١٢٣﴾ وهما من أصوات المكروبين
والمحزونين، والزفير مثل أول نهيق الحمار، والشهيق آخره إذا رددّه في الجوف .

﴿١٢٤﴾ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض ﴿١٢٥﴾ أبدًا، وهذا من ألفاظ التأييد ﴿١٢٦﴾ إلا
ما شاء ربك ﴿١٢٧﴾ أن يُخرجهم، ولكنّه لا يشاء ذلك، والمعنى: لو شاء أن لا يخلدّهم
لقدر . وقيل: إلا ما شاء ربك . يعني: إلا مقدار مكثهم في الدنيا والبرزخ
والوقوف للحساب، ثمَّ يصيرون إلى النَّار أبدًا، وقوله:
﴿١٢٨﴾ عطاء غير مجذوذ ﴿١٢٩﴾ أي: مقطوع .

﴿١٣٠﴾ فلا تك ﴿١٣١﴾ يا محمّد ﴿١٣٢﴾ في مرية ﴿١٣٣﴾ شك ﴿١٣٤﴾ ممّا يعبد هؤلاء ﴿١٣٥﴾ أي: من حال ما يعبدون
في أنّها لا تضرُّ ولا تنفع . ﴿١٣٦﴾ ما يعبدون إلا كما يعبد آبائهم من قبل ﴿١٣٧﴾ أي: كعبادة
آبائهم، يريد: إنّهم على طريق التقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم ﴿١٣٨﴾ وإنا
لموفونهم نصيبهم ﴿١٣٩﴾ من العذاب ﴿١٤٠﴾ غير منقوص ﴿١٤١﴾ .

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكِّ مِمَّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٦﴾ وَإِنْ كَلَّا لَيُوفِينَهِمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١٧﴾ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٨﴾ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٩﴾

﴿١١٦﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ﴿ هذه الآية تعزية للنبي ﷺ، وتسلية له باختلاف قوم موسى في كتابه ﴾ ولولا كلمة سبقت من ربك ﴿ بتأخير العذاب عن قومك ﴾ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ﴿ لعجل عقابهم، وفرغ من ذلك ﴾ وإنهم لفي شك منه ﴿ من القرآن ﴾ مرِيب ﴿ موقع للريبة.

﴿١١٧﴾ ﴿وَإِنْ كَلَّا﴾ من البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر ﴿لَمَّا﴾ يعني: لَمَنْ، في قول الفراء^(١)، وفي قول البصريين «ما» زائدة^(٢)، والمعنى: وَإِنْ كَلَّا ﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾ أي: ليتمنَّ لهم جزاء أعمالهم.

﴿١١٨﴾ ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ على العمل بأمر ربك والدُّعاء إليه ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ في القرآن ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ يعني: أصحابه، أي: وليستقيموا هم أيضاً على ما أُمروا به ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ تواضعوا لله ولا تتجبروا على أحدٍ ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه أعمال بني آدم.

﴿١١٩﴾ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لا تُداهنوهم ولا ترضوا بأعمالهم، يعني: الكفار ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ فيصيبكم لفحها ﴿وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ من مانع يمنعكم من عذاب الله ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ استئناف.

(١) وعبرة الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩: وَأَمَّا مَنْ شَدَّ ﴿لَمَّا﴾ فَإِنَّهُ - والله أعلم - أراد: لَمَنِ ما ليوفينهم، فلَمَّا اجتمعت ثلاث ميمات حذف واحدة، فبقيت اثنتان، فادغمت في صاحبها كما قال الشاعر:

واني لَمَّمَا أصدر الأمر وجهه إذا هو أعيأ بالسبيل مصادره

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٨١، وهذا على تخفيف «لما».

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِنَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى
 لِلذَّاكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ
 أُولُوا بَقِيَّةَ يَنهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ لِيُظْلِمَ بِظُلْمِ وَأَهْلِهَا
 مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

﴿١١٤﴾ وأقم الصلاة طرفي النهار ﴿بالصبح والمغرب﴾ وزلفاً من الليل ﴿صلاة العشاء﴾ قرب أول الليل، والزلف: أول ساعات الليل. وقيل: صلاة طرفي النهار: الفجر والظهر والعصر، وأما المغرب والعشاء فإنهما من صلاة زلف الليل. ﴿١١٥﴾ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴿إن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب إذا اجتبت الكبائر﴾ ذلك ذكرى ﴿أي: هذه موعظة﴾ للذاكرين.

﴿١١٦﴾ واصبر ﴿على الصلاة﴾ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴿يعني: المصلين﴾.

﴿١١٧﴾ فلولا كان من القرون من قبلكم ﴿أي: ما كان منهم﴾ أولو بقية ﴿دين وتميز﴾ وفضل ﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾ عن الشرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية ﴿إلا قليلاً﴾ لكن قليلاً ﴿ممن أنجينا منهم﴾ وهم أتباع الأنبياء وأهل الحق، نهوا عن الفساد ﴿واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾ آثروا اللذات على أمر الآخرة، وركنوا إلى الدنيا والأموال وما أعطوا من نعيمها.

﴿١١٨﴾ وما كان ربك ليهلك القرى ﴿أي: أهلها﴾ بظلم ﴿بشرك﴾ وأهلها مصلحون ﴿فيما بينهم، أي: ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق في المعاملة أن ينزل الله بهم عذاب الاستئصال، كقوم لوط عذبوا باللواط، وقوم شعيب عذبوا ببخس المكيال﴾.

﴿١١٩﴾ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ﴿مسلمين كلهم﴾ ولا يزالون مختلفين ﴿في الأديان﴾.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿١١٩﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ يعني: أهل الحق ﴿ولذلك خلقهم﴾ أي: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة.

﴿١٢٠﴾ وَكَلاَّ نَقُصُّ عَلَيْكَ أي: كل الذي تحتاج إليه ﴿من أنباء الرسل﴾ نقص عليك ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ ليزيدك يقيناً ﴿وجاءك في هذه﴾ أي: في هذه السورة ﴿الحق﴾ يعني: ما ذكر من أقاصيص الأنبياء ومواعظهم، وذكر السعادة والشقاوة، وهذا تشريف لهذه السورة؛ لأنَّ غيرها من السور قد جاء فيها الحق ﴿وموعظة وذكورى للمؤمنين﴾ يتعظون إذا سمعوا هذه السورة، وما نزل بالأمم لمَّا كذبوا أنبياءهم.

﴿١٢١﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ أمر تهديد، أي: اعملوا ما أنتم عاملون.

﴿١٢٢﴾ وَانظُرُوا ما يعدكم الشيطان ﴿إنَّا منتظرون﴾ ما يعدنا ربُّنا من النصر.

﴿١٢٣﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أي: علم ما غاب عن العباد فيهما ﴿وإليه يرجع الأمر كله﴾ في المعاد حتى لا يكون لأحدٍ سواه أمرٌ ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾^(١) أي: إنَّه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.



(١) قرأ «يعملون» بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي وخلف. الإتحاف

سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، وهي مائة وإحدى عشر آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر﴾ أنا الله الرَّحْمَنُ ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب المبين﴾ للحلال والحرام، والأحكام، يعني: القرآن.

﴿٢﴾ ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني: الكتاب ﴿قرآنًا عربيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم تعقلون﴾ كي تفهموا.

﴿٣﴾ ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ نبيّن لك أحسن البيان ﴿بما أوحينا﴾ بإيماننا ﴿إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ وما كنت من قبل أن يُوحى إليك إلّا من الغافلين.

﴿٤﴾ ﴿إذ قال﴾ اذكر إذ قال ﴿يوسف لأبيه يا أبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَبْنَئِي لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِيكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مَنَا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾

والقمر رأيتهم... الآية. رأى يوسف عليه السَّلام هذه الرؤيا، فلما قصَّها على أبيه أسفق عليه من حسد إخوته له، فقال:

﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا﴾ يحتالوا في هلاكك؛ لأنهم لا يعلمون تأويلها.

﴿وكذلك﴾ ومثل ما رأيت ﴿يجتبيك ربك﴾ يصطفيك ويختارك ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ تعبير الأحلام ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنبوة ﴿وعلى آل يعقوب﴾ يعني: المختصين منهم بالنبوة ﴿على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم﴾ حيث يضع النبوة ﴿حكيم﴾ في خلقه.

﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾ أي: في خبرهم وقصصهم ﴿آيات﴾ عبرٌ وعجائبٌ ﴿للسائلين﴾ الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأخبرهم بها وهو غافلٌ عنها لم يقرأ كتاباً، فكان في ذلك أوضح دلالة على صدقه.

﴿إذ قالوا﴾ يعني: إخوة يوسف: ﴿ليوسف وأخوه﴾ لأبيه وأمه ﴿أحبُّ إلينا منا ونحن عصبة﴾ جماعةٌ ﴿إنَّ أبانا لفي ضلالٍ مبين﴾ ضلَّ بإيثاره يوسف وأخاه علينا. ضلالٍ: خطأ.

﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾ في أرضٍ يبعد فيها عن أبيه ﴿يخلُ لكم وجه أبيكم﴾ يُقبل بكليته عليكم ﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾ تُحدثوا توبةً بعد ذلك يقبلها الله سبحانه منكم.

قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١١﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٣﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْتَمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا

﴿١٠﴾ قال قائل منهم ﴿وهو يهوذا أكبر إخوته: ﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب﴾ في موضع مظلم من البئر لا يلحقه نظر الناظرين ﴿يلتقطه بعض السيارة﴾ مارة الطريق ﴿إن كنتم فاعلين﴾ ما قصدتم من التفريق بينه وبين أبيه، فلما تأمروا بينهم ذلك وعزموا على طرحه في البئر.

﴿١١﴾ قالوا ﴿لأبيهم: ﴿مالك لا تأمنا على يوسف﴾ لِمَ تخافنا عليه؟ ﴿وإننا له لناصرحون﴾ في الرحمة والبر والشفقة.

﴿١٢﴾ أرسله معنا غداً إلى الصحراء ﴿نرتع ونلعب﴾^(١) نسعى ونشط ﴿وإننا له لحافظون﴾ من كل ما تخافه عليه.

﴿١٣﴾ قال إنني ليحزني أن تذهبوا به ذهابكم به يحزني؛ لأنه يفارقني، فلا أراه ﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾ وذلك أن أرضهم كانت مذابة^(٢) ﴿وأنتم عنه غافلون﴾ مشغولون برعيتكم.

﴿١٤﴾ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة ﴿جماعة بحضرته﴾ ﴿إننا إذا لخاسرون﴾ لعاجزون.

﴿١٥﴾ فلما ذهبوا به واجتمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب ﴿وعزموا على ذلك أوحينا إلى يوسف في البئر تقوية لقلبه: لتصدقن رؤياك ولتخبرن إخوتك بصنيعهم هذا

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا
يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى
قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا
تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

بعد هذا اليوم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنك يوسف في وقت إخبارك إياهم.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ نشدُّ ونعدو ليتبين أينا أسرع عدواً ﴿وتركنا يوسف
عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا﴾ بمصدق لنا ﴿ولو كنَّا
صادقين﴾ في كلِّ الأشياء لأنك اتَّهمتنا في هذه القصة.

﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾ لأنه لم يكن دمه، إنما كان دم سخلة ﴿قال﴾
يعقوب عليه السَّلام: ﴿بل﴾ أي: ليس كما تقولون ﴿سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾ زَيَّنَتْ لَكُمْ
﴿أنفسكم﴾ في شأنه ﴿أمرًا﴾ غير ما تصفون ﴿فصبر﴾ أي: فشأني صبرٌ ﴿جميل﴾
وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى^(١) ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أي: به
أستعين في مكابدة هذا الأمر.

﴿وجاءت سيارة﴾ رفقةٌ تسير للسَّفر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد الماء
ليستقي للقوم ﴿فأدلى دلوهُ﴾ أرسلها في البئر، فَتَسَبَّثَ يوسف عليه السَّلام
بالرَّشاء^(٢) فأخرجه الوارد، فلَمَّا رآه ﴿قال يا بشري﴾ أي: يا فرحتا ﴿هذا غلام
وأسروه بضاعة﴾ أسره الوارد ومنَّ كان معه من التُّجار من غيرهم، وقالوا: هذه
بضاعةٌ استبضعها بعض أهل الماء ﴿والله عليم بما يعملون﴾ بيوسف، فلَمَّا علم

(١) أخرج ابن جرير ١٦٦/١٢ عن حبان بن أبي جيلة أنَّ النَّبيَّ ﷺ سئل عن قوله: ﴿فصبرٌ
جميلٌ﴾؟ قال: صبرٌ لا شكوى فيه. وهذا حديث مرسل.

(٢) الرشاء: حبل الدلو.

وَشَرَّوْهُ بِشَمْنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَوَدَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ فِي بَيْتِهَا عَنِ نَفْسِهِ

إخوته ذلك أتوهم، وقالوا: هذا عبدٌ أبْقُ منَّا، فقالوا لهم: فبيعونا، فباعوه منهم، وذلك قوله: ﴿وَشَرَّوهُ بِشَمْنٍ بَخْسٍ﴾ حرام؛ لأنَّ ثمن الحرِّ حرامٌ ﴿دراهم معدودة﴾ باثنين وعشرين درهماً ﴿وكانوا﴾ يعني: إخوته ﴿فيه﴾ في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه.

﴿٢١﴾ وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته ﴿وهو العزيز صاحب ملك مصر﴾: ﴿أكرمِي مشواه﴾ أحسنِي إليه طول مقامه عندنا ﴿عسىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ أي: يكفينَا - إذا بلغ وفهم الأمور - بعض شؤوننا ﴿أو نتخذهُ ولدًا﴾ وكان حصوراً لا يولد له. ﴿وكذلك﴾ وكما نجَّيناه من القتل والبشر ﴿مَكَّنَّا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مصر حتَّىٰ بلغ ما بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ فعلنا ذلك تصديقاً لقوله ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾^(١). ﴿والله غالب على أمره﴾ علىٰ ما أراد من قضائه، لا يغلبه غالبٌ على أمره، ولا يُبطل إرادته منازعٌ ﴿ولكنَّ أكثر الناس﴾ هم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر ﴿لا يعلمون﴾ أنَّ قدرة الله غالبَةٌ، ومشيئته نافذة.

﴿٢٢﴾ ولما بلغ أشده ﴿ثلاثين سنة﴾ آتيناه حكماً وعلماً عقلاً وفهماً ﴿وكذلك﴾ ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف ﴿نجزِي المحسنين﴾ الصَّابرين على التَّوَابِ، كما صبر يوسف عليه السَّلام.

﴿ورودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ يعني: امرأة العزيز طلبت منه أن يُواقعها

وَعَلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٥﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصُهَا مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي

﴿وغلقت الأبواب﴾ أي: أغلقتها ﴿وقالت هيت لك﴾ أي: هلم وتعال ﴿قال معاذ الله﴾ أعوذ بالله أن أفعل هذا ﴿إنه ربي﴾ إن الذي اشتراني هو سيدي ﴿أحسن مثواي﴾ أنعم عليَّ بإكرامي، فلا أخونه في حرمة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يسعد الزناة.

﴿٢٤﴾ ﴿ولقد همت به وهمَّ بها﴾ طمعت فيه وطمع فيها ﴿لولا أن رأى برهان ربه﴾ وهو أنه مُثِّلَ له يعقوب عليه السلام عاصاً على أصابعه يقول: أتعلم عمل الفجار، وأنت مكتوبٌ في الأنبياء، فاستحيا منه^(١)، وجواب «لولا» محذوف، على معنى: لولا أن رأى برهان ربه لأمضى ما همَّ به ﴿كذلك﴾ أي: أريناه البرهان ﴿لنصرف عنه السوء﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿والفحشاء﴾ ركوب الفاحشة ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾ الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه.

﴿٢٥﴾ ﴿واستبقا الباب﴾ وذلك أن يوسف عليه السلام لما رأى البرهان قام مُبادراً إلى الباب، واتبعته المرأة تبغي التَّشَبُّثَ به، فلم تصل إلا إلى دُبر قميصه، فقدَّتْه، ووجدت زوج المرأة عند الباب، فحضرها في الوقت كيدٌ، فأوهمت زوجها أن الذي تسمع من العدو والمبادرة إلى الباب كان منها لا من يوسف فـ ﴿قالت ما جزاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ تريد الزَّنا ﴿إلا أن يسجن﴾ يحبس في الحبس ﴿أو عذاب أليم﴾ بالضرب، فلما قالت ذلك غضب يوسف و ﴿قال هي راودتني

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه ابن جرير ١٢/١٨٩.

عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ
 الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ
 قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا
 وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ
 الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ
 أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ

عن نفسي وشهد شاهدٌ وحكم حاكمٌ، وبين مبینٌ ﴿من أهلها﴾ وهو ابن عمّ
 المرأة، فقال: ﴿إن كان قميصه قدَّ من قبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين *

﴿٢٧﴾ وإن كان قميصه قدَّ من دبرٍ فكذبت وهو من الصادقين﴾.

﴿٢٨﴾ فلما رأى قميصه قدَّ من دبرٍ ﴿من حكم الشاهد وبيانه ما يُوجب الاستدلال على
 تمييز الكاذب من الصادق، فلما رأى زوج المرأة قميص يوسف قدَّ من دبرٍ﴾ قال:
 ﴿إنه من كيدكنَّ﴾ أي: قولك: ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً...﴾ الآية.

﴿٢٩﴾ يوسف ﴿يا يوسف﴾ ﴿أعرض عن هذا﴾ اترك هذا الأمر فلا تذكره ﴿واستغفري
 لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ الآثمين، ثم شاع ما جرى بينهما في مدينة مصر
 حتى تحدّثت بذلك النساء، وخضن فيه وهو قوله:

﴿٣٠﴾ وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها ﴿غلامها﴾ عن نفسه قد شغفها
 حبًّا ﴿قد دخل حبّه في شغاف قلبها، وهو موضع الدّم الذي يكون داخل القلب
 ﴿إننا لنهاها في ضلالٍ﴾ عن طريق الرّشد بحبّها إيّاه.

﴿٣١﴾ فلما سمعت امرأة العزيز ﴿بمكرهنَّ﴾ مقالتهنَّ، وسمّيت مكرّاً لأنهنّ قصذن
 بهذه المقالة أن تُريهنّ يوسف، ليقوم لها العذر في حبّه إذا رأين جماله، وكنّ
 مشتهين ذلك؛ لأنّ يوسف وُصف لهنّ بالجمال ﴿أرسلت إليهن﴾ تدعوهنّ

وَأَعَدَّتْ لَهُنَّ مَتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾

﴿وَأَعَدَّتْ﴾ وَأَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مَتَكًا﴾ طعاماً يقطع بالسكين. قيل: هو الأترج^(١) ﴿وَأَتْت﴾ وناولت ﴿كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ وقالت ﴿ليوسف﴾: ﴿اخرج عليهنَّ فلما رأيته أكبرنه﴾ أعظمته وهالهنَّ أمره وبهتن ﴿وقطعن أيديهنَّ﴾ حَزَنَها بالسكاكين، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهنَّ بيوسف ﴿وقلن حاشَ لِلَّهِ﴾ بَعْدَ يوسف عن أن يكون بشراً ﴿إِنْ هَذَا﴾ ما هذا ﴿إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فلَمَّا رأت امرأة العزيز ذلك قالت:

﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه والشَّغف فيه، ثم أَقَرَّتْ عندهنَّ بما فعلت فقالت: ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ فامتنع وأبى، وتوَعَّدته بالسَّجْن فقالت: ﴿ولئن لم يفعل...﴾ الآية؛ فأمرنه بطاعتها، وقلن له: إِنَّكَ الظَّالِمُ وهي المظلومة، فقال يوسف:

﴿رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من معصيتك ﴿وإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ كيد جميع النساء ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أمل إليهنَّ ﴿وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المذنبين.

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٣٠٩/١: وزعم قومٌ أَنَّهُ الأترج، وهذا أبطل باطلٍ في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المَتَكَا أترجٌ يأكلونه.

وقال ابن جرير ٢٠٢/١٢: إِنَّ أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال.

قلت: وقد قرئ في بعض القراءات الشاذة: «مَتَكَا» على فُعْلٍ، والمَتَك هو الأترج، كما قال الفراء في معاني القرآن ٤٢/٢، وانظر اللسان: متك.

فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا
الْآيَاتِ لَيْسَجُجْنَ فِيهِ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجَنُ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ
خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَأْتُ بِنْتِ أَبِي يَدُوسَ إِنَّا نَرَاكَ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا
مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٤﴾ فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن حتى لم يقع في شيء مما يطالبنه به ﴿٣٥﴾ هو السميع لدعائه ﴿٣٦﴾ العليم بما يخاف من الإثم.

﴿٣٥﴾ ثم بدا لهم للعزير وأصحابه ﴿٣٦﴾ من بعد ما رأوا الآيات آيات براءة يوسف
﴿٣٧﴾ ليسجنه حتى حين وذلك أن المرأة قالت: إن هذا العبد فضحني في الناس
يُخبرهم أنني راودته عن نفسه، فاحبسه حتى تنقطع هذه المقالة، فذلك قوله:
﴿حتى حين﴾ أي: إلى انقطاع اللائمة.

﴿٣٦﴾ ودخل معه السجن فتيان غلامان للملك الأكبر، رُفِعَ إليه أن صاحب طعامه
يريد أن يسّمه، وصاحب شرابه ماله على ذلك، فأدخلهما السجن، ورأيا يوسف
يُعبّر الرؤيا، فقالا: لنجرب هذا العبد العبراني، فتحالما من غير أن يكونا رأيا
شيئاً، وهو قوله ﴿قال أحدهما﴾ وهو السّاقى: ﴿إني أراي أعصر خمرًا﴾ أي:
عنباً، وقال صاحب الطعام: ﴿إني أراي أحمل فوق رأسي خبزاً﴾ رأيت كأن فوق
رأسي خبزاً ﴿تأكل الطير منه﴾ فإذا سباع الطير ينهش منه ﴿نبئنا بتأويله﴾ أي:
خبرنا بتفسير الرؤيا ﴿إنا نراك من المحسنين﴾ تؤثر الإحسان، وتأتي جميل
الأفعال، فعدل يوسف عليه السلام عن جواب مسألتهما، ودلّهما أولاً على أنه
عالمٌ بتفسير الرؤيا فقال:

﴿٣٧﴾ لا يأتیکما طعام ترزقانه تاكلان منه في منامكما ﴿٣٨﴾ إلا نبأكما بتأويله ﴿٣٩﴾ في اليقظة
﴿٣٩﴾ قبل أن يأتیکما التأويل ذلكما مما علمني ربّي ﴿٤٠﴾ أي: لست أخبركما على
جهة التكهّن والتنجّم، إنّما ذلك بوحى من الله عزّ وجلّ وعلم، ثم أخبر عن إيمانه
واجتنابه الكفر بباقي الآيات، وقوله:

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي ابْرَهِيمَ وَاسْحَقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِءَ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتِمَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْحَبِي السِّجْنِءَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَلَهُ

﴿٣٨﴾ ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ﴿﴾ يريد: إنَّ الله سبحانه عصمنا من أن نشرك به ذلك من فضل الله علينا ﴿﴾ أي: أتباعنا للإيمان بتوفيق الله تعالى وتفضله علينا ﴿﴾ وعلى الناس ﴿﴾ وعلى مَنْ عصمه الله من الشُّرك حتى أتبع دينه ﴿﴾ ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون ﴿﴾ نعمة الله بتوحيده، والإيمان برسله، ثمَّ دعاهما إلى الإيمان، فقال:

﴿٣٩﴾ يا صاحبي السجن ﴿﴾ يعني: يا ساكنيه: ﴿أرباب متفرقون﴾ يعني: الأصنام ﴿خير﴾ أعظم في صفة المدح ﴿أم الله الواحد القهار﴾ الذي يقهر كلَّ شيء.

﴿٤٠﴾ ما تعبدون من دونه ﴿﴾ أنتما ومنَّ على مثل حالكما من دون الله ﴿إلا أسماء﴾ لا معاني وراءها ﴿سميتموها أنتم﴾، ﴿إن الحكم إلا الله﴾ ما الفصل بالأمر والنهي إلاَّ الله ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم ﴿ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ ما للمطيعين من الثواب، وللعاصين من العقاب، ثمَّ ذكر تأويل رؤياهما بقوله:

﴿٤١﴾ يا صاحبي السجن أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴿﴾ فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ يعني: سيقع بكما ما عبَّرت لكما، صدقتما أم كذبتما.

﴿٤٢﴾ وقال ﴿يوسف﴾ للذي ظنَّ ﴿علم﴾ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا ﴿وهو السَّاقِي﴾: اذكرني عند ربك ﴿عند الملك صاحبك﴾، وقل له: إنَّ في السِّجْنِءِ غلاماً محبوساً ظلماً ﴿فأنساه

الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُءُوسِي إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٩﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا

الشيطان ذكر ربه ﴿أنسى الشيطان يوسف الاستغاثة بربه، وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك^(١)، فعوقب بأن ﴿لبث في السجن بضع سنين﴾ سبع سنين، فلمَّا دنا فرجه وأراد الله خلاصه رأى الملك رؤيا، وهو قوله:

﴿وقال الملك إني أرى...﴾ الآية. فلمَّا استفتاهم فيها. ﴿٤٦﴾

﴿قالوا أضغاث أحلام﴾ أحلامٌ مختلطةٌ لا تأويل لها عندنا ﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾ أقرؤا بالعجز عن تأويلها. ﴿٤٧﴾

﴿وقال الذي نجا منهما﴾ وهو السَّاقِي ﴿وادَّكَرَ بعد أمةٍ﴾ وتذكَّرَ أمر يوسف بعد حين من الدهر: ﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾ فأرسل، فاتى يوسف فقال:

﴿يوسفُ﴾ أي: يا يوسف ﴿أيها الصديق﴾ الكثير الصدق، وقوله ﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾ يعني: أصحاب الملك ﴿لعلهم يعلمون﴾ تأويل رؤيا الملك من جهتك. ﴿٤٨﴾

﴿قال تزرعون﴾ أي: ازرعوا ﴿سبع سنين دأباً﴾ متتابعة، وهذه السَّبع تأويل

ربك﴾ قال: ثم يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس. وهذا حديثٌ مرسل.

(١) أخرج ابن جرير ٢٢٣/١٢ عن الحسن قال: قال نبيُّ الله ﷺ: رحم الله يوسف، لولا كلمته ما لبث في السجن طول ما لبث. يعني: قوله: ﴿اذكرني عند

فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعَصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتِيَنِي بِهِ؟ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ الَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاودْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ؟

البقرات السَّمان ﴿فما حصدتكم﴾ ممَّا زرعتم ﴿فذرروه في سنبله﴾ لأنَّه أبقى له وأبعد من الفساد ﴿إلا قليلاً ممَّا تأكلون﴾ فإنَّكم تدوسونه.

﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ مُجذباتٌ صعباتٌ، وهذه تأويل البقرات العجاف ﴿يأكلن﴾ يُفنين ويذهبن ﴿ما قدَّمتم لهن﴾ من الحَبِّ ﴿إلا قليلاً ممَّا تحصنون﴾ تحرزون وتدَّخرون.

﴿ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ يمتطرون ويخصبون حتَّى يعصروا من السَّمسم الدَّهن، ومن العنب الخمر، ومن الزَّيتون الزَّيت، فرجع الرَّسول بتأويل الرُّؤيا إلى الملك، فعرف الملك أنَّ ذلك تأويلٌ صحيحٌ، فقال:

﴿أتؤنني﴾ بالذي عبَّر رؤيائي، فجاء الرَّسول يوسف، وقال: أجب الملك فقال للرَّسول: ﴿ارجع إلى ربك﴾ يعني: الملك ﴿فسله﴾^(١) أن يسأل ﴿ما بال النسوة﴾ ما حالهنَّ وشأنهنَّ، ليعلم صحَّة براءتي ممَّا قُدِّت به، وذلك أنَّ النِّسوة كنَّ قد عرفن براءته بإقرار امرأة العزيز عندهنَّ، وهو قولها: ﴿ولقد راودُّته عن نفسيه فاستعصم﴾^(٢) فأحبَّ يوسف عليه السَّلام أن يُعلم الملك أنَّه حُبس [ظلماً]، وأنَّه بريءٌ ممَّا قُدِّف به، فسأله أن يستعلم النِّسوة عن ذلك ﴿إن ربي بكيدهنَّ﴾ ما فعلن في شأني حين رأيَني وما قلن لي ﴿عليم﴾ فدعا الملك النِّسوة فقال:

﴿ما خطبكنَّ﴾ ما قصتكنَّ وما شأنكنَّ ﴿إذ راودتنَّ يوسف عن نفسه﴾ جمعهنَّ في

(٢) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(١) وهي قراءة ابن كثير والكسائي وخلف.

قُلْتُ حَسَّ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْكَفَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا رَاودَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي

المُرَاوَدَة؛ لأنه لم يعلم مَنْ كانت المُرَاوَدَة ﴿قلن حاش لله﴾ بعد يوسف عما يَتَّبِعُهُ به ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ من زنا، فلَمَّا بَرَّأْنُهُ أَفَرَّتْ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ فقالت: ﴿الآن حصحص الحق﴾ أي: بان ووضح، وذلك أَنَّهَا خافت إنْ كَذَّبَتْ شهدت عليها السُّوءة فقالت: ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾^(١).

﴿ذلك﴾ أي: ما فعله يوسف من ردِّ الرِّسُولِ إلى الملك ﴿ليعلم﴾ وزير الملك — وهو الذي اشتراه — ﴿أنِّي لم أخنْهُ﴾ في زوجته ﴿بالغيب﴾ وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين لا يرشد مَنْ خان أمانته، أي: إِنَّهُ يَفْتَضِحُ في العاقبة بحرمان الهداية من الله عزَّ وجلَّ، فلَمَّا قال يوسف عليه السَّلَام: ﴿ذلك ليعلم أنِّي لم أخنْهُ بالغيب﴾ قال جبريل عليه السَّلَام: ولا حين هممت بها يوسف^(٢)، فقال:

الجزء الثالث عشر:

﴿وما أبرئ نفسي﴾ وما أَرْكَبُ نفسي ﴿إنَّ النفسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ﴾ بالقبيح وما لا يحبُّ الله ﴿إلا ما﴾ مَنْ ﴿رحم ربي﴾ فعصمه.

﴿وقال الملك ائْتُونِي بِهِ﴾ بيوسف ﴿أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي

(١) الآية ٢٦ من هذه السورة.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ١/١٣، عن ابن عباس، من طريق سماك عن عكرمة. قال ابن حجر: سماك بن حرب الكوفي، صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغيَّرَ بأخره. تقريب التهذيب ص ٢٥٥، وضعَّفَ هذا القول ابن كثير في تفسيره ٤٩٩/٢، وكذا ابن تيمية، وردَّه الرازي ١٥٩/١٨.

فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٨﴾

لا يشركني فيه أحدٌ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ يوسف ﴿قال: إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ﴾ وجية ذو مكانة ﴿أَمِينٌ﴾ قد عرفنا أمانتك وبراءتك، ثُمَّ سَأَلَهُ الْمَلِكُ أَنْ يُعَبِّرَ رُؤْيَاهُ شَفَاهَا، فَأَجَابَهُ يُوسُفُ بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَرَى أَنْ نَصْنَعُ؟ قَالَ: تَجْمَعُ الطَّعَامَ فِي السِّنِينَ الْمَخْصُوبَةِ لِیَأْتِيَكِ الْخَلْقُ فَيَمْتَارُونَ مِنْكَ بِحُكْمِكَ، فَقَالَ: مَنْ لِي بِهَذَا وَمَنْ يَجْمَعُهُ؟ فَقَالَ يُوسُفُ:

﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ على حفظها، وأراد بالأرض أرض مصر ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ﴾ كاتبٌ حاسبٌ.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ وكما أنعمنا عليه بالخلاص من السَّجْنِ ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ﴾ أقدرناه على ما يريد ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ هذا تفسير التَّمْكِينِ فِي الْأَرْضِ ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ﴾ أَنْفُضِلْ عَلَى مَنْ أَشَاءُ بِرَحْمَتِي ﴿وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ثَوَابِ الْمُؤَحِّدِينَ.

﴿وَلَاجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ...﴾ الآية. أَيُّ: مَا يَعْطِيهِ اللَّهُ مِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَعْنَى: إِنَّ مَا يَعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى يُوسُفَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا أَعْطَاهُ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ دَخَلَ أَعْوَامُ الْقَحْطِ عَلَى النَّاسِ، فَأَصَابَ إِخْوَةَ يُوسُفَ الْمَجَاعَةُ، فَأَتَوْهُ مُتَمَارِينَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:

﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ لَأَنَّهُمْ رَأَوْهُ عَلَى زِيِّ الْمُلُوكِ، وَكَانَ قَدْ تَقَرَّرَ فِي أَنْفُسِهِمْ هَلَاكُ يُوسُفَ. وَقِيلَ: لَأَنَّهُمْ رَأَوْهُ مِنْ وَرَاءِ سِتْرِ.

وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ قَالِ اتَّخُذِي بَاخٍ لَّكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ الْآ تَرَوْتَ أَتَى أَوْفَى الْكِتْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكِتْلَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ

﴿٥٩﴾ ولما جهزهم بجهازهم ﴿يعني: حمل لكل رجلٍ منهم بغيراً﴾ قال اتخذي باخٍ لكم من أَيْكُم ﴿يعني: بنيامين، وذلك أَنَّهُ سألهم عن عددهم فأخبروه، وقالوا: خَلَفْنَا أَحَدَنَا عِنْدَ أَبِينَا، فَقَالَ يَوْسُفُ: فَاتُخِذِي بِأَخِيكُم الَّذِي مِنْ أَيْكُم.﴾ ﴿الآ ترون أَنِّي أَوْفَى الْكِتْلِ﴾ أَتَمُّهُ مِنْ غَيْرِ بَخْسٍ ﴿وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ وذلك لَأَن حِينَ أَنْزَلَهُمْ أَحْسَنَ ضِيَافَتِهِمْ، ثُمَّ أَوْعَدَهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِثْيَانِ بِالْأَخِ بِقَوْلِهِ:

﴿٦٠﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ.

﴿٦١﴾ قَالُوا سُرُودٌ عَنْهُ أَبَاهُ ﴿نَطْلُبُ مِنْهُ وَنَسْأَلُهُ أَن يَرْسِلَهُ مَعَنَا﴾ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿ما وعدناك من المراودة.﴾

﴿٦٢﴾ وَقَالَ يَوْسُفُ ﴿لِفَتْيَانِهِ﴾ لَغْلَمَانِهِ: ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ الَّتِي أَتَوْا بِهَا لِثَمَنِ الْمِيرَةِ، وَكَانَتْ دِرَاهِمٌ ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ أَوْعَيْتَهُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ عَسَاهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهَا بِضَاعَتُهُمْ بَعِينَهَا ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ وَفَتَحُوا أَوْعَيْتَهُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَسَاهُمْ يَرْجِعُونَ إِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَسْتَحِلُّونَ إِسْكَاحَهَا.

﴿٦٣﴾ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَنَعَ مِنَّا الْكِتْلَ ﴿حُكْمٌ عَلَيْنَا بِمَنْعِ الْكِتْلِ بَعْدَ هَذَا إِن لَّمْ نَذْهَبْ بِأَخِينَا. يَعْنُونَ قَوْلَهُ:﴾ ﴿فَلَا كَيْلَ لَّكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ.﴾ ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ نَأْخُذُ كَيْلَنَا.

﴿٦٤﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ... ﴿الآية، يَقُولُ: لَا آمَنُكُمْ عَلَى بَنِيَامِينَ إِلَّا كَأَمْنِي عَلَى يَوْسُفَ، يَرِيدُ: إِنَّهُ لَمْ يَنْفَعِهِ ذَلِكَ الْأَمْنُ، فَإِنَّهُمْ خَانُوهُ، فَهُوَ - وَإِن آمَنَهُمْ فِي

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَ يَبْنَئِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ

هذا — خاف خيانتهم أيضاً، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾.

﴿١٥﴾ ﴿ولما فتحوا متاعهم﴾ ما حملوه من مصر ﴿وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾ منك شيئاً تردُّنا به وتصرفنا إلى مصر ﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾ فتصرف بها ﴿ونميرُ أهلنا﴾ نجلب إليهم الطعام ﴿ونزداد كيل بعير﴾ نزيد حمل بعير من الطعام، لأنَّه كان يُكال لكلِّ رجلٍ وقر بعير ﴿ذلك كيلٌ يسير﴾ متيسرٌ على مَنْ يكيل لنا لسخائه.

﴿١٦﴾ ﴿قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله﴾ حتى تحلفوا بالله ﴿لتأتُنَّنِي به إلا أن يحاط بكم﴾ إلا أن تموتوا كلُّكم ﴿فلما آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ عهدهم ويمينهم ﴿قال﴾ يعقوب عليه السَّلام: ﴿الله على ما نقول وكيل﴾ شهيد، فلما أرادوا الخروج من عنده قال:

﴿١٧﴾ ﴿يا بني لا تدخلوا﴾ مصر ﴿من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة﴾ خاف عليهم العين، فأمرهم بالتَّفَرُّقَةِ ﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾ يعني: إنَّ الحذر لا يُغني ولا ينفع من القدر.

﴿١٨﴾ ﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾ وذلك أنَّهم دخلوا مصر متفرِّقين من أربعة أبواب ﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾ ما كان ذلك ليردَّ قضاءً قضاه الله

إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾

سبحانه ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ لكن حاجة. يعني: إِنَّ ذَلِكَ الدَّخُولُ قَضَىٰ حَاجَةً فِي نَفْسٍ يعقوب عليه السَّلام، وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبوابٍ متفرقة شفقةً عليهم ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لذو يقينٍ ومعرفةٍ بالله سبحانه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ يعقوب عليه السَّلام بهذه الصِّفة.

﴿٦٨﴾ ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ ضَمَّهُ إِلَيْهِ وَأَنْزَلَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ اعترف له بالنَّسب، وقال: لا تخبرهم بما أَلْقَيْتُ إِلَيْكَ ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ فلا تحزن ولا تغتم ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الحسد لنا، وصرف وجه أيينا عنا.

﴿٧٠﴾ ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ﴾ وهو إِنْاءٌ من ذهبٍ مَرْصَعٌ بِالْجَوَاهِرِ ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنيامين ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نَادَىٰ مُنَادٍ ﴿أَيَّتُهَا الْعِيرُ﴾ الرُّفْقَةُ ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾.

﴿٧١﴾ ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ؟﴾

﴿٧٢﴾ ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ﴾ يعني: السَّقَايَةَ ﴿وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ﴾ أَيُّ: من الطَّعام ﴿وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ كفيل.

﴿٧٣﴾ ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ حلفوا على أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ صَلَاحَهُمْ وَتَجَبُّهُمُ الْفَسَادَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَعْرُوفِينَ بِأَنَّهُمْ لَا يَظْلَمُونَ أَحَدًا، وَلَا يَرْزَأُونَ شَيْئًا لِأَحَدٍ.

﴿٧٤﴾ ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أَيُّ: ما جزاء السَّارِقِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين.

قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

﴿٧٥﴾ قالوا جزاؤه مَنْ وجد في رحله ﴿وكانوا يستعبدون كلَّ سارقٍ بسرقة، فلذلك قالوا: جزاؤه مَنْ وجد في رحله﴾^(١) أي: جزاء السرقة، مَنْ وجد في رحله المسروق ﴿فهو جزاؤه﴾ أي: فالسرقة جزاء السارق ﴿كذلك نجزي الظالمين﴾ أي: إذا سرق سارقٌ استرق، فلما أقرؤوا بهذا الحكم صُرف بهم إلى يوسف عليه السلام ليفتش أمتهم.

﴿٧٦﴾ يوسف ﴿بأوعيتهم﴾ وهي كلُّ ما استودع شيئاً من جرابٍ وجوالق^(٢) ومِخلّة ﴿قبل وعاء أخيه﴾ نفياً للثَّمة ﴿ثم استخرجها﴾ يعني: السَّقية ﴿من وعاء أخيه كذلك كدنا﴾ ألهمنا ﴿ليوسف﴾ أي: ألهمناه مثل ذلك الكيد، حتى ضمنا أخاه إليه ﴿ما كان ليأخذ أخاه﴾ ويستوجب ضمه إليه ﴿في دين الملك﴾ في حكمه وسيرته وعادته ﴿إلا﴾ بمشيئة الله تعالى، وذلك أنَّ حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق، فلم يكن يوسف يتمكّن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطفاً، حتى وجد السَّبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على السنة إخوته أنَّ جزاء السارق الاسترقاق، ﴿نرفع درجات مَنْ نشاء﴾ بضروب الكرامات وأبواب العلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته في كلِّ شيء ﴿وفوق كلِّ ذي علم عليم﴾ يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا حتى ينتهي العلم إلى الله سبحانه. فلما خرج الصُّواع من رحل بنيامين.

﴿٧٧﴾ قالوا ﴿ليوسف﴾ ﴿إن يسرق﴾ الصُّواع ﴿فقد سرق أخ له من قبل﴾ يعنون: يوسف

(١) ما بين [] زيادة من ظ و ظا.

(٢) الجوالق: وعاء.

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عَنْدَهُ إِنَّا إِذَا الظَّالِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾

عليه السَّلام، وذلك أَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ الطَّعَامَ مِنْ مَائِدَةِ أَبِيهِ سِرًّا مِنْهُمْ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ فِي الْمَجَاعَةِ، حَتَّى فُطِنَ بِهِ إِخْوَتُهُ ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ﴾ أَيُّ: أَسْرَ الْكَلِمَةُ الَّتِي كَانَتْ جَوَابَ قَوْلِهِمْ هَذَا ﴿وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ﴾ وَهُوَ أَنَّهُ قَالَ فِي نَفْسِهِ: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا صَنَعْتُمْ مِنْ ظُلْمِ أَخِيكُمْ وَعَقُوقِ آبِيكُمْ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أَيُّ: قَدْ عَلِمَ أَنَّ الَّذِي تَذْكُرُونَهُ كَذِبٌ.

﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ فِي السَّنِّ ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ وَاحِدًا مَنَّا تَسْتَعْبِدُهُ بَدْلَهُ ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا.

﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ يَسُّوا ﴿مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ انْفَرَدُوا مُتَنَاجِينَ فِي ذَهَابِهِمْ إِلَى آبِيهِمْ مِنْ غَيْرِ أَخِيهِمْ ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ وَهُوَ رُوْبِيلُ، وَكَانَ أَكْبَرَهُمْ سِنًا: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ فِي حِفْظِ الْأَخِ وَرَدِّهِ إِلَيْهِ ﴿وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ «مَا» زَائِدَةٌ، أَيُّ: قَصَّرْتُمْ فِي أَمْرِ يُوسُفَ وَخَسَمْتُمُوهُ فِيهِ ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ لَنْ أَخْرَجَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِيَ أَبِي﴾ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ آتِيَهُ ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ يَقْضِي فِي أَمْرِي شَيْئًا ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أَعْدَلُهُمْ، وَقَالَ لِإِخْوَتِهِ:

﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ يَعْنُونَ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ لِأَنَّهُ وَجَدَتْ السَّرَقَةُ فِي رَحْلِهِ وَنَحْنُ نَنْظُرُ ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ مَا كُنَّا نَحْفَظُهُ إِذَا غَابَ عَنَّا.

وَسَلَّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ ﴿٨٧﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٨﴾ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَأسَفُ عَلَى يُوْسُفَ وَابْتِضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٩﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٩٠﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِيَّ وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩١﴾

﴿٨٧﴾ واسأل القرية التي كنا فيها ﴿٨٨﴾ أي: أهل مصر ﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾ يريد: أهل الرُّفقة، فلما رجعوا إلى أبيهم يعقوب عليه السَّلام قالوا له هذا، فقال:

﴿٨٩﴾ بل سَوَّلَتْ لكم أنفسكم أمراً ﴿زَيْنَتْه لكم حتى أخرجتم بنيامين من عندي رجاء منفعة، فعاد من ذلك شرٌّ وضررٌ﴾.

﴿٩٠﴾ وتولَّى عنهم ﴿أعرض عن بنيهِ، وتجدَّد وَجْدهُ بيوسف﴾ ﴿وقال: يا أسفى على يوسف﴾ يا طول حزني عليه ﴿وابيضت عيناه﴾ انقلبت إلى حال البياض، فلم يبصر بهما ﴿من الحزن﴾ من البكاء ﴿فهو كظيم﴾ مغمومٌ مكروبٌ لا يُظهر حزنه بجزع أو شكوى.

﴿٩١﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ لَا تَزَالُ تَذْكُرُ يُوْسُفَ لَا تَقْرُ من ذكره ﴿حتى تكون حرضاً﴾ فاسداً دنفاً ﴿أو تكون من الهالكين﴾ الميِّتِينَ. والمعنى: لا تزال تذكره بالحزن والبكاء عليه حتى تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه، أو تموت بغمِّه، فلما أغلظوا له في القول.

﴿٩٢﴾ قال إنما أشكو بنيَّ ما بي من البثِّ، وهو الهمُّ الذي تفضي به إلى صاحبك ﴿وحزني إلى الله﴾ لا إليكم ﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾ وهو أنَّ يوسف

يَبْنِيْ اَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِنَّهٗ لَا يَأْتِشُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَآخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾

حيّ، أخبره بذلك ملك الموت^(١)، وقال له: اطلبه من هاهنا، وأشار له إلى ناحية مصر، ولذلك قال:

﴿يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ﴾ تَبَحَّثُوا عَنْهُ ﴿وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ﴾ من الفرج الذي يأتي به ﴿إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ اِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ يريد: إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرْجُو اللّٰهَ تَعَالَى فِي الشَّدَائِدِ، وَالْكَافِرُ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَخَرَجُوا إِلَى مِصْرَ.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ أَصَابَنَا وَمَنْ يَخْتَصُّ بِنَا الْجُوعُ ﴿وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَلَةٍ﴾ نَدَافِعُ بِهَا الْأَيَّامَ وَنَتَقَوَّى، وَلَيْسَتْ مِمَّا يَتَشَبَّعُ بِهِ، وَكَانَتْ دِرَاهِمُ زَيْوْفًا ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ سَأَلُوهُ مَسَاهِلَتَهُمْ فِي التَّقْدِ، وَإِعْطَاءَهُمْ بِدِرَاهِمِهِمْ مِثْلَ مَا يُعْطِي بِغَيْرِهَا مِنَ الْجِيَادِ ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بِمَا بَيْنَ الْقِيَمَتَيْنِ ﴿إِنَّ اللّٰهَ يَجْزِي﴾ يَتَوَلَّى جَزَاءَ ﴿الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فَلَمَّا قَالُوا هَذَا أَدْرَكَتْهُ الرِّقَّةُ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَقَالَ تَوْبِيخًا لَهُمْ وَتَعْظِيمًا لِمَا فَعَلُوا:

﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَآخِيهِ﴾ بِإِدْخَالِ الْغَمِّ عَلَيْهِ بِإِفْرَادِهِ مِنْ يُوسُفَ ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ أَتَمُّونَ بِيَعْقُوبَ أَبِيكُمْ، وَقَطَعَ رَحِمَ أَخِيكُمْ جَهْلًا مِنْكُمْ، وَلَمَّا قَالَ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ رَفَعَ الْحِجَابَ فَقَالُوا:

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن النضر بن عربي رضي الله عنه قال: بلغني أَنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَثَ أَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ عَامًا لَا يَدْرِي أَحْيَى يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْ مَيِّتٌ، حَتَّى تَخْلُلَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ. قَالَ: فَأَنْشُدْكَ بِآلِهِ يَعْقُوبَ، هَلْ قَبِضْتَ رُوحَ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ قَالَ: لَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ: ﴿يَا بَنِي اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ وَلَا تَأْيِسُوا مِنْ رَّوْحِ اللّٰهِ﴾ فَخَرَجُوا إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ لَمْ يَجِدُوا كَلَامًا أَرْقَى مِنْ كَلَامِ اسْتَقْبَلُوهُ بِهِ قَالُوا: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾. انظر الدر المنثور ٥٧٤/٤.

قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا

﴿٩٠﴾ «إِنَّكَ لَأَنْتَ يوسُفُ قَالَ أَنَا يوسُفُ الذي فعلتم به ما فعلتم ﴿وهذا أخي﴾ المظلوم من جهتم ﴿قد مَنَّ الله علينا﴾ بالجمع بيننا بعد ما فرقتم ﴿إنه مَن يتق﴾ الله ﴿ويصبر﴾ على المصائب ﴿فإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾ أجر مَن كان هذا حاله.

﴿٩١﴾ «قَالُوا تَالله لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا﴾ فضلك الله علينا بالعقل والعلم، والفضل والحسن ﴿وإن كُنَّا لخاطئين﴾ آثمين في أمرك.

﴿٩٢﴾ «قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ لا تأنيب ولا تعيير عليكم بعد هذا اليوم، ثم جعلهم في حلٍّ، وسأل لهم المغفرة فقال: ﴿يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ...﴾ الآية، ثم سألهم عن أبيه فقالوا: ذهب عيناه، فقال:

﴿٩٣﴾ «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وكان قد نزل به جبريل عليه السَّلام على إبراهيم عليه السَّلام لَمَّا أُلْقِيَ فِي النَّارِ^(١)، وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم إِلَّا صَحَّ، فذلك قوله: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ يرجع ويُعْذُ بَصِيرًا.

= والنضر بن عربي الباهلي، يكنى أبا روح، الحرَّاني، مولاهم، روى عن عطاء ومجاهد، وعنه الثوري. وثقه ابن معين. لسان الميزان ٤١١/٧. وقوله: «تخلل»: دخل بينهم.

(١) أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال في قوله: «أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا»: إِنَّ نَمْرُودَ لَمَّا أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمَ فِي النَّارِ، نَزَلَ إِلَيْهِ جَبْرِيلُ بِقَمِيصٍ مِنَ الْجَنَّةِ، وَطَنْفَسَةٍ مِنَ الْجَنَّةِ، فَأَلْبَسَهُ الْقَمِيصَ وَأَقْعَدَهُ عَلَى الطَّنْفَسَةِ، وَقَعَدَ مَعَهُ يَتَحَدَّثُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَى النَّارِ: «كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ» وَلَوْلَا أَنَّهُ قَالَ: وَسَلَامًا، لَأَذَاهُ الْبَرْدُ وَلَقَتْلُهُ الْبَرْدُ. الدر المنثور ٥٧٩/٤، وهذا حديث مرسل.

وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴿١٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿١٥﴾ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَتَابَنَّا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿١٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا

﴿١٤﴾ ﴿ولما فصلت العير﴾ خرجت من مصر مُتَوَجِّهَةً إلى كنعان ﴿قال أبوهم﴾ لمن حضره: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وذلك أَنَّهُ هاجت الرِّيحُ فحملت ريح القميص واتَّصلت بـيعقوب، فوجد ريح الجنة، فعلم أَنَّهُ ليس في الدنيا من ريح الجنة إِلَّا ما كان من ذلك القميص ﴿لولا أن تفندون﴾ تُسَفِّهُونِي وتُجْهَلُونِي.

﴿١٥﴾ ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ شقائق القديم ممَّا تكابد من الأحزان على يوسف وخطئك في التَّراعِ إليه على بعد عهده منك، وكان عندهم أَنَّهُ قد مات، وقوله:

﴿١٦﴾ ﴿فارتدَّ بصيرًا﴾ أي: عاد ورجع بصيرًا، وقوله:

﴿١٨﴾ ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخر ذلك إلى السَّحَر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة، وكان قد بعث يوسف عليه السَّلام مع البشير إلى يعقوب عليه السَّلام عُدَّةَ المسير إليه، فتهيأ يعقوب وخرج مع أهله إليه، فذلك قوله:

﴿١٩﴾ ﴿فلما دخلوا على يوسف آوَىٰ إليه﴾ أي: ضمَّ إليه ﴿أبويه﴾ أباه وخالته، وكانت أمُّه قد ماتت، ﴿وقال ادخلوا مصر﴾ وذلك أَنَّهُ كان قد استقبلهم، فقال لهم قبل دخول مصر: ادخلوا مصر آمين إن شاء الله، وكانوا قبل ذلك يخافون دخول مصر إِلَّا بجوازٍ من ملوكهم.

﴿٢٠﴾ ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أجلسهما على السَّرير ﴿وخرَّوا له سجدا﴾ سجدوا

وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَآلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرَ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا

ليوسف سجدة التَّحِيَّةِ وهو الانحناء. ﴿وقد أحسن بي﴾ إلى ﴿إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ وهو البسيط من الأرض، وكان يعقوب وولده بأرض كنعان أهل مواش وبرية ﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ أفسد ﴿بيني وبين إخوتي﴾ بالحسد ﴿إنَّ ربي لطيف لما يشاء﴾ عالم بدقائق الأمور ﴿إنَّه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ فيهم بما شاء، ثم دعا ربه وشكره فقال:

﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ ملك مصر ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ يريد: تفسير الأحلام ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ابتداءً ﴿توفني مسلماً﴾ اقبضني على الإسلام ﴿والحقني بالصالحين﴾ من آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السَّلام. يريد: ارفعني إلى درجاتهم.

﴿ذلك﴾ الذي قصصنا عليك من أمر يوسف من الأخبار التي كانت غائبة عنك، وهو قوله ﴿من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ لدى إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ عزموا على أمرهم ﴿وهم يَمْكُرُونَ﴾ بيوسف.

﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ كان رسول الله ﷺ يرجو أن تؤمن به قريش واليهود لما سألوه عن قصة يوسف، فشرحها لهم فخالفوا ظنَّه، فقال الله: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت﴾ على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾ لأنك لا تهدي مَنْ أحببت، لكنَّ الله يهدي مَنْ يشاء.

﴿وما تسألهم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجر﴾ مالٍ يعطونك ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلا﴾

ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ اللهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلَمْ يَسِيرُوا

ذكر للعالمين ﴿تذكرة لهم بما هو صلاحهم. يريد: إِنَّا أَرْحَمُ الْعَالَمِينَ﴾ في التَّكْذِيبِ
حيث بعثناك مُبَلِّغًا بَلَا أَجْرٍ، غير أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَإِنْ حَرَصَ
النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ.

﴿وَكَايِن﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دلالة تدلُّ عَلَى التَّوْحِيدِ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من
الشمس والقمر والنُّجُوم والجبال وغيرها ﴿يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يتجاوزونها غير مُتَفَكِّرِينَ
ولا مُعْتَبِرِينَ، فقال المشركون: فَإِنَّا نُؤْمِنُ بِاللهِ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، فقال:
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ﴾ في إقراره بِأَنَّ اللهَ خَلَقَهُ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ إِلَّا
وهو مُشْرِكٌ بِعِبَادَةِ الْوُثْنِ.

﴿أَفَأَمِنُوا﴾ يعني: المشركين ﴿أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ﴾ عقوبة تغشاهم
وتنسط عليهم.

﴿قُلْ﴾ لهم ﴿هَذِهِ﴾ الطَّرِيقَةُ الَّتِي أَنَا عَلَيْهَا ﴿سَبِيلِي﴾ سَبِيلِي وَمِنْهَا جِيءَ ﴿أَدْعُو إِلَى
اللهِ﴾ وَتَمَّ الْكَلَامُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا﴾ أَيُّ: عَلَىٰ دِينٍ وَيَقِينٍ ﴿وَمَنْ
اتَّبَعَنِي﴾ يعني: أَصْحَابِهِ، وَكَانُوا عَلَىٰ أَحْسَنِ طَرِيقَةٍ ﴿وَسُبْحَانَ اللهِ﴾ أَيُّ: وَقُلْ:
سُبْحَانَ اللهِ تَزْهِيًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَمَّا أَشْرَكُوا ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَعَ
اللهِ نَدًّا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ يريد: لَمْ نَبْعَثْ
قَبْلَكَ نَبِيًّا إِلَّا رَجُلًا غَيْرَ امْرَأَةٍ، وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ، وَلَمْ نَبْعَثْ نَبِيًّا مِنْ بَادِيَةٍ،
وَهَذَا رَدٌّ لِانْكَارِهِمْ نَبَوَّتَهُ. يريد: إِنَّ الرُّسُلَ مِنْ قَبْلِكَ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ حَالِكَ، وَمَنْ
قَبْلَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ كَانُوا عَلَىٰ مِثْلِ حَالِهِمْ، فَأَهْلَكْنَاهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا

فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
 أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ
 نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢٠﴾ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا
 كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِّيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى
 وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٢١﴾

في الأرض فينظروا ﴿ إلى مصارع الأمم المكذبة فيعتبروا بهم ﴾ ﴿ولدار الآخرة﴾
 يعني: الجنة ﴿خير للذين اتقوا﴾ الشُّرك في الدنيا ﴿أفلا تعقلون﴾ هذا حتى تؤمنوا؟
 ﴿حتى﴾ إذا استيسر الرسل ﴿يسوا من قومهم أن يؤمنوا﴾ ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾
 أيقنوا أن قومهم قد كذبوهم ﴿جاءهم نصرنا فنجى من نشاء﴾ وهم المؤمنون أتباع
 الأنبياء^(١) ﴿ولا يردُّ بأسنا﴾ عذابنا.
 ﴿لقد كان في قصصهم﴾ يعني: إخوة يوسف ﴿عبرة﴾ فكرة وتدبر ﴿لأولي
 الألباب﴾ وذلك أن من قدر على إعزاز يوسف، وتمليكه مصر بعد ما كان عبداً
 لبعض أهلها قادرٌ على أن يعزَّ محمداً عليه السلام وينصره. ﴿ما كان﴾ القرآن
 ﴿حديثاً يُفترى﴾ يتقوله بشر ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ [ولكن كان
 تصديقاً]^(٢) ما قبله من الكتب ﴿وتفصيل كل شيء﴾ يحتاج إليه من أمور الدين
 ﴿وهدى﴾ وبياناً ﴿ورحمة لقوم يؤمنون﴾ يصدقون بما جاء به محمد ﷺ.

(١) أخرج البخاري في التفسير عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قوله تعالى:
 ﴿حتى﴾ إذا استيسر الرسل ﴿قال: قلت: أأكذبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا، قلت: قد
 استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن. قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلتُ
 لها: وظنوا أنهم قد كُذِّبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظنُّ ذلك برُبِّها. قلت: فما هذه
 الآية؟.

قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا برُبِّهم وصدَّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم
 النصر، حتى إذا استيسر الرسل ممَّن كذبهم من قومهم، وظنَّت الرُّسل أن أتباعهم قد كذبوهم
 جاءهم نصر الله عند ذلك. فتح الباري ٣٦٧/٨.

(٢) زيادة من ظ.

سُورَةُ الرَّعْدِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ أَرْبَعُونَ وَثَلَاثَ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرْ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ
الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿المر﴾ أنا الله أعلم وأرى. ﴿تلك﴾ يعني: ما ذكر من الأحكام والأخبار قبل هذه الآية ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿والذي أنزل إليك من ربك الحق﴾ ليس كما يقوله المشركون أنك تأتي به من قبل نفسك باطلاً ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿لا يؤمنون﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ جمع عماد، وهي الأساطين ﴿ترونها﴾ أنتم كذلك مرفوعة بغير عمادٍ ﴿ثم استوى على العرش﴾ بالاستيلاء والاعتدار، وأصله: استواء التدبير، كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال: قام بالتدبير، و﴿ثم يدلُّ على حدوث العرش المستولى عليه﴾ [لا على حدوث الاستيلاء بعد خلق العرش المستولى عليه] ^(٢) ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلَّلهما لما يُراد منهما ﴿كلٌّ يجري لأجلٍ مسمى﴾ إلى وقتٍ معلوم، وهو فناء الدنيا ﴿يُدبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يُصَرِّفُهُ بحكمته

(٢) زيادة من ظ.

(١) زيادة من ظا.

يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مَّتَجَوَّزَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا

﴿يُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يبيِّن الدلائل التي تدلُّ على التَّوْحِيدِ والبعث ﴿لَعَلَّكُمْ بَلِقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تُوقِنُوا يا أهل مكة بالبعث.

﴿٢﴾ وهو الذي مَدَّ الأرض ﴿بسطها ووسَّعها﴾ وجعل فيها رواسي ﴿أوتدها بالجبال وأنهاراً﴾ ومن كلِّ الشَّجَرِ جعل فيها زوجين اثنين ﴿حلواً وحامضاً﴾ وباقي الآية مضي تفسيره ^(١).

﴿٤﴾ وفي الأرض قطعٌ متجاورات ﴿قُرَى بعضها قريبٌ من بعضٍ﴾ وجناتٌ ﴿بساتين من أعنابٍ﴾ وقوله: ﴿صِنْوَانٌ﴾ وهو أن يكون الأصل واحداً، ثُمَّ يَتَفَرَّعُ فيصير نخيلاً يحملن، وأصلهنَّ واحد ﴿وغير صِنْوَانٍ﴾ وهي المتفرقة واحدة واحدة ﴿تُسْقَى﴾ ^(٢) هذه القطع والجنَّات والنَّخِيلُ بماء واحد ونُفِضِلُ بعضها على بعضٍ يعني: اختلاف الطُّعُومِ ﴿فِي الْأُكُلِ﴾ وهو الثَّمَرُ فمن حلوٍ وحامضٍ، وجيِّدٌ ورتيئٌ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لدلالاتٍ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أهل الإيمان الذين عقلوا عن الله تعالى.

﴿٥﴾ وإن تعجب ﴿يا محمد من عبادتهم ما لا يضرُّ ولا ينفع، وتكذيبك بعد البيان فتعجب أيضاً من إنكارهم البعث، وهو معنى قوله:﴾ فعجب قولهم إذا كنا

(١) انظر ص ٣٩٧.

(٢) قرأ «تسقى» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر. الإتحاف

تُرَبَّاءَ إِنَّا لَنَافِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
 وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ
 مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾
 وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۖ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ
 مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٩﴾ عَلَيْهِ
 الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ

تراباً... الآية. ﴿وأولئك الأغلال﴾ جمع غُلٍّ، وهو طوقٌ تقيّد به اليد إلى
 العنق.

﴿ويستعجلونك بالسّيئة قبل الحسنه﴾ يعني: مشركي مكّة حين سألوا رسول الله ﷺ
 أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً. يقول: ويستعجلونك بالعذاب الذي لم أعجلهم به،
 وهو قوله: ﴿قبل الحسنه﴾. يعني: إحسانه إليهم في تأخير العقوبة عنهم إلى يوم
 القيامة ﴿وقد خلت من قبلهم المثلث﴾ وقد مضت من قبلهم العقوبات في الأمم
 المُكذّبة، فلم يعتبروا بها ﴿وإنّ ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ بالتوبة.
 يعني: يتجاوز عن المشركين إذا آمنوا ﴿وإنّ ربك لشديد العقاب﴾ يعني: لمن
 أصرّ على الكفر.

﴿ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه﴾ هلاًّ أئنا بآية كما أتى به موسى
 من العصا واليد ﴿إنما أنت منذر﴾ بالنار لمن عصى، وليس إليك من الآيات شيءٌ
 ﴿ولكلّ قوم هاد﴾ نبيٌّ وداعٍ إلى الله عزّ وجلّ يدعوهم لما يُعطى من الآيات،
 لا بما يريدون ويتحكّمون.

﴿الله يعلم ما تحمّل كلّ أنثى﴾ من علقية ومضغة، وزائد وناقص، وذكر وأنثى
 ﴿وما تغيض الأرحام﴾ تنقصه من مدّة الحمل التي هي تسعة أشهر ﴿وما تزداد﴾
 على ذلك ﴿وكُلُّ شيءٍ عنده بمقدار﴾ علم كلّ شيءٍ فقدره تقديراً.

﴿عالم الغيب﴾ ما غاب عن جميع خلقه ﴿والشهادة﴾ وما شهدته الخلق ﴿الكبير﴾

الْمَتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌ
بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ
حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ
الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ
بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ

العظيم القدر ﴿المتعال﴾ عما يقوله المشركون.

﴿٩﴾ سواء منكم... الآية. يقول: الجاهر بنطقه، والمُضمِر في نفسه، والظاهر في
الطُّرقات، والمستخفي في الظُّلمات، علِمُ الله سبحانه فيهم جميعاً سواءً،
والمستخفي معناه: المخفي، والسَّارِب: الظَّاهر المارُّ على وجهه.

﴿١١﴾ له ﴿الله سبحانه﴾ ملائكةٌ حفظَةٌ تتعاقب في التَّزول إلى الأرض،
بعضهم بالليل، وبعضهم بالنَّهار ﴿من بين يديه﴾ يدي الإنسان ﴿ومن خلفه﴾
يحفظونه من أمر الله ﴿أَي: بأمره سبحانه ممَّا لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّوا بينه
وبينه﴾^(١). ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لا يسلب قوماً نعمةً
حتى يعملوا بمعاصيه ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا﴾ عذاباً ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ فلا ردَّ له
﴿وما لهم من دونه من والٍ﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

﴿١٢﴾ هو الذي يريكم البرق خوفاً للمسافر ﴿وطمعا﴾ للحاضر في المطر ﴿وينشئ﴾
ويخلق ﴿السحاب الثقال﴾ بالماء.

﴿١٣﴾ ويسبح الرعد ﴿وهو الملك الموكَّل بالسَّحاب﴾ بحمده ﴿وهو ما يسمع من
صوته، وذلك تسبيحٌ لله تعالى﴾ والملائكة من خيفته ﴿أَي: وتُسَبِّح الملائكة من
خيفة الله تعالى وخشيته﴾ ويرسل الصواعق ﴿وهي التي تَحْرِق من برق السَّحاب،

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١١٥/١٣، وفيه: سماك عن عكرمة، وتقدَّم الكلام عليه.

فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١٥﴾ قُلْ

وينتشر على الأرض ضوؤه ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ كما أصاب أريد حين جادل النبي ﷺ، وهو قوله: ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ والواو للحال، وكان أريد جادل النبي ﷺ فقال: أخبرني عن ربنا، أمن نحاس أم حديد^(١)؟ فأحرقت الصّاعقة ﴿وهو شديد المحال﴾ العقوبة أي: القوّة.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ لله من خلقه الدعوة الحق، وهي كلمة التّوحيد لا إله إلا الله. ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعني: المشركين يدعون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ الأصنام ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ﴾ إلا كما يستجاب للذي يبسط كفيه يشير إلى الماء، ويدعوه إلى فيه ﴿وما هو ببالغ﴾ وما الماء ببالغ فاه بدعوته إيّاه ﴿وما دعاء الكافرين﴾ عبادتهم الأصنام ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك وبطلان.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ يعني: الملائكة والمؤمنين ﴿وَكَرْهًا﴾ وهم مَنْ أكرهوا على السّجود، فسجدوا لله سبحانه من خوف السّيف، واللفظ عامٌّ والمراد به الخصوص ﴿وِظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ كلّ شخص مؤمن أو كافر فإن ظلّه يسجد لله، ونحن لا نقف على كيفية ذلك.

﴿قُلْ﴾ يا محمد للمشركين: ﴿مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؟ ثمّ أخبرهم فقل:

(١) الحديث أخرجه ابن جرير ١٣/١٢٥، وفيه: علي بن أبي سارة الشيباني، وهو ضعيف، وكذا أخرجه بهذا الطريق أبو يعلى في مسنده ٦/٨٧؛ والطبراني في الأوسط ٣/٢٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٢/٦١١؛ وأخرجه أيضاً البزار من طريق آخر، ورجاله رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة.

مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلِ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ

﴿الله﴾ لأنهم لا ينكرون ذلك، ثم ألزّمهم الحجّة فقل: ﴿أفاتخذتم من دونه أولياء﴾ تولّيتم غير ربّ السماء والأرض أصناماً ﴿لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا﴾ ثم ضرب مثلاً للذي يعبدها والذي يعبد الله سبحانه، فقال: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير﴾ والمؤمن ﴿أم هل تستوي الظلمات﴾ الشرك ﴿والنور﴾ الإيمان ﴿أم جعلوا لله شركاء...﴾ الآية. يعني: أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله، فتشابه خلق الشركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهام إنكار، أي: ليس الأمر على هذا حتى يشبه الأمر، بل الله سبحانه هو المتفرد بالخلق، وهو قوله: ﴿قل الله خالق كل شيء﴾.

﴿١٧﴾ ﴿أنزل من السماء ماء﴾ يعني: المطر ﴿فسالت أودية﴾ جمع وادٍ ﴿بقدرها﴾ بقدر ما يملأها. أراد بالماء القرآن، وبالأودية القلوب، والمعنى: أنزل قرآنًا قبلته القلوب بأقدارها منها ما رُزق الكثير، ومنها ما رُزق القليل، ومنها ما لم يُرزق شيئاً ﴿فاحتمل السيل زبدًا﴾ وهو ما يعلو الماء ﴿رابيًا﴾ عاليًا فوقه، والزبد مثل الكفر. يريد: إنّ الباطل — وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال — فإنّ الله سيمحقه ويُبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، وهو معنى قوله: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾ وهو ما رمى به الوادي ﴿وأما ما ينفع الناس﴾ ممّا ينبت المرعى ﴿فيمكث﴾ يبقى ﴿في الأرض﴾ ثم ضرب مثلاً آخر، وهو قوله: ﴿وممّا يوقدون عليه في النار﴾ يعني: جواهر الأرض من الذهب والفضة والثّحاس وغيرها ممّا يدخل النار، فتوقد عليها وتتخذ منها الحليّ، وهو الذهب والفضة، والأمتعة وهي للأواني، يعني: الثّحاس والرّصاص وغيرهما، وهذا معنى قوله: ﴿ابتغاء حلية أو متاع زبدٌ مثله﴾

كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ لِلْهَادِثِينَ ﴿١٨﴾ أَفْئِن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكُمُ الْأَلْتَبِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ

أي: مثل زبد الماء. يريد: إنَّ من هذه الجواهر بعضها خبث ينفيه الكبير. ﴿كذلك﴾ كما ذكر من هذه الأشياء ﴿يضرب الله﴾ مثل الحق والباطل، وهذه الآية فيها تقديم وتأخير في اللفظ، والمعنى ما أخبرتك به.

﴿للذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه إلى ما دعاهم إليه ﴿الحسنى﴾ الجنة ﴿والذين لم يستجيبوا له﴾ وهم الكفار ﴿لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به﴾ جعلوه فداء أنفسهم من العذاب ﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾ وهو أن لا تقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة.

﴿أفمن يعلم أنَّ ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى﴾ نزلت في أبي جهل لعنه الله، وحمزة رضي الله عنه^(١) ﴿إنما يتذكر﴾ يتعظ ويرتدع عن المعاصي ﴿أولوا الألباب﴾ يعني: المهاجرين والأنصار.

﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾ يعني: العهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم.

﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾ وهو الإيمان بجميع الرسل.

﴿والذين صبروا﴾ على دينهم وما أمروا به ﴿ابتغاء وجه ربهم﴾ طلب تعظيم الله تعالى ﴿ويدروون﴾ يدفعون ﴿بالحسنة﴾ بالتوبة ﴿السيئة﴾ المعصية، وهو أنَّهم

أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا لَمَتَّعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ

كَلَّمَا أَذْنَبُوا تَابُوا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ يريد: عقابهم الجَنَّة.

﴿٢٣﴾ ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾ وَمَنْ صَدَّقَ بِمَا صَدَّقُوا بِهِ — وَإِنْ لَمْ يَعْمَلْ مِثْلَ أَعْمَالِهِمْ — يَلْحَقُ بِهِمْ كِرَامَةٌ لَهُمْ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ بِالتَّحِيَّةِ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَالْهِدَايَا.

﴿٢٤﴾ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ يَقُولُونَ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، وَالْمَعْنَى: سَلِّمَكُمْ اللَّهُ مِنَ الْعَذَابِ ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بِصَبْرِكُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا عَمَّا لَا يَحِلُّ ﴿فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ فَنِعْمَ الْعُقْبَى عُقْبَى دَارِكُمْ الَّتِي عَمَلْتُمْ فِيهَا مَا أَعْقَبَكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ.

﴿٢٥﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ...﴾ الْآيَةُ. مُفَسَّرَةٌ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ^(١).

﴿٢٦﴾ ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يُوسِّعُهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ وَيَضِيقُ ﴿وَفَرَحُوا﴾ يَعْنِي: مُشْرِكِي مَكَّةَ بِمَا نَالُوا مِنَ الدُّنْيَا، وَبَطَرُوا. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ فِي حَيَاةِ الْآخِرَةِ أَيْ: بِالْقِيَاسِ إِلَيْهَا ﴿إِلَّا لَمَتَّعٌ﴾ قَلِيلٌ ذَاهِبٌ يُتَمَتَّعُ بِهِ ثُمَّ يَفْنَى.

﴿٢٧﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ نَزَلَتْ فِي مُشْرِكِي مَكَّةَ حِينَ طَالَبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْآيَاتِ ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ عَنْ دِينِهِ، كَمَا أَضَلَّكُمْ بَعْدَمَا أُنْزِلَ مِنَ الْآيَاتِ، وَحَرَمَكُمْ الْاسْتِدْلَالَ بِهَا ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ﴾ يَرْشِدُ إِلَى

مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾
 الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَتَى ﴿٢٩﴾ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ
 خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِيَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ
 إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانَا

دينه ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ رجع إلى الحق.

﴿الذين آمنوا﴾ بدل من قوله: ﴿مَنْ أَنَابَ﴾ ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ إذا
 سمعوا ذكر الله سبحانه وتعالى أحبوه واستأنسوا به ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾
 يريد: قلوب المؤمنين.

﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم﴾ وهي شجرة غرسها الله سبحانه
 بيده^(١). وقيل: فرح لهم وقرة أعين.

﴿كذلك﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أرسلناك في أمة﴾ في قرن ﴿قد خلت﴾ قد
 مضت ﴿من قبلها أمة﴾ قرون ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن
 ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وذلك أنهم قالوا: ما نعرف الرحمن إلا صاحب الإمامة
 ﴿قل هو ربي﴾ أي: الرحمن الذي أنكرتم معرفته هو إلهي وسيدي ﴿لا إله إلا
 هو﴾.

﴿ولو أن قرآننا...﴾ الآية. نزلت حين قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبياً كما تقول
 فسير عنا جبال مكة، فإنها ضيئة واجعل لنا فيها عيونا وأنهاراً حتى نزرع ونغرس،

(١) ورد هذا في حديث أخرجه ابن جرير ١٤٩/١٣ عن رسول الله ﷺ بسند ضعيف جداً، وفيه
 فرات بن أبي الفرات ضعفه يحيى بن معين، وابن عدي في الكامل ٢٠٤٨/٦؛ والساجي،
 وابن شاهين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: هو حسن الاستقامة والروايات، وقال
 أبو حاتم: هو صدوق. انظر: لسان الميزان ٤٣٢/٤. وفيه أيضاً محمد بن زياد الجريري
 الكوفي، وهو من المبتدعة.

انظر: لسان الميزان ١٧٢/٥.

سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْنِسِ
الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا
قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ
رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَى
كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

وابعث لنا آبائنا من الموتى يكلمونا أنك نبي^(١)، فقال الله سبحانه: ﴿ولو أن قرآنًا
سيرت به الجبال﴾ يريد: لو قضيت على أن لا يقرأ القرآن على الجبال إلا سارت،
ولا على الأرض إلا تخرقت بالعيون والأنهار، وعلى الموتى أن لا يكلموا؛
ما آمنوا لما سبق عليهم في علمي، وهذا جواب «لو» وهو محذوف. ﴿بل﴾ دع
ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره فالأمر لله جميعاً، لو شاء أن يؤمنوا
لآمنوا، وإذا لم يشأ لم ينفع ما اقترحوا من الآيات، وكان المسلمون قد أرادوا أن
يظهر رسول الله ﷺ لهم آية ليجتمعوا على الإيمان، فقال الله: ﴿أفلم ييش الذين
آمنوا﴾ يعلم الذين آمنوا ﴿أن لو يشاء الله﴾ لهداهم من غير ظهور الآيات ﴿ولا
يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾ من كفرهم وأعمالهم الخبيثة ﴿قارعة﴾
داهية تفرعهم من القتل والأسر، والحرب، والجذب ﴿أو تحل﴾ يا محمد أنت
﴿قريباً من دارهم حتى يأتي وعد الله﴾ يعني: القيامة. وقيل: فتح مكة.

﴿ولقد استهزىء برسول من قبلك﴾ أؤذي وكذب ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أطلت
لهم المدة بتأخير العقوبة ليتمادوا في المعصية ﴿ثم أخذتهم﴾ بالعقوبة ﴿فكيف
كان عقاب﴾ كيف رأيت ما صنعت بمن استهزأ برسلي، كذلك أصنع بمشركي
قومك.

﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أي: بجرائه. يعني: متولٌ لذلك، كما

(١) أخرجه ابن جرير ١٣/١٥١ عن ابن عباس، من طريق محمد بن سعد، عن أبيه، عن عم أبيه،
عن جده، وقد تقدم الكلام عليه.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَلْ زُيِّنَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا وَلِعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ
 تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظُلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ
 النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

يقال: قام فلان بأمر كذا: إذا كفاه وتولاه، والقائم على كل نفس هو الله تعالى.
 والمعنى: أقمّن هو بهذه الصفة كمّن ليس بهذه الصفة من الأصنام التي لا تضر ولا
 تنفع؟ وجواب هذا الاستفهام في قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء قل سموهم﴾ بإضافة
 أفعالهم إليهم إن كانوا شركاء لله تعالى، كما يضاف إلى الله أفعاله بأسمائه
 الحسنی، نحو: الخالق والرازق، فإن سمّوهم قل أنبئونه ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم
 في الأرض﴾ أي: أنخبرون الله بشريك له في الأرض، وهو لا يعلمه، بمعنى: أنه
 ليس [له شريك]. ﴿أم بظاهر من القول﴾ يعني: أم تقولون مجازاً من القول
 وباطلاً لا حقيقة له، وهو كلامٌ في الظاهر، ولا حقيقة له في الباطن، ثم قال:
 ﴿بل﴾ أي: دع ذكر ما كنّا فيه ﴿زين للذين كفروا مكرهم﴾ زين الشيطان لهم
 الكفر ﴿وصدوا عن السبيل﴾ وصدّهم الله سبحانه عن سبيل الهدى ﴿لهم عذاب في
 الحياة الدنيا﴾ بالقتل والأسر ﴿ولعذاب الآخرة أشقّ﴾ أشدّ وأغلظ ﴿وما لهم من
 الله﴾ من عذاب الله ﴿من واق﴾ حاجزٍ ومانع.

﴿٣٥﴾ مثل الجنة ﴿صفة الجنة﴾ التي وعد المتقون. وقوله: ﴿أكلها دائم﴾ يريد: إن
 ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا ﴿وظلها﴾ لا يزول ولا تتسخه الشمس.

﴿٣٦﴾ والذين آتيناهم الكتاب ﴿يعني: مؤمني أهل الكتاب﴾ يفرحون بما أنزل إليك
 وذلك أنهم ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التّوراة، فلما أنزل
 الله تعالى: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾^(١) فرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب،

وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُمْ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِنَّهُ أَدْعُوهُ وَإِلَيْهِ
 مَتَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ
 اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ
 أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ
 الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾

وكفر المشركون بالرَّحْمَنِ، وقالوا: ما نعرف الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَانَ الْيَمَامَةِ، وذلك
 قوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني: الكفار الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ ﴿من ينكر
 بعضه﴾ يعني: ذكر الرَّحْمَنِ.

﴿وكذلك﴾ ﴿٣٦﴾ وكما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلسانهم ﴿أنزلناه حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ يعني:
 القرآن؛ لأنَّه به يحكم ويفصل بين الحقِّ والباطل، وهو بلغة العرب ﴿ولئن اتبعت
 أهواءهم﴾ وذلك أنَّ المشركين دعوهُ إلى ملة آبائه، فتوعَّده الله سبحانه على ذلك
 بقوله: ﴿ما لك من الله من ولي ولا واقٍ﴾.

﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً﴾ ينكحونهنَّ ﴿وذرية﴾ وأولاداً
 أنسلوهم، وذلك أنَّ اليهود عيَّرت رسول الله ﷺ بكثرة النِّسَاء، وقالوا: ما له همَّةٌ
 إِلَّا النِّسَاء والتَّكاح ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإطلاقه له
 الآية، وهذا جوابٌ للذين سألوهُ أن يوسَّعَ لهم مَكَّة. ﴿لكلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ لكلِّ
 أَجَلٍ قَدَرُهُ اللهُ، ولكلِّ أمرٍ قضاءه كتابٌ أثبت فيه، فلا تكون آيةٌ إِلَّا بِأَجَلٍ قد قضاها
 اللهُ تعالى في كتابٍ.

﴿يمحو اللهُ ما يشاء ويثبت وعنده أُمُّ الْكِتَابِ﴾ اللُّوحُ المحفوظ، يمحو منه ما يشاء
 ويثبت ما يشاء، وظاهر هذه الآية على العموم. وقال قوم^(١): إِلَّا السَّعَادَةُ
 وَالشَّقَاوَةُ، والموت والرِّزْق، والخلْق والخلْق.

(١) منهم ابن عباس ومجاهد، كما ذكره ابن جرير ١٦٦/١٣.

وَأِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ نتَوْفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفْرُ لِمَنْ عُقِيَ الدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

﴿٤٠﴾ ﴿وَأَمَّا نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ يريد: قد بلغت ﴿وعلىنا الحساب﴾ إليّ مصيرهم فأجازيهم، أي: ليس عليك إلا البلاغ كيف ما صارت حالهم.

﴿٤١﴾ ﴿أولم يروا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿أنا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض مكة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتوح على المسلمين. يقول: أولم ير أهل مكة أننا نفتح لمحمد ﷺ ما حولها من القرى، أفلا يخافون أن تنالهم يا محمد ﴿والله يحكم﴾ بما يشاء ﴿لا معقب لحكمه﴾ لا أحد يتبع ما حكم به فيغيره، والمعنى: لا ناقض لحكمه ولا رادّ له ﴿وهو سريع الحساب﴾ أي: المجازاة.

﴿٤٢﴾ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني: كفّار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم ﴿فلله المكر جميعاً﴾ يعني: إنّ مكر الماكرين له، أي: هو من خلقه، فالمكر جميعاً مخلوق له ليس يضرّ منه شيء إلا بإذنه ﴿يعلم ما تكسب كل نفس﴾ جميع الأكساب معلوم له ﴿وسيعلم الكافر﴾^(١) وهو اسم الجنس ﴿لمن﴾ العاقبة بالجنة، وقوله تعالى:

﴿٤٣﴾ ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ هم مؤمنو أهل الكتابين، وكانت شهادتهم قاطعة لقول أهل الخصوم.



(١) قرأ «الكافر» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «الكفار».

سُورَةُ اِبْرَاهِيْمَ

[مكية وهم خمسون وآيتان]^(١)

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر﴾ أنا الله أرى. هذا ﴿كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ من الشُّرك إلى الإيمان ﴿بإذن ربهم﴾ بقضاء ربهم؛ لأنَّه لا يهتدي مهتدٍ إلا بإذن الله سبحانه، ثمَّ بيَّن ما ذلك الثُّور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾.

﴿الذين يستحبون﴾ يؤثرون ويختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله﴾ ويمنعون النَّاس عن دين الله ﴿ويبغونها عوجاً﴾ مضى تفسيره ﴿أولئك في ضلالٍ﴾ في خطأ ﴿بعيدٍ﴾ عن الحقِّ.

﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه﴾ بلغة قومه ليفهموا عنه، وهو معنى قوله:

لِيُبَيِّنَ لَهُمُ فَيُضِلَّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِيَ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَن أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُوكُمْ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَيَذِيقُكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ

﴿ليبين لهم فيضل الله من يشاء﴾ بعد التبيين بإيثاره الباطل ﴿ويهدي من يشاء﴾
باتباع الحق.

﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ بالبراهين التي دلَّت على صحَّة نبوِّته ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ من الشُّرك إلى الإيمان ﴿وذكرهم﴾ وعظهم ﴿بآيات الله﴾ بنعمه، أي: بالترغيب والترهيب، والوعد والوعيد ﴿إنَّ في ذلك﴾ التذكير بآيات الله ﴿لآيات﴾ لدلالات ﴿لكل صبار﴾ على طاعة الله ﴿شكور﴾ لأنعمه، والآية الثانية مفسَّرة في سور البقرة^(١)، وقوله:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾ والمعنى: وَإِذْ أَعْلَمَ رَبُّكُمْ ﴿لئن شكرتم﴾ وحذرنم وأطعتم ﴿لأزيدنكم﴾ ممَّا يجب الشُّكر عليه، وهو النِّعمة ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم حقِّي وحقَّ نعمتي ﴿إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ تهديدٌ بالعذاب على كفران النِّعمة.

﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ يعني:

لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا
 بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ
 فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَىٰ أَجَلٍ
 مُّسَمًّى قَالُوا إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا
 بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ
 يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
 الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَكَ عَلَىٰ مَا
 أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ
 أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ
 الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ
 جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

من بعد هؤلاء الذين أهلكهم الله ﴿لا يعلمهم إلا الله﴾ لكثرتهم، ولا يعلم عدد
 تلك الأمم وتعيينها إلا الله ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم﴾ أيدي أنفسهم
 ﴿في أفواههم﴾ أي: ثقل عليهم مكانهم، فعضوا على أصابعهم من شدة الغيظ.

﴿١٠﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ﴾ أي توحيد الله سبحانه شك؟ وهذا استفهامٌ معناه
 الإنكار، أي: لا شك في ذلك، ثم وصف نفسه بما يدلُّ على وحدانيته، وهو
 قوله: ﴿فاطر السموات والأرض يدعوكم﴾ إلى طاعته بالرُّسل والكتب ﴿ليغفر لكم
 من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة، والمعنى: إن
 لم تجيبوا عوجلتكم، وباقي الآية وما بعدها إلى قوله:

﴿١٤﴾ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ ظاهر، ومعنى: ﴿خاف مقامي﴾ معناه:
 خاف مقامه بين يدي، ﴿وخاف وعيد﴾: ما أوعدت من العذاب.

﴿١٥﴾ وَاسْتَفْتَحُوا﴾ واستنصروا الله سبحانه على قومهم، ففازوا بالنصر ﴿وخاب كلُّ
 جَبَّارٍ﴾ متكبرٍ عن طاعة الله سبحانه ﴿عَنِيدٍ﴾ مجانب للحق.

مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَحِيَّتٍ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرِّزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ

﴿١٦﴾ «من ورائه جهنم» أي: أمامه جهنم فهو يردّها «ويُسقى من ماء صديد» وهو ما يسيل من الجرح مُختلطاً بالدم والقيح.

﴿١٧﴾ «يتجرّعه» يتحسّاه بالجرع لا بمرّة لمرارته «ولا يكاد يسيفه» لا يجيزه في الحلق إلا بعد إبطاء «ويأتيه الموت» أي: أسباب الموت من البلايا التي تصيب الكافر في النَّار «من كلّ مكان» من كلّ شعرة في جسده «وما هو بميت» موتاً تنقطع معه الحياة «ومن ورائه» ومن بعد ذلك العذاب «عذاب غليظ» متّصل الآلام، ثمّ ضرب مثلاً لأعمال الكفّار فقال:

﴿١٨﴾ «مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف» أي: شديد هبوب الرّيح، ومعنى الآية: إنّ كلّ ما تقرب به الكافر إلى الله تعالى فمُخْبَطٌ غيرُ منتفع به لأنّهم أشركوا فيها غير الله سبحانه وتعالى، كالرماد الذي ذرته الرّيح وصار هباءً لا يُنتفع به، فذلك قوله: «لا يقدرّون ممّا كسبوا على شيء» أي: لا يجدون ثواب ما عملوا. «ذلك هو الضلال البعيد» يعني: ضلال أعمالهم وذهابها، والمعنى: ذلك الخسران الكبير.

﴿١٩﴾ «ألم تر» يا محمد «أنّ الله خلق السموات والأرض بالحق» أي: بقدرته وصنعه وعلمه وإرادته، وكلّ ذلك حقٌّ «إنّ يشأ يذهبكم» يُمتكم أيّها الكفّار «ويأت بخلق جديد» خير منكم وأطوع.

﴿٢٠﴾ «وما ذلك على الله بعزيز» بمرتبّع شديد.

﴿٢١﴾ «وبرزوا لله جميعاً» خرجوا من قبورهم إلى المحشر «فقال الضعفاء» وهم

أَسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ سَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

الأنباع لأكابريهم الذين ﴿استكبروا﴾ عن عبادة الله: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ فهل أنتم مغنون ﴿دافعون﴾ عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم ﴿أي﴾: إنما دعوناكم إلى الضلال لأننا كنا عليه، ولو أرشدنا الله لأرشدناكم.

﴿وقال الشيطان﴾ يعني: إبليس ﴿لما قضى الأمر﴾ فصار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وذلك أَنَّ أهل النار حينئذٍ يجتمعون باللائمة على إبليس، فيقوم خطيباً ويقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ يعني: كون هذا اليوم، فصدقكم وعده ﴿ووعدتكم﴾ أَنَّهُ غير كائن ﴿فأخلفتكم﴾ وما كان لي عليكم من سلطان ﴿أي﴾: ما أظهرت لكم حجة على ما وعدتكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ لكن دعوتكم ﴿فاستجبت لي﴾ فصَدَقْتُمُونِي ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ حيث أجبتموني من غير برهان ﴿ما أنا بمصرخكم﴾ بمغيثكم ﴿وما أنتم بمصرخي﴾ إني كفرت بما أشركتمون من قبل ﴿بإشراككم إِيَّاي مع الله سبحانه في الطاعة، إني جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني﴾ ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ يريد: المشركين. وقوله:

﴿تحيتهم فيها سلام﴾ يحييهم الله سبحانه بالسلام، ويحيي بعضهم بعضاً بالسلام.

﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً﴾ بين شبهاً، ثُمَّ فَسَّرَهُ فَقَالَ: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ يريد:

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ خَيْثَةٍ كَشَجَرَةٍ
خَيْثَةٍ اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ

لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿كشجرة طيبة﴾ يعني: النَّخْلَةُ ﴿أصلها﴾ أصل هذه الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ
﴿ثابت﴾ في الأرض ﴿وفرعها﴾ أعلاها عالٍ ﴿في السماء﴾.

﴿تؤتي﴾ هذه الشَّجَرَةُ ﴿أكلها﴾ ثمرها ﴿كلَّ حين﴾ كلَّ وقتٍ في جميع السَّنة، ستة
أشهرٍ طلعَ رخص، وستة أشهرٍ رطبٌ طيبٌ، فالانتفاع بالنَّخْلَةِ دائمٌ في جميع
السَّنة. كذلك الإيمان ثابتٌ في قلب المؤمن، وعمله، وقوله، وتسيبته عالٍ
مرتفع إلى السَّماء ارتفاع فروع النَّخْلَةِ، وما يكتسبه من بركة الإيمان وثوابه كما
ينال من ثمرة النَّخْلَةِ في أوقات السَّنة كُلِّهَا من الرُّطْبِ والبسر والتمر ﴿ويضرب الله
الأمثال للناس﴾ يريد: أهل مَكَّةَ ﴿لعلَّهم يتذكرون﴾ لكي يتَّعظُوا.

﴿ومثل كلمة خبيثة﴾ يعني: الشُّرْكُ بالله سبحانه ﴿ك﴾ مثل ﴿شجرة خبيثة﴾ وهي
الكشوث ﴿اجتنث﴾ انتزعت واستؤصلت، والكشوث كذلك ﴿من فوق الأرض﴾
لم يرسخ فيها، ولم يضرب فيها بعرق. ﴿مالها من قرار﴾ مستقرٌّ في الأرض.
يريد: إِنَّ الشُّرْكَ لا ينتفع به صاحبه وليس له حِجَّةٌ ولا ثباتٌ كهذه الشَّجَرَةِ.

﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ وهو قول لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿في الحياة الدنيا﴾
على الحقِّ ﴿وفي الآخرة﴾ يعني: في القبر يُلقَّنهم كلمة الحقِّ عند سؤال
الملكين^(١) ﴿ويضل الله الظالمين﴾ لا يُلقَّن المشركين ذلك، حتَّى إذا سُئلوا في

(١) عن البراء بن عازب أنَّ رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وأنَّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة﴾.

أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٣٧٨/٨؛ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم
٢٧٨١؛ وأبو داود في كتاب السنة رقم ٤٧٥٠؛ والنسائي في التفسير ٦١٩/١.

وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كَفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالٍ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

قبورهم قالوا: لا ندري ﴿ويفعل الله ما يشاء﴾ من تلقين المؤمنين الصَّواب، وإضلال الكافرين.

﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كَفْرًا ﴿بَدَّلُوا ما أنعم الله سبحانه عليهم به من الإيمان ببعث الرسول ﷺ﴾ كَفَرًا حَيْثُ كَفَرُوا بِهِ ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الْهَلَاكِ، ثُمَّ فَسَّرَهَا فَقَالَ:

﴿٢٩﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿أَي: الْمَقَرُّ.

﴿٣٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا ﴿يَعْنِي: الْأَصْنَامَ﴾ لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ ﴿النَّاسُ عَنْ دِينِ اللَّهِ﴾ قُلْ تَمَتَّعُوا بِدُنْيَاكُمْ ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾. وَقَوْلُهُ:

﴿٣١﴾ لَا بَيْعَ فِيهِ ﴿لَا فِدَاءَ فِيهِ﴾ وَلَا خِلَالٍ ﴿مُخَالَةٌ. يَعْنِي: يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ، وَلَا شِرَاءَ، وَلَا مُخَالَةً، وَلَا قَرَابَةً، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالٌ يُثَابُ بِهَا قَوْمٌ، وَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا آخَرُونَ.

﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴿ذَلَّلَهُمَا لِمَا يُرَادُ مِنْهُمَا﴾ دَائِبَيْنِ ﴿مُقِيمِينَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْجَرِيِّ﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ وَالنَّهَارَ ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَمَعْنَى «لَكُمْ» فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِأَجْلِكُمْ، لَيْسَ أَنَّهَا مَسْخَرَةٌ لَنَا، هِيَ مَسْخَرَةٌ

وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ
 كَفَّارٌ ﴿٢٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
 الْأَصْنَامَ ﴿٢٥﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ
 رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا
 الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٢٧﴾
 رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٨﴾
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ

الله سبحانه لأجلنا [ويجوز أنها مسخرة لنا لانتفاعنا بها على الوجه الذي نريد] (١)،
 وقوله:

﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾ إنعام الله عليكم ﴿لا تحصوها﴾ لا تطبقوا عدّها ﴿إن
 الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿لظلوم﴾ لنفسه ﴿كفار﴾ نعمة ربّه. وقوله:

﴿واجنبني﴾ أي: بعدي واجعلني من على جانب بعيد.

﴿ربّ إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾ أي: ضلّوا بسببها ﴿فمن تبعني﴾ على ديني
 ﴿فإنه مني﴾ من المتدينين بديني ﴿ومن عصاني﴾ فيما دون الشّرك ﴿فإنك غفور
 رحيم﴾.

﴿ربنا إنني أسكنت من ذريتي﴾ يعني: إسماعيل عليه السّلام ﴿بوادٍ غير ذي زرع﴾
 مكّة حرسها الله ﴿عند بيتك المحرّم﴾ الذي مضى في علمك أنّه يحدث في هذا
 الوادي ﴿وبنا ليقموا الصلاة﴾ ليعبدوك ﴿فاجعل أفتدة من الناس تهوي إليهم﴾
 تريد لهم وتحنّ إليهم لزيارة بيتك ﴿وارزقهم من الثمرات﴾ ذكر تفسيره في سورة
 البقرة (٢) ﴿لعلهم يشكرون﴾ كي يوحدوك ويعظموك.

﴿الحمد لله الذي وهب لي﴾ أعطاني ﴿على الكبر إسماعيل﴾ لأنّه وُلد له وهو ابن

وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ
 دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ
 غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي
 رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ
 الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتِكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوَلَمْ تَكُونُوا
 أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

تسع وتسعين ﴿وإسحاق﴾ وُلد له وهو ابن مائة سنة واثنني عشرة سنة ^(١). وقوله:

﴿ومن ذريتي﴾ أي: واجعل منهم مَنْ يقيم الصلاة. وقوله:

﴿ولوالدي﴾ استغفر لهما بشرط الإيمان.

﴿ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون﴾ يريد: المشركين من أهل مكة ﴿إنما
 يؤخرهم﴾ فلا يعاقبهم في الدنيا ﴿ليوم تشخص﴾ تذهب فيه أبصار الخلائق إلى
 الهواء حيرةً ودهشةً.

﴿مهطعين﴾ مسرعين منطلقين إلى الداعي ﴿مقنعي﴾ رافعي ﴿رؤوسهم﴾ إلى
 السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحدٍ ﴿لا يرتدُّ إليهم طرفهم﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من
 شدة النظر فهي شاخصة ﴿وأفئدتهم هواء﴾ وقلوبهم خالية عن العقول بما ذهلوا
 من الفزع. وقوله:

﴿فيقول الذين ظلموا﴾ أي: أشركوا ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ استمهلوا مدةً
 يسيرة كي يجيبوا الدعوة، فيقال لهم: ﴿أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من
 زوال﴾ حلفتكم في الدنيا أنكم لا تُبعثون ولا تنتقلون إلى الآخرة، وهو قوله:
 ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت...﴾ ^(٢) الآية.

وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ
وَضَرْبَنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَتْ
مَكَرُهُمْ لِنَزُولٍ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفَ وَعْدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو
اِنْتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى
الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ

﴿٤٥﴾ وسكنتم في الدنيا ﴿في مساكن الذين ظلموا أنفسهم﴾ يعني: الأمم الكافرة
﴿وتبين لكم كيف فعلنا بهم﴾ فلم تنزعروا ﴿وضربنا لكم الأمثال﴾ في القرآن فلم
تعتبروا.

﴿٤٦﴾ وقد مكروا مكروهم ﴿يعني: مكروهم بالنبي ﷺ وما هموا به من قتله أو نفيه
﴿وعند الله مكروهم﴾ هو عالم به لا يخفى عليه ما فعلوا، فهو يجازيهم عليه ﴿وإن
كان﴾ وما كان ﴿مكروهم لتزول منه الجبال﴾ يعني: أمر النبي ﷺ، أي: ما كان
مكروهم ليبطل أمراً هو في ثبوته وقوته كالجبال.

﴿٤٧﴾ فلا تحسبن الله ﴿يا محمد﴾ مخلف وعده رسله ﴿ما وعدهم من الفتح والنصر
﴿إن الله عزيز﴾ منيع ﴿ذو انتقام﴾ من الكفار يجازيهم بما كان من سيئاتهم.

﴿٤٨﴾ يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ﴿تبدل الأرض بأرض كالفضة بيضاء
نقية يحشر الناس عليها^(١)، والسماء من ذهب﴾ وبرزوا ﴿وخرجوا من القبور،
كقوله تعالى: ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾.

﴿٤٩﴾ وترى المجرمين الذين زعموا أن الله شريكاً ولداً يوم القيامة ﴿مقرنين﴾

(١) أخرجه ابن جرير ٢٥٠/١٣ عن الحسن ومجاهد، لكن فيه: والسموات كذلك أيضاً كأنها فضة.
وفي الصحيح عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالى: ﴿يوم تبدل الأرض غير
الأرض والسموات﴾، فقلت: أين يكون الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: على الصراط. أخرجه
مسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩١؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٢٠.

فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ﴿٥٢﴾

موصولين بشياطينهم. كلُّ كافرٍ مع شيطانٍ في غلٍّ، والأصفاد: سلاسل الحديد والأغلال.

﴿سراويلهم﴾ قمصهم ﴿من قطران﴾ وهو الهناء الذي يُطلى به الإبل، وذلك أبلغ لاشتعال النَّار فيهم ﴿وتغشى وجوههم﴾ وتعلو وجوههم ﴿النار﴾.

﴿ليجزى الله كلَّ نفس﴾ من الكفار ﴿ما كسبت﴾ أي: ليقع لهم الجزاء من الله سبحانه بما كسبوا.

﴿هذا﴾ القرآن ﴿بلاغ للناس﴾ أي: أنزلناه إليك لتبليغهم ﴿ولينذروا به﴾ ولتنذره أنت يا محمد ﴿وليعلموا﴾ بما ذكر فيه من الحجج ﴿أنما هو إله واحد وليذكر﴾ وليتّعظ ﴿أولوا الأبواب﴾ أهل اللَّبِّ والعقل والبصائر.

• • •

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية وهي تسعون وتسع آيات بلا خلاف] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾
ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾

الجزء الرابع عشر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر﴾ ﴿١﴾ أنا الله أرى. ﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب﴾ الذي هو قرآن مبين
للأحكام.

﴿٢﴾ ربما يوذُّ... الآية. نزلت في تمني الكفار الإسلام عند خروج مَنْ يخرج من
النار.

﴿٣﴾ ذرهم يأكلوا ويتمتعوا يقول: دع الكفار يأخذوا حظوظهم من دنياهم ﴿ويلهم
الأمل﴾ يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة ﴿فسوف يعلمون﴾
إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا.

﴿٤﴾ ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ يعني: أهلها ﴿إلا ولها كتابٌ معلوم﴾ أجل ينتهون إليه.
يعني: إن لأهل كل قرية أجلاً مؤقتاً لا يهلكهم حتى يبلغوه.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعِجِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَتَّبِعُهَا الَّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُمْ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

﴿٥﴾ ما تسبق من أمة أجلها ﴿٥﴾ أي: ما تتقدم الوقت الذي وُتِّ لها ﴿وما يستأخرون﴾ لا يتأخرون عنه.

﴿٦﴾ وقالوا يا أيُّها الذي نزل عليه الذكر ﴿٦﴾ أي: القرآن. قالوا هذا استهزاء.

﴿٧﴾ لو ما ﴿٧﴾ هلا ﴿تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ أنك نبي، فقال الله عز وجل:

﴿٨﴾ ما ننزل الملائكة إلا بالحق ﴿٨﴾ أي: بالعذاب ﴿وما كانوا إذا منظرين﴾ أي: لو نزلت الملائكة لم يُنظروا ولم يُمهلوا.

﴿٩﴾ إنا نحن نزلنا الذكر ﴿٩﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يُزاد فيه أو يُنقص.

﴿١٠﴾ ولقد أرسلنا من قبلك ﴿١٠﴾ أي: رسلاً ﴿في شيع الأولين﴾ أي: فرقتهم.

﴿١١﴾ وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿١١﴾ تعزية للنبي ﷺ.

﴿١٢﴾ كذلك ﴿١٢﴾ أي: كما فعلوا ﴿نسلكه﴾ ندخل الاستهزاء والشرك والضلال ﴿في قلوب المجرمين﴾ ثم بين أي شيء الذي أدخل في قلوبهم، فقال:

﴿١٣﴾ لا يؤمنون به ﴿١٣﴾ أي: بالرَّسول ﴿وقد خلت﴾ مضت ﴿سنة الأولين﴾ بتكذيب الرُّسل، فهؤلاء المشركون يقتفون آثارهم في الكفر.

﴿١٤﴾ ولو فتحنا عليهم ﴿١٤﴾ على هؤلاء المشركين ﴿بأباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ فطفقوا فيه يصعدون لجحدوا ذلك وقالوا:

لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا
لِلنَّظِيرِ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ
مُتَّبِعٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا
لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَسْتُمْ لَكُمْ رِزْقَيْنِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ
مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ

﴿١٥﴾ ﴿إنما سكرت أبصارنا﴾ أي: سُدَّتْ بِالسَّحَرِ، ففتخايل لأبصارنا غير ما نرى ﴿بل نحن قوم مسحورون﴾ سحرنا محمد - ﷺ - فلا نبصر.

﴿١٦﴾ ﴿ولقد جعلنا في السماء بروجا﴾ يعني: منازل الشمس والقمر ﴿وزيناها﴾ بالنجوم للمعتبرين والمستدلين على توحيد صانعها.

﴿١٧﴾ ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم﴾ مرمي بالنجوم.

﴿١٨﴾ ﴿إلا من استرق السمع﴾ يعني: الخطفة اليسيرة ﴿فأتبعه﴾ لحقه ﴿شهاب﴾ نارٌ ﴿مبين﴾ ظاهرٌ لأهل الأرض.

﴿١٩﴾ ﴿والأرض مددناها﴾ بسطناها على وجه الماء ﴿وألقينا فيها رواسي﴾ جبلاً ثوابت لئلا تتحرك بأهلها ﴿وأنبتنا فيها﴾ في الجبال ﴿من كل شيء موزون﴾ كالذهب والفضة والجواهر.

﴿٢٠﴾ ﴿وجعلنا لكم فيها معاش﴾ من الثمار والحبوب ﴿ومن لستم له برازقين﴾ العبيد والدواب والأنعام، تقديره: وجعلنا لكم فيها معاش وعبداً وإماء ودواب نرزقهم ولا ترزقونهم.

﴿٢١﴾ ﴿وإن من شيء﴾ يعني: من المطر ﴿إلا عندنا خزائنه﴾ أي: في حكمنا وأمرنا ﴿وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ لا نقصه ولا نزيده، غير أنه يصرفه إلى مَنْ يشاء، حيث شاء، كما شاء.

﴿٢٢﴾ ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ السحاب تُمُجُّ الماء فيه، فهي لواقح، بمعنى: ملقحات.

فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخِيرِينَ ﴿٢٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُمْ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣١﴾ وَالْجَنَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣٤﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ يَبْنَؤُا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٩﴾

وقيل: لواقع: حوامل؛ لأنها تحمل الماء والتراب والسحاب ﴿فأسقيناكموه﴾ جعلناه سقياً لكم ﴿وما أنتم له﴾ لذلك الماء المنزل من السماء ﴿بخازنين﴾ بحافطين، أي: ليست خزائنه بأيديكم.

﴿٢٣﴾ ﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ إذا مات جميع الخلائق.

﴿٢٤﴾ ﴿ولقد علمنا المستقدمين...﴾ الآية. حضَّ رسول الله ﷺ على الصَّفِّ الأوَّل في الصَّلَاة، فازدحم النَّاس عليه، فَأَنْزَلَ اللهُ سبحانه هذه الآية^(١). يقول: قد علمنا جميعهم، وإنَّما نجزيهم على نياتهم.

﴿٢٦﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾ آدم ﴿من صلصال﴾ طينٍ متينٍ ﴿من حمأ﴾ طينٍ أسود ﴿مسنون﴾ متغيَّر الرائحة.

﴿٢٧﴾ ﴿والجأن﴾ أبا الجنَّ ﴿خلقناه من قبل﴾ خَلَقَ آدم ﴿من نار السموم﴾ وهي نارٌ لا دخان لها.

﴿٢٩﴾ ﴿فإذا سويته﴾ عدَّلت صورته ﴿ونفخت فيه﴾ وأجريت فيه ﴿من رُوحِي﴾ المخلوقة لي ﴿فقعوا﴾ فخرُّوا ﴿له ساجدين﴾ سجود تحية. وقوله:

(١) هذا قول الربيع بن أنس، ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٣٠٦.

وإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

﴿٣٥﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللعنة... الآية. يقول: يلعنك أهل السماء وأهل الأرض إلى يوم الجزاء، فتحصل حينئذٍ من عذاب النار. وقوله:

﴿٣٨﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ يعني: النَّفخة الأولى حين يموت الخلائق.

﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي أي: بسبب إغوائك إياي ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ لأولاد آدم الباطل حتى يقعوا فيه.

﴿٤٠﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ أي: الْمُؤَحِّدِينَ الْمُؤْمِنِينَ الذي أخلصوا دينهم عن الشُّرْك.

﴿٤١﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ هذا طريق عليّ ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مرجعه إليّ، فأجازي كلاً بأعمالهم. يعني: طريق العبودية.

﴿٤٢﴾ إِنَّ عِبَادِي يعني: الذين هداهم واجتباهم ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قُوَّةٌ وَحِجَّةٌ فِي إِغْوَائِهِمْ، ودعائهم إلى الشُّرْك والضَّلَال.

﴿٤٣﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ يريد: إبليس وَمَنْ تَبِعَهُ مِنَ الْغَاوِينَ.

﴿٤٤﴾ لَهَا لَجَهَنَّمَ ﴿سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ سبعة أطباق، طبقٌ فوق طبقٍ ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ﴾ من أتباع إبليس ﴿جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.

﴿٤٥﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ للفواحش والكبائر ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ يعني: عيون الماء والخمر. يقال لهم:

أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ يُبَشِّرُونِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بِشْرْنَكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾

- ﴿٤٦﴾ ادخلوها بسلام ﴿بسلام﴾ بسلامة ﴿آمين﴾ من سخط الله سبحانه وعذابه.
- ﴿٤٧﴾ ونزعنا ما في صدورهم من غل ﴿ذكرناه في سورة الأعراف﴾ (١). ﴿إخواناً﴾ متآخين ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ لا يرى بعضهم قفا بعض.
- ﴿٤٨﴾ لا يمسهم ﴿لا يصيبهم﴾ فيها نصب ﴿إعياء﴾.
- ﴿٤٩﴾ نبيء عبادي ﴿أخبر أوليائي﴾ ﴿أنبي أنا الغفور﴾ لأوليائي ﴿الرحيم﴾ بهم.
- ﴿٥٠﴾ وأن عذابي هو العذاب الأليم ﴿لأعدائي﴾.
- ﴿٥١﴾ ونبئهم عن ضيف إبراهيم ﴿يعني: الملائكة الذين أتوه في صورة الأضياف﴾.
- ﴿٥٢﴾ إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً ﴿سلموا سلاماً﴾ ﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿إننا منكم وجلون﴾ فرعون.
- ﴿٥٣﴾ قالوا: لا توجل: ﴿لا تفزع﴾ وقوله:
- ﴿٥٤﴾ على أن مسني الكبر أي: على حالة الكبر ﴿فيم تبشرون﴾ استفهام تعجب كأنه عجب من الولد على كبره.
- ﴿٥٥﴾ قالوا بشرناك بالحق ﴿بما قضاه الله أن يكون﴾ ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين.
- ﴿٥٦﴾ قال: ومن يقنط يئس ﴿من رحمة ربه إلا الضالون﴾ المكذبون.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرَانَهُ قَدَرْنَا إِنَّا لَمِنَ الْغَاثِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَفَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمَرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ

﴿٥٧﴾ قال: فما خطبكم ﴿ما شأنكم وما الذي جئتم له؟﴾

﴿٥٨﴾ قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴿يعني: قوم لوط.﴾

﴿٥٩﴾ ﴿إلا آل لوط﴾ أتباعه الذين كانوا على دينه. وقوله:

﴿٦٠﴾ ﴿قدَرنا﴾ قضينا ودبرنا أنها تتخلف وتبقى مع مَنْ بقي حتى تهلك. وقوله:

﴿٦١﴾ ﴿منكرون﴾ أي: غير معروفين.

﴿٦٢﴾ قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون ﴿بالعذاب الذي كانوا يشكون في نزوله.﴾

﴿٦٣﴾ ﴿وأتينك بالحق﴾ بالأمر الثابت الذي لا شك فيه من عذاب قومك.

﴿٦٤﴾ ﴿فأسر بأهلك﴾ مُفسَّرٌ في سورة هود^(١). ﴿واتبع أدبارهم﴾ امش على آثارهم بيناتك وأهلك لئلا يتخلف منهم أحدٌ ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم من العذاب ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ حيث يقول لكم جبريل عليه السلام.

﴿٦٥﴾ ﴿وفضينا إليه﴾ أوحينا إليه وأخبرناه ﴿ذلك الأمر﴾ الذي أخبرته الملائكة إبراهيم من عذاب قومه وهو ﴿أنَّ دابر هؤلاء﴾ أي: أواخر مَنْ تبقى منهم ﴿مقطوع﴾

مُصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾

مُهْلَكَ ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين في وقت الصُّبْح. يريد: إِنَّهُمْ مهلكون هلاك الاستئصال في ذلك الوقت.

﴿٦٧﴾ وجاء أهل المدينة ﴿مدينة قوم لوط، وهي سدوم﴾ يستبشرون ﴿يفرحون طمعاً منهم في ركوب المعاصي والفاحشة حيث أخبروا أنَّ في بيت لوطِ مُرداً حسناً، فقال لهم لوط:

﴿٦٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾ عندهم بقصدكم إِيَّاهم، فيعلموا أنه ليس لي عندهم قدرٌ.

﴿٦٩﴾ واتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ﴾ مذكورٌ في سورة هود^(١).

﴿٧٠﴾ قَالُوا أَوْلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ عن ضيافتهم؛ لأنَّا نريد منهم الفاحشة، وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء.

﴿٧١﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ هذا الشَّان. يعني: اللَّذَّة وقضاء الوطر. يقول: عليكم بتزوجهنَّ، أراد أن يقي أضيافه ببناته.

﴿٧٢﴾ لَعَمْرُكَ﴾ بحياتك يا محمد ﴿إِنَّهُمْ﴾ إِنَّ قَوْمَكَ ﴿لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالتهم يتمادون. وقيل: يعني: قوم لوط.

﴿٧٣﴾ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صاح بهم جبريل عليه السَّلام صيحةً أهلكتهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ داخلين في وقت شروق الشَّمْس، وذلك أنَّ تمام الهلاك كان مع الإِشراق. وقوله:

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَلسَّبِيلِ مَقِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَعَاقَبْنَاهُمْ ءَايَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَلَاخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مَصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾

﴿للمتوسمين﴾ أي: المتفرسين^(١) المتبئين في النظر حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء.

﴿وإنها﴾ يعني: مدينة قوم لوط ﴿لبسبيل مقيم﴾ على طريق قومك إلى الشام، وهو طريق لا يندرس ولا يخفى.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآية للمؤمنين﴾ لعبارة المصدقين. يعني: إِنَّ المؤمنين اعتبروا بها.

﴿وإن كان أصحاب الأيكة﴾ قوم شعيب، وكانوا أصحاب غياض وأشجار.

﴿فانتقمنا منهم﴾ بالعذاب. أخذهم الحرُّ أَيْامًا، ثُمَّ اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا. ﴿وإنهما﴾ يعني: الأيكة ومدينة قوم لوط ﴿لبإمام مبين﴾ لبطريق واضح.

﴿ولقد كذب أصحاب الحجر﴾ يعني: قوم ثمود، والحجر اسم واديههم ﴿المرسلين﴾ يعني: صالحاً، وذلك أَنَّ مَنْ كَذَّبَ نَبِيًّا فَقَدْ كَذَّبَ جَمِيعَ الرُّسُلِ.

﴿وآتيناهم آياتنا﴾ يعني: ما أظهر لهم من الآيات في الناقة.

﴿وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً﴾ لطول عمرهم كان لا يبقى معهم السَّقوف، فَاتَّخَذُوا كهوفاً من الجبال بيوتاً ﴿آمنين﴾ من أن يقع عليهم.

﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة العذاب ﴿مصبحين﴾ حين دخلوا في وقت الصُّبح.

(١) عن أبي سعيد الخدري أَنَّ رسول الله ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن؛ فَإِنَّهُ ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ للمتوسمين﴾. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٢٥، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف، وابن جرير ٤٦/١٤.

فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تُمَدِّنْ عَيْنَكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٤﴾ فما أغنى عنهم ﴿ ما دفع العذاب ﴾ ﴿ ما كانوا يكسبون ﴾ من الأموال والأنعام .
 ﴿٨٥﴾ وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق ﴿ أي : للثواب والعقاب .
 أُنِيبَ مَنْ آمَنَ بِي وَصَدَّقَ رُسُلِي ، وَأَعَاقِبَ مَنْ كَفَرَ بِي ، وَالْمَوْعِدَ لِدَٰلِكَ السَّاعَةِ ،
 وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ أَيُّ : إِنَّ الْقِيَامَةَ تَأْتِي ، فَيَجَازِي الْمَشْرُكُونَ
 بِقُبْحِ أَعْمَالِهِمْ ﴿ فَاصْفَحِ ﴾ عَنْهُمْ ﴿ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾ أَيُّ : أَعْرَضَ إِعْرَاضاً بَغِيرَ
 فَحْشٍ وَلَا جَزَعٍ .

﴿٨٦﴾ إن ربك هو الخلاق العليم ﴿ بما خلق .
 ﴿٨٧﴾ ولقد آتيناك سبعا من المثاني ﴿ يعني : الفاتحة ^(١) ، وهي سبع آيات ، وتثنى في كلِّ
 صلاة . اٰمَنَّا الله على رسوله ﷺ بهذه السورة ، كما اٰمَنَّا عليه بجميع القرآن حين
 قال : ﴿ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ أَيُّ : الْعَظِيمُ الْقَدْرُ .

﴿٨٨﴾ لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ﴿ نهي رسول الله ﷺ عن الرّغبة في الدّنيا ، فحظر
 عليه أن يمدَّ عينيه إليها رغبةً فيها . وقوله : ﴿ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾ أَيُّ : أَصْنَافًا مِنْ
 الْكُفَّارِ ، كَالْمَشْرُكِينَ ، وَالْيَهُودِ ، وَغَيْرِهِمْ . يقول : لَا تَنْظُرْ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُمْ بِهِ فِي
 الدُّنْيَا ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لِئَلَّا جَانِبَكَ
 وَارْفَقَ بِهِمْ .

(١) في حديث أبي سعيد بن المعلّى : قال رسول الله ﷺ : « الحمد لله ربّ العالمين » هي السبع
 المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته . أخرجه النسائي في تفسيره ١/٦٣٤ ؛ وابن جرير ١٤/٥٥ ؛
 والحاكم ٢/٣٥٥ ؛ وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وأقرّه الذهبي .

وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾

﴿٨٩﴾ «وقل إني أنا النذير المبين» أنذركم عذاب الله سبحانه، وأبين لكم ما يقربكم إليه.

﴿٩٠﴾ «كما أنزلنا» أي: عذابنا «على المقْتَسِمِينَ» وهم الذين اقتسموا طرق مكة^(١) يصدّون الناس عن الإيمان بمحمد ﷺ، فأنزل الله تعالى بهم خزيًا، فماتوا شرّ ميتة.

﴿٩١﴾ «الذين جعلوا القرآن عضين» جزّؤوه أجزاءً، فقالوا: سحر، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: مفترى.

﴿٩٢﴾ «وربك لنسألنهم أجمعين».

﴿٩٣﴾ «عما كانوا يعملون» أي: يفترون من القول في القرآن. يريد: لنسألنهم سؤال توبيخ وتقريع.

﴿٩٤﴾ «فاصدع بما تؤمر» يقول: أظهر ما تؤمر، واجهر بأمرك، «وأعرض عن المشركين» لا تُبالِ بهم، ولم يزل النبي ﷺ مستخفياً حتى نزلت هذه الآية.

﴿٩٥﴾ «إنا كفيناك المستهزئين» وكانوا خمسة نفر^(٢): الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، سلّط الله

(١) وهذا قول الفراء في معاني القرآن ٩١/٢.

(٢) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢٧٣؛ وغرر التبيان ص ١٨٦؛ ومفحمت الأقران ص ١٣٠.

الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سبحانه عليهم جبريل عليه السلام حتى قتل كل واحد منهم بأفة، وكفى نبيه عليه السلام شرهم.

﴿٩٨﴾ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قل: سبحان الله وبحمده ﴿وكن من الساجدين﴾ المصلين.

﴿٩٩﴾ ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾ أي: الموت.

• • •

سُورَةُ الْجَحَلِّ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ وَثَمَانِ آيَاتٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُزِيلُ الْمَلَكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ
عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «أتى أمر الله» أي: عذابه لمن أقام على الشرك، أي: قد قرب ذلك «فلا تستعجلوه» فإنه نازل بكم لا محالة «سبحانه» براءة له من الشؤ «وتعالى» ارتفع بصفاته «عما يشركون» عن إشراكهم.

﴿٢﴾ «ينزل الملائكة» يعني: جبريل عليه السلام وحده «بالروح» بالوحي «من أمره» والوحي من أمر الله سبحانه «على من يشاء من عباده» يريد: النبيين الذين يختصهم بالرسالة «أن أنذروا» بدل من الروح، أي: أعلموا أهل الكفر «أنه لا إله إلا أنا» مع تخويفهم إن لم يقرؤا «فاتقون» بالتوحيد والطاعة، ثم ذكر ما يدل على توحيده، فقال:

﴿٣﴾ «خلق السموات... الآية».

﴿٤﴾ «خلق الإنسان من نطفة» يعني: أبي بن خلف «فإذا هو خصيم» مخاصم «مبين» ظاهر الخصومة، وذلك أنه خاصم النبي ﷺ في إنكاره البعث. وقوله:

وَالْأَنْعَمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا بَشِقِ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالْخَيْلَ وَالْأَنْعَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ لكم فيها دفء﴾ يعني: ما تستدفئون به من الأكسية والأبنية من أشعارها وأصوافها وأوبارها ﴿ومنافع﴾ من النسل والذرّ والركوب.

﴿٦﴾ ولكم فيها جمال﴾ زينة ﴿حين تريحون﴾ تردونها إلى مراحها بالعشايا ﴿وحين تسرحون﴾ تخرجونها إلى المرعى بالغداة.

﴿٧﴾ وتحمل أثقالكم﴾ أمتعكم ﴿إلى بلد﴾ لو تكلفتم بلوغه على غير الإبل لشقّ عليكم، والشقّ: المشقة ﴿إنّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ حيث منّ عليكم بهذه المرافق. وقوله:

﴿٨﴾ ويخلق ما لا تعلمون﴾ لم يُسمّه، فالله أعلم به.

﴿٩﴾ وعلى الله قصد السبيل﴾ أي: الإسلام والطريق المستقيم يُؤدّي إلى رضا الله تعالى، كقوله: ﴿هذا صراط عليّ مستقيم﴾^(١). ﴿ومنها﴾ ومن السبيل ﴿جائر﴾ عادل مائل كاليهوديّة والنصرانيّة ﴿ولو شاء لهداكم﴾ أرشدكم ﴿أجمعين﴾ حتّى لا تختلفوا في الدّين، وقوله:

﴿١٠﴾ ومنه شجر﴾ يعني: ما ينبت بالمطر، وكلّ ما ينبت على الأرض فهو شجر ﴿فيه تسيمون﴾ ترعون مواشيكم. وقوله:

وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ فِي ذَلِكَ لَا يَلَيْتُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٣﴾ وما ذرا لكم﴾ أي: وسخر لكم ما خلق في الأرض ﴿مختلفاً ألوانه﴾ أي: هيئته ومناظره. يعني: الدواب والأشجار وغيرهما.

﴿١٤﴾ وهو الذي سخر البحر﴾ ذلله للرُّكوب والغوص ﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ السمك والحيتان ﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾ الذرّ والجواهر ﴿وترى الفلك﴾ السفن ﴿مواخر فيه﴾ شواق للماء تدفعه بجوئجئها^(١) بصدرها ﴿ولتبتغوا من فضله﴾ لتركبوه للتجارة، فتطلبوا الرِّيح من فضل الله.

﴿١٥﴾ والقي في الأرض رواسي﴾ جبلاً ثابتة ﴿أن تميد﴾ لثلا تميد، أي: لا تتحرك ﴿بكم وأنهاراً﴾ وجعل فيها أنهاراً كالنَّيل والفرات ودجلة ﴿وسبلاً﴾ وطرقاً إلى كل بلدة ﴿لعلكم تهتدون﴾ إلى مقاصدكم من البلاد، فلا تضلُّوا.

﴿١٦﴾ وعلامات﴾ يعني الجبال، وهي علاماتُ الطُّرُق بالنَّهار ﴿وبالنجم﴾ يعني: جميع النُّجوم ﴿هم يهتدون﴾ إلى الطُّرُق والقِبلَة في البرِّ والبحر.

﴿١٧﴾ أفمن يخلق﴾ يعني: ما ذكر في هذه السُّورة، وهو الله تعالى ﴿كمن لا يخلق﴾ يعني: الأوثان. يقول: أهما سواء حتى يسوئ بينهما في العبادة؟ ﴿أفلا تذكرون﴾ أفلا تتعظون كما اتَّعظ المؤمنون.

(١) جؤجؤ السفينة والطائر: صدرهما. اللسان: جأجأ.

وَأِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمَ مَا يُسْرُوكُمْ وَمَا تَعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ

﴿١٨﴾ «وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها» مرّ تفسيره ^(١). «إنَّ الله لغفورٌ» لتقصيركم في شكر نعمه ﴿رحيم﴾ بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم. وقوله:

﴿٢١﴾ «أمواتٌ» أي: هي أمواتٌ لا روح فيها. يعني: الأصنام ﴿غير أحياء﴾ تأكيد ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ وذلك أنَّ الله سبحانه يبعث الأصنام لها أرواح، فيتبرؤون من عابديهم، وهي في الدنيا جماد لا تعلم متى تُبعث. وقوله:

﴿٢٢﴾ «إلهكم» ذكر الله سبحانه دلائل وحدانيته، ثم أخبر أنَّه واحد، ثم أتبع هذا إنكار الكفار وحدانيته بقوله: ﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾ جاحدة غير عارفة ﴿وهم مستكبرون﴾ ممتنعون عن قبول الحق.

﴿٢٣﴾ «لا جرم» حقاً ﴿أنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون...﴾ الآية. أي: يُجازيهم بذلك ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ لا يمدحهم ولا يُثيبهم.

﴿٢٤﴾ «وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين» الآية نزلت في النضر بن الحارث، وذكرنا قصته.

﴿٢٥﴾ «ليحملوا أوزارهم» هذه لام العاقبة؛ لأنَّ قولهم للقرآن: أساطير الأولين، أذاهم إلى أن حملوا أوزارهم كاملة لم يُكفّر منها شيء بنكبة أصابتهم في الدنيا لكفرهم. ﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾ لأنهم كانوا دعاة الضلالة، فعليهم مثل أوزار من

بَغِيرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِ كُنتُمْ تَتَشَّقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

اتَّبِعْهُمْ، وقوله: ﴿بغير علم﴾ أي: يضلُّونهم جهلاً منهم بما كانوا يكسبون من الإثم، ثم ذمَّ صنيعهم فقال: ﴿ألا ساء ما يزرون﴾ أي: يحملون.

﴿٢٦﴾ قد مكر الذين من قبلهم﴾ وهو نمرود بنى صرحاً طويلاً، ليصعد منه إلى السماء فيقاتل أهلها ﴿فأتى الله﴾ فأتى أمر الله، وهو الرِّيحُ وخلقُ الزَّلْزَلَةِ ﴿بنيانهم﴾ بناءهم ﴿من القواعد﴾ من أساطين البناء التي يعمده، وذلك أنَّ الزَّلْزَلَةَ خلقت فيها حتى تحركت بالبناء فهدمته، وهو قوله: ﴿فخرَّ عليهم السقف من فوقهم﴾ يعني: وهم تحته ﴿وأناهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من حيث ظنُّوا أنَّهم في أمانٍ منه.

﴿٢٧﴾ ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ يُذْلُهُمْ ﴿ويقول أين شركائي﴾ أي: الذين في دعواكم أنَّهم شركائي، أين هم ليدفعوا العذاب عنكم ﴿الذين كنتم تشاقون﴾ تخالفون المؤمنين ﴿فيهم﴾ قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفار في القيامة: ﴿إنَّ الخزي اليوم والسوء﴾ عليهم لا علينا.

﴿٢٨﴾ الذين توفاهم الملائكة﴾ مرَّ تفسيره في سورة النَّسَاء^(١). وقوله: ﴿فألقوا السلم﴾ أي: انقادوا واستسلموا عند الموت، وقالوا: ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ شرك، فقالت الملائكة: ﴿بلى إِنَّ الله عليمٌ بما كنتم تعملون﴾ من الشُّرْكِ والتَّكْذِيبِ، ثم قيل لهم:

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ نَوَّفْنَهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

﴿٢٩﴾ ﴿فادخلوا أبواب جهنم...﴾ الآية. وقوله: ﴿فلبس مثنوى﴾ مقام ﴿المتكبرين﴾ عن التوحيد وعبادة الله سبحانه.

﴿٣٠﴾ ﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾ هذا كان في أيام الموسم، يأتي الرجل مكة فيسأل المشركين عما أنزل على محمد ﷺ؟ فيقولون: أساطير الأولين، ويسأل المؤمنون عن ذلك فيقولون: ﴿خيراً﴾ أي: ثواباً لمن آمن بالله، ثم فسّر ذلك الخير فقال: ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ قالوا: لا إله إلا الله ثواب مضاعف ﴿ولدار الآخرة﴾ وهي الجنة ﴿خير﴾ من الدنيا وما فيها.

﴿٣٢﴾ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾ طاهرين من الشرك.

﴿٣٣﴾ ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة﴾ لقبض أرواحهم ﴿أو يأتي أمر ربك﴾ بالقتل، والمعنى: هل يكون مدة إقامتهم على الكفر إلا مقدار حياتهم إلى أن يموتوا أو يقتلوا ﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾ وهو التكذيب، يعني: كفّار الأمم الخالية ﴿وما ظلمهم الله﴾ بتعذيبهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بإقامتهم على الشرك.

﴿٣٤﴾ ﴿فأصابهم﴾ هذا مؤخر في اللفظ، ومعناه التقدير؛ لأنّ التقدير: كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم، الآية، ثم يقول: ﴿وما ظلمهم الله...﴾ الآية. ومعنى: أصابهم ﴿سيئات ما عملوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وحاق﴾ أحاط ﴿بهم ما كانوا به

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿ من العذاب .

﴿٣٥﴾ وقال الذين أشركوا ﴿ يعني : أهل مكة : ﴿ لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ﴾ أي : ما أشركنا ، ولكنه شاء لنا ﴿ ولا حرّمنا من دونه من شيء ﴾ أي : من السّائبة والبحيرة ، وإنّما قالوا هذا استهزاء . قال الله تعالى : ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ أي : من تكذيب الرّسل ، وتحريم ما أحلّ الله ﴿ فهل على الرسل إلّا البلاغ المبين ﴾ أي : ليس عليهم إلّا التّليغ ، وقد بلغت يا محمّد ، وبلغوا ، فأما الهداية فهي إلى الله سبحانه وتعالى ، وقد حقّق هذا فيما بعد ، وهو قوله :

﴿٣٦﴾ ولقد بعثنا في كلّ أمة رسولا ﴿ كما بعثناك في هؤلاء ﴿ أن اعبدوا الله ﴾ بأن اعبدوا الله ﴿ واجتنبوا الطّاغوت ﴾ الشيطان وكلّ من يدعو إلى الضلالة ﴿ فمنهم من هدى الله ﴾ أرشده ﴿ ومنهم من حقّت ﴾ وجبت ﴿ عليه الضلالة ﴾ الكفر بالقضاء السابق ﴿ فسيروا في الأرض ﴾ معتبرين بآثار الأمم المكذّبة ، ثمّ أكّد أنّ من حقّت عليه الضلالة لا يهتدي ، وهو قوله :

﴿٣٧﴾ إن تحرص على هداهم ﴿ أي : تطلبها بجهدك ﴿ فإنّ الله لا يهدي من يضل ﴾ كقوله : ﴿ من يضلّل الله فلا هادي له ﴾ (١) .

﴿٣٨﴾ وأقسموا بالله جهد أيمانهم ﴿ أغلظوا في الإيمان تكذيباً منهم بقدرة الله على

لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا
أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّثَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً وَلَا نَجْزِيَ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا

البعث، فقال الله تعالى: ﴿بلى﴾ ليعيثنهم ﴿وعداً عليه حقاً﴾.

﴿ليبين لهم﴾ بالبعث ما اختلفوا فيه من أمره، وهو أنهم ذهبوا إلى خلاف ما ذهب
إليه المؤمنون ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ ثم أعلمهم سهولة خلق
الأمياء عليه بقوله:

﴿٤٠﴾ ﴿إنما قولنا لشيء...﴾ الآية.

﴿والذين هاجروا﴾ نزلت في قوم^(١) عذبهم المشركون بمكة إلى أن هاجروا،
وقوله: ﴿في الله﴾ أي: في رضا الله ﴿لنُبَوِّثَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ داراً وبلدةً
حسنةً، وهي المدينة ﴿ولأجر الآخرة﴾ يعني: الجنة.

﴿الذين صبروا﴾ على أذى المشركين وهم في ذلك واثقون بالله تعالى متوكلون
عليه.

﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة يوسف^(٢). وقوله: ﴿فاسألوا
أهل الذكر﴾ يعني: أهل التوراة فيخبرونكم أن الأنبياء كلهم كانوا بشراً.

﴿بالبينات﴾ أي: أرسلناهم بالبيّنات بالحجج الواضحة ﴿والزُّبُر﴾ الكتب ﴿وأنزلنا

(١) وهم بلال، وصهيب، وخبّاب، وعمّار، وأبو جندل بن سهيل، وجبر. أسباب النزول
ص ٣٢٢؛ وغرر التبيان ص ١٩٠.

(٢) انظر ص ٥٦٢.

إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِنُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُيبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَتِنُوا ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ

إليك الذكر ﴿القرآن﴾ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴿في هذا الكتاب من الحلال والحرام، والوعد والوعيد﴾ ولعلهم يتفكرون ﴿في ذلك فيعتبرون.

﴿٤٥﴾ ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ عملوا بالفساد، يعني: عبادة الأوثان، وهم مشركو مكة ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما خسف بقارون ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أي: من حيث يأمنون، فكان كذلك؛ لأنهم أهلكوا يوم بدر، وما كانوا يُقدِّرون ذلك.

﴿٤٦﴾ ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ للسفر والتجارة ﴿فما هم بمُعْجِزِينَ﴾ بممتنعين على الله. ﴿٤٧﴾ ﴿أو يأخذهم على تخوف﴾ على تنقُص، وهو أن يأخذ الأول حتى يأتي الأخذ على الجميع ﴿فإن ربكم لرؤوف رحيم﴾ إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾ ﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ له ظلٌّ من جبلٍ وشجرٍ وبناءٍ ﴿يتفنيا﴾ يتميل ﴿ظلاله عن اليمين والشمال﴾ في أول النهار عن اليمين، وفي آخره عن الشمال إذا كنت متوجهاً إلى القبلة ﴿سجداً لله﴾ قال المفسرون: ميلانها سجودها، وهذا كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾^(١) وقد مرَّ^(٢). ﴿وهم داخرون﴾ صاغرون يفعلون ما يُراد منهم. يعني: هذه الأشياء التي ذكرها أنها تسجد لله.

﴿٤٩﴾ ﴿ولله يسجد﴾ أي: يخضع وينقاد بالتسخير ﴿ما في السموات وما في الأرض من

دَابَّةٍ وَالْمَلٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾
 وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَكُمْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
 وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ
 فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا
 ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأَلَّهِ

دابة﴾ يريد: كلُّ ما دبَّ على الأرض ﴿والملائكة﴾ خصَّهم بالذكر تفضيلاً ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله تعالى. يعني: الملائكة.

﴿٥٠﴾ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يعني: الملائكة، هم فوق ما في الأرض من دابة، ومع ذلك يخافون الله، فلأنَّ يخاف مَنْ دونهم أولى. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني: الملائكة. وقوله:

﴿٥٢﴾ ﴿وله الدين واسباباً﴾ دائماً، أي: طاعته واجبة أبداً. ﴿أفغير الله﴾ الذي خلق كلَّ شيء، وأمر أن لا تتخذوا معه إلهاً ﴿تتقون﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وما بكم من نعمة﴾ من صحَّة جسم، أو سعة رزق، أو إمتاع بمالٍ وولد، فكلُّ ذلك من الله، ﴿ثمَّ إذا مسكم الضرُّ﴾ الأسقام والحاجة ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة.

﴿٥٤﴾ ﴿ثمَّ إذا كشف الضر عنكم﴾ يعني: مَنْ كفر بالله، وأشرك بعد كشف الضَّر عنه.

﴿٥٥﴾ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ ليجدوا نعمة الله فيما فعل بهم ﴿فتمتعوا﴾ أمر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم.

﴿٥٦﴾ ﴿ويجعلون﴾ يعني: المشركين ﴿لما لا يعلمون﴾ أي: الأوثان التي لا علم لها ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ يعني: ما ذُكر في قوله: ﴿وهذا لشركائنا﴾^(١). ﴿تأله

لَسْتُمْ عَنْكُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَفْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

لنسالنَّ سؤال توبيخ ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ على الله من أَنه أَمركم بذلك .

﴿٥٧﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ يعني : خزاعة وكنانة ، زعموا أَنَّ الملائكة بنات الله ، ثُمَّ نَزَّهَ نفسه فقال تعالى : ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهاً له عَمَّا زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني : البنين ، وهذا كقولهم : ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ . . .﴾ (١) الآية .

﴿٥٨﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ أَخْبَرَ بُولَادَ ابْنَةٍ ﴿ظَلَّ﴾ صار ﴿وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ متغيِّراً تَغْيِيرَ مَغْتَمٍّ ﴿وهو كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غَمًّا .

﴿٥٩﴾ يَتَوَارَىٰ يَخْتَفِي وَيَتَغَيَّبُ مَقْدَرًا مع نفسه ﴿أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ﴾ أَيْسَحِيحُهَا عَلَىٰ هَوَانٍ مِنْهَا ﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ فعل الجاهليَّة من الوَاد ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ أَيُّ : يجعلون لمن يعترفون أَنَّهُ خالَقهم البنات اللاتي محلهنَّ منهنَّ هذا المحل ، ونسبوه إِلَى اتِّخَاذِ الأولاد ، وجعلوا لأنفسهم البنين .

﴿٦٠﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ العذاب والنَّار ﴿وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾ الإخلاص والتَّوْحِيد ، وهو شهادة أَن لا إِلَهَ إِلاَّ الله .

﴿٦١﴾ وَلَوْ يَوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ الْمُشْرِكِينَ بِظُلْمِهِمْ بافترائهم عَلَى الله تعالى ﴿ما ترك عليها من دابة﴾ يعني : أَحَدًا من المُشْرِكِينَ ﴿ولكن يؤخرهم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو انقضاء عمرهم .

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جُرْمَ أَنَّ لَهُمُ
النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ
وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ
وَهُدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً لِّتُنْقِضُوا بِطُونِهِ مِمَّا بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لِّبَنَاءٍ خَالِصًا
سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ لَتُخَذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً

﴿٦٢﴾ ويجعلون لله ما يكرهون لأنفسهم، وذلك هو البنات، أي: يحكمون له به،
﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ ثم فسر ذلك الكذب بقوله: ﴿أن لهم الحسنى﴾ أي:
الجنة والمعنى: يصفون أن لهم مع قبح قولهم الجنة إن كان البعث حقاً، فقال الله
تعالى: ﴿لا﴾ أي: ليس الأمر كما وصفوه ﴿جرم﴾ كسب قولهم هذا ﴿أن لهم
النار وأنهم مفراطون﴾ متروكون فيها. وقيل: مقدّمون إليها. وقوله:

﴿فهو وليهم اليوم﴾ يعني: يوم القيامة، وأطلق اسم اليوم عليه لشهرته. وقوله:

﴿لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ أي: تبين للمشركين ما ذهبوا فيه إلى خلاف
ما يذهب إليه المسلمون، فتقوم الحجّة عليهم ببيانك. وقوله: ﴿وهدى﴾ أي:
والهداية والرحمة للمؤمنين. وقوله:

﴿والله أنزل﴾ ظاهر إلى قوله: ﴿يسمعون﴾ أي: سماع اعتبار. يريد: إن في ذلك
دلالة على البعث.

﴿٦٦﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة﴾ لدلالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿نسقيكم مما
في بطونه من بين فرث﴾ وهو سرجين الكرش ﴿ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾
جائزاً في حلوقهم.

﴿ومن ثمرات﴾ أي: ولكم منها ما ﴿تتخذون منه سكرًا﴾ وهو الخمر. نزل هذا
قبل تحريم الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الخل والزبيب والتمر ﴿إن في ذلك لآية

لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَوَفِّقُكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ

لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ يريد: عقلوا عن الله تعالى ما فيه قدرته.

﴿٦٨﴾ «وأوحى ربك إلى النحل ﴿٦٧﴾ ألهمها وقذف في أنفسها ﴿٦٨﴾ أن اتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ﴿٦٩﴾ هي تتخذ لأنفسها بيوتاً إذا كانت لا أصحاب لها، فإذا كانت لها أرباب اتخذت بيوتها ممّا تبني لها أربابها، وهو قوله: ﴿ومما يعرشون﴾ أي: يبنون ويسقفون لها من الخلايا.

﴿٦٩﴾ «ثمّ كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سبل ربك ﴿٦٩﴾ طرق ربك تطلب فيها الرعي ﴿٦٩﴾ ذللاً ﴿٦٩﴾ منقادة مسخرة مطيعة ﴿٦٩﴾ يخرج من بطونها شراب ﴿٦٩﴾ وهو العسل ﴿٦٩﴾ مختلف ألوانه ﴿٦٩﴾ منه أحمر وأبيض وأصفر ﴿٦٩﴾ فيه ﴿٦٩﴾ في ذلك الشراب ﴿٦٩﴾ شفاء للناس ﴿٦٩﴾ من الأوجاع التي شفاؤها فيه.

﴿٧٠﴾ «والله خلقكم ﴿٧٠﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿٧٠﴾ ثمّ يتوفاكم ﴿٧٠﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿٧٠﴾ ومنكم من يردّ إلى أذل العمر ﴿٧٠﴾ وهو أردؤه، يعني: الهرم ﴿٧٠﴾ لكيلا يعلم بعد علم شيئاً ﴿٧٠﴾ يصير كالصبي الذي لا عقل له. قالوا: وهذا لا يكون للمؤمنين؛ لأنّ المؤمن لا ينزع عنه علمه وإن كبر ﴿٧٠﴾ إنّ الله عليم ﴿٧٠﴾ بما يصنع ﴿٧٠﴾ قدير ﴿٧٠﴾ على ما يريد.

٧١ ﴿والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق﴾ حيث جعل بعضكم يملك العبيد، وبعضكم مملوكاً ﴿٧١﴾ فما الذين فضلوا ﴿٧١﴾ وهم المالكون ﴿٧١﴾ برادي رزقهم ﴿٧١﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم، حتّى يكونوا عبيدهم معهم ﴿٧١﴾ فيه سواء ﴿٧١﴾ وهذا مثّل ضربه الله تعالى للمشركين في تصييرهم عباد الله شركاء له، فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم

أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

سواء في الملك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟ ﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ حيث يتخذون معه شركاء.

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ يعني: النساء ﴿وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾ يعني: ولد الولد ﴿ورزقكم من الطيبات﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أفبالباطل يؤمنون﴾ يعني: الأصنام، ﴿وبنعمة الله هم يكفرون﴾ يعني: التوحيد.

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات﴾ يعني: الغيث الذي يأتي من جهتها ﴿والأرض﴾ يعني: الثبات والثمار ﴿شيئاً﴾ أي: قليلاً ولا كثيراً ﴿ولا يستطيعون﴾ لا يقدرّون على شيء.

﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ لا تشبّهوه بخلقه، وذلك أنّ ضرب المثل إنّما هو تشبيه ذاتٍ بذاتٍ، أو وصفٍ بوصفٍ، والله تعالى منزّه عن ذلك ﴿إنّ الله يعلم﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿وأنتم لا تعلمون﴾ قدر عظّمته حيث أشركتم به.

﴿ضرب الله مثلاً﴾ بيّن شبهاً فيه بيانٌ للمقصود، ثمّ ذكر ذلك فقال: ﴿عبدًا مملوكًا لا يقدر على شيء﴾ لأنّه عاجزٌ مملوكٌ لا يملك شيئاً، وهذا مثلٌ ضربه الله لنفسه ولمن عبده دونه. يقول: العاجز الذي لا يقدر أن ينفق، والمالك المقتدر على الإنفاق لا يستويان، فكيف يُسوَّى بين الحجارة التي لا تتحرّك، وبين الله الذي هو على كلّ شيء قدير، وهو رازقٌ جميع خلقه، ثمّ بيّن أنّه المستحقُّ للحمد دون ما يعبدون من دونه فقال: ﴿الحمد لله﴾ لأنّه المنعم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ
 أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ
 مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ
 أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ
 شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
 مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ

يقول: هؤلاء المشركون لا يعلمون أنَّ الحمد لي؛ لأنَّ جميع النِّعم مني، والمراد
 بالأكثر ها هنا الجميع، ثمَّ ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال:

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الكلام، لأنَّه
 لَا يُفْهَم وَلَا يُفْهَم عَنْهُ ﴿وَهُوَ كَلٌّ﴾ ثِقْلٌ وَوِثْرٌ ﴿عَلَى مَوْلَاهُ﴾ صَاحِبِهِ وَقَرِيبِهِ ﴿أَيْنَمَا
 يُوَجِّههُ﴾ يَرْسِلُهُ ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ لِأَنَّهُ عَاجِزٌ لَا يَقْضِي مَا يَقَالُ لَهُ، وَلَا يُفْهَم عَنْهُ ﴿هَلْ
 يَسْتَوِي هُوَ﴾ أَيُّ: هَذَا الْأَبْكَمُ ﴿وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ وَهُوَ الْمُؤْمِنُ يَأْمُرُ بِتَوْحِيدِ اللَّهِ
 سُبْحَانَهُ ﴿وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دِينٍ مُسْتَقِيمٍ، يَعْنِي: بِالْأَبْكَمِ أَبِيَّ بْنَ
 خَلْفٍ^(١)، وَكَانَ كَلًّا عَلَى قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يُؤْذِيهِمْ، وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ حِمَزةُ بْنُ
 عَبْدِ الْمَطْلَبِ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيُّ: عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا عَنِ الْعِبَادِ ﴿وَمَا أَمْرُ
 السَّاعَةِ﴾ يَعْنِي: الْقِيَامَةُ ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ كَالنَّظَرِ بِسُرْعَةٍ ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ مِنْ
 ذَلِكَ إِذَا أَرَدْنَاهُ، يَرِيدُ: إِنَّهُ يَأْتِي بِهَا فِي أَسْرَعِ مِنْ لَمَحِ الْبَصَرِ إِذَا أَرَادَهُ.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ أَيُّ: غَيْرِ عَالِمِينَ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ
 السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ أَيُّ: خَلَقَ لَكُمْ الْحَوَاسَّ الَّتِي بِهَا يَعْلَمُونَ، وَيَقْفُونَ عَلَى
 مَا يَجْهَلُونَ.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ مَذَلَّلَاتٍ ﴿فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ﴾ يَعْنِي: الْهَوَاءِ، وَذَلِكَ

(١) انظر أسباب النزول ص ٣٢٣؛ وغرر التبيان ص ١٩١.

مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارُهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

يدلُّ على مُسَخَّرِ سَخَرَهَا، ومدبرٍ مَكْنَهَا من التَّصَرُّفِ ﴿ما يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ﴾ في حال القبض والبسط والاصطفاف.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ موضعاً تسكنون فيه، ويستر عوراتكم وحرمكم، وذلك أَنَّهُ خلق الخشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت ﴿وجعل لكم من جلود الأنعام﴾ يعني: الأنطاع والأدم ﴿بيوتاً﴾ وهي القباب والخيام ﴿تستخفونها يوم ظعنكم﴾ يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم ﴿ويوم إقامتكم﴾ لا يثقل عليكم في الحالتين ﴿ومن أصوافها﴾ يعني: الضَّانَّ ﴿وأوبارها﴾ يعني: الإبل ﴿وأشعارها﴾، وهي المعز ﴿أثناً﴾ طنافس وأكسية وبُسطاً ﴿ومتاعاً﴾ تتمتعون به ﴿إلى حين﴾ البلى.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ﴾ من البيوت والشجر والغمام ﴿ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً﴾ يعني: الغيران والأسراب ﴿وجعل لكم سراويل﴾ قمصاً ﴿تقيكم الحر﴾ تمنعكم الحرَّ والبرد، [فترك ذكر البرد]؛ لأنَّ ما وقى الحرَّ وقى البرد، فهو معلوم ﴿وسراويل﴾ يعني: دروع الحديد ﴿تقيكم﴾ تمنعكم ﴿بأسكم﴾ شدة الطَّغْنِ والضَّرْبِ والرَّمْيِ ﴿كذلك﴾ مثل ما خلق هذه الأشياء لكم ﴿ينمُّ نعمته عليكم﴾ يريد: نعمة الدُّنيا، والخطاب لأهل مَكَّةَ ﴿لعلَّكم تسلمون﴾ تنقادون لربوبيته فتوحِّدونه.

﴿فإن تولوا﴾ أعرضوا عن الإيمان بعد البيان ﴿فإنما عليك البلاغ المبين﴾ وليس عليك من كفرهم وجحودهم شيء.

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ أَسْلَافَهُمْ وَمَا كَانُوا يَقْتِرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿٨٣﴾ يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها﴾ يعني: الكفار، يُقْرُونَ بأنها كلها من الله تعالى ثم يقولون بشفاعة آلِهتنا، فذلك إنكارهم ﴿وأكثرهم﴾ جميعهم ﴿الكافرون﴾.

﴿٨٤﴾ ويوم﴾ أي: وأنذرهم يوم ﴿نبعث﴾ وهو يوم القيامة ﴿من كل أمة شهيداً﴾ يعني: الأنبياء عليهم السلام يشهدون على الأمم بما فعلوا، ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾ في الكلام والاعتذار ﴿ولا هم يستعتبون﴾ ولا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما يرضي الله تعالى.

﴿٨٥﴾ وإذا رأى الذين ظلموا﴾ أشركوا ﴿العذاب﴾ النار ﴿فلا يخفف عنهم﴾ العذاب ﴿ولا هم ينظرون﴾ يمهلون.

﴿٨٦﴾ وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم﴾ أوثانهم التي عبدوها من دون الله ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾ وذلك أن الله يبعثها حتى تُوردهم النار، فإذا رآوها عرفوها، فقالوا: ﴿ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول﴾ أي: أجابوهم فقالوا لهم: ﴿إنكم لكاذبون﴾ وذلك أنها كانت جماداً ما تعرف عبادة عابديها، فيظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا من لم يشعر بالعبادة، وهذا كقوله تعالى: ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾^(١).

﴿٨٧﴾ وألقوا إلى الله يومئذ السلم﴾ استسلموا لحكم الله تعالى ﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ بطل ما كانوا يأملون من أن آلِهتهم تشفع لهم.

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾
 وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا
 عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ
 بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
 لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ
 تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا

﴿٨٨﴾ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً وهو يوم القيامة، يبعث الله في كل أمة شهيداً
 عليهم من أنفسهم وهو نبيهم؛ لأن كل نبي بُعث من قومه، ﴿وجئنا بك شهيداً
 على هؤلاء﴾ على قومك، وتم الكلام ها هنا، ثم قال: ﴿ونزلنا عليك الكتاب
 تبياناً﴾ بياناً ﴿لكل شيء﴾ ممّا أمر به ونهى عنه.

﴿٩٠﴾ إن الله يأمر بالعدل شهادة أن لا إله إلا الله ﴿والإحسان﴾ وأداء الفرائض،
 وقيل: بالعدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال ﴿وإيتاء ذي القربى﴾ صلة
 الرحم، فتؤتي ذا قرابتك من فضل ما رزقك الله. ﴿وينهى عن الفحشاء﴾ الزنا
 ﴿والمنكر﴾ الشرك ﴿والبغي﴾ الاستطالة على الناس بالظلم ﴿يعظكم﴾ ينهاكم عن
 هذا كله، ويأمركم بما أمركم به في هذه الآية ﴿لعلكم تذكرون﴾ لكي تتعظوا.

﴿٩١﴾ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾ يعني: كل عهد يحسن في الشريعة الوفاء به ﴿ولا
 تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾ لا تحشوا فيها بعد ما وكّدتموه بالعزم ﴿وقد جعلتم
 الله عليكم كفيلاً﴾ بالوفاء حيث حلفتهم، والواو للحال.

﴿٩٢﴾ ولا تكونوا كالتّي نقضت﴾ أفسدت ﴿غزلها﴾ وهي امرأة حمقاء^(١) كانت تغزل

(١) واسمها ربيعة بنت عمرو. انظر غرر التبيان ص ١٩٣؛ والمحجّر ص ٣٨١؛ ومفحّمات الأقران
 ص ١٣٢.

مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا نَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۖ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٩﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا

طول يومها، ثم تنقضه وتفسده ﴿من بعد قوة﴾ الغزل بإمراره وفتله ﴿أنكاثاً﴾ قطعاً، وتم الكلام هاهنا، ثم قال: ﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾ أي: غشاً وخديعة ﴿أن تكون﴾ بأن تكون [أو لأن تكون] ^(١) ﴿أمة هي أربى من أمة﴾ أي: قوم أغنى وأعلى من قوم، وذلك أنهم كانوا يحالفون قوماً فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف أولئك، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعز، فنهوا عن ذلك. ﴿إنما يبلوكم الله به﴾ أي: بما أمر ونهى ﴿وليبيّن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا، ثم نهى أصحاب رسول الله ﷺ الذين عاهدوه على نصره الإسلام عن إيمان الخديعة، فقال:

﴿١٩﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ تزلّ عن الإيمان بعد المعرفة بالله تعالى، وهذا إنما يستحق في نقض معاهدة رسول الله ﷺ على نصره الدّين ﴿وتذوقوا السوء﴾ العذاب ﴿بما صدّدتم عن سبيل الله﴾ وذلك أنّهم إذا نقضوا العهد لم يدخل غيرهم في الإسلام، فيصير كأنهم صدّوا عن سبيل الله وعن دين الله.

﴿٢٠﴾ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضاً من

إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٌ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزَلُّ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الدُّنْيَا ﴿إِنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى الْوَفَاءِ ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ.

﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ يَفْنَىٰ وَيَنْقُطِعُ، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ وَالْكَرَامَةِ ﴿بَاقٌ﴾ دَائِمٌ لَا يَنْقُطِعُ ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَعَمَّا نَهَاهُمْ اللَّهُ تَعَالَىٰ ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يَعْنِي: الطَّاعَاتِ، وَقَوْلُهُ: ﴿٩٧﴾ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً قِيلَ هِيَ الْقَنَاعَةُ، وَقِيلَ: هِيَ حَيَاةُ الْجَنَّةِ.

﴿٩٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ أَيُّ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَعْزِيكَ وَيَمْنَعَكَ ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

﴿٩٩﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ: حُجَّةٌ فِي إِغْوَائِهِمْ وَدَعَائِهِمْ إِلَى الضَّلَالَةِ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ لَهُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانُ الْإِغْوَاءِ.

﴿١٠٠﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ يُطِيعُونَهُ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ بِسَبَبِهِ وَطَاعَتِهِ فِيمَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴿مُشْرِكُونَ﴾ بِاللَّهِ.

﴿١٠١﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً أَيُّ: رَفَعْنَاهَا وَأَنْزَلْنَاهَا غَيْرَهَا لِنَوْعٍ مِنَ الْمَصْلَحَةِ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ بِمَصَالِحِ الْعِبَادَةِ فِي ﴿مَا يَنْزِلُ﴾ مِنَ النَّاسِخِ وَالْمَنْسُوحِ ﴿قَالُوا﴾ يَعْنِي: الْكَفَّارُ ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كَذَّابٌ تَقُولُهُ مِنْ عِنْدِكَ ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حَقِيقَةَ الْقُرْآنِ وَفَائِدَةَ النَّسْخِ وَالتَّبْدِيلِ.

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى
 لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ
 أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٧﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٨﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
 بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْنَاهُمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١١٠﴾

﴿١٠٥﴾ قل نزله روح القدس جبريل عليه السلام ﴿من ربك﴾ من كلام ربك ﴿بالحق﴾
 بالأمر الحق ﴿ليثبت الذين آمنوا﴾ بما فيه من الحجج والآيات ﴿وهدى﴾ وهو
 هدى.

﴿١٠٦﴾ ولقد نعلم أنهم يقولون: إنما يُعَلِّمُهُ القرآن ﴿بشر﴾ يعنون عبداً لبني الحضرمي
 كان يقرأ الكتب ﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾ لغة الذي يميلون القول إليه ويزعمون
 أنه يُعَلِّمُك ﴿أعجمي﴾ لا يُفصح ولا يتكلَّم بالعربية ﴿وهذا﴾ يعني القرآن ﴿لسان﴾
 لغة ﴿عربي مبين﴾ أفصح ما يكون من العربية وأبينه، ثم أخبر أن الكاذبين هم،
 فقال:

﴿١٠٧﴾ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله ﴿لأنهم يقولون لما لا يقدر عليه﴾
 إلا الله هذا من قول البشر، ثم سمَّاهم كاذبين بقوله: ﴿وأولئك هم الكاذبون﴾.

﴿١٠٨﴾ من كفر بالله من بعد إيمانه ﴿هذا ابتداء كلام، وخبره في قوله: ﴿فعليهم غضب﴾
 من الله﴾ ثم استثنى المُكره على الكفر، فقال: ﴿إلا من أكره﴾ أي: على التَّلَفُّظِ
 بكلمة الكفر ﴿وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا﴾ أي: فتحه
 وسَّعه لقبوله.

﴿١٠٩﴾ ذلك ﴿الكفر﴾ بأنهم استحبوا الحياة الدنيا ﴿اختاروها﴾ على الآخرة وأن الله لا

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنِّي رَبَّكَ
لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنِّي بَعْدَ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنِّي بَعْدَهَا
لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ
وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا
رَعْدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ

يهديهم ولا يريد هدايتهم، ثم وصفهم بأنهم مطبوع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنهم غافلون عما يُراد بهم، ثم حكم عليهم بالخسار، وأكد ذلك بقوله:

﴿١٠٨﴾ ﴿لا جرم﴾ أي: حقاً ﴿أنهم في الآخرة هم الخاسرون﴾ المغبونون.

﴿١٠٩﴾ ﴿ثم إن ربك للذين هاجروا﴾ يعني: المستضعفين الذين كانوا بمكة ﴿من بعد ما فتنوا﴾ أي: عذبوا وأوذوا حتى يلفظوا بما يرضيهم ﴿ثم جاهدوا﴾ مع النبي ﷺ ﴿وصبروا﴾ على الدين والجهاد ﴿إن ربك من بعدها﴾ أي: من بعد تلك الفتنة التي أصابتهم ﴿لغفور رحيم﴾ يغفر لهم ما تلفظوا به من الكفر تقية.

﴿١١١﴾ ﴿يوم تأتي﴾ أي: اذكر لهم ذلك اليوم وذكّرهم، وهو يوم القيامة ﴿كل نفس﴾ كل أحد لا تهمة إلا نفسه، فهو مخاصم ومحتج عن نفسه، حتى إن إبراهيم عليه السلام ليدلي بالخلة ﴿وتوفى كل نفس ما عملت﴾ أي: جزاء ما عملت ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون، ثم أنزل الله تعالى في أهل مكة وما امتحنوا به من القحط والجوع قوله تعالى:

﴿١١٢﴾ ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة﴾ ذات أمن لا يُغار على أهلها ﴿مطمئنة﴾ قارة بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوف أو ضيق ﴿يأتيها رزقها رعداً من كل مكان﴾ يُجلب إليها من كل بلد، كما قال: ﴿يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١).

فَكَفَرْتَ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٧﴾
 وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٨﴾ فَكُلُوا مِنْ
 رِزْقِ اللَّهِ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَهُ ﴿١١٩﴾ إِنَّمَا
 حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ
 وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ
 وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١٢١﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ
 وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٢٢﴾

﴿فكفرت بأنعم الله﴾ حين كذبوا رسوله ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ عذبهم الله
 بالجوع سبع سنين ﴿والخوف﴾ من سرايا النبي ﷺ التي كان يبعثهم إليهم
 فيطوفون بهم ﴿بما كانوا يصنعون﴾ من تكذيب النبي ﷺ وإخراجه من مكة.

﴿ولقد جاءهم﴾ يعني: أهل مكة ﴿رسول منهم﴾ من نسبهم، يعرفونه بأصله ونسبه
 ﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾ يعني: الجوع.

﴿فكلوا﴾ يا معشر المؤمنين ﴿مما رزقكم الله﴾ من الغنائم، وهذه الآية والتي
 بعدها سبق تفسيرهما في سورة البقرة^(١).

﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾ أي: لوصف ألسنتكم الكذب، والمعنى:
 لا تقولوا لأجل الكذب وسببه لا لغيره: ﴿هذا حلال وهذا حرام﴾ يعني: ما كانوا
 يحلونه ويحرمونه من الحرث والأنعام ﴿لتفتروا على الله الكذب﴾ بنسبة ذلك
 التحليل والتحريم إليه، ثم أوعد المفتريين فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
 الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾.

﴿متاع قليل﴾ أي: لهم في الدنيا متاع قليل، ثم يردون إلى عذاب أليم.

وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾
 ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾
 شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آجِبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَمَا آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ
 لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾
 إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ

﴿١١٨﴾ وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني: في سورة الأنعام: ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر...﴾ (١) الآية. ﴿وما ظلمناهم﴾ بتحريم ما حرمنا عليهم ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ بأنواع المعاصي.

﴿١١٩﴾ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة أي: الشرك ﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾ آمنوا وصدّقوا ﴿وأصلحوا﴾ قاموا بفرائض الله وانتهوا عن معاصيه ﴿إن ربك من بعدها﴾ من بعد تلك الجهالة ﴿لغفور رحيم﴾.

﴿١٢٠﴾ إن إبراهيم كان أمة مؤمناً وحده، والناس كلهم كفار ﴿قانتاً﴾ مطيعاً لله حنيفاً لأنه اختتن وقام بمناسك الحج، وقوله:

﴿١٢١﴾ وآتيناه في الدنيا حسنة يعني: الذكر والثناء الحسن في الناس كلهم ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ هذا ترغيب في الصلاح؛ ليصير صاحبه من جملة من منهم إبراهيم عليه السلام مع شرفه.

﴿١٢٣﴾ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً أمر باتّباعه في مناسك الحج، كما علّم جبريل عليه السلام إبراهيم عليه السلام.

﴿١٢٤﴾ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود، أمروا أن يتفرّغوا للعبادة

وَأَنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

في يوم الجمعة، فقالوا لا نريده، ونريد اليوم الذي فرغ الله سبحانه فيه من الخلق، واختاروا السَّبْتَ، ومعنى اختلفوا فيه، أي: على نبيهم حيث لم يطيعوه في أخذ الجمعة، فجعل السَّبْتَ عليهم، أي: غَلَطَ وضيَّق الأمر فيه عليهم.

﴿١٢٤﴾ ادع إلى سبيل ربك ﴿دين ربك﴾ بالحكمة ﴿بالتبوة﴾ والموعظة الحسنة ﴿يعني: مواعظ القرآن﴾ وجادلهم ﴿افتلهم عما هم عليه﴾ بالتتي هي أحسن ﴿بالكلمة اللينة﴾، وكان هذا قبل الأمر بالقتال. ﴿إن ربك هو أعلم...﴾ الآية. يقول: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما هو الصَّلاح.

﴿١٢٥﴾ وإن عاقبتم... الآية. نزلت حين نظر النبي ﷺ إلى حمزة وقد مُثِّل به، فقال: واللَّهِ لأُمَثِّلَنَّ سبعين منهم مكانك، فتزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات، فصبر النبي ﷺ وكفَّر عن يمينه، وأمسك عما أراد^(١). وقوله سبحانه: ﴿ولئن صبرتم﴾ أي: عن المجازاة بالمثلثة ﴿لهو﴾ أي: الصَّبر ﴿خير للصابرين﴾ ثم أمره بالصَّبر عزمًا، فقال:

﴿١٢٦﴾ واصبر وما صبرك إلا بالله ﴿أي: بتوفيقه ومعونته﴾ ولا تحزن عليهم ﴿على

(١) أخرجه المؤلف في أسباب النزول ص ٣٢٩ بسنده إلى ابن عباس، وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، اتهم بسرقة الحديث، وأخرجه البزار، وفيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. انظر تفسير ابن كثير ٥١٢/٢.

وَلَا تَلُكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

المشركين بإعراضهم عنك ﴿ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾ لا يضيق صدرك من مكرهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الفواحش والكبائر ﴿والذين هم محسنون﴾ في العمل بالنصرة والمعونة.

• • •

انتهى المجلد الأول
ويليه المجلد الثاني وفي بدايته تفسير
سورة الإسراء

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ

[مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾

الجزء الخامس عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سبحان الذي﴾ براءة له من الشؤء ﴿أسرى عبده﴾ سِرَّ مُحَمَّدًا عليه السَّلَام ﴿من المسجد الحرام﴾ يعني: مَكَّة، ومَكَّة كُلُّهَا مسجد ﴿إلى المسجد الأقصى﴾ وهو بيت المقدس، وقيل له الأقصى لبعُد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثَّمار والأنهار ﴿لنريه من آياتنا﴾ وهو ما أُرِي في تلك اللَّيلة من الآيات التي تدلُّ على قدرة الله سبحانه. ثمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ سبحانه أكرم موسى عليه السَّلَام أيضاً قبله بالكتاب، فقال:

﴿وآتينا موسى الكتاب﴾ التَّوْرَة ﴿وجعلناه هدىً لبني إسرائيل﴾ دللناهم به على الهدى ﴿ألا تتخذوا﴾ فقلنا: لا تتخذوا، و «أن» زائدة، والمعنى: لا تتوكلوا على غيري ولا تتخذوا من دوني ربًّا.

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُمْ كَانَتْ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلِتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَتْ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ

﴿ذرية﴾ يا ذرية ﴿مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ يعني: بني إسرائيل، وكانوا ذرية مَنْ كان في سفينة نوح عليه السَّلام، وفي هذا تذكيرٌ بالنَّعمة إذ أنجى آباءهم من الغرق، ثُمَّ أثنى على نُوحٍ، فقال: ﴿إِنَّه كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كان إذا أكل حمد الله، وإذا لبس ثوباً حمد الله.

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أوحينا إليهم وأعلمناهم في كتابهم ﴿لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ بالمعاصي وخلاف أحكام التَّوراة ﴿ولتعلنَّ علواً كبيراً﴾ لتتعظمنَّ ولتتبعنَّ.

﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: أوَّل مرَّة في الفساد ﴿بعثنا عليكم﴾ أرسلنا عليكم وسلطاناً ﴿عباداً لنا﴾ يعني: جالوت وقومه ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي قوَّةٍ شديدة ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ تردَّدوا وطافوا وسط منازلهم ليطلبوا مَنْ يقتلونهم ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قضاء قضاءه الله تعالى عليهم.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ نصرناكم، ورددنا الدَّولة لكم عليهم بقتل جالوت ﴿وأمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ حتى عاد أمركم كما كان ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أكثر عدداً من عدوكم.

﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ أي: وقلنا: إِنْ أَحْسَنْتُمْ ﴿أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ إِنْ أَطَعْتُمْ اللَّهَ فِيمَا بَقِيَ عفا عنكم المساوئ ﴿وإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم ﴿فلها﴾ فعليها يقع الوبال. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ المرَّة الأخيرة من إفسادكم وجواب «إذا» محذوف على تقدير: بعثناهم ﴿لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ وهو أَنَّهُ بعث عليهم بختنصر،

وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءُهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةً أَلَيْلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ

فسبى' وقتل وخرب، ومعنى' لِيُسُوْءُوا وجوهكم: ليخزوكم خزيًا يظهر أثره في وجوهكم، كسبي ذرايكم وإخراب مساجدكم ﴿وليتبروا ما علوا﴾ وليدروا ويخربوا ما غلبوا عليه.

﴿٨﴾ عسى ربكم ﴿وهذا أيضاً ممّا أخبروا به في كتابهم، والمعنى: لعل ربكم﴾ أن يرحمكم ﴿ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل.﴾ ﴿وإن عدتم﴾ بالمعصية ﴿عدنا﴾ بالعقوبة، هذا في الدنيا، وأمّا في الآخرة فقد ﴿جعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾ أي: سجنًا ومحبسًا.

﴿٩﴾ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴿يرشد إلى الحالة التي هي أعدل وأصوب، وهي توحيد الله تعالى والإيمان برسله﴾ ﴿ويبشر المؤمنين﴾ بأنَّ ﴿لهم أجراً كبيراً﴾ وأنَّ أعداءهم معذبون في الآخرة.

﴿١١﴾ وَيَدْعُو الْإِنْسَانَ... الآية. ربّما يدعو الإنسان على نفسه عند الغضب والضجر، وعلى ولده وأهله بما لا يحبُّ أن يستجاب له، كما يدعو لنفسه بالخير ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ يعجل في الدُّعاء بالشَّرِّ كعجلته في الدُّعاء بالخير.

﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴿علامتين تدلّان على قدرة خالقهما﴾ ﴿فمحونا﴾ طمسنا ﴿آية الليل﴾ نورها بما جعلنا فيها من السَّواد ﴿وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ مُضيئة يُبصر فيها ﴿لتبتغوا فضلاً من ربكم﴾ لتبصروا كيف تتصرّفون في أعمالكم ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ بمحو آية الليل، ولولا ذلك ما كان يُعرف

وَكُلَّ شَيْءٍ فَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَن أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ۖ وَكَفَىٰ لِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ

الليل من النهار، وكان لا يتبين العدد. ﴿وكل شيء﴾ ممَّا يُحتاج إليه ﴿ففضلناه تفصيلاً﴾ بيَّناه تبييناً لا يلتبس معه بغيره.

﴿١٣﴾ ﴿وكلَّ إنسان أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ كتبنا عليه ما يعمل من خيرٍ وشرٍّ ﴿ونخرج له﴾ ونُظهر له ﴿يوم القيامة﴾ صحيفة عمله منشورة.

﴿١٤﴾ ﴿أقرأ كتابك﴾ أي: يُقال له: اقرأ كتابك ﴿كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ مُحاسباً يقول: كفيَّت أنت في محاسبة نفسك.

﴿١٥﴾ ﴿مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِىٰ لِنَفْسِهِ﴾ ثواب اهتدائه لنفسه ﴿ومَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ على نفسه عقوبة ضلاله. ﴿ولا تزر وازرة وزر أُخرىٰ﴾ وذلك أنَّ الوليد بن المغيرة، قال: اتَّبَعُونِي وَأَنَا أَحْمِلُ أَوْزَارَكُمْ، فقال الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها ﴿وما كنا معذبين﴾ أحداً ﴿حتىٰ نبعث رسولاً﴾ يُبين له ما يجب عليه إقامة للحجَّة.

﴿١٦﴾ ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ أمرناهم على لسان رسولٍ بالطاعة، وعنى بالمترفين: الجبَّارين والمُسَلِّطين والملوك، وخصَّهم بالأمر لأنَّ غيرهم تبعٌ لهم. ﴿ففسقوا فيها﴾ أي: تمرَّدوا في كفرهم، والفسق في الكفر: الخروج إلىٰ أفحشه ﴿فحقَّ عليها القول﴾ وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها إهلاك استئصال.

﴿١٨﴾ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ﴾ بعمله وطاعته وإسلامه الدُّنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾

لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿١٩﴾ كَلَّا تُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

القدر الذي نشاء ﴿لمن نريد﴾ أن نعجل له شيئاً، ثم يدخل النار في الآخرة ﴿مذموماً﴾ ملوماً ﴿مدحوراً﴾ مطروداً لأنه لم يرد الله سبحانه بعمله.

﴿١٩﴾ ﴿ومن أراد الآخرة﴾ الجنة ﴿وسعى لها سعيها﴾ عمل بفرائض الله ﴿وهو مؤمن﴾ لأن الله سبحانه لا يقبل حسنة إلا من مؤمن ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ تضاعف لهم الحسنات.

﴿٢٠﴾ ﴿كلّا﴾ من الفريقين ﴿نمدّ﴾ نزيد، ثم ذكرهما فقال: ﴿هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾ يعني: الدنيا، وهي مقسومة بين البرّ والفاجر ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ممنوعاً في الدنيا من المؤمنين والكافرين، ثم يختص المؤمنين في الآخرة.

﴿٢١﴾ ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرزق، فمن مقلّ ومكثر ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من الدنيا؛ لأن درجات الجنة يقتسمونها على قدر أعمالهم.

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجعل﴾ أيها الإنسان المخاطب ﴿مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً﴾ ملوماً ﴿مخذولاً﴾ لا ناصر لك.

﴿٢٣﴾ ﴿وقضى﴾ وأمر ﴿ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً﴾ وأمر إحساناً بالوالدين ﴿إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ يقول: إن عاش أحد

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنْ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

والديك حتى يشيب ويكبر، أو هما جميعاً ﴿فلا تقل لهما أف﴾ [لا تقل لهما] (١) رديئاً من الكلام، ولا تستقلن شيئاً من أمرهما ﴿ولا تنهرهما﴾ لا تؤاوجهما بكلامٍ تزرجهما به ﴿وقل لهما قولاً كريماً﴾ ليئاً لطيفاً.

﴿واخفض لهما جناح الذل﴾ ألن لهما جانبك واخضع لهما ﴿من الرحمة﴾ أي: من رقتك عليهما وشفقتك ﴿وقل ربّ ارحمهما كما ربياني﴾ مثل رحمتها إِيَّاي في صغري حتى ربّاني ﴿صغيراً﴾.

﴿ربكم أعلم بما في نفوسكم﴾ بما تُضمرون من البرِّ والعقوق ﴿إن تكونوا صالحين﴾ طائعين لله ﴿فإنه كان للأوابين﴾ الراجعين عن معاصي الله تعالى ﴿غفوراً﴾ يغفر لهم ما بدر منهم، وهذا فيمن بدرت منه بادرة وهو لا يُضمّر عقوقاً، فإذا رجع عن ذلك غفر الله له، ثمّ أنزل في برِّ الأقارب وصلة أرحامهم بالإحسان إليهم قوله:

﴿وآت ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل﴾ ممّا جعل الله لهما من الحق في المال ﴿ولا تبذر تبذيراً﴾ يقول: لا تنفق في غير الحق.

﴿إنّ المبذرين﴾ المنفقين في غير طاعة الله ﴿كانوا إخوان الشياطين﴾ لأنهم يؤافقونهم فيما يأمرونهم به، ثمّ ذمّ الشيطان بقوله: ﴿وكان الشيطان لربه كفوراً﴾ جاحداً لنعم الله، وهذا يتضمّن أنّ المُنفق في السَّرف كفور.

وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنََّّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ «وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ...» الآية. كان النبي ﷺ إذا سأله فقراء الصَّحابة ولم يكن عنده ما يعطيهم أعرض عنهم حياةً منهم، وسكت، وهو قوله: «وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ» انتظار الرِّزْق من الله تعالى يأتيك «فقل لهم قولًا ميسورًا» لئِنَّا سهلاً، وكان إذا سُئِلَ ولم يكن عنده ما يُعْطِي قال: يرزقنا الله وإيَّاكم من فضله^(١).

﴿٢٩﴾ «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» لا تُمَسِّكها عن البذل كُلَّ الإِمْسَاكِ حَتَّىٰ كَأَنَّهَا مقبوضة إلى عُنُقِكَ لا تَبْسُطْ بِخَيْرٍ «وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» في التَّفَقُّةِ وَالْعَطِيَّةِ «فَتَقْعُدَ مَلُومًا» تَلُومُ نَفْسَكَ وَتُلَامُ «مَحْسُورًا» ليس عندك شيء، من قولهم: حَسَرْتُ الرَّجُلَ بِالسَّأَلِ: إِذَا أَفْنَيْتَ جَمِيعَ مَا عِنْدَهُ. نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ حِينَ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَمِيصَهُ، وَلَمْ يَجِدْ مَا يَلْبَسُهُ لِلخُرُوجِ، فَبَقِيَ فِي الْبَيْتِ^(٢).

﴿٣٠﴾ «إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» يُوسِّعُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ، وَيُضَيِّقُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» حَيْثُ أَجْرِي رِزْقَهُمْ عَلَىٰ مَا عَلِمَ فِيهِ صِلَاحَهُمْ. ﴿٣١﴾ «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ» سَبَقَ تَفْسِيرُهُ فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ^(٣). وَقَوْلُهُ: «خِطْئًا» أَيُّ: إِثْمًا.

(١) أخرجه ابن جرير ٧٥/١٥ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه المؤلف في الأسباب ص ٣٣٢ عن عبد الله بن مسعود، وفيه سليمان بن سفيان، وهو ضعيف، وقيس بن الربيع، صدوقٌ تغيَّرَ لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدَّث به. انظر: تقريب التهذيب ص ٢٥١ وص ٤٥٧.

(٣) انظر ص ٣٨١ - ٣٨٢.

وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّكُمْ كَانُمْ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴿بكفر بعد إسلام، أو زنا بعد إحصان،
أو قتل نفس بتعمد ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ أي: بغير إحدى هذه الخصال ﴿فقد جعلنا
لوليّه﴾ وارثه ﴿سلطاناً﴾ حجة في قتل القاتل إن شاء، أو أخذ الدية، أو العفو
﴿فلا يسرف في القتل﴾ فلا يتجاوز ما حدّ له، وهو أن يقتل بالواحد اثنين، أو غير
القاتل ممن هو من قبيلة القاتل، كفعل العرب في الجاهلية. ﴿إنّه﴾ إنّ الوليّ
﴿كان منصوراً﴾ بقتل قاتل وليّه والاقتصاص منه. وقيل: ﴿إنّه﴾ إنّ المقتول ظلماً
﴿كان منصوراً﴾ في الدنيا بقتل قاتله، وفي الآخرة بالثواب.

﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿يعني: الأكل بالمعروف، وذكرنا هذا
في سورة الأنعام^(١). ﴿وأوفوا بالعهد﴾ وهو كلّ ما أمر به ونهى عنه ﴿إنّ العهد
كان مسؤولاً﴾ عنه.

﴿٣٥﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿أتموه﴾ إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ﴿بأقوم الموازين
﴿ذلك خير﴾ أقرب إلى الله تعالى ﴿وأحسن تأويلاً﴾ عاقبة.

﴿٣٦﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴿لا تقولن في شيء بما لا تعلم ﴿إنّ السمع والبصر
والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾ أي: يسأل الله العباد فيم استعملوا هذه
الحواس.

وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ وَأَتَّخَذَ مِنَ الْمَلَكَةِ إِنْسَانًا إِنَّكُمْ لَنَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أُبْشِرُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ

﴿٣٧﴾ «ولا تمش في الأرض مرحاً» أي: بالكبر والفخر «إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ» لن تثقبها حتى تبلغ آخرها، ولا تطاول الجبال، والمعنى: إِنَّ قُدْرَتَكَ لَا تَبْلُغُ هَذَا الْمَبْلَغَ، فيكون ذلك وصلةً إلى الاختيال. يريد: إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاجِزِ أَنْ يَبْذُخَ وَيَسْتَكْبِرَ.

﴿٣٨﴾ «كُلُّ ذَلِكَ» إشارة إلى جميع ما تقدّم ذكره ممّا أمر به ونهى عنه «كَانَ سَيِّئُهُ» وهو ما حَرَّمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَنَهَى عَنْهُ.

﴿٣٩﴾ «ذَلِكَ» يعني: ما تقدّم ذكره «مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ» من القرآن ومواعظه وباقي الآية مفسّر في هذه الشّورة. ثُمَّ نَزَلَ فِيمَنْ قَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ:

﴿٤٠﴾ «أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَيْنِ» أي: آثركم وأخلص لكم البنين دونه، وجعل لنفسه البنات «إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا».

﴿٤١﴾ «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا» بَيَّنَّا «فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» يوجب الاعتبار به، والتّفكّر فيه «لِيَذَكَّرُوا» لِيَتَعَذَّبُوا وَيَتَذَبَّرُوا «وَمَا يَزِيدُهُمْ» ذَلِكَ الْبَيَانُ وَالتَّصْرِيفُ «إِلَّا نُفُورًا» مِنَ الْحَقِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا أَنَّهَا شُبَّةٌ وَحِيلٌ، فَنفروا منها أَشَدَّ النُّفُورِ.

﴿٤٢﴾ «قُلْ» لِلْمُشْرِكِينَ: «لَوْ كَانَ مَعَهُ» مَعَ اللَّهِ «آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أُبْشِرُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» إِذَا لَا تَبْتَغِ الْآلِهَةُ أَنْ تَزِيلَ مَلِكَ صَاحِبِ الْعَرْشِ.

﴿٤٣﴾ «تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ...» الآية. المراد بالتسبيح في هذه الآية الدّلالة على أَنَّ اللَّهَ

وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾

سبحانه خالقٌ حكيمٌ مبرراً من الأسواء، والمخلوقون والمخلوقات كلها تدلُّ على هذا. وقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ مخاطبة للكفار؛ لأنهم لا يستدلون ولا يعتبرون.

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ...﴾ الآية. نزلت في قوم كانوا يؤذون النَّبِيَّ ﷺ إذا قرأ القرآن، فحجبه الله تعالى عن أعينهم عند قراءة القرآن، حتى كانوا يمرُّون به ولا يرونه^(١). وقوله: ﴿مستورا﴾ معناه: ساتراً.

﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ سبق تفسيره في سورة الأنعام^(٢). ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ قلت: لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن ﴿ولوا على أذبارهم نفورا﴾ أعرضوا عنك نافرين.

﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ نزلت حين دعا عليٌّ رضي الله عنه أشراف قريش إلى طعام اتَّخَذَهُ لَهُمْ، ودخل عليهم النَّبِيُّ ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله سبحانه، وهم يقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحرٌ، وهو مسحورٌ، فأنزل الله تعالى: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ أي: يستمعونه. أخبر الله سبحانه أنه عالمٌ بتلك الحال، وبذلك الذين كان يستمعونه ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ﴾ إلى الرَّسُولِ ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى﴾ يتناجون بينهم بالكذب والاستهزاء ﴿إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ المشركون: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ﴾ ما تتبعون ﴿إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعاً أن اتَّبعتموه.

(١) وهذا قول ابن شهاب الزهري. أخرجه ابن إسحاق وابن المنذر. الدر المنثور ٥/٢٩٧.

(٢) انظر ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفْنًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْجُدُ لِأَيْدِيكُمْ يُدْخِلُ أُولَئِكَ الْمَكْنَئِزَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

﴿٤٨﴾ انظر كيف ضربوا لك الأمثال ﴿بيّنوا لك الأشباه حين شبّهوك بالسّاحر والكاهن والشّاعر﴾ ﴿فضلوا﴾ بذلك عن طريق الحقّ ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ مخرجاً.

﴿٤٩﴾ وقالوا إذا كنا عظاماً ﴿بعد الموت﴾ ورفناً ﴿وتراباً﴾ أنبعث ونخلق خلقاً جديداً؟

﴿٥٠﴾ قل كونوا حجارة أو حديداً... الآية. معناها يقول: قدّروا أنكم لو خلقتم من حجارة أو حديد، أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم لأماتكم الله، ثمّ أحياكم؛ لأنّ القدرة التي بها أنشأكم بها يُعيدكم، وهذا معنى قوله: ﴿فسيقولون من يُعيدنا قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرّة فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يُحرّكونها تكديباً لهذا القول ﴿ويقولون متى هو﴾؟ أي: الإعادة والبعث ﴿قل عسى أن يكون قريباً﴾ يعني: هو قريب.

﴿٥١﴾ يوم يدعوكم ﴿بالنداء الذي يُسمعكم﴾ وهو التّفخة الأخيرة ﴿فتسجدون﴾ تسجدون ﴿بحمده﴾ وهو أنّهم يخرجون من القبور يقولون: سبحانك وبحمدك، حمدوا حين لا ينفعهم الحمد ﴿وتظنون إن لبثتم إلّا قليلاً﴾ استقصروا مدّة لبثهم في الدُّنيا، أو في البرزخ مع ما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة.

﴿٥٢﴾ ﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين: ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ نزلت حين شكّا أصحاب النّبِيِّ ﷺ إليه أذى المشركين، واستأذنوه في قتالهم، ف قيل له: قل لهم: يقولوا

إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿٥٣﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنْ يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

للكفار الكلمة التي هي أحسن^(١)، وهو أن يقولوا: يهديكم الله. ﴿إن الشيطان هو الذي يفسد بينهم.

﴿٥٤﴾ ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم ﴿يُوفِّقْكُمْ فتؤمنوا ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بأن يميّتكم على الكفر ﴿وما أرسَلْنَاكَ عليهم وكيلاً﴾ ما وكل إليك إيمانهم، فليس عليك إلا التبليغ.

﴿٥٥﴾ وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾ لأنّه هو خالقهم ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ عن علم بشأنهم، ومعنى تفضيل بعضهم على بعض: تخصيص كل واحد منهم بفضيلة دون الآخر ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ أي: فلا تنكروا تفضيل محمد عليه السلام، وإعطاءه القرآن، فقد جرت سنتنا بهذا في النبيين.

﴿٥٦﴾ قل ادعوا الذين زعمتم... الآية. ابتلى الله سبحانه قريشاً بالقحط سنين، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ ادّعيتم أنّهم آلهة ﴿من دونه﴾ ثم أخبر عن الآلهة فقال: ﴿فلا يملكون كشف الضر﴾ يعني: البؤس والشدة ﴿عنكم ولا تحويلاً﴾ من السقم والفقر إلى الصحة والغنى. ثم ذكر أولياءه فقال:

﴿٥٧﴾ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة^(٢) يتضرعون إلى الله تعالى في

(١) وهذا قول الكلبي، في الأسباب ص ٣٣٣.

(٢) عن ابن مسعود في الآية قال: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، فاستمسك الآخرون بعبادتهم، فترلت: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٣٩٨/٨؛ ومسلم في التفسير برقم ٣٠٣٠.

إِيَّاهُمْ أَقْرَبَ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْفِكَمَةٍ أَوْ مَعَذِبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَاءَ الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي

طلب الجنة ﴿إِيَّاهُمْ﴾ هو ﴿أقرب﴾ إلى رحمة الله سبحانه يتغنى الوسيلة إليه بصالح الأعمال.

﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ...﴾ الآية. أي: وما من أهل قرية إلا ستهلك؛ إمّا بموت؛ وإمّا بعذاب يستأصلهم، إمّا الصّالحة بالموت، وإمّا الطّالحة فبالعذاب. ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ مكتوباً في اللّوح المحفوظ.

﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ لَمَّا سَأَلَ الْمُشْرِكُونَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يُوسِّعَ لَهُمْ مَكَّةَ، وَيَجْعَلَ الصَّافَا ذَهَبًا أَنَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: إِنْ شِئْتَ كَانَ مَا سَأَلُوا، وَلَكِنَّهُمْ إِنْ لَمْ يَؤْمِنُوا لَمْ يُنْظَرُوا، وَإِنْ شِئْتَ اسْتَأْنَيْتَ بِهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ (١)، وَمَعْنَاهَا: أَنَّا لَمْ نُرْسِلْ بِالْآيَاتِ لَثَلَا يُكَذِّبُ بِهَا هَؤُلَاءِ، كَمَا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَيَسْتَحِقُّوا الْمَعَاجِلَةَ بِالْعُقُوبَةِ. ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ آيَةً مُضِئَةً بَيِّنَةً ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ جَحَدُوا أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ أَي: الْعِبَرِ وَالذَّلَالَاتِ ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ لِلْعِبَادِ لَعَلَّهُمْ يَخَافُونَ الْقَادِرَ عَلَى مَا يَشَاءُ.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أَي: فَهَمُ فِي قَبْضَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، يَمْنَعُكَ مِنْهُمْ حَتَّى تَبْلُغَ الرِّسَالَةَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكَ. ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ يَعْنِي: مَا أَرَى لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَكَانَتْ رُؤْيَا يَقْظَةٍ. ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي

(١) وهذا قول ابن عباس، أخرجه النسائي في تفسيره ٦٥٥/١ بسند صحيح؛ وأحمد ٢٥٨/١؛ وابن جرير ١٥/١٠٨؛ والواحدي في الأسباب ص ٣٣٣؛ والحاكم ٢/٣٦٠.

الْقُرْآنَ وَخَوْفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَاسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ

القرآن ﴿ وهي شجرة الرِّقْم ﴾ ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ فكانت الفتنة في الرؤيا أن بعضهم ارتدَّ حين أعلمهم بقصة الإسراء، وازداد الكفار تكذيباً، وكانت الفتنة في الرِّقْم أنهم قالوا: إنَّ محمداً يزعم أنَّ في النار شجراً، والنَّار تأكل الشَّجر، وقالوا: لا نعلم الرِّقْم إلاَّ الثَّمر والزُّبد، فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾^(١) الآيات ﴿ونخوفهم﴾ بالرِّقْم فما يزدادون إلاَّ كبراً وعتوًّا.

﴿٦٠﴾ قال ﴿يعني: إبليس ﴿أرايتك﴾ أي: أرايت، والكاف توكيدٌ للمخاطبة ﴿هذا الذي كَرَّمْتَ عليّ﴾ فضَّلته. يعني: آدم عليه السَّلام ﴿لئن أَخَّرْتَنِ إلى يوم القيامة لأحتنكنَّ ذريته﴾ لأستأصلنَّهم بالإغواء ولأستولينَّ عليهم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يعني: ممَّن عصمه الله تعالى.

﴿٦٣﴾ قال ﴿الله: ﴿أذهب﴾ إِنِّي أنظرتك إلى يوم القيامة ﴿فمن تبعك﴾ أطاعك ﴿منهم﴾ من ذُرِّيَّتِهِ ﴿فإنَّ جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾ وافراً.

﴿٦٤﴾ واستغفر من استطعت منهم أي: أزعجه واستخفَّه إلى إيجابتك ﴿بصوتك﴾ وهو الغناء والمزامير ﴿وأجلب عليهم﴾ وصحَّ ﴿بخيلك ورجلك﴾ واحشهم عليهم بالإغواء، وخيله: كلُّ ركبٍ في معصية الله سبحانه وتعالى، ورجله: كلُّ ماشٍ على رجله في معصية الله تعالى ﴿وشاركهم في الأموال﴾ وهو كلُّ ما أخذ بغير حقٍّ ﴿والأولاد﴾ وهو كلُّ ولد زنا ﴿وعدهم﴾ أن لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا

وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٢٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ
 وَكِيلًا ﴿٢٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفَلَكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّكُمْ كَأَنْتُمْ بِكُمْ
 رَحِيمًا ﴿٢٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ
 الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِّفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا
 لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٢٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ
 بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿٢٩﴾

حساب، وهذه الأنواع من الأمر كلها أمر تهديد. قال الله تعالى: ﴿وما يعدهم
 الشيطان إلا غرورًا﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ يعني: المؤمنين ﴿ليس لك عليهم سلطان﴾ حجة في الشرك ﴿وكفىٰ
 بربك وكيلًا﴾ لأوليائه يعصمهم من القبول من إبليس.

﴿٢٦﴾ ﴿ربكم الذي يزجي﴾ يسير ﴿لكم الفلك في البحر ليتبعوا من فضله﴾ في طلب
 التجارة ﴿إنه كان بكم﴾ بالمؤمنين ﴿رحيمًا﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿وإذا مسكم الضر﴾ خوف الغرق ﴿في البحر ضلَّ﴾ زال وبطل ﴿من تدعون﴾ من
 الآلهة ﴿إلا إياه﴾ إلا الله ﴿فلما نجاكم﴾ من الغرق وأخرجكم ﴿إلى البر أعرضتم﴾
 عن الإيمان والتوحيد ﴿وكان الإنسان﴾ الكافر لربه ﴿كفورًا﴾ لنعمة ربه جاحداً،
 ثم بين أنه قادر أن يهلكهم في البر، فقال:

﴿٢٨﴾ ﴿أفأمنتم﴾ يريد: حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر ﴿أن يخسف بكم﴾
 يُغيبكم ويذهبكم في ﴿جانب البر﴾ وهو الأرض ﴿أو يرسل عليكم حاصبًا﴾ عذاباً
 يحصبهم، أي: يرميهم بحجارة ﴿ثم لا تجدوا لكم وكيلًا﴾ مانعاً ولا ناصرًا.

﴿٢٩﴾ ﴿أم أمنت أن يعيدكم﴾ في البحر ﴿تارة﴾ مرة ﴿أخرى فيرسل عليكم قاصفا﴾ ريحاً
 شديدة تقصف الفلك وتكسره ﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾ بكفركم حيث سلمتم المرة
 الأولى ﴿ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا﴾ ثائراً ولا ناصرًا، والمعنى: لا تجدوا من
 يتبعنا بإنكار ما نزل بكم.

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ فَمَنْ أُوِّيَ كِتَابُهُ يَمِينُهُ فَاُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابُهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ ﴿٧١﴾ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ كَادُوا

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضّلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعقل والنطق والتّمييز ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَيْلِ﴾ على الإبل والخيّل والبغال والحمير ﴿وَالْبَحْرِ﴾ في البحر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الثّمار والحبوب والمواشي والسّمْن والزّبَد والحلاوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ يعني: البهائم والدّوابّ والوحوش.

﴿يَوْمَ نَدْعُوا﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْئِهِمْ﴾ بنبئهم، وهو أن يقال: هاتوا مُتَّبِعِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، هاتوا مُتَّبِعِي مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، هاتوا مُتَّبِعِي مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَام، فيقوم أهل الحقّ فيأخذون كتبهم بأيّمانهم، ثمّ يقال: هاتوا مُتَّبِعِي الشَّيْطَانِ، هاتوا مُتَّبِعِي رُؤَسَاءِ الضَّلَالَةِ، وهذا معنى قول ابن عباس: إمام هدى وإمام ضلالة ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ﴾ ولا ينقصون ﴿فَتِيلًا﴾ من الثّواب، وهي القشرة التي في شقّ النّواة.

﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ في الدّنيا أعمى القلب عمّا يرى من قدرتي في خلق السّماء والأرض والشمس والقمر وغيرهما ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ﴾ في أمر الآخرة ممّا يغيب عنه ﴿أَعْمَى﴾ أشدّ عمى ﴿وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وأبعد حجّة.

﴿وَإِنْ كَادُوا...﴾ الآية. نزلت في وفد ثقيف^(١) أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: متّعنا باللات سنة، وحرّم وادينا كما حرّمت مكّة؛ فإنّا نحبّ أن نعرف العرب فضلنا عليهم، فإنّ خشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرني بذلك،

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن الجارود في المنتقى ص ١٠١ ورجاله ثقات؛ وابن جرير ١٣٠/١٥؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٣٥.

لَيْفَتْنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ
ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ
الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِنْ كَادُوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ
مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

وأقبلوا يلحون على النبي ﷺ، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وقد همَّ أَنْ يعطيهم
ذلك، فأنزل الله: ﴿وإن كادوا﴾ همُّوا وقاربوا ﴿ليفتنونك﴾ ليستزلونك ﴿عن الذي
أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن، والمعنى: عن حكمه، وذلك أَنَّ في إعطائهم
ما سألوا مخالفةً لحكم القرآن ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أي: لتختلق علينا أشياء غير
ما أوحينا إليك، وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك. ﴿وإذا﴾ لو فعلت ما أرادوا
﴿لا تخذوك خليلًا﴾.

﴿٧٤﴾ ولولا أن ثبتناك ﴿على الحق بعصمتنا إياك﴾ لقد كدت تركن ﴿تميل﴾ إليهم
شئناً ركوناً ﴿قليلًا﴾، ثم توعد على ذلك لو فعله فقال:

﴿٧٥﴾ إذا لَأَذَقْنَاكَ ضعف الحياة ﴿ضعف عذاب الدنيا﴾ وضعف الممات ﴿وضعف
عذاب الآخرة﴾. يعني: ضعف ما يعذب به غيره.

﴿٧٦﴾ وإن كادوا لَيْسْتَغْفِرُونَكَ ﴿يعني: اليهود﴾ قالوا للنبي ﷺ: ﴿١﴾: إنَّ الأنبياء بُعثوا
بالشَّام، فإن كنت نبيّاً فالحق بها، فإنك إن خرجت إليها آمناً بك، فوقع ذلك في
قلبه لحبِّ إيمانهم، فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية، ومعنى لَيْسْتَغْفِرُونَكَ:
ليزعجونك ﴿من الأرض﴾ يعني: المدينة ﴿وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً﴾ أعلم
الله سبحانه أنَّهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا حتى يستأصلوا، كسَّتنا فيمن قبلهم، وهو
قوله:

(١) أخرجه المؤلف في الأسباب ص ٣٣٦ عن ابن عباس؛ وابن جرير في التفسير ١٣٢/١٥ عن
حزرمي؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٢٥٤/٥ عن عبد الرحمن بن غنم.

سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ، نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي

﴿سنة من قد أرسلنا قبلك...﴾ الآية. يقول: لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه إلا أهلکوا. ﴿ولا تجد لسننتنا تحويلا﴾ لا خُلف لسنّتي، ولا يقدر أحد أن يقلبها.

﴿اقم الصلاة﴾ أي: أدمها ﴿لذلولك الشمس﴾ من وقت زوالها ﴿إلى غسق الليل﴾ إقباله بظلامه، فيدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والعشاءين ﴿وقرآن الفجر﴾ يعني: صلاة الفجر، سمّاها قرآنا لأنّ الصّلاة لا تصحّ إلا بقراءة القرآن. ﴿إنّ قرآن الفجر كان مشهودا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار.

﴿ومن الليل فتهجد﴾ فصل ﴿به﴾ بالقرآن ﴿نافلة لك﴾ زيادة لك في الدّرجات؛ لأنه غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فما عمل من عملٍ سوى المكتوبة فهو نافلة له، من أجل أنّه لا يعمل ذلك في كفارة الذّنوب ﴿عسى أن يبعثك ربك﴾ «عسى» من الله واجب، ومعنى يبعثك ربك: يقيمك ربك في مقام محمود، وهو مقام الشّفاعَة^(١) يحمده فيه الخلق.

﴿وقل ربّ أدخلني﴾ لمّا أمر النّبِيّ ﷺ بالهجرة أنزلت عليه هذه الآية^(٢)،

(١) عن ابن عمر قال: إنّ الناس يصيرون يوم القيامة جثى، كلّ أمة تتبع نبيّها، يقولون: يا فلان اشفع، حتّى تنتهي الشّفاعَة إلى النّبِيّ ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٣٩٩/٨.

(٢) عن ابن عباس قال: كان النّبِيّ ﷺ بمكة أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل ربّ أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾. أخرجه الترمذي في التفسير، برقم ٣١٣٨، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند ٢٢٣/١، وفي سننه قابوس بن أبي ظبيان، قال ابن حجر في التقريب ص ٤٤٩: لَيْنٌ، والبيهقي في الدلائل ٢٥٥/٥.

مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا ﴿٨٣﴾

ومعناها: أدخلني المدينة إدخال صدق، أي: إدخالاً حسناً لا أرى فيه ما أكره ﴿وأخرجني﴾ من مكة إخراج صدق لا ألقت إليها بقلبي ﴿واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً﴾ قوة القدرة والحجة حتى أقيم بهما دينك.

﴿وقل جاء الحق﴾ الإسلام ﴿وزهق الباطل﴾ واضمحلَّ الشُّرك ﴿إن الباطل﴾ الشُّرك ﴿كان زهوقاً﴾ مضمحلاً زائلاً. أمر النبي ﷺ أن يقول هذا عند دخول مكة يوم الفتح (١).

﴿وننزل من القرآن﴾ أي: من الجنس الذي هو قرآن ﴿ما هو شفاء﴾ من كلِّ داء؛ لأنَّ الله تعالى يدفع به كثيراً من المكاره ﴿ورحمةً للمؤمنين﴾ ثوابٌ لا انقطاع له في تلاوته ﴿ولا يزيد﴾ القرآن ﴿الظالمين﴾ المشركين ﴿إلا خساراً﴾ لأنَّهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾ يريد: الوليد بن المغيرة ﴿أعرض﴾ عن الدُّعاء والابتهاال، فلا يبتهل كابتهااله في البلاء والمحنة ﴿ونأى بجانبه﴾ بُعد بنفسه عن القيام بحقوق نعم الله تعالى ﴿وإذا مسه الشر﴾ أصابه المرض والفقر ﴿كان يئوساً﴾ يائساً عن الخير ومن رحمة الله سبحانه؛ لأنَّه لا يثق بفضل الله تعالى على عباده.

(١) عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصْب، فجعل يطعن بها بعود في يده، ويقول: «جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً». «جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد». أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٤٠٠، ومسلم في الجهاد والسير برقم ١٧٨١، والنسائي في التفسير ١/٤٠١.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿٨٤﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴿﴾ على مذهبه وطريقته، فالكافر يعمل ما يشبه طريقته
من الإعراض عند الإنعام، واليأس عند المشدّة، والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من
الشكر عند الرِّخاء، والصَّبْر والاحتساب عند البلاء، ألا ترى أنّه قال: ﴿فربكم
أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾ أي: بالمؤمن الذي لا يُعرض عند النّعمة ولا ييئس
عند المحنة.

﴿٨٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ ﴿﴾ يعني: اليهود^(١) ﴿عن الروح﴾ والروح: ما يحيا به البدن، سألوه
عن ذلك وحقيقته وكيفيته، وموضعه من البدن، وذلك ما لم يُخبر الله سبحانه به
أحدًا، ولم يُعط علمه أحدًا من عباده، فقال: ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ أي: من
علم ربّي، أي: إنكم لا تعلمونه. وقيل: من خلق ربّي، أي: إنّهُ مخلوقٌ له.
﴿وما أُوتيتُمْ من العلم إِلَّا قَلِيلًا﴾ وكانت اليهود تدّعي علم كل شيء بما في
كتابهم، فقيل لهم: وما أُوتيتُمْ من العلم إِلَّا قَلِيلًا بالإضافة إلى علم الله تعالى.

﴿٨٦﴾ وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴿﴾ لنمحوّته من القلوب ومن الكتب حتّى
لا يوجد له أثر ﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾ لا تجد مَنْ تتوكّل عليه في ردّ
شيءٍ منه.

(١) عن ابن مسعود قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ - وهو يتوكأ على عسيب - مرّ بنقَر من اليهود،
فقال بعضهم: سلوه عن الرُّوح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه
فقالوا: يا أبا القاسم حدّثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنّه يوحى إليه فتأخّرت حتّى
صعد الوحي، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أُوتيتُمْ من العلم إِلَّا
قَلِيلًا﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٤٠١/٨، ومسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩٤،
والنسائي في التفسير ٦٧٠/١.

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِن فَضَّلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا ﴿٨٧﴾ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بَالَهُ الْمَلَائِكَةُ فَيَلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ

﴿٨٧﴾ ﴿إِلَّا رحمة من ربك﴾ لكنَّ الله رحمتك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين ﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾ حيث جعلك سيِّد ولدِ آدم، وأعطاك المقام المحمود.

﴿٨٨﴾ ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن...﴾ الآية. لَمَّا تحدَّاهم رسول الله ﷺ بالقرآن وعجزوا عن معارضته أنزل الله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في نظمه وبلاغته ﴿لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ مُعِيناً مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه.

﴿٨٩﴾ ﴿ولقد صرَّفنا﴾ بَيَّنَّا ﴿للناس في هذا القرآن﴾ لأهل مَكَّة ﴿من كلِّ مثل﴾ من الأمثال التي يجب بها الاعتبار ﴿فأبى أكثر الناس﴾ أكثر أهل مَكَّة ﴿إلا كُفُوراً﴾ جحوداً للحقِّ، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله تعالى:

﴿٩٠﴾ ﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾ لن نصدِّقك ﴿حتى تفجر﴾ تشق ﴿لنا من الأرض ينبوعاً﴾ عينا من الماء، وذلك أنَّهم سألوه أن يجري لهم نهراً كأنهار الشَّام والعراق.

﴿٩١﴾ ﴿أو تكون لك جنة...﴾ الآية. هذا أيضاً كان فيما اقترحوا عليه.

﴿٩٢﴾ ﴿أو تسقط السماء كما زعمت﴾ أنَّ ربَّكَ إن شاء فعل ذلك ﴿كسفاً﴾ أي: قطعاً ﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾ تأتي بهم حتى نراهم مقابلةً وعياناً.

﴿٩٣﴾ ﴿أو يكون لك بيتٌ من زخرف﴾ من ذهب، فكان فيما اقترحوا عليه أن يكون له جنَّات وكنوز وقصورٌ من ذهبٍ ﴿أو ترقى في السماء﴾ وذلك أن عبد الله بن

وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرُفِيقِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾
 وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي
 الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ
 كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ
 الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًا
 وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

أبي أمية قال: لا أؤمن بك يا محمد أبداً حتى تتخذ سلماً إلى السماء، ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها، وتأتي بنسخة منشورة معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، فقال الله سبحانه: ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا﴾ أي: إن هذه الأشياء ليس في قوى البشر.

﴿وما منع الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿أن يؤمنوا﴾ أي: الإيمان ﴿إذ جاءهم الهدى﴾ البيان، وهو القرآن ﴿إلا أن قالوا﴾ إلا قولهم في التعجب والإنكار: ﴿أبعث الله بشراً رسولا﴾ أي: هلاً بعث ملكاً، فقال الله تعالى:

﴿قل لو كان في الأرض بدل آدميين﴾ ملائكة يمشون مطمئنين ﴿مستوطنين الأرض﴾ لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً يريد: إن الأبلغ في الأداء إليهم بشرٌ مثلهم، وقوله تعالى:

﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً﴾ يمشيهم الله سبحانه على وجوههم عمياً لا يرون شيئاً يسرهم ﴿وبكماً﴾^(١) لا ينطقون بحجة ﴿وصماً﴾ لا يسمعون شيئاً يسرهم ﴿كلما خبت﴾ أي: سكن لهاها ﴿زدناهم سعيراً﴾ ناراً تتسعر.

(١) في المخطوطات كلها تقديم «وصماً» على قوله: «وبكماً».

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَّتْنَا أَلَمْ نَلْمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾
 ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا
 لَا رَيْبَ فِيهِ فَإِنَّ الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا﴾ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ
 خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَنَسِيَ نِسْيَ إِسْرَائِيلَ
 إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا
 رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ

﴿٩٨﴾ ذلك جزاؤهم ﴿ هذه الآية مفسرة في هذه السورة (١) .

﴿٩٩﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ أولم يعلموا ﴿ أَنَّ الله الذي خلق السموات والأرض قادرٌ على أن
 يخلق مثلهم ﴾ أي: يخلقهم ثانيًا، وأراد بـ ﴿مثلهم﴾ إيّاهم، وتمّ الكلام، ثم قال:
 ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ يعني: أجل الموت وأجل القيامة ﴿فأبى﴾
 الظالمون ﴿المشركون﴾ ﴿إلا كفوراً﴾ جحوداً بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة.

﴿١٠٠﴾ ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ خزائن الرزق ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ﴾ لبعثتم
 ﴿خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ أن تنفقوا فتفتقروا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ بخيلاً، ثم ذكر قصة
 موسى عليه السلام وما آتاه من الآيات وإنكار فرعون ذلك، فقال:

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ وهي العصا واليد، وفلق البحر، والطمسة،
 وهي قوله: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ (٢)، والطوفان، والجراد، والقمل،
 والضفادع، والدم ﴿فاسأل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ المؤمنين من قريظة والنضير
 ﴿إِذْ جَاءَهُمْ﴾ يعني: جاء آبائهم، وهذا سؤال استشهاد ليعرف اليهود صحة
 ما يقول محمد عليه السلام بقول علمائهم ﴿فقال له فرعون: إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى
 مَسْحُورًا﴾ ساحراً فقال موسى عليه السلام:

﴿١٠٢﴾ ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ عبراً

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَفِرْعَوْتُ مَثْبُورًا ﴿١١٧﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١١٨﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ أَسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١١٩﴾ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلٌ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٢٠﴾ وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٢١﴾ قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٢٢﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٢٣﴾

ودلائل ﴿وإني لأظنك﴾ لأعلمك ﴿يا فرعون مثبوراً﴾ ملعوناً مطروداً.

﴿١١٣﴾ ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ يخرجهم، يعني: موسى وقومه ﴿من الأرض﴾ أرض مصر. وقوله:

﴿١١٨﴾ ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يريد: يوم القيامة. ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ مجتمعين مختلطين.

﴿١٢٠﴾ ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أي: أنزلنا القرآن بالدين القائم، والأمر الثابت ﴿وبالحق نزل﴾ وبمحمد نزل القرآن، أي: عليه نزل، كما تقول: نزلت بزيد.

﴿١٢١﴾ ﴿وقرأناه فرقناه﴾ قطعناه آية آية، وسورة سورة في عشرين سنة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ تؤدة وترسل ليفهموه ﴿ونزلناه تنزيلاً﴾ نجومياً بعد نجوم وشيئاً بعد شيء.

﴿١٢٢﴾ ﴿قل﴾ لأهل مكة: ﴿آمنوا﴾ بالقرآن ﴿أو لا تؤمنوا﴾ به، وهذا تهديد، أي: فقد أندر الله، وبلغ رسوله. ﴿إن الذين أوتوا العلم من قبله﴾ من قبل القرآن. يعني: ناساً من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على النبي ﷺ خرّوا سُجَّدًا. وقوله:

﴿١٢٣﴾ ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ أي: وعده بإنزال القرآن وبعث محمد عليه السلام لمفعولاً.

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا

﴿٢٠﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴿٢١﴾ كَرَّرَ القول لتكرُّر الفعل منهم ﴿ويزيدهم﴾ القرآن ﴿خشوعاً﴾.

﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ... الآية. كان رسول الله ﷺ يقول: يا الله، يا رحمان، فسمع ذلك أبو جهل فقال: إِنَّ مُحَمَّدًا يَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ إِلَهَيْنِ، وَهُوَ يَدْعُو إِلَهًا آخَرَ مَعَ اللَّهِ يُقَالُ لَهُ: الرَّحْمَنُ^(١)، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ادْعُوا اللَّهَ﴾ يَا مَعْشَرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ إِنْ شِئْتُمْ قُولُوا: يَا اللَّهُ وَإِنْ شِئْتُمْ قُولُوا: يَا رَحْمَان. ﴿أَيًّا مَا تَدْعُوا﴾ أَيَّ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَدْعُوا ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾. ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾^(٢) بَقْرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُهَا الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ وَلَا تُخَفِّهَا عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تَسْمَعُهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ اسْلُكْ طَرِيقًا بَيْنَ الْجَهْرِ وَالْمَخَافَةِ، وَقُولِهِ:

(١) وهذا قول ابن عباس، أخرجه ابن جرير ١٨٢/١٥، وفيه محمد بن كثير، وهو صدوق لكنه كثير الغلط. انظر تقريب التهذيب ص ٥٠٤، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٤١ عن ابن عباس، دون سند.

(٢) عن ابن عباس في الآية قال: نزلت ورسول الله ﷺ مخفف بمكة، كان إذا صَلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سُبُّوا القرآن وَمَنْ أَنْزَلَهُ وَمَنْ جَاءَ بِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أَيُّ: بَقْرَاءَتِكَ فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تَسْمَعُهُمْ ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٤٠٤/٨، ومسلم في الصلاة برقم ٤٤٦، والنسائي في التفسير ٦٧٢/١، والترمذي في التفسير برقم ٣١٤٥.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿١١١﴾ ﴿ولم يكن له ولي من الذل﴾ لم يكن له ولي ينصره ممن استدله من البشر ﴿وكبره تكبيرا﴾ عظمه عظمة تامة.

• • •

سُورَةُ الْكَهْفِ

[مكية وهي مائة وعشر آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ فَيَمَّا يَلِيْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ﴿اختلافاً والتباساً﴾.

﴿٢﴾ قيماً ﴿مستقيماً﴾. يريد: أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً ﴿لينذر﴾ الكافرين ﴿بأساً﴾ عذاباً ﴿شديداً من لدنه﴾ من قبله، وقوله: ﴿أجراً حسناً﴾ يعني: الجنة.

﴿٣﴾ وينذر ﴿بعذاب الله﴾ الذين قالوا اتخذ الله ولداً وهم اليهود والنصارى.

﴿٤﴾ ما لهم به ﴿بذلك القول﴾ من علم ﴿لأنهم قالوه جهلاً وافتراءً على الله﴾ ولا لآبائهم الذين قالوا ذلك. ﴿كبرت كلمة﴾ مقالتهم تلك كلمة.

﴿٥﴾ فلعلك باخع نفسك قاتلها ﴿على آثارهم﴾ على أثر توليهم وإعراضهم عنك

إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرًّا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرْبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَخْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمدًا ﴿١٢﴾

لشدّة حرصك على إيمانهم ﴿إن لم يؤمنوا بهذا الحديث﴾ يعني: القرآن ﴿أسفًا﴾ غيظًا وحزنًا.

﴿٧﴾ ﴿إنّا جعلنا ما على الأرض﴾ يعني: ما خلق في الدنيا من الأشجار والنبات والماء وكلّ ذي روح على الأرض ﴿زينة لها﴾ زيناها بما خلقنا فيها ﴿لنبلوهم أيهم أحسن عملاً﴾ أزهد فيها، وأترك لها، ثم أعلم أنّه يُفني ذلك كلّهُ، فقال:

﴿٨﴾ ﴿وإنّا لجاعلون ما عليها صعيداً جرّاً﴾ بلاقع ليس فيها نبات.

﴿٩﴾ ﴿أم حسبت﴾ بل أحسبت ﴿أنّ أصحاب الكهف﴾ وهو المغارة في الجبل ﴿والرقيم﴾ وهو اللّوح الذي كتبت فيه أسماءهم وأنسابهم ﴿كانوا من آياتنا عجباً﴾ أي: لم يكونوا بأعجب آياتنا، ولم يكونوا العجب من آياتنا فقط؛ فإنّ آياتنا كلّها عجب، وكانت قريش سألوا محمداً ﷺ عن خبر فتية فقدوا في الزمان الأوّل بتلقين اليهود قريشاً ذلك، فأنزل الله سبحانه على نبيّه عليه السّلام خبرهم، فقال:

﴿١٠﴾ ﴿إذ أوى﴾ اذكر إذ أوى ﴿الفتية إلى الكهف﴾ هربوا إليه ممّن يطلبهم، فاشتغلوا بالدعاء والتضرّع ﴿فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة﴾ أعطنا من عندك مغفرة ورزقاً ﴿وهيئ﴾ أصلح ﴿لنا من أمرنا رشداً﴾ أي: أرشدنا إلى ما يقرب منك.

﴿١١﴾ ﴿فضربنا على آذانهم﴾ سدّدنا آذانهم بالنّوم ﴿في الكهف سنين عدداً﴾ معدودة.

﴿١٢﴾ ﴿ثم بعثناهم﴾ ايقظناهم من نومهم ﴿لنعلم﴾ لنرى ﴿أيّ الحزبين﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿أحصى﴾ أعدّ ﴿لما لبثوا﴾ للبتهم في الكهف نائمين ﴿أمداً﴾ غاية،

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ

وكان وقع اختلاف بين فريقين من المؤمنين والكافرين في قدر مدة فقدهم، ومنذ كم فقدوهم، فبعثهم الله سبحانه من نومهم ليتبين ذلك.

﴿نحن نقص عليك نبأهم﴾ خبرهم ﴿بالحق﴾ بالصدق ﴿إنهم فتية﴾ شبان وأحداث ﴿آمنوا بربهم وزدناهم هدى﴾ ثبتناهم على ذلك.

﴿وربطنا على قلوبهم﴾ ثبتناها بالصبر واليقين ﴿إذ قاموا﴾ بين يدي ملكهم الذي كان يفتن أهل الأديان عن دينهم ﴿فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ كذباً وجوراً إن دعونا غيره.

﴿هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة﴾ يعنون: الذين عبدوا الأصنام في زمانهم ﴿لولا﴾ هلاً ﴿يأتون عليهم﴾ على عبادتهم ﴿بسلطانٍ بين﴾ بحجة بينة ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً﴾ فزعم أن معه إلهاً، فقال لهم تملخوا - وهو رئيسهم - :

﴿وإذ اعتزلتموهم﴾ فارقتموهم ﴿وما يعبدون﴾ من الأصنام ﴿إلا الله﴾ فإنكم لن تتركوا عبادته ﴿فأووا إلى الكهف﴾ صيروا إليه ﴿ينشر لكم ربكم من رحمته﴾ يبسطها عليكم ﴿ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً﴾ يسهل لكم غذاءً تأكلونه.

﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور﴾ تميل عن كهفهم ﴿ذات اليمين﴾ في ناحية اليمين ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم ﴿ذات الشمال﴾ في ناحية الشمال، فلا تصيبهم الشمس البتة؛ لأنها تميل عنهم طالعة غاربة، فتكون صورهم

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَبِهِدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَنَحْسَبُهُمْ آيِقًا زُلُفًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِثْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

محفوظة، ﴿وهم في فجوة منه﴾ مُتَّسِعٌ من الكهف ينالهم برد الرِّيح ونسيم الهواء. ﴿ذلك﴾ التَّزاور والقرض ﴿من آيات الله﴾ دلائل قدرته ولطفه بأصحاب الكهف. ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أشار إلى أنه هو الذي تولَّى هدايتهم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

﴿ونحسبهم أيقاظاً﴾ لَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ مُفْتَحَةٌ ﴿وهم رقود﴾ نِيَامٌ ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لثلاثاً تَأْكُلُ الْأَرْضُ لَحُومَهُمْ ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ يَدِيهِ ﴿بالوصيد﴾ بِنَاءِ الْكَهْفِ ﴿لو اطلعت﴾ أَشْرَفْتَ ﴿عليهم لوليت﴾ أَعْرَضْتَ ﴿منهم فراراً ولملت منهم رعباً﴾ خَوْفًا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَعَهُم بِالرُّعْبِ لثلاثاً يَرَاهُمْ أَحَدٌ.

﴿وكذلك﴾ ﴿وكما فعلنا بهم هذه الأشياء﴾ بَعَثْنَاهُمْ أَيْقَظْنَاهُمْ مِنْ تِلْكَ النَّوْمَةِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْمَوْتَ ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ لِيَكُونَ بَيْنَهُمْ تَسَاوُلٌ عَنْ مَدَّةِ لَبِثِهِمْ ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ كَمْ مَرَّةً عَلَيْنَا مِنْذُ دَخَلْنَا الْكَهْفَ؟ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ دَخَلُوا الْكَهْفَ غَدَوَةً، وَبَعَثَهُمُ اللَّهُ فِي آخِرِ النَّهَارِ، لِذَلِكَ قَالُوا: يَوْمًا، فَلَمَّا رَأَوْا الشَّمْسَ قَالُوا: أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، وَكَانَ قَدْ بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ بَقِيَّةٌ، فَقَالَ تَمْلِيخًا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ رَدَّ عِلْمَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ بِدِرَاهِمِكُمْ ﴿هذه إلى المدينة فلينظر أيها﴾ أَيُّ أَهْلِهَا ﴿أزكى﴾ طَعَامًا ﴿أحل من جهة أنه ذبيحة مؤمن، أو من جهة أنه غير مغصوب، وقوله:﴾ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴿في دخول

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعِزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذِ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ

المدينة وشراء الطعام حتى لا يطلع عليه أحد ﴿ولا يشعرون بكم﴾ ولا يخبرن بكم ولا بمكانكم ﴿أحدًا﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يطلعوا ويشرفوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ يرذوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذا أبدًا﴾ لن تسعدوا في الدنيا ولا في الآخرة إن رجعتم إلى دينهم.

﴿٢١﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بعثناهم وأنماهم ﴿أعثرنا﴾ أطلعنا ﴿عليهم ليعلموا﴾ ليعلم القوم الذين كانوا في ذلك الوقت ﴿أنَّ وعد الله﴾ بالثواب والعقاب ﴿حقٌّ وأنَّ الساعة﴾ القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ لا شك فيها، وذلك أنهم يستدلون بقصتهم على صحة أمر البعث ﴿إذ يتنازعون﴾ أي: اذكر يا محمد إذ يتنازع أهل ذلك الزمان أمر أصحاب الكهف ﴿بينهم﴾ وذلك أنهم كانوا يختلفون في مدة مكثهم وفي عددهم. وقيل: تنازعوا فقال المؤمنون: بنى عندهم مسجدًا، وقال الكافرون: نحوط عليهم حائطًا. يدُّ على هذا قوله: ﴿ابنوا عليهم بنيانًا﴾ استروهم عن الناس ببناء حولهم، وقوله: ﴿ربُّهم أعلم بهم﴾ يدُّ على أنه وقع تنازع في عدَّتهم. ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ وهم المؤمنون، وكانوا غالبين في ذلك الوقت. ﴿لنتخذنَّ عليهم مسجدًا﴾ فذكر في القصة أنه جعل على باب الكهف مسجد يصلُّ فيه.

﴿٢٢﴾ ﴿سيقولون ثلاثة...﴾ الآية. أخبر الله تعالى عن تنازع يجري في عدَّة أصحاب الكهف، فجرى ذلك بالمدينة حين قدم وفد نصارى نجران، فجرى ذكر أصحاب

قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ إِنْى فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾

الكهف، فقالت يعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم، وقالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ من الناس. قال ابن عباس^(١): أنا من ذلك القليل، ثم ذكرهم بأسمائهم فذكر سبعة. ﴿فلا تمار﴾ فلا تجادل في أصحاب الكهف ﴿إلا مرآة ظاهراً﴾ بما أنزل عليك، أي: أفيت في قصتهم بالظاهر الذي أنزل إليك، وقل: لا يعلمهم إلا قليل كما أنزل الله: ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾، ﴿ولا تستفت فيهم﴾ في أصحاب الكهف ﴿منهم﴾ من أهل الكتاب ﴿أحداً﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿ولا تقولنَّ لشيءٍ إني فاعل ذلك غداً﴾.

﴿٢٤﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴿هذا تأديب من الله سبحانه لنبيه ﷺ، وأمر له بالاستثناء بمشيئة الله سبحانه فيما يعزم. يقول: إذا قلت لشيء: إني فاعله غداً فقل: إن شاء الله. واذكر ربك إذا نسيت﴾ أراد: إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله سبحانه فاذكره وقله إذا تذكّرت ﴿وقل عسى أن يهدينى ربى﴾ أي: يعطينى ربى من الآيات والدلالات على النبوة ما يكون أقرب في الرشد، وأدل من صحة قصة أصحاب الكهف، ثم فعل الله به ذلك حيث أتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم، ثم أخبر عن قدر مدة لبثهم في الكهف بقوله:

﴿٢٥﴾ ﴿ولبثوا في كهفهم﴾ منذ دخلوه إلى أن بعثهم الله ﴿ثلثمائة سنين وازدادوا﴾ بعدها تسع سنين.

(١) أخرجه ابن جرير ٢٢٦/١٥؛ وفيه سماك، وقد تقدّم الكلام عليه.

قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَأَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

﴿٢٦﴾ قل يا محمد: ﴿الله أعلم بما لبثوا﴾ ممَّن يختلف في ذلك ﴿له غيب السموات والأرض﴾ علم ما غاب فيهما عن العباد ﴿أبصر به وأسمع﴾ ما أبصر الله تعالى بكلِّ موجودٍ، وأسمعه تعالى لكلِّ مسموعٍ ﴿ما لهم﴾ لأهل السموات والأرض ﴿من﴾ دون الله ﴿من ولي﴾ ناصرٍ ﴿ولا يشرك﴾ الله ﴿في حكمه أحدا﴾ فليس لأحد أن يحكم بحكم لم يحكم به الله.

﴿٢٧﴾ وائل ما أوحى إليك من كتاب ربك ﴿اتَّبِع القرآن﴾ لا مبدِّل لكلماته ﴿لا مغير للقرآن﴾ ولن تجد من دونه ملتحداً ﴿أي: ملجأً.

﴿٢٨﴾ واصر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي ﴿مفسَّر في سورة الأنعام^(١)﴾ إلى قوله: ﴿ولا تعدُّ عيناك عنهم﴾ أي: لا تصرف بصرَكَ إلى غيرهم من ذوي الهيئات والرُّتبة ﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾ تريد مجالسة الأشراف ﴿ولا تطع﴾ في تنحية الفقراء عنك ﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ جعلناه غافلاً. ﴿وكان أمره فرطاً﴾ أي: ضياعاً هلاكاً؛ لأنَّه ترك الإيمان والاستدلال بآيات الله تعالى واتبَعَ هواه.

﴿٢٩﴾ وقل يا محمَّد لمن جاءك من النَّاس: ﴿الحق من ربكم﴾ يعني: ما أتيتكم به من الإسلام والقرآن ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ تخييرٌ معناه التَّهديد. ﴿إنا أعتدنا﴾ هيأنا ﴿لِلظالمين﴾ الذين عبدوا غير الله تعالى ﴿ناراً أحاط بهم

سَرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعَمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ * وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

سرادقها ﴿وهو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة﴾. ﴿وإن يستغيثوا﴾ ممّا هم فيه من العذاب والعطش ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ﴾ كمداب الحديد والرصاص في الحرارة ﴿يشوي الوجوه﴾ حتى يسقط لحمها، ثم ذمه فقال: ﴿بئس الشراب﴾ هو ﴿وساءت الثّار﴾ ﴿مرتفقاً﴾ منزلاً، ثم ذكر ما وعد المؤمنين فقال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا...﴾. وقوله:

﴿يُحَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ يُحَلَّى كُلُّ مُؤْمِنٍ وَاحِدٍ بِسَوَارِينِ مِنْ ذَهَبٍ، وكانت الأساور من زينة الملوك في الدنيا، وقوله: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ وهما نوعان من الحرير، والسُّندُس: ما رقّ، والاستبرق: ما غلظ ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ وهي السُّرر في الحجال ﴿نَعَمَ الثَّوَابُ﴾ طاب ثوابهم ﴿وَحَسُنَتْ﴾ الأرائك ﴿مرتفقاً﴾ موضع ارتفاق، أي: اتكاء على المرفق فيه.

﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ﴾ يعني: ابني ملكٍ كان في بني إسرائيل تُوفِّي وتركهما، فاتخذ أحدهما القصور والأجنّة، والآخر كان زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدنيا، أخذ الزّاهد مثل ذلك، فقدمه لآخوته، واتخذ به عند الله الأجنة والقصور حتى نفذ ماله، فضربهما الله مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرته النّعمة، وهو قوله: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا النَّخْلَ مُطْبَقًا بِهِمَا﴾ ﴿وجعلنا بينهما﴾ بين الجنّتين ﴿زرعاً﴾.

كَلِمَاتِ الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكَلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُمْ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ

﴿٣٣﴾ ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أدّت ريعها تامًّا ﴿ولم تظلم منه شيئاً﴾ لم تنقص .
﴿وفجرنا خلالهما﴾ أخرجنا وسط الجنتين ﴿نهراً﴾ .

﴿٣٤﴾ ﴿وكان له ثمر﴾ وكان للأخ الكافر أموال كثيرة ﴿فقال لصاحبه﴾ لأخيه ﴿وهو يحاوره﴾ يراجعه في الكلام ويُجاذبه، وذلك أنّه سألَه عن ماله فيما أنفقه؟ فقال: قدّمته بين يدي لأقدم عليه، فقال: ﴿أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً﴾ رهطاً وعشيرة .
﴿٣٥﴾ ﴿ودخل جنّته﴾ وذلك أنّه أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنّته يطوف به فيها، وقوله: ﴿وهو ظالم لنفسه﴾ أي: بالكفر بالله تعالى ﴿قال: ما أظنُّ أن تبِيدَ﴾ تهلك ﴿هذه أبداً﴾ أنكر أنّ الله سبحانه يفني الدُّنيا، وأنّ القيامة تقوم فقال: ﴿وما أظنُّ الساعة قائمة، ولئن رددت إلى ربي﴾ يريد: إن كان البعث حقًّا ﴿لأجدنَّ خيراً منها منقلباً﴾ كما أعطاني هذا في الدُّنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه، فقال له أخوه المسلم:

﴿٣٧﴾ ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة﴾ في رحم أمِّك ﴿ثم سَوَّاهُ رجلاً﴾ جعلك معتدل الخلق والقامة .

﴿٣٨﴾ ﴿لكننا﴾ لكن أنا ﴿هو الله ربي...﴾ الآية .

﴿٣٩﴾ ﴿ولولا﴾ وهلاً ﴿إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله﴾ أي: الأمر ما شاء الله، أي: بمشيئة الله تعالى: ﴿لا قوة إلا بالله﴾ لا يقوى أحدٌ على ما في يديه من ملكٍ ونعمةٍ إلا بالله، وهذا توبيخٌ من المسلم للكافر على مقالته، وتعليمٌ له ما يجب أن يقول،

إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّاتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبَحْ يَقْلَبُ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ بَلِّغْنِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ

ثم رجع إلى نفسه فقال:

﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا *﴾

﴿٤٠﴾ فعسىٰ ربي أن يؤتيني ﴿في الآخرة﴾، أو في الدنيا ﴿خيرًا من جنتك أو يرسل عليها﴾ على جنتك ﴿حسبانًا من السماء﴾ عذابًا يرميها به من بردٍ أو صاعقة ﴿فتصبح صعيدًا زلقًا﴾ أرضاً لا نبات فيها.

﴿٤١﴾ ﴿أو يصبح مأوها﴾ يعني: النهر خلالهما ﴿غورًا﴾ غائرًا ذاهبًا في الأرض ﴿فلن تستطيع﴾ لا تقوىٰ ﴿له طلبًا﴾ لا يبقىٰ له أثرٌ تطلبه.

﴿٤٢﴾ ﴿وأحيط بشمره﴾ وأهلك أشجاره المثمرة ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ يضرب يديه واحدة على الأخرى ندامة ﴿على ما أنفق فيها وهي خاوية﴾ ساقطة ﴿على عروشها﴾ سقوفها وما عرش للكروم ﴿ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدًا﴾ تمنىٰ أنه كان مؤحدًا غير مشرك حين لم ينفعه التمنيٰ.

﴿٤٣﴾ ﴿ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله﴾ لم ينصره النفر الذين افتخر بهم حين قال: ﴿وأعزُّ نفراً﴾. ﴿وما كان منتصرًا﴾ بأن يستردَّ بدل ما ذهب منه، ثم عاد الكلام إلى ما قبل القصة فقال:

﴿٤٤﴾ ﴿هنالك﴾ عند ذلك، يعني: يوم القيامة ﴿الولاية لله الحق﴾ يتولَّون الله ويؤمنون به، ويتبرَّؤون ممَّا كانوا يعبدون ﴿هو خير ثوابًا﴾ أفضل ثواباً ممَّن يُرجىٰ ثوابه ﴿وخير عقبًا﴾ أي: عاقبة طاعته خيرٌ من عاقبة طاعة غيره.

﴿٤٥﴾ ﴿واضرب لهم﴾ لقومك ﴿مثل الحياة الدنيا كماء﴾ أي: هو كماء ﴿أنزلناه من

السَّمَاءَ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾
 أَمْالَ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ
 نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ
 جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾

السماء فاختلف به نبات الأرض ﴿فأصبح﴾ أي: شرب منه فبدا فيه الرِّيُّ ﴿فأصبح﴾ أي: النَّبَات ﴿هشيمًا﴾ كسيراً مُتَفَشِّشاً ﴿تذروه الرياح﴾ تحمله وتفرقه، وهذه الآية مختصرة من قوله تعالى: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا...﴾^(١) الآية. ﴿وكان الله على كل شيء﴾ من الإنشاء والإفناء ﴿مقتدراً﴾ قادراً، أنشأ النبات ولم يكن، ثم أفناه.

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ هذا ردٌّ على الرؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والأبناء، أخبر الله سبحانه أن ذلك ممَّا يُتَزَيَّن به في الحياة الدنيا، ولا ينفع في الآخرة ﴿والبقيات الصالحات﴾ ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الصَّلوات والأذكار والأعمال الصَّالحة ﴿خير عند ربك ثواباً﴾ أفضل ثواباً، وأفضل أملاً من المال والبنين.

﴿ويوم﴾ واذكر يوم ﴿نسير الجبال﴾ عن وجه الأرض كما نُسَيِّر السَّحاب ﴿وترى الأرض بارزة﴾ ظاهرة ليس عليها شيءٌ ﴿وحشرناهم﴾ المؤمنين والكافرين ﴿فلم نغادر﴾ ترك ﴿منهم أحداً﴾.

﴿وعرضوا على ربك﴾ يعني: المحشورين ﴿صفاً﴾ مصفوفين، كلُّ زمرةٍ وأمةٍ صفٌّ، ويقال لهم: ﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة﴾ حُفَاةٌ عُرَاةٌ فرادى ﴿بل زعمت﴾ خطابٌ لمنكري البعث ﴿أن لن نجعل لكم موعداً﴾ للبعث والجزاء.

(١) الآية: ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلف به نبات الأرض ممَّا يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظنَّ أهلها أنَّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً، فجعلناها حصيداً كان لم تغن بالأمس، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ [يونس: ٢٤].

وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

﴿٤٩﴾ ووضع الكتاب ﴿وضع كتاب كل امرئ في يمينه أو شماله﴾ ﴿فتري المجرمين﴾ المشركين ﴿مشفقين مما فيه﴾ خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ﴿ويقولون﴾ لوقوعهم في الهلكة: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر﴾ لا يترك ﴿صغيرة﴾ من أعمالنا ﴿ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ أثبتنا وكتبها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضرا﴾ في الكتاب مكتوباً ﴿ولا يظلم ربك أحدا﴾ لا يعاقب أحداً بغير جرم، ثم أمر نبيه عليه السلام أن يذكر لهؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصة إبليس، وما أورثه الكبر، فقال:

﴿٥٠﴾ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ﴿أي: من قبيل﴾ من الملائكة يقال لهم: الجن ﴿١﴾ ﴿فسق﴾ خرج ﴿عن أمر ربه﴾ إلى معصيته في ترك السجود ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ أولاده، وهم الشياطين ﴿أولياء من دوني﴾ تطيعونهم في معصيتي ﴿وهم لكم عدو﴾ كما كان لأبيكم عدواً ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ بئس ما استبدلوا بعبادة الرحمن طاعة الشيطان.

﴿٥١﴾ ما أشهدتهم ﴿ما أحضرتهم، يعني: إبليس وذريته﴾ خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴿أخبر عن كمال قدرته، واستغنائه عن الأنصار والأعوان فيما خلق﴾ ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدا﴾ أنصاراً وأعواناً لاستغنائي بقدرتي عن الأنصار.

(١) وهذا ضعيف، فالجن خلقت من نار، والملائكة خلقت من نور.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾
 وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا
 الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ
 جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا
 نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ
 وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾

﴿٥٢﴾ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم... الآية. يقول الله تعالى يوم القيامة: ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي ﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم﴾ بين المشركين وأهل لا إله إلا الله ﴿موبقاً﴾ حاجزاً.

﴿٥٣﴾ ورأى المجرمون المشركون ﴿النار فظنوا﴾ أيقنوا ﴿أنهم مواقعوها﴾ واردوها وداخلوها ﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾ مهرباً لإحاطتها بهم من كل جانب. وقوله:

﴿٥٤﴾ وكان الإنسان ﴿الكافر﴾ أكثر شيء جدلاً ﴿قيل: هو أبي بن خلف، وقيل: النضر بن الحارث﴾^(١).

﴿٥٥﴾ وما منع الناس ﴿أهل مكة﴾ أن يؤمنوا ﴿الإيمان﴾ إذ جاءهم الهدى ﴿يعني: محمداً ﷺ والقرآن﴾ إلا أن تأتيهم سنة الأولين ﴿العذاب. يعني: إن الله تعالى قدر عليهم العذاب، فذلك الذي منعهم من الإيمان﴾ أو يأتيهم العذاب قبلاً ﴿عياناً. يعني: القتل يوم بدر. وقوله:

﴿٥٦﴾ ويجادل الذين كفروا بالباطل ﴿يريد المستهزئين والمقتسمين﴾^(٢) جادلوا في القرآن ﴿ليدحضوا﴾ ليطلوا ﴿به﴾ بجдалهم ﴿الحق﴾ القرآن ﴿واتخذوا آياتي﴾ القرآن ﴿وما أُنذروا﴾ به من النار ﴿هزوا﴾.

(١) انظر: غرر البيان ص ٢١٦.

(٢) تقدّمت أسماؤهم في تفسير سورة الحجر ص ٥٩٨.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

﴿ومن أظلم ممن ذكر﴾ وعظ ﴿بآيات ربه فأعرض عنها﴾ فتهاون بها ﴿ونسي ما قدمت يده﴾ ما سلف من ذنوبه، وباقي الآية سبق تفسيره. وقوله:

﴿بل لهم موعد﴾ يعني: البعث والحساب ﴿لن يجدوا من دونه مؤيلاً﴾ ملجأ.

﴿وتلك القرى﴾ يريد: القرى التي أهلكتها بالعذاب ﴿أهلكناهم﴾ أهلكتنا أهلها ﴿لما ظلموا﴾ أشركوا وكذبوا الرُّسل ﴿وجعلنا لمهلكهم﴾ لإهلاكهم ﴿موعداً﴾.

﴿وإذ قال موسى﴾ واذكر إذ قال موسى، لما في قصته من العبرة ﴿لفتاه﴾ يوشع بن نون: ﴿لا أبرح﴾ لا أزال أسير ﴿حتى أبليج مجمع البحرين﴾ حيث يلتقي بحر الروم وبحر فارس ﴿أو أمضي﴾ إلى أن أمضي ﴿حقباً﴾ دهرًا طويلًا، وذلك أن رجلاً أتى إلى موسى عليه السلام، فقال: هل تعلم أحدًا أعلم منك^(١)؟ فقال: لا، فأوحى الله تعالى إليه: بلي عبدنا خضر، فسأل موسى عليه السلام السبيل إلى لقائه، فجعل الله تعالى له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، فانطلق هو وفتاه حتى أتيا الصخرة التي عند مجمع البحرين، فقال لفتاه: امكث حتى آتيك، وانطلق موسى لحاجته، فجري الحوت حتى وقع في البحر، فقال فتاه: إذا جاء نبي الله حدثته، فأنساه الشيطان، فذلك قوله:

(١) حديث الخضر هذا أخرجه البخاري مطوّلًا في التفسير ٤٠٩/٨؛ ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٨٠؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٤٨؛ والنسائي في التفسير ٨/٢؛ وأبو داود برقم ٤٧٠٥.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا خُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا
 غَدَاءٌ نَأْكُلُ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ
 وَمَا أَنَسْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا
 عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
 عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾

﴿٦١﴾ فلما بلغا مجمع بينهما نسيا خوتهما ﴿٦٢﴾ أراد: نسي أحدهما، وهو يوشع ابن نون ﴿٦٣﴾ فاتخذ سبيله ﴿٦٤﴾ اتخذ الحوت سبيله ﴿٦٥﴾ في البحر سرباً ﴿٦٦﴾ ذهاباً، والمعنى: سرب سرباً، والآية على التقديم والتأخير؛ لأنَّ ذهاب الحوت كان قد تقدَّم على النسيان.

﴿٦٢﴾ فلما جاوزا ﴿٦٣﴾ ذلك المكان الذي ذهب الحوت عنه ﴿٦٤﴾ قال لفتاه آتينا غداءنا ﴿٦٥﴾ ما نأكله بالغداة ﴿٦٦﴾ لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴿٦٧﴾ عناءً وتعباً، ولم يجد النصب في جميع سفره حتى جاوز الموضع الذي يريده، فقال الفتى:

﴿٦٣﴾ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴿٦٤﴾ يعني: حيث نزلا ﴿٦٥﴾ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ ﴿٦٦﴾ نسييت قصَّة الحوت أن أحدثكها، ثمَّ اعتذر بإنساء الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ؛ لأنَّه لو ذكر ذلك لموسى عليه السَّلام ما جاوز ذلك الموضع، وما ناله النَّصب، ثمَّ ذكر قصَّته فقال: ﴿٦٧﴾ واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴿٦٨﴾ أي: أعجب عجباً، أخبر عن تعجُّبه من ذلك، فقال موسى عليه السَّلام:

﴿٦٤﴾ ذلك ما كنا نبغي ﴿٦٥﴾ نطلب ونريد من العلامة ﴿٦٦﴾ فارتدا على آثارهما ﴿٦٧﴾ رجعا من حيث جاءا ﴿٦٨﴾ يقصَّان آثارهما حتى انتهيا إلى الصَّخرة التي فعل الحوت عندها ما فعل.

﴿٦٥﴾ فوجدنا عبداً من عبادنا ﴿٦٦﴾ يعني: الخضر عليه السَّلام ﴿٦٧﴾ آتيناها رحمة من عندنا ﴿٦٨﴾ نبوة ﴿٦٩﴾ وعلمناه من لدنا علماً ﴿٧٠﴾ أعطيناها علماً من علم الغيب. وقوله:

﴿٧٠﴾ رُشْدًا ﴿٧١﴾ أي: علماً ذا رشِدٍ، والتَّقدير: على أن تعلِّمني علماً ذا رشِدٍ ممَّا علِّمته.

قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا

﴿٦٧﴾ قال إنك لن تستطيع معي صبراً ﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴿٦٩﴾ قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً ﴿٧٠﴾ قال فإذا أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً ﴿٧١﴾ فانطلقا حتى إذا ركبوا في السفينة خرقها قال أخرقناها لنغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأاً ﴿٧٢﴾ قال ألم أقول إنك لن تستطيع معي صبراً ﴿٧٣﴾ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري ظاهره منكر.

﴿٦٨﴾ وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً ﴿٦٩﴾ أي: على ما لم تعلمه من أمر ظاهره منكر.

﴿٦٩﴾ قال له موسى: ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً﴾ لا أسألك عن شيء حتى تكون أنت تحدثني به ﴿ولا أعصي لك أمراً﴾ ولا أخالفك في شيء.

﴿٧٠﴾ قال له الخضر عليه السلام: ﴿فإن اتبعني﴾ صحبتني ﴿فلا تسألني عن شيء﴾ ممّا أفعله ﴿حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ حتى أكون أنا الذي أفسره لك.

﴿٧١﴾ فانطلقا ذهباً يمشيان ﴿حتى إذا ركبنا البحر﴾ في السفينة خرقها ﴿شققها﴾ الخضر وقلع لوحين ممّا يلي الماء، ف ﴿قال﴾ موسى منكرأ عليه: ﴿أخرقتها لنغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمرأاً﴾ أي: عظيماً منكرأ،

﴿٧٢﴾ ف ﴿قال﴾ الخضر: ﴿ألم أقول إنك لن تستطيع معي صبراً﴾! فقال موسى:

﴿٧٣﴾ لا تؤاخذني بما نسيت ﴿أي: تركت من وصيتك﴾ ولا ترهقني من أمري عسراً ﴿لا تضيق عليّ الأمر في صحبتي إياك﴾.

﴿٧٤﴾ [فانطلقا حتى إذا لقيّا غلاماً فقتله] أي: ضربه فقتله عليه،^(١) وقوله: ﴿نفساً

(١) ما بين [] زيادة من نسخة الأصل، وليس هو في باقي المخطوطات.

(١) قرأ «زكّية» نافعٌ، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب، وقرأ الباقون «زكّية». الاتحاف ص ٢٩٣.

وَكُفِّرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وكفراً﴾ ويحملهما حبه على أن يتبعاه، ويدينا بدينه، وكان الغلام كافراً^(١).

﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً ﴿٨١﴾ صَالِحًا ﴿٨١﴾ وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَبْرَ بَوَالِدِيهِ وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ.

﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴿٨٢﴾ يَعْنِي: فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ ﴿٨٢﴾ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴿٨٢﴾ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَلَوْ سَقَطَ الْجِدَارُ أَخَذَ الْكَنْزَ ﴿٨٢﴾ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴿٨٢﴾ أَرَادَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ أَنْ يَبْقَىٰ ذَلِكَ الْكَنْزُ إِلَىٰ بُلُوغِ الْغُلَامَيْنِ حَتَّىٰ يَسْتَخْرِجَاهُ. ﴿٨٢﴾ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ﴿٨٢﴾ أَي: انْكَشَفَ لِي مِنَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ عِلْمٌ فَعَمِلْتُ بِهِ، وَلَمْ أَعْمَلْ مِنْ عِنْدِ نَفْسِي.

﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ ﴿٨٣﴾ يَعْنِي: الْيَهُودَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَأَلُوهُ عَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ بَلَغَ شَرْقَ الْأَرْضِ وَغَرْبَهَا.

﴿٨٤﴾ إِنَّا مَكَّنَا لَهُ فِي الْأَرْضِ ﴿٨٤﴾ سَهَّلْنَا عَلَيْهِ السَّيْرَ فِيهَا، وَذَلَّلْنَا لَهُ طَرَفَهَا ﴿٨٤﴾ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴿٨٤﴾ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿٨٤﴾ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ عِلْمًا يَتَسَبَّبُ بِهِ إِلَىٰ مَا يَرِيدُ.

﴿٨٥﴾ فَاتَّبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ طَرِيقًا يُوَصِّلُهُ إِلَىٰ مَغِيبِ الشَّمْسِ.

﴿٨٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴿٨٦﴾ ذَاتِ حِمَاةٍ، وَهُوَ

(١) أخرج مسلم في حديث الخضر السابق عن النبي ﷺ قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً.

وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُنَادُونَ وَمِمَّا أُنْتَدُونَ بِهَا الْجِبَلُ وَالْجَنَّةُ نَارٌ لِّلْمُتَنَبِّئِينَ ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا مِنْ غَائِبَةٍ لَّكُمْ مِنْهُ لَا يَكُنْ مِنْكُمْ خَلْقٌ مُّبِينٌ ﴿٨٧﴾ وَنَادَىٰ فِي هَٰذِهِ سَاعَتَهُ لَأَكْفِرَنَّهُمْ شَرَّ حَشٍّ لِّمَا كَانُوا عَمَلِينَ ﴿٨٨﴾ وَتَوَلَّىٰ وَجْهَهُ لِّلْعَذَابِ ﴿٨٩﴾ وَنَادَىٰ فِي هَٰذِهِ سَاعَتَهُ لَأَكْفِرَنَّهُمْ شَرَّ حَشٍّ لِّمَا كَانُوا عَمَلِينَ ﴿٩٠﴾ وَتَوَلَّىٰ وَجْهَهُ لِّلْعَذَابِ ﴿٩١﴾ وَنَادَىٰ فِي هَٰذِهِ سَاعَتَهُ لَأَكْفِرَنَّهُمْ شَرَّ حَشٍّ لِّمَا كَانُوا عَمَلِينَ ﴿٩٢﴾ وَتَوَلَّىٰ وَجْهَهُ لِّلْعَذَابِ ﴿٩٣﴾

الطَّيْنُ الْأَسْوَدُ ﴿ووجد عندها﴾ عند العين ﴿قوماً قلنا﴾ يا ذا القرنين إما أن تعذب ﴿إما أن تقتلهم﴾ إن أبوا ما تدعوهم إليه ﴿وإما أن تتخذ فيهم حسناً﴾ تأسرهم فتعلمهم الهدى، خيرَ الله تعالى بين القتل والأسر، فقال:

﴿٨٦﴾ ﴿أما من ظلم﴾ أشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ نقتله إذا لم يرجع عن الشرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد القتل ﴿فيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَّكَرًا﴾ يعني: في النَّارِ.

﴿٨٨﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحَسَنَى﴾ الجَنَّةُ ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ نقول له قولاً جميلاً.

﴿٨٩﴾ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ سلك طريقاً آخر يوصله إلى المشرق.

﴿٩٠﴾ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم﴾ عُرَاةٍ ﴿لم نجعل لهم من دون الشمس﴾ سترًا ﴿سقفًا ولا لباساً﴾.

﴿٩١﴾ ﴿كذلك﴾ القبيل الذين كانوا عند مغرب الشمس في الكفر ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الجنود والعدة ﴿خبراً﴾ علماً؛ لأنَّا أعطيناه ذلك.

﴿٩٢﴾ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ ثالثاً يُبْلِغُهُ قَطْرًا من أقطار الأرض.

﴿٩٣﴾ ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾ وهما جبلان سدٌّ بينهما ذو القرنين ﴿وجد من دونهما﴾ عندهما ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ لا يفهمون كلاماً، فاشتكوا إليه فساد يأجوج ومأجوج، وأذاهم إيَّاهم، وهو قوله:

قَالُوا يَذَّالْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ
 سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ أَتُؤْتِي زُبْرَ الْحَدِيدِ
 حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُهُ نَارًا قَالَ أَتُؤْتِي أَفْرَغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا
 اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ
 وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾

﴿٩٤﴾ ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالنَّهْبِ والبغي ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ
 خَرْجًا﴾ جعلاً ﴿عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾.

﴿٩٥﴾ ﴿قَالَ: مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أَي: الَّذِي أَعْطَانِي وَمَلَكَنِي أَفْضَلَ مِنْ عَطَيْتِكُمْ
 ﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ بِعَمَلٍ تَعْمَلُونَ مَعِيَ ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ سَدًّا حَاجِزًا.

﴿٩٦﴾ ﴿أَتُؤْتِي﴾ أَعْطُونِي ﴿زُبْرَ﴾ قِطْعَ ﴿الْحَدِيدِ﴾ فَأَتَوَهُ بِهَا فَبَنَاهُ ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
 الصَّدَفَيْنِ﴾ جَانِبِي الْجَبَلَيْنِ ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ عَلَى زُبْرِ الْحَدِيدِ، قِطْعَ الْحَدِيدِ بِالْكَبِيرِ
 وَالنَّارِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾ جَعَلَ الْحَدِيدَ نَارًا، أَي: كَنَارٍ ﴿قَالَ أَتُؤْتِي﴾ قِطْرًا:
 وَهُوَ الثُّحَاسُ الدَّائِبُ ﴿أَفْرَغَ عَلَيْهِ﴾ أَصَبَّ عَلَيْهِ، فَأَفْرَغَ الثُّحَاسُ الْمَذَابَ عَلَى
 الْحَدِيدِ الْمُحْمَى حَتَّىٰ التَّصَقَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ.

﴿٩٧﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ مَا قَدَرُوا أَنْ يَعْلَوْا عَلَيْهِ لَارْتِفَاعِهِ وَمَلَاسَتِهِ ﴿وَمَا
 اسْتَطَاعُوا﴾ أَنْ يَنْقُبُوهُ مِنْ أَسْفَلِهِ لِصَلَابَتِهِ.

﴿٩٨﴾ ﴿قَالَ﴾ ذُو الْقَرْنَيْنِ لَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ: ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ يَعْنِي: التَّمَكِينُ مِنْ ذَلِكَ
 الْبِنَاءِ وَالتَّقْوِيَّةُ عَلَيْهِ ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أَجَلَ رَبِّي بِخُرُوجِ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ
 ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ كَسَرًا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بِخُرُوجِهِمْ ﴿حَقًّا﴾ كَانَتْ.

﴿٩٩﴾ ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ﴾ يَعْنِي: الْخَلْقَ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَمُوجُ
 فِي بَعْضٍ﴾ يَدْخُلُ وَيَخْتَلِطُ. ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ وَهُوَ الْقَرْنُ الَّذِي يُنْفَخُ فِيهِ لِلْبُعْثِ
 ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ.

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٧﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٩﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا ﴿١١١﴾

﴿١٠٦﴾ وعرضنا ﴿أظهرنا﴾ جهم يومئذ للكافرين عرضاً.

﴿١٠٧﴾ الذين كانت أعينهم في غطاء ﴿في غشاوة﴾ عن ذكري ﴿أي﴾: كانوا لا يعتبرون بآياتي فيذكرونني بالتوحيد ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لعداوتهم النبي ﷺ لا يقدر أن يسمعوا ما يتلو عليهم.

﴿١٠٨﴾ أفحسب ﴿أفظن﴾ الذين كفروا أن يتخذوا عبادي ﴿الشياطين﴾ من دوني أولياء ﴿نفعهم ذلك ودفعوا عنهم، كلا﴾ ﴿إنا أعتدنا جهم للكافرين نزلاً﴾ منزلاً.

﴿١٠٩﴾ قل هل ننبئكم ﴿نخبركم﴾ بالأخسرين أعمالاً ﴿بالذين هم أشد الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا﴾.

﴿١١٠﴾ الذين ضل سعيهم ﴿حبط عملهم﴾ في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴿يظنون أنهم بعملهم مطيعون، ثم بين من هم﴾^(١)، فقال:

﴿١١١﴾ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ﴿بدلائل توحيده من القرآن وغيره﴾ ولقائه يعني: البعث ﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطل اجتهدهم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أي: نهينهم بعذاب النار، ولا نعبأ بهم شيئاً. وقوله:

(١) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: سألت أبي عن قوله تعالى: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى، أمّا اليهود فكذبوا محمداً ﷺ، وأمّا النصارى كفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين.

أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٥/٨؛ والنسائي في تفسيره ٢٦/٢؛ والحاكم ٣٧٠/٢.

ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

﴿جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ﴾ وهو وسط الجنة وأعلىها درجة. وقوله:

﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾ لا يريدون أن يتحولوا عنها.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا﴾ وهو ما يكتب به ﴿لكلمات ربي﴾ أي: لكتابتها، وهي حِكْمُهُ وعجائبه، والكلمات: هي العبارات عنها ﴿لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ﴾ بمثل البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة على البحر.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ آدميٌ مثلكم ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ثواب ربه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ خالصاً ﴿وَلَا يُشْرِكْ﴾ ولا يراءِ ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ نزلت هذه الآية في النَّهْيِ عَنِ الرِّيَاءِ بِالْأَعْمَالِ^(١).



(١) أخرج ابن جرير ٤٠/١٦ عن طاوس، قال: جاء رجلٌ فقال: يا نبيَّ الله، إني أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ أن يرى موطني ويرى مكاني، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. وهذا حديث مرسل. وذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٤٦؛ وابن كثير ٩٦/٣ ونسبه لابن أبي حاتم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، تسعون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْعَصَ ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ كَهَيْعَصَ ﴿٢﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ﴿٣﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٥﴾

﴿١﴾ كَهَيْعَصَ ﴿٢﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ﴿٣﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٥﴾

﴿١﴾ كَهَيْعَصَ ﴿٢﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ﴿٣﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٥﴾

﴿١﴾ كَهَيْعَصَ ﴿٢﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ﴿٣﴾ إِذْ نَادَى رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٥﴾

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرج ابن جرير ٤١/١٦، عن سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم في الآية قالا: كاف: كاف. وأخرج أيضاً ٤٢/١٦ عن ابن عباس قال: الهاء من كهيعص: هاد، وعنه أيضاً: عين من عالم. وصاد: صادق.

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزْكُرِيَا إِنَّا نَبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

﴿وَإِنِّي خفت الموالى﴾ الأقارب وبني العمِّ والعصبة ﴿من ورائي﴾ من بعدي ألا يحسنوا الخلافة لي في دينك ﴿وكانت امرأتي﴾ فيما مضى من الزَّمان ﴿عاقراً﴾ لم تلد ﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾ ابناً صالحاً.

﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾ العلم والثبوة ﴿واجعله ربَّ رَضِيًّا﴾ مرضياً، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وقال:

﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾ ولدٍ ذكرٍ ﴿اسمه يحيى﴾ لأنه يحيا بالعلم والطاعة ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ لم يُسمَّ أحدٌ قبله بهذا الاسم، فأحبَّ زكريا أن يعلم من أيِّ جهة يكون له الولد، ومثلُ امرأته لا تلد، ومثله لا يولد له فقال: ﴿رب أنى يكون لي غلام﴾ ولدٌ.

﴿وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾ أي: يُوساً وانتهاءً في السِّنِّ.

﴿قال﴾ جبريل عليه السَّلام: ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر كما قيل لك. ﴿قال ربك هو عليَّ هين﴾ أَرَدُ عليك قُوَّتَكَ حتَّى تقوى على الجماع، وأفتق رحم امرأتك بالولد ﴿وقد خلقتك من قبل﴾ يعني: من قبل يحيى ﴿ولم تك شيئاً﴾.

﴿قال رب اجعل لي آية﴾ على حمل امرأتي ﴿قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليلٍ سوياً﴾ أي: تمنع الكلام وأنت سوئٌ صحيحٌ سليمٌ، فتعلم بذلك أنَّ الله قد وهب لك الولد.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَبْحِثُ خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَّآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا
بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾
وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا
فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ
تَقِيًّا ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ ﴿فخرج على قومه﴾ وذلك أنهم كانوا ينتظرونه، فخرج عليهم ولم يقدر أن يتكلم
﴿فأوحى إليهم﴾ أشار إليهم ﴿أن سبحوا﴾ صلوا لله تعالى ﴿بكرة وعشيا﴾ فوهبنا
له يحيى، وقلنا:

﴿١٢﴾ ﴿يا يحيى خذ الكتاب﴾ التَّوْرَةَ ﴿بقوة﴾ أعطيتها وقوتك على حفظها والعمل
بما فيها ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ الثُّبُوة في صباه.

﴿١٣﴾ ﴿وحناناً﴾ وآتيناه حناناً: رحمة ﴿من لدنا وزكاة﴾ تطهيراً. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿جباراً﴾ أي قتالاً مُتَكَبِّراً ﴿عصياً﴾ عاصياً لربه.

﴿١٥﴾ ﴿وسلاماً عليه﴾ سلامة له منَّا في الأحوال التي ذكرها، يريد أن الله سبحانه سلَّمه
في هذه الأحوال.

﴿١٦﴾ ﴿واذكر﴾ يا محمد ﴿في الكتاب مريم إذ انتبذت﴾ تنحَّت من أهلها ﴿مكاناً شرقياً﴾
من جانب الشرق، وذلك أنها أرادت الغسل من الحيض فاعتزلت في ناحية شرقية
من الدَّار.

﴿١٧﴾ ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ تستر به عنهم ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ جبريل عليه
السَّلام ﴿فتمثل﴾ فتصوَّر ﴿لها بشراً﴾ آدمياً ﴿سويّاً﴾ تامَّ الخلق.

﴿١٨﴾ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ أيها البشر ﴿إن كنت تقياً﴾ مؤمناً مطيعاً فستنتهي
عني بتعوذي بالله سبحانه منك.

قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكْ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَ لَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ قال ﴿جبريل عليه السلام﴾: ﴿إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ ولداً صالحاً نبياً.

﴿٢٠﴾ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر ﴿ليس لى زوج﴾ ولم اك بغياً ﴿ولست بزانية﴾.

﴿٢١﴾ قال كذلك ﴿أنى﴾: الأمر كما وصفت لك. ﴿قال ربك هو على هين﴾ أن أهب لك غلاماً من غير أب ﴿ولنجعله آية﴾ علامة للناس على قدرة الله تعالى ﴿ورحمة منا﴾ لمن تبعه على دينه ﴿وكان﴾ ذلك ﴿أمراً مقضياً﴾ قضيت به فى سابق علمى، فرفع جبريل عليه السلام جانب درعها، فنفخ فى جيبها^(١)، فحملت بعبسى عليه السلام، وذلك قوله سبحانه:

﴿٢٢﴾ فحملته فانتبذت به ﴿تباعدت بالحمل﴾ مكاناً قصباً ﴿بعيداً من أهلها فى أقصى وادى بيت لحم، وذلك أنها لما أحست بالحمل، هربت من قومها مخافة اللائمة﴾.

﴿٢٣﴾ فأجاءها المخاض ﴿وجع الولادة﴾ إلى جذع النخلة ﴿وذلك أنها حين أخذها الطلق صعدت أكمة، فإذا عليها جذع نخلة، وهو ساقها ولم يكن لها سعف، فسارت إليها وقالت جزعاً ممّا أصابها﴾: ﴿يا ليتنى مت قبل هذا﴾ اليوم وهذا الأمر ﴿وكنى نسياً منسياً﴾ شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر، فلما رأى جبريل عليه السلام وسمع جزعها ناداها من تحت الأكمة، وهو قوله:

(١) وهذا قول ابن جريج. أخرجه ابن جرير الطبري ١٦/٦٣.

فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ الْخَلَّةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هُنُوتٌ مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ

﴿فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ نهر ماء جارٍ، وكان تحت الأكمة نهرٌ قد انقطع الماء منه، فأرسل الله سبحانه الماء فيه لمريم.

﴿وهزي﴾ وحرّكي ﴿إليك﴾ إلى نفسك ﴿بجذع النخلة تُساقط﴾ النخلة ﴿عليك رطباً جنياً﴾ غصّاً ساعةً جُني، وذلك أن الله تعالى أحيا لها تلك النخلة بعد يبسها، فأورقت وأثمرت وأرطبت.

﴿فكلي﴾ من الرُّطْبِ ﴿واشربي﴾ من الماء السَّري ﴿وقري عينا﴾ بولدك ﴿فإمّا ترين من البشر أحداً﴾ فسألك عن ولدك، ولأمك عليه ﴿فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً﴾ صمتاً، أي: قلبي له: إني أوجبت على نفسي لله سبحانه أن لا أتكلّم، وذلك أن الله تعالى أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسى عليه السَّلام يتكلّم ببراءة أمّه وهو في المهد، فذلك قوله: ﴿فلن أكلّم اليوم إنسياً﴾.

﴿فأتت به﴾ بعيسى بعد ما طهرت من نفاسها ﴿قومها تحمله﴾ قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً عظيمًا منكراً، ولداً من غير أب!

﴿يا أخت هارون﴾ كان لها أخٌ صالحٌ من جهة أبيها يسمّى هارون. وقيل^(١): هارون رجلٌ صالحٌ كان من أمثل بني إسرائيل، فليل لمريم: يا شبيهته في العفاف ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امراً سوءاً﴾ زانٍ ﴿وما كانت أمك﴾ حنة ﴿بغياً﴾ زانية، فمن أين لك هذا الولد من غير زوج؟

﴿فأشارت﴾ إلى عيسى بأن يجعلوا الكلام معه، فتعجّبوا من ذلك وقالوا: ﴿كيف

نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

نكلم من كان في المهد صبياً يعني: رضيعاً في الحجر.

﴿٣٠﴾ قال عيسى عند ذلك: ﴿إني عبد الله﴾ أقرّ على نفسه بالعبودية لله سبحانه ﴿آتاني الكتاب﴾ علّمني التّوراة. وقيل: الخطّ.

﴿٣١﴾ وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً معلماً للخير أدعو إلى الله تعالى ﴿أينما كنت وأوصاني بالصلاة﴾ أمرني بالصلاة ﴿والزكاة﴾ الطّهارة ﴿ما دمت حياً﴾.

﴿٣٢﴾ وبرّاً لطيفاً ﴿بوالدتي﴾.

﴿٣٣﴾ والسلام عليّ يوم ولدت... الآية. أي: السّلامة عليّ من الله تعالى في هذه الأحوال.

﴿٣٤﴾ ذلك عيسى ابن مريم أي: الذي قال: ﴿إني عبد الله آتاني الكتاب...﴾ الآية، هو عيسى ابن مريم لا ما يقول النّصارى من أنّه إله، وأنّه ابن الله. ﴿قول الحق﴾ أي: هذا الكلام قول الحقّ، والحقّ: هو الله سبحانه. وقيل: معنى قول الحقّ: أنّه كلمة الله ﴿الذي فيه يمترون﴾ يشكّون. يعني: اليهود، يقولون: إنّهُ لِرِزْيَةٍ، وإنّهُ كَذَّابٌ ساحر، ويقول النّصارى: إنّهُ ابن الله.

﴿٣٥﴾ ما كان لله ما ينبغي له سبحانه ﴿أن يتخذ من ولد﴾ أي: ولداً ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إذا قضى أمراً﴾ أراد كونه ﴿فإنّما يقول له كن فيكون﴾ كما قال لعيسى: كن فكان من غير أب.

﴿٣٦﴾ وإنّ الله ربي وربكم هذا راجع إلى قوله تعالى: ﴿وأوصاني بالصلاة﴾

فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

وأوصاني بأن الله ربِّي وربُّكم ﴿فاعبدوه﴾ ﴿هذا﴾ الذي ذكرت ﴿صراط مستقيم﴾.

﴿فاختلف الأحزاب﴾ يعني: فرق النَّصارى ﴿من بينهم﴾ فيما بينهم، وهم النسطورية واليعقوبية والملكانية ﴿قويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم﴾ يريد: مشهدهم يوم القيامة.

﴿أسمع بهم وأبصر﴾ ما أبصرهم بالهدى يوم القيامة وأطوعهم أن عيسى ليس الله، ولا ابن الله، سبحانه، ولا ثالث ثلاثة، ولكن لا ينفعهم ذلك مع ضلالتهم في الدنيا، وهو قوله: ﴿لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾ من أمر عيسى والقول فيه.

﴿وأنذرهم﴾ خوفهم يا محمد ﴿يوم الحسرة﴾ يوم القيامة حين يُذبح الموت^(١) بين الفريقين ﴿إذ قضى الأمر﴾ أحكم وفرغ منه ﴿وهم في غفلة﴾ في الدنيا من ذلك اليوم ﴿وهم لا يؤمنون﴾ لا يُصدقون به.

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٨٨/١٦. وورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ قال: «يُنَادِي يا أهل الجنة، فيشرَّبون فينظرون، ويُنادي: يا أهل النار، فيشرَّبون فينظرون، فيقال: هل تعرفون الموت؟ فيقولون: نعم، فيجاء بالموت في صورة كبش أملح، فيقال: هذا الموت، فيقدَّم فيذبح، قال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويقال: يا أهل النار خلودٌ فلا موت» قال: ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾.

أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨؛ والنسائي في تفسيره ٣١/٢ بسند صحيح؛ وابن جرير أيضاً ٨٨/١٦؛ وأحمد ٢٦١/٢؛ وابن ماجه برقم ٤٣٢٧.

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ مَا لَا يَشْعُرُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ يَتَّبِعْ إِبْرَاهِيمَ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ

﴿٤٠﴾ ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ ﴿لأننا نُميت سُكَّانها﴾، ﴿و﴾ ﴿نرث﴾ ﴿من عليها﴾ ﴿لأننا نميتهم﴾ ﴿وإلينا يرجعون﴾ ﴿للثواب والعقاب﴾.

﴿٤١﴾ ﴿واذكر﴾ ﴿لقومك﴾ ﴿في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً﴾ ﴿مؤمناً موقناً﴾ ﴿نبياً﴾ ﴿رسولاً﴾ رفيحاً.

﴿٤٢﴾ ﴿إذ قال لأبيه: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع﴾ ﴿الدُّعاء﴾ ﴿ولا يبصر﴾ ﴿العبادة﴾ ﴿ولا يغني﴾ ﴿ولا يدفع﴾ ﴿عنك﴾ ﴿من عذاب الله﴾ ﴿شيئاً﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ ﴿لا تُعطه﴾ ﴿إنَّ الشيطان كان للرحمن عَصِيًّا﴾ ﴿عاصياً﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿يا أبت إِنِّي أَخَافُ﴾ ﴿إن مَّتَّ عَلَيَّ مَا أَنْتَ عَلَيْهِ أَنْ يَصِيْبَكَ﴾ ﴿عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ﴿قريباً في النَّار﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿قال﴾ ﴿أبوه مُجيباً له﴾: ﴿أَرَأَيْبُ أَنْتَ عَنِ الْهَيْتِ﴾ ﴿أَزَاهِدٌ فِيهَا وَتَارِكٌ لِعِبَادَتِهَا؟!﴾ ﴿لئن لم تنته﴾ ﴿لئن لم ترجع عن مقاتلتك في عيبيها﴾ ﴿لأَرْجُمَنَّكَ﴾ ﴿لأَشْتَمَنَّكَ﴾ ﴿واهجرني ملياً﴾ ﴿زماناً طويلاً من الدَّهر﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿قال﴾ ﴿إبراهيم﴾: ﴿سَلامَ عَلَيْكَ﴾ ﴿أَيُّ: سَلِمْتَ مِنِّي لَا أَصِيْبُكَ بِمَكْرُوهِ، وَهَذَا جَوَابُ الْجَاهِلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾^(١). ﴿سَأَسْتَغْفِرُ

لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَذَيْنَاهُ مِنَ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

لك ربّي ﴿ كان هذا قبل أن نُهي عن استغفاره، وعده ذلك رجاء أن يُجاب فيه ﴾ إنه كان بي حفيّا ﴿ بارأً لطيفاً.﴾

﴿٤٨﴾ ﴿وأعزلكم وما تدعون﴾ أفارقكم وأفارق ما تعبدون من أصنامكم ﴿وأدعو ربّي﴾ أعبده ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربّي﴾ بعبادته ﴿شقيّا﴾ كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام. يريد: إنه يتقبّل عبادتي ويُثبني عليها.

﴿٤٩﴾ ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾ وذهب مهاجراً إلى الشام ﴿وهبنا له﴾ بعد الهجرة ﴿إسحق ويعقوب وكلاً﴾ منهما ﴿جعلنا﴾ه ﴿نبيّا﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿وهبنا لهم من رحمتنا﴾ يعني: الثبوة والكتاب ﴿وجعلنا لهم لسان صدق عليّا﴾ ثناءً حسناً رفيعاً في كلّ أهل الأديان.

﴿٥١﴾ ﴿واذكر في الكتاب موسى﴾ إنه كان مخلصاً ﴿مُوحّداً قد أخلص دينه لله.﴾

﴿٥٢﴾ ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾ حيث أقبل من مدين يريد مصر، فنودي من الشجرة، وكانت في جانب الجبل على يمين موسى ﴿وقربناه نجياً﴾ قرّبه الله تعالى من السموات للمناجاة، حتّى سمع صرير القلم يكتب له في الألواح.

﴿٥٣﴾ ﴿وهبنا له من رحمتنا﴾ من نعمتنا عليه ﴿أخاه هارون نبياً﴾ حين سأل ذلك ربّه فقال: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي﴾ هارون أخى... ﴿^(١) الآية.﴾

وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾

﴿٥٤﴾ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴿٥٤﴾ إذا وعد وفى، وانتظر إنساناً في مكانٍ وعده عنده حتى حال الحول عليه^(١). ﴿٥٥﴾ وكان رسولاً نبياً ﴿٥٥﴾ قد بُعث إلى جرحهم.

﴿٥٥﴾ وكان يأمر أهله ﴿٥٥﴾ يعني: قومه ﴿٥٥﴾ بالصلاة والزكاة ﴿٥٥﴾ المفروضة عليهم ﴿٥٥﴾ وكان عند ربه مرضياً ﴿٥٥﴾ لأنه قام بطاعته.

﴿٥٦﴾ واذكر في الكتاب القرآن ﴿٥٦﴾ إدريس ﴿٥٦﴾ وقصته ﴿٥٦﴾ إنه كان صديقاً نبياً ﴿٥٦﴾.

﴿٥٧﴾ ورفعناه مكاناً علياً ﴿٥٧﴾ رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ. وقيل: إِلَى الْجَنَّةِ.

﴿٥٨﴾ أولئك الذين ﴿٥٨﴾ يعني: الذين ذكرهم من الأنبياء كانوا ﴿٥٨﴾ من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ﴿٥٨﴾ ومن ذرية مَنْ حملنا مع نوح في سفينته ﴿٥٨﴾ ومن ذرية إبراهيم ﴿٥٨﴾ يعني: إسحاق وإسماعيل ويعقوب ﴿٥٨﴾ وإسرائيل ﴿٥٨﴾ يعني: موسى وهارون ﴿٥٨﴾ وممَّنْ هَدَيْنَا ﴿٥٨﴾ أرشدنا ﴿٥٨﴾ واجتبتنا ﴿٥٨﴾ اصطفينا ﴿٥٨﴾ إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً ﴿٥٨﴾ [جمع بالك] ^(٢) أخبر الله سبحانه أن هؤلاء الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سبحانه سجدوا وبكوا من خشية الله تعالى.

(١) نسب هذا القول لسفيان الثوري ابن كثير في تفسيره ٢٢٠/٣، وهو مستبعد. ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٩١٦/٥ لابن أبي حاتم.

وأخرج ابن جرير ٩٥/١٦ عن سهل بن عقيل أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظَلَّ به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من ها هنا؟ قال: لا. قال: إني نسيتُ. قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقاً.

(٢) زيادة من ظا.

﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾ ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعَدُومًا ﴿٦١﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يَبْكِنُ

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ قفا بعد هؤلاء ﴿خلف﴾ قوم سوء، يعني: اليهود والنصارى والمجوس ﴿أضاعوا الصلاة﴾ تركوا الصلاة المفروضة ﴿واتبعوا الشهوات﴾ اللذات من شرب الخمر والزنا ﴿فسوف يلقون غيًّا﴾ وهو وادٍ في جهنم^(١).

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ من الشُّرْكِ ﴿وآمَنَ﴾ وَصَدَّقَ النَّبِيَّ ﴿وعمل صالحاً﴾ أَدَّى الفرائض ﴿فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ لا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ بالمغيب عنهم ولم يروها ﴿إنَّه كان وعده مأتياً﴾ يُؤتي ما وعده لا محالة، تأتية أنت كما يأتيك هو.

﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾ قبيحاً من القول ﴿إلَّا﴾ لكن ﴿سلاماً﴾ قولاً حسناً يسلمون منه، والسلام: اسمٌ جامعٌ للخير ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً﴾ على قدر ما يعرفون في الدنيا من الغداء والعشاء.

﴿تلك الجنة التي نورث﴾ نُعطي ونُزَل ﴿من عبادنا مَنْ كان تقيّاً﴾ يَتَّقِي الله بطاعته واجتناب معاصيه.

﴿وما ننزل﴾ كان جبريل عليه السَّلام قد احتبس عن النبي ﷺ أَيَّاماً، فلمَّا نزل قال له: أَلَا زَرْتَنَا^(٢)، فَأَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وما ننزل إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ

(١) أخرجه ابن جرير ١٠٠/١٦ عن عبد الله بن مسعود، والطبراني بأسانيد، ورجال بعضها ثقات، وفيه: أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وهو لم يسمع من أبيه. انظر مجمع الزوائد ٥٨/٧.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٨/٨؛ والنسائي في تفسيره ٣٤/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٥٨.

أَيَّدِينَا وَمَا خَلَفْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ
وَأَقْصِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا
يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ
لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾

أَيَّدِينَا ﴿من أمر الآخرة﴾ [﴿وما خلفنا﴾ ما مضى من أمر الدنيا] ^(١) ﴿وما بين ذلك﴾ ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة. وقيل: ﴿له ما بين أيدينا﴾: يعني: الدنيا، ﴿وما خلفنا﴾ يعني: السموات، ﴿وما بين ذلك﴾: الهواء. ﴿وما كان ربك نسيا﴾ تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي. وقوله:

﴿هل تعلم له سمياً﴾ هل تعلم أحداً يُسمي الله غيره؟

﴿ويقول الإنسان﴾ يعني: أبي بن خلف ﴿أإذا ما مِتُّ لسوف أخرج حياً﴾ يقول هذا استهزاء وتكديماً بالبعث، يقول: لسوف أخرج حياً من قبري بعد ما مِتُّ؟! ﴿أولاً يذكر﴾ يتذكر ويتفكر هذا الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴿فيعلم أَنَّ مَنْ قَدَرُ عَلَى الْإِبْتِدَاءِ قَدَرُ عَلَى الْإِعَادَةِ، ثُمَّ أَقْسَمَ بِنَفْسِهِ أَنَّهُ يَبْعَثُهُمْ فَقَالَ:

﴿فوربك لنحضرنهم﴾ يعني: منكري البعث ﴿والشياطين﴾ قراءهم الذين أضلّوهم ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾ جماعات، جمع: جثوة ^(٢).

﴿ثم لننزعن﴾ لنخرجن ﴿من كل شيعه﴾ أمة وفرقة ﴿أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ الأعتى فالأعتى منهم، وذلك أَنَّهُ يبدأ في التعذيب بأشدّهم عتياً، ثم الذي يليه.

(١) ما بين [] ليس في الأصل، وهو ثابت في باقي المخطوطات.

(٢) وفي هامش ظ: قوله تعالى: ﴿حول جهنم جثياً﴾، الجثي: جمع الجاثي، وهو الذي يجثو على الركب. اهـ.

وتفسيره بأنه جمع جثوة؛ هو قول مقاتل حيث قال: ﴿جثياً﴾ جمعاً جمعاً.

قال القرطبي: وهو على هذا التأويل جمع جثوة مثلث الجيم، وهي الحجارة والتراب المجموع، فأهل الخمر على حدة، وأهل الزنى على حدة، وهكذا. تفسير القرطبي ١٣٣/١١.

قلت: وتفسيرها بأنها جمع جاثٍ هو الأشهر، وعليه الجمهور.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أُولَىٰ بِهَا صِلَاً ﴿٧٦﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٦﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثَاً ﴿٧٧﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيعًا ﴿٧٨﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٩﴾

﴿٧٦﴾ ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً ﴿٧٦﴾ أحقُّ بدخول النَّارِ.
 ﴿٧٦﴾ وإن منكم ﴿٧٦﴾ وما منكم من أحدٍ ﴿٧٦﴾ إلا واردها ﴿٧٦﴾ إلا وهو يرد النَّارِ ﴿٧٦﴾ كان على ربك ﴿٧٦﴾ كان الورد على ربك ﴿٧٦﴾ حتماً مقضياً ﴿٧٦﴾ حتم بذلك وقضى.
 ﴿٧٧﴾ ثم نُنَجِّي ﴿٧٧﴾ من النَّارِ ﴿٧٧﴾ الذين اتقوا ﴿٧٧﴾ الشُّركِ ﴿٧٧﴾ ونذر الظالمين ﴿٧٧﴾ المشركين ﴿٧٧﴾ فيها جثياً ﴿٧٧﴾ [أي]: جميعاً.
 ﴿٧٧﴾ وإذا تلى عليهم آياتنا بَيِّنَاتٍ ﴿٧٧﴾ يعني: القرآن وما بيّن الله فيه ﴿٧٧﴾ قال الذين كفروا ﴿٧٧﴾ يعني: مشركي قريش ﴿٧٧﴾ للذين آمنوا أيُّ الفريقين ﴿٧٧﴾ منّا ومنكم ﴿٧٧﴾ خيراً مقاماً ﴿٧٧﴾ منزلاً ومسكناً ﴿٧٧﴾ وأحسن ندياً ﴿٧٧﴾ مجلساً، وذلك أنّهم كانوا أصحاب مالٍ وزينةٍ من الدُّنيا، وكان المؤمنون أصحاب فقرٍ ورثاة، فقالوا لهم: نحن أعظم شأنًا، وأعزُّ مجلساً، وأكرم منزلاً أم أنتم؟ فقال الله تعالى:
 ﴿٧٨﴾ وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا ﴿٧٨﴾ متاعاً ﴿٧٨﴾ وورثاً ﴿٧٨﴾ منظراً من هؤلاء الكفار، فلم يُغن ذلك عنهم شيئاً.

﴿٧٩﴾ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ ﴿٧٩﴾ الشُّركِ والجهالة ﴿٧٩﴾ فليمدد له الرحمن مَدًّا ﴿٧٩﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تعالى يمدُّ له فيها ويمهله في كفره، وهذا لفظ أمرٍ معناه الخبر ﴿٧٩﴾ حتى إذا رأوا ما يوعدون إِمَّا الْعَذَابَ ﴿٧٩﴾ في الدُّنيا ﴿٧٩﴾ وإِما السَّاعَةَ فسيعلمون مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ﴿٧٩﴾ أَمُّ الْمُؤْمِنُونَ؟ وذلك أنّهم إن قُتِلوا ونُصِرَ الْمُؤْمِنُونَ عليهم علموا أنّهم أضعف جنداً، وإن ماتوا فدخلوا النَّارَ علموا أنّهم شرٌّ مكاناً.

وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ﴿٧٦﴾
 أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطْلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
 عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا
 فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

﴿٧٦﴾ ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ﴿يزيدهم في يقينهم ورشدهم﴾ والباقيات
 الصالحات ﴿الأعمال الصالحة﴾ ﴿خيرٌ عند ربك ثواباً﴾ ممّا يملك الكفار من المال
 ﴿وخيرٌ مردّاً﴾ أي: في المرد، وهو الآخرة.

﴿٧٧﴾ ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا﴾ يعني: العاص بن وائل ^(١) ﴿وقال لأوتين مالا وولدا﴾
 وذلك أنّ خبّاباً اقتضى ديناً له عليه، فقال: أستم تزعمون أنّ في الجنة ذهباً
 وفضّة؟ ولئن كان ما تقولون حقّاً فإنّي لأفضل نصيباً منك، فأخبرني حتى أقضيك
 في الجنة، استهزاء، فذلك قوله: ﴿لأوتين مالا وولدا﴾ يعني: في الجنة، فقال
 الله تعالى:

﴿٧٨﴾ ﴿أطلع الغيب﴾ أعلم علم الغيب حتى عرف أنّه في الجنة ﴿أم اتخذ عند الرحمن
 عهداً﴾ أم قال: لا إله إلا الله حتى يستحقّ دخول الجنة؟

﴿٧٩﴾ ﴿كلا﴾ ليس الأمر كما يقول: ﴿سنكتب ما يقول﴾ سيحفظ عليه ما يقول من الكفر
 والاستهزاء لنجازيه به ﴿ونمدّ له من العذاب مدّاً﴾ نزيده عذاباً فوق العذاب.

﴿٨٠﴾ ﴿ونرثه ما يقول﴾ من أنّ في الجنة ذهباً وفضّة، فنجعل له لغيره من المسلمين
 ﴿ويأتينا فرداً﴾ خالياً من ماله وولده وخدمه.

﴿٨١﴾ ﴿واتخذوا من دون الله﴾ يعني: أهل مكّة ﴿آلهة﴾ وهي الأصنام ﴿ليكونوا لهم
 عزّاً﴾ أعواناً يمنعونهم مني.

(١) حديث العاص مع خباب أخرجه البخاري في التفسير ٤٢٩/٨، وفي البيوع، ومسلم في صفات
 المنافقين برقم ٢٧٩٥، والنسائي في تفسيره ٣٧/٢، والترمذي في التفسير برقم ٣١٦٢،
 وابن جرير ١٢٠/١٦.

كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ
 أَزًّا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا ﴿٨٤﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسْوَ
 الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ﴿٨٦﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا
 اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ﴿٨٩﴾

﴿٨٢﴾ ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما ظنُّوا ﴿سيكفرون بعبادتهم﴾ لأنهم كانوا جماداً لم يعرفوا أنهم يُعبدون ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ أعواناً، وذلك أن الله تعالى يحشر آلهتهم فينطقهم، ويركَّب فيهم العقول فتقول: يا ربِّ عذب هؤلاء الذين عبدونا من دونك.

﴿٨٣﴾ ﴿ألم تر﴾ يا محمَّد ﴿أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ سلَّطناهم عليهم بالإغواء ﴿تؤزهم أزاً﴾ تُزعجهم من الطاعة إلى المعصية.

﴿٨٤﴾ ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بالعذاب ﴿إنما نعدُّ لهم﴾ الأيَّام والليالي والأنفاس ﴿عذاً﴾ إلى انتهاء أجل العذاب.

﴿٨٥﴾ ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ ركبناً مُكرمين.

﴿٨٦﴾ ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ عطاشاً.

﴿٨٧﴾ ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ﴾ لكم ﴿عند الرحمن عهداً﴾ اعتقد التَّوْحِيد وقال: لا إله إلا الله^(١)؛ فإنه يملك الشَّفاعة، والمعنى: لا يشفع إلا مَنْ شهد أن لا إله إلا الله.

﴿٨٨﴾ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: اليهود والنصارى، ومن زعم أن الملائكة بنات الله.

﴿٨٩﴾ ﴿لقد جئتم شيئاً إذاً﴾ عظيماً فظيماً.

(١) أخرجه ابن جرير ١٢٨/١٦ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة.

تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَفْطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾
وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ
عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ
الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَدَّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ يُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

﴿٩٠﴾ تكاد السموات تقرب من أن يفطرن يتشققن منه ﴿٩١﴾ من هذا القول
﴿وتخِرُّ﴾ وتسقط ﴿الجبال هدا﴾ سقوطاً.

﴿٩١﴾ أن دعوا ﴿لأن دعوا﴾ للرحمن ولداً.

﴿٩٢﴾ وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً ﴿لأنه لا يليق به الولد، ولا مجانسة بينه وبين
أحد.

﴿٩٣﴾ إن كل ﴿ما كل﴾ من في السموات والأرض إلا ﴿وهو يأتي الله سبحانه يوم
القيامة مقراً له بالعبودية.

﴿٩٤﴾ لقد أحصاهم وعددهم عدداً أي: علمهم كلهم، فلا يخفى عليه أحد ولا يفوته.

﴿٩٥﴾ وكلهم آتية يوم القيامة فرداً من ماله وولده ليس معه أحد.

﴿٩٦﴾ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴿محبة في قلوب
المؤمنين، قيل: نزلت في علي بن أبي طالب. وقيل: في عبد الرحمن بن عوف.

﴿٩٧﴾ فإنما يسرناه ﴿سهلنا القرآن﴾ بلسانك ﴿بلغتك﴾ لتبشر به المتقين ﴿الذين صدقوا
وتركوا الشرك﴾ وتندر به قوماً لداً ﴿شداد الخصومة.

﴿٩٨﴾ وكم أهلكنا قبلهم قبل قومك ﴿من قرن﴾ جماعة ﴿هل تحس﴾ تجد ﴿منهم
من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ صوتاً.

سُورَةُ طه

[مكية وهي مائة وثلاثون وخمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ
وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿طه﴾ يا رجل ^(١).

﴿٢﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى لتتعب بكثرة الجهد، وذلك أنه كان يُصلي الليل كله بمكة حتى تورمت قدماه، وقال له الكفار: إنك لتشقى بترك ديننا، فأنزل الله تعالى هذه الآية ^(٢).

﴿٣﴾ إلا تذكرة أي: ما أنزلناه إلا تذكرة، موعظة ﴿لمن يخشى﴾ يخاف الله عز وجل.

﴿٤﴾ تنزيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿جمع العليا﴾.

﴿٥﴾ الرحمن على العرش ﴿مع أنه أعظم المخلوقات استوى﴾ [أي: أقبل على خلقه، كقوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ ^(٣) مع أنه أعظم المخلوقات] ^(٤)، أي: استولى. وقوله:

(١) عن ابن عباس قال: طه بالنبطية يا رجل. أخرجه ابن جرير ١٣٥/١٦.

(٢) وهذا قول مقاتل، ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٣٥١.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١. (٤) ما بين [] زيادة من ظ وظا.

لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ وَإِنْ تَجْهَر بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ
السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿٩﴾
إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ
هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ
طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا آخَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ

﴿٦﴾ «وما تحت الثرى» ما تحت الأرض، والثرى: الثراب الندي.

﴿٧﴾ «وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر» وهو ما أسررت في نفسك «وأخفى» وهو ما
استحدثت به نفسك مما لم يكن بعد، والمعنى: إنه يعلم هذا، فكيف ما جهر
به؟

﴿٩﴾ «وهل أتاك» يا محمد. «حديث موسى» خبره وقصته.

﴿١٠﴾ «إذ رأى ناراً» في طريقه إلى مصر لما أخذ امرأته الطلق «فقال لأهله» لامرأته:
«امكثوا» أقيموا مكانكم. «إني آنست» أبصرت «ناراً لعلني آتيكم منها بقبس»
شعلة نار «أو أجد على النار هدى» من يهديني ويدلني على الطريق، وكان قد
ضلَّ عن الطريق.

﴿١١﴾ «فلما أتاه» أي: النار.

﴿١٢﴾ «نودي يا موسى» * «إني أنا ربك فاخلع نعليك» وكاننا من جلد حمارٍ ميتٍ غيرٍ
مدبوغ، لذلك أمر بخلعها «إنك بالواد المقدس» المُطَهَّر «طوى» اسم ذلك
الوادي.

﴿١٣﴾ «وأنا اخترتك» اصطفتك للنبوة «فاستمع لما يوحى» إليك مني.

﴿١٤﴾ «وأقم الصلاة لذكري» لتذكرني فيها.

﴿١٥﴾ «إن الساعة» القيامة «آتية أكاد أخفيها» أسترها للتَّهْوِيل والتَّعْظِيم، و «أكادُ»

أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَتَرَدَّى ﴿١٦﴾ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَّى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى
غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْوَسَّى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ
خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿٢١﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ
سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿٢٢﴾ لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي
صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَبَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾

صلة. ﴿لتجزي﴾ في ذلك اليوم ﴿كل نفس بما تسعي﴾ تعمل.

﴿١٦﴾ ﴿فلا يصدنك﴾ يمنعك ﴿عنها﴾ عن الإيمان بالساعة ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ مراده ﴿فتردى﴾ فتهلك.

﴿١٧﴾ ﴿وما تلك﴾ وما التي ﴿بيمينك﴾ في يدك اليمنى؟ ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها﴾
أتحامل عليها عند المشي والإعياء ﴿وأهش﴾ أخبط الورق عن الشجر ﴿بها على﴾
غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴿حاجات أخرى سوى التوكؤ والهش. وقوله:

﴿٢١﴾ ﴿سنعيدها سيرتها الأولى﴾ أي: نردّها عصاً كما كانت.

﴿٢٢﴾ ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ جناح الإنسان: عضده إلى أصل إبطه، يريد: أدخلها
تحت جناحك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ برص أو داء ﴿آية أخرى﴾ لك سوى
العصا.

﴿٢٣﴾ ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾ وكانت يده أكبر آياته.

﴿٢٤﴾ ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ كفر بأنعمي، وتكبر عن عبادتي، فعند ذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿قال﴾ موسى: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ وسّع وكنّ لي قلبي بالإيمان والثبوة.

﴿٢٦﴾ ﴿وبسر لي أمري﴾ وسهّل عليّ ما أمرتني به من تبليغ الرسالة.

وَأَحْلَلْ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ
 أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ سَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ
 قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى ﴿٣٨﴾ أَنْ
 أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ

﴿٢٧﴾ «واحلل» افتح ﴿عقدة من لساني﴾ وكانت في لسانه رُتَّةٌ ^(١) للجمرة التي وضعها
 على لسانه في صباه.

﴿٢٨﴾ «يفقهوا قولي» كي يفهموا كلامي.

﴿٢٩﴾ «واجعل لي وزيراً» معيناً ﴿من أهلي﴾ وهو،

﴿هارون﴾.

﴿٣١﴾ «اشدد به أزري» قوّ به ظهري.

﴿٣٢﴾ «وأشركه في أمري» اجعل ما أمرتني به من التَّوْبَةِ بيني وبينه.

﴿٣٣﴾ «كي نسبحك» نصلّي لك ﴿كثيراً﴾.

﴿٣٤﴾ «ونذكرك كثيراً» باللسان على كلّ حال.

﴿٣٥﴾ «إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا» عالماً، فاستجاب الله له، وقال تعالى:

﴿٣٦﴾ «قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى» أعطيت مرادك، ثُمَّ ذَكَرَ مَنَّةَ السَّالِفَةِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ
 تعالى:

﴿٣٧﴾ «وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى» قبل هذه، وهي: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مَا يُوحَى﴾
 أَي: أَلْهَمْنَاهَا مَا يَلْهَمُ الْإِنْسَانَ مِنَ الصَّوَابِ، وَهُوَ إِيَّاهَا: اللهُ تَعَالَى

﴿٣٨﴾ «أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ» فاطر حيه ﴿فِي الْيَمِّ﴾ يعني: نَهْر النَّيْلِ

(١) الرُّتَّةُ: العجمة في الكلام.

فَلْيَلْقِهِ أَلِيمٌ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَكَ وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مَنِي وَلِنُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴿٤٦﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمْوَسَّى ﴿٤٧﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤٨﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نُنْيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٩﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٥٠﴾

﴿فليلقه اليمُّ بالساحل﴾ فيرده الماء إلى الشطِّ ﴿يأخذه عدوُّ لي وعدوُّ له﴾ وهو فرعون ﴿والقيت عليك محبة مني﴾ حتى لم يقتلك عدوك الذي أخذك من الماء، وهو أنه حبَّبه إلى الخلق كلِّهم، فلا يراه مؤمنٌ ولا كافرٌ إلَّا أحبه. ﴿ولنصنع﴾ ولتربى وتغذى ﴿على عيني﴾ على محبتي ومرادي. يعني: إذ رده إلى أمِّه حتى غذته، وهو قوله:

﴿٤٦﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ مُتَعَرِّفَةً خَبْرَكَ وَمَا يَكُونُ مِنْ أَمْرٍ بَعْدَ الطَّرْحِ فِي الْمَاءِ ﴿فتقول﴾ لكم: ﴿هل أدلكم على مَنْ يكفله﴾ يرضعه ويضمُّه إليه، وذلك حين أبى موسى عليه السَّلام أن يقبل ثدي امرأة، فلمَّا قالت لهم ذلك قالوا: نعم، فجاءت بالأُمِّ، فدفع إليها، فذلك قوله: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها﴾ بلقائك وبقائك ﴿ولا تحزن﴾ على فقدك ﴿وقتلْتَ نفساً﴾ يعني: القبطي الذي قتله ﴿فنجيناك من الغم﴾ من غم أن تُقتل به ﴿وفتناك فتونا﴾ اختبرناك اختباراً بأشياء قبل النَّبوة ﴿فلبثت﴾ مكثت ﴿سنين في أهل مدين﴾ عشر سنين في منزل شعيب ﴿ثم جئت على قدر﴾ على رأس أربعين سنة. وهو القدر الذي يوحى فيه إلى الأنبياء عليهم السَّلام.

﴿٤٨﴾ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿اخترتك بالرَّسالة لكي تحبني وتقوم بأمرى.

﴿٤٩﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي﴾ يعني: بما أعطاهما من المعجزة ﴿ولا تنيا﴾ لا تفترًا.

﴿٥٠﴾ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ علا وتكبَّر.

فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴿٤٦﴾ فَأَنبِئَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعْذِِبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَقَوْلِي ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾

﴿٤٤﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا كُنِّيَاهُ وَعِدَاهُ عَلَى الْإِيمَانِ نَعِيمًا وَعَمْرًا طَوِيلًا فِي صَحَّةٍ، وَمَصِيرًا إِلَى الْجَنَّةِ ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ يَتَّعِظُ ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى، وَمَعْنَى «لَعَلَّ» هَا هُنَا يَعُودُ إِلَى حَالِ مُوسَى وَهَارُونَ. أَي: اذْهَبَا أَنْتُمَا عَلَى رَجَائِكُمَا وَطَمَعِكُمَا، وَقَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى مَا يَكُونُ مِنْهُ.

﴿٤٥﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا ﴿يَعْجَلُ عَلَيْنَا﴾^(١) بِالْقَتْلِ وَالْعُقُوبَةِ ﴿أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ يَتَكَبَّرُ وَيَسْتَعْصِي.

﴿٤٦﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا بِالْعَوْنِ وَالنُّصْرَةِ ﴿أَسْمَعُ﴾ مَا يَقُولُ ﴿وَأَرَى﴾ مَا يَفْعَلُ. وَقَوْلُهُ:

﴿٤٧﴾ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ أَي: خَلِّ عَنْهُمْ وَلَا تَسْتَخْرِهْمُ ﴿وَلَا تَعْذِِبْهُمْ﴾ وَلَا تَتَّعِبْهُمْ فِي الْعَمَلِ. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِثَابِتٍ مِّنْ رَبِّكَ﴾ يَعْنِي: الْيَدَ الْبَيْضَاءَ [وَالْعَصَا]^(٢) ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ سَلَامٌ مِّنْ أَسْلَمَ.

﴿٤٨﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ ﴿وَتَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ. وَقَوْلُهُ:

﴿٥٠﴾ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ أَي: أَتَقَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِّمَّا خَلَقَ، وَخَلَقَهُ عَلَى الْهَيْئَةِ الَّتِي بِهَا يُنْتَفَعُ، وَالَّتِي هِيَ أَصْلَحُ وَأَحْكَمُ لِمَا يُرَادُ مِنْهُ ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ أَي: هَدَاهُ لِمَعِيشَتِهِ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِرْعَوْنُ عَنْ أَعْمَالِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٤﴾ ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِّنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمْؤُوسِ ﴿٥٧﴾﴾

﴿٥١﴾ «فما بال القرون الأولى» الماضية؟ فأجابه موسى عليه السلام بأن أعمالهم محفوظة عند الله يُجازون بها، وهو قوله:

﴿٥٢﴾ «علمها عند ربي في كتاب» وهو اللوح المحفوظ ﴿لا يضل ربي﴾ لا يخطيء، ومعناه: لا يترك مَنْ كفر به حتى ينتقم منه ﴿ولا ينسى﴾ مَنْ وَحَّده حتى يجازيه.

﴿٥٣﴾ «الذي جعل لكم الأرض مهاداً» ^(١) فراشاً ﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾ وسهّل لكم فيها طرقاً ﴿وأنزل من السماء ماء﴾ يريد: المطر، وتمّ ها هنا جواب موسى، ثمّ تلوّن الخطاب، وقال الله تعالى: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿من نبات شتى﴾ مختلفة الألوان والطُعموم.

﴿٥٤﴾ «كلوا» منها ﴿وارعوا أنعامكم﴾ فيها، أي: أسيموها واسرحوها في نبات الأرض ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿آيات﴾ لِّعبرة ﴿لأولي النهى﴾ لذوي العقول.

﴿٥٥﴾ «منها خلقناكم» يعني: آدم عليه السلام ﴿وفيها نعيدكم﴾ عند الموت ﴿ومنها نخرجكم﴾ عند البعث ﴿تارة﴾ مرّة ﴿أخرى﴾.

﴿٥٦﴾ «ولقد أريناه» يعني: فرعون ﴿آياتنا كلها﴾ الآيات التسع ﴿فكذب﴾ بها، وزعم أنها سحر ﴿وأبى﴾ أن يُسلم.

﴿٥٧﴾ «قال» لموسى: ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾ من أرض مصر.

(١) قرأ «مهاداً» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «مهداً». الإتحاف ص ٣٠٣.

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾
 قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾
 قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَتِلْكَ لَآ تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾
 فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا لَسِحْرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

﴿٥٨﴾ ﴿بسحرك يا موسى﴾ * فلنأتينك بسحر مثله ﴿فلنعارضنَّ سحرك بسحرٍ مثله﴾ ﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾ لمعارضتنا إياك، لا نخلف ذلك الموعد ﴿نحن ولا أنت﴾ وأراد بالموعد ها هنا موضعاً يتواعدون للاجتماع هناك، وهو قوله: ﴿مكاناً سوي﴾ أي: يكون النصف فيما بيننا وبينك.

﴿٥٩﴾ ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ أي: وقت موعدكم يوم الزينة، وهو يوم عيد كان لهم ﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾ يريد: يجمع أهل مصر في ذلك اليوم نهائراً، أراد موسى صلوات الله عليه أن يكون أبلغ في الحجّة، وأشهر ذكراً في الجمع.

﴿٦٠﴾ ﴿فتولى﴾ فأدبر ﴿فرعون فجمع كيده﴾ حيّله وسحرته ﴿ثم أتى﴾ الميعاد.

﴿٦١﴾ ﴿قال لهم موسى﴾ للسحرة: ﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾ لا تشركوا مع الله أحداً ﴿فيسحيتكم﴾ فيستأصلكم ﴿بعذاب وقد خاب من افترى﴾ خسر من ادّعى مع الله تعالى إلهاً آخر.

﴿٦٢﴾ ﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾ فتشاوروا بينهم، يعني: السحرة ﴿وأسروا النجوى﴾ تكلموا فيما بينهم سراً من فرعون، فقالوا: إن غلبنا موسى اتّبعناه.

﴿٦٣﴾ ﴿قالوا إن هذين﴾ لساحران ﴿يعنون: موسى وهارون عليهما السلام﴾ يريدان أن يخرجاك من أرضكم ﴿من مصر ويغلبا عليها﴾ يسحرهما ويذهبا بطريقتكُم المثلّى ﴿بجماعتكم الأشراف، أي: يصرفا وجوههم إليهما﴾.

فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جَبَّاهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ بِخَيْلٍ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةُ مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُبُجًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلُ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي

﴿٦٤﴾ «فأجمعوا كيدكم» أي: اعزموا على الكيد من غير اختلاف بينكم فيه «ثم اتوا صفا» مجتمعين مصطفين؛ ليكون أشد لهيبكم «وقد أفلح اليوم من استعلى» أي: قد سعد اليوم من غلب.

﴿٦٥﴾ «قالوا يا موسى إمّا أن تلقي» عصاك من يدك إلى الأرض «وإمّا أن نكون أول من ألقى».

﴿٦٦﴾ «قال بل ألقوا» أنتم، «فألقوا» فإذا جباهم وعصيتهم «جمع العصا» يخيل إليه «يشبه لموسى» «أنها تسعى» وذلك أنها تحركت بنوع حيلة وتمويه، وظن موسى أنها تسعى نحوه.

﴿٦٧﴾ «فأوجس» فأضمر «في نفسه خيفة» خوفاً، «خاف أن لا يفوز ولا يغلب فلا يصدق، حتى قال الله تعالى له:

﴿٦٨﴾ «لا تخف إنك أنت الأعلى» الغالب.

﴿٦٩﴾ «وألقي ما في يمينك تلقف» تبتلع «ما صنعوا إن ما صنعوا» أي: الذي صنعوه «كيد ساحر ولا يفلق الساحر حيث أتى» ولا يسعد الساحر حيث ما كان. «فألقي موسى عصاه فتلقفت كل الذي صنعوه، وعند ذلك ألقى

﴿٧٠﴾ «السحرة سجداً» خرّوا ساجدين لله تعالى «قالوا آمنا برب هارون وموسى».

﴿٧١﴾ «قال آمنتم له» صدقتموه «قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم» معلّمكم «الذي

عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَابَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ
 آيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧١﴾ قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيِنَتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
 قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ
 السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مِّنْ يَّاتٍ رَبِّهِمْ تَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَنْ
 يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
 خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ

علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ﴿٧١﴾ ولتعلمن آينا أشد عذابا ﴿٧٢﴾ أنا
 أو رب موسى ﴿٧٣﴾ وأبقى ﴿٧٤﴾ وأدوم.

﴿٧٢﴾ قالوا لن نؤثرَكَ ﴿٧١﴾ لن نختار دينك ﴿٧٢﴾ على ما جاءنا من البينات ﴿٧٣﴾ اليقين والهدى
 ﴿٧٤﴾ والذي فطرنا ﴿٧٥﴾ ولا نختارك على الذي خلقنا ﴿٧٦﴾ فاقض ما أنت قاض ﴿٧٧﴾ فاصنع
 ما أنت صانع ﴿٧٨﴾ من القطع والصلب ﴿٧٩﴾ إنما تقضي هذه الحياة الدنيا ﴿٨٠﴾ إنما سلطانك
 وملكك في هذه الحياة الدنيا.

﴿٧٣﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا ﴿٧٢﴾ الشُّرْكُ الَّذِي كُنَّا فِيهِ ﴿٧٣﴾ وما أكرهتنا عليه من
 السحر ﴿٧٤﴾ وإكراهك إيانا على تعلم السحر ﴿٧٥﴾ والله خير ﴿٧٦﴾ لنا منك ﴿٧٧﴾ وأبقى ﴿٧٨﴾ لأنك
 فان هالك.

﴿٧٤﴾ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا ﴿٧٣﴾ مات على الشُّرْكِ ﴿٧٤﴾ فإن له جهنم لا يموت فيها ﴿٧٥﴾
 فيستريح بالموت ﴿٧٦﴾ ولا يحيا ﴿٧٧﴾ حياة تنفعه.

﴿٧٥﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا ﴿٧٤﴾ مات على الإيمان ﴿٧٥﴾ قد عمل الصالحات ﴿٧٦﴾ قد أدَّى الفرائض
 ﴿٧٧﴾ فأولئك لهم الدرجات العلى ﴿٧٨﴾ في الجنة. وقوله:

﴿٧٦﴾ جزاء من تزكى ﴿٧٧﴾ تطهر من الشُّرْكِ بقول: لا إله إلا الله.

﴿٧٧﴾ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي ﴿٧٨﴾ سز بهم ليلاً من أرض مصر ﴿٧٩﴾ فاضرب

لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكَ مِنْ عَدُوِّكَ وَوَعَدْنَاكَ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

لهم بعصاك ﴿طريقاً في البحر يبساً﴾ لا تخاف دركاً ﴿من فرعون خلفك﴾ ولا تخشى ﴿غرقاً في البحر﴾.

﴿فأتبعهم﴾ ﴿فلحقهم﴾ ﴿فرعون بجنوده فغشيهم من اليم﴾ ﴿فعلاهم من البحر﴾ ﴿ما غشيهم﴾ ﴿ما غرقهم﴾.

﴿وأضل فرعون قومه وما هدى﴾ ﴿ردَّ عليه حيث قال﴾: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾^(١)، ثم ذكر منته على بني إسرائيل فقال:

﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾ ﴿فرعون﴾ ﴿وواعدناكم﴾ ﴿لايتاء الكتاب﴾ ﴿جانب الطور الأيمن﴾ وذلك أنَّ الله سبحانه وعد موسى أن يأتي هذا المكان، فيؤتيه كتاباً فيه الحلال والحرام والأحكام، ووعدهم موسى أن يأتي هذا المكان عند ذهابه عنهم. ﴿ونزلنا عليكم المَنَّاءَ والسلوى﴾ يعني: في التَّيِّه.

﴿كلوا﴾ أي: وكلنا لهم: كلوا ﴿من طيبات﴾ حلالات ﴿ما رزقناكم ولا تظفوا﴾ ولا تكفروا النعمة ﴿فيه فيحل﴾ فيجب ﴿عليكم غضبي ومن يحلل﴾ [يجب]^(٢) ﴿عليه غضبي فقد هوى﴾ هلك وصار إلى الهاوية.

﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشُّرك ﴿وآمن﴾ وصدَّق بالله ﴿وعمل صالحاً﴾ بطاعة الله ﴿ثم اهتدى﴾ أقام على ذلك حتى مات عليه.

﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾ (٨٣) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَتَقَوَّمُ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

﴿وما أعجلك عن قومك﴾ يعني: السبعين الذين اختارهم، وذلك أنه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله، وأمرهم أن يتبعوه، فذلك قوله:

﴿قال: هم أولاء على أثري﴾ يجيئون بعدي ﴿وعجلت إليك﴾ بسبقني إياهم ﴿لترضى﴾ لتزداد عني رضى.

﴿قال فإننا قد فتنا قومك﴾ أي: ألقيناهم في الفتنة واختبرناهم ﴿من بعدك﴾ من بعد خروجك من بينهم ﴿وأضلهم السامري﴾ بدعائهم إلى عبادة العجل.

﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا﴾ شديد الحزن. ﴿قال: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾ أنه يعطيكم التوراة [صدقا] ^(١) لذلك الموعد. ﴿أفطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحل﴾ أن يجب ﴿عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾ باتخاذ العجل ولم تنظروا رجوعي إليكم.

﴿قالوا: ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾ [باختيارنا] ^(٢) ونحن نملك من أمرنا شيئاً، ولكن السامري استغوانا وهو معنى قوله: ﴿ولكننا حملنا أوزاراً﴾ أثقالاً ﴿من زينة القوم﴾ من حلي آل فرعون ﴿فقذفناها﴾ ألقيناها في النار بأمر السامري، وذلك أنه قال: اجمعوها وألقوها في النار ليرجع موسى، فيرى فيها رأيه ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ما معه من الحلي في النار، وهو قوله: ﴿فكذلك ألقى السامري﴾ ثم صاغ لهم عجلاً، وهو قوله:

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمْ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُرْجَعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنَّ أَفْعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

﴿٨٨﴾ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوارٌ ودماً ﴿له خوار﴾ صوت، فسجدوا له، وافتتنوا به، وقالوا: ﴿هذا إلهكم وإله موسىٰ فنسي﴾ فتركه ها هنا وخرج يطلبه. قال الله تعالى احتجاجاً عليهم:

﴿٨٩﴾ أفلا يرون ألا يرجع ﴿أنه لا يرجع﴾ إليهم قولاً ﴿لا يكلمهم العجل ولا يجيبهم﴾ ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً.

﴿٩٠﴾ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴿من قبل رجوع موسىٰ﴾: ﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾ ابتليتكم بالعجل ﴿وإن ربكم الرحمن﴾ لا العجل ﴿فاتبعوني﴾ على ديني ﴿وأطيعوا أَمْرِي﴾.

﴿٩١﴾ قالوا لن نبرح عليه عاكفين ﴿على عبادته مقيمين﴾ ﴿حتى يرجع إلينا موسىٰ﴾ فلمَّا رجع موسىٰ

﴿٩٢﴾ قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ﴿أخطأوا الطريق بعبادة العجل﴾ أن لا تتبعني ﴿أن تتبعني وتلحق بي وتخبرني﴾ ﴿أف عصيت أَمْرِي﴾ حيث أقمْتَ فيما بينهم وهم يعبدون غير الله؟! ثم أخذ شعر رأسه يمينه ولحيته بشماله غضباً وإنكاراً عليه، فقال:

﴿٩٣﴾ يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي ﴿إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل﴾ خشيت إن فارقتهم وأتبعتك أن يصيروا حزينين يقتل بعضهم بعضاً، فنقول: أوقعت الفرقة فيما بينهم ﴿ولم ترقب قولي﴾ لم تحفظ وصيتي في حسن

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ
الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ
تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

الخلافة عليهم، ثم أقبل موسى على السامريّ فقال:

﴿٩٥﴾ ﴿فما خطبك﴾ فما قصّتك وما الذي تخاطب به فيما صنعت؟

﴿٩٦﴾ ﴿قال: بصرت بما لم يبصروا به﴾ علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل. قال موسى: وما ذلك؟ قال: رأيت جبريل عليه السّلام على فرس الحياة، فألقي في نفسي أن أقبض من أثرها، فما ألقيته على شيء إلا صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ^(١)، فحين رأيت قومك سألوكم أن تجعل لهم إلهاً زينت لي نفسي ذلك، فذلك قوله: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبدتها﴾ طرحتها في العجل ﴿وكذلك سوّلت لي نفسي﴾ حدّثني نفسي.

﴿٩٧﴾ ﴿قال﴾ له موسى صلوات الله عليه: ﴿فاذهب فإنّ لك في الحياة﴾ يعني: ما دمت حياً ﴿أن تقول لا مساس﴾ لا تخالط أحداً ولا يخالطك، وأمر موسى بني إسرائيل ألا يخالطوه، وصار السامريّ بحيث لو مسّه أحدٌ أو مسّ هو أحداً حُمّ كلاهما ﴿وإنّ لك موعداً﴾ لعذابك ﴿لن تخلفه﴾ لن يُخلفكه الله ﴿وانظر إلى إلهك﴾ معبودك ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ دمت عليه مقيماً تعبده ﴿لنحرقه﴾ بالنّار ﴿ثمّ لننسفه﴾ لنذريته في البحر.

﴿٩٨﴾ ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو﴾ لا العجل ﴿وسع كلّ شيء علماً﴾ علم كلّ شيء علماً.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءٍ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٢٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿٢٢﴾ يَخْلَفْتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿٢٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿٢٤﴾ وَسْتَأْذِنُكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿٢٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿٢٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿٢٧﴾

﴿١٩﴾ كذلك ﴿﴾ كما قصصنا عليك هذه القصة ﴿﴾ نقص عليك من أنباء ما قد سبق ﴿﴾ من الأمور ﴿﴾ وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴿﴾ يعني: القرآن.

﴿٢٠﴾ من أعرض عنه ﴿﴾ فلم يؤمن به ﴿﴾ فإنه يحمل يوم القيامة وزراً ﴿﴾ حملاً ثقيلاً من الكفر.

﴿٢١﴾ خالدين فيه ﴿﴾ لا يغفر ربك لهم ذلك، ولا يكفر عنهم شيء ﴿﴾ وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴿﴾ بش ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن.

﴿٢٢﴾ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين ﴿﴾ الذين اتخذوا مع الله إلهاً آخر ﴿﴾ يومئذ زرقاً ﴿﴾ زرق العيون سود الوجوه.

﴿٢٣﴾ يتخافتون ﴿﴾ يتساررون ﴿﴾ بينهم إن لبثتم ﴿﴾ ما لبثتم في قبوركم إلا عشر ليالٍ. يريدون: ما بين التفخيتين، وهو أربعون سنة يُرفع العذاب في تلك المدة عن الكفار، فيستقصرون تلك المدة إذا عاينوا هول القيامة. قال الله تعالى:

﴿٢٤﴾ نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة ﴿﴾ أعدلهم قولاً ﴿﴾ إن لبثتم إلا يوماً ﴿﴾.

﴿٢٥﴾ ويسألونك عن الجبال ﴿﴾ سألوا النبي ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ ﴿﴾ فقل ينسفها ربي نسفاً ﴿﴾ يصيرها كالهباء المنثور حتى تستوي مع الأرض، وهو قوله:

﴿٢٦﴾ فيذرها قاعاً صفصفاً ﴿﴾ مكاناً مستوياً،

﴿٢٧﴾ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴿﴾ انخفاضاً وارتفاعاً.

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ. عِلْمًا ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَنَعْلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، ولا يقدرُونَ ألا يتَّبِعُوا ﴿وَخَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فلا تسمع إلا همساً ﴿وَطَاءَ الْأَقْدَامُ فِي﴾ نقلها إلى المحشر.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ أحداً ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ في أن يُشْفَعَ لَهُ، وهم المسلمون الذين رضي الله قولهم؛ لأنَّهم قالوا: لا إله إلا الله، وهذا معنى قوله: ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾.

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا. وقيل: ما قَدَّمُوا وما خَلَّفُوا من خيرٍ وشرٍّ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ وهم لا يعلمون ذلك.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ﴾ خضعت وذلَّت ﴿لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ وقد خاب مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿خَسِرَ مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ﴾.

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطَّاعَاتِ لِلَّهِ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ مصدِّق بما جاء به محمد ﷺ ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ لا يخاف أن يزداد في سيئاته، ولا ينقص من حسناته.

﴿وَكَذَلِكَ﴾ وهكذا ﴿أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا﴾ بَيِّنًا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ﴾ القرآن ﴿ذِكْرًا﴾ وموعظة.

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ كان إذا نزل جبريل عليه السَّلام بالوحي يقرؤه مع جبريل عليه السَّلام مخافة التَّسْيَانِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ أي: بقراءته

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٨﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ
 وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١٢٠﴾
 فَقُلْنَا يَنْتَهِمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ﴿١٢١﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ
 فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١٢٢﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿١٢٣﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَنْتَهِمْ
 هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمِنْكَ لَا يَبْلَىٰ ﴿١٢٤﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
 يَخُصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢٥﴾ ثُمَّ اجْبَنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٦﴾
 قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
 فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٨﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٩﴾

﴿من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ من قبل أن يفرغ جبريل ممّا يريد من التلاوة
 ﴿وقل رب زدني علماً﴾ بالقرآن، وكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به
 علماً.

﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ أمرناه وأوصينا إليه ﴿من قبل﴾ هؤلاء الذين تركوا أمري،
 ونقضوا عهدي في تكذيبك ﴿فنسي﴾ فترك ما أمر به ﴿ولم نجد له عزماً﴾ حفظاً
 لما أمر به. وقوله:

﴿ولا تضحى﴾ أي: لا يؤذيكَ حرُّ الشمس. وقوله:

﴿شجرة الخلد﴾ يعني: مَنْ أكل منها لم يمت. وقوله:

﴿فغوى﴾ فأخطأ ولم ينل مراده ممّا أكل. ويقال: لم يرشد.

﴿ثم اجتباه﴾ اختاره ﴿ربه فتاب عليه﴾ عاد عليه بالرحمة والمغفرة ﴿وهدى﴾ أي:
 هداه إلى التوبة. وقوله:

﴿من أعرض عن ذكري﴾ موعظتي، وهي القرآن ﴿فإنَّ له معيشة ضنكاً﴾ ضيقاً.
 يعني: في جهنّم. وقيل: يعني عذاب القبر. ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ البصر.

﴿قال ربّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾.

قَالَ كَذَلِكَ أَنتُكَ ءَايَتُنَا فَنَسِينَهَا ۖ وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي ۖ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۖ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ ۚ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۖ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ﴿١٢٩﴾ فَاصْبِرْ
عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۖ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ
وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ ﴿١٣١﴾

﴿١٢٦﴾ قال كذلك أنتك آياتنا يقول: كما أنتك آياتي ﴿فَنَسِينَهَا﴾ فتركها ولم تؤمن بها
﴿وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِي﴾ تترك في جهنم.
﴿١٢٧﴾ وكذلك ﴿وكما نجزي مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْقُرْآنِ﴾ ﴿نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ أشرك.
﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ ممَّا يُعَذِّبُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْقَبْرِ ﴿وَأَبْقَى﴾ وأدوم.
﴿١٢٨﴾ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أفلم يَتَبَيَّنْ لَهُمْ بَيَانًا يَهْتَدُونَ بِهِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ﴾ هؤلاء إِذَا سَافَرُوا فِي مَسَاكِنِ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ بِتَكْذِيبِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لعبراً ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾ لذوي العقول.
﴿١٢٩﴾ ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ فِي تَأْخِيرِ الْعَذَابِ عَنْهُمْ ﴿لَكَانَ لِزَامًا﴾ لَكَانَ
الْعَذَابُ لِزَامًا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ وهو القيامة. وقوله:
﴿١٣٠﴾ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صَلِّ لِرَبِّكَ ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الفجر ﴿وَقَبْلَ
غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ فصلَّ المغرب والعشاء الآخرة
﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صَلِّ صلاة الظهر في طرف النُّصْفِ الثَّانِي، وَسَمَّى الْوَاحِدَ بِاسْمِ
الْجَمْعِ ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ لكي تَرْضَى مِنَ الثَّوَابِ فِي الْمَعَادِ.
﴿١٣١﴾ ﴿وَلَا تَمَدَّنْ عَيْنَيْكَ﴾ مُفَسَّرٌ فِي سُورَةِ الْحَجْرِ ^(١). وقوله: ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾
أَي: زِينَتِهَا وَبَهْجَتِهَا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لِنَجْعَلَ ذَلِكَ فِتْنَةً لَهُمْ ﴿وَرَزَقُ رَبِّكَ﴾ لك في
المعاد ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ أَكْثَرُ وَأَدْوَمُ.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴿١٣٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٨﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُنْذَلَ وَنُخْزَى ﴿١٣٩﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى ﴿١٤٠﴾

﴿١٣٧﴾ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ يعني: قريشاً. وقيل: أهل بيته ﴿لَا تَسْأَلْكَ رِزْقًا﴾ لخلقنا ولا لنفسك ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ﴾ الجَنَّةُ ﴿لِلتَّقْوَى﴾ لأهل التَّقْوَى. يعني: لك ولمن صدَّقك، ونزلت هذه الآيات لما استسلف رسول الله ﷺ من يهودي وأبي أن يعطيه إلا برهن، وحزن لذلك رسول الله ﷺ (١).

﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا يعني: المشركين ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿يَأْتِينَا﴾ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَام ﴿بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ مِمَّا كَانُوا يَقْتَرِحُونَ مِنَ الْآيَاتِ. قال الله: ﴿أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ﴾ بيان ﴿مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ يعني: في القرآن بيان ما في التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ.

﴿١٣٩﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ من قبل نزول القرآن. وقوله: ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ نُنْذَلَ بِالْعَذَابِ وَنُخْزَى﴾ في جهنم.

﴿١٤٠﴾ قُلْ يا مُحَمَّدٌ لَهُمْ: ﴿كُلُّ مُتَرَبِّصٍ﴾ منتظرٌ دوائر الزَّمان، وَلَمْ يَكُنِ النَّصْرُ ﴿فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ فِي الْقِيَامَةِ ﴿مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ﴾ الْمُسْتَقِيمِ ﴿وَمَنِ اهْتَدَى﴾ مِنَ الضَّلَالَةِ نَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ.



(١) الحديث عن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ، قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى يهودي يستسلفه، فأبى أن يعطيه إلا برهن، فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَمْدَنَّ عَيْنِكَ إِلَى مَا مَتَعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. أخرجه ابن جرير ٢٣٥/١٦؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٥٢؛ وأبو بكر بن أبي شيبة. وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو منكر الحديث، وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه. وانظر: اللباب ٤٥٨/١؛ وتهذيب التهذيب ٣٥٦/١٠؛ والمطالب العالية ٣٥٢/٣.

سُورَةُ الْاِنْبِيَاءِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَةٌ وَاثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَصْنَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾

الجزء السابع عشر

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ اقرب للناس يعني: أهل مكة ﴿حسابهم﴾ وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم. يعني: القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ عن التأهب لذلك ﴿معرضون﴾ عن الإيمان.

﴿٢﴾ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث يعني: ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يُذكرهم ويعظهم به ﴿إلا أصنعوه وهم يلعبون﴾ يستهزئون به.

﴿٣﴾ لاهية ﴿غافلة﴾ قلوبهم وأسروا النجوى ﴿قالوا سرّاً فيما بينهم﴾ الذين ظلموا ﴿أشركوا﴾ وهو أنهم قالوا: ﴿هل هذا﴾ يعنون محمداً ﴿إلا بشرٌ مثلكم﴾ لحمٌ ودمٌ ﴿أفتأتون السحر﴾ يريدون: إنَّ القرآن سحرٌ ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنه سحر، فلمَّا أطلع الله سبحانه نبيّه ﷺ على هذا السرِّ الذي قالوه، أخبر أنه يعلم القول في السماء والأرض بقوله:

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ
بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَشَاءُ أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾

﴿٤﴾ قل ^(١) «ربي يعلم القول» أي: ما يقال ﴿في السماء والأرض وهو السميع﴾
للا أقوال ﴿العليم﴾ بالأفعال، ثم أخبر أن المشركين اقتسموا القول في القرآن،
وأخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعض، فيقولون مرة:

﴿٥﴾ «أضغاث أحلام» أي: أباطيلها. يعنون أنه يرى ما يأتي به في النوم رؤيا باطلة،
ومرة هو مفترى، ومرة هو شعر، ومحمد شاعر ﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾
بالآيات، مثل: الناقة، والعصا، واليد، فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهال
إذا كُذِّب بها، فقال الله تعالى:

﴿٦﴾ «ما آمنتم قبلهم من قرية أهلكناها» بالآيات التي اقترحوها ﴿أفهم يؤمنون﴾ يريد:
إن اقترح الآيات كان سبباً للعذاب والاستئصال للقرون الماضية، وكذلك يكون
لهؤلاء.

﴿٧﴾ «وما أرسلنا قبلك إِلَّا رجالاً نوحي إليهم» ردّاً لقولهم ﴿هل هذا إِلَّا بشر
مثلكم﴾. ﴿فاسألوا﴾ يا أهل مكة ﴿أهل الذكر﴾ من آمن من أهل الكتاب ﴿إن
كنتم لا تعلمون﴾ أن الرُّسل بشر.

﴿٨﴾ «وما جعلناهم» أي: الرُّسل ﴿جسداً﴾ أي: أجساداً ﴿لا يأكلون الطعام﴾ وهذا ردٌّ
لقولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾ ^(٢) فأعلموا أن الرُّسل جميعاً كانوا يأكلون
الطعام، وأنهم يموتون، وهو قوله: ﴿وما كانوا خالدين﴾.

(١) قرأ «قل» نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. الإتحاف
٢٦١/٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْأَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ ثم صدقناهم الوعد ما وعدناهم من عذاب من كفر بهم، وإنجائهم مع من تابعهم، وهو قوله: ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ المشركين.

﴿١٠﴾ لقد أنزلنا إليكم يا معشر قريش ﴿كتاباً فيه ذكركم﴾ شرفكم ﴿أفلا تعقلون﴾ ما فضلتكم به على غيركم؟!

﴿١١﴾ وكم قصمنا أهلكنا ﴿من قرية كانت ظالمة﴾ يعني: إن أهلها كانوا كفاراً ﴿وأنشأنا﴾ أحدثنا ﴿بعدها﴾ بعد إهلاك أهلها ﴿قوماً آخرين﴾ نزلت في أهل قرى باليمن كذبوا نبيهم وقتلوه، فسلب الله سبحانه عليهم بختصر حتى أهلكهم بالسيف، فذلك قوله:

﴿١٢﴾ فلما أحسوا بأسنا رأوا عذابنا ﴿إذا هم منها﴾ من قريتهم ﴿يركضون﴾ يسرعون هاربين. وتقول لهم الملائكة:

﴿١٣﴾ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ﴿نعتم في﴾ لعلكم تسألون ﴿من ديناكم شيئاً﴾. قالت الملائكة لهم هذا على سبيل الاستهزاء بهم، كأنهم قيل لهم: ارجعوا إلى ما كنتم فيه من المال والتعة لعلكم تسألون، فإنكم أغنياء تملكون المال، فلما رأوا ذلك أقرؤا على أنفسهم حيث لم ينفعهم، فقالوا:

﴿١٤﴾ يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴿لأنفسنا بتكذيب الرسل﴾.

﴿١٥﴾ فما زالت هذه المقالة ﴿دعواهم﴾ يدعون بها، ويقولون: يا ويلنا ﴿حتى﴾ جعلناهم حصيداً بالسيوف كما يحصد الزرع ﴿خامدين﴾ ميتين.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَا نَتَّخِذَنَّهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَكُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ

﴿١٦﴾ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين﴾ عبثاً وباطلاً، أي: ما خلقتهما إلا لأجزي أوليائي، وأُعذّب أعدائي.

﴿١٧﴾ ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ امرأة. وقيل: ولدًا ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ بحيث لا يظهر لكم، ولا تطلعون عليه ﴿إن كنا فاعلين﴾ ما كنّا فاعلين، ولسنا ممّن يفعله.

﴿١٨﴾ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾ نلقي القرآن على باطلهم ﴿فيدمغه﴾ فيذهبه ويكسره ﴿فإذا هو زاهق﴾ ذاهبٌ ﴿ولكم الويل﴾ يا معشر الكفار ﴿مما تصفون﴾ الله تعالى بما لا يليق به.

﴿١٩﴾ ﴿وله من في السموات والأرض﴾ عبيداً وملكاً ﴿ومّن عنده﴾ يعني: الملائكة ﴿لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ لا يملّون ولا يعيرون.

﴿٢٠﴾ ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ لا يضعفون.

﴿٢١﴾ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾ يعني: الأصنام ﴿هم ينشرون﴾ يحيون الأموات، والمعنى: أتنشر آلهتهم التي اتخذوها؟

﴿٢٢﴾ ﴿لو كان فيهما﴾ في السماء والأرض ﴿آلهة إلا الله﴾ غير الله ﴿لفسدتا﴾ لخربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بين الآلهة.

﴿٢٣﴾ ﴿لا يُسأل عما يفعل﴾ عن حكمه في عباده ﴿وهم يُسألون﴾ عمّا عملوا سؤال توبيخ.

﴿٢٤﴾ ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم﴾ حجّتكم على أن مع الله تعالى معبوداً

هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَاقًا

غيره. ﴿هذا ذكر من معي﴾ يعني: القرآن ﴿وذكر من قبلي﴾ يعني: التَّوْرَة والإنجيل، فهل في واحدٍ من هذه الكتب إلاَّ توحيد الله سبحانه وتعالى؟ ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق﴾ فلا يتأملون حجة التَّوْحِيد، وهو قوله: ﴿فهم معرضون﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ...﴾ الآية. يريد: لم يُبعث رسولٌ إلاَّ بتوحيد الله سبحانه، ولم يأتِ رسولٌ أمته بأنَّ لهم إلهاً غير الله.

﴿٢٦﴾ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾ يعني: الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والمعنى: وقالوا: اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة ﴿سبحانه﴾ ثمَّ نَزَّهَ نفسه عما يقولون ﴿بل﴾ هم ﴿عباد مكرمون﴾ يعني: الملائكة مكرمون بإكرام الله إيَّاهم.

﴿٢٧﴾ ﴿لا يسبقونه بالقول﴾ لا يتكلَّمون إلاَّ بما يأمرهم به ﴿وهم بأمره يعملون﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ ما عملوا، وما هم عاملون ﴿ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى﴾ لمن قال: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ خائفون؛ لأنَّهم لا يأمنون مكر الله.

﴿٢٩﴾ ﴿ومن يقل منهم﴾ من الملائكة ﴿إني إلَه من دونه﴾ من دون الله تعالى ﴿فذلك نجزيه جهنم﴾ يعني: إبليس حيث ادَّعى الشُّرْكة في العبادة، ودعا إلى عبادة نفسه لا يأمنون مكر الله. كذلك نجزي الظالمين المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى.

﴿٣٠﴾ ﴿أولم ير﴾ أولم يعلم ﴿الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانتا رتقا﴾ مسدودة

فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٢﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ أَنْ يَخْذَلُوهُمْ إِلَّا أَهْزَاؤًا هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُونَ

﴿فتقناهما﴾ بالماء والنبات، كانت السماء لا تمطر، والأرض لا تثبت، ففتقناها
الله سبحانه بالمطر والنبات ﴿وجعلنا من الماء﴾ وخلقنا من الماء ﴿كلَّ شيء حي﴾
يعني: إنَّ جميع الحيوانات مخلوقة من الماء، كقوله تعالى: ﴿والله خلق كلَّ دابةٍ
من ماءٍ﴾^(١) ثُمَّ بَكَتْهُمْ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾. وقوله:

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ فِي الرِّوَاسِي ﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ طَرَقًا مَسْلُوكَةً حَتَّى يَهْتَدُوا. ﴿٣١﴾

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ بِالنُّجُومِ مِنَ الشَّيَاطِينِ ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا﴾ شَمْسُهَا
وَقَمَرُهَا وَنَجُومُهَا ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا. وَقَوْلُهُ: ﴿٣٢﴾

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يَجْرُونَ وَيَسِيرُونَ، وَالْفَلَكَ: مَدَارُ النُّجُومِ. ﴿٣٣﴾

﴿وَمَا جَعَلْنَا لَشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ دَوَامُ الْبَقَاءِ ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ نَزَلَ
حِينَ قَالُوا: ﴿نَتَرَبَّصُّ بِكَ رِبِّ الْمُنُونِ﴾^(٢). وَقَوْلُهُ: ﴿٣٤﴾

﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نَخْتَبِرُكُمْ ﴿بِالشَّرِّ﴾ بِالْبَلَايَا وَالْفَقْرِ ﴿وَالْخَيْرِ﴾ الْمَالِ وَالصَّحَّةِ ﴿فِتْنَةً﴾
إِبْتِلَاءً لِنَنْظُرَ كَيْفَ شَكَرَكُمْ وَصَبِرْكُمْ. ﴿٣٥﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَعْنِي: الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿إِنْ يَتَخَذُونَكُمْ﴾ مَا يَتَّخِذُونَكُمْ ﴿إِلَّا
هَزْوَاً﴾ مَهْزِوَةً بِهِ، قَالُوا: ﴿أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ يَعِيبُ أَصْنَامَكُمْ ﴿وَهُمْ يَذْكُرُونَ

الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُوتُ عَنْ وُجُوهِِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ

الرحمن هم كافرون ﴿جاحدون إلهيته﴾، يريد أنهم يعيرون من جحد إلهية أصنامهم وهم جاحدون إلهية الرحمن، وهذا غاية الجهل.

﴿٣٧﴾ ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ يريد: إن خلقته على العجلة، وعليها طبع ﴿سأريكم آياتي﴾ يعني: ما توعدون به من العذاب ﴿فلا تستعجلون﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ وعد القيامة.

﴿٣٩﴾ ﴿لو يعلم الذين كفروا...﴾ الآية. وجواب «لو» محذوف، على تقدير: لآمنوا ولما أقاموا على الكفر.

﴿٤٠﴾ ﴿بل تأتيهم﴾ القيامة ﴿بغته﴾ فجأة ﴿فتبتهتهم﴾ تحيرهم.

﴿٤١﴾ ﴿قل من يكلؤكم﴾ يحفظكم ﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾ إن أنزل بكم عذابه ﴿بل هم عن ذكر ربهم﴾ كتاب ربهم ﴿معرضون﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾ فكيف تنصرهم وتمنعهم؟! ﴿ولا هم منا يصحبون﴾ لا يجارون من عذابنا.

﴿٤٣﴾ ﴿بل متعنا هؤلاء﴾ الكفار ﴿وآباءهم حتى طال عليهم العمر﴾ أي: متعناهم بما أعطيناهم من الدنيا زماناً طويلاً، فقست قلوبهم ﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض

نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ
الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُنَوَّلَنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ
حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ
وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾
وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾

نقصها من أطرافها ﴿﴾ بالفتح على محمد ﷺ ﴿﴾ أفهم الغالبون ﴿﴾ أم النبي ﷺ وأصحابه ؟ .

﴿٤٥﴾ ﴿﴾ قل إنما أُنذركم ﴿﴾ أخوفكم ﴿﴾ بالوحي ﴿﴾ بالقرآن الذي أوحى إليّ ، وأمرت فيه
بإنذاركم ﴿﴾ ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون ﴿﴾ كذلك أنتم يا معشر المشركين .

﴿٤٦﴾ ﴿﴾ ولئن مستهم ﴿﴾ أصابتهم ﴿﴾ نفحة من عذاب ربك ﴿﴾ قليلٌ وأدنى شيءٍ لأقروا على
أنفسهم بسوء صنيعهم ، وهو قوله : ﴿﴾ ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين ﴿﴾ .

﴿٤٧﴾ ﴿﴾ ونضع الموازين القسط ﴿﴾ ذوات القسط ، أي : العدل ﴿﴾ فلا تظلم نفسٌ شيئاً ﴿﴾
لا يزداد على سيئاته ولا ينقص من ثواب حسناته ﴿﴾ وإن كان ﴿﴾ ذلك الشيء ﴿﴾ مثقال
حبة ﴿﴾ وزن حبة ﴿﴾ من خردل آتينا بها ﴿﴾ جئنا بها ﴿﴾ وكفى بنا حاسبين ﴿﴾ مجازين ،
وفي هذا تهديد .

﴿٤٨﴾ ﴿﴾ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ﴿﴾ البرهان الذي فرّق به [بين] حقّه وباطل
فرعون . ﴿﴾ وضياء ﴿﴾ يعني : التّوراة الذي كان ضياءً ، يُضيء هدى ونوراً ﴿﴾ وذكرنا ﴿﴾
وعظةً ﴿﴾ للمتقين ﴿﴾ من قومه .

﴿٤٩﴾ ﴿﴾ الذين يخشون ربهم بالغيب ﴿﴾ يخافونه ولم يروه .

﴿٥٠﴾ ﴿﴾ وهذا ذكر مبارك ﴿﴾ يعني : القرآن ﴿﴾ أفأنتم له منكرون ﴿﴾ جاحدون .

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ ٥١ ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ
 التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴾ ٥٢ ﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴾ ٥٣ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ
 وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ٥٤ ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴾ ٥٥ ﴿ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنْ الشَّاهِدِينَ ﴾ ٥٦ ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ
 أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾ ٥٧ ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاءً إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ ٥٨
 ﴿ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ٥٩

﴿ ٥١ ﴾ ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده هدايه وتوفيقه ﴾ ﴿ من قبل ﴾ ﴿ من قبل موسى وهارون ﴾
 ﴿ وكنا به عالمين ﴾ ﴿ أنه أهل لما آتيناه . ﴾

﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل ﴾ ﴿ الأصنام ﴾ ﴿ التي أنتم لها عاكفون ﴾ ﴿ على ﴾
 عبادتها مقيمون! . ﴾

﴿ ٥٣ ﴾ ﴿ قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ ﴿ فاعتدنا بهم . ﴾

﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ قالوا أجئتنا بالحق ﴾ ﴿ يعنون : أجاد أنت فيما تقول أم لاعب ؟ ﴾

﴿ ٥٥ ﴾ ﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من ﴾
 الشاهدين ﴿ أي : أشهد على أنه خالقها . ﴾

﴿ ٥٦ ﴾ ﴿ وتالله لأكيدن أصنامكم ﴾ ﴿ لأمكرن بها ﴾ ﴿ بعد أن تولوا مدبرين ﴾ ﴿ قال ذلك في يوم ﴾
 عيد لهم ، وهم يذهبون إلى الموضع الذي يجتمعون فيه . ﴾

﴿ ٥٧ ﴾ ﴿ فجعلهم جذاذا ﴾ ﴿ حطاماً ودقاقاً ﴾ ﴿ إلا كبيراً لهم ﴾ ﴿ عظيم الآلهة فإنه لم يكسره ﴾
 ﴿ لعلمهم إليه ﴾ ﴿ إلى إبراهيم ودينه ﴾ ﴿ يرجعون ﴾ ﴿ إذا قامت الحجة عليهم ، فلمّا ﴾
 انصرفوا ﴾

﴿ ٥٨ ﴾ ﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا . . . ﴾ ﴿ الآية . ﴾ ﴿ قال الذين سمعوا قوله : ﴾ ﴿ لأكيدن ﴾
 أصنامكم : ﴾

قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا يَا لَهْتَئِنَّا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا
فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾
ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا
وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾

﴿٦٠﴾ ﴿سمعنا فتى يذكرهم﴾ يعييه ﴿يقال له إبراهيم﴾ .
﴿٦١﴾ ﴿قالوا فاتوا به على أعين الناس﴾ على رؤوس الناس بمرأى منهم ﴿لعلهم
يشهدون﴾ عليه أنه الذي فعل ذلك، وكرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة، فلمّا أتوا به،
﴿٦٢﴾ ﴿قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم؟﴾
﴿٦٣﴾ ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا﴾ غضب من أن يعبدوا معه الصّغار، وأراد إقامة الحجّة
عليهم ﴿فاسألوهم﴾ من فعل بهم هذا ﴿إن كانوا ينطقون﴾ إن قدروا على النطق .
﴿٦٤﴾ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾ تفكّروا ورجعوا إلى عقولهم ﴿فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾
هذا الرجل بسؤالكم إيّاه، وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها .
﴿٦٥﴾ ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ أطرقوا لما لحقهم من الخجل، وأقروا بالحجّة عليهم
فقالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ فلمّا اتّجهت الحجّة عليهم قال إبراهيم:
﴿٦٦﴾ ﴿أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾ .
﴿٦٧﴾ ﴿أف لكم﴾ أي: نتنا لكم، فلمّا عجزوا عن الجواب
﴿٦٨﴾ ﴿قالوا حرّقوه﴾ بالنّار ﴿وانصروا آلهتكم﴾ يهلك من يعيها ﴿إن كنتم فاعلين﴾
أمراً في إهلاكه، فلمّا ألقوه في النّار
﴿٦٩﴾ ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ذات برّد وسلامة، لا يكون فيها برّد
مضرّ، ولا حرّاً مؤذٍ .

وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَبَجَيْنَهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا
لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ
أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ
وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا أَتَيْنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَبَجَيْنَهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ
الْخَبِيثَاتِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾
وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾
وَنَصْرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿٧٠﴾ وأرادوا به كيداً إبراهيم مكرأ في إهلاكه ﴿فجعلناهم الأخسرين﴾ حين
لم يرتفع مرادهم في الدنيا، ووقعوا في العذاب في الآخرة.

﴿٧١﴾ ونجيناه من نمرود وقومه ﴿ولوطاً﴾ ابن أخيه ﴿إلى الأرض التي باركنا فيها
للعالمين﴾ وهي الشام، وذلك أنه خرج مهاجراً من أرض العراق إلى الشام.

﴿٧٢﴾ ووهبنا له إسحاقاً ولداً لصلبه ﴿ويعقوب نافلة﴾ ولد الولد ﴿وكلاً جعلنا
صالحين﴾ يعني: هؤلاء الثلاثة.

﴿٧٣﴾ وجعلناهم أئمة يقتدى بهم في الخير ﴿يهودون﴾ يدعون الناس إلى ديننا ﴿بأمرنا
وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾ أن يفعلوا الطاعات، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا
الزكاة.

﴿٧٤﴾ ولوطاً آتيناه حكماً فصلاً بين الخصوم بالحق ﴿ونجيناه من القرية التي كانت
تعمل الخبائث﴾ يعني: أهلها، كانوا يأتون الذكران في أدبارهم.

﴿٧٦﴾ ونوحاً إذ نادى من قبل من قبل إبراهيم ﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾
الغم الذي كان فيه من أذى قومه.

﴿٧٧﴾ ونصرناه ﴿منعناه من أن يصلوا إليه بسوء﴾ وقوله:

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٨﴾ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ﴿٧٨﴾ قيل: كان ذلك زرعاً. وقيل: كان كرمًا ﴿٧٨﴾ إِذْ نَفَشَتْ رعت ليلاً ﴿٧٨﴾ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴿٧٨﴾ [بلا راع] ^(١) ﴿٧٨﴾ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ لم يغب عن علمنا.

﴿٧٩﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴿٧٩﴾ ففهمنا القضية سليمان دون داود عليهما السلام، وذلك أَنَّ داود حكم لأهل الحرث برقاب الغنم، وحكم سليمان بمنافعها إلى أن يعود الحرث كما كان. ﴿٧٩﴾ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ ﴿٧٩﴾ يجاوبنه بالتسبيح ﴿٧٩﴾ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ كذلك.

﴿٨٠﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ ﴿٨٠﴾ عمل ما يلبسونه من الدروع ﴿٨٠﴾ لِنُخَصِّنْكُمْ ﴿٨٠﴾ لتحرزكم ﴿٨٠﴾ مِّنْ بَأْسِكُمْ ﴿٨٠﴾ من حربكم ﴿٨٠﴾ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ نعمتنا عليكم؟.

﴿٨١﴾ وَسَلَيْمَانَ الرِّيحَ ﴿٨١﴾ وسخّرنا له الرّيح ﴿٨١﴾ عَاصِفَةً ﴿٨١﴾ شديدة الهبوب ﴿٨١﴾ تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴿٨١﴾ يعني: الشّام، وكان منزل سليمان عليه السّلام بها.

﴿٨٢﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ ﴿٨٢﴾ وسخّرنا له من الشّياطين ﴿٨٢﴾ مَن يَغْوُصُونَ لَهُ ﴿٨٢﴾ يدخلون تحت الماء لاستخراج جواهر البحر ﴿٨٢﴾ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ ﴿٨٢﴾ سوى الغوص ﴿٨٢﴾ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا، وليصيروا تحت أمره.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَعِندَنَا وَذَكَرْنَا لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا

﴿٨٣﴾ ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾ دعا ربه ﴿أنى مسنى الضر﴾ أصابني الجهد. وقوله: ﴿٨٤﴾ ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وهو أن الله تعالى أحيأ من أمات من بنيه وبناته، ورزقه مثلهم من الولد ﴿رحمة﴾ نعمة ﴿من عندنا وذكرى للعابدين﴾ عظة لهم ليعلموا بذلك كمال قدرتنا. وقوله:

﴿٨٥﴾ ﴿وذا الكفل﴾ هو رجل من بني إسرائيل تكفل بخلافة نبي في أمته، فقام بذلك. ﴿٨٦﴾ ﴿وذا النون﴾ واذكر صاحب الحوت، وهو يونس عليه السلام ﴿إذ ذهب﴾ من بين قومه ﴿مغاضباً﴾ لهم قبل أمرنا له بذلك ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أن لن نقضي عليه ما قضينا من حبسه في بطن الحوت ﴿فنادى في الظلمات﴾ ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل ﴿أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ حيث غاضبت قومي وخرجت من بينهم قبل الإذن.

﴿٨٨﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما نجيناه ﴿ننجي المؤمنين﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا. وقوله:

﴿٨٩﴾ ﴿لا تذرني فرداً﴾ أي: وحيداً لا ولد لي ولا عقب، ﴿وأنْتَ خير الوارثين﴾ خير من يبقى بعد من يموت. وقوله:

﴿٩٠﴾ ﴿وأصاحنا له زوجه﴾ بأن جعلناها ولوداً بعد أن صارت عقيماً ﴿إنهم كانوا

يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَحْصَنْتَ فَرَجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَى قَرِيَةِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾

يسارعون في الخيرات ﴿﴾ يُبادرون في عمل الطاعات ﴿﴾ ويدعوننا رغبا ﴿﴾ وفي رحمتنا ﴿﴾ ورهبا ﴿﴾ من عذابنا ﴿﴾ وكانوا لنا خاشعين ﴿﴾ عابدين في تواضع ﴿﴾.

﴿٩١﴾ ﴿والتي أحصنت﴾ واذكر التي منعت ﴿فرجها﴾ من الحرام ﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾ أمرنا جبريل عليه السلام حتى نفخ في جيب درعها، والمعنى: أجرينها فيها روح المسيح المخلوقة لنا ﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ دلالة لهم على كمال قدرتنا، وكانت الآية فيهما جميعاً واحدة، لذلك وُحِّدَتْ.

﴿٩٢﴾ ﴿إنَّ هذه أمتكم﴾ دينكم وملَّتكم ﴿أمة واحدة﴾ ملَّة واحدة وهي الإسلام.

﴿٩٣﴾ ﴿وتقطَّعوا أمرهم بينهم﴾ اختلفوا في الدين فصاروا فرقا ﴿كلُّ إلينا راجعون﴾ فنجزهم بأعمالهم.

﴿٩٤﴾ ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾ الطاعات ﴿وهو مؤمن﴾ مصدق بمحمد عليه السلام ﴿فلا كفران لسعيه﴾ لا يُبطل عمله بل تُثبِّه ﴿وإنَّا له كاتِبُونَ﴾ ما عمل حتى نجازيه.

﴿٩٥﴾ ﴿وحرام على قرية﴾ يعني: قرية كافرة ﴿أهلكتناها﴾ أهلكتناها بعذاب الاستئصال أن يرجعوا إلى الدنيا، و «لا» زائدة في الآية، ومعنى «حرام» عليهم أنهم ممنوعون من ذلك؛ لأنَّ الله تعالى قضى على مَنْ أهلك أن يبقى في البرزخ إلى يوم القيامة.

﴿٩٦﴾ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ من سدِّها ﴿وهم من كلِّ حدب﴾ نَشَز وتلَّ ﴿ينسلون﴾ ينزلون مسرعين.

وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ آفَافًا فِي غَفْلَةٍ
 مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ
 أَنتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلَ اللَّهِ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾
 لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ
 عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا
 يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ
 تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿٩٧﴾ «واقترب الوعد الحق» يعني: القيامة، والواو زائدة؛ لأنَّ «اقترب» جواب
 «حتى». «فإذا هي شاخصة» ذاهبة لا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم. يقولون:
 «يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا» في الدنيا عن هذا اليوم ﴿بل كنا ظالمين﴾
 بالشُّرك وتكذيب الرُّسل.

﴿٩٨﴾ «إنكم» أيها المشركون ﴿وما تعبدون من دون الله﴾ يعني: الأصنام ﴿حصب﴾
 جهنم ﴿وقودها﴾ أنتم لها واردون ﴿فيها داخلون﴾.

﴿٩٩﴾ «لو كان هؤلاء» الأصنام «آلهة» على الحقيقة ما دخلوا النَّار ﴿وكلُّ﴾ من
 العابدين والمعبودين في النَّار ﴿خالدون﴾.

﴿١٠٠﴾ «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ» السَّعَادَةُ وَالرَّحْمَةُ ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا﴾ عن النَّار
 ﴿مُبْعَدُونَ﴾.

﴿١٠١﴾ «لا يسمعون حسيسها» صوتها.

﴿١٠٢﴾ «لا يحزنهم الفزع الأكبر» يعني: الإطباق على النَّار. وقيل: ذبح الموت بمرأى
 من الفريقين ﴿وتتلقاهم الملائكة﴾ تستقبلهم، فيقولون لهم: ﴿هذا يومكم الذي
 كنتم توعدون﴾ للثَّواب ودخول الجنَّة.

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا
 كُنَّا فاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبَادِي
 الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً
 لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ
 مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ

﴿١٠٤﴾ «يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب» وهو مَلَكٌ^(١) يطوي كتب بني آدم.
 وقيل: السَّجَلُ: الصَّحِيفَةُ، والمعنى: كطي السَّجَلِ على ما فيه من المكتوب.
 «كما بدأنا أول خلق نعيده» كما خلقناكم ابتداءً حُفَاءَ عُرَاءَ غُرَلًا، كذلك نُعيدكم
 يوم القيامة «وعداً علينا» أي: وعدناه وعداً «إنا كنا فاعلين» يعني: الإعادة
 والبعث.

﴿١٠٥﴾ «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر» قيل: في الكتب المنزلة بعد التَّوراة.
 وقيل: أراد بالذِّكر اللُّوحَ المحفوظ. «أَنَّ الْأَرْضَ» يعني: أرض الجنَّة «يرثها
 عبادي الصالحون» وقيل: أرض الدُّنيا تصير للمؤمنين من أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ.
 ﴿١٠٦﴾ «إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا» لوصولاً إلى البغية «لقوم عابدين» مُطيعين لله
 تعالى.

﴿١٠٧﴾ «وما أرسلناك إِلَّا رحمة للعالمين» للبرِّ والفاجر، فمن أطاعه عَجَّلَتْ له الرَّحمة،
 ومن عصاه وكذَّبه لم يلحقه العذاب في الدُّنيا، كما لحق الأمم المكذبة.

﴿١٠٨﴾ «فإن تولوا» عن الإسلام «فقل آذنتكم على سواء» أعلمتكم بما يوحى إليَّ على
 سواءٍ لتستووا في ذلك، يريد: لم أظهر لبعضكم شيئاً كتمته عن غيره. «وإن

(١) أخرج ابن جرير ٩٩/١٧ عن ابن عمر قال: السَّجَلُ: مَلَكٌ، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها
 نوراً. وفيه يحيى بن يمان العجلي، صدوقٌ عابدٌ، يخطئ كثيراً، وقد تغيَّر. تقريب التهذيب
 ص ٥٩٨.

أَدْرِى أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٢٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا
تَكْتُمُونَ ﴿١٣٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتْنٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٣١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا
الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٣٢﴾

أدري ﴿ ما أعلم ﴾ أقرب أم بعيد ما توعدون ﴿ يعني : القيامة .

﴿١٣١﴾ وإن أدري لعله ﴿ لعل تأخير العذاب عنكم ﴾ فتنة ﴿ اختبار لكم ﴾ ومتاع ﴿ إلى
حين ﴾ إلى حين الموت .

﴿١٣٢﴾ قال رب احكم بالحق ﴿ اقض بيني وبين أهل مكة بالحق ، أمر أن يقول كما قالت
الرسل قبله من قولهم : ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق ﴾ ^(١) . ﴿ وربنا ﴾ أي :
وقل ربنا ﴿ الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾ من كذبكم وباطلكم .



سُورَةُ الْحَجِّ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سَبْعُونَ وَأَرْبَعُ آيَاتٍ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ بِالْمَدِينَةِ^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يا أيها الناس ﴿يا أهل مكة﴾ اتقوا ربكم ﴿أطيعوه﴾ إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴿وهي زلزلة يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها﴾.

﴿٢﴾ ﴿يوم ترونها﴾ يعني: الزلزلة ﴿تذهل كل مرضعة عما أرضعت﴾ تترك كل امرأة ترضع ولدها الرضيع اشتغالا بنفسها وخوفاً ﴿وتضع كل ذات حمل حملها﴾ تسقط ولدها من هول ذلك اليوم ﴿وترى الناس سكارى﴾ من شدة الخوف ﴿وما هم بسكارى﴾ من الشراب ﴿ولكن عذاب الله شديد﴾ فهم يخافونه.

﴿٣﴾ ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النضر بن الحارث^(٢) وجماعة من قريش كانوا يُنكرون البعث، ويقولون: القرآن أساطير الأولين، ويجادلون النبي ﷺ ﴿ويتبع﴾ في جداله ذلك ﴿كل شيطان مرید﴾ متمرّد عاتٍ.

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّينَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قُضِيَ عَلَى الشَّيْطَانِ ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ اتَّبَعَهُ ﴿فَأَنَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ يَدْعُوهُ إِلَى النَّارِ بِمَا يُزَيِّنُ لَهُ مِنَ الْبَاطِلِ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يَعْنِي: كِفَارِ مَكَّةَ ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ﴾ شَكٍّ مِنَ الْإِعَادَةِ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ خَلَقْنَا أَبَاكُمْ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْبَشَرِ ﴿مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ﴾ خَلَقْنَا ذَرِيَّتَهُ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وَهِيَ الدَّمُ الْجَامِدُ ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وَهِيَ لَحْمَةٌ قَلِيلَةٌ قَدَرِ مَا يُمَضَّغُ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مَصَوْرَةٍ تَامَّةُ الْخَلْقِ ﴿وَوَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ﴾ وَهِيَ مَا تَمُجُّهُ الْأَرْحَامُ دُمًا، يَعْنِي: السَّقَطُ ﴿لِنَبِّينَ لَكُمْ﴾ كَمَالِ قُدْرَتِنَا بِتَصْرِيفِنَا أَطْوَارَ خَلْقِكُمْ ﴿وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ نَنْزِلُ فِيهَا مَا لَا يَكُونُ سَقَطًا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ إِلَى وَقْتِ خُرُوجِهِ ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ مِنْ بَطُونِ الْأُمْهَاتِ ﴿طِفْلاً﴾ صَغَارًا ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾ عَقُولَكُمْ وَنَهَايَةَ قُوَّتِكُمْ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ يَمُوتُ قَبْلَ بُلُوغِ الْأَشَدِّ ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ وَهُوَ الْهَرَمُ وَالْخَرَفُ حَتَّى لَا يَعْقِلَ شَيْئًا، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ثُمَّ ذَكَرَ دَلَالََةَ أُخْرَى عَلَى الْبَعْثِ فَقَالَ: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً﴾ جَائِفَةً ذَاتَ تُرَابٍ ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ الْمَطَرُ ﴿اَهْتَزَّتْ﴾ تَحَرَّكَتْ بِالنَّبَاتِ ﴿وَرَبَتْ﴾ زَادَتْ ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ مِنْ كُلِّ صَنْفٍ حَسَنِ مِنَ النَّبَاتِ .

﴿ذَلِكَ﴾ الَّذِي تَقَدَّمَ ذَكَرَهُ مِنْ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَإِحْيَاءِ الْأَرْضِ بِالْمَطَرِ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الدَّائِمُ الثَّابِتُ الْمَوْجُودُ ﴿وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٌ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُمِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ

شيء قدير.

﴿٨﴾ ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ﴿ولا هدى﴾ ﴿ليس معه من ربه رشاؤ ولا بيان﴾ ﴿ولا كتاب﴾ له نور.

﴿٩﴾ ثاني عطفه ﴿لاوي عنقه تكبراً﴾ ﴿ليضل﴾ الناس عن طاعة الله سبحانه باتباع محمد عليه السلام ﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل بيد.

﴿١٠﴾ ﴿ذلك بما قدمت يدك﴾ هذا العذاب بما كسبت ﴿وأن الله ليس بظلام للعبيد﴾ لا يعاقب بغير جرم.

﴿١١﴾ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ على جانب لا يدخل فيه دخول متمكن ﴿فإن أصابه خير﴾ خصب وكثرة مال ﴿اطمأن به﴾ في الدين بذلك الخصب ﴿وإن أصابته فتنة﴾ اختبار بجذب وقلة مال ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع عن دينه إلى الكفر.

﴿١٢﴾ ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره﴾ إن عصاه ﴿ولا ينفعه﴾ إن أطاعه ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ الذهاب عن الحق.

﴿١٣﴾ ﴿يدعو لمن ضره أقرب من نفعه﴾ ضرره بعبادته أقرب من نفعه، ولا نفع عنده، والعرب تقول لما لا يكون: هو بعيد، والمعنى في هذا أنه يضر ولا ينفع ﴿لبس

الْمَوَلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ ءَايَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنَ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾

المولى ﴿الناصر﴾ ولبئس العشير ﴿الصاحب والخليط﴾.

﴿١٥﴾ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ﴿لن ينصره الله﴾ لن ينصر الله محمدًا ﷺ حتى يُظهره على الدِّين كله فليمت غيظاً، وهو تفسير قوله: ﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾ أي: فليشدد حبلاً في سقفه ﴿ثم ليقطع﴾ أي: ليمدّ الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً ﴿فلينظر هل يُذهِبَنَّ كيدَهُ مَا يَغِيظُ﴾ غيظه، وقوله:

﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿أي: يحكم ويقضي﴾، بأن يدخل المؤمنين الجنة، وغيرهم من هؤلاء الفرق النَّار. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ يريد: إِنَّ اللَّهَ عَالِمٌ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ.

﴿١٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ﴿يذلُّ له﴾، وينقاد له ﴿من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب﴾ وذلك أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُنْقَادٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ مَا خَلَقَهُ، وَعَلَىٰ مَا رَزَقَهُ، وَعَلَىٰ مَا أَصَحَّه وَعَلَىٰ مَا أَسْقَمَهُ، فَالْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ فِي هَذَا سَوَاءٌ ﴿وَمَنْ يَهِنَ اللَّهُ﴾ يذلُّه بالكفر ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ أحدٌ يكرمه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ يُهين من يشاء بالكفر، ويكرم مَنْ يشاء بالإيمان.

﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَاوَزُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُمْ فِيهَا يَتَذَوَّبُونَ إِلَى الْأَطْيَافِ مِنْ أَلْفِ قَوْلٍ ﴿٢٤﴾ وَهُمْ فِيهَا يَتَذَوَّبُونَ إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٥﴾ ﴾

﴿١٩﴾ ﴿هذا خصمان﴾ يعني: المؤمنين والكافرين^(١) ﴿اختصموا في ربهم﴾ في دينه ﴿فالذين كفروا قطع لهم ثياب من نار﴾ يلبسون مقطعات النيران ﴿ويصب من فوق رؤوسهم الحميم﴾ ماء حار، لو سقطت منه نقط على جبال الدنيا أذابتها. ﴿٢٠﴾ ﴿يُصْهَرُ﴾ يُذاب ﴿به﴾ بذلك الماء ﴿ما في بطونهم﴾ من الأمعاء ﴿والجلود﴾ وتنشوي جلودهم فتساقط.

﴿٢١﴾ ﴿ولهم مقامع﴾ سياط ﴿من حديد﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾ من جهنم ﴿من غم﴾ يصيهم ﴿أعيدوا فيها﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع، ﴿و﴾ تقول لهم الخزنة: ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾ النار، وقال في الخصم الذين هم المؤمنون:

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ...﴾ الآية، وهي مفسرة في سورة الكهف^(٢).

﴿٢٤﴾ ﴿وهودوا﴾ أُرشدوا في الدنيا ﴿إلى الطيب من القول﴾ وهو شهادة أن لا إله إلا الله ﴿وهودوا إلى صراط الحميد﴾ دين الله المحمود في أفعاله.

(١) عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم فيها قسماً: إِنَّ هَذِهِ آيَةُ ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر. أخرجه البخاري في التفسير ٤٤٣/٨.

(٢) انظر ص ٦٦٠.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ نُذُقُهُ مِنْ عَذَابِ الْبَعْرِ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَاكُلُوا مِنْهَا

﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴿٢٥﴾ يمنعون عن طاعة الله تعالى. ﴿والمسجد الحرام﴾ يمنعون المؤمنين عنه ﴿الذي جعلناه للناس﴾ خلقناه وبنينا للناس كلهم لم نخص به بعضاً دون بعض ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ سواء في تعظيم حرمة وقضاء التمسك به الحاضر، والذي يأتيه من البلاد، فليس أهل مكة بأحق به من النازع إليه ﴿ومَنْ يرد فيه بالحادِ بظلم﴾ أي: إلحاداً بظلم، وهو أن يميل إلى الظلم، ومعناه: صيد حمامه وقطع شجره، ودخوله غير مُحَرَّم، وجميع المعاصي؛ لأنَّ السَّيِّئَاتِ تُضَاعَفُ بِمَكَّةَ كما تُضَاعَفُ الْحَسَنَاتِ.

﴿٢٦﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴿٢٦﴾ بَيَّنَّا لَهُ أَيْنَ يُبْنَى ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ﴾ يعني: وأمرناه أَنْ لَا تُشْرِكْ ﴿بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ مفسَّرٌ في سورة البقرة^(١).

﴿٢٧﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ ﴿٢٧﴾ نادِ فِيهِمْ ﴿بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ مُشَاءً عَلَى أَرْجُلِهِمْ، ﴿و﴾ رِكْبَانًا ﴿عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ وهو البعير المهزول ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ طريق بعيد.

﴿٢٨﴾ لِيَشْهَدُوا ﴿٢٨﴾ لِيَحْضُرُوا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ من أمر الدنيا والآخرة ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: التَّسْمِيَةُ عَلَى مَا يَنْحَرُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ وَأَيَّامِ التَّشْرِيقِ ﴿فَاكُلُوا مِنْهَا﴾ أمرٌ بِإِبَاحَةِ، وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَأْكُلُونَ

وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

من نسائكم، فأمر المسلمون أن يأكلوا ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ الشَّدِيدُ الْفَقْرُ.

﴿٢٩﴾ ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ يعني: ما يخرجون به من الإحرام، وهو أخذ الشَّارِبِ، وتقليم الظَّفر، وحلق العانة، ولبس الثَّوبِ ﴿وليوفوا نذورهم﴾ يعني: ما نذروه من برٍّ وهدى في أَيَّامِ الْحَجِّ ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ القديم. وقيل: الْمُعْتَقُ من أن يتسلَّطَ عليه جَبَّار. يعني: الكعبة.

﴿٣٠﴾ ﴿ذلك﴾ أي: الأمر ذلك الذي ذكرت ﴿ومن يعظم حرمات الله﴾ فرائض الله وسننه. ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ﴾ أن تأكلوها ﴿إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ في قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ...﴾ ^(١) الآية. ومعنى هذا النَّهْيُ تحريمُ ما حرَّمه أهل الجاهليَّة من البحيرة والسَّائِبة وغير ذلك ﴿فاجتنبوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾ يعني: عبادتها ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ يعني: الشُّرْكَ بالله.

﴿٣١﴾ ﴿حنفاء لله﴾ مسلمين عادلين عن كلِّ دينٍ سواه. ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ﴾ سقط ﴿من السماء﴾ فاخطفته الطَّيْرُ من الهواء، أو ألْقَتْهُ الرِّيحُ فِي ﴿مكانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيدٍ. يعني: إِنَّ مَنْ أَشْرَكَ فَقَدْ هَلَكَ وَبُعِدَ عَنِ الْحَقِّ.

﴿٣٢﴾ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾ يستسمن الْبُدن ﴿فإنَّ ذلك من﴾ علامات التَّقْوَى.

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدٌ فَلَهُ اسْلِمُوا وَيُشِيرَ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ

﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ الرُّكُوبَ وَالذَّرُّ وَالنَّسْلَ ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أَنْ يُسَمِّيَهَا هَدِيًّا ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ حَيْثُ يَحِلُّ نَحْرُهَا عِنْدَ ﴿الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ يَعْنِي: الْحَرَمَ كُلَّهُ.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جَمَاعَةٍ سَلَفَتْ قَبْلَكُمْ ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ ذَبْحًا لِلْقَرَابِينَ ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ عِنْدَ الذَّبْحِ ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ يَعْنِي: الْأَنْعَامَ. ﴿فَالِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أَيُّ: لَا تَذْكُرُوا عَلَى ذَبَائِحِكُمْ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ ﴿فَلَهُ اسْلِمُوا﴾ أَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ ﴿وَيُشِيرَ الْمُخْبِتِينَ﴾ الْمُتَوَاضِعِينَ.

﴿وَالْبُدْنَ﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ أَعْلَامَ دِينِهِ ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ النَّفْعُ فِي الدُّنْيَا، وَالْأَجْرُ فِي الْعَقْبَى ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ وَهُوَ أَنْ يَقُولَ عِنْدَ نَحْرِهَا: اللَّهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ^(١) ﴿صَوَافٍ﴾ قَائِمَةٌ مَعْقُولَةُ الْيَدِ الْيَسْرَى ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ سَقَطَتْ عَلَى الْأَرْضِ ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ﴾ الَّذِي يَسْأَلُكَ ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الَّذِي يَتَعَرَّضُ لَكَ وَلَا يَسْأَلُكَ. ﴿كَذَلِكَ﴾ الَّذِي وَصَفْنَا ﴿سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ يَعْنِي: الْبَدْنَ ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لِكَيْ تَطِيعُونِي.

﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُلَطِّخُونَ جِدَارَ الْكَعْبَةِ بِدِمَاءِ الْقَرَابِينَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ أَيُّ: لَنْ يَصِلَ إِلَى اللَّهِ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ أَيُّ: النَّيَّةُ وَالْإِخْلَاصُ وَمَا أُرِيدُ

كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ
عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أَذِنَ لِلَّذِينَ بُقِلْتُمْ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ
اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا
دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي
الْأَرْضِ

به وجه الله تعالى. ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ إلى معالم دينه ﴿وبشر
المحسنين﴾ المؤخدين.

﴿٣٨﴾ ﴿إن الله يدفع﴾ ^(١) غائلة المشركين عن المؤمنين ﴿إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ﴾ في
أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته، وهم الذين تقربوا إلى الأصنام بدبائحهم.

﴿٣٩﴾ ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ يعني: المؤمنين، وهذه أَوَّلُ آيَةٍ نزلت في الجهاد.
والمعنى: أذن لهم أن يُقاتلوا ﴿بأنهم ظلموا﴾ بظلم الكافرين إيَّاهم ﴿وإنَّ الله على
نصرهم لقدير﴾ وعدُّ من الله تعالى بالنصر.

﴿٤٠﴾ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ يعني: المهاجرين ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾
أي: لم يُخرجوا إِلَّا بِأَنْ وَحَّدُوا اللَّهَ تَعَالَى ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾
لولا أن دفع الله بعض الناس ببعض ﴿لهدَّتْ صَوَامِعُ وَبِيعٌ﴾ في زمان عيسى عليه
السَّلام ﴿وصلوات﴾ في أَيَّام شريعة موسى عليه السَّلام، يعني: كنائسهم وهي
بالعبرانية صلوتا ﴿ومساجد﴾ في أيام شريعة مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره﴾
يعني: مَنْ نصر دين الله نصره الله على ذلك ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزیز﴾
منيعٌ في سلطانه.

﴿٤١﴾ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ يعني: هذه الأمة إذا فتح الله عليهم الأرض

(١) قرأ «يدفع» ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وقرأ الباقون «يدافع». الإتحاف ص ٣١٥.

أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْرِئُ مُعْطَلَتِمْ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ

﴿ أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴾

أي: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه، ثم عزى نبيه فقال:

﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ﴾.

﴿ وقوم إبراهيم وقوم لوط ﴾.

﴿ وأصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين ﴾ أي: أهلتهم ﴿ ثم أخذتهم ﴾

عاقبتهم ﴿ فكيف كان نكير ﴾ إنكاري عليهم ما فعلوا بالعذاب.

﴿ فكأين من قرية ﴾ وكم من قرية ﴿ أهلكنها وهي ظالمة ﴾ بالكفر ﴿ فهي خاوية ﴾

ساقطة ﴿ على عروشها ﴾ سقوفها ﴿ وبئر معطلة ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿ وقصر

مشيد ﴾ رفيع طويل.

﴿ أفلم يسيرا في الأرض ﴾ يعني: كفار مكة ﴿ فينظروا ﴾ إلى مصارع الأمم

المكذبة، وهو قوله: ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ﴾

فيتفكروا ويعتبروا. ثم ذكر أن الأبصار لا تعمي عن رؤية الآيات، ولكن القلوب

تعمي، فلا يتفكروا ولا يعتبروا.

﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ كانوا يقولون له: ﴿ فأتنا بما وعدتنا إن كنت من

الصادقين ﴾ ^(١). فقال الله تعالى: ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ الذي وعدك من نصرك

وَلَيْتَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَنِّنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ

وإهلاكهم، ثم ذكر أن لهم مع عذاب الدنيا في الآخرة عذاباً طويلاً، وهو قوله تعالى: ﴿وإن يوماً عند ربك﴾ أي: من أيام عذابهم ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ وذلك أن يوماً من أيام الآخرة كألف سنة في الدنيا، ثم ذكر سبحانه أنه قد أخذ قوماً بعد الإمهال فقال:

﴿وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير﴾.

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ عملوا في إبطالها ﴿معاجزين﴾ مقدِّرين أنهم يُعجزوننا ويفوتوننا.

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾ وهو الذي يأتيه جبريل عليه السلام بالوحي عياناً ﴿ولا نبي﴾ وهو الذي تكون نبوته إلهاماً ومناماً ﴿إلا إذا تمنى﴾ قرأ ﴿القي﴾ الشيطان في قراءته ما ليس ممّا يقرأ، يعني: ما جرى على لسان النبي ﷺ حين قرأ سورة «والنجم» في مجلس من قريش، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ جرى على لسانه: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى ثم نبهه جبريل عليه السلام على ذلك^(١)، فرجع وأخبرهم أن ذلك كان من جهة الشيطان،

(١) حديث الغرائق أخرجه البزار في كشف الأستار ٧٢/٣؛ والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وأخرجه الطبراني مرسلًا، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقال الهيثمي: ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة. وأخرجه ابن جرير الطبري ١٧٦/١٧ مرسلًا عن محمد بن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس والنحاس في ناسخه ص ٢٢٥، وقال: هذا حديث منقطع.

فِي أَمْنِيَّتِهِ، فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْمَانَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾
 لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
 لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ
 لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي
 مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٠﴾

فذلك قوله: ﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ يُبينها حتى لا يجد
 أحدٌ سبيلاً إلى إبطالها ﴿والله عليم﴾ بما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ ﴿حكيم﴾ في
 خلقه، ثم ذكر أن ذلك ليفتن الله به قوماً، فقال:

﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾ ضلالة ﴿للذين في قلوبهم مرض﴾ وهم أهل
 النفاق ﴿والقاسية قلوبهم﴾ المشركين ﴿وإن الظالمين﴾ الكافرين ﴿لفي شقاق
 بعيد﴾ خلافٍ طويلٍ مع النبي ﷺ والمؤمنين.

﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾ التَّوْحِيدَ وَالْقُرْآنَ ﴿أنه الحق﴾ أي: الذي أحكم الله
 سبحانه من آيات القرآن، وهو الحق ﴿فتخبت له قلوبهم﴾ فتخشع.

﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾ في شكٍّ ﴿منه﴾ ممَّا ألقى على لسان
 الرُّسُولِ ﷺ ﴿حتى تأتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بغتة﴾ فجأة ﴿أو يأتِيَهُمُ عَذَابٌ يَوْمٍ
 عَقِيمٍ﴾ يعني: يوم بدرٍ، وكان عقيماً عن أن يكون للكافرين فيه فرحٌ أو راحةٌ،
 والعقيم معناه: التي لا تلد.

وقال ابن حجر: وكلُّها سوى طريق سعيد بن جبير إمَّا ضعيفٌ أو منقطع، لكن كثرة الطرق تدلُّ
 على أن للقصة أصلاً. فتح الباري ٤٣٩/٨؛ وردَّ هذا الحديث كثير من العلماء، منهم أبو بكر
 ابن العربي في أحكام القرآن ٢٩٩/٣؛ والقاضي عياض في الشفاء ١٣١/٢؛ والقرطبي في
 تفسيره ٨٠/١٢؛ والهراسي في أحكام القرآن ٢٨٣/٤؛ والرازي في تفسيره ٥١/٢٣؛
 وأبو حيان في البحر المحيط ٣٨١/٦؛ والبقاعي في نظم الدرر ٧١/١٣؛ وسئل عنها
 ابن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً.

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُؤٌ غَفُورٌ﴾ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ يُولِجُ آيِلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي آيِلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلَّكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿٥٦﴾ الملك يومئذٍ يعني: يوم القيامة ﴿الله﴾ وحده من غير مُنازِع ولا مُدَّع ﴿يحكم بينهم﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ حُكْمَهُ فَقَالَ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿٥٧﴾ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾.

﴿٥٨﴾ والذين هاجروا﴾ فارقوا أوطانهم وعشائرهم ﴿في سبيل الله﴾ في طاعة الله ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ في الجنة.

﴿٥٩﴾ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا﴾ أي: إدخالاً وموضعاً ﴿يرضونه﴾ وهو الجنة.

﴿٦٠﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أي: جازى العقوبة بمثلها ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ ظُلم ﴿لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ﴾ يعني: المظلوم.

﴿٦١﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذلك النَّصْرُ للمظلوم بأنَّه القادر على ما يشاء، فمن قدرته أَنَّهُ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يزيد من هذا في ذلك، ومن ذلك في هذا، والباقي ظاهرٌ إلى قوله:

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ

﴿٦٦﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ يعني: إِنَّ الكافر لجاحدٌ لآيات الله تعالى الدالة على توحيده. وقوله:

﴿٦٧﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ﴿ شريعة هم عاملون بها ﴾ ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يُجَادِلُكَ ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ نزلت في الذين جادلوا المؤمنين فقالوا: ما لكم تأكلون ما تقتلون، ولا تأكلون ممَّا قتله الله؟

﴿٦٨﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ ﴿بباطلهم وراء وتعتنا فادفعهم بقولك﴾ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والكفر.

﴿٧٠﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ ﴿كله﴾ ﴿فِي كِتَابٍ﴾ يعني: اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ يعني: علمه بجميع ذلك ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿٧١﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ ﴿بعبادته﴾ ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة وبرهاناً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ لم يأتهم به كتاب ولا نبي ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ مانع من عذاب الله تعالى.

﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ﴿يعني: القرآن﴾ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ الإنكار بالعبوس والكرهية ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ يقعون ويبطشون ﴿بِالَّذِينَ

يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِي كَفَرُوا وَيَسَّ
 الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبٌ مِّثْلُ مَا سَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
 الطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي
 مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
 وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا
 وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾

يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ﴿بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون﴾ النار ﴿أي: هي النار.

﴿يا أيها الناس﴾ يعني: يا أهل مكة ﴿ضرب مثل﴾ يُبين لكم ولمعبودكم شبهة ﴿فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله﴾ من الأصنام ﴿لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا﴾ كلهم لخلقه ﴿وإن يسلبهم الذباب شيئاً﴾ ممّا عليهم من الطيب ﴿لا يستنقذوه منه﴾ لا يسترذوه منه لعجزهم ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ يعني: العابد والمعبود، والطالب: الذُّباب يطلب من الصنم ما لطّخ به من الزّعفران والطيب، وهو مثّل لعباده يطلب منه الشفاعة والثَّصرة، والمطلوب: الصنم.

﴿ما قدروا الله حق قدره﴾ ما عظموه حقَّ تعظيمه إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذُّباب ولا يتنصر منه.

﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً﴾ مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السَّلام ﴿ومن الناس﴾ يعني: النبيّين عليهم السَّلام ﴿إنَّ الله سميع﴾ لقول عباده ﴿بصير﴾ بمن يختاره.

﴿يعلم ما بين أيديهم﴾ ما عملوه ﴿وما خلفهم﴾ وما هم عاملون ممّا لم يعلموه.

وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿وجاهدوا في الله﴾ في سبيل الله ﴿حق جهاده﴾ بنية صادقة ﴿هو اجتباكم﴾
اختاركم لدينه ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ ضيق؛ لأنه سهل الشريعة
بالترخيص ﴿ملة أبيكم﴾ اتبعوا ملة أبيكم ﴿إبراهيم﴾ كان هو في الحرمة كالأب
صلى الله عليه وسلم، ولذلك جعل أبا المسلمين ﴿هو سماكم﴾ أي: الله تعالى
سماكم ﴿المسلمين من قبل﴾ [أي: من قبل القرآن] في سائر الكتب ﴿وفي هذا﴾
يعني: القرآن ﴿ليكون الرسول شهيداً عليكم﴾ وذلك أنه يشهد لمن صدقه، وعلى
من كذبه ﴿وتكونوا شهداء على الناس﴾ تشهدون عليهم أن رسلهم قد بلغتهم،
وقوله: ﴿واعتصموا بالله﴾ أي: تمسكوا بدينه ﴿هو مولاكم﴾ ناصركم ومتولي
أموركم ﴿فنعم المولى ونعم النصير﴾.

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

[مكية وهي مائة وثمانين عشرة آية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ سعد المصدّقون، ونالوا البقاء في الجنة.

﴿٢﴾ ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم.

﴿٣﴾ ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ عن كلّ ما لا يجمل في الشرع من قولٍ وفعلٍ.

﴿٤﴾ ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ للصدقة الواجبة مؤدّون.

﴿٥﴾ ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ يحفظونها عن المعاصي.

﴿٦﴾ ﴿إلا علىٰ أزواجهم﴾ من زوجاتهم ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ لا يلامون في وطنهنّ.

﴿٧﴾ ﴿فمن ابتغى﴾ طلب ما ﴿وراء ذلك﴾ ما بعد الزوجة والأمة ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتعدّون عن الحلال إلى الحرام.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا التُّفْهَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿٨﴾ والذين هم لأماناتهم ﴿عهدهم راعون﴾ ما ائتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وعهدهم راعون﴾ وحلفهم الذي يوجد عليهم راعون، يرعون ذلك ويقومون بإتمامه.

﴿٩﴾ والذين هم على صلواتهم يحافظون ﴿بأدائها في مواقيتها﴾.

﴿١٠﴾ أولئك هم الوارثون ﴿ثم ذكر ما يرثون فقال﴾:

﴿١١﴾ الذين يرثون الفردوس ﴿وذلك أن الله تعالى جعل لكل امرئ بيتاً في الجنة﴾، فمن عمل عمل أهل الجنة ورث بيته في الجنة، والفردوس خير الجنان.

﴿١٢﴾ ولقد خلقنا الإنسان ﴿ابن آدم﴾ من سلالَةٍ ﴿من ماءٍ سُلٍّ واستخرج من ظهر آدم﴾، وكان آدم عليه السلام خلق من طين.

﴿١٣﴾ ثم جعلناه ﴿نطفة﴾ في أول بُدُو خلقه ﴿في قرار مكين﴾ يعني: الرحم. وقوله:

﴿١٤﴾ ثم أنشأناه خلقاً آخر ﴿قيل: يريد الذكورية والأنوثة﴾. وقيل: يعني: نفخ الروح. وقيل: نبات الشعر والأسنان ﴿فتبارك الله﴾ استحقَّ التعظيم والثناء بدوام بقاءه ﴿أحسن الخالقين﴾ المصورين والمقدرين.

﴿١٧﴾ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴿سبع سموات﴾، كلُّ سماءٍ طريقةٌ ﴿وما كنا عن الخلق غافلين﴾ عَمَّنْ خلقنا من الخلق كلَّهم.

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَرَّهُ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكَرَّهُ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٍ لِلَّالِكِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّكَرَّهُ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُفَكِّرُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكَرَّهُ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَفْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِن هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٢٦﴾

﴿١٨﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ ﴿بِقَدَرٍ﴾ بِمَقْدَارٍ مَعْلُومٍ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى ﴿فَأَسْكَنَاهُ﴾ أَثْبَتْنَاهُ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ قِيلَ: هُوَ النَّيْلُ وَدَجَلَةُ، وَالْفَرَاتُ، وَسِيحَانٌ وَجِيحَانٌ. وَقِيلَ: هُوَ جَمِيعُ الْمِيَاهِ فِي الْأَرْضِ ﴿وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ حَتَّىٰ تَهْلِكُوا أَنْتُمْ وَمَوَاشِيَكُمْ عَطْشًا. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٠﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ ﴿مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ يَعْنِي: جَبَلًا مَعْرُوفًا، أَوَّلُ مَا يَنْبِتُ الزَّيْتُونُ يَنْبِتُ هُنَاكَ ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ لِأَنَّهُ يَتَّخِذُ الذَّهْنَ مِنَ الزَّيْتُونِ ﴿وَصَبْغٍ﴾ إِدَامٍ ﴿لِلَّالِكِينَ﴾. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٤﴾ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ ﴿يَتَشَرَّفُ عَلَيْكُمْ﴾، فَيَكُونُ أَفْضَلُ مِنْكُمْ بِأَن يَكُونَ مَتَّبِعًا، وَتَكُونُوا لَهُ تَبْعًا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً﴾ تُبَلِّغُنَا عَنْهُ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ نُوحٌ ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿٢٥﴾ إِن هُوَ ﴿مَا هُوَ﴾ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ﴿جَنُونٌ﴾ فْتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿انْتَظَرُوا مَوْتَهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ﴾.

﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي ﴿يَهْلِكُهُمْ﴾ بِمَا كَذَّبُونَ ﴿بِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ﴾. وَقَوْلُهُ:

فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا فَبَدَأَ الْجَارُ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ
 ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
 لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَشْنَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ
 إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ
 أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِّثْلُكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ﴿فأوحينا إليه...﴾ الآية. مفسرة في سورة هود^(١). ﴿فاسلك فيها﴾ أي: أدخل
 في السفينة، والباقي مفسر في سورة هود.

﴿٢٨﴾ ﴿فإذا استويت﴾ اعتدلت في السفينة راكباً. الآية.

﴿٢٩﴾ ﴿وقل رب أنزلني﴾ منها ﴿منزلاً﴾ إنزالاً ﴿مباركاً﴾ فاستجاب الله تعالى دعاءه
 حيث قال: ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾^(٢) وبارك فيهم بعد إنزالهم من
 السفينة، حتى كان جميع الخلق من نسل نوح [ومن كان معه في السفينة]^(٣).

﴿٣٠﴾ ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿آيات﴾ لدلالات على قدرتنا ﴿وإن كنا لمبتلين﴾
 مختبرين طاعتهم بإرسال نوح إليهم.

﴿٣١﴾ ﴿ثم أشنانا من بعدهم﴾ أحدثنا ﴿قرناً آخرين﴾ يعني: عاداً.

﴿٣٢﴾ ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ وهو هود. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿وأترفناهم﴾ أي: نعمناهم ووسعنا عليهم. وقوله:

(٣) زيادة من ظا.

(١) انظر ص ٥٢٠.

(٢) سورة هود: الآية ٤٨.

أَيَعِدُّكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ تُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّبْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عُثَاءً لِقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِعَصْمِهِمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

﴿٣٥﴾ أنكم مخرجون ﴿أي﴾ من قبوركم أحياء .

﴿٣٦﴾ هيهات هيهات ﴿بُعْدًا﴾ ﴿لما توعدون﴾ من البعث .

﴿٣٧﴾ إن هي ﴿ما هي﴾ إلا حياتنا الدنيا ﴿يعني﴾ الحياة الدَّانِيَة في هذه الدَّار ﴿نموت ونحيا﴾ يموت الآباء ، ويحيا الأولاد .

﴿٣٩﴾ قال رب انصُرني ﴿عليهم﴾ ﴿بما كذبون﴾ بتكذيبهم إِيَّاي .

﴿٤٠﴾ قال عَمَّا قَلِيلٍ ﴿عن قَرِيبٍ﴾ ﴿ليصبحنَّ نادمين﴾ يندمون إذا نزل بهم العذاب على التَّكْذِيب .

﴿٤١﴾ فأخذتهم الصَّبيحة ﴿صبيحة العذاب﴾ ﴿بالحق﴾ بالأمر من الله تعالى ﴿فجعلناهم عُثَاءً﴾ هلكى هَامِدِينَ كغثاء السَّيْلِ ، وهو ما يحمله من بالي الشَّجَر ﴿فبعدا﴾ فهلاكاً ﴿للقوم الظَّالِمِينَ﴾ المشركين .

﴿٤٣﴾ ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ لا تموت قبل أجلها ﴿وما يستأخرون﴾ بعد الأجل طرفة عين . وقوله :

﴿٤٤﴾ ﴿تترا﴾ أي : متتابعة ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أي : لَمَنْ بعدهم يتحدَّثون بهم . وقوله :

﴿٤٦﴾ ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ مستكبرين قاهرين غيرهم بالظُّلم .

فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ بَيَّنَّا فِي الرُّسُلِ كُلِّهِمُ الْطَّبِيعَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٧﴾ وقومهما لنا عابدون ﴿أي﴾: مطيعون متذلّلون.

﴿٤٩﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون ﴿لكي يهتدي به قومه.

﴿٥٠﴾ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴿دلالة على قدرتنا﴾ وآويناهما إلى ربوة ﴿يعني﴾: بيت المقدس، وهو أقرب الأرض إلى السماء ﴿ذات قرار﴾ أرض مستوية، وساحة واسعة ﴿ومعين﴾ ماء ظاهر. وقيل: هي دمشق^(١).

﴿٥١﴾ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ﴿هذا خطاب للنبي ﷺ، والمراد به أن الله تبارك وتعالى كأنه أخبر أنه قد قال لجميع الرسل قبله هذا القول، وأمرهم بهذا، والمعنى: كلوا من الحلال.

﴿٥٢﴾ وإن هذه أمتكم أمة واحدة ﴿أي﴾: ملّتكم أيّها الرسل ملّة واحدة، وهي الإسلام ﴿وأنا ربكم﴾ شرعتها لكم [وبيّنتها لكم]^(٢) ﴿فاتقون﴾ فخافون.

﴿٥٣﴾ فتقطعوا أمرهم بينهم ﴿يعني﴾: المشركين واليهود والنصارى ﴿زبورا﴾ فرقا ﴿كل﴾ حزب ﴿جماعة﴾ بما لديهم ﴿بما عندهم من الدين﴾ ﴿فرحون﴾ معجبون مسرورون.

(١) هذا قول مجاهد وابن عباس وابن المسيب. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٠٩/٦ عن ابن المسيب، وابن عساكر بسند صحيح. وانظر: غرر التبيان ص ٢٦٦.

(٢) زيادة من عا.

هُمْ لَهَا عَمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكَبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُم مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لَهُمُ الْكِرْهُونَ ﴿٧٠﴾

ذكرهم ﴿هم لها عاملون﴾.

﴿٦٤﴾ «حتى إذا أخذنا مترفيهم ﴿رؤساءهم وأغنياءهم﴾ ﴿بالعذاب﴾ بالقحط والجوع سبع سنين ﴿إذا هم يجأرون﴾ يضجون ويجزعون، ونقول لهم:

﴿٦٥﴾ «لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ لا تمنعون، ولا ينفعكم جزعكم.

﴿٦٦﴾ «قد كانت آياتي تلى عليكم﴾ يعني: القرآن ﴿فكنتم على أعقابكم﴾ على أديباركم ﴿تنكبسون﴾ ترجعون القهقري مكدبين به.

﴿٦٧﴾ «مستكبرين به﴾ أي: بالحرم، تقولون: لا يظهر علينا أحد؛ لأننا أهل الحرم ﴿سامراً﴾ سُمَاراً بِاللَّيْلِ ﴿تهجرون﴾^(١) تهذون وتقولون الهجر من سب النبي ﷺ.

﴿٦٨﴾ «أفلم يدبروا القول﴾ يتدبروا القرآن، فيقفوا على صدقك ﴿أم جاءهم﴾ بل أجاءهم ﴿ما لم يأت آباءهم الأولين﴾ يريد: إن إنزال الكتاب قد كان قبل هذا، فليس إنزال الكتاب عليك ببديع ينكرونه.

﴿٦٩﴾ «أم لم يعرفوا رسولهم﴾ الذي نشأ فيما بينهم وعرفوه بالصدق.

﴿٧٠﴾ «أم يقولون﴾ بل يقولون ﴿به جنة﴾ جنون ﴿بل جاءهم﴾ ليس الأمر كما يقولون، بل جاءهم الرسول ﴿بالحق﴾ بالقرآن من عند الله.

(١) قرأ «تهجرون» بضم التاء وكسر الجيم نافع، من: أهجر إهجاراً، أي: أفحش في منطقه، والباقون «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم؛ إمّا من الهجر بسكون الجيم، وهو القطع والصدء؛ أو الهجر بفتحها، وهو الهذيان. الإتحاف ص ٣١٩.

وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبُّوكَ ﴿٧٤﴾ ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُودُ فِي طَغْيِهِمْ يَعَـمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

﴿٧١﴾ ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾ القرآن الذي يدعو إلى المحاسن ﴿أهواءهم﴾ التي تدعو إلى المقابح، أي: لو كان التنزيل بما يحبون ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ وذلك أنها خلقت دلالة على توحيد الله، فلو كان القرآن على مرادهم لكان يدعو إلى الشرك، وذلك يؤدي إلى إفساد أدلة التوحيد، وقوله: ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ لأنهم حينئذ يشركون بالله تعالى. ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ بشرفهم في الدنيا والآخرة.

﴿٧٢﴾ ﴿أم تسألهم﴾ أنت يا محمد على ما جئت به ﴿خرجاً﴾ جعلاً وأجراً ﴿فخرجاً﴾ ربك ﴿فعطاء ربك وثوابه﴾ خير. وقوله:

﴿لناكبون﴾ أي: عادلون مائلون.

﴿٧٥﴾ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍّ﴾ جذبٍ وقحطٍ ﴿للجود﴾ لتمادوا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ نزلت هذه الآية حين شكوا إلى النبي ﷺ وقالوا: قتلنا الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع^(١).

﴿٧٦﴾ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ بالجوع ﴿فما استكانوا لربهم﴾ ما تواضعوا.

﴿٧٧﴾ ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ يوم بدر. وقيل: عذاب الآخرة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيسون من كل خير. وقوله:

(١) ذكر المؤلف في أسباب النزول ص ٣٦٣ هذا السبب في نزول قوله تعالى: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ عن ابن عباس، فليعلم هذا.

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَوَعَدْنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا

﴿٨٠﴾ ﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾ أي: هو الذي جعلهما مختلفين. وقوله:

﴿٨٨﴾ ﴿ملكوت كل شيء﴾ أي: ملكه. يعني: مَنْ يملك كل شيء؟ ﴿وهو يجير﴾ يُؤمن من يشاء ﴿ولا يجار عليه﴾ لا يؤمن مَنْ أخافه. وقوله:

﴿٨٩﴾ ﴿فأنى تسحرون﴾ تُخدعون وتُصرفون عن توحيده وطاعته.

﴿٩٠﴾ ﴿بل أتيناكم بالحق﴾ يعني: القرآن ﴿وإنهم لكاذبون﴾ أَنَّ الملائكة بنات الله.

﴿٩١﴾ ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ ينفرد بمخلوقاته فيمنع الإله الآخر عن الاستيلاء عليها ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ بالقهر والمزاحمة كالعادة بين الملوك ﴿سبحان الله﴾ تنزيهاً له ﴿عما يصفون﴾ من الكذب.

﴿٩٣﴾ ﴿قل رب إمّا تريني ما يوعدون﴾ ما يُوعَدُ المشركون من العذاب.

﴿٩٤﴾ ﴿فلا تجعلني معهم أي: إن أنزلت بهم النّقمة فاجعّلي خارجاً منهم.

نَعُدُّهُمْ لِقْدَرُونَ ﴿٩٥﴾ اَدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مُوزِنُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿٩٦﴾ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ من الحلم والصَّفح ﴿السيئة﴾ التي تأتيك منهم من الأذى والمكروه ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ فنجازيهم به، وهذا كان قبل الأمر بالقتال.
 ﴿٩٧﴾ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتها ووساوسها.
 ﴿٩٨﴾ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في شيء من أموري. وقوله:
 ﴿٩٩﴾ ﴿رب ارجعون﴾ أي: ارددني إلى الدنيا.
 ﴿١٠٠﴾ ﴿لعلني أعمل صالحاً﴾ أي: أشهد بالتَّوْحِيد ﴿فيما تركت﴾ حين كنت في الدنيا ﴿كلاً﴾ لا يرجع إلى الدنيا ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ عند الموت، ولا يُجاب إلى ذلك، ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم ﴿برزخ﴾ حاجزٌ بينهم وبين الرَّجُوع إلى الدنيا.
 ﴿١٠١﴾ ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ النَّفْخَةُ الأخيرة ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ لا يفتخرون بالأنساب ﴿ولا يتساءلون﴾ كما يتساءلون في الدنيا من أيِّ قبيلةٍ ونسبٍ أنت.
 ﴿١٠٢﴾ ﴿تلفح﴾ تحرق. ﴿وهم فيها كالحون﴾ عابسون لتقلُّص شفاههم بالانشواء^(١)، فيقال لهم:

(١) أخرج الترمذي في التفسير برقم ٣١٧٥؛ والحاكم ٣٩٥/٢؛ وأحمد في المسند ٨٨/٣ عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تشويه النَّار، فتقلُّص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرتة. وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. اهـ. وفي سنده أبو السمح يرويه عن أبي الهيثم، وروايته عنه ضُعُفَتْ.

أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلَىٰ عَلَيْنَا فَنُكَلِّمُهُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١٠﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَخَشَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَأَغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٣﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٤﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١١٥﴾ قُلْ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٦﴾ قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٧﴾ قُلْ إِنْ لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾

﴿١٠٩﴾ ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَيْنِي تَتْلَىٰ عَلَيْنَا فَنُكَلِّمُهُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾ .

﴿١١٠﴾ ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ التي قضيت علينا ﴿وكنا قوماً ضالين﴾ أقرؤا على أنفسهم بالضلال، وقوله:

﴿١١١﴾ ﴿أَخَشَوْا﴾ أي: تباعدوا تباعد سخط عليكم. وقوله:

﴿١١٢﴾ ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ أي: سخرنهم منهم، واستهزأتم ﴿حتى أنسوكم ذكري﴾ لاشتغالكم بالاستهزاء منهم.

﴿١١٣﴾ ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ قابلت عملهم بما يستحقون من الثواب ﴿بما صبروا﴾ على أذاكم ﴿أنهم هم الفائزون﴾ الناجون من العذاب والنار.

﴿١١٤﴾ ﴿قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ قال الله تعالى لمنكري البعث إذا بعثهم من قبورهم: كم لبستم في قبوركم؟ وهذا سؤال توبيخ لهم؛ لأنهم كانوا يُنكرون أن يُبعثوا من قبورهم.

﴿١١٥﴾ ﴿قَالُوا لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ وذلك أنَّ العذاب رُفِعَ عنهم فيما بين النَّفْخَتَيْنِ، ونسوا ما كانوا فيه من العذاب، فاستقصروا مدَّة لبثهم، فلذلك قالوا: ﴿لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ﴾ أي: فاسأل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لبثنا.

﴿١١٦﴾ ﴿قَالَ إِنْ لَّبِئْتُمْ﴾ ما لبستم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وإن طال لبثكم؛ في طول لبثكم في النار ﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾ مقدار لبثكم في القبر، وذلك أنَّهم لم يعلموا ذلك حيث

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قالوا: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ فقل لهم: لو كنتم تعلمون ذلك كان قليلاً عند طول لبثكم في النَّار.

﴿١١٥﴾ ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ أي: للعبث لا لحكمة من ثواب للمطيع، وعقابٍ للعاصي. وقيل: عبثاً للعبث، حتى تعبثوا وتغفلوا وتلهوا.

﴿١١٦﴾ ﴿رب العرش الكريم﴾ أي: السَّريير الحسن.

﴿١١٧﴾ ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾ لا حجة له بما يفعل من عبادته غير الله ﴿فإنما حسابه عند ربه﴾ جزاؤه عند الله تعالى، فهو يجازيه بما يستحقه ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ لا يسعد المكذبون، ثم أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم الرحمة فقال:

﴿١١٨﴾ ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.

سُورَةُ الزَّانِيَةِ

[مدنيّة وهي ستون وآيتان]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِهُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سورة أنزلناها﴾ أي: هذه سورة أنزلناها ﴿وفرضناها﴾ ألزمتنا العمل بما فرض فيها.

﴿الزانية والزاني﴾ إذا كانا حُرَّين بالغين غير محصنين ﴿فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رقة ورحمة فتعطلوا الحدود، وتخففوا الضرب حتّى لا يؤلم، وقوله: ﴿في دين الله﴾ أي: في حكم الله. ﴿وليشهد﴾ وليحضر ﴿عذابهما﴾ جلدهما ﴿طائفة﴾ نفر ﴿من المؤمنين﴾.

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية...﴾ الآية. نزلت في قوم من فقراء المهاجرين همّوا أن يتزوّجوا بغايا كنّ بالمدينة لِعَيْلَتِهِمْ، فأنزل الله تعالى تحريم ذلك^(٢)؛ لأنهن كنّ

(١) زيادة من ظا.

(٢) انظر: أسباب النزول ص ٣٦٤؛ وتفسير الطبري ٧٠/١٨.

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾

زانياتٍ مشركاتٍ، وبينَّ أنه لا يتزوج بهنَّ إلاَّ زانٍ أو مشركٌ، وأنَّ ذلك حرامٌ على المؤمنين.

﴿٤﴾ والذين يرمون ﴿المحصنات﴾ الحرائر العفاف ﴿ثمَّ لم يأتوا﴾ على ما رموهنَّ به ﴿بأربعة شهداء﴾ أي: يشهدون عليهنَّ بذلك ﴿فاجلدوهم﴾ أي: الرَّامين ﴿ثمانين جلدَةً﴾ يعني: كلَّ واحدٍ منهم ﴿ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً﴾ لا تُقبل شهادتهم إذا شهدوا؛ لأنَّهم فسقوا برمي المحصنات إلاَّ أن يرجعوا ويكذبوا أنفسهم ويتركوا القذف، فحينئذٍ تُقبل شهادتهم لقوله تعالى: ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ. ﴿٦﴾

﴿٦﴾ والذين يرمون أزواجهنَّ يقذفونهنَّ بالزَّنا ﴿ولم يكن لهم شهداء إلاَّ أنفسهم﴾ يشهدون على صحَّة ما قالوا [إلاَّ هم] ^(١) ﴿فشهادة أحدهم أربع شهاداتٍ بالله﴾ أربع مرات أنَّه صادقٌ فيما قذفها به، يُسقط عنه الحدُّ، ثم يقول في الخامسة: لعنة الله عليه إنَّ كان من الكاذبين، فإذا فعل الزوج هذا وجب الحدُّ على المرأة، ويسقط ذلك عنها بأن تقول: أشهد بالله إنَّه لمن الكاذبين فيما قذفني به، أربع مرات، وذلك قوله تعالى: ﴿٨﴾

﴿٨﴾ ويَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ﴿أي: يدفع عنها عقوبة الحدِّ، والخامسة تقول: عليَّ غضب الله إنَّ كان من الصَّادقين.﴾

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا
تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ
لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ
مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ
الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

﴿١٠﴾ ولولا فضل الله عليكم ورحمته ﴿جواب﴾ «لولا» محذوف، على تقدير: لفضحكم
بارتكاب الفاحشة، ولعاجلكم بالعقوبة، ولكنه ﴿تواب﴾ يقبل التوبة، ويرحم من
رجع عن السيئة ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الحدود^(١).

﴿١١﴾ «إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ» بالكذب على عائشة رضوان الله عليها وصفوان
﴿عصبة﴾ جماعة ﴿منكم﴾ يعني: حسان بن ثابت، ومسطحاً، وعبد الله ابن أبي
المنافق، وحمنة بنت جحش ﴿لا تحسبوه﴾ لا تحسبوا ذلك الإفك ﴿شراً لكم بل
هو خير لكم﴾ لأن الله تعالى يأجركم على ذلك، ويظهر براءتكم ﴿لكل امرئ
منهم ما اكتسب من الإثم﴾ جزاء ما اجترح من الذنب ﴿والذي تولى كبره﴾ تحمّل
معظمه فبدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله ابن أبي^(٢).

﴿١٢﴾ «لولا» هلاً ﴿إذ سمعتموه﴾ يعني: الإفك ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ رجع من
الخطاب إلى الخبر، والمعنى: ظننتم أيها المؤمنون بالذين هم كأنفسهم ﴿خيراً﴾
والمؤمنون كلهم كالنفس الواحدة، وقلتم: ﴿هذا إفك مبين﴾ كذب ظاهر.

﴿١٤﴾ «ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم﴾ لأصابكم ﴿فيما
أفضتم﴾ خضتم ﴿فيه﴾ من الإفك ﴿عذاب عظيم﴾.

(١) زيادة من ظا و ظ.

(٢) وهذا قول عائشة، أخرجه البخاري في التفسير، فتح الباري ٤٥١/٨.

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ بِهِ وَفٌ رَجِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأَيَّاهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تأخذونه ويرويه بعضكم عن بعض ﴿وتحسبونه هيناً﴾ وتظنونه سهلاً، وهو كبيرٌ عند الله سبحانه.

﴿١٦﴾ ﴿وَلَوْلَا﴾ هلاً ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ سمعتم هذا الكذب ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ تعجباً من هذا الكذب ﴿هَذَا بُهْتَانٌ﴾ كذبٌ نتحير من عظمه، والمعنى: هلا أنكرتموه وصتمتم ألسنتكم عن الخوض فيه؟.

﴿١٧﴾ ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا﴾ كراهة أن تعودوا لمثل هذا الإفك أبداً.

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ يفشو الزنا ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهم المنافقون كانوا يشيعون هذا الكذب، ويطلبون العيب للمؤمنين، وأن يكثر فيهم الزنا.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لعجل لكم الذي تستحقونه من العقوبة.

﴿٢١﴾ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا﴾ ما صلح وطهر من هذا الذنب أحد ﴿مِنْكُمْ﴾ يعني: من الذين خاضوا فيه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ يُطَهِّرُ مَنْ يَشَاءُ من الإثم والذنب بالرحمة والمغفرة.

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ

﴿٢٢﴾ ﴿ولا يأتل﴾ ولا يحلف ﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾ يعني أبا بكر الصديق^(١) رضي الله عنه ﴿أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾ يعني: مسطحاً، وكان مسكيناً مهاجراً وكان ابن خالة أبي بكر، وكان قد حلف أن لا ينفق عليه ولا يؤتیه شيئاً. ﴿وليصفحوا﴾ عنهم لخوضهم في حديث عائشة ﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾ فلما نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق: بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي، ورجع إلى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه.

﴿٢٣﴾ ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾ عن الفواحش، كغفلة عائشة رضي الله عنها عما قذفت به ﴿لعنوا﴾ عذبوا ﴿في الدنيا﴾ بالجلد ﴿و﴾ في ﴿الآخرة﴾ بالنار.

﴿٢٤﴾ ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾. وقوله:

﴿٢٥﴾ ﴿يوفيههم الله دينهم الحق﴾ أي: جزاءهم الواجب ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ لأنه قد بين لهم حقيقة ما كان يعدهم به في الدنيا.

﴿٢٦﴾ ﴿الخبيثات﴾ من القول. وقيل: من النساء ﴿للخبِيثِينَ﴾ من الرجال ﴿والخبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿للخبِيثَاتِ﴾ من القول. وقيل: من النساء. ﴿والطَّيِّبَاتِ﴾ من القول.

(١) حديث أبي بكر ونفقته على مسطح. أخرجه البخاري في التفسير ٤٥٥/٨؛ ومسلم في التوبة برقم ٢٧٧٠؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٧٩؛ والنسائي في الطهارة، باب بدء التيمم ١٦٣/١.

لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾
يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ
لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ
يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

وقيل: من النساء ﴿للطيبين﴾ من الناس ﴿والطيبون﴾ من الناس ﴿للطيبات﴾ من
القول. وقيل: من الناس. ﴿أولئك﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿مبرؤون مما
يقولون﴾ يقوله أهل الخبث والقاذفون.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ تستأذنوا
﴿وتسلموا على أهلها﴾ وهو أن يقول: السَّلام عليكم، أَدخل؟

﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا﴾ في البيوت ﴿أَحَدًا﴾ يأذن لكم في دخولها ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا
حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا﴾ انصرفوا ﴿فارجعوا﴾ ولا تقفوا على أبوابهم
﴿هو﴾ أي: الرجوع ﴿أزكى لكم﴾ أظهر لكم وأصلح، فلَمَّا نزلت هذه الآية قيل:
يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في الطريق ليس فيها ساكن؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ
سُبْحَانَهُ:

﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ بِغَيْرِ اسْتِذْنٍ﴾ فيها متاع
منفعة ﴿لكم﴾ في قضاء حاجة، أو نزول وغيره.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ يكفُّوها عن النَّظَرِ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ ﴿ويحفظوا
فروجهم﴾ عن مَنْ لَا يَحِلُّ. وقيل: يستروها حتى لا تظهر. وقوله:

﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ يعني: الخُلُخَالِينَ، والقُرَطِينَ، والقلائد، والدِّمَالِيحَ،

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُدْرِكْنَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ
 آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي
 إِخْوَانِهِنَّ أَوْ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَةِ
 مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا
 يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّهُ السَّمُّونُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِحُونَ ﴿٣١﴾

ونحوها ممّا يخفى ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ وهو الثياب، والكحل، والخاتم،
 والخضاب، والسّوار، فلا يجوز للمرأة أن تظهر إلّا وجهها ويديها إلى نصف
 الذراع ﴿وليضربن بخمرهن﴾ وليلقين مقانعهن ﴿على جيوبهن﴾ ليسترن بذلك
 شعورهنّ وقرطهنّ وأعناقهنّ^(١) ﴿ولا يبدین زینتهن﴾ يعني: الزينة الخفية
 لا الظاهرة ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أزواجهن. وقوله: ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ يعني: النساء
 المؤمنات، فلا يحلّ لامرأة مسلمة أن تتجرّد بين يدي امرأة مشرّكة إلّا إذا كانت
 المشركة مملوكة لها، وهو قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي
 الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ يعني: الذين يتبعون النساء يخدمونهنّ ليصيبوا شيئاً، ولا حاجة
 لهم فيهنّ، كالخصيّ والخشي، والشّخ الهرم، والأحمق العيّن ﴿أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ
 لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ لم يقووا عليها ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ
 مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أي: لا يضربن بإحدى الرّجلين على الأخرى ليصيب الخلخال
 الخلخال فيعلم أنّ عليها خلخالين، فإنّ ذلك يحرك من الشّهوة ﴿وتوبوا إلى الله
 جميعاً﴾ راجعوا طاعة الله سبحانه فيما أمركم ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في
 هذه السّورة.

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأوّل، لما أنزل: ﴿وليضربن
 بخمرهنّ على جيوبهن﴾ شققن مروطهنّ، فاختمن بها. أخرجه البخاري في التفسير ٤٨٩/٨؛
 وأبو داود في اللباس برقم ٤١٠٢؛ والنسائي في التفسير ١٢١/٢.

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتَعَفَى الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۚ وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ﴾ الذين لا أزواج لهم من الرِّجَال والنِّسَاء ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ عبيدكم ﴿وَأَيَّامِكُمْ﴾ جواريتكم ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ هذا وعدٌ من الله تعالى بالغنَى على النِّكاح، وإِعْلَامٌ أَنَّهُ سَبَبٌ لِنَفْيِ الْفَقْرِ.

﴿وَلَيْسَتَعَفَى﴾ وليعفَ عن الحرام مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَزْوِجِ امْرَأَةٍ، بَأَن لَا يَمْلِكُ الْمَهْرَ وَالنَّفَقَةَ ﴿حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ﴾ يَطْلُبُونَ ﴿الْكِتَابَ﴾ الْمَكَاتِبَ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من عبيدكم، وهو أَن يَطْلُبَ مِنْ مَوْلَاهُ أَن يَبِيعَهُ مِنْهُ بِمَالٍ مَعْلُومٍ يُؤْذِيهِ إِلَيْهِ فِي مَدَّةٍ مَعْلُومَةٍ، فَإِذَا أَدَّى ذَلِكَ عَتَقَ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ﴾ فَأَعْطَوْهُمْ مَا يَطْلُبُونَ مِنَ الْكِتَابَةِ ﴿إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ اِكْتِسَابًا لِلْمَالِ، يَقْدِرُونَ عَلَى آدَاءِ مَالِ الْكِتَابَةِ ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ يَعْنِي: حَطُّوا عَنْهُمْ مِنَ الْمَالِ الَّذِي كَاتَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ، وَيَسْتَحِبُّ ذَلِكَ لِلسَّيِّدِ، وَهُوَ أَن يَحْطَّ عَنْهُ رُبْعُ الْمَالِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَذَا أَن يُؤْتُوا سَهْمَهُمْ مِنَ الزَّكَاةِ. ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ﴾ إِمَاءَكُمْ ﴿عَلَى الْبِغَاءِ﴾ الزَّنا. نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِيٍّ، وَكَانَتْ لَهُ جَوَارٍ يَكْرِهَنَّ عَلَى الزَّنا^(١)،

(١) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ ابْنُ سُلُولٍ يَقُولُ لَجَارِيَةٍ لَهُ: اذْهَبِي فَاْبْغِينَا شَيْئًا. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ...﴾ الْآيَةُ.

وَفِي رَوَايَةٍ: أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِيٍّ يُقَالُ لَهَا: مَسِيكَةٌ، وَأُخْرَى يُقَالُ لَهَا: أَمِيمَةٌ، كَانَ يَرِيدُهُمَا عَلَى الزَّنا، فَشَكَّنَا ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ...﴾ الْآيَةُ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْم ٣٠٢٩؛ وَأَبُو دَاوُدَ فِي الطَّلَاقِ بِرَقْم

إِنْ أَرَدَنْ تَحْصُنَا لِنَبْتَغُوا عَرْضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾
 وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ
 نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نَوْرٍ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا
 كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

ويأخذ منهم أجراً معلوماً ﴿إن أردن تحصناً﴾ قيل: إنَّ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصَّالحين من عبادكم وإمائكم﴾^(١) إن أردن تحصناً. وقيل: «إن» بمعنى: «إذ»، والمعنى: لا تكرهوهنَّ على الزَّنا إذ أردن التَّعَفُّفَ عنه ﴿لتبتغوا عرض الحياة الدنيا﴾ يعني: ما يؤخذ من أجورهنَّ ﴿ومن يكرههنَّ﴾ على الزَّنا ﴿فإنَّ الله من بعد إكراههنَّ﴾ لهنَّ ﴿غفور رحيم﴾ والوزر على المُكْرِه.

﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني: القرآن ﴿ومثلاً﴾ وخبراً وعبرة ﴿من الذين خلَّوا﴾ مضوا ﴿من قبلكم﴾ يعني: ما ذكر من قصص القرون الماضية.

﴿الله نور السموات والأرض﴾ أي: بنوره وهدها يَهْتَدِي من في السموات والأرض، ثمَّ ضرب مثلاً لذلك الثُّور الذي يقذفه في قلب المؤمن حتَّى يَهْتَدِي به فقال: ﴿مثل نوره كمشكاة﴾ وهي الكوَّة غير النَّافِذَة، والمراد بها ها هنا الذي وسط القنديل كالكوَّة يُوضَع فيها الدُّبَالَة، وهو قوله: ﴿فيها مصباح﴾ يعني: السَّراج ﴿المصباح في زجاجة﴾ لأنَّ الثُّور في الزُّجاج، وضوء النَّار أبين منه في كلِّ شيء. ﴿الزجاجة كأنها كوكب﴾ لبياضه وصفائه ﴿درِّيٌّ﴾ منسوبٌ إلى أنَّه كالذَّرِّ ﴿تُوقَدُ﴾^(٢) أي: الزُّجَاجَة، والمعنى للمصباح، ولكنه حذف المضاف، مَنْ قرأ بالبلاء أراد: يُوقَد المصباح ﴿من شجرة﴾ أي: من زيت شجرة ﴿مباركة زيتونة لا شرقية﴾ ليست ممَّا يطلع عليها الشَّمْس في وقت شروقها فقط ﴿ولا غربية﴾

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) قرأ «تُوقَدُ» أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ «يُوقَدُ» نافع وابن عامر وحفص.

انظر: الإتحاف ص ٣٢٥.

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهمُ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فُوقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

أو عند الغروب، والمعنى: ليس يسترها عن الشمس في وقت من النهار شيء، فهو أنضر لها، وأجود لزيتها ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ لصفائه دون السراج، وهو قوله: ﴿ولو لم تمسه نار، نورٌ على نور﴾ يعني: نور السراج ونور الزيت، ثم قال عز من قائل: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ...﴾ الآية.

﴿٣٦﴾ ﴿فِي بُيُوتٍ﴾ أي: المصباح يوقد في بيوت، يعني: المساجد ﴿أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ﴾ تبنى. وقوله تعالى:

﴿٣٧﴾ ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ﴾ بين الظَّمع في النِّجاة، والحذر من الهلاك ﴿وَالْأَبْصَارُ﴾ تتقلب في أي ناحية يؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشمال؟ ومن أي جهة يؤتون كتبهم من جهة اليمين أم من جهة الشمال؟

﴿٣٨﴾ ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ﴾ بأحسن ﴿مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ ما لم يستحقوه بأعمالهم، ثم ضرب مثلاً لأعمال الكافرين، فقال:

﴿٣٩﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ وهو ما يرى في الفلوات عند شدة الحر، كأنه ماء ﴿بِقِيعَةٍ﴾ جمع قاع، وهو المنبسط من الأرض ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ﴾ يظنه العطشان ﴿مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ﴾ جاء موضعه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ كذلك الكافر يحسب أن عمله مِغْن عنه أو نافعه شيئاً، فإذا أتاه الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ﴾ ووجد الله بالمرصاد عند ذلك ﴿فُوقَهُ حِسَابَهُ﴾ تحمّل جزاء عمله.

أَوْ كُظِّلِمَاتٍ فِي بَحْرِ لُجِّي يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَقَتٌ كُلُّ قَدِّعِلَمْ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ

﴿٤٠﴾ أو كظلمات ﴿٤١﴾ وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكافر ﴿في بحر لجي﴾ وهو البعيد القعر الكثير الماء ﴿يغشاه﴾ يعلوه ﴿موج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿من فوقه موج﴾ متراكم بعضه على بعض ﴿من﴾ فوق الموج ﴿سحاب﴾ وهذه كلها ظلمات بعضها فوق بعض ﴿ظلمة السحاب﴾ وظلمة الموج، وظلمة البحر. ﴿إذا أخرج﴾ الناظر ﴿يده﴾ بين هذه الظلمات ﴿لم يكدرها﴾ لم يرها لشدة الظلمة، وأراد بالظلمات أعمال الكفار، وبالبحر اللجج قلبه، وبالموج من فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة، وبالسحاب الرين والختم على قلبه، ثم قال: ﴿ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾ أي: من لم يهده الله للإسلام لم يهتد.

﴿٤١﴾ ألم تر أن الله يسبح له ﴿يصلي له﴾ من في السموات والأرض ﴿المطيع يسبح له﴾، والعاصي يذل أيضاً بخلق الله تعالى إياه على ما يشاء، على أن الله بريء من السوء ﴿والطير صافات﴾ أجنحتهن في الهواء تسبح الله. ﴿كل قد علم صلاته﴾ وهي لبني آدم ﴿وتسبيحه﴾ وهو عامٌ لغيرهم من الخلق.

﴿٤٢﴾ ألم تر أن الله يزجي ﴿يسوق﴾ سحاباً إلى حيث يريد ﴿ثم يؤلف بينه﴾ يجمع بين قطع ذلك السحاب ﴿ثم يجعله ركاماً﴾ بعضه فوق بعض ﴿فتري الودق﴾ المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ فرجه ﴿وينزل من السماء من جبال﴾ في السماء ﴿من برد فيصيب﴾ بذلك البرد ﴿من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه﴾ ضوء

يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٦﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٨﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٩﴾ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٥١﴾ وَإِن يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٥٢﴾

برق السحاب ﴿يذهب بالأبصار﴾ من شدة توفده.

﴿٤٤﴾ ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يُصَرِّفُهُمَا في اختلافهما وتعاقبهما ﴿إِنَّ في ذلك﴾ الذي ذكرت من هذه الأشياء ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول.

﴿٤٥﴾ ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾ أي: من نطفة ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيات والحيثان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنس والجن والطير ﴿ومنهم من يمشي على أربع﴾ كالبحر والجمال وغيرهما.

﴿٤٧﴾ ﴿ويقولون آمنا بالله﴾ يعني: المنافقين ﴿ثم يتولى﴾ يعرض عن قبول حكم الرسول ﷺ ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ الإقرار ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ إلى كتاب الله ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي^(١)، كان اليهودي يجزئه إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجزئه إلى كعب بن الأشرف، وهذا إذا كان الحق على المنافقين أعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ؛ لأنه كان لا يقبل الرشا، وإن كان لهم الحق على غيرهم أسرعوا إلى حكمه، وهو قوله تعالى:

﴿٤٩﴾ ﴿وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين﴾ مطيعين مُنقادين. قال الله تعالى:

(١) انظر: أسباب النزول ص ٣٧٨؛ وقد مرّت هذه القصة في تفسير قوله تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ الآية ٦٠ من سورة النساء، وانظر ص ٢٧١.

﴿٥٠﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٣﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّتْهُمْ لِيُخْرَجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ

﴿٥٠﴾ ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ فجاء بلفظ التوبيخ ليكون أبلغ في ذمهم ﴿أم ارتابوا﴾ شكوا ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ أي: يظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون لأنفسهم بكفرهم ونفاقهم﴾.

﴿٥١﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن﴾ وذلك أن المنافقين حلفوا أنهم يخرجون إلى حيث يأمرهم الرسول ﷺ للغزو والجهاد، فقال الله تعالى: ﴿قل لا تقسموا طاعة معروفة﴾ خير وأمثل من يمين تحثون فيها.

﴿٥٢﴾ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل﴾ من تبليغ الرسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من طاعته. الآية.

﴿٥٥﴾ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾ ليورثنهم أرض^(١) الكفار من العرب والعجم ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿وليمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم﴾ حتى يتمكّنوا منه من غير خوف

(١) عن أبي بن كعب قال: لما قدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوس واحدة، فنزلت: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. أخرجه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٨٦/٧.

وَلْيَسِدْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزَاتُكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا وَدَّعْتُمُ النَّارَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

﴿وليسدّ لهم من بعد خوفهم﴾ من العدو ﴿أمنًا﴾ لا يخافون معه العدو ﴿ومن كفر﴾ بهذه النعمة فعصى الله ورسوله، وسفك الدماء ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ فكان أول [من كفر] بهذه النعمة بعد ما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعادوا في الخوف، وظهر الشر والخلاف.

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من العبيد والإماء ﴿والذين لم يبلغوا الحلم منكم﴾ من الأحرار ﴿ثلاث مرّات﴾ ثم بيّنه فقال: ﴿من قبل صلاة الفجر﴾ وهو حين يخرج الإنسان من ثياب النوم ﴿وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة﴾ للقائلة ﴿ومن بعد صلاة العشاء﴾ الآخرة ﴿ثلاث عورات لكم﴾ يعني: هذه الأوقات؛ لأنها أوقات التجرّد وظهور العورة. ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح﴾ ألا يستأذنوا بعد هذه الأوقات ﴿طوافون﴾ أي: هم طوافون ﴿عليكم﴾ يريد أنهم خدمكم، فلا بأس عليهم أن يدخلوا في غير هذه الأوقات الثلاثة بغير إذن، وهذه الآية منسوخة عند قوم، وعند قوم لم تُنسخ، ويجب العمل بها^(١).

(١) قال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٣٣: للعلماء في هذه الآية ستة أقوال:

- فمنهم من قال: هي منسوخة.
- ومنهم من قال: هي نذبة غير واجبة.
- ومنهم من قال: هي في النساء دون الرجال.
- ومنهم من قال: هي في الرجال دون النساء.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى

﴿٥٩﴾ ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ﴾ من أحراركم ﴿الحلم فليستأذنوا﴾ في كلِّ وقتٍ ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ يعني: الكبار من الأحرار.

﴿٦٠﴾ ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ يعني: العجائز اللاتي أيسن من البعولة ﴿فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن﴾ جلابيهن ﴿غير متبرجات بزينة﴾ غير مُظهرات زينتهن، وهو أن لا تريد بوضع الجلاباب أن تُري زينتها ﴿وأن يستعففن﴾ فلا يضعن الجلاباب ﴿خيرٌ لهن﴾.

﴿٦١﴾ ﴿ليس على الأعمى حرج...﴾ الآية. كان المسلمون يخرجون للغزو، ويدفعون مفاتيح بيوتهنَّ إلى الزَّمنى الذين لا يخرجون، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ممَّا فيها، فكانوا يتوقَّون ذلك حتى نزلت هذه الآية ^(١). وقوله: ﴿ولا على

— ومنهم مَنْ قال: كان العمل بها واجباً؛ لأنَّ القوم لم يكن لهم أغلاق ولا ستور.

— ومنهم مَنْ قال: هي محكمة، واجبٌ على المسلمين أن يعملوا بها. اهـ.

— وقد روي عن ابن عباس أنَّه قال: ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله لا أرى أحداً من الناس يعمل بهنَّ:

— ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية ٥٨ من سورة النور.

— ﴿وَإِذَا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ [النساء: ٨].

— ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣].

انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٣٦٨.

(١) وهذا قول عائشة. أخرجه البزار بسندٍ صحيح. انظر: مجمع الزوائد ٨٦/٧؛ وأخرجه ابن جرير

٢٩/١٨ عن مجاهد؛ وانظر: أسباب النزول ص ٣٨٢.

أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

أنفسكم﴾ أراد: ولا عليكم أنفسكم ﴿أن تأكلوا من بيوتكم﴾ أي: بيوت أولادكم، فجعل بيوت أولادهم بيوتهم؛ لأنَّ ولد الرَّجل من كسبه، وماله كماله، وقوله: ﴿أو ما ملكتم مفاتيحه﴾ يريد: الزَّمنى الذين كانوا يخزنون للغزاة ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾ من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا من غير أن يحملوا، وهذه رخصة من الله تعالى لطفًا بعباده، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النَّظر، وقوله: ﴿أو صديقكم﴾ يجوز للرَّجل أن يدخل بيت صديقه فيتحرَّم بطعامه من غير استئذانٍ بهذه الآية، وقوله: ﴿أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ يقول: لا جناح عليكم إن اجتمعتم في الأكل، أو أكلتم فرادى، وإن اختلفتم فكان فيكم الزَّهيد والرَّغيب، والعليل والصَّحيح، وذلك أنَّ المسلمين تركوا مؤاكلة المرضى والزَّمنى بعد نزول قوله تعالى: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾^(١)، فقالوا: إنَّهم لا يستوفون من الأكل، فلا تحلُّ لنا مؤاكلتهم، فنزلت الرُّخصة في هذه الآية^(٢). ﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾ فليسلم بعضكم على بعض. وقيل: إذا دخلتم بيوتاً خاليةً فليقل الدَّاخل: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين. وقوله تعالى:

(١) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٢) وهذا قول ابن عباس، ذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٨١؛ وأخرجه ابن جرير عنه ١٦٨/١٨ من طريق علي بن أبي طلحة.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ
 إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذِنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ
 فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ
 الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُّعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُم لِوَإِذَا
 فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

﴿٦٢﴾ وإذا كانوا معه على أمر جامع ﴿يجمعهم في حربٍ حضرت، أو صلاة في جمعة، أو تشاور في أمر﴾ لم يذهبوا ﴿لم ينفروا عن النبي ﷺ﴾ ﴿حتى يستأذِنوه﴾ نزلت في حفر الخندق^(١)، كان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله ﷺ، وقوله:

﴿٦٣﴾ لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً ﴿أي: لا تقولوا إذا دعوتهم: يا محمد، كما يقول أحدكم لصاحبه، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبي الله﴾ قد يعلم الله الذين يتسللون ﴿يخرجون في خفية من بين الناس﴾ ﴿لواذا﴾ يستتر بغيره فيخرج مُخْتَفِياً ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ ﴿أي: يخالفون أمر الرسول ﷺ، وينصرفون بغير إذنه﴾ ﴿أن تصيبهم فتنة﴾ بليّة تُظهر نفاقهم ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾ عاجلاً في الدنيا.

﴿٦٤﴾ ألا إنَّ الله ما في السموات والأرض ﴿عبداً وملكاً وخلقاً.

[اللهم يسر علينا كلَّ عسير]^(٢)

• • •

(١) وهذا قول عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤٠٩/٣؛ وابن إسحاق وابن المنذر؛ وانظر: الدر المنثور ٢٢٩/٦.

(٢) زيادة من عا.

سُورَةُ الْفُرْقَانِ

[مكية وهي سبعون وتسع آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿تبارك﴾ ثبت ودام ﴿الذي نزل الفرقان﴾ القرآن الذي فرق بين الحق والباطل ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ الجن والإنس ﴿نذيرًا﴾ مخوفًا من العذاب.

﴿٢﴾ ﴿وخلق كل شيء﴾ ممَّا يُطلق في صفة المخلوق ﴿فقدَره تقديرًا﴾ جعله على مقدار. وقوله:

﴿٣﴾ ﴿نُشُورًا﴾ أي: حياة بعد الموت.

﴿٤﴾ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا القرآن ﴿إلا إفك﴾ كذب ﴿افتراه﴾ اختلقه

وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٨﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ يعنون: اليهود ﴿فقد جاؤوا﴾ بهذا القول ﴿ظلمًا وزورًا﴾ كذبًا.

﴿٥﴾ ﴿وقالوا أساطير الأولين﴾ أي: هو ما سطره الأولون ﴿اكتتبها﴾ كتبها ﴿فهى تملئ﴾ عليه بكرة وأصيلًا يعنون أنه يختلف إلى مَنْ يَعْلَمُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ.

﴿٦﴾ ﴿قل﴾ يا محمد لهم: ﴿أنزله﴾ أنزل القرآن ﴿الذي يعلم السر في السموات والأرض﴾ يعلم بواطن الأمور، فقد أنزله على ما يقتضيه علمه.

﴿٧﴾ ﴿وقالوا ما لهذا الرسول﴾ يعنون محمدًا عليه السَّلام ﴿يأكل الطعام﴾ أنكروا أن يكون الرَّسُولُ بصفة البشر ﴿ويمشي في الأسواق﴾ طلبًا للمعاش، يعنون أنه ليس بِمَلِكٍ وَلَا مَلِكٍ ﴿لولا﴾ هَلَّا ﴿أنزل إليه ملك﴾ يُصَدِّقُهُ ﴿فيكون معه نذيرًا﴾ داعيًا إلى الله يشاركه في الثبوة.

﴿٨﴾ ﴿أو يلقى إليه كنز﴾ يستغني به عن طلب المعاش ﴿وقال الظالمون﴾ المشركون: ﴿إن تتبعون﴾ ما تتبعون ﴿إلا رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً.

﴿٩﴾ ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ إذ مثَّلوك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولاً، والناقص عن القيام بالأمور إذ طلبوا أن يكون معك مَلَكٌ ﴿فضلوا﴾ بهذا القول عن الدِّين والإيمان ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً من ضلالتهم.

تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

﴿١٠﴾ تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك ﴿﴾ الذي قالوه من إلقاء الكنز، وجعل الجنة، ثم بين ذلك فقال: ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ يعني: في الدنيا؛ لأنه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. وقوله:

﴿١١﴾ ﴿سمعوا لها تغيظاً﴾ أي: صوتاً بغيظ، وهو التَّغَضُّبُ ﴿وزفيراً﴾ صوتاً شديداً.

﴿١٣﴾ ﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً﴾ وذلك أنهم يدفعون في النار كما يدفع الوتد في الحائط ﴿مقرنين﴾ مقرونين مع الشياطين ﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾ ويلاً وهلاكاً، فيقال لهم:

﴿١٤﴾ ﴿لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾.

﴿١٥﴾ ﴿قل أذلك﴾ الذي ذكرت من موضع أهل النار ومصيرهم ﴿خيراً أم جنة الخلد...﴾ الآية. وقوله:

﴿١٦﴾ ﴿وعداً مسؤولاً﴾ لأنَّ الملائكة سألت ذلك لهم في قوله تعالى: ﴿ربَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ ﴿١﴾.

﴿١٧﴾ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾ الأصنام، والملائكة، والمسيح، وعزيراً

فَيَقُولُ أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿ فيقول أنتم أضللتم عبادي هؤلاء ﴾ هذا توبيخ للكفار، كقوله لعيسى عليه السلام: ﴿ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (١) ١٩

﴿ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ﴾ أن نوالي أعداءك، وفي هذا براءة معبوديهم منهم ﴿ ولكن متعتهم وآباءهم ﴾ في الدنيا بالصحة والنعمة ﴿ حتى نسوا الذكر ﴾ تركوا ما وُعدوا به ﴿ وكانوا قوماً بوراً ﴾ هلكى بكفرهم.

﴿ فقد كذبوكم بما تقولون ﴾ بقولكم: إنهم كانوا آلهة ﴿ فما تستطيعون ﴾ يعني: الآلهة ﴿ صرفاً ﴾ للعذاب عنكم ﴿ ولا نصراً ﴾ لكم ﴿ ومن يظلم ﴾ أي: يشرك ﴿ منكم نذقه عذاباً كبيراً ﴾.

﴿ وما أرسلنا قبلك... ﴾ الآية. هذا جواب لقولهم: ﴿ ما لهذا الرسول... ﴾ الآية. أخبر الله سبحانه أن كل من خلا من الرُّسل كان بهذه الصِّفة ﴿ وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ﴾ الصحيح للمريض، والغني للفقير فيقول الفقير: لو شاء الله لأغناني كما أغنى فلاناً، ويقول المريض: لو شاء الله لعافاني كما عافى فلاناً، وكذلك كل الناس مبتلى بعضهم ببعض، فقال الله تعالى: ﴿ أنصبرون ﴾ على البلاء؟ فقد عرفت ما وُعد الصَّابرون ﴿ وكان ربك بصيراً ﴾ بمن يصبر، وبمن يجزع.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِيْ
 أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلٰٓئِكَةَ لَا بُشْرٰى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا
 مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ
 خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تُشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ يُنْزِلُ الْمَلٰٓئِكَةُ نَزِيرًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ
 يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

الجزء التاسع عشر:

﴿٢١﴾ ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿لولا﴾ هلاً ﴿أنزل علينا
 الملائكة﴾ فتخبرنا أن محمداً صادق ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا
 في أنفسهم﴾ حين طلبوا من الآيات ما لم يطلبه أمة ﴿وعتوا عتواً كبيراً﴾ وغلوا في
 كفرهم أشد الغلو.

﴿٢٢﴾ ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يعني: إن ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة هو يوم
 القيامة، وإن الله سبحانه حرمهم البشرى في ذلك اليوم، وتقول لهم الملائكة:
 ﴿حجراً محجوراً﴾ أي: حراماً محرماً عليهم البشرى.

﴿٢٣﴾ ﴿وقد منا﴾ وقصدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ مما كانوا يقصدون به التقرب إلى الله
 سبحانه ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾ باطلاً لا ثواب له؛ لأنهم عملوه للشيطان،
 والهباء: دقاق الثراب، والمنثور: المتفرق.

﴿٢٤﴾ ﴿أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً﴾ موضع قرار ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قيلولة.

﴿٢٥﴾ ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ عن الغمام، وهو السحاب الأبيض الرقيق ﴿ونزل
 الملائكة نزيلاً﴾ لإكرام المؤمنين.

﴿٢٦﴾ ﴿الملك يومئذ الحق﴾ أي: الملك الذي هو الملك حقاً ملك الرحمن يومئذ.

وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ
فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ
خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ
نَبِيِّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

﴿ويوم يعص الظالم﴾ الكافر، يعني: عقبة بن أبي معيط^(١) كان قد آمن ثم ارتدَّ
لرضى أبي بن خلف ﴿على يديه﴾ ندمًا وتحسُّرًا ﴿يقول﴾: يا ليتني اتخذت مع
الرسول سبيلًا ﴿طريقًا﴾ إلى الجنة بالإسلام.
﴿يا ويلنا ليتني لم أتخذ فلانًا﴾ يعني: أبيًا ﴿خليلًا﴾.

﴿لقد أضلني عن الذكر﴾ القرآن ﴿بعد إذ جاءني﴾ وكان الشيطان للإنسان خذولًا ﴿
عند البلاء﴾. يعني: إنَّ قبوله قول أبي بن خلف في الكفر كان من عمل الشيطان.
﴿وقال الرسول﴾ في ذلك اليوم: يا ﴿ربِّ إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورًا﴾
متروكًا معرضوا عنه.

﴿وكذلك﴾ وكما جعلنا لك أعداءً من المشركين ﴿جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوًّا من
المجرمين وكفىٰ بربك هاديًا﴾ يهديك وينصرك، فلا تُبالِ بمن يعاديك.

﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملةً واحدة﴾ أي: لم نزل عليه متفرقًا؟
وهلَّ كان دفعةً واحدة كالنُّوراة والإنجيل؟ قال الله تعالى: ﴿كذلك﴾ فرقنا تنزيله
﴿لنثبت به فؤادك﴾ لنُثَوِّي به قلبك، وذلك أنَّه كلَّمَا نزل عليه وحِيٌّ جديدٌ ازداد هو
قوَّة قلب ﴿ورتلناه ترتيلًا﴾ بيَّناه تبسيُّنًا في تثبُّتٍ ومهلة.

(١) عن ابن عباس في الآية قال: الظالم عقبة بن أبي معيط، يقول: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول
سبيلًا﴾ يا ويلنا ليتني لم أتخذ فلانًا خليلًا يعني: أمية بن خلف، وقيل: أبي.
أخرجه الطبري ٨/١٩ وفيه عطاء الخراساني، وهو صدوقٌ يهم كثيرًا، وابن جريج ثقة لكنه
يدلس ويرسل.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيرًا ﴿٣٩﴾

﴿٣٣﴾ ﴿ولا يأتونك﴾ يعني: المشركين ﴿بمثل﴾ يضربونه في إبطال أمرك ﴿إلا جئناك بالحق﴾ بما يردُّ ما جاؤوا به من المثل ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً وتفصيلاً ممَّا ذكروا.

﴿٣٤﴾ ﴿الذين﴾ أي: هم الذين ﴿يحشرون على وجوههم﴾ يُمشيهم الله عليها، فهم يُساقون على وجوههم ﴿إلى جهنم أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً﴾ من كلِّ أحدٍ.

﴿٣٥﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أي: مُعيناً ومُلبجاً.

﴿٣٦﴾ ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ وهم القبط، فكذبوهما ﴿فدمرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً.

﴿٣٧﴾ ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾ مَنْ كَذَّبَ نَبِيًّا فَقَدْ كَذَّبَ الرُّسُلَ كُلَّهُمْ؛ لأنَّهم لا يفرقون بينهم في الإيمان بهم. ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ عبرة ﴿وأعدنا للظالمين﴾ في الآخرة ﴿عذاباً أليماً﴾ سوى ما ينزل بهم من عاجل العذاب. وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿وأصحاب الرِّسِّ﴾ كانوا أهل بئرِ قعودٍ عليها، وأصحاب مواشٍ يعبدون الأصنام، فأهلكوا بتكذيب نبيِّهم ﴿وقروناً﴾ وجماعاتٍ ﴿بين ذلك﴾ الذين ذكرناهم ﴿كثيراً﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ بيَّنا لهم الأشباه في إقامة الحجَّة عليهم ﴿وكلاً تبرنا تنبيراً﴾ أهلكنا إهلاكاً.

وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤١﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرُونَ الْعَذَابَ مَنَ أَضْلُ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضْلُ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ

﴿٤١﴾ ﴿ولقد أنوّا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿على القرية التي أمطرت مطر السوء﴾ يعني: الحجارة، وهي قرية قوم لوط ﴿أفلم يكونوا يرونها﴾ إذا مرّوا بها مسافرين فيعتبروا ﴿بل كانوا لا يرجون نشورا﴾ لا يخافون بعثاً.

﴿٤١﴾ ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾ ما يتخذونك إلا مهزوءاً به، ويقولون: ﴿أهذا الذي بعث الله رسولا﴾ إلينا؟

﴿٤٢﴾ ﴿إن كاد﴾ إنّه كاد ﴿ليضلنا عن آلِهتنا﴾ فيصدّنا عن عبادتها ﴿لولا أن صبرنا عليها﴾ لصرفنا عنها.

﴿٤٣﴾ ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾ وهو أنّهم كانوا يعبدون شيئاً حجراً، أو ما كان، فإذا رأوا حجراً أحسن طرحوا الأوّل وعبدوا الأحسن، فهم يعبدون ما تهواه أنفسهم ﴿أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ حفيظاً حتّى تردّه إلى الإيمان، أي: ليس عليك إلاّ التبليغ. وقيل: إنّ هذا ممّا نسخته آية السيف.

﴿٤٤﴾ ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون﴾ سماع تفهيم ﴿أو يعقلون﴾ بقلوبهم ما تقول لهم: ﴿إن هم﴾ ما هم ﴿إلا كالأنعام﴾ في جهل الآيات وما جعل لهم من الدليل ﴿بل هم أضل سبيلاً﴾ لأنّ النعم تنقاد لمن يتعهده، وهم لا يطيعون مولاهم الذي أنعم عليهم.

﴿٤٥﴾ ﴿ألم تر﴾ ألم تعلم ﴿إلى ربك كيف مدّ الظل﴾ وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله﴾ لجعل الظل ﴿ساكناً﴾ ثابتاً دائماً ﴿ثمّ جعلنا الشمس

عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ لَيَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا فَآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

عليه دليلًا ﴿٤٥﴾ لأنَّ بالشَّمْس يُعرف الظِّلُّ.

﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ ﴿قبضنا الظِّلَّ إلينا بارتفاع الشَّمْس ﴿قبضاً يسيراً﴾ قيل: خفياً. وقيل: سهلاً.﴾

﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿يستركم﴾ وَالنَّوْمَ سُبَاتًا ﴿راحةً لأبدانكم﴾ وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿حياةً تنتشرون فيه من النَّوْم. وقوله:﴾

﴿٤٨﴾ طَهُورًا ﴿هو الطَّاهِر المُنْطَهَّر.﴾

﴿٤٩﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ ﴿بالماء الذي أنزلناه من السَّمَاء ﴿بلدة ميتاً﴾ بالجدوبة ﴿ونسقيه مما﴾ خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْاسًا كَثِيرًا ﴿جمع إنسيٍّ، وهم الذين سقيناهم المطر.﴾

﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ ﴿أي: المطر ﴿بينهم﴾ بأنواعه وإبلاً، وطشاً، ورُهَامًا^(١)، ورذاذاً ﴿ليذكروا﴾ ليتذكروا به نعمة الله تعالى ﴿فآبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جُحُوداً حين قالوا: سُقِينَا بِنَوء كذا.

﴿٥١﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿لنخفف عليك أعباء النبوة، ولكن لم نفعل ذلك ليعظم أجرك.﴾

﴿٥٢﴾ فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ ﴿في هواهم ولا تداهنهم ﴿وجاهدهم به﴾ وجاهد بالقرآن ﴿جهاداً كبيراً﴾ لا يُخالطه فتور.﴾

(١) الطَّش: المطر الضعيف، وهو فوق الرِّذَاذ، والرُّهَام: المطر الضعيف الدائم.

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بُدْثُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾

﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ خلطهما ﴿هذا عذب فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد الملوحة ﴿وجعل بينهما﴾ بين العذب والمالح ﴿برزخاً﴾ حاجزاً من قدرته حتى لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحجراً محجوراً﴾ حراماً محرماً أن يغلب أحدهما صاحبه.

﴿وهو الذي خلق من الماء﴾ النطفة ﴿بشراً﴾ آدمياً ﴿فجعله نسباً﴾ لا يحل تزوجه ﴿وصهراً﴾ يحل تزوجه، كابنة العم والخال، وابنهما ﴿وكان ربك قديراً﴾ قادراً على ما يشاء. وقوله:

﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ معيناً للشيطان على معصية الله سبحانه.

﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرسالة والوحي ﴿من أجر﴾ فيقولون: إنه يطلب أموالنا ﴿إلا من شاء﴾ لكن من شاء ﴿أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ بإنفاق ماله، وقوله:

﴿فاسأل به خبيراً﴾ فاسأل أيها الإنسان الذي لا تعلم صفته خبيراً يخبرك بصفاته.

﴿وإذا قيل لهم﴾ لهؤلاء المشركين: ﴿اسجدوا للرحمن﴾ وهو اسم الله سبحانه، كانوا لا يعرفونه لذلك قالوا: ﴿وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا﴾ أنت يا محمد ﴿وزادهم﴾ قول القائل لهم: اسجدوا للرحمن ﴿نفوراً﴾ عن الإيمان.

نَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ أَيْلَ
وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى
الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾
إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ
ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا
بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ
فِيهِ مُهَكَمًا ﴿٦٩﴾

﴿٦١﴾ تبارك الذي جعل في السماء بروجاً ﴿٦٢﴾ أي: منازل الكواكب السبعة ﴿٦٣﴾ وجعل فيها
سراجاً وهو الشمس.

﴿٦٤﴾ وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً ﴿٦٥﴾ إذا ذهب هذا أتى هذا، فأحدهما يخلف
الآخر، فَمَنْ فاته عملٌ بالليل فله مُسْتَدْرَكٌ بالنَّهَارِ، وهو قوله: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
يَذَّكَّرَ﴾ يذكر الله بصلاةٍ وتسبيحٍ وقراءةٍ ﴿أو أَرَادَ شُكُورًا﴾ شكرًا لنعمته وطاعته.

﴿٦٦﴾ وعِبَادُ الرَّحْمَنِ يعني: خواصَّ عبادِهِ ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾
بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سداداً من
القول يسلمون فيه من الإثم، وقوله:

﴿٦٥﴾ غراماً ﴿٦٦﴾ أي: شراً لازماً.

﴿٦٧﴾ والَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ﴿٦٨﴾ لم يكن إنفاقهم في معصية الله تعالى ﴿وَلَمْ
يَقْتُرُوا﴾ لم يمنعوا حقَّ الله سبحانه ﴿وَكَانَ﴾ إنفاقهم بين الإسراف والإقتار
﴿قَوَامًا﴾ قائماً، قوله:

﴿٦٨﴾ يَلْقَى أَثَامًا ﴿٦٩﴾ أي: عقوبة. وقيل: جزاء الآثام. وقوله:

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧١﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٥﴾

﴿يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ يُبَدِّلُهُمُ اللَّهُ بِقَبَائِحِ أَعْمَالِهِمْ فِي الشَّرِّكَ مُحَاسِنِ الْأَعْمَالِ فِي الْإِسْلَامِ، بِالشَّرِّكَ إِيْمَانًا، وَبِالزُّنَا عَقَّةً وَإِحْصَانًا، وَبِقَتْلِ الْمُؤْمِنِينَ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ.

﴿وَمَنْ تَابَ﴾ أَيُّ: عَزَمَ عَلَى التَّوْبَةِ ﴿فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ فَيَنْبَغِي أَنْ يَبَادِرَ إِلَيْهَا وَيَتَوَجَّهَ بِهَا إِلَى اللَّهِ.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ لَا يَشْهَدُونَ بِالْكَذِبِ ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ سَمِعُوا مِنَ الْكُفَّارِ الشَّتْمَ وَالْأَذَى صَفَحُوا وَأَعْرَضُوا، وَهُوَ مَنْسُوخٌ ^(١) بِالْقِتَالِ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وَعُظِّمُوا ﴿بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ لَمْ يَتَغَافَلُوا عَنْهَا كَأَنَّهُمْ صُمٌّ لَمْ يَسْمَعُوهَا، وَعُمْيٌ لَمْ يَرَوْهَا.

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ بِأَنْ نَرَاهُمْ مُطِيعِينَ لَكَ صَالِحِينَ ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ أَيُّ: اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَهْتَدِي بِهِ الْمُتَّقُونَ، وَيَهْتَدِي بِالْمُتَّقِينَ.

(١) أَخْرَجَ ابْنُ جَرِيرٍ ٥٠/١٩ عَنْ السَّيِّدِ قَالَ فِي: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ قَالَ: هِيَ مَكِيَّةٌ، وَإِنَّمَا عَنْهُ الشُّذِّيُّ بِقَوْلِهِ هَذَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ نَسَخَ ذَلِكَ بِأَمْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ، بِقَوْلِهِ: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

﴿٧٥﴾ أولئك يجزون ﴿الغرفة﴾ يثابون ﴿الدرجة﴾ في الجنة ﴿بما صبروا﴾ على طاعة الله سبحانه ﴿ويلقون﴾ ويستقبلون ﴿فيها﴾ في الغرفة بالتحية والسلام.

﴿٧٦﴾ قل ما يعبا بكم أي: ما يفعل ويصنع، وأي وزن لكم عنده ﴿لولا دعاؤكم﴾ توحيدكم وعبادتكم إياه ﴿فقد كذبتكم﴾ يا أهل مكة، فخرجتم عن أن يكون لكم عنده مقدار ﴿فسوف يكون﴾ العذاب لازماً لكم.

• • •

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ مِائَتَانِ وَعِشْرُونَ وَسِتْ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّرَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ ﴿٣﴾ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ إِن نَّشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ
مِّنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ ﴿٦﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿طَسَّرَ﴾ أَقْسَمَ اللَّهُ بِطَوْلِهِ وَسَنَائِهِ وَمُلْكِهِ.

﴿٢﴾ ﴿تِلْكَ﴾ هَذِهِ ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

﴿٣﴾ ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ﴾ قَاتِلٌ نَفْسَكَ ﴿إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لَتَرْكُهُمُ الْإِيمَانَ، وَذَلِكَ
أَنَّهُ لَمَّا كَذَّبَهُ أَهْلُ مَكَّةَ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، فَأَعْلَمَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَاضْطَرَّهُمْ
إِلَى الْإِيمَانِ، فَقَالَ:

﴿٤﴾ ﴿إِن نَّشَأْ نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ يَذْلُونَ بِهَا، فَلَا
يَلْوِي أَحَدٌ مِنْهُمْ عُنُقَهُ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿٥﴾ ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ﴾ مِّن وَعْظٍ ﴿مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ﴾ فِي الْوَحْيِ وَالتَّنْزِيلِ.

﴿٦﴾ ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فَسَيَعْلَمُونَ نَبَأَ ذَلِكَ، وَهُوَ وَعِيدٌ لَهُمْ.
وَقَوْلُهُ:

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَنْقُوتُ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَيَّ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَادْهَبَا بِأَيَّتِنَا إِنْأَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾

﴿٧﴾ كم أنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴿من كل نوع محمودٍ ممَّا يحتاج إليه الناس .
 ﴿٨﴾ إن في ذلك لآية ﴿لدلالة على توحيد الله سبحانه وقدرته ﴿وما كان أكثرهم
 مؤمنين ﴿لما سبق في علمي وقضائي فيهم .
 ﴿٩﴾ واذكر يا محمد ﴿إذ نادى ربك موسى ﴿ليلة رأى الشجرة والنار ﴿أن انت
 القوم الظالمين ﴿لأنفسهم بالكفر .
 ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَنْقُوتُ ﴿ألا يخافون الله سبحانه فيؤمنوا به .
 ﴿١١﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي ﴿من تكذيبهم إِيَّاي ﴿ولا ينطلق لساني ﴿بأداء الرُّسالة للعقدة
 التي في فيه ﴿فأرسل إلى هارون ﴿ليظاهرنِي على التَّبليغ .
 ﴿١٢﴾ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ ﴿بقتل القبطي .
 ﴿١٣﴾ قَالَ كَلَّا ﴿لا يقتلونك ﴿إنَّا معكم ﴿بالنُّصرة ﴿مستمعون ﴿نسمع ما تقول ويقال
 لك .

﴿١٤﴾ فَأَتَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ ﴿ذوا رسالة ﴿رب العالمين .
 ﴿١٥﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿مفسَّر في سورة طه^(١)، فلَمَّا أتاه بالرُّسالة عرفه
 فرعون، فقال:

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتُ بَنِيَ إِسْرَءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿١٨﴾ ﴿ألم نربك فينا وليدا﴾ صبيّاً ﴿ولبث فينا من عمرك سنين﴾ ثلاثين سنة.

﴿١٩﴾ ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت﴾ يعني: قتل القبطي ﴿وأنت من الكافرين﴾ الجاحدين لنعمتي عليك.

﴿٢٠﴾ ﴿قال﴾ موسى: ﴿فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ الجاهلين، لم يأتي من الله شيء.

﴿٢١﴾ ﴿وتلك نعمة تمنها علي﴾ أقرّ بإنعامه عليه، فقال: هي نعمة إذ ربيّنتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل. و ﴿عبدت﴾ معناه: اتخذت عبداً.

﴿٢٣﴾ ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾ أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله؟

﴿٢٤﴾ ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ أنه خالقهما.

﴿٢٥﴾ ﴿قال﴾ فرعون ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه مُعجّباً لهم: ﴿ألا تسمعون﴾ إلى ما يقوله: موسى! فقال موسى:

﴿٢٦﴾ ﴿ربكم ورب آبائكم الأولين﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿قال﴾ فرعون: ﴿إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾ يتكلّم بكلام لا تعرف صحّته.

﴿٢٨﴾ ﴿قال﴾ موسى: ﴿ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ فقال فرعون حين لزمته الحجّة:

قَالَ لَئِنْ أَخَذْتُ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولُو حِجَّتِكَ بِشْيءٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الدَّائِنِ حَسِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا ثَوَكُ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَنَّا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرَاءُ لَكَ أَنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مُنْقَلَبٌ مَاءً يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَهُمْ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامِنْتُمْ لَمْ قَبُلْ أَنَّ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُمْ لَكَاِبِرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا أَصْلَبُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴾ ﴿٥٢﴾

﴿٢٩﴾ ﴿لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ من المحبوسين في السِّجْنِ .
 ﴿٣٠﴾ ﴿قال﴾ موسى: ﴿أولو حجتك بشيء مبين﴾ يعني: أوتفعل ذلك وإن أتيتك على ما أقول بحجة بيّنة؟

﴿٣١﴾ ﴿قال فأْت به﴾ مفسّر أكثره إلى قوله تعالى:

﴿٥٠﴾ ﴿قالوا لا ضير﴾ لا ضرر ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون إلى ثواب.

﴿٥١﴾ ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا﴾ لأن كنا ﴿أول المؤمنين﴾ من هذه الأمة .

﴿٥٢﴾ ﴿وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون﴾ يتبعكم فرعون وقومه .

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٣﴾ فأرسل فرعون في المدائن حاشرين يعني: الشرط ليجمعوا له الجيش، وقال لهم:

﴿٥٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يعني بني إسرائيل ﴿لشِرْذِمَةٌ﴾ عَصَبَةٌ ﴿قَلِيلُونَ﴾.

﴿٥٥﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿مُغْضِبُونَ بِمُخَالَفَتِهِمْ إِيَّانَا﴾.

﴿٥٦﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴿مُسْتَعِدُّونَ لِلْحَرْبِ بِأَخْذِ أَدَاتِهَا وَ﴿حَازِرُونَ﴾﴾^(١) مَتَّقِظُونَ.

﴿٥٧﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ يعني: حين خرجوا من مصر ليلحقوا موسى وقومه.

﴿٥٨﴾ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿مَجْلِسٍ حَسَنِ﴾.

﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ ﴿كَمَا وَصَفْنَا﴾ وَأَوْرَثْنَاهَا ﴿بِهَلَاكِهِمْ﴾ ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾.

﴿٦٠﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ ﴿لِحَقْوِهِمْ﴾ ﴿مُشْرِقِينَ﴾ فِي وَقْتِ شُرُوقِ الشَّمْسِ.

﴿٦١﴾ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ﴿رَأَى كُلُّ وَاحِدٍ الْآخَرَ﴾ ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ أَيْ: سَيَدْرِكُنَا جَمْعُ فِرْعَوْنَ.

﴿٦٢﴾ قَالَ: كَلَّا ﴿لَنْ يَدْرِكُونَا﴾ ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بِالْثُّبْرِ ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طَرِيقَ النِّجَاةِ.

﴿٦٣﴾ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ ﴿قِطْعَةً مِنَ الْمَاءِ﴾ ﴿كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ كَالْجَبَلِ.

﴿٦٤﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿قَرَّبْنَا قَوْمَ فِرْعَوْنَ إِلَى الْهَلَاكِ، وَقَدَّمْنَا هُمْ إِلَى الْبَحْرِ﴾.

(١) قرأ «حذرون»: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وهشام بخلفه.

وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَّلُهَا مِنْ عِصْفَيْنِ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُسَيِّئُ ثُمَّ يُجْزِيهِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خِطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِيَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِأَيِّبِي إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرُزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَنْ مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصُرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٦٧﴾ ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لم يؤمن من أهل مصر إلا رجلٌ وامرأتان. وقوله: ﴿٧٧﴾ ﴿فإنهم عدوٌ لي﴾ أي: هذه الآلهة التي تعبدونها عدوٌ لي، أعاديهم أنا ولا أعبدهم ﴿إلا رب العالمين﴾ لكن رب العالمين أعبدته.

﴿٧٨﴾ ﴿الذي خلقني﴾ ظاهرٌ إلى قوله: ﴿٨٤﴾ ﴿لسان صدقٍ في الآخرين﴾ أي: ذكرًا جميلًا، وثناءً حسنًا في الأمم التي تجيء بعدي.

﴿٨٥﴾ ﴿واجعلني﴾ ممن يرث الجنة بفضلك ورحمتك. وقوله:

﴿٨٩﴾ ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾ سلم من الشرك.

﴿٩٠﴾ ﴿وأزلفت الجنة﴾ قربت ﴿للمتقين﴾.

﴿٩١﴾ ﴿وبرزت﴾ وأظهرت ﴿الجحيم للغاوين﴾ للكافرين.

فَكَبِّكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٥﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسْوِیکُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَتُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾

﴿٩٤﴾ ﴿فَكَبِّكُوا فِيهَا﴾ طَرَحَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْجَحِيمِ ﴿هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ يَعْنِي: الشَّيَاطِينَ.

﴿٩٥﴾ ﴿وَجُنُودُ إِبْلِيسَ﴾ أَتْبَاعُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ.

﴿٩٦﴾ ﴿قَالُوا﴾ لِلشَّيَاطِينِ وَالْمَعْبُودِينَ:

﴿٩٧﴾ ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿إِذْ نُسْوِیکُمْ﴾ نَعْدِلُكُمْ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فِي الْعِبَادَةِ.

﴿٩٩﴾ ﴿وَمَا أَضَلَّنَا﴾ وَمَا دَعَانَا إِلَى الضَّلَالِ ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اقْتَدَيْنَا بِهِمْ

﴿١٠٠﴾ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قَرِيبٍ يَشْفَعُ.

﴿١٠٢﴾ ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ رَجْعَةً إِلَى الدُّنْيَا، تَمْنُو أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الدُّنْيَا فَيُؤْمِنُوا. وَقَوْلُهُ:

﴿١٠٣﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ عَلَى الْوَحْيِ وَالرُّسَالَةِ؛ لِأَنَّكُمْ عَرَفْتُمُونِي قَبْلَ هَذَا بِالْأَمَانَةِ.

وَقَوْلُهُ:

﴿١١١﴾ ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ يَعْنِي: السَّفَلَةَ وَالْحَاكَةَ. وَقَوْلُهُ:

قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَ يَنْشُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْنَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ
 فَتَحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ
 الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾
 كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَانْقُضُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً
 تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَانْقُضُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَخَسَنَ وَعَيْونَ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي
 أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أُوْعِظَتْ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ
 هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

﴿١١٦﴾ من المرجومين ﴿أي﴾ من المشتومين . وقيل : من المقتولين .

﴿١١٩﴾ و ﴿الفلك المشحون﴾ المملوء . وقوله :

﴿١٢٨﴾ «أتبنون بكل ريع ﴿أي﴾ شرف ومكان مرتفع ﴿آية﴾ علماً ﴿تعبثون﴾ تلعبون :
 يعني : أبنية الحمام وبروجها .

﴿١٢٩﴾ «وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ﴿أي﴾ : تتخذون مباني وقصوراً للخلود ،
 لا تفكروا في الموت .

﴿١٣٠﴾ «وإذا بطشتم بطشتم جبارين ﴿أي﴾ : إذا ضربتم بالسوط ، و [إذا عاقبتم] ^(١) قتلتم فعل
 الجبارين الذين يقتلون على الغضب بغير حق . وقوله :

﴿١٣٧﴾ «إن هذا ﴿أي﴾ ما هذا الذي تدعونا إليه ﴿إلا خلق الأولين﴾ ^(٢) كذبهم وافترأؤهم .
 ومن قرأ ﴿خلق الأولين﴾ ^(٣) فمعناه : عادة الأولين ، أي : الذي نحن فيه عادة

(١) زيادة من عا .

(٢) قرأ «خلق» ابن كثير ، وأبو عمرو ، والكسائي ، ويعقوب ، وأبو جعفر . الإتحاف ص ٣٣٣ .

(٣) وهم نافع ، وابن عامر ، وعاصم ، وحزمة ، وخلف . الإتحاف ص ٣٣٣ .

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ
لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتَذْكُرُونَ فِي مَا هَهِئْنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
هَاضِمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَشْرَ
الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ
إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَبِئْ بِآيَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ شَرِبَ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمُ شَرْبٌ يَوْمَ
مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٥٧﴾

الأولين يعيشون ما عاشوا، ثم يموتون ولا بعث ولا حساب. وقوله:

﴿١٤٦﴾ «أتركون في ما ههنا أي: في الدنيا ﴿آمين﴾ من الموت والعذاب. وقوله:

﴿١٤٨﴾ «ونخل طلعتها أي: ثمرها. ﴿هاضم﴾ أي: [لِينٌ] ^(١) نضيج.

﴿١٤٩﴾ «وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين» ^(٢) حاذقين بنحتها، و﴿فارهين﴾ أشربين
بطرين، وكانوا مُعَمَّرِينَ لا يبقى البناء مع عمرهم، فنحتوا في الجبال بيوتاً.
وقوله:

﴿١٥٣﴾ «إنما أنت من المسحرين» أي: من الذين سُحروا مرةً بعد أخرى: وقيل: ممن له
سحر، وهو الرثة، أي: إنما أنت بشرٌ مثلنا. وقوله:

﴿١٥٥﴾ «لها شربٌ» أي: حظٌ ونصيبٌ من الماء.

﴿١٥٦﴾ «لا تمسوها بسوءٍ» بعقرٍ. وقوله:

(١) زيادة من عا و ظا.

(٢) قرأ «فارهين»: ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. الإنحاف ٣١٩/٢.

فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ النَّيْكََةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِيَّاهُ عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

﴿١٦٥﴾ «أتأتون الذكران من العالمين» يريد: ما كان من فعل قوم لوطٍ من إتيان الرجال في أديارهم.

﴿١٦٦﴾ «وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم» وتدعون أن تأتوا نسائكم «بل أنتم قوم عادون» ظالمون غاية الظلم.

﴿١٦٧﴾ «قالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين» عن بلدنا.

﴿١٦٨﴾ «قال: إني لعملكم» يعني: اللواط «من القالين» من المُبغضين. وقوله:

﴿١٧١﴾ «إلا عجوزا» يعني: امرأته «في الغابرين» في الباقيين في العذاب.

﴿١٧٢﴾ «ثم دمرنا» أهلكتنا.

﴿١٧٦﴾ «كذب أصحاب الأيكة» وهي الغيضة، وهم قوم شعيب.

﴿١٨١﴾ «أوفوا الكيل» أتموه «ولا تكونوا من المخسرين» الناقصين للكيل والوزن.

وقوله:

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِلَّةَ
 الْأُولَى ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لِمَنِ
 الْكَذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَا
 تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
 وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ
 الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبٍ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ
 الْأُولَى ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٩٧﴾

﴿والجبلّة الأولین﴾ أي: الخليفة السابقین.

﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾ أي: قطعة.

﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾ فيجازيكم به، وما عليّ إلاّ الدّعوة.

﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾ وذلك أنّ الحرّ أخذهم، فلم ينفعهم ماءٌ ولا
 كنّ، فخرجوا إلى البريّة، وأظلتهم سحابةٌ وجدوا لها برداً، واجتمعوا تحتها،
 فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا به^(١). وقوله:

﴿وإنه﴾ يعني: القرآن ﴿لتنزيل رب العالمين﴾.

﴿نزل به الروح الأمين﴾ جبريل عليه السّلام.

﴿على قلبك﴾ حتى وعيته.

﴿وإنه﴾ وإنّ ذكر محمّد ﷺ ﴿لفي زبر الأولين﴾ لفي كتب الأولین.

﴿أو لم تكن^(٢) لهم﴾ للمشرکین ﴿آية﴾ دلالةٌ على صدقه ﴿أن يعلمه علماء
 بني إسرائيل﴾ يعلمون محمداً ﷺ بالنبوة والرّسالة.

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١١٠/١٩.

(٢) قرأ «تكن» ابن عامر. الإتحاف ٣٢٠/٢.

وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعْذَابِنَا يُسْتَعْجَلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنَاهُ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نُنَزِّلُ بِهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَلْبِغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

﴿١٩٨﴾ ﴿ولو نزلناه﴾ يعني: القرآن ﴿على بعض الأعجمين﴾ جمع الأعجم، وهو الذي لا يحسن العربية.

﴿١٩٩﴾ ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ أنفة من أتباعه.

﴿٢٠٠﴾ ﴿كذلك سلكناه﴾ أدخلنا التَّكْذِيبَ ﴿في قلوب المجرمين﴾ فذلك الذي منعهم عن الإيمان.

﴿٢٠١﴾ ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾.

﴿٢٠٢﴾ ﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾.

﴿٢٠٣﴾ ﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾ فلما نزلت هذه الآيات قالوا: إلی متى توعدنا

بالعذاب؟ فأنزل الله سبحانه:

﴿٢٠٤﴾ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾.

﴿٢٠٥﴾ ﴿أفرايت إن متعناهم﴾ بالدُّنيا وأبقيناهم فيها ﴿سنين﴾.

﴿٢٠٦﴾ ﴿ثمَّ جاءهم﴾ العذاب لم ينفعهم إمتاعهم بالدُّنيا فيما قبل.

﴿٢٠٨﴾ ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ رسلٌ ينذرونهم.

﴿٢٠٩﴾ ﴿ذكرى﴾ إنذاراً للموعظة ﴿وما كنا ظالمين﴾ في إهلاكهم بعد قيام الحُجَّة عليهم.

﴿٢١٠﴾ ﴿وما ننزلت به﴾ بالقرآن ﴿الشياطين﴾.

﴿٢١١﴾ ﴿وما ينبغي لهم﴾ ذلك ﴿وما يستطيعون﴾ ذلك.

﴿٢١٢﴾ ﴿إنهم﴾ عن استراق السَّمْع من السَّماء. ﴿لمعزولون﴾ بالشُّهْب.

فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ
جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلِبُكَ فِي السَّجْدِينِ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ
أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢١﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ
كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ
يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ
بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿٢١٤﴾ وَأَنْذِرْ ﴿٢١٤﴾ خَوْفٌ ﴿٢١٤﴾ عَشِيرَتِكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ أَذْنِي أَهْلِكَ وَأَقَارِبِكَ .
﴿٢١٥﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ ﴿٢١٥﴾ لِمَنِ جَانَبِكَ . وقوله تعالى :
﴿٢١٨﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ أَيُّ : إِلَى صَلَاتِكَ .
﴿٢١٩﴾ وَتَقْلِبُكَ ﴿٢١٩﴾ تَصَرُّفَكَ فِي أَرْكَانِ الصَّلَاةِ قَائِمًا وَقَاعِدًا ، وَرَاكِعًا ، وَسَاجِدًا ﴿٢١٩﴾ فِي
السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ فِي الْمُصَلِّينَ .
﴿٢٢١﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴿٢٢١﴾ أَخْبِرْكُمْ ﴿٢٢١﴾ عَلَىٰ مَنْ نَزَلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ .
﴿٢٢٢﴾ نَزَلَ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ ﴿٢٢٢﴾ كَذَّابٌ ﴿٢٢٢﴾ أَثِيمٌ ﴿٢٢٢﴾ فَاجِرٌ ، مِثْلَ مَسِيلِمَةَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُهْنَةِ .
﴿٢٢٣﴾ يُلْقُونَ ﴿٢٢٣﴾ إِلَيْهِمْ مَا سَمِعُوا وَيَخْلُطُونَ بِذَلِكَ كَذِبًا كَثِيرًا ، وَهَذَا كَانَ قَبْلَ أَنْ حُجِبُوا
عَنِ السَّمَاءِ .
﴿٢٢٤﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ يَعْنِي : شُعْرَاءُ الْكُفَّارِ ، كَانُوا يَهْجُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ،
فَيَتَّبِعُهُمُ الْكُفَّارُ .
﴿٢٢٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ فِي كُلِّ لُغْوٍ يَخْوِضُونَ ، يَمْدَحُونَ بِبَاطِلٍ ،
وَيَسْتَمُونَ بِبَاطِلٍ ، ثُمَّ اسْتَنْتَى شُعْرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ :
﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٦﴾
رَدُّوا عَلَىٰ مَنْ هَجَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ ﴿٢٢٦﴾ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٦﴾ أَيُّ مَرْجِعٍ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ مِمَاتِهِمْ .

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ ﴿هذه الآيات التي وُعدتم بها، وذلك أَنَّهُمْ وُعدوا بالقرآن في كتبهم﴾ وَكِتَابٍ ﴿أَيُّ: وآياتِ كتابٍ﴾ مُبِينٍ.

﴿٢﴾ هُدًى ﴿أَيُّ: هو هُدًى﴾ وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ.

﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ ﴿جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زَيْنًا لَّهُمْ أَعْمَالَهُم القبيحة حتى رَأَوْهَا حَسَنَةً﴾ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿يتحَيَّرُونَ.

﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿في الدُّنْيَا القتل ببدْرٍ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخَسُونَ﴾ بِحَرَمَانِ النَّجَاةِ، وَالْمَنْعِ مِنَ الْجَنَانِ.

﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ... الآية. أَيُّ: يَلْقَى إِلَيْكَ الْقُرْآنَ وَحْيًا مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ.

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾
 فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا
 يَخَافُ لَدَى الْمَرْسُولِ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي
 جَيْبِكَ فَخَرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ
 آيَاتُنَا مَبْصُرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

﴿٧﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ اذكر يا محمد قصّة موسى حين قال ﴿لأهله﴾ في مسيره من
 مدين إلى مصر، وقد ضلّ الطريق، وأصلد^(١) زنده: ﴿إني آنست نارا﴾ أبصرتها
 من بعيد ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق أين هو ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ شعلة
 نار أقتبسها لكم ﴿لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون من البرد.
 ﴿٨﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: مَنْ فِي طَلَب النَّارِ وَقَصْدَهَا،
 والمعنى: بورك فيك يا موسى. يقال: بورك فلان، وبورك له، وبورك فيه ﴿وَمَنْ
 حَوْلَهَا﴾ وفيمن حولها من الملائكة، وهذا تحية من الله سبحانه لموسى وتكرمة له
 ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ تنزيهاً لله من الشؤء. وقوله:
 ﴿٩﴾ ﴿تَهْتَزُّ﴾ أي: تتحرك ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ حيّة خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم
 يرجع ولم يلتفت قلنا: ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾.
 ﴿١٠﴾ ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ لكن مَنْ ظلم نفسه ﴿ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي
 غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. وقوله:
 ﴿١١﴾ ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾ أي: من تسع آيات أنت مرسل بها. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾.
 وقوله:
 ﴿١٣﴾ ﴿مَبْصُرَةً﴾ أي: مضيئة واضحة.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَبْنَئُهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَبْنَئُهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْيَ هَذَا مَا كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١٤﴾ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم... الآية. معناها: وجحدوا بها ظلماً وترقُّعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى وهم يعلمون أنها من عند الله عز وجل.

﴿١٦﴾ وورث سليمان داود ﴿نبوته وعلمه دون سائر أولاده﴾ وقال: يا أيُّها الناس علِّمنا منطق الطير ﴿فهنا ما يقوله الطير.

﴿١٧﴾ وحشِر ﴿وجمع﴾ لسليمان جنوده ﴿في مسير له﴾ فهم يوزعون ﴿يُحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا.

﴿١٨﴾ حتى إذا أتوا على وادي النمل ﴿كان هذا الوادي بالشَّام، وكانت نمله كأمثال الذُّباب﴾ لا يحطمنكم سليمان وجنوده ﴿لا يكسرنكم بأن يطؤوكم.

﴿١٩﴾ فبَسَّمَ ﴿سليمان عليه السلام لما سمع قولها، وتذكَّر ما أنعم الله به عليه فقال: ﴿ربِّ أوزعني﴾ ألهمني ﴿أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾.

﴿٢٠﴾ وتفقد الطير ﴿طلبها وبحث عنها﴾ فقال: ما لي لا أرى الهدى أم كان ﴿بل أكان من الغائبين﴾ لذلك لم يره.

لَأَعَذِّبَنَّهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَمِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمَلِكُهُمْ وَأُوتِيَتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنُ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنُنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا قَالِقَةً إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾

﴿٢١﴾ ﴿لَأَعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ لَأَنْتَفِرَ رِيشُهُ وَأُلْقِيَنَّهُ فِي الشَّمْسِ ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ فِي غَيْبَتِهِ.

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ لَمْ يَطُلِ الْوَقْتُ حَتَّى جَاءَ الْهَدَّهْدُ، وَقَالَ لِسُلَيْمَانَ: ﴿أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحُطْ بِهِ﴾ عَلِمْتُ مَا لَمْ تَعْلَمْهُ ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾ وَهِيَ مَدِينَةُ الْيَمَنِ ﴿بَنِيَّ يَمِينٍ﴾ بَخِيرٍ لَا شَكَّ فِيهِ. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٣﴾ ﴿وَأُوتِيَتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أَيُّ: مِمَّا يُعْطَى الْمُلُوكُ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ﴾ سَرِيرٌ ﴿عَظِيمٌ﴾. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٥﴾ ﴿أَلَا يَسْجُدُوا﴾ أَيُّ: لِأَنَّ لَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ﴿الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْقَطَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَالتَّبَاتُ مِنَ الْأَرْضِ. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٨﴾ ﴿ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ أَيُّ: اسْتَأْخَرَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ مَا يَرُدُّونَ مِنَ الْجَوَابِ، فَمَضَى الْهَدَّهْدُ، وَأُلْقِيَ إِلَيْهَا الْكِتَابَ، فَ:

﴿٢٩﴾ ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيْكِ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ حَسَنٌ مَا فِيهِ، ثُمَّ بَيَّنَّتْ مَا فِيهِ فَقَالَتْ:

﴿٣٠﴾ ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَاتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَتَايَأُ آلُمُلُوكٍ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أَذِلَّةٌ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أْتِمِدُونَنِي بِمَالٍ فَمَاءَ اتْنِئِ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ ﴿ألا تعلمو علي﴾ أي: لا تترفعوا علي وإن كنتم ملوكاً ﴿وأتوني مسلمين﴾ طائعين مُتقادين.

﴿٣٢﴾ ﴿قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري﴾ يئنون لي ما أعمل ﴿ما كنت قاطعة﴾ قاضية وفاصلة ﴿أمرأ حتى تشهدون﴾ حتى تحضرون، أي: لا أقطع أمراً دونكم.

﴿٣٣﴾ ﴿قالوا﴾ مُجيبين لها: ﴿نحن أولو قوة﴾ في القتال ﴿وأولو بأس شديد﴾ عند الحرب ﴿والأمر إليك﴾ أيها الملكة ﴿فانظري ماذا تأمرين﴾ نُطْعك.

﴿٣٤﴾ ﴿قالت: إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية﴾ عنوة وغلبة ﴿أفسدوها﴾ خرَّبوها ﴿وجعلوا أعرَازَ أهلها أذلة﴾ أهانوا أشرفها بها؛ ليستقيم لهم الأمر، أشارت إلى أنَّها لو جاءت سليمان محاربةً احتاجت إلى التَّخريب والإفساد، وصدَّقها الله سبحانه في قولها فقال: ﴿وكذلك يفعلون﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿وإني مرسله إليهم بهدية﴾ أصانعه بها وأختبره أملك هو أم نبي؟ فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً لم يقبلها ﴿فناظرة بم﴾ بأي شيء ﴿يرجع المرسلون﴾ من عنده.

﴿٣٦﴾ ﴿فلما جاء﴾ البريد أو الرِّسول ﴿سليمان قال أتمدونني بمالٍ فما آتاني الله﴾ من الدِّين والثُّبوة والحكمة ﴿خيرٌ مما آتاكم﴾ من الدُّنيا ﴿بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ لأنَّهم أهل مكاثرة بالدُّنيا، ثُمَّ قال للرَّسول:

﴿٣٧﴾ ﴿ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم﴾ لا طاقة لهم ﴿بها ولنخرجهم منها﴾ من أرضهم ﴿أذلة﴾، فجاءها الرِّسول وأخبرها بما رأى وشاهد، فتجهَّزَت للمسير إلى سليمان، فلمَّا علم سليمان عليه السَّلام بمسيرها إليه.

قَالَ يَبْنَئُهَا الْمَلَأُوا أَئِكُمْ بِأَتْنِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكَرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٨﴾ قال يا أيها الملأ أياكم يأتي عرشها ﴿سريرها﴾ قبل أن يأتوني مسلمين ﴿لأنه حينئذ لا يحل أخذ ما في أيديهم﴾.

﴿٣٩﴾ قال عفرت من الجن ﴿وهو المارد القوي﴾: ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ من مجلسك الذي جلست فيه للحكم ﴿وإني عليه﴾ على حملي ﴿لقوي أمين﴾ على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من هذا، فـ

﴿٤٠﴾ قال الذي عنده علم من الكتاب ﴿وهو آصف بن برخيا، وكان قد قرأ كتب الله سبحانه﴾ ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قبل أن يرجع إليك الشخص من منتهى طرفك ﴿فلما رآه﴾ رأى سليمان عليه السلام العرش ﴿مستقراً عنده﴾ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر نعمته ﴿أم أكفر﴾ ها ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾ لأن نفع ذلك يعود إليه، حيث يستوجب المزيد ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ بالإفضال على من يكفر النعمة.

﴿٤١﴾ قال نكروا ﴿غيروا لها عرشها﴾ بتغيير صورته ﴿ننظر أتهندي﴾ أنعلم أنه عرشها فتعرفه.

﴿٤٢﴾ فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك قالت كأنه هو ﴿شبهته به؛ لأنه كان مغيراً، وأراد سليمان أن يختبر عقلها؛ لأنه قيل له: إن في عقلها شيئاً، ثم قالت: وأوتينا العلم﴾ بصحة نبوة سليمان ﴿من قبلها﴾ من قبل هذه الآية التي رأيها في إحضار العرش ﴿وكنا مسلمين﴾ منقادين له قبل مجيئنا.

وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَتَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٤٣﴾ ﴿وَصَدَّهَا﴾ ومنعها [عن] الإيمان ﴿ما كانت تعبد من دون الله﴾ إنها كانت من قوم كافرين ﴿فنشأت فيهم، ولم تعرف إلا قوماً يعبدون الشمس﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ وذلك أنه قيل لسليمان عليه السلام: إن قدميها كحافر الحمار^(١)، فأراد سليمان أن يرى قدميها، فاتخذ له ساحة من زجاج تحته الماء والسَّمَك، وجلس سليمان في صدر الصَّرْح، وقيل لها: ادْخُلِي الصَّرْح ﴿فلما رأت حُسْبَتَهُ لُجَّةً﴾ ماءً، وهي معظمه ﴿وكشفت عن ساقها﴾ لدخول الماء، فرأى سليمان قدميها وإذا هي أحسن النَّاسِ ساقاً وقدماً، و ﴿قال﴾ لها: ﴿إنَّه صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ﴾ أَمْلَس ﴿من قوارير﴾، ثم إنَّ سليمان عليه السلام دعاها إلى الإسلام فأجابته و ﴿قالت﴾: ربِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ﴿بالكفر﴾ ﴿وأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين﴾. وقوله:

﴿٤٥﴾ ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ﴾ فإذا قوم صالح فريقان مؤمنٌ وكافرٌ ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول كلُّ فريقٍ: الحقُّ معي، وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح عليه السلام العذاب، فقال:

﴿٤٦﴾ ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أي: لِمَ قُلْتُمْ: إنَّ كان ما أتيت به حقاً فأتينا بالعذاب ﴿لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ بالتَّوْبَةِ من الكفر ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ لكي ترحموا.

قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤُهُمْ مَكْرًا وَمَكْرُؤُهُمْ مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَّا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَبْجَسْنَا الْأَعْيُنَ وَأَمْنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾

﴿٤٧﴾ قالوا اطيرنا بك ﴿وبمن معك﴾ وذلك أنهم قُحطوا بتكذيبهم، فقالوا: أصابنا القحط بشؤمك وشؤم أصحابك، فقال صالح عليه السلام: ﴿طائرکم عند الله﴾ أي: ما أصابكم من خيرٍ وشرٍّ فمن الله ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

﴿٤٨﴾ وكان في المدينة ﴿مدينة ثمود﴾ تسعة رهط ﴿كانو عتاة قوم صالح﴾. ﴿٤٩﴾ قالوا: تقاسموا ﴿بالله لنبيته وأهله﴾ لتأتين صالحاً ليلاً، ولنقتله وأهله ﴿ثم لنقولنَّ لوليِّ دمه﴾ ما شهدنا مهلك أهله ﴿ما حضرنا إهلاكهم﴾ وإنا لصادقون ﴿في قولنا﴾.

﴿٥٠﴾ ومكروا مكرًا ﴿لتبييت صالح﴾ ومكروا مكرًا ﴿جازيناهم على ذلك﴾. وقوله: ﴿أنا دمرناهم﴾ وذلك أنهم لما خرجوا ليلاً لإهلاك صالح دمغتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يرونهم فقتلوه، وقوله: ﴿وقومهم أجمعين﴾ إهلاك قوم ثمود بالصيحة.

﴿٥١﴾ فبتلك بيوتهم ﴿مساكنهم﴾ ﴿خاوية﴾ ساقطة خالية ﴿بما ظلموا﴾ بكفرهم بالله سبحانه، وقوله:

﴿٥٢﴾ أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ﴿تعلمون أنها فاحشة﴾، فهو أعظم لذنوبكم. وقوله:

إِيَّاكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِتَجَاهُلْتُمْ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوِطِ مِّنْ قَرِيْبِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُمْ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ

الجزء العشرون:

﴿٥٦﴾ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّنْطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ يَنْتَزِعُونَ عَنْ أَدْبَارِ الرِّجَالِ، يَقُولُونَهُ اسْتِهْزَاءً. وقوله:

﴿٥٧﴾ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾ أَيُّ: قَضَيْنَا عَلَيْهَا أَنَّهَا مِنَ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

﴿٥٨﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴿٥٨﴾ عَلَى شُدَّاذِهِمْ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْأَسْفَارِ ﴿٥٨﴾ مَطَرًا ﴿٥٨﴾ وَهُوَ الْحَجَارَةُ.

﴿٥٩﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿٥٩﴾ أَلَيْسَ: عَلَى إِهْلَاكِ الْكُفَّارِ مِنَ الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ ﴿٥٩﴾ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴿٥٩﴾ اصْطَفَاهُمْ لِرِسَالَتِهِ ﴿٥٩﴾ اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا مَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ. وقوله:

﴿٦٠﴾ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ ﴿٦٠﴾ أَيُّ: بِسَاتِينَ ذَاتَ حُسْنٍ ﴿٦٠﴾ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا ﴿٦٠﴾ أَيُّ: مَا قَدَرْتُمْ عَلَيْهِ ﴿٦٠﴾ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ يُشْرِكُونَ.

﴿٦١﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴿٦١﴾ لَا تَتَحَرَّكُ ﴿٦١﴾ وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا ﴿٦١﴾ وَسَطَهَا أَنْهَارًا جَارِيَةً ﴿٦١﴾ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا ﴿٦١﴾ جِبَالًا ثَوَابِتَ ﴿٦١﴾ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ الْعَذْبَ وَالْمَالِحَ ﴿٦١﴾ حَاجِزًا ﴿٦١﴾ مَانِعًا مِّنْ قُدْرَتِهِ حَتَّى لَا يَخْتَلَطَا.

﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ ﴿٦٢﴾ الْمَجْهُودُ ذَا الضَّرُورَةِ ﴿٦٢﴾ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴿٦٢﴾ الضَّرَّ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ قَلَّ هَاثِرًا بِرَهْنِكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٩﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٧٠﴾ بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءُ لَمُخْرَجُونَ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧٣﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٥﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٦﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٧﴾

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ سكاها بإهلاك مَنْ قبلكم.

﴿٦٨﴾ ﴿ومن يرزقكم من السماء المطر﴾ ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ الثَّبات. وقوله:

﴿٦٩﴾ ﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾^(١) أي: لحقهم علمهم بأنَّ السَّاعةَ والبعثَ حقٌّ في

الآخرة حين لا ينفعهم ذلك، وَمَنْ قرأ: ﴿إِذَا دَرَكَ﴾ فمعناه: تدارك، أي: تكامل

علمهم يوم القيامة؛ لأنَّهم يبعثون ويشاهدون ما وعدوا. ﴿بل هم في شك منها﴾

في الدُّنيا ﴿بل هم منها﴾ من علمها ﴿عمون﴾ جاهلون. وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿ولا تحزن عليهم﴾ أي: على تكذيبهم وإعراضهم عنك ﴿ولا تكن في ضيق مما

يمكرون﴾ ولا تضيق قلبك بمكرهم.

﴿٧١﴾ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي: وعد العذاب ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنَّ العذاب

نازلٌ بالمكذب.

﴿٧٢﴾ ﴿قل عسى أن يكون ردف لكم﴾ أي: ردفكم، والمعنى: تبعكم ودنا منكم ﴿بعض

الذي تستعجلون﴾ من العذاب، وكان ذلك يوم بدر.

(١) قرأ «أَدْرَكَ» ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «إِذَا دَرَكَ». الإتحاف

وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ
رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ
الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أَمْدَبَرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ
ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا
لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ

﴿٧٥﴾ ﴿وما من غائبة﴾ أي: جملة غائبة عن الخلق ﴿إلا في كتاب مبين﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ ﴿إنَّ هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ وذلك أنَّ بني إسرائيل اختلفوا حتى لعن بعضهم بعضاً، فقال الله سبحانه: إِنَّ هذا القرآن ليقصُّ عليهم الهدى ممَّا اختلفوا فيه لو أخذوا به.

﴿٧٨﴾ ﴿إنَّ ربك يقضي بينهم﴾ بين المختلفين في الدِّين ﴿بحكمه﴾ يوم القيامة ﴿وهو العزيز﴾ القويُّ فلا يردُّ له أمرٌ ﴿العليم﴾ بأحوالهم.

﴿٨٠﴾ ﴿إنك لا تسمع الموتى﴾ الكفار ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين﴾ يعني: الكفار الذين هم بمنزلة الصُّم لا يسمعون النداء إذا أعرضوا.

﴿٨١﴾ ﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾ يريد: إنَّه أعماهم حتى لا يهتدوا، فكيف يهدي النبي ﷺ عن ضلالتهم قوماً عمياً. ﴿إن تُسمع﴾ ما تُسمع سماع إفهام ﴿إلا من يؤمن بآياتنا﴾ بآياتنا ﴿فهم مسلمون﴾ في علم الله سبحانه.

﴿٨٢﴾ ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾ وجب العذاب والسُّخط عليهم، وذلك حين لا يقبل الله سبحانه من كافرٍ إيمانه، ولم يبق إلا مَنْ يموت كافراً في علم الله سبحانه ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ وخروجها من أوَّل أشراف القيامة ﴿تكلّمهم﴾ تحدّثهم بما

أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

يسوءهم^(١) ﴿أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ تخبر الدَّابَّةَ مَنْ رآها أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ كَانُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ وبالقرآن لَا يُوقِنُونَ، وَمَنْ كَسَرَ: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾^(٢) كَانَ الْمَعْنَى: تَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ النَّاسَ.

﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ﴾ نَجْمَعُ ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ جَمَاعَةً ﴿مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يَحْبِسُ أَوَّلَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ لِيَجْتَمِعُوا.

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ﴾ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ وَلَمْ تَعْرِفُوا حَقَّ مَعْرِفَتِهَا، وَهَذَا تَوْبِيخٌ لَهُمْ ﴿أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حِينَ لَمْ تَتَفَكَّرُوا فِيهَا.

﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ وَجَبَتِ الْحُجَّةُ ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا﴾ بِإِسْرَاحِهِمْ ﴿فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ﴾ بِحُجَّةٍ وَعَذَرٍ، ثُمَّ ذَكَرَ الدَّلِيلَ عَلَى قُدْرَتِهِ وَإِلَهِيَّتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَقَالَ:

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ وَقَوْلُهُ:

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تُخْرِجُ الدَّابَّةُ وَمَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ، وَعَصَا مُوسَى، فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ، وَتُخْطِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَهْلَ الْخِيَانِ لِيَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ خَوَانِهِمْ، فَيَقُولُ هَذَا: يَا مُؤْمِنُ، وَيَقُولُ هَذَا: يَا كَافِرٌ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْمِ ٣١٨٦، وَحَسَنَهُ، وَالطَّبْرِيُّ ١٥/١٩، وَفِيهِ عَلِيُّ بْنُ زَيْدِ بْنِ جَدْعَانَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ٢/٢٩٥.

(٢) قَرَأَ «إِنَّ» بِكَسْرِ الِهْمْزَةِ نَافِعٌ، وَابْنُ كَثِيرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو جَعْفَرٍ. الْإِتْحَافُ ص ٤٤٠.

وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ
 دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ
 خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ
 بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 رَبِّي هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا
 الْقُرْآنَ فَمَنْ أِهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ
 سِيرِيكُمْ ءَايَتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٧﴾ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يعني: الشهداء ﴿وكلُّ أتوه﴾ يأتون الله سبحانه ﴿داخريين﴾ صاغرين.

﴿٨٨﴾ وتري الجبال تحسبها جامدة ﴿واقفةً مُستقرّةً﴾ وهي تمرُّ مرَّ السحاب ﴿وذلك أن كلَّ شيءٍ عظيمٍ، وكلَّ جمع كثيرٍ يقصر عنه الطرف لكثرتِه فهو في حسابان النَّاظِر واقفٌ وهو يسير﴾ صنع الله ﴿أي: صنع الله ذلك صنعهُ﴾ الذي أنقن ﴿أحكم﴾ كلَّ شيءٍ.

﴿٨٩﴾ من جاء بالحسنة ﴿وهي كلمة لا إله إلا الله﴾ فله خيرٌ منها ﴿فمنها يصل إليه الخير﴾ ومن جاء بالسَّيئة ﴿الشُّرك﴾ فْكُبَّتْ ﴿أُلْقِيَتْ وَطُرِحَتْ﴾ وجوهُهم في النار ﴿وقيل لهم:﴾ هل تجزون إلا ما كنتم ﴿بما كنتم﴾ تعملون.

﴿٩٠﴾ قل يا محمَّد: ﴿إنما أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ يعني: مَكَّة ﴿الذي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حرماً آمناً ﴿وله كلُّ شيءٍ﴾ ملكاً وخلقاً. وقوله:

﴿٩١﴾ ومن ضلَّ فقل إنما أنا من المنذرين ﴿أي: ليس عليَّ إلاَّ البلاغ.

﴿٩٢﴾ ﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته﴾ أيُّها المشركون. يعني: يوم بدر ﴿فتعرفونها وما ربك بغافل بما تعملون﴾.

[اللهم يسر علينا كلَّ عسير]

سُورَةُ الْقَصَصِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُونَ وَثَمَانِي آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِيحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ طَسَمَ .

﴿٢﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿يعني: القرآن، وهو مبينٌ للأحكام﴾ .

﴿٣﴾ نَتْلُو ﴿نَقُصُّ﴾ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى ﴿خبر موسى﴾ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ ﴿بِالصِّدْقِ﴾ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يُصَدِّقُونَ أَنَّ مَا يَأْتِيهِمْ بِهِ صِدْقٌ .

﴿٤﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا ﴿استكبر وتعظم﴾ فِي الْأَرْضِ ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فَرَقًا تَتَّبِعُ بَعْضُ تِلْكَ الْفِرْقِ بَعْضًا فِي خِدْمَتِهِ ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وَهُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ .

﴿٥﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴿نَنْعَمُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾

وَجَعَلَهُمْ أَيْمَةً وَجَعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَتَمَكَّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لَا تَخَفْ وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِهِ قُصِّيه فَأَبْصَرَتْ بِهِ عَنْ

﴿ونجعلهم أئمة﴾ قادة في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يرثون ملك فرعون وقومه.
وقوله:

﴿٦﴾ ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أرض مصر والشام حتى يغلبوا عليها من غير مُنازع
﴿ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ وذلك أنهم كانوا قد
أخبروا أن هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل، فكانوا على وجلٍ منهم.

﴿٧﴾ ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾ قيل: إنه وحي إلهام. وقيل: وحي إعلام.

﴿٨﴾ ﴿فالتقطه﴾ أخذه ﴿آل فرعون﴾ عن الماء ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أي: ليصير
الأمر إلى ذلك ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أي: عاصين آثمين.

﴿٩﴾ ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين لي﴾ هو قرة عين لي ﴿ولك لا تقتلوه﴾ فإنه أئانا
به الماء من أرض أخرى، وليس هو من بني إسرائيل ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما هو
كائن من أمرهم وأمره.

﴿١٠﴾ ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ خالياً عن كل شيء إلا عن ذكر موسى وهمة ﴿إن
كادت لتبدي به﴾ بأنه ابنها ﴿لولا أن ربنا على قلبها﴾ قوينا قلبها وألهمناها الصبر
﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدقين بوعد الله سبحانه.

﴿١١﴾ ﴿وقالت لأختها﴾ لأخت موسى ﴿قصيه﴾ اتبعي أثره، فاتبعته ﴿فبصرت به عن

جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَمِنَ الْوَدَّعِ فَاسْتَعَاذَهُ الَّذِي مِّنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِّنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

جنب ﴿أبصرته من بعيد﴾ وهم لا يشعرون ﴿أنها أخته﴾.

﴿١٢﴾ ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ منعنا موسى أن يقبل ثدي مرضعة ﴿من قبل﴾ أن نرده على أمه ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته حين تعذر عليهم رضاعه: ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ يضمُّونه إليهم ﴿وهم له ناصحون﴾ مخلصون شفقتة.

﴿١٣﴾ ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾ وذلك أنها دلَّتْهم على أم موسى، فدفع إليها تربيته لهم. وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ آل فرعون كانوا لا يعلمون أن الله وعدا رده عليها.

﴿١٤﴾ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ منتهى قوته، وهو ما فوق الثلاثين ﴿وَاسْتَوَىٰ﴾ وبلغ أربعين سنة ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ عقلاً وفهماً ﴿وَعِلْمًا﴾ قبل النبوة.

﴿١٥﴾ ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ﴾ يعني: مدينة بارض مصر ﴿عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ فيما بين المغرب والعشاء ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ﴾ أحدهما إسرائيلي، وهو الذي من شيعته، والآخر قبطي، وهو الذي من عدوه ﴿فَاسْتَعَاذَهُ﴾ الإسرائيلي على الفرعوني ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَىٰ﴾ ضربه بجميع كفه ﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتله ولم يتعمد قتله، فندم على ذلك لأنه لم يؤمر بقتله ف ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ ثم استغفر فقال:

﴿١٦﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَّى أَنْتَ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمْوَسَّى إِنَّكَ إِذَا يَأْتِمُرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُونَكَ فَأَخْرِجْ إِلَيَّ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٧﴾ قال رب بما أنعمت عليّ ﴿بالمغفرة﴾ ﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾ لن أعين بعدها على خطيئة.

﴿١٨﴾ ﴿فأصبح في﴾ تلك ﴿المدينة خائفاً﴾ من قتله القبطي ﴿يتربص﴾ ينتظر الأخبار ﴿فإذا﴾ الإسرائيلي ﴿الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾ يستغيثه. ﴿قال له موسى: إنك لغويٌّ مبين﴾ ظاهر الغواية، قد قتلت بك بالأمس رجلاً، وتدعوني إلى آخر، وأقبل إليهما، [﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما﴾ أي: بالقبطي] (١)، فظنَّ الذي من شيعته أنه يريد، فقال:

﴿١٩﴾ ﴿أنريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾ تقتل ظلماً، فلما قال الإسرائيلي هذا علم القبطي أنه قاتل القبطي بالأمس، فأتى فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون بقتل موسى، فأتاه رجلٌ فأخبره بذلك، وهو قوله:

﴿٢٠﴾ ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ وهو مؤمن آل فرعون ﴿قال يا موسى إنَّ الملائكة يأترون بك﴾ يأمر بعضهم بعضاً ويتشاورون ﴿ليقتلوك فخرج﴾ من هذه المدينة ﴿إني لك من الناصحين﴾.

﴿٢١﴾ ﴿فخرج منها خائفاً يتربص﴾ ينتظر الطلب ﴿قال: رب نجني من القوم الظالمين﴾ قوم فرعون.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٢﴾ ولما توجه ﴿تلقاء مدين﴾ قصد بوجهه ﴿تلقاء مدين﴾ نحوها ﴿قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل﴾ قصد الطريق، وذلك أنه لم يكن يعرف الطريق.

﴿٢٣﴾ ولما ورد ماء مدين ﴿ووجد من دونههم امرأتين تذودان﴾ جماعة ﴿من الناس يسقون﴾ مواشيهم ﴿ووجد من دونههم امرأتين تذودان﴾ تحبسان غنهما عن الماء حتى يصدر مواشى الناس ﴿قال﴾ موسى لهما: ﴿ما خطبكما﴾؟ ما شأنكما لا تسقيان مع الناس؟ ﴿قالنا لا نسقي﴾ مواشينا ﴿حتى يصدر الرعاء﴾ عن الماء، لأننا لا نطيق أن نستقي وأن نزاحم الرجال، فإذا صدروا سقيننا من فضل مواشيهم ﴿وأبونا شيخ كبير﴾ لا يمكنه أن يرد وأن يستقي.

﴿٢٤﴾ فسقى لهما ﴿أغنامهما من بئر أخرى رفع عنها حجراً كان لا يرفعه إلا عشرة أنفس﴾ ثم تولى إلى الظل ﴿أى: إلى ظل شجرة﴾ فقال ربّ إني لما أنزلت إليّ من خير ﴿طعام فقير﴾ محتاج، وكان قد جاع فسأل الله تعالى ما يأكل، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتا بما فعل موسى، فقال لإحدهما: اذهبي فادعيه، فذلك قوله:

﴿٢٥﴾ فجاءته إحدهما ﴿أخذت تمشي على استحياء﴾ مستتره بكّم درعها ﴿قالت: إن أبى يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصّ عليه القصص﴾ أخبره بأمره والسبب الذي أخرجه من أرضه ﴿قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ يعني: من فرعون وقومه؛ فإنه لا سلطان له بأرضنا.

قَالَتْ لِأَحَدِهِمَا يَتَأَبَّتِ اسْتَجِرَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِجٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي
وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿٢٦﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ ﴿٢٦﴾ لِيرْعَى أَغْنَانَا ﴿٢٦﴾ إِنَّ خَيْرَ مِّنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ
الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ وَإِنَّمَا قَالَتْ ذَلِكَ لِأَنَّهَا عَرَفَتْ قُوَّتَهُ بَرَفَعَ الْحَجَرَ مِنْ رَأْسِ الْبَثْرِ، وَأَمَانَتُهُ بِأَنَّ
مُوسَى قَالَ لَهَا لَمَّا دَعَتْهُ إِلَى أَبِيهَا: امْشِي خَلْفِي، فَإِنَّا بَنِي يَعْقُوبَ لَا نَنْظُرُ إِلَى
أَعْجَازِ النِّسَاءِ.

﴿٢٧﴾ قَالَ ﴿٢٧﴾ عِنْدَ ذَلِكَ الشَّيْخُ لِمُوسَى: ﴿٢٧﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ ﴿٢٧﴾ أَزْوَاجَكَ ﴿٢٧﴾ إِحْدَى ابْنَتَيَّ
هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ﴿٢٧﴾ تَكُونَ أَجِيرًا لِّي ﴿٢٧﴾ ثَمَانِي حَبِجٍ ﴿٢٧﴾ سَنِينَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا
فَمِنْ عِنْدِكَ ﴿٢٧﴾ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيْكَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿٢٧﴾ بَأَنْ أَشْرَطَ الْعَشْرَ
﴿٢٧﴾ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ الْوَافِينَ بِالْعَهْدِ.

﴿٢٨﴾ قَالَ ﴿٢٨﴾ مُوسَى: ﴿٢٨﴾ ذَلِكَ ﴿٢٨﴾ الَّذِي وَصَفْتَ ﴿٢٨﴾ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ﴿٢٨﴾ أَيُّ: لَكَ مَا شَرَطْتَ عَلَيَّ
وَلِي مَا شَرَطْتُ مِنْ تَزْوِيجِ إِحْدَاهُمَا. ﴿٢٨﴾ أَيَّمَا الْأَجْلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ﴿٢٨﴾
لَا ظَلَمَ عَلَيَّ بَأَنْ أَطَالِبَ بِأَكْثَرِ مِنْهُ ^(١) ﴿٢٨﴾ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ وَاللَّهُ شَاهِدُنَا عَلَى
مَا عَقَدْنَا.

(١) عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: سَأَلَنِي يَهُودِيٌّ مِنْ أَهْلِ الْحِيرَةِ: أَيُّ الْأَجْلَيْنِ قَضَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟
قُلْتُ: لَا أَدْرِي، حَتَّى أَقْدَمَ عَلَى حَبْرِ الْعَرَبِ فَأَسْأَلُهُ، فَقَدِمْتُ فَسَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَقَالَ: قَضَى
أَكْثَرَهُمَا وَأَطْيَبَهُمَا، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِذَا قَالَ فَعَلَ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الشَّهَادَاتِ، بَابُ مَنْ أَمَرَ
بِإِنْجَازِ الْوَعْدِ ٢١٣/٥.

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنَّرُ كَأَنهَآ جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمَّ يَعْقِبْ يَمْوِسَ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿ ٣١ ﴾ أَسَلُّكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْجُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَنُوكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿ ٣٢ ﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿ ٣٣ ﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿ ٣٤ ﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا

﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ فلما قضى موسى الأجل ﴾ مفسر فيما مضى إلى قوله: ﴿ أو جذوة من النار ﴾ قطعة وشعلة من النار.

﴿ ٣٠ ﴾ ﴿ فلما أتاه نودي من شاطئ ﴾ جانب ﴿ الوادي الأيمن ﴾ من يمين موسى ﴿ في ﴾ البقعة ﴿ في القطعة من الأرض ﴾ المباركة ﴿ بتكليم الله سبحانه فيها موسى عليه السلام، وإتيانه النبوة ﴾ من الشجرة ﴿ من جانب الشجرة ﴾ ﴿ أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾ والباقي مفسر فيما سبق ^(١) إلى قوله:

﴿ ٣١ ﴾ ﴿ واضمم إليك جناحك ﴾ أي: يدك ﴿ من الرهب ﴾ من الخوف، والمعنى: سكن روعك واخفض عليك جنبيك، وذلك أنه كان يرتعد خوفاً ﴿ فذانك ﴾ اليد والعصا ﴿ برهانان من ربك... ﴾ الآية. وقوله:

﴿ ٣٢ ﴾ ﴿ رداء ﴾ أي: مُعِينًا.

﴿ ٣٣ ﴾ ﴿ قال: سنشد عضدك ﴾ أي: نُقَوِّيك ﴿ بأخيك ونجعل لكما سلطاناً ﴾ حجة بيّنة

فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنِ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَيَّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهِي مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاْنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكُونُ إِلَى الْكَاثِرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿فلا يصلون إليكما﴾ بسوء، ﴿بآياتنا﴾ العصا واليد، وسائر ما أعطيا.

﴿٣٧﴾ ﴿وقال موسى﴾ لَمَّا كُذِّبَ ونُسب إلى السُّحَر: ﴿ربِّي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ يعني: نفسه، أي: ربِّي أعلم بي أن الذي جئت به من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أي: العقبى المحمودة في الدار الآخرة. وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أي: اطبخ لي الآجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ بناء طويلاً مشرفاً ﴿لعلني أطلع إلى إله موسى﴾ أنظر إليه وأقف عليه. وقوله:

﴿٤١﴾ ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قادة ورؤساء ﴿يدعون إلى النار﴾ أي: إلى الضلالة التي عاقبتها النار.

﴿٤٢﴾ ﴿واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾ وذلك أنهم لَمَّا هلكوا لعنوا، فهم يُعرضون على النار غدوةً وعشياً إلى يوم القيامة ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ الممقوتين المهلكين.

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ

﴿٤٣﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس﴾ أي: مبيناً لهم.

﴿٤٤﴾ ﴿وما كنت بجانب الغربي﴾ أي: الجبل الغربي الذي هو في جانب الغرب ﴿إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ أحكمناه معه، وعهدنا إليه بأمرنا ونهينا ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ الحاضرين هناك.

﴿٤٥﴾ ﴿ولكننا أنشأنا﴾ أحدثنا وخلقنا ﴿قروناً﴾ أمماً ﴿فتطاول عليهم العمر﴾ فنسوا عهد الله وتركوا أمره. ﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً ﴿في أهل مدين﴾ تنلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين ﴿أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك هذه الأخبار، ولولا ذلك ما علمتها.

﴿٤٦﴾ ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾ موسى ﴿ولكن﴾ أوحينا إليك هذه القصص ﴿رحمة من ربك﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ونقمة ﴿بما قدّمت أيديهم﴾ وجواب «لولا» محذوف، تقديره: لعاجلناهم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾ ﴿فلما جاءهم الحق﴾ محمد ﷺ ﴿من عندنا قالوا: لولا أوتي﴾ محمد ﴿مثل ما أوتي موسى﴾ كتاباً جملة واحدة ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾ أي: ما أوتي موسى

قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرٍ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يَوْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد ﷺ و ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾^(١) وذلك حين سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنهم يجدونه في كتابهم بنعته وصفته، وقالوا: ساحران تظاهرا. يعنون: موسى ومحمداً عليهما السلام تعاونا على السحر و﴿وقالوا إِنَّا بكل﴾ من موسى ومحمد عليهما السلام ﴿كافرون﴾.

﴿قل﴾ لهم: ﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما﴾ من كتابيهما ﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾ أنهما كانا ساحرين.

﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾ أي: لم يجيبوك إلى الإتيان بالكتاب ﴿فاعلم أنما يتبعون أهواءهم﴾ أي: يؤثرون هواهم على الدين.

﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾ أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً ﴿لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون ويعتبرون.

﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾ من قبل محمد ﷺ ﴿هم به يؤمنون﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب.

﴿وإذا يُتلى عليهم﴾ القرآن ﴿قالوا آمنا به﴾ صدقنا به ﴿إنه الحق من ربنا﴾ وذلك أنهم عرفوا بما ذكر في كتبهم من نعت النبي ﷺ وكتابه ﴿إننا كنا من قبله﴾ من قبل القرآن، أو من قبل محمد ﷺ ﴿مسلمين﴾ لأننا كنا نؤمن به وبكتابه.

(١) قرأ «ساحران»: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «سحرا». الإتحاف ص ٣٤٣.

أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾
 وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي
 الْجَاهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾
 وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُخْطَفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجَبَّى إِلَيْهِ نَمُوتُ
 كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

﴿٥٤﴾ أولئك يؤتون أجرهم مرتين ﴿مرتة بإيمانهم بكتابهم، ومرّة بإيمانهم بالقرآن﴾ بما صبروا ﴿بصبرهم على ما أُوذوا﴾ ويدرءون بالحسنة السيئة ﴿ويدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدّم لهم من السيئات﴾ ومما رزقناهم ينفقون ﴿يتصدقون﴾.

﴿٥٥﴾ وإذا سمعوا اللغو ﴿القبیح من القول﴾ أعرضوا عنه ﴿لم يلتفتوا إليه﴾. يعني: إذا شتمهم الكفار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشتم. ﴿وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم﴾ ليس هذا تسليم التحية، وإنما هو تسليم المُتاركة، أي: بيننا وبينكم المتاركة والتسليم، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال ﴿لا نبتغي الجاهلين﴾ لا نصحبهم.

﴿٥٦﴾ إنك لا تهدي من أحببت ﴿نزلت حين حرص النبي ﷺ على إيمان عمّه عند موته، فلم يؤمن، فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١)، والمعنى: لا تهدي من أحببت هدايته﴾ ولكن الله يهدي من يشاء ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ بمن يهدي في معلومه.

﴿٥٧﴾ وقالوا ﴿يعني: مشركي مكّة﴾: ﴿إن نتبع الهدى معك﴾ بالإيمان بك ﴿نُخْطَفُ﴾ نُسلب ونُؤخذ ﴿من أرضنا﴾ لإجماع العرب على خلافنا، فقال الله تعالى: ﴿أولم نمكن لهم حرماً آمناً﴾ أخبر سبحانه أنه آمنهم بحرمة البيت، ومنع منهم العدو، فكيف يخافون أن تستحلّ العرب قتالهم فيه؟ ﴿يجبى﴾ يُجمع. ﴿ولكن أكثرهم

(١) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان برقم ٢٥؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٨٧؛ وأخرجه البخاري في التفسير ٥٠٦/٨ مطوّلاً.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَّاكَ مَسَكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا أَوْثَقْنَا مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فَلَمْ

لا يعلمون ﴿٦٤﴾ أَنْ ذَلِكَ مِمَّا تَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ .

﴿٥٨﴾ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ عاشوا في البطر وكفران النعمة ﴿فَنِلَّاكَ مَسَاكِنُهُمْ﴾ خاوية ﴿لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لا يسكنها إِلَّا الْمَسَافِرُ وَالْمَارُّ يَوْمًا أَوْ سَاعَةً .

﴿٥٩﴾ ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أعظمها، الآية .

﴿٦١﴾ ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ يعني: الْجَنَّةُ ﴿فَهُوَ لَاقِيهِ﴾ مُدْرِكُهُ وَمُصِيبُهُ ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ في النَّارِ . نَزَلَتْ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي جَهْلٍ .

﴿٦٢﴾ ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ﴾ أَيُّ: الْمُشْرِكِينَ ﴿فَيَقُولُ: أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ شُرَكَائِي .

﴿٦٣﴾ ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وَجِبَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ يَعْنِي: الشَّيَاطِينُ ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ كَعَادَةِ الشَّيْطَانِ فِي التَّبَرُّؤِ مِمَّنْ يَطِيعُهُ إِذَا أَوْرَدَهُ الْهَلَكَةَ .

﴿٦٤﴾ ﴿وَقِيلَ﴾ لِلْكَفَّارِ: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ مَنْ كُنتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأُوا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعِمَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخِزْيُ الْأَوَّلَىٰ وَالْآخِرَةُ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَضِيئًا أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ اللَّيْلُ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاؤِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

يستجيبوا لهم ﴿لم يجيبوهم بشيء ينفعهم﴾ ﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾ ﴿لما اتبعوهم ولما رأوا العذاب﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتكم المرسلين﴾.

﴿٦٦﴾ ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾ عميت عليهم الحجج؛ لأن الله تعالى قد أعذر إليهم في الدنيا، فلا تكون لهم حجة يومئذ، فسكتوا فذلك قوله: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ أي: لا يسأل بعضهم بعضاً عما يحتجون به.

﴿٦٧﴾ ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾ كما يشاء ﴿ويختار﴾ ممّا يشاء ما يشاء، فاختار من كلّ ما خلق شيئاً ﴿ما كان لهم الخيرة﴾ ليس لهم أن يختاروا على الله تعالى، وليس لهم الاختيار، والمعنى: لا يرسل الرّسل إليهم على اختيارهم، والباقي ظاهر إلى قوله:

﴿٧٥﴾ ﴿ونزعنا من كلّ أمة﴾ أي: أخرجنا ﴿شهاداً﴾ يعني: رسولهم الذي أرسل إليهم

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ الْقُرُونَ
كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى
الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ
الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ
فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۖ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ
أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ
الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ

﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أي: ما اعتقدتم به أنه برهان لكم في أنكم كنتم على الحق
﴿فعلموا أن الحق لله﴾ أن الحق ما دعا إليه الله سبحانه، وأتاهم به الرسول ﷺ
﴿وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ لم ينتفعوا بما عبده من دون الله سبحانه.

﴿٧٦﴾ ﴿إنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كان ابن عمه. ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالكبر والتجبر،
والبذخ وكثرة المال ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع المفتاح، وهو ما يُفتح
به ﴿لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ﴾ تُثْقَل الجماعة ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ إذ قال له قومه: لا تفرح
بكثرة المال ولا تأثر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ الأشرين البطرين.

﴿٧٧﴾ ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: اطلبها بإتفاق مالك في رضا الله تعالى
﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ لا تترك أن تعمل في دنياك لآخرتك ﴿وَأَحْسِنْ﴾ إلى
الناس ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ العمل بالمعاصي.

﴿٧٨﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ على فضل علم عندي، وكنت بذلك العلم
مُستحقاً لفضل المال، وكان أقرأ بني إسرائيل للثورة. قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ
جَمْعًا﴾ للمال منه ﴿وَلَا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لأنهم يدخلون النار بغير
حساب.

﴿٧٩﴾ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ في ثياب حمراء عليه وعلى دوابه، والرُّكبان الذين معه

قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُتْرُونَ إِنَّهُمْ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُفْلِحُهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ خُفِّفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَافُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاتُ وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

﴿ قال الذين يريدون الحياة الدنيا ﴾ ظاهر إلى قوله :

﴿٨٠﴾ ﴿ولا يلقاها﴾ أي: ولا يُلْقَن ولا يُوفَّق لهذه الكلمة ﴿إلا الصابرون﴾ عن زينة الدنيا.

﴿٨٢﴾ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس﴾ صار الذين كانوا يقولون: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون» يقولون: ويكأن الله ألم تر ألم تعلم أن ﴿الله يسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ يُوسِّع لمن يشاء وَيُضَيِّق ﴿لولا أن مَنَّ الله علينا﴾ عصمنا عن مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي ﴿لخسف بنا﴾ كما خُسف به.

﴿٨٣﴾ ﴿تلك الدار الآخرة﴾ يعني: الجنة ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ تَكْبُرًا وَتَجَبُّرًا فِيهَا ﴿ولا فساداً﴾ عملاً بالمعاصي وأخذاً للمال بغير حق ﴿والعاقبة﴾ المحمودة ﴿للمتقين﴾.

﴿٨٥﴾ ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أنزله. وقيل: فرض عليك العمل بما في القرآن ﴿لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ إلى مكة^(١) ظاهراً عليها، وذلك حين اشتاق رسول الله ﷺ إلى مولده.

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه البخاري في التفسير ٥١٠/٨؛ والنسائي في تفسيره ١٤٧/٢.

وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا
 لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ۚ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ
 الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٦﴾ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك ﴿٨٦﴾ لكن رحمتك ربك،
 فاختارك للتبوء، وأنزل عليك الوحي.

﴿٨٧﴾ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ﴿٨٧﴾ وهذا حين دُعي إلى دين آبائه.
 وقوله:

﴿٨٨﴾ كل شيء هالك إلا وجهه ﴿٨٨﴾ أي: إلا إياه ﴿٨٨﴾ له الحكم ﴿٨٨﴾ يحكم بما يريد ﴿٨٨﴾ وإليه
 ترجعون ﴿٨٨﴾.



سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية، وهي ستون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَمَّ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْعَمَّ﴾ ﴿١﴾

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا...﴾ الآية. نزلت في الذين جزعوا من أصحاب النبي ﷺ من أذى المشركين ^(٢). معناه: أحسبوا أن يُقنع منهم بأن يقولوا: إننا مؤمنون فقط، ولا يُمتحنون بما يُبين حقيقة إيمانهم.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ اختبرنا وابتلينا ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ صدق ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في قولهم: آمنا، بوقوعه منهم، وهو الصبر على البلاء ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ كذب ﴿الكَاذِبِينَ﴾ في قولهم: آمنا، بارتدادهم إلى الكفر عن الدين عند البلاء، ومعنى العلم ها هنا العلم به موجوداً كائناً.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الشُّرَكَ ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ يفوتونا ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ بشس حكماً يحكمون لأنفسهم بهذا الظن.

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ رَبًّا لَبَّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

﴿٦﴾ من كان يرجو لقاء الله ﴿فإن أجل الله﴾ يخشى البعث ﴿فإن أجل الله﴾ وعده بالثواب والعقاب ﴿لآت﴾ لكائن. وقوله:

﴿٧﴾ ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون ﴿أي﴾: بأحسن أعمالهم، وهو الطاعة.

﴿٨﴾ ووصينا الإنسان بوالديه حسناً ﴿أمرناه أن يحسن إليهما وإن جاهداك﴾ اجتهدا عليك ﴿لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أنه لي شريك ﴿فلا تطعهما﴾ أنزلت في سعد بن أبي وقاص لما أسلم^(١)، حلفت أمه أن لا تأكل ولا تشرب، ولا يظلمها سقف بيت حتى يكفر بمحمد ﷺ، ويرجع إلى ما كان عليه، فأمر أن يترضاها ويحسن إليها، ولا يطيعها في الشرك. وقوله:

﴿٩﴾ لندخلنهم في الصالحين ﴿أي﴾: في زمرةهم وجملتهم، ومعناه: لنحشرنهم معهم. وقوله:

﴿١٠﴾ جعل فتنه الناس ﴿أي﴾: أذاهم وعذابهم ﴿كعذاب الله﴾ جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله، ولا يصبر على الأذى في الله. ﴿ولئن جاء المؤمنين نصر من ربك ليقولن﴾ هؤلاء الذين ارتدوا حين أودوا: ﴿إنا كنا معكم﴾ وهم كاذبون،

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه: ابن جرير ١٣١/٢٠، والمؤلف في الأسباب ص ٣٩٥، وأخرجه مسلم في صحيحه عن سعد ١٢٥/٧.

أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَ لَا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا ءَايَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ رَهَيْمُ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾

فقال الله تعالى: ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ يعني: إنه عالمٌ بإيمان المؤمن وكفر الكافر.

﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ هذا إخبارٌ عن الله تعالى أنه يعلم إيمان المؤمن ونفاق المنافق.

﴿١٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿١٢﴾ من أهل مكة ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا: اتبعوا سبيلنا﴾ الطريق الذي نسلكه في ديننا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ أي: إن كان فيه إثمٌ فنحن نحمله، قال الله تعالى: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ يخفف عنهم العذاب ﴿إنهم لَكَاذِبُونَ﴾ في قولهم؛ لأنهم في القيامة لا يحملون عنهم خطاياهم، ثم أعلم الله عزَّ وجلَّ أنهم يحملون أوزار أنفسهم، وأثقالاً أخرى بسبب إضلالهم مع أثقال أنفسهم؛ لأنَّ مَنْ دعا إلى ضلالةٍ فاتَّبِعَ فعلية مثل أوزار الذين اتَّبَعوه، ثم ذكر أنه يُؤَبِّخُهُمْ على ما قالوا فقال: ﴿وليسألنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أي: سؤال توبيخ. وقوله:

﴿١٧﴾ وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ أي: تقولون كذباً: إِنَّ الْأَوْثَانَ شُرَكَاءُ اللَّهِ. وقوله:

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَسْأَوْنَ رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۚ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعَنَّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿١٩﴾ أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ﴿﴾ كما بدأ، وليس المعنى: على أول لم يروا كيف يعيده؛ لأنهم لم يروا الإعادة.

﴿٢٠﴾ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴿﴾ يعني: الأمم الماضية، كيف قدر الله سبحانه على خلقهم ابتداء ﴿﴾ ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴿﴾ أي: يبعثهم ثانية بإنشائه إياهم.

﴿٢١﴾ وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ﴿﴾ لو كنتم فيها، ثم عاد الكلام إلى قصة إبراهيم عليه السلام فقال:

﴿٢٤﴾ فما كان جواب قومه ﴿﴾ حين دعاهم إلى الله سبحانه ﴿﴾ إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه... الآية.

﴿٢٥﴾ وقال ﴿﴾ لهم إبراهيم: ﴿﴾ إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم ﴿﴾ أي: ليتواذوا بها، فهي مودة بينكم ما دتم في هذه الدنيا، ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وهو قوله تعالى: ﴿﴾ ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ﴿﴾ تبرأ الأوثان من عابديها. وقوله تعالى:

﴿فَأَمَّنْ لَّمْ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٦) ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٧) ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٢٨) ﴿أَيُّكُمْ لَأَتَأْتِيَ الرَّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٩) ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٣٠) ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ (٣١) ﴿قَالَ إِنِّي فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَهُمُّ كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِ﴾ (٣٢) ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَفَّاكَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكُ كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِ﴾ (٣٣) ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٣٤) ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُوا عِبَادُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (٣٦)

﴿٢٦﴾ ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ﴾ هو أوَّل مَنْ آمَنَ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ هاجر من سواد الكوفة إلى الشام.

﴿٢٧﴾ ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ قيل: هو الذُّكْرُ الْحَسَنُ. وقيل: هو الولد الصَّالِحُ.

﴿٢٨﴾ ﴿وتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي: سبيل الولد. وقيل: يأخذون النَّاسَ مِنَ الطُّرُقِ لَطْلُبِ الْفَاحِشَةِ ﴿وتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾ مجلسكم ﴿الْمُنْكَرُ﴾ كان بعضهم يُجَامِعُ بَعْضًا فِي مَجَالِسِهِمْ ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ أَنَّهُ نَازِلٌ بِنَا، وَقَوْلُهُ:

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ من قرية قوم لوط ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ عبرة ظاهرة، وهي خرابها وآثارها. وقوله:

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثمودَا
 وَقَدْ نَبَّيْتَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ
 السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُتِرُوا وَفِرْعَوْنُ وَهَمْرُ بْنُ وَقْدَ جَاءَهُمْ مُوسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ
 أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ
 وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ
 الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ
 مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا
 الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾
 أَنْتَ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

﴿٣٨﴾ «وكانوا مستبصرين» أي: في ضلالتهم معجيين بها. وقيل: حسبوا أنهم على الهدى، وهم على الباطل. وقيل: أتوا ما أتوه وقد بين لهم أن عاقبته العذاب.

﴿٤٠﴾ «فكلاً» من الكفار «أخذنا» عاقبنا «بذنبه فمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا» وهم قوم لوط «ومِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ» قوم ثمود «ومِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ» قارون وقومه «ومِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا» قوم نوح وفرعون «وما كان الله ليظلمهم» لأنه قد بين لهم بإرسال الرسول «ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» بكفرهم.

﴿٤١﴾ «مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء» يعني: الأصنام في قلة غنائها عنهم «كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً» لا يدفع عنها حراً ولا برداً «وإنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ» وذلك أنه لا بيت أضعف منه فيما يتخذة الهوام. «لو كانوا يعلمون» موضعه عند قوله: مثل الذين اتخذوا من دونه أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت، فهو مؤخر معناه التقديم. وقوله:

إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَتَابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٥﴾ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ يعني: إِنَّ فِي الصَّلَاةِ مِنْهَا وَمَزْجاً عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، فَمَنْ لَمْ تَنْهَهُ صَلَاتُهُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَيْسَتْ صَلَاتُهُ بِصَلَاةٍ ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا وَأَفْضَلُ.

الجزء الحادي والعشرون:

﴿٤٦﴾ وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿وَهُوَ الْجَمِيلُ مِنَ الْقَوْلِ بِالْدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّشْبِيهِ عَلَى الْحَجَجِ﴾ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴿أَيُّ: إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُواكُمْ بِالْقِتَالِ وَمَنْعَ الْجِزْيَةِ.

﴿٤٧﴾ وَكَذَلِكَ ﴿أَيُّ: وَكَمَا آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿بِمُحَمَّدٍ ﷺ﴾. يعني: مَنْ كَانُوا قَبْلَ عَصْرِهِ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ لَمَّا يَجِدُونَهُ مِنْ نَعْتِهِ فِي كِتَابِهِمْ ﴿وَمِنْ هَؤُلَاءِ﴾ الَّذِينَ هُوَ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾.

﴿٤٨﴾ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ ﴿مَنْ قَبْلَ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿مَنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُّهُ﴾ وَلَا تَكْتُبُهُ ﴿بِيَمِينِكَ إِذَا لَارَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لَشَكُّوا فِيكَ وَاتَّهَمُوكَ لَوْ كُنْتَ تَكْتُبُ. وَأَرَادَ بِالْمُبْطِلِينَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، يَعْنِي: لَقَالُوا: إِنَّهُ كَتَبَهُ وَتَعَلَّمَهُ مِنْ كِتَابٍ.

﴿٤٩﴾ بَلْ هُوَ ﴿يَعْنِي: مُحَمَّدًا ﷺ وَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ أُمِّيٌّ﴾ آيَاتٌ بَيْنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَرَأُوهَا مِنَ التَّوْرَةِ وَحَفَظُوهَا.

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾
 أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرَىٰ
 لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٣﴾
 وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٤﴾
 يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٥﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن
 تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٦﴾ يَنعَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي
 فَاعْبُدُونَ ﴿٥٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرٍ الْعَمِلِينَ ﴿٥٩﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا
 وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦٠﴾ وَكَأَن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ
 الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾

﴿٥١﴾ وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه ﴿٥٢﴾ كما أنزل على من قبله من الأنبياء ﴿٥٣﴾ قل إنما
 الآيات عند الله ﴿٥٤﴾ إذا شاء أرسلها، وليست بيدي.

﴿٥١﴾ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ﴿٥٢﴾ يشهد على صدقي وعلى تكذيبكم. وقوله:

﴿٥٥﴾ ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون ﴿٥٦﴾ أي: جزاءه من العذاب.

﴿٥٦﴾ يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة ﴿٥٧﴾ نزلت في حث من كانوا بمكة لا يقدر
 على إظهار دينهم على الهجرة.

﴿٥٧﴾ كل نفس ذائقة الموت ﴿٥٨﴾ أينما كانت، فلا تقيموا بدار الشرك. وقوله:

﴿٥٨﴾ لنبؤنهم من الجنة غرفاً ﴿٥٩﴾ أي: ولننزلهم منها قصوراً.

﴿٦٠﴾ وكأين ﴿٦١﴾ ومن دابة لا تحمل رزقها ﴿٦٢﴾ فتحبته لغد ﴿٦٣﴾ الله يرزقها ﴿٦٤﴾ يوماً بيوم
 ﴿٦٥﴾ وإياكم ﴿٦٦﴾ وذلك أن الذين كانوا بمكة من المؤمنين إذا قيل لهم اخرجوا إلى

وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١١﴾
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا
 يَعْقِلُونَ ﴿١٣﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ
 إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا
 حَرَمًا آمِنًا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿١٧﴾

المدينة قالوا: فَمَنْ يُطْعَمُنَا بِهَا، وَلَا مَالَ لَنَا هُنَاكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾.

﴿١٣﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿﴾ عَلَى إِنْزَالِهِ الْمَاءِ لِإِحْيَاءِ الْأَرْضِ ﴿﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿﴾ الْعَقْلُ الَّذِي يَعْرِفُونَ بِهِ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ.

﴿١٤﴾ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ﴿﴾ لِنَفَادِهَا عَنْ قَرِيبٍ ﴿﴾ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴿﴾ الْحَيَاةُ الدَّائِمَةُ ﴿﴾ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ أَنَّهَا كَذَلِكَ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ.

﴿١٥﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ ﴿﴾ وَخَافُوا الْغَرَقَ ﴿﴾ دَعَاوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿﴾.

﴿١٦﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ ﴿﴾ أَيْ: لِيَجْحَدُوا بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ مِنْ إِنْجَائِهِمْ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ هَذَا لَامُ الْأَمْرِ، أَمْرُ التَّهْدِيدِ، وَيدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴿﴾ ذَا أَمْنٍ لَا يُغَارُ عَلَى أَهْلِهِ ﴿﴾ وَيَتَخَطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴿﴾ بِالْقَتْلِ وَالنَّهْبِ وَالسَّبْيِ ﴿﴾ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴿﴾
 يعني: الأصنام ﴿﴾ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ ﴿﴾ يعني: مُحَمَّدًا ﷺ وَالْقُرْآنَ ﴿﴾ يَكْفُرُونَ ﴿﴾.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿والذين جاهدوا فينا﴾ أعداء الدين والكفار ﴿لنهديَنَّهُم سُبُلَنَا﴾ سبل الشَّهادة
والمغفرة. وقيل: من اجتهد في عملٍ لله زاده الله تعالى هدىً على هدايته ﴿وَإِنَّ اللَّهَ
لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بنصره إيَّاهم.

• • •

سُورَةُ الرُّومِ

[مكية، ستون آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْم * غَلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الْم﴾ ﴿١﴾

﴿غَلِبَتِ الرُّومُ﴾ غلبتها فارس ﴿فِي آدْنَى الْأَرْضِ﴾ آدنى أرض الشام من أرض العرب وفارس، وهي أذرعات وعسكر. ﴿وَهُمْ﴾ والرُّوم ﴿مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ﴾ غلبة فارس إِيَّاهُمْ ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس،

﴿فِي بَضْعِ سَنِينَ﴾ البضع: ما بين الثلاث إلى التسع. ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ من قبل أن تغلب الرُّوم ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ ما غلبت. ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يوم تغلب الرُّوم فارس يفرح المؤمنون ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ الرُّوم؛ لأنَّهم أهل كتاب، فهم أقرب إلى المؤمنين، وفارس مجوس فكانوا أقرب إلى المشركين، فالمؤمنون يفرحون بنصر الله الرُّوم على فارس، والمشركون يحزنون لذلك ^(٢).

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدرٍ ظهرت الرُّوم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿الْم﴾ غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون ﴿فرح المؤمنون بظهور الروم على فارس. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٩٠؛ وفيه عطية العوفي، وهو صدوقٌ يخطيء كثيراً.

فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ
 اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ
 يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا
 مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ
 رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ
 عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَوُوا السَّوَاءُ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾

﴿وعد الله﴾ وعد ذلك وعداً ﴿ولكن أكثر الناس﴾ يعني: مشركي مكة
 ﴿لا يعلمون﴾ ذلك، ثم بيّن مقدار ما يعلمون فقال:

﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ يعني: أمر معاشهم، وذلك أنهم كانوا أهل
 تجارة وتكسّب بها.

﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ فيعلموا ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما
 إلا بالحق﴾ أي: للحق، وهو الدلالة على توحيده وقدرته ﴿وأجل مسمى﴾ ووقت
 معلوم تفنى عنده. يعني: يوم القيامة. وقوله:

﴿وأثاروا الأرض﴾ أي: قلبوها للزراعة ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ يعني: إن
 الذين أهلكوا من الأمم الخالية كانوا أكثر حرثاً وعمارة من أهل مكة.

﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾ أشركوا ﴿السوأي﴾ النار ﴿أن كذبوا﴾ بأن كذبوا.
 وقوله:

﴿يبلس المجرمون﴾ أي: يسكتون لانقطاع حجّتهم، وليأسهم من الرحمة.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ ۖ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ
السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ
يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ
مُخْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ
تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنَاقِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿١٣﴾ ﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾ أوثانهم التي عبدوها رجاء الشفاعة ﴿شفعاء﴾ وكانوا
بعبادتهم كافرين ﴿قالوا: ما عبدتمونا. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿يومئذ يتفرقون﴾ يعني: المؤمنين والكافرين، ثم بين كيف ذلك التفرق فقال:

﴿١٥﴾ ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾ أي: يسمعون في
الجنة.

﴿١٦﴾ ﴿فسبحان الله﴾ فصلوا الله سبحانه ﴿حين تمسون﴾ يعني: صلاة المغرب والعشاء
الآخرة ﴿وحين تصبحون﴾ صلاة الفجر ﴿وعشيًا﴾ يعني: صلاة العصر ﴿وحين
تظهرون﴾ يعني: صلاة الظهر.

﴿٢٠﴾ ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ يعني: أباكم آدم ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾
يعني: ذريته.

﴿٢١﴾ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم﴾ من جنسكم ﴿أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل
بينكم مودة ورحمة﴾ يعني: الألفة بين الزوجين.

﴿٢٢﴾ ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ وأنتم بنو رجلٍ
واحدٍ، وامرأةٍ واحدةٍ.

وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ
الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ بِأَمْرٍ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَانُتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ
الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ
لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ

﴿٢٣﴾ ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله ﴿٢٤﴾ أي: الليل لتناموا فيه،
والنهار لتبتغوا فيه من فضله.

﴿٢٤﴾ ومن آياته يريكم البرق خوفاً ولطمعاً ﴿٢٥﴾ للحاضر. وقوله:

﴿٢٥﴾ ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴿٢٦﴾ ثم إذا دعاكم دعوة، إذا أنتم
تخرجون من الأرض، هكذا تقدير الآية على التقديم والتأخير. وقوله:

﴿٢٦﴾ كلُّ لَمْ قَانُتُونَ ﴿٢٧﴾ أي: مطيعون، لا طاعة العباداة ولكن طاعة الإرادة، خلقهم على
ما أراد فكانوا على ما أراد، لا يقدر أحد أن يتغير عما خلق عليه. وقوله:

﴿٢٧﴾ وهو أهون عليه ﴿٢٨﴾ أي: هيئ عليه. وقيل: هو أهون عليه عندكم وفيما بينكم؛
لأن الإعادة عندنا أيسر من الابتداء ﴿٢٩﴾ وله المثل الأعلى ﴿٣٠﴾ الصفة العليا، وهو أنه
لا إله إلا هو ولا ربَّ غيره.

﴿٢٨﴾ ضرب لكم مثلاً ﴿٢٩﴾ بين لكم شهباً في اتِّخَاذِكُمُ الْأَصْنَامِ شُرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿٣٠﴾ من
أنفسكم ﴿٣١﴾ ثم بين ذلك فقال: ﴿٣٢﴾ هل لكم ممَّا ملكت أيمانكم ﴿٣٣﴾ من العبيد والإماء
﴿٣٤﴾ من شركاء فيما رزقناكم ﴿٣٥﴾ من المال والولد، أي: هل يشاركونكم فيما أعطاكم
الله سبحانه حتى تكونوا أنتم وهم ﴿٣٦﴾ فيه سواء تخافونهم ﴿٣٧﴾ أن يرثوكم، كما يخاف
بعضكم بعضاً أن يرثه ماله، والمعنى: كما لا يكون هذا فكيف يكون ما هو

كَيْفَ تَكْفُرُونَ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً كُلُّ حِزْبٍ

مخلوقٌ لله تعالى مثله حتى يُعبد كعبادته؟ فلما لزمتهم الحجة بهذا ذكر أنهم يعبدونها باتِّباع الهوى فقال: ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾ في عبادة الأصنام.

﴿٢٩﴾ ﴿فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً﴾ أي: أقبل عليه ولا تُعرض عنه. ﴿فطرة الله﴾ أي: اتبع فطرة الله، أي: خِلقة الله التي خلق الناس عليها، وذلك أن كل مولود يولد على فطرته الله عليه من أنه لا ربَّ له غيره^(١)، كما أقرَّ له لما أُخرج من ظهر آدم عليه السَّلام ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لم يبدل الله سبحانه دينه، فدينه أنه لا ربَّ غيره. ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم.

﴿٣١﴾ ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ راجعين إلى ما أمر به، وهو حالٌ من قوله: ﴿فَأَقِمَّ وَجْهَكَ﴾، والمعنى: فأقيموا وجوهكم؛ لأنَّ أمره أمرٌ لأُمَّته. وقوله:

﴿٣٢﴾ ﴿مِنَ الَّذِينَ فَارَقُوا^(٢) دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً﴾ مُفسَّرٌ في سورة الأنعام^(٣) ﴿كلُّ حزبٍ

(١) وفي الحديث: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تُنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحشون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٥١٢/٨؛ ومسلم في القدر برقم ٢٦٥٨.

(٢) قرأ «فارقوا»: حمزة، والكسائي. الإتحاف ٣٥٧/٢.

(٣) انظر ص ٣٨٤.

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَاتِذَا الْقَرْيَ حَقُّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَئِنْ يَرَوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

كل جماعة من الذين فارقوا دينهم ﴿بما لديهم فرحون﴾ أي: يظنون أنهم على الهدى، ثم ذكر أنهم مع شركهم لا يلتجئون في الشدائد إلى الأصنام، فقال:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ...﴾ الآية. وقوله:

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ مفسرٌ في سورة العنكبوت ^(١) إلى قوله:

﴿أَمْ أَنْزَلْنَا﴾ أي: أنزلنا ﴿عليهم سلطاناً﴾ كتاباً ﴿فهو يتكلم بما كانوا به يشركون﴾ ينطق بعذرهم في الإشراك.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا...﴾ الآية. هذا من صفة الكافر يبطر عند النعمة، ويقنط عند الشدة، لا يشكر في الأولى، ولا يحتسب في الثانية.

﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبٍّ لَئِنْ يَرَوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ يعني: ما يعطونه من الهدية ليأخذوا أكثر منها، وهو من الربا الحلال ﴿فلا يربو عند الله﴾ لأنكم لم تريدوا بذلك وجه الله، وقوله: ﴿فأولئك هم المضعفون﴾ أصحاب الإضعاف، يُضَاعَفُ لهم بالواحدة عشرًا.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
 يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ
 يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ
 آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
 وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
 مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا

﴿٤١﴾ ﴿ظهر الفساد﴾ القحط وذهاب البركة ﴿في البر﴾ القفار ﴿والبحر﴾ القرى والريف
 ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ بشؤم ذنوبهم ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾ كان ذلك
 ليذاقوا الشدة بذنوبهم في العاجل.

﴿٤٣﴾ ﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يوم﴾ القيامة، فلا ينفع نفساً إيمانها
 ﴿يومئذ يصدعون﴾ يتفرقون؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

﴿٤٤﴾ ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي: وبال كفره وعذابه ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم
 يمهدون﴾ يفرشون ويُسَوِّون المضاجع، والمعنى: لأنفسهم يبغون الخير.

﴿٤٥﴾ ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ بالمطر ﴿وليذيقكم من رحمته﴾ نعمته
 بالمطر يُرسلها ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾ وذلك أنها تجري بالرياح ﴿ولتبتغوا من
 فضله﴾ بالتجارة في البحر. وقوله:

﴿٤٧﴾ ﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ أي: عاقبنا الذين أشركوا ﴿وكان حقاً علينا نصر
 المؤمنين﴾ في العاقبة، وكذلك ننصرك في العاقبة على من عاداك.

﴿٤٨﴾ ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ تُزَعِّجها وتُخرجها من أماكنها ﴿فيبسطه﴾ الله
 ﴿في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً﴾ قطعاً. يريد أنه مرةً يبسطه، ومرةً يقطعه

فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَنَنْظُرُ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضُّعْمَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۖ إِن تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا

﴿ فترى الودق ﴾ المطر ﴿ يخرج من خلاله ﴾ وسطه وشقوقه ﴿ فإذا أصاب به ﴾ بالودق ﴿ من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴾ يفرحون .

﴿ ٤٩ ﴾ ﴿ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم ﴾ المطر ﴿ من قبله ﴾ كرّر « من قبل » للتأكيد ﴿ لمبلسين ﴾ آيسين .

﴿ ٥٠ ﴾ ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله ﴾ يعني : آثار المطر الذي هو رحمة الله تعالى ﴿ كيف يحيي الأرض ﴾ جعلها تنبت ﴿ بعد موتها ﴾ [يُبْسها] ﴿ إن ذلك ﴾ الذي فعل ذلك ، وهو الله عز وجل ﴿ لمحبي الموتى ﴾ .

﴿ ٥١ ﴾ ﴿ ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً ﴾ رأوا التّبت قد اصفرّ وجفّ ﴿ لظلّوا من بعده يكفرون ﴾ يريد : إنّ الكفار يستبشرون بالغيث ، فإذا جفّ التّبت ولم يحتاجوا إلى الغيث ظلّوا يكفرون بنعمة الله عز وجل فلم يؤمنوا ، ولم يشكروا إنعامه بالمطر .

﴿ ٥٢ ﴾ ﴿ فإنك لا تسمع الموتى ﴾ مضت الآية في سورة الأنبياء ، والتي بعدها في سورة النمل .

﴿ ٥٤ ﴾ ﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ﴾ من نطفة . الآية .

﴿ ٥٥ ﴾ ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ﴾ يحلف الكافرون ﴿ ما لبثوا ﴾ في قبورهم

غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿ غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴾ أي: كذبوا في هذا الوقت كما كانوا يكذبون في الدنيا.

﴿ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله ﴾ أي: فيما بين في كتابه، وهو اللوح المحفوظ ﴿ إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴾ أنه يكون. وقوله:

﴿ ولا هم يستعتبون ﴾ أي: لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى ما يرضي الله سبحانه. ﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ﴾ بينا لهم الأمثال للاعتبار ﴿ ولئن جئتهم بآية ﴾ لهم فيها بيان واعتبار ﴿ ليقولنَّ الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون ﴾ ما أنتم إلا أصحاب الأباطيل.

﴿ كذلك ﴾ كما طبع الله على قلوبهم حتى لم يفهموا ﴿ يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ أدلة التوحيد.

﴿ فاصبر إن وعد الله ﴾ في نصرك وتمكينك ﴿ حق ولا يستخفَّنكَ ﴾ لا يستفزك عن دينك ﴿ الذين لا يوقنون ﴾ أي: الضلال الشاكون.

سُورَةُ الْقَيْمَانِ

[مكية وهي خمسون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلَمْ تَكُنْ أَتَى الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ وَإِذَا نُتِلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرٌ فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي أَرْبَعِ رَوَاسٍ أَنْ نَعْمِدَ بِكُمْ مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

هذه السورة مفسرة فيما مضى ^(٢) إلى قوله:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ يعني: النَّصْر بن الحارث، كان يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، ثم يأتي بها فيقرؤها في أندية قريش، فيستملحونها ويتركون استماع القرآن، وقوله: ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي: يتخذ آيات الكتاب هزواً. وقوله:

وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىٰ تَنَزُّلِي ۖ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ بِأَيِّ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءًا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ

﴿١٢﴾ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾ أي: وقلنا له: أن اشكر لله. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾ أي: لزمها بحملها إيَّاه أن تضعف مرةً بعد مرةً. ﴿وفصاله﴾ وفطامه ﴿في عامين﴾ لأنها ترضع الولد عامين ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ المعنى: وصينا الإنسان أن اشكر لي ولوالديك.

﴿١٥﴾ ﴿وإن جاهدك﴾ مفسرٌ فيما مضى، وقوله: ﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾ أي: مصاحباً معروفاً، وهو المستحسن ﴿واتبع سبيل من أناب﴾ رجع ﴿إلي﴾ يعني: اسلك سبيل محمد ﷺ وأصحابه، نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مرَّ (١).

﴿١٦﴾ ﴿يا بني إنها إن تك مثقال﴾ روي أن ابنه قال له: إن عملت بالخطيئة حيث لا يراني أحدٌ كيف يعلمها الله عز وجل؟ فقال: ﴿إنها﴾ أي: الخطيئة ﴿إن تك مثقال حبة من خردل﴾ أو: السيئة، ثم كانت ﴿في صخرة﴾ أي: في أخفى مكان ﴿أو في السموات أو في الأرض﴾ أينما كانت أتى الله بها ولن تخفى عليه، ومعنى ﴿يأت بها الله﴾ أي: للجزاء عليها ﴿إن الله لطيف﴾ باستخراجها ﴿خبير﴾ بمكانها. وقوله:

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهَرَ وَبَاطِنًا وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

- ﴿١٧﴾ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ أي: الأمور الواجبة.
- ﴿١٨﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴿١٨﴾ لا تُعرض عنهم تكبراً ﴿١٨﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴿١٨﴾ مُتَبَخَّرًا مُخْتَالًا.
- ﴿١٩﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴿١٩﴾ ليكن مشيك قصداً، لا بِخِيَلَاءٍ وَلَا بِإِسْرَاعٍ ﴿١٩﴾ وَاعْضُضْ ﴿١٩﴾ واخفض ﴿١٩﴾ مِنْ صَوْتِكَ ﴿١٩﴾ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ ﴿١٩﴾ أَقْبَحُهَا ﴿١٩﴾ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾.
- ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ ﴿٢٠﴾ مِنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا ﴿٢٠﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢٠﴾ مِنَ الْبَحَارِ وَالْأَنْهَارِ وَالْدَّوَابِّ ﴿٢٠﴾ وَأَسْبَغَ ﴿٢٠﴾ وَأَوْسَعَ ﴿٢٠﴾ وَأَتَمَّ ﴿٢٠﴾ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً ﴿٢٠﴾ وَهِيَ حَسَنُ الصُّورَةِ وَامْتِدَادُ الْقَامَةِ ﴿٢٠﴾ وَبَاطِنَةً ﴿٢٠﴾ وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ، وَالْبَاقِي قَدْ مَضَى تَفْسِيرُهُ ^(١). إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى:
- ﴿٢١﴾ أَوْ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ أَيْ: مَوْجِبَاتِهِ، فَيَتَّبِعُونَهُ.
- ﴿٢٢﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴿٢٢﴾ يَقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ وَأَوَامِرِهِ ﴿٢٢﴾ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴿٢٢﴾ مُؤْمِنٌ مُوَحِّدٌ ﴿٢٢﴾ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴿٢٢﴾ بِالطَّرْفِ الْأَوْثَقِ الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ ﴿٢٢﴾ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ مَرْجِعُهَا.

نُمِنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْ ءَايَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ ﴿نُمِنَعُهُمْ قَلِيلًا﴾ بِالدُّنْيَا ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نُلْجِئُهُمْ ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الَّذِي خَلَقَهَا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِذْ أَشْرَكُوا بِهِ بَعْدَ إِقْرَارِهِمْ بِأَنَّهُ خَالِقُهَا.

﴿٢٦﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ...﴾ الْآيَةُ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَشْرِكِينَ قَالُوا فِي الْقُرْآنِ: هَذَا كَلَامٌ سَيَنْفَدُ وَيَنْقُطُ، فَأَعْلَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ كَلَامَهُ لَا يَنْفَدُ ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾ أَيُّ: يَزِيدُ فِيهِ، ثُمَّ كَتَبَتْ بِهِ كَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿مَا نَفِدَتْ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعْثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أَيُّ: كَخَلَقَ وَكَبَعَثَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ بَعْثِ الْخَلْقِ كَقُدْرَتِهِ عَلَىٰ بَعْثِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. وَقَوْلُهُ:

﴿٢٩﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿٣٠﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ: فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. وَقَوْلُهُ:

﴿٣١﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ أَيُّ: لِكُلِّ مُؤْمِنٍ بِهَذِهِ الصُّفَةِ.

وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌّ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتَقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

﴿٣٢﴾ ﴿وإذا غشيهم﴾ علامهم ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال. وقيل: كالسحاب. وقوله: ﴿فمنهم مقتصد﴾ أي: مؤمنٌ مؤفٍ بما عاهد الله في البحر. وقوله: ﴿كلُّ ختارٍ غدارٍ﴾ كفورٍ جحودٍ. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿لا يجزي والد عن ولده﴾ لا يكفي ولا يُغني عنه شيئاً، و﴿الغرور﴾ الشيطان. ﴿٣٤﴾ ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة﴾ متى تقوم ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ ذكراً أو أنثى^(١).

• • •

(١) عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأَرْض، وما تَدْرِي نفس ماذا تكسب غداً، وما تَدْرِي نفسُ بأيِّ أرضٍ تموت، إِنَّ الله عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٥١٣/٨.

سُورَةُ نَزِيلِ السَّجْدَةِ

[مكية ومدنية، وهي عشرون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قوله:

﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ يعني: القضاء من السماء فينزله إلى الأرض مدة أيام الدنيا ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ أي: يرجع الأمر والتدبير إلى السماء، ويعود إليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ وهو يوم القيامة، وذلك اليوم يطول على قوم ويشتدُّ حتى يكون خمسين ألف سنة، ويقصر على قوم، فلا آخر له معلوم. وقوله:

الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْيَتِيمَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا

﴿٧﴾ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴿أي: أتقنه وأحكمه﴾ ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ آدم عليه السلام.

﴿٨﴾ ثم جعل نسله ﴿ذريته﴾ ﴿من سلالة﴾ نطفة ﴿من ماء مهين﴾ ضعيف حقير.

﴿٩﴾ وقالوا ﴿يعني: منكري البعث﴾ ﴿إذا ضللنا في الأرض﴾ صرنا تراباً وبطلنا ﴿إنا لفي خلق جديد﴾ نخلق بعد ذلك خلقاً جديداً.

﴿١١﴾ قل يتوفاكم ﴿يقبض أرواحكم﴾.

﴿١٢﴾ ولو ترى ﴿يا محمد﴾ ﴿إذ المجرمون﴾ المشركون ﴿ناكسو رؤوسهم﴾ مُطَاطَبُوا حياءً من ربهم عز وجل، ويقولون: ﴿ربنا أبصرنا﴾ ما كنا به مكذِّبين ﴿وسمعنا﴾ منك صدق ما أتت به الرُّسل ﴿فارجعنا﴾ فارددنا إلى الدنيا ﴿نعمل صالحاً﴾.

﴿١٣﴾ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴿رشدها﴾ الآية. ويقال لأهل النار:

﴿١٤﴾ ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾ أي: تركتم الإيمان به ﴿إنا نسيناكم﴾ تركناكم في النار.

﴿١٥﴾ ﴿إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها﴾ أي: وعظوا ﴿خَرُّوا سُجَّدًا﴾ لله سبحانه

وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ الْمَآوَى نُزِّلَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

خَوْفًا مِنْهُ ﴿وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ نَزَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْحَمْدِ لِلَّهِ ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾
عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالسُّجُودِ لَهُ .

﴿١٦﴾ ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ تَرْتَفِعُ أَضْلَاعُهُمْ ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ الْفُرَشِ وَمَوَاضِعِ النَّوْمِ ^(١)
﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ مِنَ النَّارِ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي الْجَنَّةِ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾
يَصَّدَّقُونَ .

﴿١٧﴾ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ مِنْ هَؤُلَاءِ ﴿مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ مَا أَعَدَّ لَهُمْ ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مِمَّا تَقَرُّ
بِهِ عَيْنُهُ إِذْ رَأَاهُ .

﴿١٨﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ نَزَلَتْ ^(٢) فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيْطٍ .

(١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي الْآيَةِ قَالَ: نَزَلَتْ فِي انْتِظَارِ الصَّلَاةِ الَّتِي تَدْعَى الْعَتَمَةَ .

أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْمِ ٣١٩٤ ؛ وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ١٠١/٢١ .

وَفِي رِوَايَةِ لَأَبِي دَاوُدَ قَالَ: كَانُوا يَتَنَقَّلُونَ مَا بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَيَصِلُونَ .

أَخْرَجَهُ فِي الصَّلَاةِ بِرَقْمِ ١٣٢١ ؛ وَابْنُ جَرِيرٍ ١٠٠/٢١ ؛ وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي الْمَصْنَفِ ١٥/٢

بِسَنَدٍ جَيِّدٍ .

(٢) أَخْرَجَهُ الْمُؤَلِّفُ فِي الْأَسْبَابِ ص ٤٠٥ بِسَنَدِهِ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٠٧/٢١ عَنْ
عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ .

وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

﴿٢١﴾ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى ﴿ قيل: المصيبات في الدنيا. وقيل: القتل بيد. وقيل: عذاب القبر. وقيل: الجوع سبع سنين، والأولى المصيبات والجوع لقوله: ﴿لعلهم يرجعون﴾. وقوله:

﴿٢٣﴾ ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أي: من لقاء موسى عليه السلام ليلة المعراج، وعده الله تعالى أن يريه موسى عليه السلام ليلة الإسراء به.

﴿٢٤﴾ ﴿وجعلنا منهم﴾ من بني إسرائيل ﴿أئمة﴾ قادة ﴿يهدون﴾ يدعون الخلق ﴿بأمرنا لما صبروا﴾ حين صبروا على الحق.

﴿٢٥﴾ ﴿إن ربك هو يفصل﴾ يحكم ﴿بينهم يوم القيامة﴾ بين المكذبين بك ﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾ من أمرك.

﴿٢٦﴾ ﴿أو لم يهد لهم﴾ يتبين لهم صدقك ﴿كم أهلكنا﴾ إهلاكنا من كذب الرسل منهم وهم ﴿يمشون في مساكنهم﴾ إذا سافروا، فيرون خراب منازلهم ﴿إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾ آيات الله وعظاته.

﴿٢٧﴾ ﴿أو لم يروا أننا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ الغليظة التي لا نبات فيها ﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ هذا فيعلموا أننا نقدر على إعادتهم.

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾ وذلك أن المؤمنين قالوا للكفار: إن لنا يوماً يحكم الله بيننا وبينكم فيه، يريدون يوم القيامة، فقالوا: متى هذا الفتح؟ فقال الله تعالى: ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ يُمهلون للتوبة.

﴿فأعرض عنهم﴾ منسوخُ بآية السِّيف^(١) ﴿وانتظر﴾ عذابهم ﴿إنهم منتظرون﴾ هلاكك [في زعمهم الكاذب].

• • •

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٤٢، وقال: نسختها آية السيف في براءة، لقوله عز وجل: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾. وانظر: الإيضاح ص ٣٨١.

سُورَةُ الْأَحْزَابِ

[مدنية، وهي سبعون وثلاث آيات]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّذِينَ تَظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ يا أيها النبي اتق الله ﴿اثبت على تقوى الله، ودُم عليه﴾ ولا تطع الكافرين والمنافقين ﴿وذلك أنَّ الكافرين قالوا له: ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إنَّ لها شفاعَةً ومنفعةً لمن عبدها، ووازَرهم المنافقون على ذلك﴾ ﴿إنَّ الله كان عليماً﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حكيماً﴾ فيما يخلق.

﴿٤﴾ ما جعل الله لرجل من قلوبين في جوفه ﴿هذا تكذيبٌ لبعض مَنْ قال من الكافرين: إنَّ لي قلوبين أفهم بكلِّ واحدٍ منهما أكثر ممَّا يفهم محمد^(٢)، فأكذبه الله تعالى. قيل: إنَّه ابن خطل﴾ ﴿وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ لم يجعل نساءكم اللاتي تقولون: هنَّ علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون،

(١) زيادة من ظا.

(٢) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٥١٣، والقاتل هو جميل بن معمر الفهري، وذكره الكلبي في جمهرة النسب ص ٩٨؛ والمؤلف في الأسباب ص ٤٠٧.

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾
 أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ
 وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
 رَحِيمًا ﴿٥﴾ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ

وكان هذا من طلاق الجاهليّة، فجعل الله في ذلك كفارة ﴿وما جعل أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ مَنْ تَبَيَّنْتُمُوهُ ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ في الحقيقة كما تقولون ﴿ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ قولٌ بالظن لا حقيقة له ﴿والله يقول الحق﴾ وهو أنَّ غير الابن لا يكون ابناً ﴿وهو يهدي السبيل﴾ أي: السبيل المستقيم.

﴿ادعوههم لِأَبَائِهِمْ﴾ أي: انسبوهم إلى الذين ولدوهم ^(١) ﴿هو أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أعدل عند الله ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ مَنْ هُمْ ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أي: فهم إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴿وموَالِيكُمْ﴾ وبنو عَمِّكُمْ. وقيل: أوليائُكُمْ فِي الدِّينِ ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ وهو أن يقول لغير ابنه: يا بني من غير تَعَمُّدٍ أن يجريه مجرى الولد في الميراث، وهو قوله: ﴿ولكن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ يعني: ولكنَّ الجُنَاحَ فِي الَّذِي تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ.

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ إذا دعاهم النَّبِيُّ ﷺ إلى شيء، ودعتهم أَنفُسُهُمْ إلى شيء كانت طاعة النَّبِيِّ ﷺ أَوْلَىٰ ^(٢). ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ فِي حَرَمَةِ

(١) عن عبد الله بن عمر قال: إِنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا كُنَّا نَدْعُوهُ إِلَّا زَيْدَ ابْنِ مُحَمَّدٍ، حَتَّى نَزَلَ الْقُرْآنُ: ﴿ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ٥١٧/٨؛ وَمُسْلِمٌ فِي فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ بِرَقْمِ ٢٤٢٥؛ وَالتِّرْمِذِيُّ بِرَقْمِ ٣٢٠٧ فِي التَّفْسِيرِ؛ وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ١٦١/٢، وَالنَّحَّاسُ فِي نَاسَخِهِ ص ٢٤٤.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إِلَّا وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، فَإِذَا مَوْءِنٌ تَرَكَ مَالًا فَلْيَرِثْهُ عَصْبَتُهُ مَنْ كَانُوا، فَإِنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضِيَاعًا فَلْيَأْتِنِي، فَأَنَا مَوْلَاهُ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ٥١٧/٨؛ وَمُسْلِمٌ فِي الْفَرَايِضِ بِرَقْمِ ١٦١٩.

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لَيْسَ لَكَ الصَّدِيقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

نكاحهن عليهم ﴿وأولوا الأرحام﴾ والأقارب ﴿بعضهم أولى ببعض﴾ في الميراث ﴿في كتاب الله﴾ في حكمه ﴿من المؤمنين والمهاجرين﴾ وذلك أنهم كانوا في ابتداء الإسلام يرثون بالإيمان والهجرة ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ لكن إن يوصوا لهم بشيء من الثلث فهو جائز ﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾ كان هذا الحكم في اللوح المحفوظ مكتوباً.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ واذكر إذ أخذنا ﴿من النبيين ميثاقهم﴾ على الوفاء بما حملوا، وأن يُصدّق بعضهم بعضاً.

﴿لَيْسَ لَكَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ المُبْلِغِينَ مِنَ الرُّسُلِ عَنْ تَبْلِيغِهِمْ، وَفِي تِلْكَ الْمَسْأَلَةِ تَبَكُّيْتُ لِلْكَفَّارِ ﴿وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بِالرُّسُلِ ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ يعني: الأحزاب، وهم قريش وغطفان وقُريظة والنَّضِير، حاصروا المسلمين أَيَّامَ الْخَنْدَقِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [وهي الصَّبا] كفأت قُدُورَهُمْ، وقلعت فساطيطهم ﴿وجنوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ وهم الملائكة ﴿وكان الله بما يعملون﴾^(١) من حفر الخندق ﴿بصيراً﴾.

﴿إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ من قبل المشرق، يعني: قُريظة والنَّضِير، ﴿ومن أسفل منكم﴾ قريش من ناحية مكة ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ مالت وشخصت، وتَحَيَّرَتْ

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١١﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٤﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُمِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ

لشدة الأمر وصعوبته عليكم ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ ارتفعت إلى الحلق لشدة الخوف ﴿وتظنون به الظنون﴾ ظنَّ المنافقون أنَّ محمداً ﷺ وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون بنصر الله.

﴿١١﴾ ﴿هنالك﴾ في تلك الحال ﴿ابتلي المؤمنون﴾ اختبروا ليتبين المخلص من المنافق ﴿وزلزلوا﴾ وحركوا وخوفوا.

﴿١٢﴾ ﴿وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ شكٌ ونفاق: ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً﴾ إذ وعدنا أنَّ فارس والروم يُفتحان علينا.

﴿١٣﴾ ﴿وإذ قالت طائفة منهم﴾ من المنافقين: ﴿يا أهل يثرب﴾ يعني: المدينة ﴿لا مقام لكم﴾ لا مكان لكم تُقيمون فيه ﴿فارجعوا﴾ إلى منازلكم بالمدينة، أمروهم بترك رسول الله ﷺ وخذلانه، وذلك أنَّ النبي ﷺ كان قد خرج من المدينة إلى سلع لقتال القوم ﴿ويستأذن فريق منهم﴾ من المنافقين ﴿النبي﴾ في الرجوع إلى منازلهم ﴿يقولون: إنَّ بيوتنا عورة﴾ ليست بحصينة، نخاف عليها العدو. قال الله تعالى: ﴿وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً﴾ من القتال.

﴿١٤﴾ ﴿ولو دخلت عليهم﴾ لو دخل عليهم هؤلاء الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿من أقطارها﴾ جوانبها ﴿ثمَّ سئلوا الفتنة﴾ سألتهم الشُّرك بالله ﴿لأتوها﴾ لأعطوا مرادهم ﴿وما تلبثوا بها إلا يسيراً﴾ وما احتبسوا عن الشُّرك إلا يسيراً، أي: لأسرعوا الإجابة إليه.

﴿١٥﴾ ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل﴾ عاهدوا رسول الله ﷺ قبل غزوة الخندق

لَا يُولُونَ الْأَذْبَرُ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا

﴿ لا يولون الأذبار ﴾ لا يهزمون عن العدو ﴿ وكان عهد الله مسؤلاً ﴾ والله تعالى يسألهم عن ذلك العهد يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ ﴾ الذي كُتِبَ عليكم ﴿ وإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لا تبقون في الدنيا إِلَّا إِلَى آجَالِكُمْ.

﴿١٨﴾ ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ ﴾ الذين يُعَوِّقُونَ النَّاسَ عَنْ نَصْرَةِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ يقولون لهم: خَلُّوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّهُ مَغْرُورٌ وَتَعَالُوا إِلَيْنَا ﴿ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ لا يحضرون الحرب مع [أصحاب] النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا تَعْذِيرًا وَتَقْصِيرًا، [يرى أَنَّ لَهُ عَذْرًا وَلَا عَذْرَ لَهُ] ^(١)، يوهمونهم أَنَّهُمْ معهم.

﴿١٩﴾ ﴿ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ ﴾ بخلاء عليكم بالخير والتَّفَقُّة ﴿ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ ﴾ في رؤوسهم من الخوف كدوران عين الذي ﴿ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ قُرْبَ أَنْ يَمُوتَ فَانْقَلَبَتْ عَيْنَاهُ ﴿ إِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حَدَادٍ ﴾ آذوكم بالكلام وجادلوكم في الغنيمة ﴿ أَشْحَةً ﴾ بخلاء ﴿ عَلَى الْخَيْرِ ﴾ الغنيمة.

﴿٢٠﴾ ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ﴾ لجنبتهم وشدة خوفهم يظنون أَنَّهُمْ بعد انهزامهم

وَلَمَّا يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادَوْكُم فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُوكَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ

لم ينصرفوا بعد ﴿وإن يأت الأحزاب﴾ يرجعوا كَرَّةً ثَانِيَةً ﴿يودوا لو أنهم بادون في الأعراب﴾ خارجون من المدينة إلى البادية في الأعراب ﴿يسألون عن أنباءكم﴾ أي: يودوا لو أنهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة. قال الله تعالى: ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رِيَاءً من غير حِسْبَةٍ، وَلَمَّا وصف الله تعالى حال المنافقين في الحرب وصف حال المؤمنين فقال:

﴿لقد كان لكم﴾ ﴿أيها المؤمنون﴾ ﴿في رسول الله أسوة حسنة﴾ سَنَةً صَالِحَةً، واقتداءً حَسَنٌ حيث لم يخذلوه ولم يتولوا عنه، كما فعل هو ﷺ يوم أُحُدٍ شَجَّ حَاجِبِهِ، وَكُسِرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ، فوقف ﷺ ولم ينهزم، ثُمَّ بَيَّنَّ لِمَنْ كَانَ هَذَا الْاِقْتِدَاءُ برسول الله ﷺ فقال: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أي: يخافهما.

﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا﴾ تصديقاً لوعده الله تعالى: ﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ ووعد الله تعالى إِيَّاهُمْ في قوله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبِينَ﴾ والبُغْيَاءُ والضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ: مَتَى نَصْرُ اللَّهِ؟ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿١﴾. فَعَلِمُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ أَنَّهُمْ يُبْتَلاُونَ، فَلَمَّا ابْتَلَوْا بِالْأَحْزَابِ عَلِمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّصْرَ قَدْ وَجَبَا لَهُمْ إِنْ سَلِمُوا وَصَبَرُوا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وما زادهم إِلَّا إِيمَانًا﴾ وَتَصَدِيقًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وتسليماً﴾ لله أمره.

﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله﴾ كانوا صادقين في عهودهم بنصرة

عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

النَّبِيِّ ﷺ (١) ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾ فرغ من نذره واستشهد. يعني: الذين قُتلوا بأحدٍ ﴿ومنهم من ينتظر﴾ أن يقتل شهيداً ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ عهدهم، ثم ذكر جزاء الفريقين فقال:

﴿ليجزى الله الصادقين بصدقهم...﴾ الآية. ﴿٢٤﴾

﴿ورَدَّ الله الذين كفروا﴾ قريشاً والأحزاب ﴿بغَيْظِهِمْ﴾ على ما فيهم من الغيظ ﴿لم ينالوا خيراً﴾ لم يظفروا بالمسلمين ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالريح والملائكة. ﴿٢٥﴾

﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ الذين عاونوا الأحزاب من قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم، وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حاصرهم، واشتدَّ ذلك عليهم حتى نزلوا على حكمه، وذلك قوله تعالى: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون﴾ يعني: الرِّجال ﴿وتأسرون فريقاً﴾ يعني: النِّساء والذَّرِيَّة. وقوله:

﴿وأرضاً لم تطَّووها﴾ يعني: خير، ولم يكونوا نالوها، فوعدهم الله تعالى إياها. ﴿٢٦﴾

(١) عن أنس بن مالك قال: نرى هذه الآية نزلت في عمي أنس بن النضر. ﴿من المؤمنين رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.

أخرجه البخاري في التفسير ٥١٨/٨؛ ومسلم في الإمارة برقم ١٩٠٣؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٩٨؛ والنسائي في تفسيره ١٦٧/٢ ذكره مطوَّلاً.

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ * وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءَ النَّبِيُّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَنْفَقْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

﴿٢٨﴾ يا أيها النبي قل لأزواجك... الآية. نزلت حين سألت نساء رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا، وأذينه بزيادة الثقة، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات، وأمره أن يُخَيِّرَهُنَّ بين الإقامة معه على طلب ما عند الله، أو السَّراح إن أردنَ الدنيا، وهو قوله: ﴿إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾^(١) متعة الطلاق، فقرأ عليهن رسول الله ﷺ هذه الآيات، فاخترن الآخرة على الدنيا، والجنة على الزينة، فرفع الله سبحانه درجاتهنَّ على سائر النساء بقوله:

﴿٣٠﴾ يا نساء النبي مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ بِمَعْصِيَةٍ ظَاهِرَةٍ ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ ضعفي عذاب غيرها من النساء.

الجزء الثاني والعشرون:

﴿٣١﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ ﴿يُطْعَمُ﴾ نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴿مِثْلِي ثَوَابٍ غَيْرَهَا مِنَ النِّسَاءِ﴾ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿يَعْنِي: الْجَنَّةَ. وَقَوْلُهُ:﴾

﴿٣٢﴾ ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ أَي: لَا تَقْلُنَ قَوْلًا يَجِدُ مَنَافِقُ بِهِ سَبِيلًا إِلَى أَنْ يُطْمَعَ فِي مُوَافَقَتِكُنَّ لَهُ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أَي: قُلْنَ بِمَا يُوْجِبُهُ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ بِغَيْرِ خُضُوعٍ فِيهِ بَلْ بِتَصَرُّيْحٍ.

(١) حديث تخيير النبي أزواجه، أخرجه البخاري في التفسير ٥١٩/٨؛ ومسلم في الطلاق برقم

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ
وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ
وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّادِرِينَ وَالصَّادِرَاتِ وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّابِقِينَ وَالصَّابِقَاتِ وَالْحَفِظِينَ وَالْحَفِظَاتِ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ
وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ
لِلْمُؤْمِنِ وَلَا الْمُؤْمِنَةِ

﴿٣٣﴾ ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أمرٌ لهنَّ من الوقار والقرار جميعاً ﴿ولا تبرجن﴾ ولا تظهرن
المحاسن كما كان يفعلهنَّ أهل الجاهلية، وهو ما بين عيسى ومحمد صلوات الله
عليهما. ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ وهو كلُّ مُسْتَنَكِرٍ ومُسْتَقْدِرٍ من
عمل ﴿أهل البيت﴾ يعني: نساء النبي ﷺ ورجال أهل بيته.
﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله﴾ يعني: القرآن ﴿والحكمة﴾ يعني:
السُّنَّة.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾ الآية. قالت النُّسَاء: ذكر الله تعالى الرجال بخير
في القرآن، ولم يذكر النُّسَاء بخير، فما فينا خيرٌ يُذكر، فأنزل الله تعالى هذه
الآية (١).

﴿٣٥﴾ ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...﴾ الآية. نزلت في عبد الله بن جحش وأخته

(١) عن أم سلمة أنها قالت للنبي ﷺ: يا نبيَّ الله، مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن،
والنساء لا يُذكرن؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾.
أخرجه أحمد ٣٠١/٦؛ والنسائي في تفسيره ١٦٩/٢؛ والحاكم ٤١٦/٢؛ وصححه وأقره
الذهبي؛ والطبراني في الكبير ٢٩٣/٢٣؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٠٩ عن أم عمارة
الأنصارية.

إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ

زينب، خطبها رسول الله ﷺ على مولاة زيد بن حارثة، وظننت أنه خطبها لنفسه، فلمّا علمت أنه يريد لها لزيد كرهت ذلك، فأنزل الله تعالى^(١): ﴿وما كان لمؤمن﴾ يعني: عبد الله بن جحش ﴿ولا مؤمنة﴾ يعني: أخته زينب ﴿إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ أي: الاختيار، فأعلم أنه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله، وزوّجها من زيد، ومكثت عنده حيناً، ثم إن رسول الله ﷺ أتى زيداً ذات يوم لحاجة، فأبصرها قائمة في درع وخمار، فأعجبته وكأنّها وقعت في نفسه^(٢)، وقال: سبحان الله مُقلِّب القلوب، فلمّا جاء زيد أخبرته بذلك، وألقي في نفس زيد كراهتها، فأراد فراقها، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتني؛ فإنّها تؤذيني بلسانها، فذلك قوله:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام، يعني: زيداً ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالإعتاق: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ فيها، وكان ﷺ يحب أن يتزوَّج بها،

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١١/٢٢، وابن أبي حاتم. وانظر فتح الباري ٥٢٣/٨.

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد ١٣/٢٢؛ وهو ضعيف، وابن أبي حاتم. قال ابن حجر في فتح الباري ٥٢٤/٨: وقد وردت آثار أخرى أخرجه ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها. قلت: يشير إلى ما ذكره المؤلف ههنا.

وذكر القاضي ابن العربي في أحكام القرآن ١٥٤١/٣ قول الواحدي هذا، ثم قال: هذه الروايات كلّها ساقطة الأسانيد، وقولهم: إنّ النبيّ رآها فوقعت في قلبه، فباطل؛ فإنّه كان معها في كلّ وقت وموضع، ولم يكن حينئذٍ حجاب، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كلّ ساعة، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج، وقد وهبته نفسها وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدّد له هوى لم يكن، حاشى لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة. وأطنب القول في هذا.

وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا
 زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ
 أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ
 وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ

إلا أنه أثر ما يجب من الأمر بالمعروف، وقوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾
 أن لو فارقها تزوجتها، وذلك أن الله تعالى كان قد قضى ذلك، وأعلمه أنها
 ستكون من أزواجه، وأن زيدا يطلقها ﴿وتخشى الناس﴾ تكره قالة الناس لو قلت:
 طلقها، فيقال أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثم تزوجها ﴿والله أحق أن تخشاه﴾ في كل
 الأحوال، ليس أنه لم يخش الله في شيء من هذه القضية، ولكن ذكر الكلام
 ها هنا على الجملة. وقيل والله أحق أن تستحيي منه، فلا تأمر زيدا بإمسك
 زوجته بعد إعلام الله سبحانه إياك أنها ستكون زوجتك، وأنت تستحيي من الناس
 وتقول: أمسك عليك زوجك. ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾ حاجته من نكاحها
 ﴿زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج...﴾ الآية. لكيلا يظن ظاناً أن
 امرأة المتبني لا تحل للمتبني، وكانت العرب تظن ذلك، وقوله: ﴿وكان أمر الله
 مفعولاً﴾ كائناً لا محالة، وكان قد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله ﷺ.

﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾ فيما أحل له من النساء ﴿سنة الله﴾
 في الذين خلوا من قبل ﴿يقول﴾ هذه السنة قد مضت أيضاً لغيرك. يعني: كثرة
 أزواج داود وسليمان عليهما السلام، والمعنى: سن الله له سنة واسعة لا حرج
 عليه فيها ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ قضاء مقضياً.

﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾ «الذين»^(١) نعت^(٢) قوله: ﴿في الذين خلوا من

(١) في المخطوطات «من» والصحيح ما أثبتناه.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/٢٣٠؛ وإعراب القرآن للنحاس ٢/٦٣٨.

وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾

قبل ﴿. ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحل الله لهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه .

﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم﴾ فتقولوا: إنه تزوج امرأة ابنه، يعني: زيداً ليس له بابن وإن كان قد تبناه ﴿ولكن﴾ كان ﴿رسول الله وخاتم النبيين﴾ لا نبياً بعده .

﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وهو أن لا ينسى على حال .
 ﴿وسبحوه﴾ صلُّوا له ﴿بكرة﴾ صلاة الفجر ﴿وأصيلاً﴾ صلاة العصر والعشاءين .
 ﴿هو الذي يصلي عليكم﴾ يغفر لكم ويرحمكم ﴿وملائكته﴾ يستغفرون لكم ﴿ليخرجكم من الظلمات إلى النور﴾ من ظلمات الجهل والكفر إلى نور اليقين والإسلام .

﴿تحيتهم﴾ تحية الله للمؤمنين ﴿يوم يلقونه﴾ يرويه ﴿سلام﴾ يسلم عليهم ﴿وأعدَّ لهم أجراً كريماً﴾ وهو الجنة .

﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك بإبلاغ الرسالة .

﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى ما يقرب منه من الطاعة والتوحيد ﴿بإذنه﴾ بأمره، أي: إنه أمرك بهذا لا أنك تفعله من قبلك ﴿وسراجاً منيراً﴾ يُستضاء به من ظلمات الكفر .
 وقوله :

وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعِ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يٰٓأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ
عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا فَمَعَهُنَّ وَسَّرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ
الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَتِكَ
وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً

﴿٤٨﴾ ﴿ودع أذاهم﴾ لا تُجَازِهم عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمرنا.

﴿٤٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ تزوجتموهن ﴿ثم طلقتموهن من قبل أن
تمسوهن﴾ تجمعهن ﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾ تحصونها عليهن
بالأقراء والأشهر؛ لأنَّ المطلقَّة قبل الجماع لا عدة عليها ﴿فتمتعوهن﴾ أعطوهن
ما يستمتعن به، وهذا أمر ندب؛ لأنَّ الواجب لها نصف الصِّدَاق ﴿وسرحوهن
سراحاً جميلاً﴾ بالمعروف كما أمر الله تعالى، ثم ذكر ما يحلُّ من النساء للنبيِّ
ﷺ فقال:

﴿٥٠﴾ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ مهورهن ﴿وما
ملكك يمينك﴾ من الإماء ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ جعلهنَّ غنيمة تُسبى وتُسترقُّ
بحكم الشرع ﴿وبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَاتِكَ﴾ أن يتزوجهنَّ، يعني: نساء بني
عبد المطلب ﴿وبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ﴾ يعني: نساء بني زُهرة ﴿اللّٰتِي
هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فمن لم يهاجر منهنَّ لم يحلَّ له نكاحها^(١) ﴿وامرأة﴾ وأحللنا لك

(١) عن أم هانئ قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرتُ إليه فعذرني، ثم أنزل الله: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا
لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ
عَمَاتِكَ، وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ﴾. فلم أكن لأحلَّ له؛ لأنِّي لمَّا
هاجرتُ كنتُ من الطلقاء.

أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢١١؛ وفي سننه أبو صالح مولى أم هانئ وهو مدلس؛
وأخرجه الحاكم ٤٢٠/٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥١﴾ تَرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْتِغَايَتِ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥٢﴾

امرأة ﴿مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها﴾ فله ذلك ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فليس لغير النبي ﷺ أن يستبيح وطء امرأة بلفظ الهبة من غير ولي، ولا مهر، ولا شاهد، ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ وهو أن لا نكاح إلا بولي وشاهدين ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يريد أنه لا يحل لغير النبي ﷺ إلا أربع بولي وشاهدين، وإلا ملك اليمين، والنبي ﷺ يحل له ما ذكر في هذه الآية ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ في النكاح.

﴿ترجي من تشاء منهن﴾ تُوَخَّر ﴿وتؤوي﴾ وتضم ﴿إليك من تشاء﴾ أباح الله سبحانه له أن يترك القسمة والتسوية بين أزواجه، حتى إنه ليُوَخَّر من شاء منهن عن وقت نوبتها، ويطاء من يشاء من غير نوبتها، ويكون الاختيار في ذلك إليه يفعل فيه ما يشاء، وهذا من خصائصه^(١) ﴿ومن ابتغيت﴾ طلبت وأردت إصابتها ﴿ممن عزلت﴾ هجرت وأخرت نوبتها ﴿فلا جناح عليك﴾ في ذلك كله ﴿ذلك أدنى أن تقر أعينهن﴾... الآية. إذا كانت هذه الرخصة منزلة من الله سبحانه عليك كان أقرب إلى أن يرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم من أمر النساء والميل إلى بعضهن، ولما خيّر النبي ﷺ نساءه فاخترنه ورضين به،

(١) عن عائشة قالت: كنت أغار على اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، فأقول: أوتهب المرأة نفسها، فأنزل الله تعالى: ﴿ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾ قلت: والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك. أخرجه البخاري في التفسير ٥٢٥/٨؛ ومسلم في الرضاع برقم ١٤٦٤؛ والنسائي في تفسيره ١٨٢/٢.

لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ

قصره الله سبحانه عليهن، وحرّم عليه طلاقهنّ والتّزوّج بسواهنّ، وجعلهنّ أمّهات المؤمنين، وهو قوله:

﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ ﴾ أي: من بعد هؤلاء السّبع ﴿ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴾ ليس لك أن تطلق واحدة من هؤلاء، ولا تتزوّج بدلها أخرى أعجبتك بجمالها ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴾ من الإماء فإنهنّ حلالّ لك.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ... ﴾ الآية. نزلت في ناس من المؤمنين كانوا يتحيّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطّعام إلى أن يدرك، ثمّ يأكلون ولا يخرجون، فكان النبي ﷺ يتأذّي بهم^(١)، وهو قوله: ﴿ غَيْرَ نَظِيرٍ إِنَّهُ ﴾ أي: منتظرين إدراكه ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ طالبين الأنس ﴿ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾ لا يترك تأديبكم وحملكم على الحقّ ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبي ﷺ في أمرٍ

(١) قال أنس بن مالك: لما تزوّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا، ثمّ جلسوا يتحدثون، وإذا هو يتأهّب للقيام فلم يقوموا، فلمّا رأى ذلك قام، فلمّا قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النَّبِيُّ ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثمّ إنهم قاموا، فانطلقت فجنّت فأخبرت النَّبِيَّ ﷺ أنّهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل، فذهبت أدخل فألقي الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ... ﴾ الآية.

أخرجه البخاري في التفسير ٥٢٧/٨؛ والنسائي في التفسير ١٨٦/٢؛ والترمذي في التفسير برقم

ذَلِكَم أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا
أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَم كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفَوْهُ فَإِنَّ
اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيءِ آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ

فخاطبوهنَّ من وراء حجابٍ، وكانت النساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرجال،
فلما نزلت هذه الآية ضرب عليهنَّ الحجاب، فكانت هذه آية الحجاب بينهنَّ وبين
الرَّجال ﴿ذلكم﴾ أي: الحجاب ﴿أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾ فإنَّ كلَّ واحدٍ من
الرَّجل والمرأة إذا لم ير [الآخر] لم يقع في قلبه ﴿وما كان لكم أن تؤذوا
رسول الله﴾ أي: ما كان لكم أذاه في شيءٍ من الأشياء ﴿ولا أن تنكحوا أزواجه من
بعده أبدا﴾ وذلك أنَّ رجلاً^(١) من أصحاب النبي ﷺ قال: لئن قبض
رسول الله ﷺ لأنكحنَّ عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فأعلم الله سبحانه أنَّ ذلك
محرمٌ بقوله: ﴿إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ أي: ذنباً عظيماً.

﴿إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ تَخَفَوْهُ...﴾ الآية. نزلت في هذا الرَّجل الذي قال: لأنكحنَّ
عائشة، أخبر الله أنَّه عالمٌ بما يُظهر ويكنم، فلما نزلت آية الحجاب قالت الآباء
والأبناء لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نكلّمهنَّ من وراء الحجاب؟ فأنزل الله
سبحانه:

﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي أَبْنَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ

(١) هو طلحة بن عبيد الله، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي، وعبد الرزاق في تفسيره عن
قتادة ١٢٢/٢. وعبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضاً، وابن سعد، عن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم. والبيهقي في السنن ٦٩/٧ عن ابن عباس، ولم يسمَّ الرَّجل، وكذا ابن جرير
٤٠/٢٢ عن عبد الرحمن بن زيد. قال السيوطي في الحاوي ٩٧/٢: وقد كنتُ في وقفةٍ شديدةٍ
من صحّة هذا الخبر؛ لأنَّ طلحة أحد العشرة أجلَّ مقاماً من أن يصدر منه، حتّى رأيتُ بعد ذلك
أنَّه رجلٌ آخر شاركه في اسمه واسم أبيه. اهـ. وانظر: الإصابة ٢٣٠/٢؛ ولباب النقول
ص ١٧٨.

إِخْوَانَهُمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِمْ وَلَا فِسَائِيَهُمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ أَحْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ

أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن ﴿٥٦﴾ أي: في ترك الاحتجاب من هؤلاء.

﴿٥٦﴾ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴿٥٧﴾ يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً ﴿٥٨﴾ قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿٥٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴿٥٨﴾ يعني: اليهود والنصارى والمشركين في قولهم: ﴿٥٩﴾ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿١﴾ و ﴿٥٩﴾ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴿٢﴾ و ﴿٥٩﴾ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴿٣﴾ والملائكة بنات الله، وشجوا وجه رسول الله ﷺ وقالوا له: ساحرٌ وشاعرٌ.

﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا ﴿٥٩﴾ يرمونهم بغير ما عملوا.

﴿٥٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ... الآية. كان قومٌ من الزُّنَاةِ يَتَّبِعُونَ النِّسَاءَ إِذَا خَرَجْنَ لَيْلًا، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ تُعْرَفُ الْحَرَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ؛ لِأَنَّ زَيْهِنَّ كَانَ وَاحِدًا، إِنَّمَا يَخْرُجْنَ فِي دِرْعٍ وَخِمَارٍ، فَهِيَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَرَّاتُ أَنْ يَتَشَبَّهْنَ بِالْإِمَاءِ، وَأَنْزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يُدْنِيَنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ﴾ أي:

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٢) الآية: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

(٣) الآية: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى: الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾. [التوبة: ٣٠].

ذَلِكَ أَذَىٰ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۖ لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُغْلَبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

يرخين أرديتهنَّ وملاحفهنَّ؛ ليعلم أنهنَّ حرائر فلا يتعرض لهنَّ^(١)، وهو قوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ بهنَّ إذ يسترهنَّ.

﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: الزُّناة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ الذين يوقعون أخبار السَّرايا بأنهم هُزموا بالكذب والباطل ﴿لنغرينك بهم﴾ لنسلطنك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ لا يساكنونك في المدينة ﴿إلا قليلاً﴾ حتى يخرجوا منها.

﴿ملعونين﴾ مطرودين ﴿أينما ثُقِفُوا﴾ وُجدوا ﴿أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾.

﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ سنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يُقتلوا حيث ما ثُقِفُوا. وقوله:

﴿إنا أطعنا سادتنا﴾ أي: قادتنا ورؤساءنا في الشُّرك والضَّلالة.

﴿ربنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ مثلي عذابنا.

(١) أخرجه ابن جرير ٤٩/٢٢ عن أبي صالح، والمؤلف في الأسباب ص ٤٢٠ عن أبي مالك والسُّدي.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ﴿٦٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً ﴿٧٢﴾

﴿٦٩﴾ يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ﴿﴾ لا تؤذوا نبيكم كما آذوا هم موسى عليه السلام، وذلك أنهم رموه بالبرص والأدرة حتى برّاه الله مما رموه به بآية معجزة^(١) ﴿﴾ وكان عند الله وجيهاً ﴿﴾ ذا جاه ومنزلة. وقوله:

﴿٧٠﴾ وقولوا قولا سديداً ﴿﴾ أي: حقاً وصواباً. قيل: هو لا إله إلا الله.

﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴿﴾ الفرائض التي افترض الله سبحانه على العباد، وشرط عليهم أَنْ مَنْ أَدَاها جُوزي بالإحسان، وَمَنْ خَانَ فيها عوقب. ﴿﴾ على السموات والأرض والجبال ﴿﴾ أفهمهنَّ الله سبحانه خطابه وأنطقهنَّ ﴿﴾ فأبين أن يحملنَّها ﴿﴾ مخافة وخشية لا معصية ومخالفة، وهو قوله: ﴿﴾ وأشفقن منها ﴿﴾ أي: خشين منها ﴿﴾ وحملها الإنسان ﴿﴾ آدم عليه السلام ﴿﴾ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً ﴿﴾ لنفسه ﴿﴾ جهولاً ﴿﴾ غرّاً بأمر الله سبحانه وما احتمل من الأمانة، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ حَمَلَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ كَانَ سَبِيلاً

(١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: كان موسى حَيّاً سِتيراً لَا يُرَى من جلده شيء استحياء، فأذاه بعض بني إسرائيل فقالوا: ما استتر هذا الستر إلا من شيء بجلده؛ إمّا برص؛ وإمّا أدرة؛ أو آفة، فدخل ليغتسل ووضع ثيابه على الحجر، فعدا الحجر بثيابه فخرج يشتد في أثره، فرآه بنو إسرائيل أحسن الناس خلقاً، وأبراه ممّا يقولون، فذلك قوله عز وجل: ﴿﴾ يا أيُّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى ﴿﴾.

أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٤٣٦/٦؛ والغسل ٣٨٥/١؛ ومسلم في الحيض برقم ٣٣٩؛ والنسائي في تفسيره ١٩٦/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٢١. وقوله: أدرة، أي: انتفاخ الخِصية.

لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

لتعذيب المنافقين والمشركين في قوله :

﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ يعني : إذا خانوا في الأمانة بمعصية أمر الله سبحانه تاب عليهم بفضلہ ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ .

• • •

سُورَةُ سَبَا

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسُونَ وَخَمْسُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾
يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ
الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ الحمد لله ﴿﴾ على جهة التَّعْظِيمِ ﴿﴾ الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة ﴿﴾ لَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَحْمَدُونَهُ.

﴿٢﴾ يعلم ما يلج في الأرض ﴿﴾ يدخل فيها من الماء والأموات ﴿﴾ وما يخرج منها ﴿﴾ من النَّبَاتِ ﴿﴾ وما ينزل من السماء ﴿﴾ من الأمطار ﴿﴾ وما يعرج ﴿﴾ يصعد ﴿﴾ فيها ﴿﴾ من الملائكة.

﴿٣﴾ وقال الذين كفروا ﴿﴾ يعني: منكري البعث: ﴿﴾ لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴿﴾ أَيُّ: لَا نَبْعَثُ ﴿﴾ قُلْ ﴿﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ: ﴿﴾ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالَمُ الْغَيْبِ ﴿﴾ بِالْخَفْضِ مِنْ نَعْتِ

(١) زيادة من ظا. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣٧٦/٢: وآيها خمسون وخمس آيات في الشامي، وأربع في عدد الباقيين، اختلافها آية: ﴿عن يمين وشمال﴾ عدّها الشامي، ولم يعدّها الباقون.

لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٦﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٧﴾

قوله: ﴿وربي﴾، وبالرَّفع^(١) على معنى: هو عالم الغيب، وقوله: ﴿لا يعزب﴾ مفسَّرٌ في سورة يونس^(٢). وقوله:

﴿ليجزى﴾ يعود إلى قوله: ﴿لتأينكم﴾ معناه: لتأينكم الساعة ﴿ليجزى الذين آمنوا...﴾ الآية.

﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ مفسَّر في سورة الحج^(٣).

﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن ﴿هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز﴾ القرآن.

﴿وقال الذين كفروا﴾ إنكاراً للبعث وتعجباً منه: ﴿هل ندلكم على رجل﴾ وهو محمَّد ﷺ ﴿ينبئكم إذا مرقتم كل مرقق﴾ أي: فرَّقتم وصرتم رُفَاتاً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أي: تُبعثون.

﴿أفترى على الله كذباً﴾ فيما يُخبر به من البعث ﴿أم به جنة﴾ حالة جنون. قال الله تعالى: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾.

(١) قرأ ﴿عالم الغيب﴾ بالرَّفع نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، وورش. انظر الإتحاف ص ٣٥٧.

(٢) انظر ص ٥٠٢.

(٣) انظر ص ٧٣٧.

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ نَشْأَ نَخْسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِيَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَدِغَتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسَلِمَنَّ الرِّيحُ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقَظْرِ وَمَنْ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا

﴿٩﴾ أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض؟ يقول: أما يعلمون أنهم حيث ما كانوا فهم يرون ما بين أيديهم من الأرض والسماء مثل الذي خلفهم، وأنهم لا يخرجون منها، فكيف يأمنون؟! ﴿٩﴾ إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء عذاباً ﴿٩﴾ إن في ذلك لآية لكل عبد منيب ﴿٩﴾ لعلامة تدل على قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى لكل من أناب إلى الله تعالى، وتأمل ما خلق الله سبحانه.

﴿١٠﴾ ولقد آتينا داود منا فضلاً ﴿١٠﴾ ثم بين ذلك فقال: ﴿يا جبال﴾ أي: قلنا يا جبال ﴿أوبى معه﴾ سبّحي معه ﴿والطير﴾ كان إذا سبّح جاوبته الجبال بالتسبيح، وعكفت عليه الطير من فوقه تسعده على ذلك ﴿والأنا له الحديد﴾ جعلناه لئناً في يده، كالطين المبلول والعجين، وقلنا له:

﴿١١﴾ أن اعمل سابغات ﴿١١﴾ دروعاً كوامل ﴿١١﴾ وقدر في السرد ﴿١١﴾ لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً فيفلق، ولا غليظاً فيفصم الحلق. اجعله على قدر الحاجة، والسرد: نسج الدروع ﴿واعملوا﴾ يعني: داود وآله ﴿صالحاً﴾ عملاً صالحاً من طاعة الله تعالى.

﴿١٢﴾ ولسليمان الرّيح ﴿١٢﴾ وسخرنا له الرّيح ﴿١٢﴾ غدوها شهر ﴿١٢﴾ مسيرها إلى انتصاف النهار ﴿١٢﴾ مسيرة شهر، ومن انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر، وهو قوله: ﴿ورواحاها شهر وأسألنا له عين القطر﴾ أذننا له عين الثّحاس، فسالت له كما يسيل الماء ﴿ومن الجن﴾ أي: سخرنا له من الجن ﴿من يعمل بين يديه بإذن ربه﴾ بأمر ربه ﴿ومن يزغ﴾ يمل ويعدل ﴿منهم عن أمرنا﴾ الذي أمرناه به من طاعة سليمان

نَذِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُمْ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ

﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربةً أحرقتة.

﴿١٢﴾ يعملون له ما يشاء من محاربٍ ﴿مجالس ومساكن ومساجد﴾ و﴿تمثيل﴾ صور الأنبياء؛ إذ كانت تصوّر في المساجد ليراها الناس، ويزدادوا عبادة ﴿وجفان﴾ قصاع كبار ﴿كالجواب﴾ كالحياض التي تجمع الماء ﴿وقدور راسيات﴾ ثوابت لا تحركن عن مكانها لعظمها، وقلنا: ﴿اعملوا﴾ بطاعة الله يا ﴿آل داود شكراً﴾ له على نعمه.

﴿١٣﴾ فلما قضينا عليه الموت ما دلّهم... الآية. كان سليمان عليه السلام يقول: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجَنِّ مَوْتِي؛ ليعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فمات سليمان عليه السلام متوَكِّئاً على عصاه سنة، ولم تعلم الجن ذلك حتى أكلت الأرضُ عصاه، فسقط ميتاً^(١)، وهو قوله: ﴿ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض﴾

(١) عن ابن عباس عن النَّبِيِّ ﷺ قال: كان سليمان نبيُّ الله إذا صَلَّى رأى شجرةً نابتةً بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأي شيء أنت، فإن كانت تُغرس تُغرس، وإن كانت لدواء كتبت، فبينما هو يُصَلِّي ذات يوم إذ رأى شجرةً بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب. قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللَّهُمَّ عَمَّ عَلَى الْجَنِّ مَوْتِي حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فَنَحَتْهَا عَصاً فتوَكَّأ عليها حولاً ميتاً، والجنُّ تعمل، فأكلتها الأرضُ، فسقط، فتيثت «الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين». قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك. قال: فشكرت الجنُّ للأرض، فكانت تأتيها بالماء.

أخرجه ابن جرير ٧٤/٢٢، وفيه عطاء بن السائب، وهو صدوقٌ اختلط. تقريب التهذيب =

تَأْكُلُ مِنْ سَأْتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٧﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ

تأكل من ساءته عصاه ﴿فلما خر﴾ سقط ﴿تبينت الجن﴾ علمت ﴿أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا﴾ بعد موت سليمان ﴿في العذاب المهين﴾ فيما سخرهم فيه سليمان عليه السلام واستعملهم.

﴿١٦﴾ ﴿لقد كان لسبأ﴾ وهو اسم قبيلة ﴿في مساكنهم﴾^(١) باليمن ﴿آية﴾ دلالة على قدرتنا ﴿جنتان﴾ أي: هي جنتان ﴿عن يمين وشمال﴾ بستان يمنة، وبستان يسرة، وقيل لهم: ﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾ على ما أنعم عليكم ﴿بلدة طيبة﴾ أي: بلدتكم بلدة طيبة ليست بسبخة ﴿و﴾ الله ﴿رب غفور﴾ والمعنى: تمتعوا ببلدتكم الطيبة وابدعوا رباً يغفر ذنوبكم.

﴿١٧﴾ ﴿فأعرضوا﴾ عن أمر الله تعالى بتكذيب الرُّسل ﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾ وهو السُّكر الذي يحبس الماء، وكان لهم سكر يحبس الماء عن جنتيهم، فأرسل الله

ص ٣٩١ وإبراهيم بن طهمان، وهو ثقة، وكان يغلو في الإرجاء، وأخرج له البخاري ومسلم، ووثقه ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار ص ١٩٦ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١٠٧/١؛ وضعفه العقيلي في الضعفاء الكبير ٥٦/١. وفيه: موسى بن مسعود النهدي، صدوق سيئ الحفظ، وكان يصحّف. وهو أحد شيوخ البخاري، روى له في المتابعات في العتق وغيره. وضعفه العقيلي ١٦٧/١.

والحديث أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن السني في الطب النبوي، والبخاري، وابن مردويه، وانظر: الدر المنثور ٦٨٣/٦. وقال ابن كثير ٤٥١/٣: وقد ورد ذلك في حديث مرفوع غريب، وفي صحته نظر. ثم قال: والأقرب أن يكون موقوفاً.

(١) قرأ ﴿مساكنهم﴾ بالجمع نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. الإتحاف ص ٣٥٨.

وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أَكْلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ
بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى
ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا
وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿١٩﴾

تعالى فيه جرداناً ثقبته، فانبثق الماء عليهم، ففرق جناتهم ﴿وبدللناهم بجنتيهم﴾
جنتين ذواتي أكل خمط ﴿أي: ثمر مرّ واثل﴾ وهو الطرفاء ﴿وشيء من سدر﴾
قليل ﴿وذلك أن الله تعالى أهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك والطرفاء﴾
والسدر.

﴿١٧﴾ ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا﴾ أي: جزيناهم ذلك الجزاء بكفرهم ﴿وهل نجازي إلا﴾
الكفور ﴿بسوء عمله، وذلك أن المؤمن تكفر عنه سيئاته، والكافر يُجازى بكلِّ﴾
سوءٍ يعمله.

﴿١٨﴾ ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها﴾ يعني: قرى الشام، ﴿قرى ظاهرة﴾
متواصلة، يرى من هذه القرية القرية الأخرى، فكانوا يخرجون من سبأ إلى الشام،
فيمرُّون على القرى العامرة ﴿وقدروا فيها السير﴾ جعلنا سيرهم بمقدار، إذا غدا
أحدهم من قرية قال في أخرى، وإذا راح من قرية أوى إلى أخرى، وقلنا لهم:
﴿سيروا فيها﴾ في تلك القرى ﴿ليالي وأياماً﴾ أي وقت شتّم من ليل أو نهارٍ
﴿آمين﴾ لا تخافون عدواً ولا جوعاً ولا عطشاً.

﴿١٩﴾ ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا﴾ وذلك أنهم سئمو الراحة، وبطروا النعمة فتمنّوا
أن تتباعد قراهم ليبعد سفرهم بينها ﴿وظلموا أنفسهم﴾ بالكفر والبطر ﴿فجعلناهم﴾
أحاديث ﴿لمن بعدهم يتحدّثون بقصّتهم﴾ ومزقناهم كل ممزق ﴿وفرّقناهم في﴾
البلاد، فصاروا يُمثّل بهم في الفرقة، وذلك أنهم ارتحلوا عن أماكنهم وتفرّقوا في
البلاد ﴿إن في ذلك﴾ الذي فعلنا ﴿آيات لكل صبار شكور﴾ أي: لكل مؤمن؛
لأن المؤمن هو الذي إذا ابتلي صبر، وإذا أُعطي شكر.

وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَأْتِيهِمْ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُمْ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿٢٠﴾ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه ﴿الذي ظنَّ بهم من إغوائهم﴾ ﴿فاتبعوه﴾ إلا فريقاً من المؤمنين ﴿أي: وجدهم كما ظنَّ بهم﴾ إلا المؤمنين.

﴿٢١﴾ وما كان له عليهم من سلطان ﴿من حجة يستتبعهم بها﴾ ﴿إلا لنعلم﴾ المعنى: لكن امتحانهم بإبليس لنعلم ﴿مَنْ يَأْتِيهِمْ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ عِلْمٌ وقوعه منه.

﴿٢٢﴾ قل يا محمد لمشركي قومك: ﴿ادعوا الذين زعمتم﴾ أنهم آلهة ﴿من دون الله﴾ وهذا أمرٌ تهديد، ثم وصفهم فقال: ﴿لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما﴾ في السموات ولا في الأرض ﴿من شرك﴾ شركة ﴿وما له﴾ الله ﴿منهم من ظهير﴾ عون. يريد: لم يُعِنْ اللَّهَ على خلق السموات والأرض آلهتهم، فكيف يكونون شركاء له؟ ثم أبطل قولهم أنهم شفعاؤنا عند الله فقال:

﴿٢٣﴾ ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾ أي: أذن الله له أن يشفع ﴿حتى﴾ إذا فزع ﴿أذهب الفزع﴾ عن قلوبهم يعني: كشف الفزع عن قلوب المشركين بعد الموت إقامة للحجة عليهم وتقول لهم الملائكة: ﴿ماذا قال ربكم؟﴾ فيما أوحى إلى أنبيائه^(١) ﴿قالوا الحق﴾ فأقرؤا حين لا ينفعهم الإقرار.

(١) عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: «ماذا قال ربكم؟» قالوا للذي قال: الحق، وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع، فيسمع الكلمة فيلقها إلى مَنْ تحته، ثم يلقها الآخر إلى مَنْ تحته، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن، =

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿٢٤﴾ ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ﴾ المطر ﴿و﴾ من ﴿الْأَرْضِ﴾ النَّبَات، ثُمَّ أمره أَنْ يخبرهم فقال: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أَيُّ: الذي يفعل ذلك الله، وهذا احتجاجٌ عليهم، ثُمَّ أمره بعد إقامة الحجة عليهم أَنْ يُعَرِّضَ بكونهم على الضلال فقال: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أَيُّ: نحن أَوْ أنتم إمَّا على هدى أَوْ ضلالٍ، والمعنى: أنتم الضَّالُّون حيث أشركتم بالذي يرزقكم من السماء والأرض، وهذا كما تقول لصاحبك إذا كذب: أحدنا كاذبٌ، وتعنيه، ثُمَّ يَبَيِّنُ براءته منهم ومن أعمالهم فقال:

﴿٢٥﴾ ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا...﴾ الآية. وهذا كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١) ثُمَّ أخبر أَنَّهُ يجمعهم في القيامة، ثُمَّ يحكم بينهم، وهو قوله تعالى:

﴿٢٦﴾ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ ألحقتهم بالله تعالى في العبادة، يعني: الأصنام، أَيُّ: أرونيهم هل خلقوا شيئاً، وهذه الآية مختصرة. تفسيرها قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُم الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾^(٢). ثُمَّ قال: ﴿كَلَّا﴾ أَيُّ: ليس الأمر على ما يزعمون ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

= فرَبَّمَا أدرك الشهاب قبل أن يلقبها، ورَبَّمَا ألغها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا وكذا، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء.

أخرجه البخاري في التفسير ٥٣٧/٨؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٢١.

(١) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤٠.

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَعِجِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ ثَجْرَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا

﴿٢٨﴾ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ جامعاً لهم كلهم بالإنذار والتبشير ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ذلك. وقوله تعالى:

﴿٣١﴾ ﴿ولا بالذي بين يديه﴾ أي: من الكتب المتقدمة، وقوله: ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي: في التلاوم، ثم ذكر إيش يرجعون فقال: ﴿يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكانوا مؤمنين﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار﴾ أي: مكرم بنا فيهما ﴿إذ تأمرونا أن نكفر بالله﴾ ﴿وأسروا﴾: وأظهروا.

﴿٣٤﴾ ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾ نبيي يذرههم ﴿إلا قال مترفوها﴾ رؤساؤها وأغنياؤها ﴿إننا بما أرسلتم به كافرون﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿وقالوا﴾ للرسل: ﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾ منكم. يعنون أن الله سبحانه رضي

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهُولَاءُ إِنَّا كُنَّا يَعْبُدُونَهُ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

مَّا حَيْثُ أَعْطَانَا الْمَالَ ﴿وما نحن بمعذبين﴾ كما تقولون.

﴿٣٦﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿وليس ذلك ممَّا يدلُّ على العواقب﴾ ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ذلك﴾.

﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ ﴿أي: قُرْبَى. يعني: تقريباً﴾ إِلَّا مَن ءَامَنَ ﴿لكن من آمن﴾ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ ﴿من الثَّوَابِ بالواحد عشرة﴾ وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿قصور الجنة﴾.

﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿ما تصدَّقتم من صدقة﴾ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴿يعطي خلفه﴾؛ إِمَّا عَاجِلًا فِي الدُّنْيَا؛ وَإِمَّا آجِلًا فِي الْآخِرَةِ.

﴿٤٠﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ^(١) الْعَابِدِينَ وَالْمُعْبُودِينَ ﴿ثم نقول للملائكة﴾ تَوْبِيخًا لِلْكَفَّارِ: ﴿أهولاء إياكم كانوا يعبدون﴾.

﴿٤١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴿تزيهاً لك﴾ أَنْتَ وَلِيِّنَا ﴿الذي نتولاه ويتولانا﴾ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ﴿يطيعون إبليس وأعوانه﴾ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿مُصَدِّقُونَ ما يمتُّونهم ويعدونهم﴾. وقوله تعالى:

(١) قرأ «نحشرهم» و «نقول» بالنون: جميع القراء إلا حفصاً ويعقوب. الإتحاف ٢/ ٣٨٨.

فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا نُنَالِي عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا يَتَّبِعْتُمْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَهُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٧﴾ وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٨﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَى ثُمَّ تَنفَكُّوْا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٥٠﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَـمُ الْغُيُوبِ ﴿٥٢﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٥٣﴾

﴿٤٤﴾ ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ يعني: مشركي مكة لم يكونوا أهل كتاب، ولا بُعث إليهم نبي قبل محمد ﷺ.

﴿٤٥﴾ ﴿وكذب الذين من قبلهم﴾ من الأمم ﴿وما بلغوا﴾ يعني: مشركي مكة ﴿معشار﴾ عشر ﴿ما آتيناهم﴾ من القوة والنعمة ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾ إنكارى عليهم ما فعلوا بالإهلاك والعقوبة؟

﴿٤٦﴾ ﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾ بخصلة واحدة، وهي الطاعة لله تعالى ﴿أن تقوموا﴾ لأن تقوموا ﴿الله مثني وفردى﴾ مجتمعين ومُفردين ﴿ثم تفكروا﴾ فتعلموا ﴿ما بصاحبكم﴾ محمد ﴿من جنة﴾ من جنون ﴿إن هو إلا نذير لكم﴾ ما هو إلا نذير لكم ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ إن عصيتموه.

﴿٤٧﴾ ﴿قل ما سألتكم من أجر﴾ على تبليغ الرسالة ﴿فهو لكم﴾ إن أجري إلا على الله يعني: إنما أطلب الثواب من الله لا عرضاً من الدنيا.

﴿٤٨﴾ ﴿قل إن ربي يقذف بالحق﴾ يُلقيه إلى أنبيائه.

﴿٤٩﴾ ﴿قل جاء الحق﴾ جاء أمر الله الذي هو الحق ﴿وما يبدي الباطل وما يعيد﴾ أي: ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه، إنما يفعل ذلك الله تعالى.

قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّ إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

﴿٥٠﴾ قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي ﴿٥١﴾ أي: على نفسي يكون وبال ضلالي، وهذا إخبارٌ أنَّ مَنْ ضلَّ فإنما يضرُّ نفسه ﴿٥٢﴾ وإن اهتديت فبما يوحى إليَّ ربي ﴿٥٣﴾ يعني: لولا الوحي ما كنت اهتدي.

﴿٥١﴾ ولو ترى ﴿٥٢﴾ يا مُحَمَّد ﴿٥٣﴾ إذ فرغوا ﴿٥٤﴾ عن البعث ﴿٥٥﴾ فلا قوت ﴿٥٦﴾ لهم منَّا ﴿٥٧﴾ وأخذوا من مكان قريب ﴿٥٨﴾ على الله وهو القبور.

﴿٥٢﴾ وقالوا ﴿٥٣﴾ حين عاينوا العذاب ﴿٥٤﴾ آمنّا به ﴿٥٥﴾ بالله ﴿٥٦﴾ وأنّى لهم التناوش ﴿٥٧﴾ أي: كيف يتناولون التوبة. وقيل: الرجعة، وقد بعدت عنهم، يريد: إِنَّ التَّوْبَةَ كَانَتْ تُقْبَلُ عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا وَبَعْدَتْ عَنِ الْآخِرَةِ.

﴿٥٣﴾ وقد كفروا به ﴿٥٤﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿٥٥﴾ من قبل ﴿٥٦﴾ أي: في الدنيا ﴿٥٧﴾ ويقذفون بالغيب ﴿٥٨﴾ يرمون محمداً ﷺ بالكذب والبهتان ظناً لا يقيناً ﴿٥٩﴾ من مكان بعيد ﴿٦٠﴾ وهو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَدَّهُمْ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا صَدَقَ مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿٥٤﴾ وحيل بينهم ﴿٥٥﴾ مُنَعُوا مِمَّا يَشْتَهُونَ مِنَ التَّوْبَةِ وَالْإِيمَانِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الدُّنْيَا ﴿٥٦﴾ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ ﴿٥٧﴾ مِمَّنْ كَانُوا عَلَى مِثْلِ دَابَّهِمْ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ قَبْلَهُمْ حِينَ لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمْ الْإِيمَانَ وَالتَّوْبَةَ ﴿٥٨﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ ﴿٥٩﴾ مِنْ أَمْرِ الرُّسُلِ وَالْبَعْثِ ﴿٦٠﴾ مَرِيبٍ مَوْقِعٍ لِلرَّيْبَةِ وَالتَّهْمَةِ.

سُورَةُ فَاطِرٍ

[سورة [الملائكة] مكية وهي أربعون وست آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴿خالقهما على ابتداء﴾ ﴿جاعل الملائكة رسلاً أُولى﴾ أصحاب ﴿أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق﴾ في خلق الملائكة وأجنحتها ﴿ما يشاء﴾ .

﴿٢﴾ ما يفتح الله للناس من رحمة ﴿رزق ومطر﴾ فلا يقدر أحد أن يمسكه، والذي يمسك لا يرسله أحد.

﴿٣﴾ يا أيها الناس ﴿خطاب أهل مكة﴾ اذكروا نعمة الله عليكم ﴿بالرزق والمطر وسائر ذلك﴾ . ﴿هل من خالق غير الله﴾ هل يخلق أحد سواه، ثُمَّ ﴿يرزقكم من

(١) زيادة من ظا، وهي في مصحفنا المطبوع ٤٥ آية. وقال البقاعي في مصاعد النظر ٢/ ٣٨٣: وآيها أربعون وست آيات في المدني الأخير والشامي، وخمس في عدد الباقيين.

السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تُوَفَّكُونَ ﴿٢﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
وَالِلَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغُرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنْكُمْ بِاللَّهِ
الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾
الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ
زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ
حَسْرَتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَثِيرُ سَحَابًا فُسُقْنَهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ
فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ
الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ
أُولَئِكَ هُوَ يُورُ ﴿١٠﴾

السماء ﴿المطر﴾ و ﴿من﴾ الأرض ﴿النبات﴾ لا إله إلا هو فأنى توفكون ﴿من﴾
أين يقع لكم الإفك والكذب بتوحيد الله؟! ثم عزى نبيه عليه السلام بقوله:

﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾.

﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ بإضلال الله تعالى إياه، فرأى قبيح ما يعمله حسناً
﴿فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ لا
تغتم لكفرهم ولا تتحسر على تركهم الإيمان.

﴿من كان يريد العزة﴾ أي: علم العزة لمن هي ﴿فلله العزة جميعاً﴾ إليه يصعد
الكلم الطيب ﴿إليه يصل الكلام الذي هو توحيده، وهو قول لا إله إلا الله
والعمل الصالح﴾ يرفع ذلك الكلم الطيب، والكلم الطيب: ذكر الله تعالى.
والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، ومعنى
الرفع رفعه إلى محل القبول ﴿والذين يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ يعني: الذين مكروا
برسول الله ﷺ في دار الندوة. ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: يفسد ويبطل. وقوله
تعالى:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ مَعْمَرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُورِثُ الْيَتِيمَ فِي النَّهَارِ وَيُورِثُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ

﴿١١﴾ وما يعمر من معمر أي: ما يطول عمر أحد ﴿ولا ينقص من عمره﴾ ولا يكون أحد ناقص العمر إلا وهو مُحْصَى في الكتاب. يعني: عدد عمر الطويل العمر، وعمر القصير العمر.

﴿١٢﴾ وما يستوي البحرين هذا عذب فرات ﴿شديد العذوبة﴾ وهذا ملح أجاج ﴿شديد المرارة﴾ ومن كل من الملح والعذب ﴿تأكلون لحماً طرياً﴾ من السمك ﴿وتستخرجون﴾ منه من الملح ﴿حلية تلبسونها﴾ يعني: المرجان، وإنما ذكر هذا للدلالة على قدرته. وقوله:

﴿١٣﴾ من قطمير يعني: لفافة النواة.

﴿١٤﴾ ويوم القيامة يكفرون بشرككم أي: يقولون: ما كنتم إيانا تعبدون ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ وهو الله عز وجل. وقوله:

﴿١٥﴾ ولا تزر وازرة أي: لا تحمل نفس حاملة ﴿وزر أخرى﴾ حمل نفس أخرى ﴿وإن تدع مثقلة﴾ نفس مثقلة بالذنوب ﴿إلى حملها﴾ ذنوبها ﴿لا يحمل منه شيء﴾

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ

ولو كان ﴿ذا قربي﴾ المدعو ﴿ذا قربي﴾ مثل الأب والابن ﴿إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ إنما ينفع إنذارك الذين يخافون الله تعالى، ولم يروه ﴿ومن تزكَّى﴾ عمل خيراً.

﴿وما يستوي الأعمى﴾ عن الحق، وهو الكافر ﴿والبصير﴾ الذي يبصر رشده، وهو المؤمن.

﴿ولا الظلمات ولا النور﴾ يعني: الكفر والإيمان.

﴿ولا الظل ولا الحرور﴾ يعني: الجنة التي فيها ظل دائم، والنار التي لها حرارة شديدة.

﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ يعني: المؤمنين والكفار ﴿إن الله يسمع من يشاء﴾ فينتفع بذلك ﴿وما أنت بمسمع من في القبور﴾ يعني: الكفار، شبههم بالأموات، أي: كما لا يسمع أصحاب القبور كذلك لا يسمع الكفار. وقوله:

﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾ أي: طرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وحمر، ﴿وغرابيب سود﴾ وهي الجبال ذات الصخور السود.

﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾ أي: كاختلاف الجبال

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

والشَّمرات في اختلاف الألوان. ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ أي: مَنْ كَانَ عالماً بالله اشتدَّت خشيته. وقوله:

﴿يرجون تجارة لن تبور﴾ يعني: لن تكسد ولن تفسد. ﴿٢٩﴾

﴿إنه غفور﴾ لذنوبهم ﴿شكور﴾ لحساناتهم. ﴿٣٠﴾

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا بعد هلاك الأمم ﴿الكتاب﴾ القرآن لـ ﴿الذين اصطفينا من عبادنا﴾ وهم أمة محمد ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ أَصْنَافَهُمْ ^(١) فَقَالَ: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ وهو الذي زادت سيئاته على حسناته ﴿ومِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ وهو الذي استوت حسناته وسيئاته ﴿ومِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ وهو الذي رجحت حسناته ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه وإرادته. ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ يعني: إيتاء الكتاب. وقوله تعالى:

(١) عن أبي سعيد الخدري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ، وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قَالَ: هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الْجَنَّةِ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْمٍ ٣٢٢٣، وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ حَسَنٌ، وَأَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ ٢٢/٢.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا بَتَدَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْنًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبْدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

﴿٣٤﴾ الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ﴿٣٥﴾ يعني: كل ما يحزن له الإنسان من أمر المعاش والمعاد.

﴿٣٥﴾ الذي أهلكنا ﴿٣٦﴾ أنزلنا ﴿٣٧﴾ دار المقامة ﴿٣٨﴾ دار الخلود ﴿٣٩﴾ من فضله ﴿٤٠﴾ أي: ذلك بتفضله لا بأعمالنا ﴿٤١﴾ لا يمسنا فيها نصب ﴿٤٢﴾ تعب ﴿٤٣﴾ ولا يمسنا فيها لغوب ﴿٤٤﴾ إعياء.

﴿٤٥﴾ والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ﴿٤٦﴾

﴿٤٧﴾ وهم يصطرخون ﴿٤٨﴾ يستغيثون. وقوله: ﴿٤٩﴾ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ﴿٥٠﴾ أي: العمر الذي يتعظ فيه، ويرجع فيه إلى الله من يتعظ، وهو ستون سنة ﴿٥١﴾ وجاءكم النذير ﴿٥٢﴾ يعني: الرسول. وقيل: الشيب.

﴿٥٣﴾ هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ﴿٥٤﴾ أي: جعلكم أمّة خلفت من قبلها من الأمم.

﴿٥٥﴾ قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ﴿٥٦﴾ أخبروني عنهم ﴿٥٧﴾ ماذا خلقوا من الأرض ﴿٥٨﴾ أي: بأي شيء أوجبتم لهم الشراكة مع الله، أخلق خلقوه من الأرض ﴿٥٩﴾ أم لهم شرك في خلق ﴿٦٠﴾ السموات أم آتيناهم ﴿٦١﴾ أعطينا المشركين ﴿٦٢﴾ كتاباً ﴿٦٣﴾ بما يدعون من الشرك ﴿٦٤﴾ فهم على بينة ﴿٦٥﴾ من ذلك الكتاب ﴿٦٦﴾ بل إن يعد الظالمون ﴿٦٧﴾ ما يعد بعض الظالمين بعضاً ﴿٦٨﴾ إلا غروراً ﴿٦٩﴾ أباطيل.

إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّكُمْ كَانَتْ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَلَيْهِمْ قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا ﴿لئلا تَزُولَا وَتَتَحَرَّكَ﴾ ﴿ولئن زالتا﴾ ولو زالتا ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾ ما أَمْسَكَهُمَا ﴿من أَحَدٍ من بعده﴾ سوى الله تعالى.

﴿٤٢﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴿يعني: المشركين، كانوا يقولون قبل بعثة محمد ﷺ﴾ لئن آتانا رسولٌ ﴿ليكوننَّ أَهْدَىٰ من إِحْدَى الْأُمَمِ﴾ أي: من اليهود والنصارى والمجوس ﴿فلما جاءهم نَذِيرٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿ما زادهم﴾ مجيئه ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الحق.

﴿٤٣﴾ اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴿أي: استكبروا عن الإيمان استكباراً، ﴿ومكر السَّيِّئِ﴾ ومكروا المكر السَّيِّئَ، وهو مكْرهم بالنبي ﷺ ليقْتلوه ﴿ولا يحِيقُ﴾ أي: يحيط ﴿المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ فحاق بهم مكْرهم يوم بدر. ﴿فهل ينظرون﴾ بعد تكذيبك ﴿إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ﴾ يعني: العذاب.

﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُوَاقِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴿من الجرائم﴾ ما ترك على ظهْرِهَا ﴿على ظهر الأرض﴾ ﴿من دابة﴾ من الإنس والجنَّ وكلَّ ما يعقل ﴿ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمًّى﴾ فإذا جاء أَجْلُهُمْ فإنَّ الله كان بعْبادِهِ بَصِيرًا.

سُورَةُ الْيُسْرِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسَّ ❶ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ❷ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ❸ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ❹ نَزِيلَ الْعَزِيزِ
الرَّحِيمِ ❺ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ❻ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا
يُؤْمِنُونَ ❼

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

❶ ﴿يَسَّ﴾ يا إنسان ^(٢).

❷ ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ أقسم الله تعالى بالقرآن المحكم أن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو قوله:

❸ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

❹ ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ على طريق الأنبياء الذين تقدّموك.

❺ ﴿نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

❻ ﴿لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ﴾ في الفترة ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الإيمان والرّشد.

❼ ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجبت عليهم كلمة العذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ سَبَبَ تركهم الإيمان فقال:

(١) زيادة من ظ و ظا.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٤٨/٢٢.

إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿٨﴾ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً ﴿٨﴾ أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأنَّ الغلَّ لا يكون في العنق دون اليد ﴿فهي إلى الأذقان﴾ أي: فأيديهم مجموعة إلى أذقانهم؛ لأنَّ الغلَّ يجعل في اليد ممَّا يلي الذقن ﴿فهم مقمحون﴾ رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأنَّ مَنْ غُلَّتْ يده إلى ذقنه ارتفع رأسه، وهذا مثلٌ. معناه: أمسكنا أيديهم عن التَّفَقُّع في سبيل الله بموانع كالأغلال.

﴿٩﴾ وجعلنا من بين أيديهم سَدًّا ومن خلفهم سَدًّا ﴿٩﴾ هذا وصف إضلال الله تعالى إياهم، فهم بمنزلة مَنْ سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه. يريد: إنَّهم لا يستطيعون أن يخرجوا من ضلالهم ﴿فأغشيناهم﴾ فأعميناهم عن الهدى ﴿فهم لا يبصرون﴾ هـ ثم ذكر أنَّ هؤلاء لا ينفعهم الإنذار، فقال:

﴿١٠﴾ وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ﴿١٠﴾.

﴿١١﴾ إنما تنذر من اتبع الذكر ﴿١١﴾ إنما ينفع إنذارك من اتَّبَعَ القرآنَ فعمل به ﴿وخشى الرحمن بالغيب﴾ خاف الله تعالى ولم يره.

﴿١٢﴾ إنا نحن نُحْيِي الْمَوْتَى ﴿١٢﴾ عند البعث ﴿ونكتب ما قَدَّمُوا﴾ من الأعمال ﴿وآثارهم﴾ ما استنَّ به بعدهم. وقيل: خطاهم إلى المساجد. ﴿وكلَّ شيءٍ أحصيناه﴾ عددناه وبيَّناه ﴿في إمام مبين﴾ وهو اللُّوح المحفوظ.

﴿١٣﴾ واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ﴿١٣﴾ وهي أنطاكية ﴿إذ جاءها المرسلون﴾ رسل عيسى عليه السَّلام.

إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكَذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْلٍ لَمَّا تَنْتَهُوا لِنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوْرُ اتَّبِعُوا الْوَرَسَالِيكَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهِتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿١٤﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ ﴿﴾ من الحواريين ﴿﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴿﴾ قَوَيْنَا الرِّسَالَةَ برسولٍ ثالثٍ . وقوله :

﴿١٨﴾ ﴿إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ﴾ أي : تشاء منا ، وذلك أَنَّهُمْ حُبَسَ عَنْهُمْ الْمَطَرُ ، فَقَالُوا : هَذَا بِشُؤْمِكُمْ . ﴿لَنْ لَمْ تَنْتَهُوا لِنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ لَنَقْتُلَنَّكُمْ رَجْمًا بِالْحِجَارَةِ .

﴿١٩﴾ ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ شُؤْمُكُمْ مَعَكُمْ بِكُفْرِكُمْ ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ وَعُظِّمَتْ وَخُوفُكُمْ تَطَيَّرْتُمْ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مُجَاوِزُونَ الْحَدَّ بِشُرْكِكُمْ .

﴿٢٠﴾ ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ﴾ وَهُوَ حَبِيبُ النَّجَّارِ ، كَانَ قَدْ آمَنَ بِالرُّسُلِ ، وَكَانَ مَنَزَلُهُ فِي أَقْصَى الْبَلَدِ ، فَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ الْقَوْمَ كَذَّبُوهُمُ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِمْ أَتَاهُمْ بِأَمْرِهِمْ بِالْإِيمَانِ ، فَقَالَ : ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ .

﴿٢١﴾ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ عَلَى آدَاءِ التُّصْحِ وَتَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ يعني : الرُّسُلُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ عَلَى دِينِ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالَ :

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَالِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

﴿٢٣﴾ ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ .

﴿٢٤﴾ ﴿إِنِّي إِذَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ .

إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿﴾ فلَمَّا قَالَ ذَلِكَ وثبوا إليه فقتلوه، فأدخله الله تعالى الجنة، فذلك قوله تعالى:

﴿٢٦﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿﴾ فلَمَّا شاهدها قال: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾.

﴿٢٧﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿﴾ أي: بمغفرة ربِّي.

الجزء الثالث والعشرون:

﴿٢٨﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ ﴿﴾ يعني: على قوم حبيب ﴿من جند من السماء﴾ لنصرة الرُّسُل الذين كَذَّبُوهم. يريد: لم نحتج في إهلاكهم إلى إرسال جند.

﴿٢٩﴾ إِنْ كَانَتْ ﴿﴾ ما كانت عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل عليه السَّلام، فماتوا عن آخرهم، وهو قوله: ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ ساكنون قد ماتوا.

﴿٣٠﴾ يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ ﴿﴾ يعني: هؤلاء حين استهزؤوا بالرُّسُل، فتحسروا عند العقوبة.

﴿٣١﴾ أَلَمْ يَرَوْا ﴿﴾ أهل مَكَّة ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ يعني: أَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الَّذِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ قَبْلَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ إِلَيْهِمْ.

﴿٣٢﴾ وَإِنْ كُلٌّ ﴿﴾ وما كُلٌّ مِّنْ خُلُقٍ مِّنَ الْخَلْقِ إِلَّا ﴿جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ عند البعث يوم القيامة يحضرهم ليقفوا على ما عملوا.

﴿٣٣﴾ وَآيَةٌ لَهُمُ ﴿﴾ على البعث ﴿الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾. وقوله:

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا
 عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ
 وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ آيَلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾
 وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
 عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيَلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي
 فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾

﴿٣٥﴾ وما عملته أيديهم ﴿أي﴾: لم تعمله ولا صنع لهم في ذلك.

﴿٣٦﴾ سبحان الذي خلق الأزواج كلها ﴿أي﴾: الأجناس من الثَّبات والحيوان ﴿ومِمَّا لا يعلمون﴾ ممَّا خلق الله سبحانه من جميع الأنواع والأشياء.

﴿٣٧﴾ وآية لهم ﴿ودلالة لهم على توحيد الله سبحانه وقدرته﴾ الليل نسلخ ﴿نُخرج﴾
 ﴿منه النهار﴾ إخراجاً لا يبقى معه شيء من ضوء النهار، والمعنى: ننزع النهار
 فنذهب به، ونأتي بالليل ﴿فإذا هم مظلمون﴾ داخلون في الظلام.

﴿٣٨﴾ والشمس ﴿أي﴾: وآية لهم الشمس ﴿تجري لمستقر لها﴾ عند انقضاء الدنيا.

﴿٣٩﴾ والقمر قدرناه منازل ﴿ذا منازل﴾ حتى عاد ﴿في آخر منزله﴾ كالعرجون القديم
 وهو عود الشُّمراخ إذا يبس اعوجَّ.

﴿٤٠﴾ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ﴿فيجتمعاً معاً﴾ ولا الليل سابق النهار ﴿يسبقه فيأتي قبل انقضاء النهار﴾ وكلٌّ ﴿من الشمس والقمر والنُّجوم﴾ في فلك
 يسبحون. [يسرون] (١).

﴿٤١﴾ وآية لهم أنا حملنا ذريتهم أباهم ﴿في الفلك المشحون﴾ يعني: سفينة نوح
 عليه السَّلام.

وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٢﴾ وخلقنا لهم من مثله ﴿ما يركبون﴾ من مثل جنس سفينة نوح ﴿ما يركبون﴾ في البحر .

﴿٤٣﴾ وإن نشأ نغرقهم فلا صريح لهم ﴿فلا تُغيث لهم﴾ ولا هم يُنقذون ﴿يُنجون﴾ .

﴿٤٤﴾ إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين ﴿أي﴾: إلا أن نرحمهم ونمتّعهم إلى انقضاء آجالهم .

﴿٤٥﴾ وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم ﴿العذاب الذي عُدَّ به الأمم قبلكم﴾ ﴿وما خلفكم﴾ يعني: عذاب الآخرة ﴿لعلكم ترحمون﴾ لكي تكونوا على رجاء الرحمة، وجواب ﴿إذا﴾ محذوف تقديره: وإذا قيل لهم هذا أعرضوا، ودلّ على هذا قوله تعالى:

﴿وما تأتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ .

﴿٤٦﴾ وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله ﴿كان فقراء أصحاب رسول الله ﷺ﴾ يقولون للمشركين: أعطونا من أموالكم ما زعمتم أنّها لله تعالى، فكانوا يقولون استهزاء: ﴿أنطعم من لو يشاء الله أطعمه﴾ فقال الله تعالى: ﴿إن أنتم إلا في ضلال مبين﴾ .

﴿٤٧﴾ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿أنا بُعث﴾ .

﴿٤٨﴾ ما ينظرون ﴿ما ينتظرون﴾ إلا صيحة واحدة ﴿وهي نفخة إسرافيل﴾ تأخذهم وهم يَخِصِّمون ﴿يختصمون﴾، يُخاصم بعضهم بعضاً . يعني: يوم تقوم الساعة وهم في غفلة عنها .

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِونُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

﴿٥٠﴾ فلا يستطيعون ﴿٥٠﴾ بعد ذلك أن يُوصوا في أمورهم بشيء ﴿٥٠﴾ ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿٥٠﴾ لا ينقلبون إلى أهلهم من الأسواق، ويموتون في مكانهم.

﴿٥١﴾ ونفخ في الصور ﴿٥١﴾ يعني: نفخة البعث ﴿٥١﴾ فإذا هم من الأجداث ﴿٥١﴾ القبور ﴿٥١﴾ إلى ربهم ينسلون ﴿٥١﴾ يخرجون بسرعة.

﴿٥٢﴾ قالوا: يا ويلنا من ﴿٥٢﴾ بعثنا من مرقدنا ﴿٥٢﴾ أي: منامنا، وذلك أنهم كانوا قد رُفِع عنهم العذاب فيما بين النَّفْثَتَيْنِ، فيرقدون ثم يقولون: ﴿٥٢﴾ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿٥٢﴾ أقرؤا حين لم ينفعهم.

﴿٥٣﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم ﴿٥٣﴾ جميع لدينا محضرون ﴿٥٣﴾ يريد: إنَّ بعثهم وإحياءهم كان بصيحة تُصاح بهم، وهو قول إسرَافيل عليه السَّلام: أَيُّهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ.

﴿٥٤﴾ إن أصحاب الجنة اليوم في شغل ﴿٥٤﴾ بافتضاض الأبقار ﴿٥٤﴾ فاكهون ﴿٥٤﴾ ناعمون فرحون مُعجبون.

﴿٥٥﴾ ولهم ما يدعون ﴿٥٥﴾ يتمنون.

﴿٥٨﴾ سلام ﴿٥٨﴾ أي: لهم سلامٌ ﴿٥٨﴾ قَوْلًا ﴿٥٨﴾ يقوله الله عزَّ وجلَّ قَوْلًا.

﴿٥٩﴾ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴿٥٩﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين.

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٥﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٨﴾ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُصِرُّوكَ ﴿٧١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَنْكِسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٧٤﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٥﴾

﴿ ٦٥ ﴾ ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ ألم أمركم ﴿ يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين ﴾ .

﴿ ٦٦ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا ﴾ خلقاً ﴿ كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ عدوانه وإضلاله .

﴿ ٦٧ ﴾ ﴿ أَصَلَوْهَا الْيَوْمَ ﴾ أدخلوها وقاسوا حرَّها ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ بكفركم .

﴿ ٦٨ ﴾ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ ﴾ لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم ﴿ فاستبقوا الصراط ﴾ فتبادروا إلى الطريق ﴿ فأنى ﴾ يبصرون حينئذٍ وقد طمسنا أعينهم ؟

﴿ ٦٩ ﴾ ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ ﴾ حجارةً وقردةً وخنازير ﴿ على مكانتهم ﴾ في منازلهم ﴿ فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون ﴾ أي : لم يقدروا على ذهابٍ ولا مجيء .

﴿ ٧٠ ﴾ ﴿ وَمَنْ نَعْمِرْهُ نَنْكِسْهُ فِي الْخَلْقِ ﴾ مَنْ أطلنا عمره نكسنا خلقه ، فصار بدل القوة ضعفاً ، وبدل الشباب هرماء ﴿ أفلا تعقلون ﴾ أنا نفعل ذلك .

﴿ ٧١ ﴾ ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ ﴾ لم نعلِّم محمداً ﷺ قول الشعر ﴿ وما ينبغي له ﴾ وما يتسهَّل له ذلك ﴿ إن هو ﴾ أي : ليس الذي أتى به ﴿ إلا ذكرٌ وقرآن مبين ﴾ .

﴿ ٧٢ ﴾ ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ عاقلاً ، فلا يغفل ما يُخاطب به ؛ لأنَّ الكافر كالميت ﴿ ويحق القول على الكافرين ﴾ تجب الحجة عليهم .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

﴿٧١﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ أي: عملناه من غير واسطة ولا توكيل، ولا شريك أعاننا ﴿أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون.
 ﴿٧٢﴾ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سَخَّرْنَاهَا ﴿لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ ما يركبون.
 ﴿٧٣﴾ ﴿وَإِتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ يُمْنَعُونَ من عذاب الله تعالى.
 ﴿٧٤﴾ ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾ لا تنصرهم آلِهَتُهُمْ ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ﴾. في النار؛ لأنَّ أوثانهم معهم فيها.
 ﴿٧٥﴾ ﴿فَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ﴾ فيك بالسُّوء والقبيح. ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنجازيهم بذلك.
 ﴿٧٦﴾ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ يعني: العاص بن وائل ^(١). وقيل: أُبَيَّ بن خلف ^(٢) ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ جَدِلَّ بِالْبَاطِلِ، خَاصِمُ النَّبِيِّ ﷺ في إنكار البعث، وهو قوله:

﴿٧٨﴾ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ وهو أَنَّهُ قَالَ: مَتَى يُحْيِي اللَّهُ الْعِظَامَ الْبَالِيَةَ الْمَتَفَتَّةَ؟ وَنَسِيَ ابْتِدَاءَ خَلْقِهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ عَلِمَ ذَلِكَ مَا أَنْكَرَ الْإِعَادَةَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية.

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/٢٣ عن سعيد بن جبير.

(٢) وهو قول مجاهد في تفسيره ص ٥٣٧، وأخرجه ابن جرير ٣٠/٢٣ عن سعيد بن جبير.

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ
الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٧٧﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن
يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٦﴾ قل: يحييها الذي أنشأها ﴿خلقها﴾ أول مرة وهو بكل خلق ﴿من الابتداء والإعادة﴾ عليم. ﴿٧٧﴾

﴿٨١﴾ الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ﴿يعني: المرخ والعفار، ومنهما زنود الأعراب﴾ فإذا أنتم منه توقدون ﴿تورون النار، ثم احتج عليهم بخلق السموات والأرض، فقال:﴾

﴿٨١﴾ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى ﴿وهو الخلاق العليم﴾ ثم ذكر كمال قدرته فقال: ﴿٨٢﴾

﴿٨٢﴾ إنما أمره إذا أراد شيئا ﴿أي: خلق شيء﴾ أن يقول له كن فيكون ﴿ذلك الشيء.﴾

﴿٨٣﴾ فسبحان ﴿تنزيهاً لله سبحانه من أن يوصف بغير القدرة على الإعادة﴾ الذي بيده ملكوت كل شيء ﴿أي: القدرة على كل شيء﴾ وإليه ترجعون ﴿تردّون في الآخرة.﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية وهي مائة وثمانون آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّجْرَتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّلَايَتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَكِبِ ﴿٦﴾ وَحَفَظْنَا مِنْ كُلِّ
شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفا﴾ يعني: صفوف الملائكة في السماء. ﴿١﴾

﴿فالزاجرات زجرا﴾ يعني: الملائكة تزجر السحاب وتسوقه. ﴿٢﴾

﴿فالتاليات ذكرا﴾ جماعة قراء القرآن. ﴿٣﴾

﴿إن إلهكم لواحد﴾ أقسم الله سبحانه بهؤلاء أن إلهكم لواحد. ﴿٤﴾

﴿ورب المشارق﴾ مطالع الشمس. ﴿٥﴾

﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ بضوئها، ﴿و﴾ حفظناها

﴿حفظاً من كل شيطان مارد﴾ متمرد خبيث. ﴿٧﴾

(١) ما بين [] زيادة من ظ و ظا.

وآياتها في المصحف ١٨٢ آية، وقال البقاعي في مصاعد النظر ٤٠٨/٢: وآيها مائة وثمانون آية في البصري، وآيتان في عدد الباقيين.

لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَذَّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهَمْ أَسَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَلَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَاثَانَا أَلَّا وَلَوْ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

﴿٨﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ يعني: الملائكة. ﴿ويُقذفون من كل جانب﴾ ويُرْمون.

﴿٩﴾ دُحُورًا﴾ يُدحرون دحوراً، أي: يُباعدون ﴿ولَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ دائم.

﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ لحقه ﴿شَهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ كوكبٌ مضيءٌ.

﴿١١﴾ فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ فسألهم. يعني: أهل مكة ﴿أَسَدُ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من الأمم السَّالِفَةِ قبلهم، وغيرهم من السَّمَوَاتِ والأَرْضِ. ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ لاصقٍ لازمٍ.

﴿١٢﴾ بَلْ عَجِبْتَ﴾ يا مُحَمَّدٌ من تكذيبهم إِيَّاكَ ﴿و﴾ هم ﴿يَسْخَرُونَ﴾ من تعجبك.

﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ معجزةً سخروا.

﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿١٥﴾ قُلْ: نَعَمْ﴾ تبعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون أذلاءً.

﴿١٦﴾ فَإِنَّمَا هِيَ﴾ يعني: القيامة ﴿زَجْرَةٌ﴾ صيحةٌ ﴿وَاحِدَةٌ﴾ فإذا هم ﴿أَحْيَاءُ﴾ ينظرون ﴿سَوْءَ أَعْمَالِهِمْ﴾. وقيل: ما كَذَّبُوا به.

﴿٢٠﴾ وَقَالُوا: يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ يوم تُجازى فيه بما عملنا.

﴿٢١﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ بين الحقِّ والباطل. ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴾ (٢٢) ﴿ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (٢٣) ﴿ وَقَفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ (٢٤) ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ (٢٥) ﴿ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾ (٢٦) ﴿ وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ (٢٧) ﴿ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴾ (٢٨) ﴿ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾ (٣٠) ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَٰئِقُونَ ﴾ (٣١) ﴿ فَأَعْوَبْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴾ (٣٢) ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾ (٣٣) ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣٤) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٣٥) ﴿ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرٰكَ إِلَّا إِلَهَنَا لِشَاعِرٍ يُجْنُونِ ﴾ (٣٦) ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٣٧) ﴿ إِنَّكُمْ لَذَٰئِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (٣٨) ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ﴾ (٤٠) ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴾ (٤١) ﴿ فَوَكَهَهُمْ مَّكْرَمُونَ ﴾ (٤٢) ﴿ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴾ (٤٣) ﴿ عَلَى سُرُرٍ مُّقَبَّلِينَ ﴾ (٤٤)

- ﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ احشروا الذين ظلموا ﴾ كفروا ﴿ أزواجهم ﴾ قرناءهم من الشياطين وأوثانهم .
- ﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ فاهدوهم ﴾ دلّوهم إلى النار .
- ﴿ ٢٤ ﴾ ﴿ وقفوهم ﴾ احبسوهم ﴿ إنهم مسئولون ﴾ عن أفعالهم وأفعالهم .
- ﴿ ٢٥ ﴾ ﴿ مالكم لا تناصرون ﴾ لا ينصر بعضكم بعضاً .
- ﴿ ٢٦ ﴾ ﴿ بل هم اليوم مستسلمون ﴾ مُنقادون .
- ﴿ ٢٧ ﴾ ﴿ وأقبل بعضهم على بعض ﴾ يعني : الأتباع والرؤساء ﴿ يتساءلون ﴾ يتخاصمون .
- ﴿ ٢٨ ﴾ ﴿ قالوا ﴾ يعني : الأتباع للرؤساء ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ تقهرونا بالقوة من قبل الدين ، فتصلّوننا عنه .
- ﴿ ٢٩ ﴾ ﴿ قالوا بل لم تكونوا مؤمنين ﴾ أي : إنّما الكفر من قبلكم .
- ﴿ ٣١ ﴾ ﴿ فحق علينا ﴾ جميعاً ﴿ قول ربنا ﴾ كلمة العذاب .
- ﴿ ٤٠ ﴾ ﴿ إلا عباد الله المخلصين ﴾ المؤمنين لكن عباد الله المخلصين .
- ﴿ ٤١ ﴾ ﴿ أولئك لهم رزق معلوم ﴾ بكرة وعشياً .

يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيَّضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِنْ ذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذْنَا لَمُعْدِيُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُمْ مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾

﴿٤٥﴾ ﴿بكأس من معين﴾ خمر تجري على وجه الأرض .
 ﴿٤٦﴾ ﴿بيضاء لذة للشاربين﴾ ذات لذة .
 ﴿٤٧﴾ ﴿لا فيها غول﴾ داء ولا وجع ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ لا تذهب بعقولهم .
 ﴿٤٨﴾ ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ نساء لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿عين﴾ نُجَل
 العيون .
 ﴿٤٩﴾ ﴿كأنهن بيض﴾ في صفاء لونها ﴿مكنون﴾ يستره ريش النعام .
 ﴿٥٠﴾ ﴿فأقبل بعضهم﴾ يعني : أهل الجنة ﴿على بعض يتساءلون﴾ عما مرَّ بهم .
 ﴿٥١﴾ ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ يعني : الذين قصَّ الله خبرهما في سورة الكهف^(١) ، كان يقول له قرينه :

﴿٥٢﴾ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ مَن يصدِّق بالبعث والجزاء؟ وقوله :
 ﴿٥٣﴾ ﴿إِنَّا لَمُعِدِّيُونَ﴾ أي : مجزيون .
 ﴿٥٤﴾ ﴿قال﴾ الله سبحانه لأهل الجنة : ﴿هل أنتم مطلعون﴾ إلى النَّار .
 ﴿٥٥﴾ ﴿فاطلع﴾ المسلم فرأى قرينه الكافر ﴿في سواء الجحيم﴾ وسطه ، فقال له :
 ﴿٥٦﴾ ﴿تالله إن كدت لتُردِّين﴾ تهلكني وتضلني .

(١) في قوله تعالى: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾ الآيات في سورة الكهف .

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَّا نَحْنُ بِمَبِيتَيْنِ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوُ الْفَوْزِ الْعَظِيمِ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٥٧﴾ ولولا نعمة ربي ﴿عصمته ورحمته﴾ لكنت من المحضرين ﴿في النار﴾.
 ﴿٥٨﴾ ﴿أما نحن بميتين﴾. ﴿إلا موتنا الأولى﴾ يقوله أهل الجنة للملائكة حين يُذبح الموت، فتقول الملائكة: لا، فيقولون: ﴿إنَّ هذا لهو الفوز العظيم﴾. ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿أذلك﴾ الذي ذكرتُ من نعيم أهل الجنة ﴿خيرٌ نُزْلاً أَمْ شجرة الزقوم﴾.
 ﴿٦٣﴾ ﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾ افتتوا بها، وكذبوا بكونها فصارت فتنة لهم، وذلك أنهم أنكروا أن يكون في النار شجرة. قال الله تعالى:
 ﴿٦٤﴾ ﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾ أصلها في قعر جهنم.
 ﴿٦٥﴾ ﴿طلعها﴾ ثمرها ﴿كأنه رؤوس الشياطين﴾ في القبح وكرهية المنظر.
 ﴿٦٧﴾ ﴿ثمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾ على شجرة الزقوم ﴿لشوباً﴾ خلطاً ومزاجاً ﴿من حميم﴾ ماءٍ حارٍ.

﴿٦٨﴾ ﴿ثمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ مرجع الكفار ﴿إلى الجحيم﴾ الذي يجمع هذه الأشياء.
 وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿يهرعون﴾ أي: يزعمون إلى أتباعهم.

وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَّمَ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِنِّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

﴿٧٥﴾ ولقد نادانا نوح ﴿يعني: قوله: ﴿أنِّي مغلوبٌ فانتصر﴾﴾^(١) ﴿فلنعم المجيبون﴾ نحن .

﴿٧٦﴾ ونجيناه وأهله من الكرب العظيم ﴿يعني: الغرق﴾ .

﴿٧٧﴾ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴿لأنَّ الخلق كلَّهم أهلكوا إلَّا مَنْ كان معه في سفينته، وكانوا من ذرِّيَّته﴾ .

﴿٧٨﴾ وتركنا عليه في الآخرين ﴿فيمن يأتي بعده ثناءً حسناً، وهو أن يُصلَّى عليه ويُسَلَّم، وهو معنى قوله: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾﴾ .

﴿٨٣﴾ وإن من شيعته ﴿أهل دينه وملَّته﴾ لإبراهيم ﴿﴾ .

﴿٨٤﴾ إذ جاء ربه بقلب سليم ﴿من الشُّرك﴾ .

﴿٨٧﴾ فما ظنكم برب العالمين ﴿قال إبراهيم عليه السَّلام لقومه وهم يعبدون الأصنام: أي شيءٍ ظنكم بربِّ العالمين وأنتم تعبدون غيره؟﴾

﴿٨٨﴾ فنظر نظرة في النجوم ﴿وذلك أنَّه كان لقومه من الغد عيدٌ يخرجون إليه، ويضعون أطعمتهم بين يدي أصنامهم لتبرِّك عليها زعموا، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى نجم وقال:﴾

فَقُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ
ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَعْبُدُونِ مَا نَسْتَعْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾
قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُيُوتًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ
إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ
كَانَ يَتُوبُ إِلَىٰ رَبِّهِ

﴿٩٠﴾ ﴿إني سقيم﴾ وكانوا يتعاطون علم الثُّجُوم، فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، واعتلَّ في التَّخْلُفِ عن عيدهم بأنَّه يعتلُّ، وتأوَّل في قوله: ﴿سقيم﴾ سأسقم.

﴿٩١﴾ ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أدبروا عنه إلى عيدهم وتركوه.

﴿٩٢﴾ ﴿فراغ﴾ فمال ﴿إلى آلهم﴾ فقال ﴿إظهاراً لضعفها وعجزها: ﴿ألا تأكلون﴾ من هذه الأطعمة.

﴿٩٣﴾ ﴿فراغ﴾ فمال ﴿عليهم﴾ يضربهم ﴿ضرباً باليمين﴾ بيده اليمنى.

﴿٩٤﴾ ﴿فأقبلوا إليه﴾ من عيدهم ﴿يزفون﴾ يسرعون. فقال لهم إبراهيم محتجاً:

﴿٩٥﴾ ﴿أعبدون ما ننتحون﴾. ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من نحتكم وجميع أعمالكم.

﴿٩٦﴾ ﴿قالوا ابنوا له بيوتاً﴾ حظيرة واملؤوه ناراً، وألقوا إبراهيم في تلك النَّار.

﴿٩٧﴾ ﴿فأرادوا به كيداً﴾ حين قصدوا إحراقه بالنَّار ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ المقهورين، لأنَّه علاهم بالحجَّة والنُّصرة.

﴿٩٩﴾ ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ إلى المكان الذي أمرني بالهجرة إليه ﴿سيهدين﴾ يشبني على الهدى.

﴿١٠٠﴾ ﴿رب هب لي﴾ ولداً ﴿من الصالحين﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿فبشرناه بغلام حلیم﴾ سيِّدٌ يُوصف بالحلم.

﴿١٠٢﴾ ﴿فلما بلغ﴾ ذلك الغلام ﴿معه السعي﴾ أي: أدرك معه العمل ﴿قال: يا بني إني

أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ۚ قَالَ يَتَأَبَّتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٣﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٤﴾ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَّبِعْنِي أَهْلُ بَيْتِي بِرِهْمٍ ﴿١٠٥﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٦﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٧﴾ وَقَدِيتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٩﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٠﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٦﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٧﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَشِينَ ﴿١١٨﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٩﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٠﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢١﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٢٥﴾

أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ ﴿١٠٣﴾ وذلك أنه أمر في المنام بذبح ولده ﴿١٠٤﴾ فانظر ماذا ترى ﴿١٠٥﴾ ما الذي تراه فيما أقول لك، هل تستسلم له؟ فاستسلم الغلام و ﴿١٠٦﴾ قال يا أبت أفت أفعَلُ ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴿١٠٧﴾

﴿١٠٣﴾ ﴿فلما أسلما﴾ انقادا لأمر الله ﴿وتلَّهُ للجبين﴾ صرعه على أحد جنبيه.

﴿١٠٤﴾ ﴿ونادينه أن يا إبراهيم﴾. ﴿قد صدقت الرؤيا﴾ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴿١٠٥﴾.

﴿١٠٦﴾ ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾ الاختيار الظاهر. يعني: حين اختبره بذبح ولده، فانقاد وأطاع.

﴿١٠٧﴾ ﴿وفدناه بذبح﴾ بكبش عظيم ﴿لأنه رعى﴾ في الجنة أربعين خريفاً، وكان الكبش الذي تقبل من ابن آدم عليه السلام.

﴿١١٢﴾ ﴿ولقد مننا على موسى وهارون﴾ بالنبوة.

﴿١١٥﴾ ﴿ونجيناها وقومها من الكرب العظيم﴾ يعني: الغرق. وقوله:

أَنذَعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ رَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُحْيَىٰ وَنُوحٍ ۖ وَآلِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ لَوْطَا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ يَخْتَصِمَتُهُ وَأَهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَمُتْرُونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَيَأْتِلُ أَفَلًا تَغْفُلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

﴿١٢٥﴾ ﴿أندعون بعلًا﴾ يعني: صنماً كان لهم.

﴿١٢٧﴾ ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون﴾ في النار.

﴿١٢٨﴾ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ من قومه.

﴿١٣٠﴾ ﴿سلام على إله ياسين﴾ يعني: إلهاس عليه السلام. وقيل: يعني قومه ممن يتسبب إلى اتباعه.

﴿١٤٠﴾ ﴿إذ أبق﴾ هرب ﴿إلى الفلك المشحون﴾ السفينة المملوءة حين ذهب مُغاضباً، فوقفت السفينة ولم تجر، فقارعه أهل السفينة فخرجت القرعة عليه، فخرج منها وألقى نفسه في البحر، فذلك قوله:

﴿١٤١﴾ ﴿فساهم﴾ فقارع ﴿فكان من المدحضين﴾ المغلوبين بالقرعة.

﴿١٤٢﴾ ﴿فالتقمه﴾ فابتلعه ﴿الحوت وهو ملِيم﴾ أتى بما يلام عليه.

﴿١٤٣﴾ ﴿فلولا أنه كان من المسبحين﴾ من المصلين قبل ذلك.

﴿١٤٤﴾ ﴿للبث في بطنه﴾ في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

﴿١٤٥﴾ ﴿فنبذناه﴾ طرحناه ﴿بالعراء﴾ وجه الأرض ﴿وهو سقيم﴾ عليل كالفرخ

وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ فَاسْتَفْتَاهُمُ الرِّبِّيُّ أَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَىٰ الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَّا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

الممَّعُطُ (١).

﴿١٤٦﴾ ﴿وأنبتنا عليه﴾ عنده ﴿شجرة من يقطين﴾ وهو القرع ليستظل بها.
 ﴿١٤٧﴾ ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ بل يزيدون.
 ﴿١٤٨﴾ ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ إلى انقضاء آجالهم.
 ﴿١٤٩﴾ ﴿فاستفتهم﴾ فسل يا محمد أهل مكة ﴿الربك البنات ولهم البنون﴾ وذلك أنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله.

﴿١٥٠﴾ ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾ حاضرون خلقنا إياهم.
 ﴿١٥١﴾ ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ اتخذ البنات دون البنين فاصطفاهما، وجعل لكم البنين؟ كقوله: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ (٢).

﴿١٥٢﴾ ﴿أصطفى البنات على البنين﴾ اتخذ البنات دون البنين فاصطفاهما، وجعل لكم البنين؟ كقوله: ﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً﴾ (٢).
 ﴿١٥٣﴾ ﴿أم لكم سلطان﴾ برهان ﴿مبين﴾ على أن الله ولداً.
 ﴿١٥٤﴾ ﴿فأتوا بكتابكم﴾ الذي فيه حجتكم ﴿إن كنتم صادقين﴾.
 ﴿١٥٥﴾ ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة﴾ يعني: الملائكة ﴿نسباً﴾ حين قالوا: إنهم بنات الله.
 ﴿١٥٦﴾ ﴿ولقد علمت الجنة﴾ الملائكة ﴿إنهم لمحضرون﴾ أن الذين قالوا هذا القول محضرون في النار.

سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكْفَرُوا بِهِ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٠﴾ إِلَّا عباد الله المخلصين ﴿١﴾ فإنهم ناجون من النار.

﴿١٦١﴾ ﴿١﴾ فإنكم وما تعبدون ﴿٢﴾ من الأصنام.

﴿١٦٢﴾ ﴿٢﴾ وما أنتم عليه بفاتنين ﴿٣﴾ لا تفتنون أحداً على ما يعبدون ولا تضلونه.

﴿١٦٣﴾ ﴿٣﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صال الجحيم ﴿٤﴾ أي: إِلَّا مَنْ هُوَ في معلوم الله أَنَّهُ يدخل النار.

﴿١٦٤﴾ ﴿٤﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ ﴿٥﴾ هذا من قول الملائكة، والمعنى: مَا مِنَّا مَلَكٌ إِلَّا لَهُ ﴿٦﴾ مقام معلوم ﴿٧﴾ من السماء يعبد الله سبحانه هناك.

﴿١٦٥﴾ ﴿٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿٧﴾ في الصلاة.

﴿١٦٦﴾ ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿٨﴾ المصلُّون.

﴿١٦٧﴾ ﴿٨﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ﴿٩﴾ كان كفار مَكَّةَ يقولون: لو جاءنا كتابٌ كما جاء غيرنا من الأولين لأخلصنا عبادة الله سبحانه، فلَمَّا جاءهم كفروا به.

﴿١٧٠﴾ ﴿٩﴾ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ عاقبة كفرهم.

﴿١٧١﴾ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١١﴾.

﴿١٧٢﴾ ﴿١١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٢﴾.

﴿١٧٣﴾ ﴿١٢﴾ وَإِنْ جُنَدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٣﴾ أي: تقدَّم الوعد بنصرتهم، وهو قوله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١).

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرْتُمْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَر فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَلَحْمُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾

- ﴿١٧٤﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ حتى تنقضي المدة التي أمهلوا فيها.
- ﴿١٧٥﴾ ﴿وَأَبْصَرْتُمْ﴾ انظر إليهم إذا عذبوا ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ ما أنكروا.
- ﴿١٧٦﴾ ﴿أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ وذلك أنهم كانوا يقولون: متى هذا الوعد؟
- ﴿١٧٧﴾ ﴿فَإِذَا نَزَلَ﴾ العذاب. ﴿بِسَاحَتِهِمْ﴾ بِفَنَائِهِمْ ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾.
- ﴿١٧٩﴾ ﴿وَأَبْصَر﴾ انظر فبئس ما يصبحون عند ذلك.

سُورَةُ صٰٓ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُونَ وَثَمَانِي آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا
وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجَبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ
الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿ص﴾ صدق الله ^(٢) ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ ذي الشرف.

﴿٢﴾ ﴿بل الذين كفروا في عزة﴾ امتناع من الدين ﴿وشقاق﴾ خلافٍ وعداوةٍ.

﴿٣﴾ ﴿كم أهلكنا﴾ هذا جواب القسم، واعترض بينهما قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾.
﴿فنادوا﴾ بالاستغاثة عند الهلاك ﴿ولات حين مناص﴾ وليس حين منجى وفوت.

﴿٤﴾ ﴿وعجبوا﴾ يعني: أهل مكة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ محمد ﷺ.

﴿٥﴾ ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ وذلك أنهم اجتمعوا عند أبي طالب يشكون إليه

(١) زيادة من ظ وظا.

(٢) أخرجه ابن جرير ١١٨/٢٣ عن الضحاك.

إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴿٦﴾ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ آلِهَتِهِمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ﴿٧﴾ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾

النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: إني أدعوكم إلى كلمة التوحيد لا إله إلا الله^(١)، فقالوا: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي يقوله ﴿لشيء عجاب﴾ عجيب.

﴿وأنطلق الملاء منهم﴾ نهضوا من مجلسهم ذلك، يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم إِنَّ هَذَا﴾ الذي يقوله محمد ﴿لشيء يراد﴾ أي: لأمراً يراد بنا، ومكرٌ يمكر علينا.

﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقوله ﴿في الملة الآخرة﴾ فيما أدركنا عليه آبائنا ﴿إِنَّ هَذَا﴾ إلا اختلاقٌ ﴿زورٌ وكذب﴾.

﴿أنزل عليه الذكر من بيننا﴾ كيف خُصَّ بالوحي من جملتنا؟ قالوا هذا حسداً له على النبوة. قال الله تعالى: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أي: وخي [أي: حين قالوا: اختلاق]^(٢) ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ ولو ذاقوه لأيقنوا وصدقوا.

﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ أي: مفاتيح النبوة حتى يعطوا النبوة من اختاروا.

(١) عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فجاء أبو جهل فقعده فيه، ثم قال: ألا ترى إلى ابن أخيك يقع في آلهتنا، فقال: ابن أخي، ما لقومك يشكونك؟ قال: أريدكم على كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم المعجم الجزية، فقال: وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلهاً واحداً﴾ فنزلت: ﴿ص...﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿... عجاب﴾.

أخرجه النسائي في تفسيره ٢/٢١٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٣٠؛ والحاكم ٢/٤٣٢، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) زيادة من ظ.

أَمْرَ لَهُمْ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَّنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾

﴿١٠﴾ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما يعني: إن ذلك لله عز وجل فيصطفي من يشاء ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ أي: إن ادَّعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا فيما يوصلهم إلى السماء، وليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، ثم وعد نبيه النصر فقال:

﴿١١﴾ جند ما هنالك﴾ أي: هم جند هنالك ﴿مهزوم﴾ مغلوب ﴿من الأحزاب﴾ كالقرون الماضية الذين قُهرُوا وأهلكوا، وهذا إخبارٌ عن هزيمتهم ببدر، ثم عزى نبيه عليه السلام فقال:

﴿١٣﴾ كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد﴾ ذو الملك الشديد.

﴿١٤﴾ إن كلُّ ما كلٌّ من هؤلاء﴾ إلا كذب الرسل فحقَّ فوجب ﴿عقاب﴾.

﴿١٥﴾ وما ينظر هؤلاء﴾ أي: ما ينتظر هؤلاء كفار مكة ﴿إلا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة القيامة ﴿ما لها من فواق﴾ رجوع ومرد.

﴿١٦﴾ وقالوا ربنا عجل لنا قطنًا﴾ كتابنا وصحيفة أعمالنا ﴿قبل يوم الحساب﴾ وذلك لما نزل قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه﴾^(١)، ﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾^(٢) سألو ذلك، فنزلت هذه الآية. وقوله:

﴿١٧﴾ داود ذا الأيد﴾ أي: ذا القوة في العبادة ﴿إنه أواب﴾ رجَّاع إلى الله سبحانه.

إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَةً وَلِيَ نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الجبال معه يسبحن ﴿بالعشي والإشراق﴾ يعني: الضُّحَى.

﴿١٩﴾ ﴿والطير﴾ أي: وسَخَرْنَا الطَّيْرَ ﴿محشورة﴾ مجموعة ﴿كلُّ له﴾ لداود ﴿أواب﴾ مطيع يأتيه ويسبح معه.

﴿٢٠﴾ ﴿وشددنا ملكه﴾ بالحرس، وكانوا ثلاثة وثلاثين ألف رجلٍ يحرسون كلَّ ليلةٍ محرابه. ﴿وآتيناه الحكمة﴾ الإصابة في الأمور ﴿وفصل الخطاب﴾ بيان الكلام، والبصر في القضاء، وهو الفصل بين الحقِّ والباطل.

﴿٢١﴾ ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾ يعني: الملكين اللذين تصوَّرا في صورة خصمين من بني آدم ﴿إذ تسوروا المحراب﴾ علوا غرفة داود عليه السَّلام.

﴿٢٢﴾ ﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾ لأنَّهما دخلا بغير إذنٍ في غير وقت دخول الخصوم ﴿قالوا لا تخف خصمان﴾ أي: نحن خصمان ﴿بغى بعضنا على بعض﴾ أي: ظلم بعضنا بعضاً ﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾ ولا تجرُ ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ إلى طريق الحقِّ.

﴿٢٣﴾ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً﴾ يعني: امرأة^(١) ﴿ولي نَجَّةٌ واحدة﴾ أي: امرأة ﴿فقال: أكفلنيها﴾ أي: انزل عنها واجعلني أنا أكفلها ﴿وعزَّنِي في الخطاب﴾ غلبني في الاحتجاج لأنَّه أقوى مني. وأقدر على التُّطق، وهذا القول

(١) الصحيح أنها نَجَّةٌ حقيقية لظاهر اللفظ، ولقوله بعدها: ﴿وإنَّ كثيراً من الخلقاء﴾.

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْيِكَ إِلَيْنَا نَعَايُهُ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لِمَ عِنْدَنَا لُزْلَفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ

من الملكين على التمثيل لا على التحقيق، كأنَّ القائل منهما قال: نحن كخصمين هذه حالهما، فلمَّا قال هذا أحد الخصمين اعترف له الآخر.

﴿قال﴾ داود عليه السَّلام: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ أي: بسؤاله إياك نعجتك: امرأتك أن يضمَّها ﴿إلىٰ نعاجه، وإن كثيرًا من الخلقاء﴾ الشُّركاء ﴿ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم﴾ [وقليلٌ هم] ﴿١﴾ ﴿وظنَّ داود﴾ علم عند ذلك ﴿أنما فتناه﴾ ابتليناه بتلك المرأة التي أحبَّ أن يتزوَّجها، ثمَّ تزوَّجها بعد قتل زوجها ﴿٢﴾ ﴿فاستغفر ربه﴾ ممَّا فعل، وهو محبَّته أن يتزوَّج امرأة من له امرأة واحدة، وله تسع وتسعون امرأة ﴿وخَرَّ رَاكِعًا﴾ سقط للِسجود بعد ما كان رَاكِعًا ﴿وَأَنَاب﴾ رجع إلى الله سبحانه بالتَّوبة.

﴿فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا﴾ بعد المغفرة ﴿لزلْفَى﴾ قربة ﴿وحسن مآب﴾ مرجع.

﴿يا داود إِنَّا جعلناك خليفة في الأرض﴾ أي: عَن مَنْ قَبْلَكَ من الأنبياء. وقوله:

(١) زيادة من عاو ظا.

(٢) وهذا من الإسرائيليات، وقال ابن كثير في تفسيره ٣٠/٤: قد ذكر المفسرون ههنا قصَّة، أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتِّباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم ههنا حديثاً لا يصحُّ سنده؛ لأنَّه من رواية الرقاشي عن أنس. ويزيدُ — وإن كان من الصالحين — لكنَّه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصَّة، وأن يردَّ علمها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ القرآن حقٌّ، وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضاً.

بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ
الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَرْزَلُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكٌ لِّدَبْرُؤِ ءَايَتِهِ وَلَسْتَ تَذَكَّرُ أُولَٔئِكَ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا
لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ ءَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّفِينَتُ الْجَيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي
أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفَطِفٌ مَّسْحًا بِالسُّوقِ
وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

﴿بما نسوا يوم الحساب﴾ أي: تركوا الإيمان به والعمل له.

﴿٢٧﴾ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ إلا لأمرٍ صحيح، وهو الدلالة على
قدرة خالقهما وتوحيده وعبادته. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿الصافناتُ الجياد﴾ أي: الخيل القائمة.

﴿٣٢﴾ ﴿فقال: إني أحببت حبَّ الخير عن ذكر ربي﴾ أثرت حبَّ الخير، أي: الخيل،
على ذكر الله حتى فاتني في وقته ﴿حتى توارت﴾ الشمس ﴿بالحجاب﴾ أي:
غربت. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أي: أقبل يقطع سوقها وأعناقها، ولم يفعل ذلك
إلا لإباحة الله عزَّ وجلَّ له ذلك. وقوله:

﴿٣٤﴾ ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ ابتليناه ﴿وألقينا على كرسِيِّه جسدًا﴾ شيطاناً تصوّر في
صورته، وذلك أنّه تزوّج امرأةً وهويها، وعبدت الصنم في داره بغير علمه^(١)،

(١) حكاه الماوردي في تفسيره ٤٤٧/٣ عن شهر بن حوشب، وهو صدوق كثير الإرسال والأوهام.
وضَعَفَ هذا القول ابن جزّي في تفسيره ١٨٥/٣؛ ووردت فيه آثارٌ ضعيفة، ذكر بعضها
ابن جرير في التفسير ١٥٨/٢٣. وذكر البخاري في صحيحه قال: ﴿جسدًا﴾: شيطاناً. فتح
الباري، كتاب الأنبياء ٤٥٧/٦؛ وذكره مجاهد في تفسيره ص ٥٤٩.

قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ عِنْدَنَا لُزْلٌ لِّقَوْمٍ فَحَسَنَ مَّتَابٍ ﴿٤٠﴾ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾

فتزع الله ملكه أيَّامًا، وسلَّط شيطاناً على مملكته، ثم تاب سليمان وأعاد الله عليه ملكه، فسأل الله أن يهب له ملكاً يدلُّ على أنه غفر له، وردَّ عليه ما نزع منه، وهو قوله:

﴿٣٥﴾ وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي. وقوله:

﴿٣٦﴾ رخاء. أي: ليَّةٌ مطيعة سريعة. ﴿حيث أصاب﴾ أراد وقصد سليمان عليه السلام.

﴿٣٧﴾ والشياطين. أي: وسخَّرنا له ﴿كلَّ بناء﴾ من الشياطين من ينون له ﴿وعوَّاص﴾ يغوصون في البحر، فيستخرجون ما يريد.

﴿٣٨﴾ وآخرين مقرنين في الأصفاد. وسخَّرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم في السلاسل من الحديد، وقلنا له:

﴿٣٩﴾ هذا الذي أعطيناك ﴿عطاؤنا فامنن﴾ أي: أعطِ ﴿أو أمسك بغير حساب﴾ عليك في إعطائه ولا إمساكه، وهذا مما خصَّ به. وقوله:

﴿٤١﴾ بنصب. أي: بتعب ومشقة في بدني ﴿وعذاب﴾ في أهلي ومالي، فقلنا له:

﴿٤٢﴾ اركض برجلك. أي: دُسَّ وحرَّك برجلك في الأرض، فداس فنبعت عين ماء، فاغتسل به حتى ذهب الداء من ظاهره، ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه.

﴿٤٣﴾ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب. مفسرة في سورة الأنبياء عليهم السلام.

وَحُذِّ بِيدِكَ ضَعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدَى وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرُ الدَّارِ ﴿٤٦﴾
 وَإِيَّاهُمْ عِنْدَنَا لِمَنِ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾
 هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمِئَّةٍ لَهُمُ الْآبُوتُ ﴿٥٠﴾ مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا
 بِفَنَكِهِةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُنْزَابٌ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمٍ
 الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُم مِّن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَذَا وَإِلَى الطَّلَعِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا
 فَنَسُوا الْمَآءَ ﴿٥٦﴾ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾

﴿٤٤﴾ وخذ بيدك ضعفًا ﴿٤٥﴾ حزمة من الحشيش ﴿٤٦﴾ فاضرب به ﴿٤٧﴾ امرأتك ﴿٤٨﴾ ولا تحنث ﴿٤٩﴾ في
 يمينك . وقوله :

﴿٤٥﴾ ﴿أولي الأيدي﴾ أي : ذوي القوة في العبادة ﴿والأبصار﴾ البصائر في الدين .

﴿٤٦﴾ ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ أي : جعلناهم يُكثرون ذكر الدار الآخرة
 والرجوع إلى الله تعالى . وقوله :

﴿٤٨﴾ ﴿من الأخيار﴾ جمع خير .

﴿٤٩﴾ ﴿هذا ذكر﴾ شرف وذكر جميل يُذكرون به أبدًا ﴿وإن للمتقين﴾ مع ذلك ﴿لحسن
 مآب﴾ مرجع في الآخرة ، ثم بين ذلك المرجع فقال :

﴿٥٠﴾ ﴿جنات عدن﴾ وقوله :

﴿٥٢﴾ ﴿أُنْزَابٍ﴾ [أقرانٌ وأمثالٌ] ^(١) أسنانهنَّ واحدة .

﴿٥٥﴾ ﴿هذا وإن للطاغين﴾ أي : الأمر هذا الذي ذكرت . وقوله :

﴿٥٧﴾ ﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساقٌ﴾ أي : هذا حميمٌ وغساقٌ فليذوقوه ، والغساق :
 ما سال من جلود أهل النار .

وَأَخْرَجَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجَ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ
 أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَّمْتُمْ لَنَا فَبَشِّرُوا الْقَرَارِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي
 النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ
 الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ
 الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَعَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾

- ﴿٥٨﴾ «وآخر» أي: وعذاب آخر «من شكله» من مثل ذلك الأول «أزواج» أنواع.
 فإذا دخلت الرؤساء النار، ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الملائكة:
 ﴿٥٩﴾ «هذا فوج» جماعة «مقتحم معكم» داخلو النار، فقال الرؤساء: «لا مرجأ بهم
 إنهم صالو النار» كما صليناها، فقال الأتباع:
 ﴿٦٠﴾ «بل أنتم لا مرجأ بكم أنتم قدتمموه لنا» شرعتم وسنتم الكفر لنا «فبش القرار»
 قرارنا وقراركم.
 ﴿٦١﴾ «قالوا» أي: الأتباع «ربنا من قدم لنا هذا» شرعه وسنه «فرده عذاباً ضعفاً في
 النار» كقوله: «ربنا آتاهم ضعفين من العذاب»^(١).
 ﴿٦٢﴾ «وقالوا» يعني: صناديد قريش: «ما لنا لا نرى رجلاً كننا نعدُّهم من الأشرار»
 أي: فقراء المسلمين.
 ﴿٦٣﴾ «أخذناهم سخرياً» كننا نسخر بهم في الدنيا، أمفقودون هم؟ «أم زاغت عنهم
 الأبصار» فلا نراهم ها هنا.
 ﴿٦٤﴾ «إن ذلك» الذي ذكرنا عن أهل النار «لحق» ثم بين ما هو فقال: «تخاصم أهل
 النار».
 ﴿٦٧﴾ «قل هو نبأ عظيم» أي: القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يعلم إلا بوحى
 وهو قوله:

أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُمْ سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُمْ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿٦٩﴾ ما كان لي من علم بالملأ الأعلى ﴿﴾ وهم الملائكة ﴿﴾ إذ يختصمون ﴿﴾ في شأن آدم عليه السلام. يعني: قولهم: ﴿﴾ أنجعل فيها من يفسد فيها... ﴿﴾ (١) الآية. وقوله: ﴿٧٥﴾ ﴿﴾ لما خلقت بيدي ﴿﴾ أي: توليت خلقه، وهذا اللفظ ذكر تخصيصاً وتشريفاً لآدم عليه السلام، وإن كان كل شيء يتولى الله خلقه دون غيره. وقوله: ﴿٨٤﴾ قال فالحق والحق أقول ﴿﴾ أي: فبالحق أقول، وأقول الحق [قسم جوابه] (٢): ﴿﴾ لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ﴿﴾.

﴿٨٦﴾ قل ما أسألكم عليه ﴿﴾ على تبليغ الرسالة ﴿﴾ من أجر وما أنا من المتكلفين ﴿﴾ المتقولين للقرآن من تلقاء نفسي.

﴿٨٧﴾ ﴿﴾ إن هو ﴿﴾ ليس القرآن ﴿﴾ إلا ذكر ﴿﴾ عظة ﴿﴾ للعالمين ﴿﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿﴾ ولتعلمن ﴿﴾ أنتم أيها المشركون ﴿﴾ نبأه ﴿﴾ ما أخبرتكم فيه من البعث والقيامة ﴿﴾ بعد حين ﴿﴾ بعد الموت.

• • •

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

[مكيّة ومدنيّة وهي سبعون وخمس آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ تنزيل الكتاب ﴿ابتداء﴾ وخبره قوله: ﴿من الله العزيز الحكيم﴾. وقوله:

﴿٢﴾ مخلصاً له الدين ﴿أي: الطاعة، والمعنى: اعبده موحداً لا إله إلا هو.

﴿٣﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿أي: الطاعة لا يستحقها إلا الله تعالى، ثم ذكر الذين يعبدون غيره فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾ ﴿أي: ويقولون: ما نعبدهم إِلَّا لِيُقَرَّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ﴿أي: قربي﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، ثم ذكر أنه لا يهدي هؤلاء، فقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

(١) زيادة من ظا، وفي ظ: [اثنتان وسبعون آية]. وهي في المصحف ٧٥ آية.

قال في مقاصد النظر ٤٢٢/٢: وآيها خمس وسبعون في الكوفي، وثلاث في الشامي، واثنتان في عدد الباقيين.

مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٥﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
 سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى
 النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى
 أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٧﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنْ
 الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ
 ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٨﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ
 وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
 مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ ذَاتُ الْأَصْدُورِ ﴿٩﴾

مَنْ هُوَ كَاذِبٌ ﴿٥﴾ في إضافة الولد إلى الله تعالى ﴿كفار﴾ يكفر نعمته بعبادة غيره،
 ثُمَّ ذكر براءته عن الولد فقال:

﴿٥﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٦﴾ كما يزعم هؤلاء ﴿لاصطفى﴾ لاختر ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾
 ما يشاء، سبحانه ﴿تزيهاً﴾ له عن الولد. وقوله:

﴿٧﴾ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ ﴿٨﴾ أي: يدخل أحدهما على الآخر.

﴿٩﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴿١٠﴾ يعني: آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء
 ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ مشروح في سورة الأنعام^(١)، وقوله:
 ﴿خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ أي: نطفة، ثُمَّ علقة، ثُمَّ مضغة ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ ظلمة
 البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾^(٢) عن عبادته إلى عبادة
 غيره بعد هذا البيان! وقوله:

﴿١١﴾ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴿١٢﴾ أي: المؤمنين المخلصين منهم، كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ
 بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾. ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ أي: إن تطيعوا ربكم ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ يرض الشكر
 لكم ويثبتكم عليه.

(٢) في الأصول: «فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ» وهو خطأ.

(١) في آية ص ٣٧٩.

﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ (٨)

أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾

﴿ (٨) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ﴾ يعني: الكافر ﴿ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ﴾ راجعاً ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ ﴾ أعطاه ﴿ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ نسي الله الذي كان يتضرع إليه من قبل النعمة، وترك عبادته ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد عليه السلام لمن يفعل ذلك: ﴿ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾. وهذا تهديد.

﴿ (٩) أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ﴾ قائم مطيع لله ﴿ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾ أوقاته ﴿ يَحْذَرُ ﴾ يحذر ﴿ عَذَابَ ﴾ الآخرة ﴿ كَمَنْ هُوَ عَاصٍ؟ ﴾ ثم ضرب لهما مثلاً فقال: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أي: هل يستوي العالم والجاهل؟ كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ إِنَّمَا يَتَعَزَّ بِوَعظِ اللَّهِ ذُووُ الْعُقُولِ. وقوله:

﴿ (١٠) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴾ وَحَدَّوْا اللَّهَ تَعَالَى وَعَمَلُوا بِطَاعَتِهِ ﴿ حَسَنَةً ﴾ وهي الْجَنَّةُ ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ فَهَاجَرُوا فِيهَا، وَخَرَجُوا مِنْ بَيْنِ الْكُفَّارِ ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ ﴾ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَا يَبْتَلِيهِمْ بِهِ ﴿ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ بِغَيْرِ مِكْيَالٍ وَلَا مِيزَانٍ.

﴿ (١١) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ أي: مُوَحِّدًا.

﴿ (١٢) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ
 الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبُدُونَ
 فَاذْكُرُونِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ
 يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾
 أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ
 فَوْقَهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ
 مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ

﴿١٥﴾ قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ﴿بالتخليد في النار﴾ وأهليهم ﴿لأنهم﴾
 لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة.
 ﴿١٦﴾ ﴿لهم من فوقهم ظلل﴾ هذا كقوله ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم...﴾ (١)
 الآية، وكقوله: ﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾ (٢) ﴿ذلك﴾ الذي
 وصفت من العذاب ﴿يخوف الله به عباده﴾.
 ﴿١٧﴾ ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ أي: الأوثان ﴿أن يعبدوها وأنابوا إلى الله﴾ رجعوا
 إليه بالطاعة ﴿لهم البشرى﴾ بالجنة ﴿فبشر عباد﴾.
 ﴿١٨﴾ ﴿الذين يستمعون القول﴾ القرآن وغيره ﴿فيتبعون أحسنه﴾ وهو القرآن.
 ﴿١٩﴾ ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت﴾ يا محمد ﴿تنقذه﴾، أي: تخرجه من النار،
 أي: إنه لا يقدر على هدايته. وقوله:
 ﴿٢٠﴾ ﴿لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾ أي: لهم منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل
 أرفع منها.
 ﴿٢١﴾ ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع في الأرض﴾

ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْثُهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّبِعِ بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمْ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾

وهي المواضع التي ينبع منها الماء، وكل ماء في الأرض فمن السماء نزل. ﴿ثم يخرج به﴾ بذلك الماء ﴿زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ خضرة، وحمرة، وصفرة ﴿ثم يهيج﴾ يبس ﴿فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾ ذقافاً فتاتاً ﴿إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب﴾ يذكرون ما لهم من الدلالة في هذا على توحيد الله تعالى وقدرته.

﴿أفمن شرح الله صدره﴾ وسَّعه ﴿للإسلام فهو على نور من ربه﴾ أي: فاهتدى إلى دين الإسلام، كمن طبع على قلبه، ويدل على هذا المحذوف قوله: ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾.

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾ أي: القرآن ﴿كتاباً متشابهاً﴾ يشبه بعضه بعضاً من غير اختلاف ولا تناقض ﴿مثاني﴾ يشي فيه الأخبار والقصص، وذكر الثواب والعقاب ﴿تقشعر﴾ تضطرب وتتحرك بالخوف ﴿منه جلود الذين يخشون ربهم﴾ يعني: عند ذكر آية العذاب ﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ أي: من آية الرحمة ﴿ذلك هدى الله﴾ أي: ذلك الخشية من العذاب ورجاء الرحمة هدى الله.

﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾ وهو الكافر يلتقي في النار مغلولاً، فلا يتهيأ له أن يتقي النار إلا بوجهه، ومعنى الآية: أفمن هذه حاله كمن يدخل الجنة؟ وقوله:

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّصُونَ ﴿٣١﴾ * فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٨﴾ «غير ذي عوج» أي: ليس فيه اختلاف وتضاد، ثم ضرب مثلاً للموحد والمشارك فقال:

﴿٢٩﴾ «ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون» متنازعون سيئة أخلاقهم، وكل واحد يستخدمه بقدر نصيبه، وهذا مثلُ المشرك الذي يعبد آلهة شتى ﴿ورجلاً سالماً﴾ خالصاً لرجل وهو الذي يعبد الله وحده ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أي: هل يستوي مثلُ الموحد ومثلُ المشرك؟ ﴿الحمد لله﴾ وحده دون غيره من المعبودين ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ مفسر في سورة النحل^(١). ثم ذكر أنهم يموتون ويرجعون إلى الله فيختصمون عنده، فقال:

﴿٣٠﴾ «إنك ميت وإنهم ميتون» ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يعني: المؤمن والكافر، والمظلوم والظالم.

الجزء الرابع والعشرون:

﴿٣١﴾ «فمن أظلم ممن كذب على الله» وزعم أن له ولداً وشريكاً ﴿وكذب بالصدق﴾ بالقرآن ﴿إذ جاءه﴾ على لسان الرسول. ﴿أليس في جهنم مثوى﴾ مقام ومنزل لهؤلاء.

﴿٣٢﴾ «والذي جاء بالصدق﴾ يعني: محمداً ﷺ جاء بالقرآن ﴿وصدق﴾ أبو بكر رضي الله عنه ثم المؤمنون بعده^(٢). وقوله:

(١) انظر ص ٦١٤.

(٢) أخرجه ابن جرير ٣/٢٤ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي
عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ
وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا
لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ
ضُرَّتِهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ
الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَتَقَوَّمُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ
يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ
فَمَنْ أَهْتَكَدَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ
يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ
وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ

﴿٣٦﴾ أليس الله بكافٍ عبده ﴿يعني﴾ محمداً صلوات الله عليه، ينصره ويكفيه أمر من
يُعاديهِ ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أي: يُخَوِّفُونَكَ بأوثانهم، يقولون: إِنَّكَ
لَتعيبها، وإِنَّهَا لَتصيبتُكَ بسوء، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ مَعَ عِبَادَتِهِمُ الْاَوْثَانَ يَقْرُونَ بِأَنَّ الْخَالِقَ
هُوَ اللَّهُ، فَقَالَ:

﴿٣٨﴾ وَلئن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ ﴿الْاَوْثَانِ﴾. ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاءٍ وشدة. هل يكشفن ذلك عني
﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ﴾ نعمة. هل يمسكن ذلك عني؟ وهذا بيان أَنَّهَا لَا تَنْفَعُ
وَلَا تَدْفَعُ.

﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ ﴿يقبض الأرواح﴾ ﴿حين﴾ عند ﴿موتها والتي لم تمت﴾ أي:
ويقبض روح التي لم تمت ﴿في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت﴾ أي:
يمسك أنفس الأموات عنده، ﴿ويرسل الأخرى﴾ أنفس الأحياء [إذا انتبهوا من

إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ
 شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ
 مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ
 الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ
 فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
 يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ
 الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
 كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ
 نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ

منامهم يرُدُّ عليهم أرواحهم] ^(١) ﴿إلى أجل مسمى﴾ وهو أجل الموت.

﴿٤٢﴾ ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي: الأوثان التي عبدوها لتشفع لهم. ﴿قُلْ أُولَئِكَ
 كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشَّفَاعَةِ ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ لَا يَتَرَكُونَ
 عبادتهم.

﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ فليس يشفع أحدٌ إلَّا بإذنه.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ كان المشركون إذا
 سمعوا قول لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له نفروا من ذلك، وإذا ذكر الأوثان
 فرحوا، و ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾: نفرت. وقوله:

﴿٤٧﴾ ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ في الدنيا أَنَّهُ نَازِلٌ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ.
 وقوله:

﴿٤٩﴾ ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ أُعْطِيَتْهُ عَلَى شَرَفٍ وَفَضْلٍ، وَكَنتُ عَلِمْتُ أَنِّي سَأَعْطِي هَذَا

بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يِعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

باستحقاقه ﴿بل هي فتنة﴾ أي: تلك العطية فتنة من الله تعالى يبتلي به العبد ليشكر أو يكفر.

﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ يعني: قارون حين قال: ﴿إنما أوتيته على علمٍ عندي﴾^(١).

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ بارتكاب الكبائر والفواحش. نزلت^(٢) في قوم من أهل مكة هتؤا بالإسلام، ثم قالوا: إن محمداً يقول: إن من عبد الأوثان، واتخذ مع الله آلهة، وقتل النفس لا يغفر له، وقد فعلنا كل هذا، فأعلم الله تعالى أن من تاب وآمن غفر الله له كل ذنب، فقال: ﴿لا تقنطوا من رحمة الله... الآية﴾.

﴿وأنبيوا إلى ربكم﴾ أي: ارجعوا إليه بالطاعة ﴿وأسلموا﴾ وأطيعوا ﴿له﴾.

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم﴾ أي: القرآن، كقوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾. وقوله:

(١) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٢) وهذا قول ابن عباس، أخرجه ابن جرير ١٤/٢٤، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٢٧.

أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّكَ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَ تَكَءَايُنِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَكَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ

﴿٥٦﴾ ﴿أن تقول نفس يا حسرتي﴾ أي: افعلوا ما أمرتكم به من الإنابة واتباع القرآن خوف أن تصيروا إلى حالة تقولون فيها هذا القول. وقوله: ﴿على ما فرطت في جنب الله﴾ أي: قصرت في طاعة الله، وسلوك طريقه ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ أي: ما كنت إلا من المستهزئين بدين الله تعالى وكتابه.

﴿٦١﴾ ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ بمنجاتهم من العذاب، والمفازة ها هنا بمعنى الفوز. وقوله:

﴿٦٢﴾ ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾ أي: مفاتيح خزائنها، فكل شيء في السموات والأرض؛ الله فاتح بابه.

﴿٦٣﴾ ﴿قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ هذا جواب الذين دعوه إلى دين آبائهم. وقوله:

﴿٦٤﴾ ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة﴾ أي: ملكه من غير منازع، كما يقال: هو في

وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾

قبضة فلان: إذا ملك التصرف فيه وإن لم يقبض عليه بيده^(١)، ﴿والسموات مطويات﴾ كقوله: ﴿يوم نطوي السماء﴾^(٢) ﴿بيمينه﴾ أي: بقوة. وقيل: بقسمه؛ لأنه حلف أنه يطويها.

﴿ونفخ في الصور فصعق﴾ أي: مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ قيل: هم الشهداء، وهم أحياء عند ربهم. وقيل^(٣): جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش عليهم السلام. ﴿ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون﴾ ينتظرون أمر الله فيهم.

(١) عن عبد الله بن مسعود قال: جاء خبرٌ من الأخبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إننا نجدُ أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلاق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: ﴿وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٥٥١/٨؛ ومسلم في صفة القيامة برقم ٢٧٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٢٣٦/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٣٩. ونجد المؤلف قد مال إلى تأويل النص على خلاف ظاهره، والتسليم أسلم.

(٢) الآية: ﴿يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٤].

(٣) عن أنس بن مالك قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ونفخ في الصور فصعق مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ فقيل: مَنْ هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله؟ قال: جبريل وميكائيل وملك الموت... الحديث. أخرجه ابن جرير ٢٩/٢٤؛ وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف والفضل بن عيسى منكر الحديث. تقريب التهذيب ص ٤٤٦.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَتْ بِالتِّيْنِ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا فُتِنْتُمْ مَوَى الْأَمْتَكِرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوُوبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ ۖ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقْنَا وَعَدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِن الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٦٩﴾ ﴿وأشرفت الأرض﴾ ألبست الإشراق عَرَصَاتُ القيامة ﴿بنور ربها﴾ وهو نورٌ يخلقه الله في القيامة يلبسه وجه الأرض. ﴿ووضع الكتاب﴾ أي: الكتب التي فيها أعمال بني آدم ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ الذين يشهدون للرُّسل بالتبليغ. ﴿٧٠﴾ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ جماعاتٍ وأفواجاً. وقوله: ﴿٧١﴾ ﴿طبتم﴾ أي: كنتم طيبين في الدنيا. وقوله: ﴿٧٢﴾ ﴿وأورثنا الأرض﴾ أي: أرض الجنة ﴿نتبوا من الجنة﴾ نتخذ منها منازل ﴿حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ ثواب المطيعين. ﴿٧٣﴾ ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش﴾ محيطين به ﴿وقضي بينهم﴾ أي: حكم بين أهل الجنة والنار. ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.

سُورَةُ الطَّوْلِ (المؤمن، وسورة الغافر) ^(١)

[مكية وهي ثمانون آية] ^(٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴿٤﴾ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرُسُولِهِمْ أَنْ تَخُذُوهُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

- ﴿١﴾ ﴿حَمْدٌ﴾ قُضِيَ مَا هُوَ كَاتِنٌ.
- ﴿٢﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ ابْتِدَاءٌ، وَخَبْرُهُ: ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.
- ﴿٣﴾ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ لِمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ مِمَّنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ لِمَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الْغِنَى وَالسَّعَةِ.
- ﴿٤﴾ ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أَيُّ: فِي دَفْعِهَا وَإِبْطَالِهَا. ﴿فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلِبُهُمْ﴾ تَصَرُّفُهُمْ ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ لِلتَّجَارَاتِ، أَيُّ: سَلَامَتُهُمْ بَعْدَ كُفْرِهِمْ حَتَّى إِنَّهُمْ يَتَصَرَّفُونَ حَيْثُ شَاءُوا؛ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ كَعَاقِبَةِ مَنْ قَبْلَهُمْ مِنَ الْكَفَّارِ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
- ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أَيُّ: الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ

وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ

بالمخالفة والعداوة كعادِ وثمود ﴿وهَمَّتْ كُلُّ أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أي: قصدت كلُّ أمة رسولها ليتمكَّنوا منه فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ بباطلهم ﴿ليدحضوا﴾ ليدفعوا ﴿به الحق فأخذتهم﴾ فعاقبتهم ﴿فكيف كان عقاب﴾ استفهام تقرير.

﴿وكذلك﴾ ومثل ما ذكرنا ﴿حقَّتْ كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ ^(١) يعني: قوله: ﴿لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك...﴾ ^(١) الآية. ثم أخبر بفضل المؤمنين وأنَّ الملائكة يستغفرون لهم فقال:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ من الملائكة، وقوله: ﴿ربنا وسعت كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً﴾ أي: وسعت رحمتك كلَّ شيء، وعلمت كلَّ شيء.

﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النَّار وقد مقتوا أنفسهم حين وقعوا في العذاب: ﴿لمقت الله﴾ إياكم في الدُّنيا إذ تُدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبرُ من مقتكم أنفسكم.

﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وذلك أنهم كانوا أمواتاً نُطفأ، فأحيوا ثمَّ

وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
 اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ
 ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّن السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ
 مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مَن
 أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِّن عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَن
 الْمُلْكُ الْيَوْمَ

أُمتوا في الدنيا، ثم أحيوا للبعث ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أي: أريتنا من الآيات
 ما أوجب علينا الإقرار بذنوبنا ﴿فهل إلى خروج﴾ من الدنيا ﴿من سبيل﴾؟ فقل
 لهم:

﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ [نكرتم وحدانيته] ^(١) ﴿وإن
 يشرك به تؤمنوا﴾ تُصدّقوا ذلك الشُّرك ﴿فالحكم لله﴾ في إنزال العذاب بكم
 لا يمنعه عن ذلك مانع.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ بالمطر
 ﴿وما يتذكر﴾ وما يتعظ بآيات الله ﴿إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ يرجع إلى الله بالإيمان.

﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ الطاعة.

﴿رفيع الدرجات﴾ رافعها لأهل الثَّواب في الجنَّة ﴿ذو العرش﴾ مالكة وخالقه
 ﴿يلقي الروح﴾ الوحي الذي تحيا به القلوب من موت الكفر ﴿من أمره﴾ من قوله
 ﴿على مَن يشاء من عباده﴾ على مَن يختصه بالرُّسالة ﴿لينذر يوم التلاق﴾ ليخوِّف
 الخلق يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السَّماء، أي: يوم القيامة.

﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ﴿لا يخفى على الله﴾ من أعمالهم
 وأموالهم ﴿شيء﴾ يقول الله في ذلك اليوم: ﴿لمن الملك اليوم﴾ ثمَّ يجيب نفسه

لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمٍ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
 وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ
 فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا
 وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا
 جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا
 كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

﴿ الله الواحد القهار ﴾ .

﴿١٨﴾ ﴿وأنذرهم يوم الآزفة﴾ خوفهم بيوم القيامة، والآزفة: القربة. ﴿إذ القلوب لدى
 الحناجر﴾ وذلك أَنَّ القلوب ترتفع من الفزع إلى الحناجر ﴿كاظمين﴾ ممثلين غمًا
 وخوفًا وحزنًا ﴿ما للظالمين﴾ أي: الكافرين ﴿من حميم﴾ قريب ﴿ولا شفيع
 يطاع﴾ فيشفع فيهم.

﴿١٩﴾ ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ خيانة الأعين، وهي مسارقتها النَّظَرُ إلى ما لا يحلُّ.

﴿٢٣﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا﴾ بعلاماتنا التي تدلُّ على صحة نبوته ﴿وسلطان مبین﴾
 أي: حجة ظاهرة.

﴿٢٥﴾ ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾ وذلك أَنَّ فرعون
 أمر بإعادة القتل على الذكور من أولاد بني إسرائيل لما آتاه موسى عليه السلام؛
 ليصدِّهم بذلك عن متابعة موسى. ﴿وما كيد الكافرين﴾ مكر فرعون وسوء صنيعة
 ﴿إلا في ضلال﴾ زوال وبطلان وذهاب.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَقَوْمُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَقَوْمُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾

﴿٢٦﴾ وقال فرعون: ﴿ذروني أقتل موسى وليدع ربه﴾ الذي أرسله إلينا، فيمنعه ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾ الذي أنتم عليه ويبطله ﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ أو يفسد عليكم دينكم إن لم يبطله، فلما توعدّه بالقتل قال موسى:

﴿٢٧﴾ ﴿إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾. وقوله:

﴿٢٨﴾ ﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾ قيل: كل الذي يعدكم.

﴿٢٩﴾ ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾ هذا من قول مؤمن آل فرعون؛ أعلمهم أن لهم الملك ظاهرين عالين على بني إسرائيل في أرض مصر، ثم أعلمهم أن عذاب الله لا يدفعه دافع فقال: ﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾ أي: من يمنعنا من عذابه ﴿إن جاءنا﴾؟ ف ﴿قال فرعون﴾ حين منع من قتله: ﴿ما أريكم﴾ من الرأي والنصيحة ﴿إلا ما أرى﴾ لنفسي.

﴿٣٠﴾ وقال الذي آمن: يعني: مؤمن آل فرعون: ﴿يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾ ثم فسّر ذلك فقال:

﴿٣١﴾ ﴿مثل داب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ خوفهم إن أقاموا على كفرهم مثل حال هؤلاء حين عذبوا، ثم خوفهم بيوم القيامة، وهو قوله:

وَيَقَوْمٌ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَلَدَيْنِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كِبَرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُنِ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ

﴿٣٢﴾ ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ وذلك أنه يكثر النداء في ذلك اليوم، يُنادى بالسعادة والشقاوة، ويُنادى فيُدعى كل أناسٍ بإمامهم.

﴿٣٣﴾ ﴿يوم تولون مدبرين﴾ مُنصرفين عن موقف الحساب إلى النَّار ﴿ما لكم من الله﴾ [من عذاب الله] ^(١) ﴿من عاصم﴾ مانع يمنعكم من عذاب الله.

﴿٣٤﴾ ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أي: من قبل موسى ﴿بالبينات﴾ بالآيات المعجزات ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الضلال ﴿يضل الله من هو مسرف﴾ مشرك ﴿مرتاب﴾ شاك فيما أتى به الأنبياء.

﴿٣٥﴾ ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ أي: في إبطالها ودفعها ﴿بغير سلطان﴾ أي: حجة أتاهاهم كبر ﴿ذلك الجدل﴾ مقْتًا بغضاً.

﴿٣٦﴾ ﴿وقال فرعون: يا هامان ابن لي صرحاً﴾ قصراً طويلاً ﴿لعلني أبلغ الأسباب﴾ أبواب السموات وأطرافها التي تُوصلني إليها.

﴿٣٧﴾ ﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ في ادّعائه إلهاً دوني. ﴿وكذلك﴾ مثل ما وصفنا ﴿زين

لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي
 ءَامَنَ يَنْقُومُ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقُومُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ
 صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ
 حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَنْقُومُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي
 لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ
 أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَّ الْمُتَسْرِفِينَ
 هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
 بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِثَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾
 النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
 الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل ﴿٣٧﴾ وما كيد فرعون إلا في تباب ﴿٣٨﴾ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴿٣٩﴾ من قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴿٣٨﴾ طريق
 تباب ﴿٣٨﴾ خسار. يريد: أنه خسر كيده ولم ينفعه ذلك.

﴿٣٨﴾ وقال الذي آمن ﴿٣٨﴾ من قوم فرعون: ﴿٣٨﴾ يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد ﴿٣٨﴾ طريق
 الصواب.

﴿٣٩﴾ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع ﴿٣٩﴾ متعة يتنفعون بها مدة ولا تبقى. وقوله:

﴿٤٢﴾ وأشرك به ما ليس لي به علم ﴿٤٢﴾ أي: أشرك بالله شيئاً لا علم لي به أنه شريك له.

﴿٤٣﴾ لا جرم ﴿٤٣﴾ حقاً ﴿٤٣﴾ أن ما تدعونني إليه ليس له دعوة ﴿٤٣﴾ إجابة دعوة، أي: لا يستجيب
 لأحد ﴿٤٣﴾ في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردننا ﴿٤٣﴾ مرجعنا ﴿٤٣﴾ إلى الله.

﴿٤٤﴾ فستذكرون ﴿٤٤﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿٤٤﴾ ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ﴿٤٤﴾ وذلك
 أنهم توعّدوه لمخالفته دينهم.

﴿٤٦﴾ النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا ﴿٤٦﴾ وذلك أنهم يعرضون على النار صباحاً

وَإِذْ يَتَحَاجُّوكَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا
 فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا
 إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ
 يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ
 قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ
 سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
 وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ
 بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ
 سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ

ومساءً، ويقال لهم: هذه منازلكم إذا بعثتم.

﴿٤٧﴾ وقال الذين في النار لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب.

﴿٤٨﴾ ﴿٤٩﴾ ﴿٥٠﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٥٣﴾ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ ﴿٦١﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿٧٠﴾ ﴿٧١﴾ ﴿٧٢﴾ ﴿٧٣﴾ ﴿٧٤﴾ ﴿٧٥﴾ ﴿٧٦﴾ ﴿٧٧﴾ ﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿٨١﴾ ﴿٨٢﴾ ﴿٨٣﴾ ﴿٨٤﴾ ﴿٨٥﴾ ﴿٨٦﴾ ﴿٨٧﴾ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ ﴿٩٠﴾ ﴿٩١﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿٩٣﴾ ﴿٩٤﴾ ﴿٩٥﴾ ﴿٩٦﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ ﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾

فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرَأْبٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوْنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُوَفِّي مِنْ قَبْلُ

عليه السلام، وما هم ببالغي ذلك ﴿فاستعذ بالله﴾ أي: فامتنع بالله من شرهم.

﴿٥٧﴾ ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أي: أعظم في القدرة من إعادة الناس للبعث.

﴿٦٠﴾ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ اعبدوني أثبكم وأغفر لكم، وقوله: ﴿داخرين﴾ أي: صاغرین. وقوله:

﴿٦٣﴾ ﴿كذلك يؤفك﴾ أي: كما صُرفتم عن الحق مع قيام الدلائل يُصرف عن الحق ﴿الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾. وقوله:

وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى ﴿٧٧﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٨﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٧٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ ﴿٨٠﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٨٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٨٥﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٨٦﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٨٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتُوفِيقَنَّكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٨٨﴾

﴿٧٧﴾ وَلْيَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى ﴿٧٧﴾ أَي: وقتاً محدوداً لا تجاوزونه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ولكي تعقلوا أَنَّ الذي فعل ذلك لا إله غيره.

﴿٧٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ ﴿٧٩﴾ أَي: في دفعها وإبطالها ﴿أَنَّهُمْ يُصْرَفُونَ﴾ عن الحق. وقوله:

﴿٨١﴾ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٨١﴾ يُجْرُونَ.

﴿٨٢﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٨٢﴾ يُصَيَّرُونَ وقوداً للنَّار.

﴿٨٣﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ.

﴿٨٤﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٨٤﴾ أَي: الأصنام. ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَبَطَلُوا﴾ فلا نراهم ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾ أَي: ضاعت عبادتنا، فلم تكن تصنع شيئاً ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أضلَّهُم ﴿يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

﴿٨٥﴾ ذَلِكَ ﴿٨٥﴾ الْعَذَابُ الَّذِي نَزَلَ بِكُمْ ﴿بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بِالْبَاطِلِ وَتَبْطَرُونَ.

﴿٨٨﴾ فَإِنَّمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ﴿٨٨﴾ مِنَ الْعَذَابِ فِي حَيَاتِكَ ﴿أَوْ نَتُوفِيقَنَّكَ﴾ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِهِمْ ذَلِكَ ﴿فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾. وقوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُودْرِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُزَيِّدُكُمْ ءَايَتِهِ فَإِنِ ءَايَتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۚ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بعذاب الأمم المُكَذِّبَةِ ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾
 أَي: تَبَيَّنَ خَسِرَانَ أَصْحَابِ الْبَاطِلِ. فَقَوْلُهُ:

﴿ولكم فيها منافع﴾ من الصُّوف والوبر، والدَّرَّ والنَّسْل ﴿وتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ من حمل أنقالكم إلى البلاد. وقوله:

﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم﴾ رضوا بما عندهم من العلم، وقالوا: نحن أعلم منهم لن نُبعث ولن نَعَذَّب. وقوله:

﴿سنة الله﴾ أي: سنَّ الله هذه السُّنَّةَ في الأمم كُلِّها أن لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ تبيَّن لهم الخسران.

سُورَةُ حَمِّ السَّجْدَةِ
[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ خَمْسُونَ وَآيَاتَانِ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ آيَاتَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾
بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ
وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ حَمْدٌ.

﴿٢﴾ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿ابتداءً وخبره [قوله] ^(٢)﴾:

﴿٣﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ آيَاتَهُ ﴿يُنَيَّتُ. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ لَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِمَّنْ يَعْلَمُ الْعَرَبِيَّةَ.

﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴿أَغْطِيَةٍ. ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴿صَمَمٌ، أَيْ: نَحْنُ فِي تَرْكِ
الْقَبُولِ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا يَفْقَهُ وَلَا يَسْمَعُ. ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ خِلَافٌ فِي

(١) ما بين [] من ظا، وفي ظا: [خمسون آية]. قلت: وهي في المصحف ٥٤ آية، وهو يوافق عدد الكوفيين. قال البقاعي في مصاعد النظر ٤٤٢/٢: وآيها خمسون وآيتان في البصري والشامي، وثلاث في المدنيين والمكي، وأربع في الكوفي.

(٢) زيادة ليست في الأصل.

فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا
إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ۖ وَيُلِّ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ قُلْ إِنِّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ۖ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَالْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

الَّذِينَ فلا نجتمع معك ولا نوافقك ﴿فاعمل﴾ على دينك فـ ﴿إننا عاملون﴾ على
ديننا. وقوله:

﴿فاستقيموا إليه﴾ وجَّهوا إليه وجوهكم بالطاعة. ﴿وويل للمشركين﴾. ﴿٥﴾

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ لا يؤمنون بوجوبها فلا يؤدونها. ﴿٧﴾

﴿قل إنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ الأحد والإثنين. ﴿٩﴾

﴿وبارك فيها﴾ بما خلق فيها من المنافع ﴿وقدَّر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها وما
يصلح لمعاشهم من البحار والأنهار، والأشجار والدَّوَابِّ ﴿في أربعة أيام﴾ في
تمة أربعة أَيَّام وهو يوم الثلاثاء والأربعاء، فصارت الجملة أربعة أَيَّام خلق الله
الأرض وما فيها من سبب الأقوات والمنافع والتجارات، فتَمَّ أمرها في أربعة أَيَّام
﴿سواء﴾ أي: استوت استواء، وسواء ﴿للسائلين﴾ عن ذلك، أي: لمن سأل في
كم خلقت السَّمَوَات والأرض؟ فيقال: في أربعة أيام.

﴿ثم استوى﴾ قصد وعمد ﴿إلى﴾ خلق ﴿السَّماء وهي دخان﴾ بخارٌ مرتفعٌ عن
الماء ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ بما خلقت فيكما من المنافع،
وأَخْرِجَها لِمَنَافِعِ خَلْقِي. قال للسَّمَوَات: أطلعي شمسيك وقمرَك ونجومك، وقال
للأرض: أخرجي ماءك وثمارك طائعةً أَوْ كَارِهَةً، ففعلتا ما أمرهما طَوْعاً، وهو

قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَيْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ
الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ
صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا
لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَأِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ
الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَنْذِرَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ

قوله ^(١): ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

﴿١٢﴾ ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ صنعهنَّ وأحكمهنَّ ﴿سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ أوحى في أهل كل سماء بما أراد من الأمر والنهي. وقوله: ﴿وَحِفْظًا﴾ أي: حفظناها من استماع الشياطين بالكواكب حفظًا.

﴿١٣﴾ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ﴾ خَوَّفْتُكُمْ ﴿صَاعِقَةً﴾ مهلكة تنزل بكم كما نزلت بمن قبلكم ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أتت الرُّسُلُ إِيَّاهُمْ وَمَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ ومن بعد الرُّسُل الذين أُرْسِلُوا إِلَى آبَائِهِمْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ أَنْفُسَهُمْ. وقوله:

﴿١٦﴾ ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: لها صوتٌ شديدٌ ﴿فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ﴾ مشؤوماتٍ عليهم. وقوله:

﴿١٧﴾ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ﴾ دعوناهم ودللناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٩٨/٢٤ وفيه سليمان بن موسى، صدوقٌ فقيه، وفي حديثه بعض لين، وخولط قبل موته بقليل. تقريب التهذيب ص ٢٥٥.

فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ شَهِدْهُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقْنَا اللَّهَ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعِيبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فأخذتهم صاعقة﴾ مهلكة ﴿العذاب﴾ ذي ﴿الهون﴾ وهو الهوان، أي: العذاب الذي يهينهم. وقوله:

﴿وهو خلقكم أول مرة﴾ ابتداء إخبار عن الله تعالى، وليس من كلام الجلود. ﴿٢١﴾

﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم﴾ [أي من أن يشهد عليكم سمعكم] أي: لم تكونوا تخافون أن يشهد عليكم جوارحكم، فتستتروا منها ﴿ولكن ظننتم أن الله﴾ أي: ظننتم أن ما تخفون ﴿لا يعلم﴾ الله ذلك ولا يطلع عليه، وذلك الظن منكم بربكم. ﴿٢٢﴾

﴿أرداكم﴾ أهلككم. ﴿٢٣﴾

﴿فإن يصبروا﴾ في جهنم ﴿فالنار مثوى لهم﴾ أي: مقامهم لا يخرجون منها ﴿وإن يستعيبوا﴾ يطلبوا الصلح ﴿فما هم من المعتبين﴾ أي: ممن يصلح ويرضى. ﴿٢٤﴾

﴿وقيضنا لهم﴾ أي: سببنا لهم ﴿قرناء﴾ من الشياطين ﴿فزينوا لهم ما بين أيديهم﴾ من أمر الدنيا حتى آثروه ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة، فدعوههم إلى التكذيب

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴿٢٥﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ
 الْمُخْلَدِ جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ
 وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُم تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ
 اسْتَفْتَمُوا نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ
 تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
 أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾

به، وأن لا جنة ولا نار، ولا بعث ولا حساب. ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ﴾ مع
 أمم بالخسران والهلاك. وقوله:

﴿وَالْغَوْا فِيهِ﴾ أي: عارضوه بكلام لا يفهم من المكاء، والصَّفير، وباطل الكلام
 ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ﴾ على قراءته فيترك القراءة. وقوله:

﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ يعنون: إبليس وقابيل؛ لأنَّهما أوَّل
 مَنْ سَنَّ الضَّلَالَةَ ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا﴾ في الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ أي: وَحْدَهُ ﴿ثُمَّ اسْتَفْتَمُوا﴾ على التَّوْحِيدِ، فلم يشركوا
 به شيئاً ﴿نَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ذُنُوبَكُمْ ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾
 عليها؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُهَا لَكُمْ.

﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: أَنْصَارُكُمْ وَأَحْبَاؤُكُمْ، وهم
 قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدُّنْيَا مِنَ الْحَفَظَةِ، يقولون لهم: لن نُفَارِقَكُمْ [في
 القيامة] ^(١) حتى ندخلكم الجنة. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ تَمْتَنُونَ وتَسْأَلُونَ.

نَزَّلَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٦﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ ﴿نَزَّلَا﴾ أي: جعل الله ذلك رزقاً لهم مهيناً.

﴿٣٢﴾ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية. قيل: هو رسول الله ﷺ؛ لأنه دعا إلى توحيد الله. وقيل: إنها نزلت في المؤذنين.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ «لا» زائدة. ﴿ادْفَعْ﴾ السَّيِّئَةُ ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب يُدْفَعُ بالصَّبْرِ، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ يصير لك كأنه صديق قريب إذا فعلت ذلك.

﴿٣٤﴾ ﴿وَمَا يُلْقِيهَا﴾ أي: ما يُلقَى هذه الخصلة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ بكظم الغيظ واحتمال الأذى ﴿وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ وهو الجنة.

﴿٣٥﴾ ﴿وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن صرفك عن الاحتمال نَزْغُ الشَّيْطَانِ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من شره وامض على حلمك.

﴿٣٦﴾ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ علاماته التي تدلُّ على أنه واحد ﴿اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ...﴾ الآية.

﴿٣٧﴾ ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا﴾ أي: الكفار. يقول: إن استكبروا عن السُّجود لله ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ وهم الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾ يُصَلُّونَ لَهُ ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يملُّون.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآيَاتِ الْكُبْرَىٰ ۖ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بِنُورٍ أَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَنُفٌ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤١﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ

﴿٣٩﴾ ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة﴾ مُغْبَرَّة لَا نبات فيها ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت﴾ تحرَّكت بالنبات ﴿وربت﴾ انتفخت وعلت، ثُمَّ تصدَّعت عن النبات.

﴿٤٠﴾ ﴿إنَّ الذين يلحدون في آياتنا﴾ يجعلون الكلام فيها على غير جهته، بأن ينسبوها إلى الكذب والسَّحر ﴿لا يخفون علينا﴾ بل نعلمهم ونجازيهم بذلك.

﴿٤١﴾ ﴿إنَّ الذين كفروا بالذكر﴾ أي: بالقرآن ﴿لما جاءهم وإنَّه لكتاب عزيز﴾ منيعٌ من الشَّيْطَانِ والباطل.

﴿٤٢﴾ ﴿لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي: الكتب التي تقدَّمت لا تبطله، ولا يأتي كتابٌ بعده يبطله. وقيل: إنَّه محفوظٌ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه.

﴿٤٣﴾ ﴿ما يقال لك إلَّا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ أي: إن كَذَبَكَ قومك فقد كَذَّبَ الذين من قبلك.

﴿٤٤﴾ ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًّا﴾ لا بلسان العرب ﴿لقالوا: لولا فصلت﴾ بَيَّنَّت ﴿آياته﴾ بلغتنا حتَّى نعرفها ﴿أعجمي وعربي﴾ أي: القرآن أعجميٌّ، ونبيٌّ عربيٌّ ﴿قل هو﴾ أي: القرآن ﴿للذين آمنوا هدى﴾ من الضَّلَالَةِ ﴿وشفاء﴾ من الجهل ﴿والذين لا يؤمنون﴾ في ترك قبوله بمنزلة مَنْ ﴿في آذانهم وقْرٌ وهو﴾ أي: القرآن ﴿عليهم﴾

عَمَىٰ أُولَٰئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ
ثَمَرٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِيَ قَالُوا
ءَاذَنَّاكَ مَا مَنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ ﴿٤٨﴾
لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾

ذو ﴿عمى﴾ لأنهم لا يفقهونه ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أي: كأنهم لقلة
استماعهم وانتفاعهم يُنادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعون له بعد
المسافة.

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ بالتكذيب والتّصديق، والإيمان به والكفر
كما فعل قومك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عن قومك ﴿لقضي
بينهم﴾ لفرغ من هلاكهم ﴿وإنهم لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريب﴾.

الجزء الخامس والعشرون:

﴿إليه يرّد علم الساعة﴾ لأنّه لا يعلمه غيره ﴿وما تخرج من ثمرة﴾^(١) من أكمامها
أوعيتها ﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ الذين كنتم تزعمون ﴿قالوا أذنّاك﴾ أعلمناك
﴿ما منا من شهيد﴾ شاهد أنّ لك شريكاً، لمّا عاينوا القيامة تبرّؤوا من معبوديهم.

﴿وضلّ عنهم﴾ زال وبطل ﴿ما كانوا يدعون من قبل﴾ [يثقون به]^(٢) ويعبدونه قبل
يوم القيامة ﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من مهرب.

﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ لا يملّ الكافر من الدّعاء بالصّحة والمال ﴿وإن
مسّه الشرُّ﴾ الفقر والضرُّ ﴿فيؤوس﴾ من روح الله ﴿قنوط﴾ من رحمته. وقوله:

(١) قرأ «ثمرة»: ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف.

(٢) زيادة من الأصل.

وَلَيْنَ أَذْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَّتَهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْبُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾

﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ أي: هذا واجبٌ لي بعملِي استحقاقته ﴿وما أظنُّ الساعة قائمة ولننرجع إلى ربي إنَّ لي عنده للحسنَى﴾ أي: لست أوقن بالبعث وقيام الساعة، فإن كان الأمر على ذلك إنَّ لي عنده لثواباً.

﴿وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ...﴾ الآية. يقول: إذا كان الكافر في نعمةٍ تباعد عن ذكر الله، وإذا مسَّته الحاجة أكثر الدعاء.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به من أضلُّ﴾ منكم، لأنَّهم في ﴿شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ أي: في خلافٍ بعيدٍ عن الحقِّ بكفرهم بالقرآن.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ﴾ ما يفتح على مُحَمَّدٍ ﷺ من القرى ﴿وفي أنفسهم﴾ فتح مكة ﴿حتى يتبين لهم﴾ أنَّ القرآن حقٌّ وصدقٌ منزلٌ من عند الله تعالى. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وهو يشهد لمحمد عليه السَّلام وكتاباه بالصدق.

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ﴾ شكٌّ ﴿من لقاء ربهم﴾ من البعث والمصير إليه ﴿أَلَّا يَنْبُ بِكُلِّ شَيْءٍ مَُّحِيطٌ﴾ عالمٌ.

سُورَةُ حَمَّ عَسَقِ الشُّورَى

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ وَثَلَاثَ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ١ عَسَقَ ٢ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٤ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

١ ﴿حم﴾ ح: حكم ^(٢) الله، م: مجده.

٢ ﴿عسق﴾ ع: علمه، س: سناؤه، ق: قدرته. أقسم الله تعالى بها.

٣ ﴿كذلك يوحى إليك﴾ ما من نبيٍّ صاحب كتابٍ إلا وقد أوحى الله إليه: حم عسق، فهو معنى قوله: ﴿كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك﴾.

٤ ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ تَكَادُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا تَتَفَطَّرُ فَوْقَ الَّتِي تَلِيهَا مِنْ قَوْلِ الْمُشْرِكِينَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُنْزَهُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَنِ السُّوءِ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ اللَّهُ ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ.

(١) زيادة من ظا، وهذا يوافق ما في المصحف، وفي ظ: خمسون آية، وهو يوافق الجميع عدا الكوفي في العدد.

(٢) في عا: حلم الله.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مِنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

﴿٦﴾ والذين اتخذوا من دونه أولياء ﴿أي: آلهة﴾. ﴿الله حفيظ عليهم﴾ يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾ لم تُوكَل عليهم، وما عليك إلا البلاغ.

﴿٧﴾ وكذلك ﴿وهكذا﴾ ﴿أوحينا إليك قرآنًا عربيًا﴾ بلفظ العرب ﴿لتنذر أُمَّ الْقُرَى﴾ أهل مكة ﴿ومَنْ حَوْلَهَا﴾ سائر النَّاسِ ﴿وتنذر يوم الجمعة﴾ تخوِّفهم بيوم القيامة الذي يجمع فيه الخلق ﴿لا ريب فيه﴾ كما يرتاب الكافرون. ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ إخبارٌ عن اختلاف حال النَّاسِ في ذلك اليوم.

﴿٨﴾ ﴿ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة﴾ لجعل الفريقين فريقاً واحداً ﴿ولكن يدخل مَنْ يشاء في رحمته﴾ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِنَّمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ يَشَاءُ، فهو فضلٌ منه ﴿والظالمون﴾ والكافرون ﴿ما لهم من وليٍّ ولا نصير﴾ ناصرٍ يمنعهم من العذاب.

﴿٩﴾ ﴿أم اتخذوا﴾ بل اتَّخَذُوا ﴿من دونه أولياء﴾ فاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ ﴿لا ما اتَّخَذُوهُ مِنْ دُونِهِ﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وما اختلفتم فيه من شيء﴾ من أمر الدِّينِ ﴿فحكمه إلى الله﴾ لا إليكم، وقد حكم أَنَّ الدِّينَ هُوَ الْإِسْلَامُ لا غيره. وقوله:

﴿١١﴾ ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ حلائل ﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ أي: خلق الذَّكَرَ والأنثى ﴿يذروكم فيه﴾ أي: يُكثِّرُكم بجعله لكم حلائل؛ لأنَّهنَّ سبب النَّسْلِ، و«فيه» بمعنى «به» ﴿ليس كمثله شيء﴾ الكافُ زائدة، أي: ليس مثله شيء.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقِمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا نَنْبِعُ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾

﴿شرح لكم﴾ بَيَّنَّ وأظهر لكم ﴿من الدين ما وصَّى به﴾ أمر ﴿نوحاً﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ ذلك فقال: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ والله يبعث الأنبياء كلَّهم بإقامة الدِّين وترك الفرقة. ﴿كبر﴾ عَظُمَ وشَقَّ ﴿على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ من التَّوْحِيد وترك الأوثان. ﴿الله يجتبي إليه مَنْ يشاء﴾ يصطفي مَنْ يشاء لدينه، فيهديه إليه.

﴿وما تفرَّقوا إِلَّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾ ما تفرَّق أهل الكتاب إِلَّا عن علم بأنَّ الفرقة ضلالةٌ، ولكنَّهم فعلوا ذلك للبغي ﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾ في تأخيرهم إلى السَّاعة ﴿لقضي بينهم﴾ لجوزوا بأعمالهم ﴿وإنَّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾ يعني: هذه الأُمَّة، أعطوا الكتاب من بعد اليهود والنَّصارى ﴿لفي شك منه مريب﴾ يعني: كفَّار هذه الأُمَّة ومشركيها.

﴿فلذلك قَادَعُ﴾ أي: إلى ذلك. يعني: إلى إقامة الدِّين قَادَعُ النَّاسِ ﴿واستقم كما أمرت﴾ اثبت على الدِّين الذي أُمِرْتُ به ﴿وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب﴾ أي: بجميع كتب الله المنزلة ﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾ لَأَسْوِي بينكم في الإيمان بكتبكم. وقيل: لأعدل بينكم في القضية. وقوله: ﴿لا حجة﴾ أي: لا خصومة ﴿بيننا وبينكم﴾ وهذا منسوخٌ بآية القتال^(١).

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٥٣ وقال: هذا مخاطبةٌ لليهود. وفي =

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُمْ جَحَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾

﴿١٦﴾ والذين يحاجون في الله ﴿يُخاصمون في دين الله نبيّه عليه السّلام﴾ من بعد ما استجيب له ﴿أُجيبُ النبيُّ عليه السّلام إلى الدّين، فأسلموا ودخلوا في دينه﴾ جحّتهم داحضة عند ربهم ﴿أي: باطلة زائلة؛ لأنّهم يخاصمون صادقاً في خبره قد ظهرت معجزته.

﴿١٧﴾ الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان ﴿أي: العدل، والمعنى: إنّ الله تعالى أمر أن يقتدى بكتابه في أوامره ونواهيه، وأن يعامل بالنّصفة والسّوية، وآلة ذلك الميزان، ثم قال: ﴿وما يدريك لعلّ الساعة قريب﴾ أي: فاعمل بالعدل والكتاب، فعمل السّاعة قد قربت منك وأنت لا تدري.

﴿١٨﴾ يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها ﴿ظنّاً منهم أنّها غير كائنة، والذين آمنوا مشفقون﴾ خائفون منها، لأنّهم يعلمون أنّهم مبعوثون ومحاسبون. ﴿ألا إنّ الذين يمارون﴾ تدخلهم المربة والشك ﴿في الساعة لفي ضلال بعيد﴾ لأنّهم لو فكّروا لعلموا أنّ الذي أنشأهم أولاً قادرٌ على إعادتهم.

﴿١٩﴾ الله لطيف بعباده ﴿حفيّ بارٌّ بهم، برّهم وفاجرهم حيث لم يقتلهم جوعاً بمعاصيهم.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ

﴿٢٠﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ ﴿من أراد بعمله الآخرة﴾ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أي: كسبه بالتضعيف بالواحدة عشراً. ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا﴾ بعمله الدُّنْيَا ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ أي: مَنْ أَثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ نَصِيباً فِي الْآخِرَةِ.

﴿٢١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ ﴿بل أَلَهُمْ﴾ ﴿شُرَكَاءُ﴾ آلِهَةٌ ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: الْقَدَرُ السَّابِقُ بِأَنَّ الْقَضَاءَ وَالْجَزَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا.

﴿٢٢﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ ﴿المشركين يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خَائِفِينَ ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي: مِنْ جَزَائِهِ ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ لَا مُحَالَةَ. وَقَوْلُهُ:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أي: عَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ أي: إِلَّا أَنْ تَحْفَظُوا قُرَابَتِي وَتُؤَدُّونِي، وَتَصَلُّوا رَحْمِي، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ حَيٌّ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا وَلِلنَّبِيِّ ﷺ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: إِذَا لَمْ تُؤْمِنُوا بِي فَاحْفَظُوا قُرَابَتِي وَلَا تُؤَدُّونِي^(١). وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: إِلَّا أَنْ تَتَوَدَّدُوا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا يُقَرِّبُكُمْ

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ سَثَلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: قُرْبَى آلِ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَجَلْتُ، إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَكُنْ بَطْنٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا كَانَ لَهُ فِيهِمْ قَرَابَةٌ، فَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَصَلُّوا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنَ الْقَرَابَةِ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ٨/ ٨٦٤، وَالنَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٢/ ٢٦٦، وَالتِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْم ٣٢٥١.

وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

منه، وقوله: ﴿إِلَّا المودة﴾ استثناء ليس من الأول. ﴿ومن يقترف﴾ يعمل ﴿حسنة نزذ له فيها حسناً﴾ نضاعفها له.

﴿٢٤﴾ ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون، يعني: أهل مكة ﴿افتري على الله كذباً﴾ تقول القرآن من قبل نفسه ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ يربط على قلبك بالصبر على أذاهم، ثم ابتداء فقال ﴿ويمحو الله الباطل﴾ أي: الشرك ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ بما أنزله من كتابه على لسان نبيه عليه السلام [وهو القرآن] (١).

﴿٢٥﴾ ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا رجع العبد عن معصية الله تعالى إلى طاعته قبل ذلك الرجوع، وعفا عنه ما سلف، وهو قوله: ﴿يعفو عن السيئات﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أي: يجيبهم إلى ما يسألون.

﴿٢٧﴾ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أي: وسع عليهم الرزق ﴿لبغوا في الأرض﴾ لطغوا وعصوا ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء﴾ فيجعل واحداً فقيراً، وآخر غنياً ﴿إنه بعباده خبيرٌ بصير﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ من بعد يأس العباد من نزوله ﴿وينشر رحمته﴾ ويسط مطره.

وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَخِصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٩﴾ ﴿ومن آياته﴾ ﴿خلق السموات والأرض وما بَثَّ﴾ ﴿فَرَّقَ ونشر﴾ ﴿فيهما من دابة وهو على جمعهم﴾ ﴿للحشر﴾ ﴿إذا يشاء قدير﴾ .

﴿٣٠﴾ ﴿وما أصابكم من مصيبة﴾ ﴿بليَّة وشدة﴾ ﴿فبما كسبت أيديكم﴾ ﴿فهي جزاء ما اكتسبتم من الإجمام﴾ ﴿ويعفو عن كثير﴾ ﴿فلا يُجازي عليه﴾ .

﴿٣١﴾ ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ ﴿هرباً، أي: إن هربتم لم تعجزوا الله في أخذكم﴾ .

﴿٣٢﴾ ﴿ومن آياته الجوار﴾ ﴿السفن التي تجري﴾ ﴿في البحر كالأعلام﴾ ﴿كالجبال في العظم﴾ .

﴿٣٣﴾ ﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن﴾ ﴿فيصرن﴾ ﴿رواكِد﴾ ﴿ثابت على ظهر البحر لا تجري﴾ ﴿إنَّ في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ ﴿لكل مؤمن﴾ .

﴿٣٤﴾ ﴿أو يوقفهن﴾ ﴿يُهلكهن﴾، يعني: أهلها ﴿بما كسبوا﴾ ﴿من الذُّنوب﴾ ﴿ويعف عن كثير﴾ ﴿فلا يعاقب عليها﴾ .

﴿٣٥﴾ ﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ ﴿أي: في دفعها وإبطالها﴾ ﴿ما لهم من مخيص﴾ ﴿مهرب من عذاب الله﴾ .

﴿٣٦﴾ ﴿فما أُوتيتم من شيء﴾ ﴿من أثاث الدنيا﴾ ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾ ﴿يتمتع به في هذه الدَّار﴾ ﴿وما عند الله﴾ ﴿من الثَّواب﴾ ﴿خير وأبقى للذين آمنوا﴾ ﴿نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله وتصدَّق به، فلامه النَّاس﴾ .

وَالَّذِينَ يَحْتَبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

﴿٣٧﴾ والذين يحتبنون ﴿عطفٌ على قوله: ﴿للذين آمنوا﴾. ﴿كباثر الإثم والفواحش﴾ الشُّرك وموجبات الحدود ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يتجاوزون ويحلمون.

﴿٣٨﴾ والذين استجابوا لربهم ﴿أجابوه بالإيمان والطاعة. ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ لا ينفردون برأيهم بل يتشاورون.

﴿٣٩﴾ والذين إذا أصابهم البغي ﴿الظلم﴾ هم ينتصرون ﴿يتقمون ممّن ظلمهم، ثمّ يبيّن حدّ الانتصار فقال:

﴿٤٠﴾ وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ أي: إنما يُجازى الشُّوء بمثله، فيقتصّر من الجاني بمقدار جنايته ﴿فمن عفا﴾ ترك الانتقام ﴿وأصلح﴾ بينه وبين الظّالم عليه بالعفو ﴿فأجره على الله﴾ أي: إنّ الله يأجره على ذلك ﴿إنّهُ لا يحب الظالمين﴾ الذين يبدؤون بالظلم.

﴿٤١﴾ ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أي: بعد أنّ ظلم ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [باللوم ولا القصاص، لأنّه أخذ حقّه] (١).

﴿٤٢﴾ ولمن صبر﴾ على الأذى ﴿وغفر﴾ ولم يكافىء ﴿إن ذلك﴾ أي: الصبر والغفران ﴿لمن عزم الأمور﴾ لأنّه يوجب الثَّواب، فهو أتمُّ عزم. وقوله:

وَتَرَكْنَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٨﴾ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَجَحَّ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٥٠﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٥١﴾ أَوْ يَزُوجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنْثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٢﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٣﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا

﴿٤٦﴾ ﴿وتراهم يعرضون عليها﴾ على النار ﴿خاشعين من الذل﴾ متواضعين ساكنين. ﴿ينظرون﴾ إلى النار ﴿من طرف خفي﴾ مُسَارِقَةً.

﴿٤٧﴾ ﴿استجيبوا لربكم﴾ بالإيمان والطاعة ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي: إن الله تعالى إذا أتى به لم يرده ﴿مالكم من ملجأ يومئذ﴾ مهرب من العذاب ﴿وما لكم من نكير﴾ إنكار على ما ينزل بكم من العذاب، لا تقدر أن تنكروه فتغيروه. وقوله:

﴿٥٠﴾ ﴿أو يزوجهم ذكراً وإنثاء﴾ أي: يجعل ما يهب من الولد بعضه ذكوراً، وبعضه إنثاء ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ لا يُولد له.

﴿٥١﴾ ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً﴾ بأن يوحى إليه في منامه ﴿أو من وراء حجاب﴾ كما كلم موسى عليه السلام ﴿أو يرسل رسولا﴾ ملكاً ﴿فيوحى بإذنه ما يشاء﴾ فيكلمه عنه بما يشاء.

﴿٥٣﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما أوحينا إلى سائر الرسل ﴿أوحينا إليك روحاً﴾ ما يحيا به الخلق،

مَنْ أَمَرْنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى
اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

أَيُّ: يهتدون به، وهو القرآن ﴿من أمرنا﴾ أَيُّ: فَعَلْنَا فِي الْوَحْيِ إِلَيْكَ. ﴿ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ قبل الوحي. ويعني بالإيمان شرائعه ومعالمه
﴿ولكن جعلناه﴾ جعلنا الكتاب ﴿نورا﴾. وقوله: ﴿وإنك لتهدي﴾ بوحينا إليك
﴿إلى صراط مستقيم﴾. [يعني الإسلام] ^(١).

• • •

سُورَةُ الزَّخْرَفِ

[مكية، ثمانون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ
الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا
مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿حَمَّ﴾.

﴿٢﴾ ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ الذي أبان الهدى وما تحتاج إليه الأمة.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تعرفون أحكامه
ومعانيه.

﴿٤﴾ ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ﴾
يريد: إِنَّهُ مَثْبُتٌ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

﴿٥﴾ ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾ أفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنكم
لا تؤمنون به، وهو قوله: ﴿أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ أي: لأن كنتم قوماً مُشْرِكِينَ

(١) زيادة من ظ، وهذا يوافق ما في المصحف. وفي ظا: وهي ثمانون وثمان آيات، وهو بعدُ
الشامي.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيِّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمُ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لَتَسْتَبْشِرُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُسْقِلُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾

مُجاوزين أمر الله. قال قتادة^(١) رضي الله عنه: واللَّهِ لو أنَّ هذا القرآن رُفِعَ حين رَدَّه أوائل هذه الأمة لهلكوا.

﴿٨﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ ﴿من قومك﴾ ﴿بَطْشًا﴾ قُوَّةٌ ﴿ومضى مثل الأولين﴾ سَتَّهُمْ فِي الْعَقُوبَةِ.

﴿١١﴾ ﴿والذي نزل من السماء ماءً بقدر﴾ بمقدارٍ معلوم عند الله ﴿فأنشَرْنَا﴾ فأحيينا ﴿به﴾ بذلك الماء ﴿بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ من قبوركم أحياء.

﴿١٢﴾ ﴿والذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها﴾. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿وما كنَّا له مقرنين﴾ أي: مُطِيقِينَ.

﴿١٥﴾ ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أي: الذين جعلوا الملائكة بنات الله.

﴿١٦﴾ ﴿أم اتخذ ممَّا يخلق بنات وأصفاكم﴾ أخلصكم وخصَّكم ﴿بالبنين﴾ كقوله: ﴿أفأصفاكم ربُّكم بالبنين...﴾^(٢) الآية.

وَلَمَّا بَشَّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّهِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَنَيْنَظُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُثَبِّدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولُو حِجَّتِكُمْ بَاهِدِي مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿١٧﴾ وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً بما وصفه به من اتخاذ البنات .
 ﴿١٨﴾ ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّهِ﴾ أي: أنسبوا إليه مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّهِ؟ يعني: البنات وهو في الخصام غير مبين ﴿١٨﴾ وذلك أَنَّ المرأة لا تكاد تقوم بحجة في الخصومة .
 ﴿١٩﴾ ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ أي: حكموا بأنهم إناث حين قالوا: إنهم بنات الله . ﴿أَشْهَدُوا﴾ أحضروا ﴿خَلَقَهُمْ﴾ حين خلقوا؟ ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ﴾ على الملائكة بأنهم بنات الله ﴿وَيَسْأَلُونَ﴾ عنها .
 ﴿٢٠﴾ ﴿وَقَالُوا: لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ أي: الملائكة، وذلك أَنَّهُمْ قَالُوا: لو لم يرض منا بعبادتنا إِنَّاها لعجل عقوبتنا . ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ ما لهم بقولهم: الملائكة بنات الله من علم . ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون .
 ﴿٢١﴾ ﴿أَمْ أَنَيْنَظُمُ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾ من قبل القرآن فيه عبادة غير الله ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ بذلك الكتاب، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ضَلَالَةَ آبَائِهِمْ، فقال:
 ﴿٢٢﴾ ﴿بَلْ قَالُوا: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ دين .
 ﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُمْ بِأَهْدَى﴾ بدين أهدى ﴿مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ أَتَبِعُونَهُمْ؟
 ﴿٢٤﴾ ﴿قَالُوا﴾ أي: الأمم للرسل: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ .

فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَ عَقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرَاءً وَرَحِمَتٌ

﴿٢٥﴾ فانتقمنا منهم ﴿بالعقوبة﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ: إِنِّي بَرَاءٌ﴾ أي: بريءٌ.

﴿٢٨﴾ ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً﴾ أي: كلمة التوحيد ﴿بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ عقب إبراهيم عليه السَّلام، لا يزال من ولده مَنْ يُوَحِّدُ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ كي يرجعوا بها من الكفر إلى الإيمان.

﴿٢٩﴾ ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ في الدنيا ولم أهلكهم ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن.

﴿٣١﴾ ﴿وَقَالُوا: لَوْلَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ﴾ [إحدى] ^(١) ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ مَكَّةَ والطائف ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المغيرة من أهل مَكَّةَ، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، قال الله تعالى:

﴿٣٢﴾ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ نبوته وكرامته، فيجعلونها لمن يشاؤون؟ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرَاءً﴾ لِيُسَخَّرَ الأغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش في الدنيا، هذا بماله، وهذا بأعماله، فكما قسمنا هذه القسمة كذلك اصطفينا للرَّسالة مَنْ نَشَاءُ، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ الآخرة أفضل من الدنيا فقال: ﴿وَرَحْمَةٌ

رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنِ الذِّكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٤١﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٤٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَبْسُ الْقَرِينَ ﴿٤٣﴾

ربك ﴿٣٧﴾ أي: الجنة ﴿خيرٌ ممَّا يجمعون﴾ في الدنيا، ثم ذكر قلة خطر ^(١) الدنيا عنده فقال:

﴿٣٧﴾ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ مجتمعين على الكفر. وقوله: ﴿ومعارج﴾ مراقي ﴿عليها يظهرون﴾ يعلون ويصعدون.

﴿٣٨﴾ ﴿ولبيوتهم أبواباً وسرراً﴾ من فضة ﴿عليها يتكئون﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿وزخرفاً﴾ أي: ومن زخرف، وهو الذهب ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ [لمتاع الحياة الدنيا] ^(٢).

﴿٤٠﴾ ﴿ومن يعش﴾ يُعرض ﴿عن ذكر الرحمن نقض له شيطاناً﴾ نسب له شيطاناً ﴿فهو له قرين﴾ لا يفارقه.

﴿٤١﴾ ﴿وإنهم﴾ أي: الشياطين ﴿ليصدونهم﴾ يمنعون الكافرين ﴿ويحسبون﴾ الكفار ﴿أنهم مهتدون﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿حتى إذا جاءنا﴾ يعني: الكافر ﴿قال﴾ لقرينه: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أي: بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فبئس القرين﴾ أنت؛ ثم لا يفارقه حتى يصيرا إلى النار، وقال الله تعالى:

(٢) ما بين [] زيادة من نسخة الأصل.

(١) أي: رفعة.

وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُرُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٣٩﴾ «ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم» أشركتكم في الدنيا «أنكم في العذاب مشتركون» اشتراككم في العذاب لأن لكل واحد نصيبه الأوفر منه.

﴿٤١﴾ «فإنما نذهب بك» نُميتك قبل أن نعذبهم «فإننا منهم منتقمون» بعد موتك.

﴿٤٢﴾ «أو نرينك» في حياتك «الذي وعدناهم» من العذاب.

﴿٤٤﴾ «وإنه» أي: القرآن «لذكر» لشرف «لك ولقومك» إذ نزل بلغتهم، ونزل عليك وأنت منهم «وسوف تسألون» عن شكر ما جعلنا لكم من الشرف.

﴿٤٥﴾ «واسأل من أرسلنا» أي: أمم من أرسلنا «من قبلك» يعني: أهل الكتابين، هل في كتاب أحد الأمر بعبادة غير الله تعالى؟ ومعنى هذا السؤال التقرير لعبدة الأوثان أنهم على الباطل.

﴿٤٨﴾ «وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها» قريبتها وصاحبها التي كانت قبلها «وأخذناهم بالعذاب» بالسَّنين والطوفان والجراد «لعلهم يرجعون» عن كفرهم.

﴿٤٩﴾ «وقالوا يا أيها الساحر» خاطبوه بما تقدّم له عندهم من التسمية بالسَّاحر: «ادع لنا ربك بما عهد عندك» فيمن آمن به من كشف العذاب عنه «إننا لمهتدون» أي: مؤمنون.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَنْقُورِ الْإِنسَ إِلَىٰ
 مَلِكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ
 وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ
 مُّقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ ۖ فَاطَاعُوهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا
 انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴿ وَلَمَّا
 ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا

﴿٥٠﴾ ﴿ فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون ﴾ ينقضون عهدهم . وقوله :

﴿٥١﴾ ﴿ وهذه الأنهار تجري من تحتي ﴾ بأمرى . وقيل : من تحت قصوري .

﴿٥٢﴾ ﴿ أم أنا ﴾ بل أنا ﴾ خير من هذا الذي هو مهين ﴾ حقير ضعيف ، يعني : موسى .
 ﴿ ولا يكاد يبين ﴾ يُفصح بكلامه ليعيه .

﴿٥٣﴾ ﴿ فلولا ﴾ فهلاً ﴾ ألقى عليه أسورة من ذهب ﴾ حلّى بأساور الذهب إن كان رئيساً
 مُطاعاً؟ والطوق والسوار من الذهب كان من علامة الرئاسة عندهم . ﴿ أو جاء معه
 الملائكة مقترنين ﴾ مُتتابعين يشهدون له .

﴿٥٤﴾ ﴿ فاستخف قومه ﴾ وجد قومه القبط جُهالاً .

﴿٥٥﴾ ﴿ فلما آسفونا ﴾ أغضبونا بكفرهم . ﴿ انتقمنا منهم ﴾ .

﴿٥٦﴾ ﴿ فجعلناهم سلفاً ﴾ مُتقدِّمين في الهلاك [لِتَعِظَ] ^(١) بهم مَنْ بعدهم ﴿ ومثلاً
 للآخرين ﴾ عبرة لِمَنْ يجيء بعدهم .

﴿٥٧﴾ ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلاً ﴾ نزلت هذه الآية حين خاصمه الكفار ^(٢) لما نزل قوله
 تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ . . . ﴾ ^(٣) الآية . فقالوا : رضينا أن تكون

(١) زيادة من ظ و ظا .

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٨٦/٢٥ ، والمؤلف في الأسباب ص ٤٣٥ .

(٣) وتامها : ﴿ حصبُ جهنم أنتم لها واردون ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَلَهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي

آلهتنا بمنزلة عيسى، فجعلوا عيسى عليه السَّلام مثلاً لآلهتهم؛ فقال الله تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدُّونَ﴾ أي: يضجُّون، وذلك أنَّ المسلمين ضجُّوا من هذا حتى نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١)، وذكر الله تعالى في هذه السُّورة تلك القِصة، وهو قوله:

﴿وَقَالُوا أَلَهْتُمَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ﴾ يعني: عيسى عليه السَّلام. ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: إلَّا الإرادة للمجادلة؛ لأنَّهم علموا أنَّ المراد بحصب جهنم ما اتَّخذوه من الموات. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ يجادلون بالباطل، ثمَّ بيَّن حال عيسى عليه السَّلام فقال:

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ آيةٌ تدلُّ على قدرة الله.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بذلكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ بأنَّ نهلككم ونأتي بهم بدلاً منكم يكونون خلفاء منكم.

﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: وإنَّ عيسى ﴿لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ﴾ بتزوله يُعلم قيام السَّاعة ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ لا تشكُّوا فيها.

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى﴾ إلى بني إسرائيل ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالآيات التي يعجز عنها المخلوقون ﴿قَالَ: قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي

تَخْلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾
 فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْيَمِّ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ
 إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ
 إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَتَعَبَادُ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِمَا بَيْنَنَا
 وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصُحَافٍ
 مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾
 وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا
 تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَفْتَرُّ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

تختلفون فيه ﴿أي: كلاً﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿فاختلف الأحزاب...﴾ الآية مفسرة في سورة مريم (١).

﴿٦٦﴾ ﴿هل ينظرون﴾ أي: يجب ألا ينتظروا بعد تكذيبك ﴿إلا﴾ أن يفجأهم قيام الساعة، ثم ذكر أن مخالفتهم في الدنيا تبطل في ذلك اليوم، وتنقلب عداوة، فقال:

﴿٦٧﴾ ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ وهم المؤمنون. وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿تحبرون﴾ تكرمون وتسرون.

﴿٧١﴾ ﴿يطاف عليهم بصحاف﴾ بقصاع وأكواب، وهي الأواني التي لا عرى لها. ﴿وفيهما ما تشتهي النفس وتلذ الأعين﴾ أي: تستلذ، وهذا وصف لجميع ما في الجنة من الطيبات. وقوله:

﴿٧٥﴾ ﴿لا يفتر عنهم﴾ أي: لا يخفف عنهم العذاب ﴿وهم فيه مبلسون﴾ ساكتون سكوت يأس.

وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتٌ ﴿٧٧﴾
 لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا
 نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ
 الْعَبِيدِ ﴿٨١﴾ سُبْحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ يَبْخُوضُوا
 وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ
 الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَمْلِكِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ
 تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن شِئَ بِالْحَقِّ وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٧٧﴾ ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾ ﴿ليمتنا فنستريح﴾ ﴿قال: إنكم ماكثون﴾ ﴿مقيمون في العذاب﴾.

﴿٧٩﴾ ﴿أم أبرموا أمراً﴾ ﴿أحكموا الأمر في المكر بمحمد عليه السلام﴾ ﴿فإننا مبرمون﴾ ﴿مُحكمون أمراً في مجازاتهم﴾.

﴿٨١﴾ ﴿قل: إن كان للرحمن ولد...﴾ ﴿الآية معناها: إن كنتم تزعمون أن للرحمن ولداً فأنا أول الموحدين؛ لأن من عبد الله واعترف بأنه إلهه فقد دفع أن يكون له ولد. وقيل: ﴿فأنا أول العابدين﴾ الآنفين من هذا القول﴾.

﴿٨٤﴾ ﴿وهو الذي في السماء إله﴾ ﴿يعبد﴾ ﴿وفي الأرض إله﴾ ﴿يُعبَد، أي: هو المعبود فيهما﴾ ﴿وهو الحكيم﴾ ﴿في تدبير خلقه﴾ ﴿العليم﴾ ﴿بصلاحهم﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾ ﴿أي: الأوثان لا يشفعون لعبادها﴾. ﴿إلا من شهد بالحق﴾ يعني: عيسى وعزيراً والملائكة، [فلهم الشفاعة في المؤمنين لا في الكفار]^(١)، وهم يشهدون بالحق بالوحدانية لله ﴿وهم يعلمون﴾ حقيقة ما شهدوا به.

وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿وقيله﴾ أي: ويسمع قول محمد عليه السلام شاكياً إلى ربّه، وهو راجع إلى قوله: ﴿أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم﴾.

﴿فاصفح عنهم﴾ أي: أعرض عنهم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ^(١) ﴿وقل سلام﴾ أي: سلامة لنا منكم ﴿فسوف تعلمون﴾ ^(٢) تهديد لهم.

• • •

(١) أخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٥٦ عن ابن عباس: ﴿فاصفح عنهم﴾ أي: فأعرض عنهم، ﴿قل: سلام﴾ أي: معروف، أي: قل لمشركي أهل مكة. ﴿فسوف يعلمون﴾، ثم نسخ هذا في سورة براءة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...﴾ الآية.

(٢) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبي جعفر. الإتخاف ٤٦١/٢.

سُورَةُ الدُّخَانِ

[مكيّة، وهي خمسون وسبع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ﴿٣﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ حَمْدٌ .

﴿٢﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ .

﴿٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴿٢﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿٣﴾ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ﴿٣﴾ قِيلَ: هِيَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ، أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ فِيهَا مِنْ أَمِّ الْكِتَابِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجْوَمًا. وَقِيلَ: لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ ^(٢) ﴿٤﴾ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٤﴾ مُحَذِّرِينَ عِبَادَنَا الْعَقُوبَةَ بِأَنْزَالِ الْكِتَابِ.

﴿٥﴾ فِيهَا يُفْرَقُ ﴿٥﴾ يُفْصَلُ ﴿٥﴾ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٥﴾ مُحْكَمٍ مِنْ أَرْزَاقِ الْعِبَادِ وَأَجَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُدَبَّرُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَمْرُ السَّنَةِ.

﴿٦﴾ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا ﴿٦﴾ مَعْنَاهُ: يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فَرَقًا مِنْ عِنْدِنَا، فَوْضِعَ الْأَمْرِ مَوْضِعَ الْفَرْقِ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ. ﴿٦﴾ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٦﴾ مُحَمِّدًا إِلَى قَوْمِهِ.

(١) مَا بَيْنَ [] مِنْ ظَا.

وهي في المصحف ٥٩ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٤٧٠/٢: وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَتَسْعٌ فِي الْكُوفِيِّ، وَسَبْعٌ فِي الْبَصْرِيِّ، وَسِتٌّ فِيمَا عَدَاهُمَا.

(٢) قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ ١٠٩/٢٥: وَأَوَّلَى الْقَوْلَيْنِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ: ذَلِكَ لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْقِمُونَ ﴿١٦﴾

﴿رحمة﴾ أي: للرحمة، وقوله:

﴿إن كنتم موقنين﴾ أي: إن أيقنتم بأنه رب السموات والأرض، فأيقنوا أن محمداً رسوله؛ لأنه أرسله.

﴿بل هم في شك﴾ من البعث والنشر ﴿يلعبون﴾ مُشتغلين بالدنيا.

﴿فارتقب﴾ فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ وذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قومه بالقحط، فمنع القطر، وأجدبت الأرض، وانجرت الآفاق، وصار بين السماء والأرض كالدخان^(١).

﴿يغشى الناس﴾ ذلك الدخان^(٢) وهم يقولون: ﴿هذا عذاب أليم﴾.

﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مُصدِّقون بنبيك. قال الله تعالى:

﴿أَنى لهم الذكرى﴾ من أين لهم التذكُّر والاتعاظ، ﴿و﴾ حالهم أنهم ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ يبيِّن لهم أحكام الدين. يعني: محمداً ﷺ.

﴿ثم تولوا﴾ أعرضوا ﴿عنه وقالوا معلَّم﴾ أي: إنه معلَّم يُعلِّمه ما يأتي به بشر.

﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً﴾ أي: يكشف عنكم عذاب الجوع في الدنيا، ثم تعودون في العذاب، وهو قوله: ﴿إنكم عائدون﴾.

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾ أي: يوم القيامة. وقيل: يوم بدر^(٣).

(١) و (٢) و (٣) عن عبد الله بن مسعود قال: إنما كان هذا؛ لأن قريشاً لما استعصوا على =

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ إِنَّي لَكُمُ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنْ آتَاكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَرِلُونِي ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هُوَلَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

﴿١٧﴾ ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾ على الله تعالى. يعني: موسى عليه السلام.

﴿١٨﴾ ﴿أن أدوا إلي عباد الله﴾ أي: سلّموهم إلي ولا تُعذبوهم، يعني: بني إسرائيل، كما قال: ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾^(١) ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على وحي الله عز وجل.

﴿١٩﴾ ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ لا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿إني آتيكم بسُلطان مبين﴾ بحجة واضحة تدل على أنني نبي.

﴿٢٠﴾ ﴿وإني عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون﴾ أن تقتلون، وذلك أنهم توعدوه بالقتل.

﴿٢١﴾ ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلوني﴾ أي: لا تكونوا عليّ [ولا لي]^(٢)، واخلّوا عني.

﴿٢٢﴾ ﴿فدعا ربّه أن﴾ أي: بأن ﴿هؤلاء﴾ [أي: يارب هؤلاء]^(٣) ﴿قوم مجرمون﴾ مشركون، فقال الله تعالى:

النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهْدٌ حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب الأليم﴾ قال فأتني رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله، استسقى لمضر؛ فإنها قد هلكت. قال: لمضر؟ إنك لجريء، فاستسقى فسقوا، فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾ فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون﴾، قال: يعني: يوم بدر. أخرجه البخاري في التفسير ٥٧١/٨؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٩٨؛ والنسائي في التفسير ٢٧٨/٢؛ والترمذي في التفسير رقم ٣٢٥٤.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٠٥.

(٢) و (٣) زيادة من ظا.

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرِكْ الْبَحْرَ رَهَوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانِكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُمْ كَانُوا عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٣﴾ ﴿فأسر بعبادي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيْلًا﴾ إنكم متبعون ﴿يَتَّبِعُكُمْ﴾ فرعون وقومه .

﴿٢٤﴾ ﴿واترك البحر رهوا﴾ خلفه وراءك ساكناً غير مضطرب، وذلك أن الماء وقف له كالطود العظيم حين جاوز البحر ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ غرقهم في ذلك البحر الذي تجاوزوه رهواً.

﴿٢٥﴾ ﴿كم تركوا﴾ بعد هلاكهم ﴿من جنات وعيون...﴾ الآية، مُفسَّرةٌ في سورة الشعراء (١).

﴿٢٨﴾ ﴿كذلك﴾ أي: الأمر كما وصفنا ﴿وأورثناها﴾ أعطيناها ﴿قوماً آخرين﴾ يعني: بني إسرائيل.

﴿٢٩﴾ ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ لأنهم ماتوا كفاراً، والمؤمن يبكي عليه مصعد عمله، ومُصلَّاه من الأرض. ﴿وما كانوا منظرين﴾ مؤخرين حين أخذناهم بالعذاب.

﴿٣٠﴾ ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾ بإهلاك فرعون وقومه ﴿من العذاب المهين﴾ يعني: قتل الأبناء واستخدام النساء.

﴿٣١﴾ ﴿من فرعون إنه كان علياً﴾ مستكبراً مُتَعَطِّماً ﴿من المسرفين﴾ الكافرين المتجاوزين حدَّهم.

وَلَقَدْ اخْتَرْنَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَنَّا لَهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوا مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمُ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَئِبَعٍ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

﴿٣٢﴾ ﴿ولقد اخترناهم﴾ بني إسرائيل ﴿على علم﴾ مَنَّا بهم ﴿على العالمين﴾ عالمي زمانهم.

﴿٣٣﴾ ﴿وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ نعمة ظاهرة من فلق البحر، وإنزال المن والسلوى.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾ أي: مشركي مكة ﴿ليقولون﴾:

﴿٣٥﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ ﴿أي﴾: ليس إِلَّا الموت ولا نشر بعده، وهو قوله: ﴿وما نحن بمُنْشَرِينَ﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿فأتوا بآبائنا﴾ الذين ماتوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنَّا نُبْعَثُ بعد الموت.

﴿٣٧﴾ ﴿أهم خير﴾ أي: أقوى وأشدُّ ﴿أَمْ قَوْمُ تَبَعٍ﴾ الحِميري ﴿والذين من قبلهم﴾ من الكفار ﴿أهلكناهم﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لآعِبِينَ﴾ ونحن نلعب في خلقهما، أي: إِنَّمَا خَلَقْنَاهُمَا لِأَمْرٍ عَظِيمٍ، وهو قوله: ﴿ما خلقناهما إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: لإقامة الحق وإظهاره من توحيد الله وإلزام طاعته.

﴿٤٠﴾ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ وهو يوم القيامة، يفصل الله تعالى فيه بين العباد ﴿مِيقَاتِهِمْ﴾ الذي وقَّتنا لعذابهم ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٤١﴾ ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا﴾ قريبٌ عن قريبٍ. ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من عذاب الله.

إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
 كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خَذُوهُ فَاَعْتَْلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ
 صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا
 كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ
 سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

﴿٤٢﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴿لكن مَنْ رَحِمَ اللهُ فَإِنَّهُ يُنْصِرُ﴾.

﴿٤٣﴾ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿.

﴿٤٤﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿أَيُّ: صَاحِبِ الْإِثْمِ، وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ﴾.

﴿٤٥﴾ كَالْمُهْلِ ﴿أَيُّ: كَالذَّائِبِ مِنَ الْفِضَّةِ وَالتُّحَّاسِ فِي الْحَرَارَةِ﴾. ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾
 فِي بَطُونِ أَكْلِيهِ.

﴿٤٦﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿وَهُوَ الْمَاءُ الْحَارُّ﴾.

﴿٤٧﴾ خَذُوهُ ﴿يَعْنِي: الْأَثِيمَ﴾ فَاَعْتَْلُوهُ ﴿سَوْقُوهُ [سَوْقًا]﴾^(١) بِالْعَنْفِ ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾
 وَسَطِ الْجَحِيمِ.

﴿٤٨﴾ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿كَمَا قَالَ: ﴿يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمْ
 الْحَمِيمَ﴾^(٢) وَيَقَالُ لَهُ:

﴿٤٩﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿بَزَعْمِكَ وَعَلَى قَوْلِكَ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ: مَا بَيْنَ
 جَبَلَيْهَا أَعَزُّ وَلَا أَكْرَمُ مِنِّي﴾.

﴿٥٠﴾ إِنَّ هَذَا الَّذِي تَرُونَ مِنَ الْعَذَابِ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ فِيهِ تَشْكُونُ.

﴿٥١﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿أَمِنُوا فِيهِ مِنَ الْغَيْرِ﴾.

﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ ﴿وَهُوَ مَارِقٌ مِنَ الثِّيَابِ﴾ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴿وَهُوَ مَا غَلِظَ مِنْهُ

مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ
ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَدْ لَهُمْ عَذَابٌ
الْجَحِيمُ ﴿٥٦﴾ فَضَلًّا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿مقابلين﴾ متواجهين .

﴿٥٤﴾ ﴿كذلك﴾ كما وصفنا ﴿وزوجناهم بحور﴾ وهنَّ النساء النَّقيات البياض ﴿عين﴾
واسعة العين .

﴿٥٥﴾ ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ من الموت .

﴿٥٦﴾ ﴿لا يذوقون فيها الموت إلا﴾ سوى ﴿الموتة الأولى﴾ الموتة التي ذاقوها في
الدُّنيا .

﴿٥٨﴾ ﴿فإنما يسرناه﴾ سهَّلنا القرآن ﴿بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ يتعظون .

﴿٥٩﴾ ﴿فارتقب﴾ فانتظر الفتح والنَّصر ﴿إنهم مرتقبون﴾ مُنتظرون قهرك وهلاكك .

سُورَةُ الْجَانَّةِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ وَسَبْعَ آيَاتٍ] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَخَلَقْنَا أَيْلًا وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ءَايَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِيرَةٌ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

- ﴿١﴾ ﴿حَمَّ﴾ .
 ﴿٢﴾ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ .
 ﴿٣﴾ ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ﴾ : إِنَّ فِي خَلْقِهِمَا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لِّدَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ . وَقَوْلُهُ :
 ﴿٦﴾ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ : بَعْدَ حَدِيثِ اللَّهِ وَكِتَابِهِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ .
 ﴿٧﴾ ﴿وَبَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ كَذَّابٍ صَاحِبِ إِثْمٍ .
 ﴿٨﴾ ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ يُقِيمُ عَلَى كُفْرِهِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ مُتَعَظِّمًا عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ .

(١) مَا بَيْنَ [] مِنْ ظَا . وَعَدَّدَهَا هَذَا يُوَافِقُ مَا فِي الْمَصْحَفِ .

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن رَّأْيِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ
مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّحْمَةِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ أَلْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ
قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَن أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً ﴿استهزأ بها﴾ .
﴿١٠﴾ من ورائهم ﴿أمامهم﴾ جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا ﴿من الأموال﴾ ﴿شيئاً﴾ .
﴿١١﴾ هذا هدى ﴿أي: هذا القرآن هدى﴾ . ﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ مؤلم مٌوجع . وقوله:
﴿١٣﴾ جميعاً منه ﴿أي: كل ذلك تفضل منه وإحسان﴾ .
﴿١٤﴾ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ﴿نزلت قبل الأمر بالقتال﴾^(١) .
يقول: قل لهم يصفحوا عن المشركين الذين لا يخافون عقوبة الله وعذابه ﴿ليجزى قوماً﴾ أي: ليجزيهم ﴿بما كانوا يكسبون﴾ من سوء أعمالهم . وقوله:

(١) أخرج النحاس في التأسخ والمنسوخ ص ٢٥٦ عن ابن عباس في الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شتمه رجلٌ من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله تعالى: ﴿قل للذين آمنوا﴾ يعني: عمر بن الخطاب ﴿يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ يتجاوزوا عنهم. ﴿ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون﴾ ثم نسخ هذا في براءة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ . وفي سنده جوير الأزدي، وهو ضعيف جداً. والقول بأنّها منسوخة مرويٌّ عن ابن عباس من غير هذا الطريق، ومجاهد، وقتادة والضحاك، وأبي صالح. ذكره ابن جرير ١٤٤/٢٥ - ١٤٥ .

وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى
 الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا
 بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى
 شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى
 وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْعَلُهُمْ وَمِمَّا هُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٦﴾ ورزقناهم من الطيبات ﴿١٦﴾ أي: المن والسلوى.

﴿١٧﴾ وآتيناهم بينات من الأمر ﴿١٧﴾ يعني: أحكام التوراة، وبيان أمر النبي عليه السلام
 ﴿١٧﴾ فما اختلفوا ﴿١٧﴾ في نبوته ﴿١٧﴾ إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴿١٧﴾ يعني: ما علموه من
 شأنه. ﴿١٧﴾ بغياً بينهم ﴿١٧﴾ حسداً منهم له.

﴿١٨﴾ ثم جعلناك على شريعة ﴿١٨﴾ مذهب وملّة ﴿١٨﴾ من الأمر ﴿١٨﴾ من الدين ﴿١٨﴾ فاتبعها ولا تتبع
 أهواء الذين لا يعلمون ﴿١٨﴾ مراد الكافرين.

﴿١٩﴾ إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ﴿١٩﴾ لن يدفعوا عنك عذاب الله إن اتبعت أهواءهم.

﴿٢٠﴾ هذا ﴿٢٠﴾ إشارة إلى القرآن ﴿٢٠﴾ بصائر ﴿٢٠﴾ معالم ﴿٢٠﴾ للناس ﴿٢٠﴾ في الحدود والأحكام
 يبصرون بها.

﴿٢١﴾ أم حسب الذين اجترحوا السيئات ﴿٢١﴾ اكتسبوا الكفر والمعاصي ﴿٢١﴾ أن نجعلهم
 كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴿٢١﴾ مستوياً حياتهم وموتهم،
 أي: المؤمن مؤمن حياً وميتاً، والكافر كافر حياً وميتاً، فلا يستويان ﴿٢١﴾ ساء
 ما يحكمون ﴿٢١﴾ بش ما يقضون إذ حسبوا أنهم كالمؤمنين. نزلت هذه الآية حين قال
 المشركون: لئن كان ما تقولون حقاً لفضلنا عليكم في الآخرة، كما فضلنا عليكم
 في الدنيا.

وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾
 أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غَشَاةً فَمَنْ
 يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ
 وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا
 اتَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٣﴾ «أفرايت من اتخذ إلهه هواه» أي: الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركه. «وأصله الله على علم» على ما سبق في علمه قبل أن يخلقه [أنه ضالٌّ] (١). وباقي الآية مُفسَّر في أول سورة البقرة (٢).
 ﴿٢٤﴾ «وقالوا» يعني: منكري البعث: «ما هي إلا حياتنا الدنيا» أي: ما الحياة إلا هذه الحياة في دار الدنيا «نموت» نحن «ونحيا» أولادنا «وما يهلكنا إلا الدهر» أي: ما يفنيها إلا مرُّ الزمان (٣). «وما لهم بذلك من علم» أي: الذين يقولون. «إن هم إلا يظنون» ما هم إلا ظانِّين ما يقولون.
 ﴿٢٥﴾ «وإذا تتلى عليهم آياتنا» أدلَّتْنا في قدرتنا على البعث «بينات» واضحات «ما كان حجتهم إلا أن قالوا اتبوا بآياتنا إن كنتم صادقين» أنا نُبعث بعد الموت. وقوله:

(١) زيادة من عا و ظا.

(٢) انظر ص ٩١.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقْلِبُ الليل والنهار». فتح الباري ٨/ ٥٧٤؛ وصحيح مسلم كتاب الأدب برقم ٢٢٤٦؛ وأخرجه أيضاً النسائي في تفسيره ٢/ ٢٨٣.

وأخرجه ابن جرير ١٥٢/ ٢٥ بهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنَّما يهلكنا الليل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: «وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر» قال فيسبون الدهر، فقال الله تبارك تعالي: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقْلِبُ الليل والنهار».

قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمَبْطُلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَاتِي تَتْلَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا تُجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِيقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿٣٣﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَدَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّصِيرِينَ ﴿٣٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا ءَايَاتِ اللَّهِ هُزُولًا وَغَرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٦﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٨﴾

﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿٢٦﴾ أَي: مع ذلك اليوم.

﴿٢٨﴾ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ ﴿٢٨﴾ كُلَّ أَهْلِ دِينٍ ﴿جاثية﴾ مُجْتَمِعَةً لِلْحِسَابِ. وقيل: جالسة على الرُّكَب من هول ذلك اليوم.

﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ ﴿٢٨﴾ أَي: ديوان الحفظه ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ﴾ نَأْمُرُ بِنَسْخِ ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٣٤﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ ﴿٣٤﴾ نَتْرَكُكُمْ فِي الْعَذَابِ كَمَا تَرَكْتُمُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ لِيَوْمِكُمْ هَذَا. وقوله:

﴿٣٥﴾ وَلَا هُمْ يُسْتَعْبَدُونَ ﴿٣٥﴾ أَي: لَا يُلْتَمَسُ مِنْهُمْ عَمَلٌ وَلَا طَاعَةٌ.

﴿٣٧﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ ﴿٣٧﴾ الْعِظَمَةُ ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: إِنَّهُ يُعْظَمُ بِالْعِبَادَةِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

سُورَةُ الْاِحْقَافِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَلَاثُونَ وَخَمْسُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿حَمْدٌ﴾ ﴿١﴾

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ﴿٢﴾

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أَيُّ: لِلْحَقِّ، وَإِقَامَةِ الْحَقِّ ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تَفْنَى عِنْدَ انْقِضَاءِ ذَلِكَ الْأَجَلِ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾ أَعْرَضُوا بَعْدَمَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِخَلْقِ اللَّهِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ طَالِبُهُمُ بِالذَّلِيلِ عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَقَالَ:

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ أَيُّ: مُشَارَكَةٌ مَعَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِمَا لِذَلِكَ أَشْرَكْتُمُوهُمْ فِي عِبَادَتِهِ ﴿إِنِّي تُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [أَيُّ: مِنْ قَبْلِ] ^(٢) الْقُرْآنَ فِيهِ بَيَانٌ مَا تَقُولُونَ ﴿أَوْ أَثَارَةٌ مِنْ

(١) زيادة من ظا، وهي مُوافقة لما في المصحف.

(٢) زيادة من ظا.

أَوْ أَتْرَقْتُمْ عَلِيمٌ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٦﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٧﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٠﴾

علم ﴿رواية عن الأنبياء أنهم أمروا بعبادة غير الله، فلمَّا قامت عليهم الحجة جعلهم أضلُّ الخلق، فقال:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾ أي: أبداً. الآية.

﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾ عادوا معبوديهم؛ لأنهم بسببهم وقعوا في الهلكة، وجحد المعبودون عبادتهم، وهو قوله: ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ كقوله: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾^(١). وقوله:

﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُمْ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: إن عذَّبني على افترائي لم تملكو دفعه، وإذا كنتم كذلك لم أفتر على الله من أجلكم ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ تخوضون فيه من الإفك. ﴿هُوَ الْغَفُورُ﴾ لِمَنْ تَاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به.

﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا﴾ بديعاً ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: لست بأوَّل مرسل فتنكروا نبوتي، ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي﴾ إلى إيش يصير أمري معكم، أتقتلونني أم تخرجونني ﴿وَلَا بِكُمْ﴾ أتعدَّبون بالخسف أم الحجارة، والمعنى: ما أَدْرِي إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدُّنيا.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَقَامَ
وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا
مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَى إِمَامًا
وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانَا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنْ
الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ
خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ
كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ الَّتِي

﴿١٠﴾ ﴿قل أرايتم إن كان﴾ القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل﴾ يعني: عبد الله بن سلام ﴿على مثله﴾ على مثل ما شهد عليه القرآن من تصديق محمد عليه السلام ﴿فآمن﴾ ذلك الرجل ﴿واستكبرتم﴾ عن الإيمان.

﴿١١﴾ ﴿وقال الذين كفروا﴾ من اليهود: ﴿لو كان﴾ دين محمد ﴿خيرًا ما سبقونا إليه﴾ يعنون: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ بالقرآن كما اهتدئ به أهل الإيمان ﴿فسيقولون هذا إنك قديم﴾ كما قالوا: أساطير الأولين.

﴿١٢﴾ ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كتاب موسى﴾ التَّوْرَة ﴿إمامًا ورحمة وهذا كتاب﴾ أي: القرآن ﴿مصدق﴾ أي: مصدق لما بين يديه لما تقدّم من الكتب ﴿لساناً عربياً﴾ نصب على الحال. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿حملته أمه كرها﴾ على مشقة ﴿ووضعت كرها﴾ أي: على مشقة ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ أقلّ الحمل ستة أشهر، والفصال: الفِطام، ويكون ذلك بعد حولين ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ غاية شبابه، وهي ثلاث وثلاثون سنة ﴿وبلغ أربعين سنة﴾ قال: ربّ أوزعني... الآية. نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنّه لمّا بلغ أربعين سنة آمن بالنبي ﷺ، وآمن أبواه، فذلك قوله: ﴿أن أشكر نعمتك التي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِي لَكُمْ أَنْ تُعَدِّدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنٌ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

أنعمت عليّ وعليّ والديّ ﴿١٥﴾ أي: بالإيمان ﴿١٦﴾ وأصلح لي في ذريتي ﴿١٧﴾ بأن تجعلهم مؤمنين، فاستجاب الله له في أولاده فأسلموا، ولم يكن أحدٌ من الصحابة أسلم هو وأبواه وبنوه وبناته إلا أبو بكر رضي الله عنه.

﴿١٧﴾ والذي قال لوالديه ﴿١٨﴾ نزلت في كافر عاقٍ قال لوالديه: ﴿١٩﴾ أتعدّاني أن أخرج ﴿٢٠﴾ من قبري حيّاً ﴿٢١﴾ وقد خلت القرون من قبلي ﴿٢٢﴾ فلم يُبعث منهم أحدٌ ﴿٢٣﴾ وهما يستغيثان الله ﴿٢٤﴾ يعني: والديه يستغيثان بالله على إيمان ولدهما، ويقولان له: ﴿٢٥﴾ ويلك آمن إنَّ وعد الله حق فيقول: ما هذا ﴿٢٦﴾ الذي تدعونني إليه ﴿٢٧﴾ إلا أساطير الأولين ﴿٢٨﴾.

﴿١٨﴾ أولئك الذين ﴿١٩﴾ أي: من كان بهذه الصِّفة فهم الذين ﴿٢٠﴾ حق عليهم القول ﴿٢١﴾ وجب عليهم العذاب ﴿٢٢﴾ في أمم ﴿٢٣﴾ كافرة. ﴿٢٤﴾ من الجن والإنس ﴿٢٥﴾.

﴿١٩﴾ ولكلٍّ ﴿٢٠﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿٢١﴾ درجات ﴿٢٢﴾ منازل ومراتب من الثواب والعقاب ﴿٢٣﴾ ممّا عملوا ﴿٢٤﴾.

﴿٢٠﴾ ويوم يعرض الذين كفروا على النار ﴿٢١﴾ فيقال لهم: ﴿٢٢﴾ أذهبتُم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتُم بها ﴿٢٣﴾ وذلك أنَّهم يفعلون ما يشتهون، لا يتوقَّون حراماً، ولا يجتنبون مائماً ﴿٢٤﴾ فالיום تجزون عذاب الهون ﴿٢٥﴾ الهوان. الآية.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٢١) قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢٢) قَالَ إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرِيتُمْ قَوْمًا بِجَهْلُوهُمْ﴾ (٢٣) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢٤) تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ (٢٦)

﴿٢١﴾ ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ يعني: هوداً ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ أي: منازلهم ﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾ أي: قد أُنذروا بالعذاب أَنْ عَبَدُوا غَيْرَ اللَّهِ قبل إنذار هود وبعده.

﴿٢٢﴾ ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا﴾ لتصرفنا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا فَأَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿قَالَ: إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو يعلم متى يأتاكم العذاب، ﴿و﴾ ﴿إِنَّمَا أَنَا مُبَلِّغٌ﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ مرشدكم حين أدلُّكم على الرِّشَاد وَأَنْتُمْ تُعْرَضُونَ.

﴿٢٤﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: السَّحَاب ﴿عَارِضًا﴾ قد عرض في السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ يأتي من قبلها. ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمَطِّرُنَا﴾ سحابٌ يمطر علينا. قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب.

﴿٢٥﴾ ﴿تَدْمِرُ﴾ تُهْلِك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مَرَّتْ بِهِ مِنَ الرِّجَالِ وَالذَّوَابِّ. ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى﴾ أشخاصهم ﴿إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ لِأَنَّ الرِّيحَ أَهْلَكَتْهُمْ وَفَرَّقَتْهُمْ، وَبَقِيَتْ مَسَاكِنُهُمْ خَالِيَةً. ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ﴾ من القوَّة والعمر والمال ﴿فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ في الذي ما مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَنْقُومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْزِكُمْ مِنْ عَذَابِ آلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَئِمْ بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَنْجِيَّ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُمْ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَيْنَا قَالُوا بَلَىٰ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ولقد أهلكنا ما حولكم يا أهل مكة ﴿من القرى﴾ كحجر ثمود وقرى قوم لوط ﴿وصرفنا الآيات﴾ بينا الدلالات ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم . يعني: الأمم المهلكة .

﴿٢٨﴾ فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة ﴿يعني: أوثانهم الذين اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله﴾ بل ضلوا عنهم ﴿بطلوا عند نزول العذاب وذلك إفكهم﴾ أي: كذبهم وكفرهم . يعني: قولهم: إنها تقرّبنا إلى الله .

الجزء السادس والعشرون:

﴿٢٩﴾ وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن ﴿كانوا تسعة نفر من الجن من نينوى من أرض الموصل، وذلك أنه عليه السلام أمر أن يُنذر الجن، فصرف إليه نفر منهم ليتسمعوا ويبلغوا قومهم﴾ فلما حضروه ﴿قال بعضهم لبعض: ﴿أنصتوا﴾ أي: استكتوا ﴿فلما قضى﴾ أي: فرغ من تلاوة القرآن رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾؛ وقالوا لهم ما قصّ الله في كتابه . وقوله:

﴿٣٣﴾ ولم يعي بخلقهن ﴿أي: لم يضعف عن إبداعهن﴾ .

فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنْ نَّهَارٍ بَلَّغٌ فُهِلَ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾ أي: ذوو الرأي والجد، وكلهم أولو العزم إلا يونس. وقيل: هم أصحاب الشرائع نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد منهم صلى الله عليهم أجمعين. ﴿ولا تستعجل لهم﴾ العذاب ﴿كانهم يوم يرون ما يوعدون﴾ من العذاب في الآخرة ﴿لم يلبثوا﴾ في الدنيا ﴿إلا ساعة من نهار﴾ لهول ما عاينوا، ونسوا قدر مكثهم في الدنيا. ﴿بلاغ﴾ أي: هذا القرآن بلاغ، أي: تبليغ من الله تعالى إليكم على لسان محمد عليه السلام ﴿فهل يهلك إلا القوم الفاسقون﴾ أي: لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا الكافرون.

• • •

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

[مدنيّة وهي ثلاثون وثماني آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الذين كفروا﴾ أهل مكّة ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ ومنعوا النَّاس عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿أضلّ أعمالهم﴾ أحبطها، فلا يرون في الآخرة لها جزاء. وقوله:

﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾ أي: سترها وغفرها لهم ﴿وأصلح بالهم﴾ أمرهم وحالهم.

﴿ذلك﴾ الإضلال والتكفير لا تتباع الكافرين الباطل، وهو الشيطان، واتباع المؤمنين الحق، وهو القرآن. ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أي: كالبيان الذي ذكر يُبين الله للناس أمثال سيئات الكافرين وحسنات المؤمنين.

﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ فاضربوا رقابهم، أي: فاقتلوهم ﴿حتى إذا اتختموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فشدوا﴾ وثاق الأسارى حتى لا يفلتوا منكم

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

الْوَفَاقِ فِيمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمْ
الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
فَتَعَسَّأَ لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي
الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى
الَّذِينَ آمَنُوا

﴿فِيمَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ أي: بعد أن تأسروهم؛ إمَّا منتقم عليهم فأطلقتموهم؛ وإمَّا أن
تفادوهم بمالٍ ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ أي: اقتلوهم وأسروهم حتى لا يبقوا
كافرًا يقاتلكم، فتسكن الحرب وتنقطع، وهو معنى قوله: ﴿تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾
أي: يضع أهلها آلة الحرب من السلاح وغيره، ويدخلوا في الإسلام أو الذمة.
﴿ذَلِكَ﴾ أي: افعِلُوا ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ أهلكهم بغير
قتال ﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يَمْحُصُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجِهَادِ، وَيَمْحِقُ الْكَافِرِينَ
﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وَهُمْ أَهْلُ الْجِهَادِ.

﴿٥﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ فِي الدُّنْيَا إِلَى الطَّاعَاتِ، وَفِي الْآخِرَةِ إِلَى الدَّرَجَاتِ ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾
أَمْرَ مَعَاشِهِمْ.

﴿٦﴾ ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ يَبَيِّنُ لَهُمْ مَسَاكِنَهُمْ فِيهَا، وَعَرَفَهُمْ مَنَازِلَهُمْ.
﴿٧﴾ ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نَصُرُوا اللَّهَ﴾ أي: رَسُولَهُ وَدِينَهُ ﴿يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾
فِي مَوَاطِنِ الْقِتَالِ.

﴿٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَّأَ لَهُمْ﴾ أي: سَقُوطًا وَهَلَاكًا ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ أَبْطَلَهَا؛ لِأَنَّهَا
كَانَتْ لِلشَّيْطَانِ، ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ فَقَالَ:

﴿١٠﴾ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي: أَمْثَالُ تِلْكَ الْعَاقِبَةِ الَّتِي كَانَتْ لِمَنْ قَبْلَهُمْ.

﴿١١﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ذَلِكَ النَّصْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْهَلَاكُ لِلْكَافِرِينَ ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾

وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَالَتْهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾

وليَّهم وناصرهم ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ لا وليَّ لهم ينصرهم من الله .
﴿١٢﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ﴾ في الدُّنْيَا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ ليس لهم همَّةٌ إلا بطونهم وفروجهم، ثم يصيرون إلى النَّارِ .
﴿١٣﴾ ﴿وَكَايِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ﴾ يعني : مَكَّةَ ، أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَهَا ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بتكذيبهم الرُّسُلَ ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ .
﴿١٤﴾ ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم النَّبِيُّ ﷺ والمؤمنون ﴿كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ وهم أبو جهل والكفَّار .
﴿١٥﴾ ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ غير متغيِّر الرائحة ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ لذیذة .
﴿١٦﴾ ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ يعني : المنافقين ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ﴾ كانوا يستمعون خطبة رسول الله ﷺ ، وإذا خرجوا سألوا أصحاب رسول الله ﷺ استهزاء وإعلاماً أنَّهم لم يلتفتوا إلى ما قال ، يقولون : ﴿مَاذَا قَالَ أَنِفًا﴾ أي : الآن . وقوله :
﴿١٧﴾ ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ أي : ثواب تقواهم ، ويجوز أن يكون المعنى : وألهمهم تقواهم ووفقهم لها .

فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَزَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ «فهل ينظرون» ينتظرون ﴿إلا الساعة﴾ القيامة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾ أي: هم في الحقيقة كذلك؛ لأنه ليس الأمر إلا أن تقوم عليهم الساعة بغتة ﴿فقد جاء أشراطها﴾ علاماتها من بعث محمد ﷺ وغيره ﴿فأنى لهم إذا جاءتهم﴾ الساعة ﴿ذكرهم﴾ أي: فمن أين لهم أن يتذكروا أو يتوبوا بعد مجيء الساعة.

﴿١٩﴾ «فاعلم أنه لا إله إلا الله» أي: فاثبت على ذلك من علمك. «والله يعلم متقلبكم» متصرفكم في أعمالكم وأشغالكم. وقيل: متقلبكم من الأصلاب إلى الأرحام. «ومثواكم» مرجعكم في الدنيا والآخرة.

﴿٢٠﴾ «ويقول الذين آمنوا» حرصاً منهم على الوحي إذا استبطؤوه: ﴿لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة غير منسوخة﴾ وذكر فيها ﴿فُرض﴾ القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ﴿أي: المنافقين﴾ ينظرون إليك ﴿شزراً﴾ نظر المغشي عليه من الموت ﴿كنظر من وقع في سكرات الموت، كراهة منهم للقتال.﴾ ﴿فأولى لهم﴾.

﴿٢١﴾ «طاعة وقول معروف» أي: لو أطاعوا وقالوا لك قولاً حسناً كان ذلك أولى. ﴿فإذا عزم الأمر﴾ أي: جد الأمر ولزم فرض القتال ﴿فلو صدقوا الله﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لكان خيراً لهم﴾.

﴿٢٢﴾ «فهل عسيتم إن توليتم» أي: لعلكم إن عرضتم عما جاء به محمد عليه السلام أن تعودوا إلى أمر الجاهلية، فيقتل بعضكم بعضاً، وهو قوله: ﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ أي: بالبغي والظلم والقتل.

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتِ أَمَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ ﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾ فيتعظوا بمواعظه ﴿أم على قلوب أقفالها﴾ فليس تفهمها.

﴿٢٥﴾ ﴿إنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى﴾ يعني: كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ وهم يعرفونه ﴿الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أطال لهم الأمل.

﴿٢٦﴾ ﴿ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله﴾ يعني: المشركين ﴿سنطيعكم في بعض الأمر﴾ في التظاهر على عداوة محمد ﷺ.

﴿٢٧﴾ ﴿فكيف﴾ أي: كيف يكون حالهم ﴿إذا توفتهم الملائكة﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أم حسب الذين في قلوبهم مرض﴾ وهم المنافقون ﴿أن لن يخرج الله أضغانهم﴾ لن يظهر الله أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين.

﴿٢٩﴾ ﴿ولو نشاء لأريناكنهم﴾ لعرفناكنهم ﴿فلعرفتهم بسيماهم﴾ بعلامتهم ﴿ولتعرفنهم في لحن القول﴾ في معنى كلامهم إذا تكلموا معك.

﴿٣٠﴾ ﴿ولنبلونكنم﴾ بالجهاد ﴿حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ العلم الذي يقع به الجزاء ﴿ونبلو أخباركم﴾ أي: ونكشف ما تُسرون.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْتَأْذِنَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِصْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبُخْرَجَ أَصْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا نَسْأَلُ هَٰؤُلَاءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ

﴿٣٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ... الآية. يعني: الْمُطْعَمِينَ مِنْ أَصْحَابِ بَدْر^(١). وقوله:

﴿٣٣﴾ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ أي: بِالْمَنْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِإِسْلَامِكُمْ.

﴿٣٥﴾ وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ ﴿٣٥﴾ أي: لَا تَوَادِعُوهُمْ وَلَا تَتْرَكُوا قِتَالَهُمْ حَتَّى يُسْلِمُوا؛ لِأَنَّكُمْ الْأَعْلَوْنَ، وَلَا ضَعْفَ بَكُمْ فَتَدْعُوا إِلَى الصُّلْحِ ﴿٣٥﴾ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴿٣٥﴾ بِالنُّصْرَةِ ﴿٣٥﴾ وَلَنْ يَتْرُكْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ لَنْ يَنْقُصَكُمْ شَيْئًا مِنْ ثَوَابِ أَعْمَالِكُمْ. وقوله:

﴿٣٦﴾ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ أي: لَا يَسْأَلُكُمْ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمْوَالَكُمْ أَجْرًا عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ.

﴿٣٧﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخْفِصْكُمْ ﴿٣٧﴾ يَجْهَدُكُمْ بِالمَسْأَلَةِ ﴿٣٧﴾ تَبَخَّلُوا وَيُخْرَجَ أَصْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ وَيُظْهَرِ عِدَاؤَكُمْ؛ لِأَنَّ فِي مَسْأَلَةِ الْمَالِ ظُهُورَ الْعِدَاوَةِ وَالْحَقْدِ.

﴿٣٨﴾ هَٰذَا أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ ﴿٣٨﴾ يَا هَٰؤُلَاءِ ﴿٣٨﴾ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ ﴿٣٨﴾

(١) وهم أبو جهل نحر عشراً، وأمّية بن خلف نحر تسعاً، وسهيل بن عمرو نحر عشراً، وشيبة بن ربيعة نحر تسعاً، وعتبة بن ربيعة نحر عشراً، ومُثَنَّى وَنُبَيْه ابنا الحجاج نحر عشراً، والعباس بن عبد المطلب نحر عشراً، وأبو البختری نحر عشراً. المحجّر لابن حبيب ص ١٦١ - ١٦٢.

وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ ۖ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ ۖ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

بِالصَّدَقَةِ ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَفْسِهِ﴾ لِأَنَّ لَهُ ثَوَابَ مَا أُعْطِيَ، فَإِذَا لَمْ يُعْطَ
لَمْ يَسْتَحِقَّ الثَّوَابَ ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ﴾ عَن صَدَقَاتِكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ
﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا﴾ عَنِ الرَّسُولِ ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أَطْوَعُ مِنْكُمْ، وَهُمْ فَارِسٌ ﴿ثُمَّ
لَا يَكُونُوا﴾ فِي الطَّاعَةِ ﴿أَمْثَلَكُمْ﴾ بَلْ يَكُونُوا أَطْوَعُ مِنْكُمْ، وَهَذَا الْخَطَابُ لِلْعَرَبِ.

[اللهم يسّر علينا كلّ عسير]

• • •

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مدنية وهي عشرون وتسع آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿﴾ حَكَمْنَا لَكَ بِإِظْهَارِ دِينِكَ وَالنُّصْرَةَ عَلَى عَدُوِّكَ، وَفَتَحْنَا
لَكَ أَمْرَ الدِّينِ.

﴿٢﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴿﴾ مَا عَمِلْتَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ﴿﴾ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿﴾ مِمَّا
لَمْ تَعْمَلْهُ (٢) وَقِيلَ: مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، يَعْنِي: ذَنْبَ أَبِيكَ آدَمَ وَحَوَّاءَ بِبِرْكَتِكَ، وَمَا
تَأَخَّرَ مِنْ ذُنُوبِ أُمَّتِكَ بِدَعْوَتِكَ. ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ بِالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ﴿وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أَيُّ: يُثَبِّتُكَ عَلَيْهِ.

﴿٣﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿﴾ ذَا عَزٍّ لَا يَقَعُ مَعَهُ ذُلٌّ.

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) عن المغيرة بن شعبة قال: قام النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمت قدماءه، فقيل له: غفر الله لك ما تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ. قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. أخرجه البخاري في التفسير ٥٨٤/٨؛ ومسلم
في كتاب المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم ٢٨١٩؛ والنسائي في
تفسيره ٣٠٣/٢.

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ ۖ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ۖ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ ۖ بِاللَّهِ ظَنُّكَ السَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ
اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَكَانَ اللَّهُ
عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ ۖ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ ۖ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُورٌ بِهِ أَجْرًا
عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ

﴿٤﴾ هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ﴿البقين والطمانينة﴾ ﴿ليزدادوا إيماناً﴾
بشرائع الدين ﴿مع إيمانهم﴾ تصديقهم بالله وبرسوله . وقوله :

﴿٦﴾ الظالمين بالله ظنَّ السوء ﴿يظنون أن لن ينصر الله محمداً والمؤمنين﴾ عليهم دائرة
السوء ﴿بالذل والعذاب، أي: عليهم يدور الهلاك والخزي.

﴿٨﴾ ﴿إنَّا أرسلناك شاهداً﴾ على أمتك يوم القيامة ﴿ومبشراً﴾ بالجنة من عمل خيراً
﴿ونذيراً﴾ منذراً بالنار من عمل سوء.

﴿٩﴾ وتعزروه ﴿أي: تنصروه﴾ وتوقروه ﴿وتعظموه.

﴿١٠﴾ ﴿إن الذين يبايعونك﴾ بالحديبية ﴿إنما يبايعون الله﴾ أي: أخذك عليهم البيعة عقد
الله عليهم . ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة .
﴿فمن نكث﴾ نقض البيعة ﴿فإنما ينكث على نفسه﴾ فإنما يضر نفسه بذلك
النكث .

﴿١١﴾ ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب...﴾ الآية . لما أراد رسول الله ﷺ المسير
إلى مكة عام الحديبية استنفر من حول المدينة من الأعراب حذراً من قريش أن

شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِآلِسِنَاهُمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ أَلَلهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْءًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَكُمُ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ

يعرضوا له بحرب، فتثاقلوا عنه وخافوا قريشاً على رسول الله ﷺ وعلى أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون﴾ الذين خلفهم الله عن صحبتك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم عن التَّخَلُّفِ: ﴿شغلتنا﴾ عن الخروج معك ﴿أموالنا وأهلونا﴾ أي: ليس لنا مَنْ يقوم فيها إذا خرجنا ﴿فاستغفر لنا﴾ تركنا الخروج معك، ثم كذبهم الله تعالى في ذلك العذر، فقال: ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...﴾ الآية.

﴿١٢﴾ ﴿بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً﴾ وذلك أنهم قالوا: إنَّ محمداً وأصحابه أكلة رأس [أي: قليلو العدد]^(١)، وأنهم لا يرجعون من هذا الوجه أبداً، فقال الله تعالى: ﴿وظننتم ظنَّ السوء وكنتم قوماً بُوراً﴾ هالكين عند الله تعالى بهذا الظنِّ.

﴿١٥﴾ ﴿سيقول المخلفون﴾ يعني: هؤلاء: ﴿إذا انطلقتم إلى مغانم﴾ يعني: غنائم خيبر ﴿ذرونا نتبعكم﴾ إلى خيبر فنشهد معكم. ﴿يريدون أن يبدلوا كلام الله﴾ يغيروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أنَّ الله تعالى حكم لهم بغنائم خيبر دون غيرهم. ﴿قل لن تتبعونا﴾ إلى خيبر ﴿كذلكم قال الله من قبل﴾ [أي: من قبل]^(٢)

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُكَ سَتَدْعُونَ
إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ يُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا
تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

مرجعنا إليكم، إِنَّ غنيمة خبير لمن شهد الحديبية دون غيرهم ﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم.

﴿١٥﴾ ﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم﴾ إلى قتال قوم ﴿أولي بأس شديد﴾ وهم فارس والروم. وقيل: بنو حنيفة أصحاب اليمامة. ﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾ يعني: أو هم يسلمون [أصحاب مسيلمة الكذاب] ^(١) فيترك قتالهم ﴿فإن تطيعوا﴾ مَنْ دعاكم إلى قتالهم ﴿يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تولوا كما توليتم من قبل﴾ عام الحديبية، يعني: نافقتم وتركتم الجهاد ﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾. ثم ذكر أهل العذر في التَّخَلُّفِ عن الجهاد فقال:

﴿١٧﴾ ﴿ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج...﴾ الآية. ثم ذكر خبر مَنْ أخلص نيته فقال:

﴿١٨﴾ ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾ وكانوا ألفاً وأربعمائة ﴿إذ يبايعونك﴾ بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفرّوا ﴿تحت الشجرة﴾ يعني: سمرة كانت هنالك، وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان. ﴿فعلم ما في قلوبهم﴾ من الإخلاص والوفاء ﴿فأنزل﴾ الله ﴿السكينة عليهم﴾ وهي الطمأنينة وثلج الصدر بالثَّصْرَةِ من الله تعالى لرسوله ﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾ أي: فتح خبير.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا الْأَدْبَرُ ثَمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

﴿ومغانم كثيرة يأخذونها﴾ يعني: عقار خيبر وأموالها. ﴿١٩﴾

﴿وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ يعني: خيبر ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ لما خرجوا وخلفوا عيالهم بالمدينة حفظ الله عليهم عيالهم، وقد هَمَّت اليهود بهم، فقفز الله في قلوبهم الرُّعب، فانصرفوا ﴿وَلِتَكُونَ﴾ هزيمتهم وسلامتكم ﴿آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ يعني: طريق التَّوَكُّلِ وتفويض الأمر إلى الله سبحانه في كل شيء. ﴿٢٠﴾

﴿وأخرى﴾ أي: ومغانم أخرى ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ يعني: فارس والرُّوم ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنه يفتحها لكم. ﴿٢١﴾

﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾ أي: أهل مَكَّةَ لو قاتلوكم عام الحديبية ﴿لَوْلَا الْأَدْبَارُ﴾ لانهزموا عنك، ولنصرت عليهم. ﴿٢٢﴾

﴿سنة الله﴾ كسنة الله في النُصرة لأوليائه. ﴿٢٣﴾

﴿وهو الذي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ مَنْ الله سبحانه على المؤمنين بما أوقع من صلح الحديبية، فكفَّهم عن القتال بمَكَّةَ، وذكر حُسن عاقبة ذلك في الآية الثانية. وقوله: ﴿من بعد أن أظفركم عليهم﴾ وذلك أَنَّ رجلاً من قريش طافوا بعسكر رسول الله ﷺ ذلك العام ليصيبوا منهم، فأخذوا وأُتِيَ بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلقى سبيلهم، وكان ذلك سبب الصُّلح بينهم. ﴿٢٤﴾

هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوُّوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى

﴿٢٥﴾ هم الذين كفروا﴾ يعني: أهل مكة ﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾ منعوكم من زيارة البيت ﴿والهدي﴾ ومنعوا الهدي ﴿مَعْكُوفًا﴾ محبوساً ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ منحره، وكانت سبعين بدنة. ﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾ بمكة ﴿لم تعلموهم أن تطوؤوهم﴾ أي: لولا أن تطوؤوهم في القتال؛ لأنكم لم تعلموهم مؤمنين، وهو قوله: ﴿بغير علم﴾. ﴿فتصيبكم منهم معرة﴾ [كفارة] و﴿١﴾ عارٌ وعيبٌ من الكافرين. يقولون: قتلوا أهل دينهم ﴿ليدخل الله في رحمته﴾ دينه الإسلام ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من أهل مكة قبل أن يدخلوها ﴿لو تزيّلوا﴾ تميّز عنهم هؤلاء المؤمنون ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ لأنزلنا بهم ما يكون عذاباً لهم أليماً بأيديكم.

﴿٢٦﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حين صدّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت ﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ أي: الوقار حين صالحوهم، ولم تأخذهم من الحمية ما أخذهم فيلجأوا ويقاتلوا. ﴿وألزمهم كلمة التقوى﴾ توحيد الله والإيمان به وبرسوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: يعني: بسم الله الرحمن الرحيم، أبى المشركون أن يقبلوا هذا لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب كتاب الصلح بينهم، وقالوا: اكتب باسمك

وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنِ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكُفِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

اللهم^(١)، فقال الله تعالى: ﴿وكانوا أحقَّ بها وأهلها﴾ أي: المؤمنون؛ لأنَّ الله اختارهم للإيمان، وكانوا أحقَّ بكلمة التَّقوى من غيرهم.

﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾ الآية. كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأنه وأصحابه يدخلون مكة مُخْلِقِينَ وَمُقَصِّرِينَ غير خائفين، فلمَّا خرج عام الحديبية كانوا قد وطئوا أنفسهم على دخول مكة لرؤيا رسول الله ﷺ، فلمَّا صدُّوا عن البيت راب بعضهم ذلك، فأخبر الله تعالى أنَّ تلك الرؤيا صادقة، وأنهم يدخلونها إن شاء الله آمينين^(٢). وقوله: ﴿فعلم ما لم تعلموا﴾ علم الله تعالى أنَّ الصَّلاح كان في ذاك الصُّلح، ولم تعلموا ذلك. ﴿فجعل من دون ذلك﴾ أي: من دون دخولكم المسجد ﴿فتحاً قريباً﴾ وهو صلح الحديبية، ولم يكن فتحٌ في الإسلام كان أعظم من ذلك؛ لأنَّه دخل في الإسلام في تلك السنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. وقيل: يعني: فتح خبير.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ ليجعل دين الحق ظاهراً على سائر الأديان عالياً عليها ﴿وكفى بالله شهيداً﴾ أنَّك مرسلٌ بالحق، ثمَّ حَقَّقَ الله تلك الشَّهادة وبَيَّنَّها، فقال:

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٣٨٥/٧؛ والبخاري في الشروط؛ فتح الباري

٣٣١/٥؛ ومسلم برقم ١٧٨٣.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ١٠٧/٢٦ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلًا. وعبد الرحمن ضعيف.

تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَعِبُهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهمُ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُمْ فَتَازَرُوا فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ يَعْجِبُ الزَّרَّاعُ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ محمد رسول الله والذين معه ﴿أشداء﴾ ﴿غلاظ﴾ ﴿على الكفار رحماء بينهم﴾ متوادلون متعاطفون ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾ في صلواتهم ﴿يبتغون فضلاً من الله﴾ أن يدخلهم الجنة ﴿ورضواناً﴾ أن يرضى عنهم ﴿سيماهم﴾ علامتهم ﴿في وجوههم من أثر السجود﴾ يعني: نوراً وبياضاً في وجوههم يوم القيامة، يعرفون بذلك النور أنهم سجدوا في دار الدنيا لله تعالى. ﴿ذلك مثلهم﴾ صفة محمد ﷺ وأصحابه ﴿في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ فراخه ونباته ﴿فأزره﴾ قواه وأعانه، أي: قوى الشطأ الزرع، كما قوى أمر محمد وأصحابه، والمعنى: أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرُونَ، وهذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام إذ خرج وحده، فأيده بأصحابه كما قوى الطاقة من الزرع بما ينبت حوله ﴿فاستغلظ﴾ فغلظ وقوي. ﴿فاستوى﴾ ثم تلاحق نباته وقام على ﴿سوقه﴾ جمع ساق ﴿يعجب الزارع﴾ بحسن نباته واستوائه ﴿ليغيط بهم الكفار﴾ فعل الله تعالى ذلك بمحمد وأصحابه ليغيط بهم أهل الكفر. ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم﴾ أي: من أصحاب محمد عليه السلام ﴿مغفرة وأجرًا عظيمًا﴾.

سُورَةُ الْحَجَرَاتِ

[مدنيّة وهي ثمانى عشر آية بلا خلاف^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ أَيُّ: لَا تُقَدِّمُوا^(٢) خلاف الكتاب والسنة. وقيل: لَا تَذْبَحُوا قَبْلَ أَنْ يَذْبَحَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَضْحَى. وقيل: لَا تَصُومُوا قَبْلَ صَوْمِهِ. نزلت فِي النَّهْيِ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الشُّكِّ، وَالْمَعْنَى: لَا تَسْبِقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْمُرُكُمْ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي مَخَالَفَةِ أَمْرِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لَأَقُولُكُمْ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ.

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ۚ نزلت فِي ثَابِتِ ابْنِ قَيْسِ بْنِ شِمَاسٍ^(٣)، وَكَانَ جَهْورِيَّ الصَّوْتِ، وَرَبَّمَا كَانَ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَنَادِي بِصَوْتِهِ، فَأَمَرُوا بِغَضِّ الصَّوْتِ عِنْدَ مَخَاطَبَتِهِ ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

(١) زيادة من ظا.

(٢) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: لَا تَقُولُوا.

(٣) أخرج هذا البخاري فِي التفسير ٥٩٠/٨؛ ومسلم فِي الإيمان برقم ١١٩؛ والنسائي فِي التفسير

٣١٦/٢؛ وابن جرير ١١٨/٢.

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ

بعضكم لبعض ﴿ لا تُنزلوه منزلة بعضكم من بعض، فتقولوا: يا محمد، ولكن خاطبوه بالنبوة والسكينة والإعظام ﴿ أن تحبط أعمالكم ﴾ كي لا تبطل حسناتكم ﴿ وأنتم لا تشعرون ﴾ أن خطابه بالجهر ورفع الصوت فوق صوته يُحبط العمل، فلما نزلت هذه الآية خفف أبو بكر وعمر رضي الله عنهما صوتهما، فما كلمًا النبي ﷺ إلا كأخي السرار، فأنزل الله تعالى:

﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿ أَي: اختبرها وأخلصها للتقوى.

﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴿ نزلت في وفد تميم^(١) أتوا رسول الله ﷺ ليفاخروه، فنادوا على الباب: يا محمد، اخرج إلينا؛ فَإِنَّ مَدْحَنَا زَيْنٌ وَإِنَّ ذِمَّنَا شَيْنٌ، فقال الله تعالى: ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أَي: إنهم جهال، ولو عقلوا لما فاخروا رسول الله ﷺ.

﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿ من إيذاهم إياك بالنداء على بابك ﴿ والله غفورٌ رحيم ﴾ لَمَنْ تاب منهم.

﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ ﴿ نزلت في الوليد بن عقبة^(٢) بعثه

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٥٩٠/٨؛ والنسائي في تفسيره ٣١٨/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٦٦؛ وابن جرير ١٢٢/٢٦.

(٢) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٦٠٦؛ وأخرجه أحمد ٢٧٩/٤ بسند جيد، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٥٠؛ وأخرجه ابن جرير ١٢٣/٢٦ عن أم سلمة.

فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ

رسول الله ﷺ مُصَدِّقًا إِلَىٰ قَوْمٍ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ تَرَةٌ^(١) فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَخَافَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ، وَانصَرَفَ مِنَ الطَّرِيقِ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ مَنَعُوا الصَّدَقَةَ، وَقَصَدُوا قَتْلِي، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ أَيُّ: فَاعْلَمُوا صَدَقَهُ مِنْ كَذِبِهِ ﴿أَن تُصِيبُوا﴾ لَثَلَا تُصِيبُوا ﴿قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَّ أَنْ يَغْزَوْهُمْ حَتَّىٰ تَبَيَّنَ لَهُ طَاعَتُهُمْ.

﴿وَعَلِمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فَلَا تَقُولُوا الْبَاطِلَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُخْبِرُهُ ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ لَوْ أَطَاعَ مِثْلَ هَذَا الْمَخْبَرِ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِمَا لَا أَصْلَ لَهُ ﴿لَعَنِتُمْ﴾ لَأَثَمْتُمْ وَلَهَلَكْتُمْ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ فَأَنْتُمْ تَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَلَا تَقْعُونَ فِي الْعَنْتِ، يَعْنِي بِهَذَا: الْمُؤْمِنِينَ الْمَخْلَصِينَ، ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

﴿فَضَلَّأَ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: الْفَضْلَ مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ نَزَلَتْ فِي جَمْعَيْنِ مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَتْ بَيْنَهُمَا قِتَالٌ بِالْأَيْدِي وَالنُّعَالِ ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بِالذُّعَاءِ إِلَىٰ حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ. فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ [أَيُّ: تَعَدَّتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ]^(٢) وَعَدَلْتَ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَقَاتِلُوا﴾ الْبَاغِيَةَ حَتَّىٰ تَرْجِعَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ. ﴿فَإِن فَاءَتْ﴾ رَجَعَتْ إِلَى الْحَقِّ ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ بِحُمُلِهِمَا عَلَى الْإِنْصَافِ ﴿وَأَقْسِطُوا﴾ وَاعْدَلُوا ﴿إِنَّ اللَّهَ

يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ
خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ
فَأُولَٰئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ

يحب المقسطين .

﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴿٢﴾ فِي الدِّينِ وَالْوَلَايَةِ ﴿٣﴾ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴿٤﴾ إِذَا اخْتَلَفَا
وَاقْتَتَلَا ﴿٥﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿٦﴾ فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ ﴿٧﴾ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٨﴾ كَي تَرْحَمُوا بِهِ .

﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ . . . ﴿١٢﴾ الْآيَةِ . نَهَى اللَّهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ أَنْ يَسْخَر بَعْضُهُمْ مِّن بَعْضٍ ﴿١٣﴾ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا ﴿١٤﴾ أَيْ : الْمَسْخُور مِنْهُ
﴿١٥﴾ خَيْرًا مِنْهُمْ ﴿١٦﴾ مِنَ السَّاحِرِ ، وَمَعْنَى السُّخْرِيَةِ هَاهُنَا الْإِزْدِرَاءُ وَالِاحْتِقَارُ . ﴿١٧﴾ وَلَا
تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿١٨﴾ لَا يَحِبُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿١٩﴾ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴿٢٠﴾ وَهُوَ أَنْ يُدْعَى
الرَّجُلُ بِلَقَبٍ يَكْرَهُهُ ، نَهَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ^(١) . ﴿٢١﴾ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيمَانِ ﴿٢٢﴾ يَعْنِي : إِنَّ السُّخْرِيَةَ وَاللَّمْزَ وَالتَّنَابُزَ فَسُوقٌ بِالْمُؤْمِنِينَ ، وَبِئْسَ ذَلِكَ بَعْدَ
الْإِيمَانِ .

﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ أَنْ يَظَنَّ الشُّوْءَ

(١) عَنْ أَبِي جَبْرِ بْنِ الصُّحَّاكِ - وَهُوَ صَحَابِي - قَالَ : فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، بَنِي سَلْمَةَ . قَالَ :
قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَتًّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :
يَا فُلَانُ ، فَيَقُولُونَ : مَهْ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ ، فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿وَلَا
تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ . أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي الْأَدَبِ بِرَقْم ٤٩٦٢ ؛
وَالْتِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْم ٣٢٦٤ ، وَقَالَ : حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ ٤٦٣/٢ ؛
وَصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ ؛ وَأَحْمَدُ ٣٨٠/٥ .

وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ
لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ
تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ
أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

بأهل الخير، وبمن لا يُعلم منه فسق. ﴿ولا تجسسوا﴾ لا تطلبوا عورات المسلمين، ولا تبحثوا عن معائبهم ﴿ولا يغب بعضكم بعضاً﴾ لا تذكروا أحدكم بشيء يكرهه وإن كان فيه ذلك الشيء. ﴿أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً﴾ يعني: إنَّ ذكرك أخاك على غيبةٍ بسوءٍ كأكل لحمه وهو ميت، لا يحسن بذلك. ﴿فكرهتموه﴾ إن كرهتم أكل لحمه ميتاً فافكروها ذكره بسوء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ أي: كلُّكم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، فلا تفاضل بينكم في النَّسَبِ ﴿وجعلناكم شعوباً﴾ وهي رؤوس القبائل، كربيعة ومضر ﴿وقبائل﴾ وهي دون الشُّعوب كبكر من ربيعة، وتميم من مضر ﴿لتعارفوا﴾ ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النَّسَبِ وبعده لا لتتفاخروا بها، ثمَّ أعلم أنَّ أرفعهم عنده منزلةً أتقاهم، فقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم...﴾ الآية.

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت في نفرٍ من بني أسدٍ قدموا المدينة في سنةٍ جدبةٍ بذرائعهم، وأظهروا كلمة الشَّهادة، ولم يكونوا مؤمنين في السرِّ، فقال الله تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ أي: لم تُصدِّقوا الله ورسوله بقلوبكم، ولكن أظهرتم الطَّاعة مخافة القتل والسَّبي ﴿ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله﴾ ظاهراً وباطناً ﴿لا يلتكم﴾ لا ينقصكم ﴿من﴾ ثواب ﴿أعمالكم﴾ شيئاً... الآية. ثمَّ بيَّن حقيقة الإيمان والمؤمن، فقال:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِلَّا سَلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

في سبيل الله أولئك هم الصادقون. أي: هؤلاء هم الذين صدقوا في إيمانهم، لا مَنْ أسلم خوف السَّيف، ورجاء المنفعة، فلَمَّا نزلت الآيتان جاءت الأعراب رسول الله ﷺ، وحلفوا بالله أنَّهم مؤمنون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل الله تعالى:

﴿١٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ... الآية. أي: أَتَعْلَمُونَهُ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَهُوَ يَعْلَمُ ذَلِكَ.

﴿١٧﴾ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا وذلك أنَّهم كانوا يقولون لنبيِّ الله ﷺ: أتيناك بالعيال والأثقال طوعاً، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ﴾ وقوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أَنْكُمْ مُؤْمِنُونَ، أي: اللَّهُ الْمُنَّةُ إِنْ صَدَقْتُمْ فِي إِيمَانِكُمْ لَا لَكُمْ.

سُورَةُ قُ

[مكية وهي أربعون وخمس آيات بلا خلاف]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَإِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿ق﴾ قُضِيَ مَا هُوَ كَائِنٌ [إلى يوم القيامة]^(٢) ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ [الكبير القدر
و]^(٣) الكثير الخير.

﴿بَلْ عَجِبُوا﴾ يعني: كَفَّارٌ مَكَّةَ ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُمْ
يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَأَمَانَتَهُ ﴿فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ يعني: هَذَا الْإِنْذَارُ الَّذِي
يَنْذَرُنَا.

﴿إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ تُبْعَثُ؟ وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارٍ، وَجَوَابُهُ مَحْذُوفٌ، ثُمَّ أَنْكَرُوا
ذَلِكَ أَصْلًا، فَقَالُوا: ﴿ذَلِكَ﴾ أَيُّ: الْبَعْثُ ﴿رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ رَدٌّ لَا يَكُونُ. قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى:

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ مَا تَأْكُلُ مِنْ لَحْوِمِهِمْ ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ﴾
أَيُّ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ مِنْ أَنْ يَدْرُسَ وَيَتَغَيَّرَ، وَفِيهِ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الْمَقْدَّرَةِ.

(١) زيادة من ظا.

(٢) ما بين [] من نسخة الأصل، وليس في البواقي.

(٣) زيادة من ظا.

بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قُلُوبُهُمْ قَوْمٌ تَوَجَّوْا وَاصْحَبْ الرِّيسَ وَتَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادُ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَاصْحَبْ آلَ يَكْتَةَ وَقَوْمٌ تَبِعُوا كُلَّ كَذَّابٍ فَتَقَوَّى الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ

﴿٥﴾ ﴿بل كذبوا بالحق﴾ أي: بالقرآن ﴿لما جاءهم فهم في أمر مريج﴾ ملبس عليهم، مرةً يقولون للنبي ﷺ: ساحرٌ، ومرةً: شاعرٌ ومرةً: مُعَلِّمٌ، ثمَّ دلَّهم على قدرته فقال:

﴿٦﴾ ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج﴾ شقوق. وقوله:

﴿٧﴾ ﴿من كل زوج بهيج﴾ أي: من كل لونٍ حسنٍ.

﴿٨﴾ ﴿تبصرة﴾ فعلنا ذلك تبصيراً وتذكيراً ودلالةً على قدرتنا ﴿لكل عبد منيب﴾ يرجع إلى الله تعالى، فيتفكر في قدرته. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿وحبَّ الحصيد﴾ أي: ما يُقَاتَل من الحبوب.

﴿١٠﴾ ﴿والنخل باسقات﴾ طوالاً ﴿لها طلع نضيد﴾ ثمرٌ متراكبٌ.

﴿١١﴾ ﴿رزقاً للعباد﴾ أي: آتينا هذه الأشياء للرزق ﴿وأحيينا به﴾ بذلك الماء ﴿بلدة ميتاً﴾ كذلك الخروج من القبور. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿وقوم تبع﴾ وهو ملكٌ كان باليمن أسلم، ودعا قومه إلى الإسلام فكذبوه، وقوله: ﴿فحقَّ وعيد﴾ وجب عليهم العذاب.

﴿١٥﴾ ﴿أفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: أعجزنا عنه حتى نعيى بالإعادة ﴿بل هم في لبس﴾

مَنْ خَلَقَ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنَفَخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيََا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾

شك ﴿من خلق جديد﴾ أي: البعث.

﴿١٦﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ يحدثه قلبه ﴿ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ وهو عرق في العنق.

﴿١٧﴾ ﴿إذ يتلقى المتلقيان﴾ أي: الملكان الحافظان يتلقيان ويأخذان ما يعمله الإنسان، فيثبتانه. ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ قاعدان على جانبيه.

﴿١٨﴾ ﴿ما يلفظ﴾ يتكلم ﴿من قول إلا لديه رقيب﴾ حافظ ﴿عتيد﴾ حاضر.

﴿١٩﴾ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ أي: غمرته وشدته ﴿بالحق﴾ أي: من أمر الآخرة حتى يراه الإنسان عياناً. ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ أي: تهرب وتروغ. يعني: الموت.

﴿٢٠﴾ ﴿ونفخ في الصور﴾ أي: نفخة البعث. ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ الذي يُوعَد الله به الكفار.

﴿٢١﴾ ﴿وجاءت كل نفس﴾ إلى المحشر ﴿معها سائق﴾ من الملائكة يسوقها ﴿وشهيد﴾ شاهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل، فيقول الله تعالى:

﴿٢٢﴾ ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ فخلينا عنك سترك حتى عاينته ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ فعلمك بما أنت فيه نافذ.

﴿٢٣﴾ ﴿وقال قرينه﴾ أي: الملك الموكل به: ﴿هذا ما لدي عتيد﴾ هذا الذي وكلتني به قد أحضرته، فأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله للملكين الموكلين بالإنسان:

﴿٢٤﴾ ﴿ألقيَا في جهنم كل كفار عنيد﴾ عاصٍ مُعرضٍ عن الحق.

مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَهُآ آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ منع للخير ﴿معتد﴾ ماله ﴿معتد﴾ ظالم ﴿مریب﴾ شاك.
 ﴿٢٦﴾ قال قرينه ﴿من الشياطين﴾: ﴿ربنا ما أطغيت﴾ ما أضللته ﴿ولكن كان في ضلال بعيد﴾ أي: إنما طغى هو بضلاله، وإنما دعوته فاستجاب لي، كما قال في الإخبار عن الشيطان: ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾^(١) فحينئذ يقول الله:
 ﴿٢٨﴾ ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ حذرتكم العقوبة في الدنيا على لسان الرسل.
 ﴿٢٩﴾ ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ﴾ لا تبديل لقولي ولا خلف لوعدي ﴿وما أنا بظلام للعبيد﴾ فأعاقب بغير جرم.
 ﴿٣٠﴾ ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ وهذا استفهامٌ تحقيقى، وذلك أَنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدّها أَنْ يملأها، فلمّا ملأها قال لها: ﴿هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ أي: هل بقي في موضع لم يمتلئ، أي: قد امتلأت.
 ﴿٣١﴾ ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ﴾ أُنِيتِ الجنةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ حتى يروها ﴿غير بعيد﴾ منهم، ويقال لهم:

﴿٣٢﴾ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجّاع إلى الله بالطاعة ﴿حفيظ﴾ حافظ لأمر الله.
 ﴿٣٣﴾ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ خاف الله ولم يره ﴿وجاء بقلب منيب﴾ مقبل إلى طاعة الله. يقال لهم:

أَدْخُلُوهَا بِسَلْتِكُمْ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ

﴿٣٤﴾ ادخلوها بسلام ﴿بسلام﴾ من العذاب ﴿ذلك يوم الخلود﴾ لأهل الجنة فيها .

﴿٣٥﴾ لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد ﴿زيادة مما لم يخطر ببالهم . وقيل هو الرؤية .

﴿٣٦﴾ وكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ ﴿قبل أهل مكة﴾ ﴿من قرن﴾ جماعة من النَّاسِ ﴿هم أشدُّ منهم بطشاً فنقَّبوا﴾ طَوَّفُوا في البلاد وفتَّشوا، فلم يروا محيصاً من الموت .

﴿٣٧﴾ ﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿لذكرى﴾ لعظة وتذكيراً ﴿لمن كان له قلب﴾ أي : عقل ﴿أو ألقى السمع﴾ أي : استمع القرآن ﴿وهو شهيد﴾ حاضر القلب . وقوله :

﴿٣٨﴾ وما مسنا من لغوب ﴿أي : وما أصابنا تعب وإعياء، وهذا ردُّ على اليهود في قولهم : إنَّ الله تعالى استراح يوم السبت .

﴿٣٩﴾ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك ﴿صلِّ لله﴾ قبل طلوع الشمس ﴿أي : صلاة الفجر﴾ وقبل الغروب ﴿صلاة الظهر والعصر .

﴿٤٠﴾ ومن الليل فسبحه ﴿أي : صلاتي العشاء﴾ وأدبار السجود ﴿أي : الرُّكْعَتَيْنِ بعد المغرب .

﴿٤١﴾ واستمع يا محمد ﴿يوم ينادي المنادي﴾ وهو إسرافيل عليه السَّلام يقول : أيتها العظام البالية، واللُّحُوم المُمْتَرِّقَة، إِنَّ الله يَأْمُرُكُنَّ أَنْ تَجْتَمِعْنَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ^(١)

مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ مُحْيٍ وَنُفِيتُ وَإِلَيْنَا
الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ
وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدَ ﴿٤٥﴾

﴿من مكان قريب﴾ من السماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضع من الأرض إلى السماء.

﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾ أي: نفخة البعث ﴿ذلك يوم الخروج﴾ من القبور.

﴿يوم تشقى الأرض عنهم﴾ فيخرجون ﴿سراعاً﴾.

﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ بمسلط يجبرهم على الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال ﴿فذكّر﴾ فعظ ﴿بالقرآن من يخاف وعيد﴾.

سُورَةُ الذَّارِيَّاتِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتُونَ آيَةً بِإِلَّاهٍ خِلَافٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ ذَرَوْا ﴿١﴾ فَأَلْحَمَكَ وَقَرَأَ ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمَقْسَمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَوْعُوهُ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُوبِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ والذاريات ذروا ﴿أي: الرياح التي تذر الثراب.﴾

﴿٢﴾ فالحاملات وقرأ ﴿وهي السحاب تحمل الماء.﴾

﴿٣﴾ فالجاريات يسرا ﴿السفن تجري في البحر يسر﴾ فالقسمات أمرا ﴿الملائكة تأتي بأمر مختلف من الخصب والجذب، والمطر والموت، والحوادث.﴾

﴿٥﴾ إن ما توعدون ﴿من الخير والشر، والثواب والعقاب﴾ لصادق ﴿أقسم الله بهذه الأشياء على صدق وعده.﴾

﴿٦﴾ وإن الدين ﴿الجزاء على الأعمال﴾ لواقع ﴿لكائن.﴾

﴿٧﴾ والسماء ذات الحبك ﴿الخلق الحسن.﴾

﴿٨﴾ إنكم ﴿يا أهل مكة﴾ لفي قول مختلف ﴿في أمر النبي ﷺ.﴾

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمَرٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ
الَّذِينَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا
يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَّا تَحَارَّ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ
لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

﴿٩﴾ ﴿يؤفك عنه﴾ يُصرف عن الإيمان به ﴿من أفك﴾ صُرف عن الخير.

﴿١٠﴾ ﴿قتل الخراصون﴾ لُعن الكذابون، يعني: المُقتسمين.

﴿١١﴾ ﴿الذين هم في غمرة﴾ غفلة ﴿ساهون﴾ لاهون.

﴿١٢﴾ ﴿يسألون أيان يوم الدين﴾ متى يوم الجزاء؟ استهزاء منهم. قال الله تعالى:

﴿١٣﴾ ﴿يوم هم على النار يفتنون﴾ أي: يقع الجزاء يوم هم على النار يُقْتَنُونَ يُحْرَقُونَ
ويعذبون، وتقول لهم الخزنة:

﴿١٤﴾ ﴿ذوقوا فتنكم﴾ عذابكم ﴿هذا الذي كنتم به تستعجلون﴾ في الدنيا.

﴿١٥﴾ ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾.

﴿١٦﴾ ﴿آخذين ما آتاهم ربهم﴾ من الثواب والكرامة ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ قبل دخولهم
الجنة ﴿محسنين﴾.

﴿١٧﴾ ﴿كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون﴾ كانوا ينامون قليلاً من الليل.

﴿١٩﴾ ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ وهو الذي لا يسأل الناس ولا يكتسب.

﴿٢٠﴾ ﴿وفي الأرض آيات﴾ دلالات على قدرة الله تعالى ووحدانيته ﴿للموقنين﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وفي أنفسكم﴾ أيضاً آيات من تركيب الخلق، وعجائب ما في الآدمي من خلقه
﴿أفلا تبصرون﴾ ذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿وفي السماء رزقكم﴾ أي: الثلج والمطر الذي هو سبب الرزق والنبات من

وَمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَنْتُمْ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَفٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

الأرض ﴿وما توعدون﴾ «ما» ابتداءً، وخبره محذوفٌ على تقدير: وما توعدون من البعث والثواب والعقاب حقٌّ، ودلٌّ على هذا المحذوف قوله: ﴿فوربَّ السماء والأرض إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ أي: كما أَنْتُمْ تتكلمون، أي: إِنَّهُ معلومٌ بالدليل كما إِنَّ كَلامكم إذا تكلمتم معلومٌ لكم ضرورةً أَنْتُمْ تتكلمون، و «مثلٌ» رفعٌ ^(١) لَأَنَّهُ صفةٌ لقوله: «الحق»، ومن نصب أراد: إِنَّهُ لَحَقُّ حقاً مثل ما أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ.

﴿هل أُنَاكَ حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ بأن خدمهم بنفسه.

﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا﴾ سَلَمُوا سَلَاماً ﴿قَالَ سَلَامٌ﴾ عليكم ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ أي: أَنْتُمْ قوم لا نعرفكم.

﴿فَرَاغَ﴾ فعدل ومال ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾. وقوله:

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: وقع في نفسه الخوف منهم، وقوله:

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ﴾ أي: أخذت تصيح بشدةٍ ﴿فَصَكَّتْ﴾ لطمت ﴿وَجْهَهَا﴾ وقالت: ﴿أنا عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ فكيف ألد؟

﴿قَالُوا كَذَلِكَ﴾ كما أخبرناك ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أي: نخبرك عن الله لا عن أنفسنا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ يقدر أن يجعل العقيم ولوداً، فلمَّا قالوا ذلك علم إبراهيم أَنَّهُمْ رسلٌ، وأنَّهُمْ ملائكة [صلوات الله عليهم].

(١) قرأ «مثلٌ» بالرفع أبو بكر ابن عياش، وحمزة، والكسائي، وخلف، والباقون بالنصب. الإتحاف ص ٣٩٩.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣١) ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ (٣٢) ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ (٣٣) ﴿مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣٤) ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣٥) ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٦) ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ (٣٧) ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٣٨) ﴿فَتَوَلَّىٰ بَرَكِيهٖ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ (٣٩) ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ (٤٠) ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ (٤١) ﴿مَا تَذُرُ مِن شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ﴾ (٤٢)

الجزء السابع والعشرون:

- ﴿٣١﴾ قال: فما خطبكم؟ أي: ما شأنكم وفيهم أرسلتم؟
- ﴿٣٢﴾ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين؟ يعنون قوم لوط.
- ﴿٣٣﴾ لنرسل عليهم حجارة من طين؟ يعني: السَّجِيل.
- ﴿٣٤﴾ مسومة عند ربك للمسرفين؟ معلمة على كل حجرٍ منها اسم من يهلك به.
- ﴿٣٥﴾ فأخرجنا من كان فيها؟ يعني: من قرى قوم لوط ﴿من المؤمنين﴾.
- ﴿٣٦﴾ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين؟ يعني: بيت لوط عليه السلام.
- ﴿٣٧﴾ وتركنا فيها؟ بإهلاكهم ﴿آية﴾ علامة للخائفين تدلُّ على أن الله أهلهم.
- ﴿٣٨﴾ وفي موسى؟ عطف على قوله: «وفي الأرض». ﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسُلطان مبين﴾ بحجة واضحة.
- ﴿٣٩﴾ فتولَّى؟ فأعرض عن الإيمان ﴿بركته﴾ مع جنوده وما كان يتقوى به. وقوله:
- ﴿٤٠﴾ وهو ملِيم؟ أي: أتى ما يلام عليه.
- ﴿٤١﴾ وفي عاد؟ أيضاً آية ﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ وهي التي لا بركة فيها، ولا تأتي بخير.
- ﴿٤٢﴾ ما تذر من شيء أنت عليه إلا جعلته كالريم؟ كالتب الذي قد تحطَّم.

﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين﴾ إلى فناء آجالكم.

﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ أَي: أَنْ يَقُومُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ﴾ أَي:

﴿وقوم نوح﴾ وأهلكنا قوم نوح قبل هؤلاء.

﴿٤٧﴾ ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ ﴿وَبَقُوَّةٍ﴾ ﴿وَأَنَا لَمُوسِعُونَ﴾ لقادرون. وقيل: جاعلون بين السماء والأرض سعة.

﴿٤٨﴾ ﴿وَالْأَرْضُ فَرَشْنَاهَا﴾ ﴿مَهْدْنَاهَا لَكُمْ﴾ ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ نحن .

﴿٤٩﴾ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴿صنفين كالذكر والأنثى﴾، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لعلكم تذكرون﴾ فتعلموا أَنَّ خالق الأزواج فردٌ.

﴿فَقُتِلُوا﴾ من عذاب الله إلى طاعته.

﴿٥٧﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أخبرناك ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل أهل مكة ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ .

﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ﴾ أَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالتَّكْذِيبِ، وَالْأَلْفُ لِلتَّوْيِخِ. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ عَاصُونَ.

﴿٥٤﴾ ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ لَأَنَّكَ بَلَغْتَ الرِّسَالَةَ.

وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وذكر﴾ ﴿٥٥﴾ ذكرهم بأيام الله ﴿فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾.

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ أي: إلا لأمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها. وقيل: أراد المؤمنين منهم، وكذا هو في قراءة ابن عباس: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون»^(١). ﴿ما أريد منهم من رزق﴾ أن يرزقوا أنفسهم أو أحداً من عبادي ﴿وما أريد أن يطعمون﴾ لأنني أنا الرزاق والمُطعم. وقوله:

﴿المتين﴾ أي: المُبالغ في القوة.

﴿فإن للذين ظلموا﴾ أي: أهل مكة ﴿ذنوباً﴾ نصيباً من العذاب ﴿مثل ذنوب﴾ نصيب ﴿أصحابهم﴾ الذين أهلكوا ﴿فلا يستعجلون﴾ إن أخرتهم إلى يوم القيامة.

﴿فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾ من يوم القيامة.

• • •

سُورَةُ الطُّورِ

[مكية وهي أربعون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ وَالطُّورِ ﴿١﴾ أقسم الله تعالى بالجبل الذي كلم عليه موسى، وهو جبل بمدين اسمه زبير.

﴿٢﴾ وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ مكتوب.

﴿٣﴾ فِي رَقٍّ ﴿٣﴾ وهو الجلد الذي يكتب فيه ﴿منشور﴾ مبسوط. أي: دواوين الحفظه التي أثبتت فيها أعمال بني آدم.

﴿٤﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وهو بيت في السماء بإزاء الكعبة تزوره الملائكة ^(٢).

﴿٥﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن مالك بن صعصعة قال: قال نبي الله ﷺ، رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخَرُ مَا عَلَيْهِمْ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي بَدْءِ الْخَلْقِ ٢١٩/٦، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ١٦/٢٧.

وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُمْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾
وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ
إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا ﴿١٣﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَتَكِيهِنَّ بِمَاءٍ النَّهْمِ رَبِّهُمْ وَوَقْلَهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ
بِمَا كَسَبَ

﴿٦﴾ والبحر المسجور المملوء.

﴿٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ لَنَازِلٌ كَائِنٌ.

﴿٩﴾ يوم تمور السماء مورا تتحرك وتضطرب وتدور. يعني: يوم القيامة.

﴿١٢﴾ الذين هم في خوض باطل يلعبون أي: تشاغلهم بكفرهم.

﴿١٣﴾ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يدعون إليها دفعاً عنيفاً، ويقال لهم:

﴿١٤﴾ هذه النار التي كنتم بها تكذبون.

﴿١٥﴾ أفسحر هذا الذي ترون أم أنتم لا تبصرون؟ وهذا توبيخ لهم، والمعنى: أتصدّقون الآن عذاب الله. وقوله:

﴿١٨﴾ فاكهين بما آتاهم ربهم أي: مُعجبين به.

﴿٢١﴾ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم يريد: أنه يلحق الأولاد

بدرجة الآباء في الجنة إذا كانوا على مراتب، وكذلك الآباء بدرجة الأبناء لتقر بذلك أعينهم، فيلحق بعضهم بعضاً إذا اجتمعوا في الإيمان، من غير أن ينقص من أجر من هو أحسن عملاً شيئاً بزيادته في درجة الأنقص عملاً، وهو قوله: ﴿وما ألتناهم﴾ أي: وما نقصناهم ﴿من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب﴾

رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَهُمْ بِفَكْهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَزِعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيْمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَوَقَّنَا عَذَابَ السُّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيْمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ يَنْعَمَ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾

بما عمل من خيرٍ أو شرٍّ ﴿رهين﴾ مرهونٌ يُؤخذ به .

﴿٢٢﴾ ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم﴾ أي: زدناهم .

﴿٢٣﴾ ﴿ينتازعون﴾ يتناولون ويأخذ بعضهم من بعض ﴿فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأتيم﴾ لا يجري بينهم فيها باطلٌ ولا إثمٌ كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا .

﴿٢٤﴾ ﴿ويطوف عليهم﴾ بالخدمة ﴿غلمان لهم كأنهم﴾ في بياضهم وصفائهم ﴿لؤلؤ مكنون﴾ مخزونٌ مصونٌ .

﴿٢٥﴾ ﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾ في الجنة ﴿يتساءلون﴾ عن أحوالهم التي كانت في الدنيا .

﴿٢٦﴾ ﴿قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين﴾ خائفين من عذاب الله .

﴿٢٧﴾ ﴿فمن الله علينا﴾ بالجنة ﴿ووقنا عذاب السموم﴾ عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها .

﴿٢٨﴾ ﴿فذكرهم﴾ يا محمد الجنة والنار ﴿فما أنت بنعمة ربك﴾ برحمة ربك وإكرامه إياك بالنبوة ﴿بكاهن﴾ تخبر بما في غدٍ من غير وحيٍ ﴿ولا مجنون﴾ كما تقولون .

﴿٣٠﴾ ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون: هو ﴿شاعرٌ نتربص به ريب المنون﴾ ننتظر به الموت فيهلك .

قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُكُمْ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوفِقُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكِ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

﴿٣١﴾ قل تربصوا فإني معكم من المتربصين ﴿حتى يأتي أمر الله فيكم﴾.

﴿٣٢﴾ ﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾ عقولهم ﴿بهذا﴾ أي: بترك قبول الحق من صاحب المعجزة ﴿أم هم قوم طاعون﴾ أي: أم يكفرون طغياناً بعد ظهور الحق.

﴿٣٣﴾ ﴿أم يقولون نقوله﴾ أي: القرآن من قبل نفسه، ليس كما يقولون ﴿بل لا يؤمنون﴾ استكباراً.

﴿٣٤﴾ ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ أن محمداً يقوله من قبل نفسه.

﴿٣٥﴾ ﴿أم خلقوا من غير شيء﴾ أي: لغير شيء. يعني: أخلقوا عبثاً وسُدَى ﴿أم هم الخالقون﴾ أنفسهم.

﴿٣٦﴾ ﴿أم عندهم خزائن ربك﴾ ما في خزائن ربك من العلم بما يكون في غد ﴿أم هم المسيطرون﴾ المُسلِّطون الجبارون.

﴿٣٨﴾ ﴿أم لهم سلم﴾ مرقى إلى السماء ﴿يستمعون فيه﴾ أن الذي هم عليه حق ﴿فليأت مستمعهم﴾ إن ادَّعوا ذلك ﴿بسلطانٍ مبين﴾ بحجة واضحة، ثم سَفَّه أحلامهم في جعلهم البنات لله، فقال:

﴿٣٩﴾ ﴿أم له البنات ولكم البنون﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿أم تسألهم أجراً﴾ على ما جئتهم به ﴿فهم من مغرم﴾ غرم ﴿مثقلون﴾ مجهودون، والمعنى: إنَّ الحجةَ واجبةٌ عليهم من كلِّ جهةٍ.

أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿٤١﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ ﴿علم ما يؤول إليه أمر محمد ﷺ﴾ فهم يكتبون ﴿يحكمون بأنه يموت فتستريح منه﴾.

﴿٤٢﴾ أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا ﴿مكرًا بك في دار الندوة﴾ فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿المجزيون بكيدهم؛ لأنَّ الله تعالى حفظ نبيّه عليه السَّلام من مكرهم، وقتلوا هم ببدر﴾.

﴿٤٤﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا ﴿قطعا﴾ مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا ﴿لعنادهم وفرط شقاوتهم: ﴿سحاب مركوم﴾ بعضه على بعض. وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾^(١). أخبر الله تعالى أنَّه لو فعل ذلك لم يؤمنوا.

﴿٤٥﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿يموتون، ثمَّ أخبر أنَّه يعجل لهم العذاب في الدنيا، فقال:

﴿٤٧﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴿كفروا﴾ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴿قبل موتهم، وهو الجوع والقحط سبع سنين، ثمَّ أمره بالصَّبر فقال:

﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿بحيث نراك ونحفظك ونرعاك﴾ وسبِّح بحمد ربك حين تقوم ﴿من مجلسك قل: سبحانك اللهم وبحمدك.

﴿٤٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ ﴿فسبحه، أي: صلِّ له صلاتي العشاء﴾ وإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿أي: ركعتي الفجر﴾.



سُورَةُ النُّجُومِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ سِتُونَ آيَاتَان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ والنجم إذا هوى: أي: والثريا إذا سقطت. وقيل: القرآن إذا نزل مُتَفَرِّقًا نَجُومًا.

﴿٢﴾ ما ضلَّ صاحبكم: محمد عليه السَّلام ﴿وما غوى﴾.

﴿٣﴾ وما ينطق عن الهوى: ما الذي يتكلم به ممَّا قاله بهواه.

﴿٤﴾ إن هو: ما هو ﴿إلاَّ وحْيٌ يوحى﴾ إليه.

﴿٥﴾ علمه شديد القوى: أي: جبريل عليه السَّلام.

﴿٦﴾ ذو مرة: قوَّةٌ شديدة ﴿فاستوى﴾ جبريل عليه السَّلام في صورته التي خلقه الله عزَّ وجلَّ عليها.

﴿٧﴾ وهو بالأفق الأعلى: وذلك أنَّ رسول الله ﷺ سأله أن يريه نفسه على صورته، فوَّاعده ذلك بحراء، فطلع له جبريل عليه السَّلام من المشرق، فسَدَّ الأفق إلى المغرب.

﴿٨﴾ ثم دنا فتدلى: هذا من المقلوب، أي: ثم تدلى أي: نزل من السَّماء، فدنا من محمد عليه السَّلام.

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتَمْنُونَهُ
عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى
السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾

﴿٩﴾ ﴿فكان﴾ منه في القرب على قدر ﴿قوسين أو أدنى﴾ والمعنى: أنه بعد ما رأى رسول الله ﷺ من عظمه، وهاله ذلك رده الله تعالى إلى صورة آدمي حتى قرب من النبي ﷺ للوحي، وذلك قوله:

﴿١٠﴾ ﴿فأوحى إلى عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ما أوحى﴾ الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام.

﴿١١﴾ ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ أي: لم يكذب قلب محمد عليه السلام فيما رأى ليلة المعراج، وذلك أن الله جعل بصره في فؤاده حتى رآه، وحقق الله تعالى تلك الرؤية وقال: إنها كانت رؤية حقيقية ولم تكن كذبا.

﴿١٢﴾ ﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ أفجادولونه في أنه رأى الله عز وجل.

﴿١٣﴾ ﴿ولقد رآه﴾ ربه. وقيل: رأى جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿نزلة أخرى﴾ مرة أخرى.

﴿١٤﴾ ﴿عند سدرة المنتهى﴾ وهي شجرة إليها ينتهي علم الخلق، وما وراءها غيب لا يعلمه إلا الله عز وجل.

﴿١٥﴾ ﴿عندها جنة المأوى﴾ وهي جنة تصير إليها أرواح الشهداء.

﴿١٦﴾ ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ قيل: يغشاها فراش من ذهب. وقيل: الملائكة أمثال الغربان.

﴿١٧﴾ ﴿ما زاغ البصر وما طغى﴾ هذا وصف أدب النبي ﷺ ليلة المعراج، أي: لم يمل بصره عما قصد له، ولا جاوز إلى ما أمر به.

لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ أَكَلْتُمْ الْفَلَاتِ وَالْعُرَى ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةِ الْآخِرَى ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ
الذِّكْرُ وَلَهُ الْآثَنَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذَا قَسَمْتُ ضِيْرَى ﴿٢٢﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمِيَتْ مُوْهَا أَنْتُمْ وَعَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ
اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴿٢٣﴾ أَمْ
لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَى ﴿٢٤﴾

﴿١٨﴾ ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ أي: ما رأى من الآيات العظام تلك الليلة^(١).

﴿١٩﴾ ﴿أفرايتم اللات والعزى﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿ومناة الثالثة الأخرى﴾ هذه أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة^(٢).
والمعنى أخبرونا عن هذه الإناث التي تعبدونها، وتزعمون أنها بنات الله، الله
هي، وأنتم تختارون الذكران، وذلك قوله:

﴿٢١﴾ ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿تلك إذا قسمة ضيْرَى﴾ جائزة ناقصة.

﴿٢٣﴾ ﴿إن هي﴾ ما هذه الأوثان ﴿إلا أسماء﴾ لا حقيقة لها ﴿سميتموها أنتم وآباؤكم
ما أنزل الله بها﴾ بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجة وبرهان. ﴿إن يتبعون﴾ ما يتبعون في
عبادتها وأنها شفعاء لهم ﴿إلا الظن وما تهوى الأنفس﴾ يعني: إن ذلك شيء
ظنوه، وأمر سؤلت لهم أنفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ البيان على لسان
محمد ﷺ.

﴿٢٤﴾ ﴿أم للإنسان ما تمنى﴾ أيطئون أن لهم ما تمنوا من شفاعة الأصنام؟ ليس كما
تمنوا. بل

(١) عن عبد الله بن مسعود في: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾، قال: رأى رفرفاً أخضر قد سدّ
الأفق. أخرجه البخاري في التفسير ٦١١/٨؛ والنسائي في تفسيره ٣٥٢/٢.

(٢) عن ابن عباس في الآية قال: كان اللات رجلاً يلك سويق الحاج. أخرجه البخاري في التفسير
٦١١/٨.

فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا يَمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ

﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾ فلا يجري في الدارين إلا ما يريد.

﴿٢٦﴾ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ هو أكرم على الله من هذه الأصنام ﴿لا تغني شفاعتهم﴾ عن أحد ﴿شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله﴾ لهم في ذلك ﴿لمن يشاء ويرضى﴾ كقوله ^(١): ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾.

﴿٢٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونُ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى﴾ يقولون: إنهم بنات الله.

﴿٢٨﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ إِنَّ ظَنَّهُمْ لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً.

﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ﴾ يا محمد ﴿عن من تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أَعْرِضْ عَنِ الْقُرْآنِ ﴿ولم يرد إلا الحياة الدنيا﴾.

﴿٣٠﴾ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ يقول: ذلك نهاية علمهم أَنْ آثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ. وقوله:

﴿٣١﴾ إِلَّا اللَّمَمَ﴾ يعني: صغار الذُّنُوبِ، كَالْتَّظَرَةِ وَالْقُبْلَةِ، وقوله: ﴿إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنْ

الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي
تَوَلَّى ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ﴿٣٤﴾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ
مُوسَى ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴿٣٨﴾ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾
وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ﴿٤٠﴾

الأرض﴾ يعني: خلق أباكم من التراب ﴿وإذ أنتم أجنة﴾ جمع جنين. ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ لا تمدحوها ﴿هو أعلم بمن اتقى﴾ عمل حسنة.

﴿أفرايت الذي تولي﴾ أعرض عن الإيمان، يعني: الوليد بن المغيرة، وكان قد اتبع رسول الله ﷺ فغيره بعض المشركين على ذلك فقال: إني أخشى عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل عنه عذاب الله، فرجع في الشرك وأعطى صاحبه الضامن من بعض ما كان ضمن له، ومنعه الباقي^(١)، وذلك قوله:

﴿وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى﴾ أي: قطع ذلك ومنعه.

﴿أعنده علم الغيب فهو يرى﴾ ما غاب عنه من أمر الآخرة، حتى علم أن غيره يحمل عنه العذاب.

﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسى﴾ أسفار التوراة.

﴿و﴾ صحف. ﴿إبراهيم الذي وفى﴾ أكمل ما أمر به وأتممه، ثم بين ذلك فقال:

﴿ألا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾ أي: لا تؤخذ نفسٌ بمأثم غيرها.

﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى﴾ عمل لآخرته.

﴿وأن سعيه﴾ عمله ﴿سوف يرى﴾ في ميزانه من خيرٍ وشرٍ.

(١) وهذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد. أخرجه ابن جرير ٧٠/٢٧؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٦١.

ثُمَّ يُجْزِيهِ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ
وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾
وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾
وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤَنَفَكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا عَشَىٰ ﴿٥٤﴾ فَيَأْيِ
ءَآلَاءِ رَبِّكَ نَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾

- ﴿٤١﴾ ﴿ثم يجزيه﴾ يجزى عليه ﴿الجزء الأوفى﴾ الأتم .
- ﴿٤٢﴾ ﴿وأنَّ إلى ربك المنتهى﴾ المصير والمرجع .
- ﴿٤٣﴾ ﴿وأنه هو أضحك﴾ مَنْ شاء من خلقه ﴿وأبكى﴾ مَنْ شاء منهم .
- ﴿٤٤﴾ ﴿وأنه هو أَمَات﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث . وقوله :
- ﴿٤٦﴾ ﴿إذا تمني﴾ أي : تصبُّ في الرَّحِم .
- ﴿٤٧﴾ ﴿وأنَّ عليه النشأة الأخرى﴾ الخلق الآخر بعد الموت .
- ﴿٤٨﴾ ﴿وأنه هو أغنى﴾ بالمال ﴿وأقنى﴾ أرضى بما أعطى . وقيل : أقنى : أعطى أصول الأموال وما يتخذ فيه قنية .
- ﴿٤٩﴾ ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ وهي كوكبٌ خلف الجوزاء كانت تُعبد في الجاهلية .
- ﴿٥٠﴾ ﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾ قوم هود .
- ﴿٥٣﴾ ﴿والمؤنفكة﴾ قرى قوم لوط ﴿أهوى﴾ أسقطها إلى الأرض بعد رفعها .
- ﴿٥٤﴾ ﴿فغشَّاهَا مَا عَشَى﴾ ألبسها العذاب والحجارة .
- ﴿٥٥﴾ ﴿فبأيِّ آلاء ربك تتمارى﴾ بأيِّ نِعَم ربِّك التي تدلُّ على توحيده وقدرته تشكُّكُ أيُّها الإنسان؟
- ﴿٥٦﴾ ﴿هذا﴾ محمَّدٌ ﴿نذير من النذر الأولى﴾ أي : هو رسولٌ أرسل إليكم كما أرسل من قبله من الرُّسل .

أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ ﴿٦١﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٦٢﴾

﴿أزفت الآزفة﴾ قربت القيامة. ﴿٥٧﴾

﴿ليس لها من دون الله كاشفة﴾ لا يكشف عنها إلا الله تعالى، كقوله: ﴿لا يجليها لوقتها إلى هو﴾^(١) ﴿٥٨﴾

﴿أفمن هذا الحديث﴾ أي: القرآن ﴿تعجبون﴾. ﴿٥٩﴾

﴿وتضحكون ولا تبكون﴾. ﴿٦٠﴾

﴿وأنتم سامدون﴾ لاهون غافلون. ﴿٦١﴾

﴿فاسجدوا لله واعبدوا﴾ معناه: فاسجدوا لله واعبدوا الذي خلق السموات والأرض، ولا تسجدوا للأصنام التي ذكرت في هذه السورة. ﴿٦٢﴾

• • •

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية وهي خمسون وخمس آيات بلا خلاف^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ اقتربت الساعة ﴿وانشَقَّ القمر﴾ انفلق بنصفين على عهد رسول الله ﷺ، وذلك أَنَّ أهل مكة سألوه آيةً، فأراهم القمر فلقين حتى رأوا حراءَ بينهما^(٢)، فأخبر الله تعالى أَنَّ ذلك من علامات قرب الساعة.

﴿٢﴾ وإن يروا ﴿آية﴾ تدلُّ على صدق محمد ﷺ ﴿يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾ ذاهب باطلٌ يذهب. وقيل: محكمٌ شديد. وقوله:

﴿٣﴾ وكلُّ أمرٍ مستقر ﴿أي: يستقرُّ قرار تكذيبهم، وقرار تصديق المؤمنين. يعني: عند ظهور الثواب والعقاب.

﴿٤﴾ ولقد جاءهم ﴿جاء أهل مكة﴾ ﴿من الأنباء﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة ﴿ما فيه

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرجه مسلم عن أنس في صفات المنافقين برقم ٢٨٠٢؛ والنسائي في تفسيره ٣٦٦/٢؛

والترمذي في التفسير برقم ٣٢٨٦.

مَزْدَجَرُ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ
 تُكْرِهُ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ
 الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا
 رَبُّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ

مزدجر ﴿متناهى ومنتهى﴾.

﴿٥﴾ ﴿حكمة بالغة﴾ أي: ما أتاها من أخبار مَنْ قبلهم حكمة بالغة تامة، ليس فيها نقصان، أي: القرآن، وذلك أَنَّ تلك الأخبار قُصَّت عليهم في القرآن ﴿فما تغني النذر﴾ جمع نذير، أي: فليست تغني عن التَّكْذِيبِ.

﴿٦﴾ ﴿فتولَّ عنهم﴾، وتَمَّ الكلام، ثمَّ قال: ﴿يوم يدع الداعي إلى شيء نكر﴾ مُنْكَرٍ، وهو النَّار.

﴿٧﴾ ﴿خشعاً﴾ ذليلة ﴿أبصارهم يخرجون من الأجداث﴾ القبور ﴿كأنهم جراد منتشر﴾ كقوله: ﴿كالفراش المبثوث﴾^(١).

﴿٨﴾ ﴿مهطعين﴾ مُقْبِلِينَ نَاطِرِينَ ﴿إلى الداعي﴾ إلى مَنْ يدعوهم إلى المحشر ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ شديد.

﴿٩﴾ ﴿كذبت قبلهم﴾ قبل أهل مَكَّة ﴿قوم نوح فكذبوا عبدنا﴾ نوحاً ﴿وقالوا: مجنون وازدجر﴾ زَجَرَ [وَنَهَرَ]^(٢) ونَهَى عن دعوته ومقاتله.

﴿١٠﴾ ﴿فدعا ربَّه أَنِّي مَغْلُوبٌ﴾ مَقْهُورٌ ﴿فانتصر﴾ فانتقم لي منهم.

﴿١١﴾ ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾ سَائِلٍ.

﴿١٢﴾ ﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾ فتحتها بعيون الماء ﴿فالتقى الماء﴾ ماءُ السَّمَاءِ وماءُ

عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسِّرَ ﴿١٧﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿٢٣﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٦﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٧﴾

الأرض ﴿على أمر قد قدر﴾ قضي عليهم في أم الكتاب.

﴿وحملناه﴾ أي: نوحاً ﴿على ذات الأوج﴾ وهي السفينة ﴿ودسر﴾ يعني: ما تشدَّ به السفينة من المسامير والشُّرط^(١).

﴿تجري بأعيننا﴾ بمرأى منا وحفظ ﴿جزاء لمن كان كفر﴾ يعني: نوحاً، أي: فعلنا ذلك ثواباً له إذ كفر به وكذَّب.

﴿ولقد تركناها آية﴾ تركنا تلك القِصَّة آية: علامة؛ لِيُعتبر بها ﴿فهل من مذكِّر﴾ مُتَّعِظٍ بها.

﴿فكيف كان عذابي﴾ استفهام معناه التَّقرير ﴿ونذر﴾ أي: إنذاري.

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ سهَّلناه للحفظ، فليس يحفظ كتاباً من كتب الله ظاهراً إلاَّ القرآن ﴿فهل من مذكِّر﴾ مُتَّعِظٍ بمواعظه.

﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديدة ذات صوت ﴿في يوم نحس﴾ شؤم ﴿مستمر﴾ دائم الشُّؤم.

﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من مواضعهم ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أصول نخل ﴿منقعر﴾ مُنْقَطِع ساقط، شُبَّهوا وقد كَبَّتهم الرِّيح على وجوههم بنخيل سقطت على الأرض.

﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ جمع نذير. وقوله:

فَقَالُوا أَإِشْرَاقًا مِنَّا وَحِدًا نَنْتَعِظُ ۖ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَهَلْقَى الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْآشِرُّ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَتَنَّا لَهُمْ فَأَرْتَقِبْهُمْ وَأَصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَادَّادُوا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمٍ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقَوْمَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذْرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾

﴿٢٤﴾ ﴿إنا إذا لفي ضلال﴾ ذهاب عن الصواب ﴿وسعري﴾ جنون.

﴿٢٥﴾ ﴿أهلقي الذكر عليه من بيننا﴾ أنكروا أن يكون مخصوصاً بالوحي من بينهم. ﴿بل هو كذاب أشر﴾ بطر يريد أن يتعظم علينا. قال الله تعالى:

﴿٢٦﴾ ﴿سيعلمون غدا﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿من الكذاب الأشر﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة كما سألوا ﴿فتنة لهم﴾ محنة لهم لنختبرهم ﴿فارتقبهم﴾ انتظر ما هم صانعون ﴿واصطبر﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم﴾ بين ثمود والناقة غباً؛ لهم يوم، ولها يوم ﴿كل شرب﴾ نصيب من الماء ﴿محترض﴾ يحضره القوم يوماً، والناقة يوماً.

﴿٢٩﴾ ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قداراً عاقر الناقة ﴿فتعاطى﴾ تناول الناقة بالعقر فعقرها. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿كهشيم المحتظر﴾ هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك دون السباع، مما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم. وقوله:

﴿٣٢﴾ ﴿إلا آل لوط﴾ أي: أتباعه على دينه من أهله وأئمة. ﴿نجيناهم﴾ من العذاب ﴿بسحر﴾ من الأسحار، كقوله: ﴿فأسر بأهلك...﴾^(١) الآية.

نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بَكْرَةٌ عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّذَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٥﴾ «نعمة من عندنا» عليهم بالإنجاء «كذلك» كما جزينا لوطاً وآله «نجزى من شكر» آمن بالله وأطاعه.

﴿٣٦﴾ «ولقد أنذرهم» خوَّفهم لوط «بطشتنا» أخذنا إيَّاهم بالعقوبة «فتماروا بالنذر» كذبوا بإنكاره شكاً منهم.

﴿٣٧﴾ «ولقد راودوه عن ضيفه» سألوه أن يُخلِّي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف، وكانوا ملائكة «فطمسنا أعينهم» أعميناها، وصيرناها كسائر الوجوه، وقلنا لهم: «فذوقوا عذابي ونذر».

﴿٣٨﴾ «ولقد صبحهم بكرة» جاءهم صباحاً «عذابٌ مستقر» ثابت؛ لأنَّه أفضى بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿٤١﴾ «ولقد جاء آل فرعون النذر» الإنذار على لسان موسى وهارون عليهما السَّلام.

﴿٤٢﴾ «كذبوا بآياتنا» التَّسع «كلها فأخذناهم» بالعذاب «أخذ عزيز» قوي «مقتدر» قادر لا يعجزه شيء. ثمَّ خاطب العرب فقال:

﴿٤٣﴾ «أكفاركم خيرٌ من أولئكم» الذين ذكرنا قصَّتهم «أم لكم براءة» من العذاب «في الزُّبُر» الكتب تأمنون بها من العذاب.

﴿٤٤﴾ «أم يقولون» كفَّار مكَّة: «نحن جميع منتصر» جماعة منصورون.

﴿٤٥﴾ «سيهزم الجمع» أي: جمعهم «ويولون الدبر» ينهزمون فيرجعون على أديبارهم، وكان هذا يوم بدر.

بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مَّدَكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلَّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٥٣﴾

﴿٤٦﴾ بل الساعة موعدهم ﴿والساعة أدهى وأمر﴾ أشدُّ أمراً وأشدُّ مرارة ممَّا يلحقهم في الدنيا.

﴿٤٧﴾ ﴿إنَّ المجرمين في ضلال﴾ في الدنيا ﴿وسعر﴾ نارٍ في الآخرة.

﴿٤٨﴾ ﴿يوم يسحبون﴾ يجرُّون ﴿في النار على وجوههم﴾ ويقال لهم: ﴿ذوقوا مسَّ سقر﴾ إصابة جهنم إياكم بالعذاب.

﴿٤٩﴾ ﴿إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر﴾ أي: كلُّ ما خلقناه فمقدورٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وهذه الآيات نزلت في القدرية الذين يكذبون بالقدر^(١).

﴿٥٠﴾ ﴿وما أمرنا﴾ لشيء إذا أردنا تكوينه ﴿إلاَّ واحدة﴾ كلمةٌ واحدة، وهي «كن» ﴿كلمح بالبصر﴾ في السرعة كخطفة البصر.

﴿٥١﴾ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية.

﴿٥٢﴾ ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ في كتب الحفظة.

﴿٥٣﴾ ﴿وكلُّ صغير وكبير﴾ من أعمالهم ﴿مستطر﴾ مكتوبٌ.

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر﴾ ﴿إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر﴾. أخرجه مسلم في القدر برقم ٢٦٥٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٨٦.

﴿٥٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

﴿٥٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ضِيَاءٍ وَسَعَةٍ. وَقِيلَ: أَرَادَ أَنْهَارًا، فَوَحَّدَ لَوْفَاقِ الْفَوَاصِلِ.

﴿٥٥﴾ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فِي مَجْلَسٍ حَقٌّ لَا لَغْوَ فِيهِ وَلَا تَأْنِيْمٌ ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى. وَ«عِنْدَ» إِشَارَةٌ إِلَى الرُّتْبَةِ وَالْقُرْبَةِ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ.

• • •

سُورَةُ الرَّحْمَنِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ تَسْعُونَ وَسِتْ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ الرَّحْمَنُ .

﴿٢﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ عَلَّمَ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْقُرْآنَ، لَيْسَ كَمَا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ: «إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» ^(٢). وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: يَسِّرُ الْقُرْآنَ لِأَنْ يُذَكَّرَ، فَعَلَّمَهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ حَتَّى حَفِظُوهُ.

﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ.

﴿٤﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الْقُرْآنَ الَّذِي فِيهِ بَيَانٌ كُلُّ شَيْءٍ. وَقِيلَ: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يَعْنِي: ابْنَ آدَمَ، فَعَلَّمَهُ النُّطْقَ وَفَضَّلَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الْحَيَوَانِ.

﴿٥﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٥﴾ يَجْرِيَانِ ﴿٥﴾ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ بِحِسَابٍ لَا يَجَاوِزَانِهِ.

(١) مَا بَيْنَ [] مِنْ ظَا. وَأَيَاتُهَا فِي الْمَصْحَفِ ٧٨ آيَةً. قَالَ فِي مُصَاعَدِ النَّظَرِ ٤٤/٣: وَأَيُّهَا سَبْعُونَ

وَسِتُّ فِي الْبَصْرِيِّ، وَسَبْعٌ فِي الْمَدَنِيِّينَ وَالْمَكِّيِّ، وَثَمَانٌ فِي الْكُوفِيِّ وَالشَّامِيِّ.

(٢) سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ ١٠٣.

وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾
وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكْهَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ ﴿١٢﴾ وَالرِّيحَانُ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٤﴾
خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَّارٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ
آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٨﴾

﴿٦﴾ والنجم ﴿٦﴾ كلُّ نبتٍ لا يقوم على ساق، ولا يبقى على الشتاء. ﴿والشجر يسجدان﴾ يخضعان لله تعالى بما يريد منهما.

﴿٧﴾ والسماء رفعها ﴿٧﴾ فوق الأرض ﴿ووضع الميزان﴾ العدل والإنصاف.

﴿٨﴾ أن لا ﴿٨﴾ لتلا ﴿تطفوا﴾ تجاوزوا القدر ﴿في الميزان﴾.

﴿٩﴾ وأقيموا الوزن بالقسط ﴿٩﴾ بالعدل ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ لا تنقصوا الوزن.

﴿١٠﴾ والأرض وضعها للأنام ﴿١٠﴾ للجن والإنس.

﴿١١﴾ فيها فاكهة ﴿١١﴾ أنواع الفواكه ﴿والنخل ذات الأكماء﴾ أوعية الثمر.

﴿١٢﴾ والحب ذو العصف ﴿١٢﴾ أي: ورق الزرع. وقيل: هو التبن ﴿والريحان﴾ الرزق، ثم خاطب الجن والإنس فقال:

﴿١٣﴾ فبأي آلاء ﴿١٣﴾ نعم ﴿ربكما﴾ من هذه الأشياء التي ذكرها ﴿تكذبان﴾ لأنها كلها منعمٌ بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانية الله سبحانه، ثم كرر في هذه السورة هذه الآية توكيداً وتذكيراً لنعمه.

﴿١٤﴾ خلق الإنسان ﴿١٤﴾ آدم ﴿من صلصال﴾ طينٍ يابسٍ يُسمع له صلصلة ﴿كالفخار﴾ وهو ما طبخ من الطين.

﴿١٥﴾ وخلق الجان ﴿١٥﴾ أي: أبا الجن ﴿من مارج﴾ من لهب النار الخالص.

﴿١٦﴾ رب المشرقين ورب المغربين ﴿١٦﴾ مشرق الصيف ومشرق الشتاء، وكذلك المغربان.

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَاتِ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفِرُ لَكُمْ أَيْهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

﴿١٨﴾ مرج البحرين ﴿خلط البحر العذب والبحر المالح﴾ يلتقيان ﴿يجتمعان، وذلك أن البحر المالح فيه عيون ماء عذب﴾.

﴿٢٠﴾ بينهما برزخ ﴿حاجز من قدرة الله﴾ لا يبغيان ﴿لا يختلطان ولا يُجاوزان ما قدر الله لهما، فلا الملح يختلط بالعذب، ولا العذب يختلط بالملح﴾.

﴿٢٢﴾ يخرج منهما ﴿أراد: من أحدهما، وهو الملح﴾ اللؤلؤ ﴿وهو الحب الذي يخرج من البحر﴾ والمرجان ﴿صغار اللؤلؤ﴾.

﴿٢٤﴾ وله الجوار السفن ﴿المنشآت المرفوعات﴾ كالأعلام ﴿كالجبال في العظم﴾.

﴿٢٦﴾ كل من عليها ﴿على الأرض من حيوان﴾ فانٍ ﴿هالك﴾.

﴿٢٧﴾ ويبقى وجه ربك ﴿وهو السيد ذو الجلال﴾ العظمة ﴿والإكرام﴾ لأنبيائه وأوليائه.

﴿٢٩﴾ يسأله من في السموات والأرض ﴿من ملك وإنس وجن الرزق والمغفرة وما يحتاجون إليه﴾ كل يوم هو في شأن ﴿من إظهار أفعاله، وإحداث ما يريد من إحياء وإماتة، وخفض ورفع، وقبض وبسط﴾.

﴿٣١﴾ سنفرغ لكم ﴿سنقصد لحسابكم بعد الإمهال﴾ أيها الثقلان ﴿يعني: الجن والإنس﴾.

يَمْعَشَرِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَيَأْتِي ءَالَءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٣﴾ يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا ﴿تخرجوا﴾ من أقطار السموات والأرض ﴿نواحيها﴾ هاربين من الموت ﴿فانفذوا﴾ فاخرجوا ﴿لا تنفذون﴾ إلا بسلطان ﴿أي﴾: حيث ما كنتم شاهدتم حجة الله وسلطاناً يدلُّ على أنه واحد.

﴿٣٥﴾ يرسل عليكم شواظاً من نار ﴿وهو اللهب الذي لا دخان له﴾ وونحاس ﴿وهو الدخان﴾ [الذي لا لهب له] ﴿أي﴾: يرسل هذا مرة، وهذا مرة، وهو في يوم القيامة يحاط على الخلق بلسانٍ من نار ﴿فلا تنتصران﴾ ﴿أي﴾: تمتنعان.

﴿٣٧﴾ فإذا انشقت السماء ﴿انفرجت أبواباً لنزول الملائكة﴾ فكانت وردة ﴿في اختلاف ألوانها كالدهن واختلاف ألوانه﴾.

﴿٣٩﴾ فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه ﴿سؤال استفهام﴾، ولكن يُسألون سؤالاً تقريع وتوبيخ.

﴿٤١﴾ يعرف المجرمون بسيماهم ﴿بعلامتهم﴾، وهي سواد الوجوه، وزرقة العيون ﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾ ﴿تضمُّ نواصيهم إلى أقدامهم﴾، ويلقون في النار، والنواصي: جمع النَّاصِيَة، وهو شعر الجبهة، ثم يقال لهم:

﴿٤٣﴾ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ؕ إِنِ ﴿٤٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فَيَأْتِي
 ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَيَأْتِي
 ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى
 فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجْنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ
 لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ لِنَاسٍ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
 وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾

﴿٤٤﴾ يطوفون بينها وبين حميم آن ﴿٤٥﴾ وهو الذي قد انتهى في الحرارة، والمعنى أنهم إذا
 استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني، فيطاف بهم مرة إلى الحميم، ومرة
 إلى النار.

﴿٤٦﴾ ولمن خاف مقام ربه ﴿٤٧﴾ قيامه بين يدي الله تعالى للحساب، فترك المعصية
 ﴿جنتان﴾.

﴿٤٨﴾ ذواتا أفنان أغصان.

﴿٥٠﴾ فيهما عينان تجريان ﴿٥١﴾ أحدهما بالماء الزلال، والأخرى بالخمير.

﴿٥٢﴾ فيهما من كل فاكهة زوجان ﴿٥٣﴾ نوعان كلاهما حلو.

﴿٥٤﴾ متكئين على فرش ﴿٥٥﴾ بطائنهما ﴿٥٦﴾ ما بطن منها، وهو ضد الظاهر ﴿من
 إستبرق﴾ وهو ما غلظ من الديباج ﴿وجنى الجنتين﴾ ثمرهما ﴿دان﴾ قريب يناله
 القاعد والقائم.

﴿٥٦﴾ فيهن قاصرات الطرف ﴿٥٧﴾ حابسات الأعين إلا على أزواجهن، ولا ينظرن إلى
 غيرهم ﴿لم يطمئنهن﴾ لم يجامعهن ﴿انس قبلهم﴾ قبل أزواجهن ﴿ولا جان﴾.

﴿٥٨﴾ كأنهن الياقوت ﴿٥٩﴾ في الصفاء ﴿والمرجان﴾ في البياض.

﴿٦٠﴾ هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿٦١﴾ ما جزاء من أحسن في الدنيا بطاعة الله تعالى
 إلا الإحسان إليه في الآخر بالجنة ونعيمها.

فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٣﴾
 مُدْهَامَتَانِ ﴿٦٤﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَنَكُهُهُ وَيَغُلُّ وَيَرْمَأُ ﴿٦٨﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ
 حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا
 تُكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ إِلَيْهُنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِئَتْهُنَّ ﴿٧٤﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَكَبِّرِينَ عَلَى رَفْرَفٍ
 خُضِرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ۞ الْآءِ رَيْكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبْرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿ومن دونهما﴾ وسوى الجنتين الأوليين^(١) ﴿جنتان﴾ أخريان.
 ﴿مدھامتان﴾ سوداوان لشدة الخضرة.
 ﴿فيهن خيرات﴾ نساء فاضلات الأخلاق ﴿حسان﴾ الوجوه.
 ﴿حور﴾ سود الأحداق ﴿مقصورات﴾ محبوسات ﴿في الخيام﴾ من الدُّرِّ
 المَجُوفَةِ^(٢).
 ﴿متكئين على رفرف﴾ وهو ما فضل من الفرش والبسط. وقيل: الوسائد.
 ﴿وعبقرى﴾ أي: الزَّرَابِي والطَّنَافِس ﴿حسان﴾ ثم ختم السورة بما ينبغي أن يُمَجَّدَ
 به ويُعَظَّم، فقال:
 ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾. ﴿٧٨﴾



(١) أخرجه البخاري في صحيحه في باب «ومن دونهما جنتان» عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما، وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. فتح الباري ٦٢٤/٨.

(٢) عن عبد الله بن قيس في قوله تعالى: ﴿حورٌ مقصورات في الخيام﴾ أن رسول الله ﷺ قال: إنَّ في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخريين، يطوف عليهم المؤمنون. أخرجه البخاري في التفسير ٦٢٤/٨؛ ومسلم في صفة الجنة برقم ٢٨٣٨؛ والنسائي في تفسيره ٣٧٧/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٢٥٢٨.

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

[مكية وهي تسعون وست آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ (١) لَيْسَ لَوْقَعِهَا كَذِبَةٌ ۝ (٢) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ ۝ (٣) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا ۝ (٤) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ۝ (٥) فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا ۝ (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝ (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ إذا وقعت الواقعة ﴿جاءت القيامة﴾.

﴿٢﴾ ليس لوقعتها لمجيئها ﴿كاذبة﴾ كذب.

﴿٣﴾ خافضة رافعة ﴿تخفض قومًا إلى النار، وترفع آخرين إلى الجنة﴾.

﴿٤﴾ إذا رجّت الأرض رجًا ﴿حرّكت الأرض حركةً شديدة﴾.

﴿٥﴾ وبست الجبال بسًا ﴿فتت فتًا﴾.

﴿٦﴾ فكانت هباءً منبثًا ﴿غبارًا متفرقًا﴾.

﴿٧﴾ وكنتم ﴿في ذلك اليوم﴾ أزواجًا ﴿أصنافًا ثلاثة﴾ ثم بين الأصناف، فقال:

﴿٨﴾ فأصحاب الميمنة ﴿وهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم﴾. وقيل: الذين كانوا على

مَا أَصْحَبُ الْمِئْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَبُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ
 الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ
 مَوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَدِّمِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ
 مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَبَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾
 وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾

يمين آدم عليه السلام حين أخرج الذرية من ظهره ﴿ما أصحاب الميمنة﴾ أي شيء هم؟ على التعظيم لشأنهم.

﴿وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة﴾ أي: الشمال. تفسيرها على ضد تفسير التي قبلها.

﴿والسابقون﴾ إلى الإيمان^(١) من كل أمة ﴿السابقون﴾ إلى رحمة الله وجنته.

﴿أولئك المقربون﴾ إلى كرامة الله.

﴿ثلاثة من الأولين﴾ جماعة من الأمم الماضية.

﴿وقليل من الآخرين﴾ من هذه الأمة. يريد: من سابقي الأمم وسابقي هذه الأمة.

﴿على سرر موضونة﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر.

﴿ولدان مخلدون﴾ غلمان لا يموتون ولا يهرمون.

﴿بأكواب﴾ بأقداح لا عُرى لها ﴿وأباريق﴾ التي لها عُرى وخرطوم ﴿وكأس﴾ إناء

﴿من معين﴾ من خمير جارية.

﴿لا يصدعون عنها﴾ لا ينالهم الصّداع عن شربها ﴿ولا ينزفون﴾ ولا يسكرون.

﴿وفاكهة مما يتخيرون﴾ يختارون.

﴿وحور عِين﴾ جوارٍ وغلمانٌ شديداً سواد الأعين وبياضها ﴿عين﴾ ضخام العيون.

كَأَمْثَلِ اللَّوْثِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٢﴾ جَزَاءُ يَمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْقُوعَةٍ ﴿٣٤﴾

﴿٢٣﴾ ﴿كأمثال﴾ كأشباه ﴿اللؤلؤ المكنون﴾ في صفاء اللون، والمكنون: المستور في كنهه، وهو الصدف.

﴿٢٥﴾ ﴿لا يسمعون فيها﴾ في الجنّات ﴿لغوا﴾ كاملاً فاحشاً ﴿ولا تأثيماً﴾ ولا ما يوقع في الإثم.

﴿٢٦﴾ ﴿إلا قيلًا﴾ قولاً ﴿سلاماً سلاماً﴾ ما يسلمون فيه من اللغو والإثم، ثم ذكر منازل أصحاب اليمين، فقال:

﴿٢٨﴾ ﴿في سدر﴾ وهو نوعٌ من الشجر ﴿مخضود﴾ مقطوع الشوك، لا كسدر الدنيا.
﴿٢٩﴾ ﴿وطلح﴾ وهو شجر الموز ﴿منضود﴾ نُضِدَ بالحمل من أوله إلى آخره، فليست له سوق بارزة.

﴿٣٠﴾ ﴿وظل ممدود﴾ دائم ثابت^(١).

﴿٣١﴾ ﴿وماء مسكوب﴾ جارٍ غير منقطع.

﴿٣٢﴾ ﴿وفاكهة كثيرة﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿لا مقطوعة﴾ بالأزمان ﴿ولا ممنوعة﴾ بالأثمان.

﴿٣٤﴾ ﴿وفرش مرفوعة﴾ على السرر.

(١) عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظل ممدود﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٦٢٧/٨؛ ومسلم في كتاب الجنة برقم ٢٨٢٦؛ والنسائي في تفسيره ٣٨٠/٢؛ والترمذي في صفة الجنة برقم ٢٥٢٣.

إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ
 الْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مِمَّا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سُمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ
 مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ
 الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْمَعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾
 قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الصَّالُّونَ

﴿٣٥﴾ ﴿إنا أنشأهن﴾ خلقناهن، أي: الحور العين ﴿إنشاء﴾ خلقاً من غير ولادة.

﴿٣٦﴾ ﴿فجعلناهن أبكاراً﴾ عذارى.

﴿٣٧﴾ ﴿عرباً﴾ متحبيات إلى الأزواج، عواشق لهم ﴿أتراباً﴾ مستويات في السن.

﴿٣٨﴾ ﴿لأصحاب اليمين﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿ثلاثة من الأولين﴾ من الأمم الماضية.

﴿٤٠﴾ ﴿وثلاثة من الآخرين﴾ من هذه الأمة. يعني: إن أصحاب الجنة نصفان: نصف من
 الأمم الماضية، ونصف من هذه الأمة، ثم ذكر منازل أصحاب الشمال، فقال:

﴿٤١﴾ ﴿في سموم﴾ ريح حارة ﴿وحميم﴾.

﴿٤٢﴾ ﴿وظلٍّ من يحموم﴾ دخان شديد السواد ﴿لا بارد﴾ المنزل ﴿ولا كريم﴾ المنظر.

﴿٤٣﴾ ﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾ في الدنيا ﴿مترفين﴾ منعمين لا يتعبون في طاعة الله.

﴿٤٤﴾ ﴿وكانوا يصرون على الحنث العظيم﴾ يقيمون على الذنب العظيم، وهو الشرك،
 وكانوا يُنكرون البعث. ﴿وكانوا يقولون إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أأنا
 لمبعوثون﴾. فقال الله تعالى:

﴿٤٥﴾ ﴿قل إن الأولين والآخرين﴾. ﴿لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم﴾ وهو يوم

القيامة ومعنى ﴿إلى ميقات﴾ لميقات يوم. وقوله:

الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا كُؤُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ رَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَاِلْتُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُونَ شَرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿شرب الهيم﴾ أي: الإبل العطاش.

﴿هذا نزلهم﴾ ما أعدَّ لهم من الرِّزْق ﴿يوم الدين﴾ المجازاة.

﴿نحن خلقناكم﴾ ابتداء ﴿فلولا﴾ فهلاً ﴿تصدقون﴾ بالخلق الثاني، وهو البعث.

﴿أفرايتم ما تمنون﴾ تصبُّون في الأرحام من المني.

﴿أنتم تخلقونه﴾ بشراً ﴿أم نحن الخالقون﴾.

﴿نحن قدرنا﴾ قضينا ﴿بينكم الموت وما نحن بمسبوقين﴾.

﴿على أن نبدل أمثالكم﴾ أي: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم نُسبق، ولا فاتنا ذلك ﴿وننشئكم﴾ نخلقكم ﴿فيما لا تعلمون﴾ من الصُّور، أي: نجعلكم قردة وخنازير، والمعنى: لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم، ومسخرهم من صوركم إلى غيرها.

﴿ولقد علمتم النشأة الأولى﴾ الخلق الأولى، أي: أقررتم بأن الله خلقكم في بطون أمهاتكم ﴿فلولا تذكرون﴾ أنني قادرٌ على إعادتكم.

﴿أفرايتم ما تحرثون﴾ تقلبون من الأرض وتلقون فيه من البذر.

﴿أنتم تزرعونه﴾ تنبتونه ﴿أم نحن الزارعون﴾.

﴿لو نشاء لجعلناه حطاماً﴾ تبنياً يابساً لا حَبَّ فيه ﴿فظلمت تفكهون﴾ تعجبون وتندمون ممَّا نزل بكم، وممَّا علمتم من الحرث، وتقولون:

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ * فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

﴿٦٦﴾ ﴿إنا لمغرمون﴾ صار ما أنفقنا على الحرث غُرماً علينا.

﴿٦٧﴾ ﴿بل نحن محرومون﴾ ممنوعون مُنعنا رزقنا. وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿أجاجاً﴾ أي: ملحاً لا يمكن شربه.

﴿٧١﴾ ﴿أفرايتم النار التي تورون﴾ تقدحون.

﴿٧٢﴾ ﴿أنتم أنشأتم﴾ خلقتم ﴿شجرتها﴾ التي تخرج منها.

﴿٧٣﴾ ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ يتذكر بها نار جهنم ﴿ومتاعاً﴾ ومنفعة ﴿للمقوين﴾ للمسافرين.

﴿٧٤﴾ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أي: نزه الله ممّا يقول المشركون.

﴿٧٥﴾ ﴿فلا أقسم﴾ « لا » زائدة ﴿بمواقع النجوم﴾ مساقطها ومغاربها. وقيل: أراد نجوم القرآن^(١).

﴿٧٧﴾ ﴿إنه لقرآن كريم﴾ حسن عزيز.

﴿٧٨﴾ ﴿في كتاب مكنون﴾ مصون عند الله.

(١) ويؤيده ما جاء عن ابن عباس أنه قال: نزل القرآن جميعاً في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثم فصل فنزل في السنين، وذلك قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾. أخرجه التيساني في تفسيره ٣٨١/٢؛ والحاكم في المستدرک ٤٧٧/٢؛ وصححه ووافقه الذهبي.

لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُصْرَ لَكُمْ قُلُوبًا ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

﴿٧٩﴾ لا يمسّه باليد، أي: المصحف ﴿إلا المطهرون﴾ من الجنابات والأحداث.
 ﴿٨٠﴾ تنزيل من رب العالمين.
 ﴿٨١﴾ أفبهذا الحديث أي: القرآن ﴿أنتم مدهنون﴾ مكذبون.
 ﴿٨٢﴾ وتجعلون رزقكم ﴿شكر رزقكم﴾، فحذف الشكر ﴿أنكم تكذبون﴾ بسقيا الله إذا مطرتم، وتقولون: مطرنا بنوء كذا.
 ﴿٨٣﴾ فلولا ﴿فهلأ إذا بلغت الروح﴾ ﴿الحلقوم﴾.
 ﴿٨٤﴾ وأنتم يا أصحاب الميت ﴿حينئذ تنظرون﴾ إليه وهو في النزع.
 ﴿٨٥﴾ ونحن أقرب إليه منكم ﴿بالعلم والقدرة﴾ ولكن لا تبصرون ﴿لا تعلمون ذلك﴾.
 ﴿٨٦﴾ فلولا إن كنتم غير مدينين ﴿مملوكين ومجزيين﴾.
 ﴿٨٧﴾ ترجعونها أي: تردون الروح إلى الميت ﴿إن كنتم صادقين﴾ أنكم غير مملوكين وغير مذبرين. وقوله: ﴿ترجعونها﴾ جواب واحدٍ لشيئين، قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ وقوله: ﴿فلولا إن كنتم﴾ ثم ذكر مآل الخلق بعد الموت فقال:
 ﴿٨٨﴾ ﴿فأما إن كان المقربين﴾. ﴿فروح﴾ فلهم روح، أي: استراحة وبرد ﴿وريحان﴾ ورزق حسن.

﴿٨٩﴾ ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين﴾. ﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ أي: إنك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقد علمت ما أعد لهم من الجزاء، لأنه قد بين لك في قوله: ﴿في سدر مخضود...﴾ الآيات.

فَسَلِّمْ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ وَهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ .

﴿٩٣﴾ فَنُزِّلْ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٤﴾ فَلَهُمْ نَزْلٌ أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ شَرَابٍ جَهَنَّمَ .

﴿٩٤﴾ وَتَصْلِيَةً جَحِيمٍ ﴿٩٥﴾ إِدْخَالَ النَّارِ .

﴿٩٥﴾ إِنَّ هَذَا ﴿٩٦﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ ﴿٩٧﴾ لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٨﴾ .

﴿٩٩﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿١٠٠﴾ أَيُّ : نَزَّهُ اللَّهُ مِنَ السُّوءِ .



سُورَةُ الْحَٰدِثِ

[مدنيّة وهي عشرون وتسع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ذكر تفسيرها في قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ ^(٢).

﴿٣﴾ ﴿هو الأول﴾ قبل كل شيء، فكل شيء دونه ﴿والباطن﴾ العالم بكل شيء.

﴿٤﴾ ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من مطر وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ من نبات وشجر ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزق ومطر، وملك وأمر ﴿وما يعرج فيها﴾ يصعد إليها من عمل ﴿وهو معكم﴾ بالعلم والقدرة ﴿أينما كنتم﴾.

(١) زيادة من ظا.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

وانظر ص ٦٣٥.

يَذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ ءَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ
 ءَانْفِقُوا لَهُمْ ءَاجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
 مِيثَاقَكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبْلُغُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
 النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ ءُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ
 وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا
 فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ ءَاجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ

﴿٧﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿﴾ صَدَّقُوا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ وَاحِدٌ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
 ﴿﴾ ءَانْفِقُوا ﴿﴾ مِنَ الْمَالِ الَّذِي ﴿﴾ جَعَلَكُمْ مُتَخَلِّفِينَ فِيهِ ﴿﴾ أَيُّ: كَانَ لغيركم
 فَمَلَكَتْهُمُ (١). وَقَوْلُهُ:

﴿٨﴾ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ ﴿﴾ أَيُّ: حِينَ أَخْرَجَكُمْ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ
 لَا إِلَهَ لَكُمْ سِوَاهُ ﴿﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿﴾ أَيُّ: إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ أَنْ تُؤْمِنُوا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ.

﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿﴾ أَيُّ: أَيُّ شَيْءٍ
 لَكُمْ فِي تَرْكِ الْإِنْفَاقِ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ تَارِكُونَ أَمْوَالَكُمْ، ثُمَّ بَيَّنَّ فَضْلَ
 السَّابِقِينَ فِي الْإِنْفَاقِ وَالْجِهَادِ، فَقَالَ: ﴿﴾ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ ﴿﴾
 يَعْنِي: فَتْحَ مَكَّةَ ﴿﴾ وَقَاتِلْ ﴿﴾ جَاهِدْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْدَاءَ اللَّهِ. ﴿﴾ أَوْلَئِكَ أَعْظَمُ
 دَرَجَةً ﴿﴾ [يَعْنِي: عِنْدَ اللَّهِ] (٢) ﴿﴾ مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ ﴿﴾ الْفَتْحِ ﴿﴾ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا ﴿﴾ مِنَ
 الْفَرِيقَيْنِ ﴿﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴿﴾ الْجَنَّةَ.

﴿١١﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿﴾ ذَكَرَ تَفْسِيرَهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ (٣).

﴿١٢﴾ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴿﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿﴾ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ ﴿﴾ عَلَى الصَّرَاطِ

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَوْمَ جِئْتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمُ اللَّهُ الْغُرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُوْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ

﴿بين أيديهم وبأيمنهم﴾ وتقول لهم الملائكة: ﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها هو الفوز العظيم﴾.

﴿١٣﴾ ﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾ انتظرونا وقفوا لنا نستضيء بنوركم ﴿قيل﴾ لهم ﴿ارجعوا وراءكم﴾ من حيث جئتم ﴿فالتمسوا نوراً﴾ فلا نور لكم عندنا ﴿فضرب بينهم﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بسور﴾ وهو حاجز بين الجنة والنار. قيل: هو سور الأعراف ﴿له باب﴾ في ذلك السور باب ﴿باطنه فيه الرحمة﴾ لأن ذلك الباب يُفضي إلى الجنة ﴿وظاهره من قبله﴾ أي: من قبل ذلك الظاهر ﴿العذاب﴾ وهو النار.

﴿١٤﴾ ﴿ينادونهم﴾ ينادي المنافقون المؤمنين: ﴿ألم نكن معكم﴾ في الدنيا نناكحكم ونوارثكم ﴿قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾ آثمتموها بالثفاق ﴿وتربصتم﴾ بمحمد عليه السلام الموت ﴿وارتبتم﴾ شككتم في الإيمان ﴿وغرَّتكم الأمانى﴾ ما كنتم تمنون من نزول الدوابر بالمؤمنين ﴿حتى جاء أمر الله﴾ الموت ﴿وغرَّكم بالله﴾ أي: بحلمه وإمهاله ﴿الغرور﴾ الشيطان.

﴿١٥﴾ ﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾ بدل ﴿ولا من الذين كفروا﴾ وهم المشركون ﴿مأواكم النار﴾ منزلكم النار ﴿هي مولاكم﴾ أولى بكم ﴿وبئس المصير﴾ هي.

﴿١٦﴾ ﴿ألم يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ألم يحن ﴿أن تخشع قلوبهم﴾ ترق وتلين ﴿لذكر الله وما نزل من الحق﴾ وهو القرآن، وهذا حث من الله تعالى لقوم من المؤمنين على الرقة

وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَعُفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ ﴿١٩﴾ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ

والخشوع ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فقست قلوبهم﴾ لم تَلِنْ لذكر الله، ونسوا ما عهد الله سبحانه إليهم في كتابهم ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين تركوا الإيمان بمحمد ﷺ.

﴿١٧﴾ ﴿اعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات﴾ أي: إن إحياء الأرض بعد موتها دليل على توحيد الله تعالى وقدرته.

﴿١٨﴾ ﴿إن المصدقين والمصدقات﴾ الذين يتصدقون وينفقون في سبيل الله ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ بالتفقه في سبيله ﴿يضاعف لهم﴾ ما عملوا ﴿ولهم أجرٌ كريم﴾ وهو الجنة.

﴿١٩﴾ ﴿والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون﴾ المبالغون في الصدق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ أي: الأنبياء عليهم السلام ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ في ظلمة القبر. وقيل: هم جميع المؤمنين.

﴿٢٠﴾ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ في انقضائها وقلة حاصلها ﴿وزينة﴾ يتزَيَّنون بها ﴿وتفاخرٌ بينكم﴾ يفخر بها بعضهم على بعض ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ مباحاةً بكثرتها، ثم ضرب لها مثلاً فقال: ﴿كمثل غيثٍ﴾ مطرٍ ﴿أعجب الكفار﴾ أي: الزُّراع ﴿نباتهُ﴾ ما أنبت ذلك الغيث، ﴿ثم يهيج﴾ يابس ﴿فتراه﴾

مُصَفَّرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

مصفرًا ﴿ بعد يسه ﴾ ﴿ ثم يكون حطامًا ﴾ هشيمًا مُتَفَتَّتًا، كذلك الإنسان يهرم ثم يموت ويبلَى. ﴿ وفي الآخرة عذاب شديد ﴾ للكفار ﴿ ومغفرة من الله ورضوان ﴾ لأوليائه.

﴿ ٢١ ﴾ ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم ﴾ ذكر في سورة آل عمران ^(١) عند قوله: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم... ﴾ ^(٢) الآية.

﴿ ٢٢ ﴾ ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ﴾ بالجذب ﴿ ولا في أنفسكم ﴾ بالمرض والموت والخسران ﴿ إلا في كتاب ﴾ أي: اللوح المحفوظ ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ نخلق تلك المصيبة ﴿ إن ذلك على الله يسير ﴾ أي: خلقها في وقتها بعد أن كتبها في اللوح المحفوظ.

﴿ ٢٣ ﴾ ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ﴾ من الدنيا ﴿ ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ أعطاكم منها، أي: لكيلا تحزنوا حزناً يُطغِيكم، ولا تبطروا بالفرح بعد أن علمتم أن ما يصيبكم من خيرٍ وشرٍّ فمكتوب لا يخطئكم. ﴿ والله لا يحب كل مختالٍ ﴾ مُتَكَبِّرٍ بما أُوتي من الدنيا ﴿ فخور ﴾ به على الناس.

(١) انظر ص ٢٣٢.

(٢) الآية ١٣٣.

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عِشْرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا

﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾ ذكر في سورة النساء^(١).

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾ بالدلالات الواضحات ﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾ العدل ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾ ليتعامل الناس بينهم بالعدل ﴿وأنزلنا الحديد﴾ وذلك أَنَّ آدم عليه السَّلام نزل إلى الأرض بالعلاء^(٢) والمطرقة وآلة الحدادين^(٣) ﴿فيه بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ قُوَّةٌ وَشِدَّةٌ يُمْتَنَعُ بِهَا وَيُحَارَبُ ﴿ومنافع للناس﴾ يستعملونه في أدواتهم ﴿وليعلم الله﴾ أي: أرسلنا الرُّسل ومعهم هذه الأشياء ليتعامل النَّاسُ بالحقِّ، وليرى الله مَنْ يَنْصُرُ دينه ﴿ورسله بالغيب﴾ في الدُّنيا. وقوله:

﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أي: ابتدعوا من قبل أنفسهم رهبانيَّةً، أي: التَّرهُّبُ في الصَّوامع ﴿ما كتبناها عليهم﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ لكنَّهم ابتغوا بتلك الرَّهبانيَّةِ رِضْوَانِ اللَّهِ ﴿فما رعوها حقَّ رعايتها﴾ أي: قَصَّروا في تلك

(١) انظر ص ٢٦٤.

(٢) العلاء: السُّندان.

(٣) عن ابن عباس قال: نزلت مع آدم صلوات الله عليه: السُّندان، والكلبتان، والميعة، والمطرقة.

أخرجه ابن جرير ٢٧/٢٣٧. والميعة: المِسْنُ الطويل.

فَعَاتِنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

الرَّهْبَانِيَّةَ حين لم يؤمنوا بمحمد عليه السَّلام، ﴿فَعَاتِنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ﴾ بمحمدٍ
عليه السَّلام ﴿أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد عليه
السَّلام ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ نصيبين ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ نصيباً بآيمانكم الأوَّل، ونصيباً
بآيمانكم بمحمد عليه السَّلام وكتابه ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ في الآخرة
على الصُّراط ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ وعدهم الله هذه الأشياء كلّها على الإيمان بمحمد
عليه السَّلام، ثُمَّ قَالَ:

﴿لَيْسَ يَعْلَمُ﴾ أَي: ليعلم، و«لَا» زائدة ﴿أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنَّصَارَى ﴿إِلَّا
يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾ أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ ﴿مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يعني: إِنَّ
لم يؤمنوا لم يُؤْتِهِمُ اللهُ شيئاً ممَّا ذُكِرَ ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

سُورَةُ الْجَحَادَةِ

[مدنيّة وهي عشرون آية]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها ﴿١﴾ نزلت في سبب خولة بنت ثعلبة^(٢) وزوجها أوس بن الصّامت، ظاهر منها وكان ذلك أوّل ظهار في الإسلام، وكان الظّهار من طلاق الجاهليّة، فأنت رسول الله ﷺ وذكرت أنّ زوجها ظاهر منها، فقال رسول الله ﷺ: حرّمت عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وصبيّة صغاراً، وجعلت تُراجع رسول الله ﷺ فإذا قال لها: حرّمت عليه هتفت وشكت إلى الله، وقوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أي: تخاطبكما ومراجعتكما الكلام، ثمّ ذمّ الظّهار فقال:

(١) ما بين [] من ظا.

وهي في المصحف ٢٢ آية. وقال البقاعي في مصاعد النظر ٣/٦٧: وأيّها إحدى وعشرون في المدني الأخير، واثنان في عدد الباقيين.

(٢) وحديثها ذكره البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب: وكان الله سمياً بصيراً. فتح الباري ١٣/٣٧٢؛ وأخرجه النسائي موصولاً في السنن ٦/١٦٨؛ وأحمد في المسند ٦/٤٦؛ والحاكم في المستدرک ٢/٤٨١ وصححه هو والذهبي.

الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَا هُمْ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٦﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ تَوْعُظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَبِتُوا كَمَا كُبِتَ

﴿٦﴾ الذين يظاهرون منكم من نساءهم ما هنَّ أمهاتهم أي: ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأمهات. ﴿إن أمهاتهم إلا اللاتي ولدنهم﴾ ما أمهاتهم إلا الوالدات ﴿وإنهم ليقولون﴾ بلفظ الظهار ﴿منكراً من القول﴾ لا تعرف صحته ﴿وزوراً﴾ وكذباً؛ فإن المرأة لا تكون كالأم ﴿وإن الله لعفو غفور﴾ عفا وغفر للمظاهر بجعل الكفارة عليه، ثم ذكر حكم الظهار، فقال:

﴿٧﴾ والذين يظاهرون من نساءهم ثم يعودون لما قالوا ﴿في الآية تقديم وتأخير﴾، تقديرها: والذين يظاهرون من نساءهم فتحرير رقبة لما قالوا، ثم يعودون، أي: على المظاهر عتق رقبة لقوله لامراته: أنت علي كظهر أمي، ثم يعود إلى استباحة الوطء، ولا تحل له قبل الكفارة، وهو قوله: ﴿من قبل أن يتماسا﴾ أي: يجامعا ﴿ذلكم توعظون به﴾ أي: ذلك التغليظ في الكفارة وعظ لكم كي تنزجروا به عن الظهار فلا تظاهروا.

﴿٨﴾ فمن لم يجد ﴿الرقبة لفقره﴾ فصيام شهرين متتابعين ﴿لو أفطر فيما بين ذلك بطل التابع﴾، ويجب عليه الاستئناف ﴿فمن لم يستطع﴾ ذلك لمرض أو لخوف مشقة عظيمة ﴿فإطعام ستين مسكيناً﴾ لكل مسكين مد من غالب القوت. ﴿ذلك﴾ أي: الفرض الذي وصفنا ﴿لتؤمنوا بالله ورسوله﴾ لتصدقوا ما أتى به الرسول عليه السلام، وتصدقوا أن الله تعالى به أمر ﴿وتلك حدود الله﴾ يعني: ما وصف في الظهار والكفارة ﴿ولللكافرين﴾ لمن لم يصدق به ﴿عذاب أليم﴾.

﴿٩﴾ إن الذين يحادون الله ﴿يخالفون الله﴾ ورسوله كبتوا ﴿أذلوا وأخزوا﴾ كما كُبت

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنُسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ

الذين من قبلهم ﴿مَنْ خالف الله ورسوله﴾ ﴿وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين﴾ ﴿بها عذاب مهين﴾ .

﴿يَوْمَ يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾ يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم ﴿أحصاه الله﴾ علمه الله وأحاط بعدده ﴿ونسوه﴾ هم . وقوله :

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾ أي : مناجاة ثلاثة ، وإن شئت قلت : من متناجين ثلاثة ﴿إلا هو رابعهم﴾ بالعلم ، يسمع نجواهم .

﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى﴾ نزلت في المنافقين واليهود ، كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ، وينظرون إلى المؤمنين ليؤاقعوا في قلوبهم ريةً وتهمةً ، ويظنون أن ذلك لشيء بلغهم ممّا يهيمهم ، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن ذلك ، فعادوا لما نُهُوا عنه ، فأنزل الله : ﴿ألم تر إلى الذين نُهُوا عن النجوى ثم يعودون لما﴾ أي : ﴿ما نُهُوا عنه ويتناجون بالآثم والعدوان ومعصية الرسول﴾ أي : يُوصي بعضهم بعضاً سراً بالظلم والاثم ، وترك طاعة الرسول عليه السلام . ﴿وإذا جاؤوك حيّوكم بما لم يُحيّك به الله﴾ يعني : قولهم : السّام عليك ﴿ويقولون في أنفسهم : لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ وذلك أنّهم قالوا : لو كان نبياً لعذبنا

حَسَبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَبئسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّجُوا بِالْبِرِّ وَالْتَّقْوَىٰ وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ
الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ

بهذا^(١)، قال الله: ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾. ثم نهى المؤمنين عن
مثل ذلك، فقال:

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾. ﴿٩﴾
﴿إنما النجوى من الشيطان﴾ أي: النجوى بالاثم والعدوان مما يزين الشيطان لهم
﴿ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم﴾ وليس الشيطان بضارهم ﴿شيئاً إلا بإذن الله،
وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أي: وإليه فليكلوا أمورهم.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ توسعوا في مجلس
رسول الله ﷺ ﴿فافسحوا﴾ أوسعوا المجلس ﴿يفسح الله لكم﴾ يوسع عليكم.
نزلت في قوم كانوا يُيَكِّرون إلى مجلس رسول الله ﷺ، ويأخذون مجالسهم
بالقرب منه، فإذا دخل غيرهم ضئوا بمجالسهم، وكان رسول الله ﷺ يحب أن

(١) عن عائشة قالت: دخل يهودي على النبي ﷺ فقال: السأم عليك، فقال النبي ﷺ: وعليك،
فقال عائشة: وعليك السأم وغضب الله، فخرج اليهودي فقال النبي ﷺ: يا عائشة، إن الله
لا يحب الفاحش المتفحش. قالت: يا رسول الله، أما تدري ما قال؟ قال: وما قال؟ قالت:
السأم عليك، فهو قوله: ﴿وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله﴾. قال: فخرج اليهودي وهو
يقول بينه وبين نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ويقولون في أنفسهم: لولا يعذبنا الله بما نقول،
حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾.

أخرجه مسلم في السلام برقم ٢١٦٥؛ والنسائي في تفسيره ٣٩٢/٢؛ وابن ماجه في الأدب رقم
٣٦٩٨.

وَإِذَا قِيلَ اسْأَلُوا فَأَسْأَلُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقْتُمْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

يُكرم أهل بدر، فدخلوا يوماً فقاموا بين يديه ولم يجدوا عنده مجلساً، ولم يقم لهم أحدٌ من هؤلاء الذين أخذوا مجالسهم، فكره النبي عليه السلام ذلك، فنزلت هذه الآية، وأمرهم أن يُوسَّعوا في المجلس لمن أراد النبي ﷺ. ﴿وَإِذَا قِيلَ اسْأَلُوا فَأَسْأَلُوا﴾ وإذا قيل لكم: قوموا إلى صلاةٍ أو جهادٍ، أو عمل خيرٍ فانهضوا ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بطاعة الرسول ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ في الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ﴾ أمام مناجاتكم ﴿صَدَقَةٌ﴾. نزلت حين غلب أهل الجدة الفقراء على مجالسة رسول الله ﷺ ومناجاته، فكره الرسول ذلك فأمرهم الله بالصَّدقة عند المناجاة، ووضع ذلك عن الفقراء فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ثم نسخ الله^(١) ذلك، فقال: ﴿أَشْفَقْتُمْ﴾ بخلتُم وخفتم بالصَّدقة الفقر ﴿فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ عاد عليكم بالتَّخفيف ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ المفروضة.

(١) عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾، قال لي رسول الله ﷺ: ما ترى، دينار؟ قلتُ: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار؟ قلتُ: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلتُ: شعيرة. قال: إنك لزهد. قال: فنزلت: ﴿أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾ قال: فبي خُفَّ الله عن هذه الأمة. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٩٧ وحسنه؛ والنَّحَّاس في النسخ والنسخ ص ٢٧٠؛ وأبو يعلى في المسند ١/٢٢٣؛ وابن جرير ٢٨/٢١؛ وفيه علي بن علقمة الأنماري مقبول. تقريب التهذيب ص ٤٠٤، وقال العجلي في الضعفاء الكبير ٣/٢٤٢: كوفي في حديثه نظر، وذكر هذا الحديث.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ١٤ ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٥ ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ١٦ ﴿لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ١٧ ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ ١٨ ﴿اسْتَحْذَرُوا الشَّيْطَانَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ فَأْسَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَّا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ١٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذْلَىٰ﴾ ٢٠ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَاغْلِبَ أَنا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٢١ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا

﴿١٤﴾ ﴿ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾ أي: المنافقين تولوا اليهود وناصحوهم، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين ﴿ما هم منكم﴾ أيها المؤمنون ﴿ولا منهم﴾ من اليهود ﴿ويحلفون على الكذب﴾ يحلفون أنهم لا يخونون المؤمنين ﴿وهم يعلمون﴾ أنهم كاذبون في حلفهم.

﴿١٥﴾ ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ الكاذبة ﴿جنة﴾ يستجئون بها من القتل.

﴿١٨﴾ ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾ كاذبين ما كانوا مشركين ﴿كما يحلفون لكم﴾ كاذبين ﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾ من نفاقهم، يأتونكم بوجه، ويأتون الكفار بوجه، ويظنون أنهم يسلمون فيما بينكم وبينهم ﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾.

﴿١٩﴾ ﴿استحذو عليهم الشيطان﴾ أي: استولى عليهم.

﴿٢٠﴾ ﴿إن الذين يحادون الله ورسوله﴾ يخالفونهما. ﴿أولئك في الأذلى﴾ المغلوبين.

﴿٢١﴾ ﴿كتب الله﴾ قضى الله ﴿لاغلبنأنا ورسلي﴾ إمّا بالظفر والقهر، وإمّا بظهور الحجة.

﴿٢٢﴾ ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله...﴾ الآية. أخبر الله في هذه الآية أنَّ المؤمن لا يوالي الكافر وإن كان أباه، أو أخاه،

ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ
وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٧﴾

أو قريبه، وذلك أَنَّ المؤمنين عادوا آبَاءَهُم الكُفَّار وعشائرهم وأقاربهم، فمدحهم
الله على ذلك فقال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾ أي: أثبتة ﴿وأيدىهم بروح
منه﴾ أي: بنور الإيمان. وقيل: بالقرآن، ثمَّ وعدهم الإدخال في الجنة فقال:
﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه
أولئك حزب الله ألا إِنَّ حزب الله هم المفلحون﴾.



سُورَةُ الْحَشْرِ

[مدنية وهي عشرون وأربع آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَلْنَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ .

﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ﴿يعني: بني النَّصِير﴾ ﴿مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ مساكنتهم بالمدينة، وذلك أَنَّهُمْ نَقَضُوا الْعَهْدَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ سَيِّدِهِمْ، فَقَتَلَ غِيلَةً، وَحَاصَرَ بَنِي النَّصِيرِ ثُمَّ صَالَحَهُمْ عَلَى أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى الشَّامِ، فَخَرَجُوا وَتَرَكُوا رِبَاعَهُمْ وَضِيَاعَهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ حُشِرَ إِلَى الشَّامِ مِنَ الْيَهُودِ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَقِيلَ: إِنَّهُ كَانَ أَوَّلَ حَشَرٍ إِلَى الشَّامِ، وَالْحَشَرُ الثَّانِي حَشَرُ الْقِيَامَةِ، وَالشَّامُ أَرْضُ الْمَحْشَرِ. ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾ لَعَدَّتْهُمْ وَمَنَعَتْهُمْ ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا أَهْلَ حَلَقَةٍ وَحَصُونٍ، فَظَنُّوا أَنَّهَا تَحْفَظُهُمْ مِنْ ظُهُورِ الْمُسْلِمِينَ عَلَيْهِمْ ﴿فَأَنَاهُمْ اللَّهُ﴾ أَي: أَمَرَ اللَّهُ ﴿مَنْ حَيْثُ

لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ
 الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ
 النَّارِ ﴿٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ
 لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى
 رَسُولِهِ مِنْهُمْ

لم يحتسبوا ﴿٢﴾ من جهة المؤمنين، وما كانوا يحسبون أنهم يغلبونهم ويظهرون
 عليهم ﴿٣﴾ وقذف في قلوبهم الرعب ﴿٤﴾ ألقى في قلوبهم الخوف بقتل سيدهم
 ﴿٥﴾ يخربون بيوتهم بأيديهم ﴿٦﴾ وذلك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صالحهم على أَنْ لهم ما أقلت
 الإبل، وكانوا ينظرون إلى الخشبة والشيء في منازلهم ممَّا يستحسنونه، فيقلعونها
 وينتزعونه ويهدمون البيوت لأجله، فذلك إخراجهم بأيديهم، ويخرب المؤمنون
 باقيها، وهو قوله: ﴿وأيدي المؤمنين﴾ وأضاف الإخراج بأيدي المؤمنين إليهم؛
 لأنهم عرَّضوا منازلهم للخراب بنقض العهد. ﴿فاعتبروا﴾ فاتَّعظوا ﴿٧﴾ يا أولي
 الأبصار ﴿٨﴾ يا ذوي العقول، فلا تفعلوا فعل بني النضير فينزل بكم ما نزل بهم.

﴿٩﴾ ولولا أن كتب الله ﴿١٠﴾ قضى الله ﴿١١﴾ عليهم الجلاء ﴿١٢﴾ الخروج عن الوطن ﴿١٣﴾ لعذبهم في
 الدنيا ﴿١٤﴾ بالقتل والسَّبي كما فعل بقرينة.

﴿١٥﴾ ما قطعتم من لينة ﴿١٦﴾ من نخلة ﴿١٧﴾ من نخيلهم ﴿١٨﴾ أو تركتموها قائمة ﴿١٩﴾ فلم تقطعوها
 ﴿٢٠﴾ فبإذن الله ﴿٢١﴾ أي: إِنَّهُ أذن في ذلك، إِنَّ شِئْمَ قطعتم وَإِنْ شِئْمَ تركتم، وذلك أَنَّهُمْ
 لَمَّا تحصَّنوا بحصونهم أمر رسول الله ﷺ بقطع نخيلهم وإحراقها فجزعوا من
 ذلك، وقالوا: من أين لك يا محمد عقر الشجر المثمر؟ واختلف المسلمون في
 ذلك، فمنهم مَنْ قطع غيظاً لهم، ومنهم من ترك القطع وقالوا: هو مالنا: أفاء الله
 علينا به، فأخبر الله أَنَّ كُلَّ ذلك من القطع والتَّرك بإذنه ﴿٢٢﴾ وليخزي الفاسقين ﴿٢٣﴾
 وليذلَّ اليهود وليغيظهم.

﴿٢٤﴾ وما أفاء الله على رسوله ﴿٢٥﴾ ردَّ الله على رسوله ورجع إليه ﴿٢٦﴾ منهم ﴿٢٧﴾ من بني النضير

فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا إِلَانَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾

من الأموال ﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾ أي: ما حملتم خيلكم ولا إبلكم على الوجيف إليه، وهو السير السريع، والمعنى: لم تركبوا إليه خيلاً ولا إبلاً، ولا قطعتم إليه شقّة، فهو خالصٌ لرسول الله ﷺ يعمل فيه ما أحبّ^(١)، وليس كالغنيمة التي تكون للغانمين، وهذا معنى قوله: ﴿ولكنّ الله يسلط رسله على من يشاء...﴾ الآية.

﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى﴾ من أموال أهل القرى الكافرة ﴿فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل﴾ وكان الفياء يُخَمَّسُ خمسة أخماس، فكانت أربعة أخماسه لرسول الله ﷺ يفعل فيها ما يشاء، والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية، وأمّا اليوم فما كان للنبي ﷺ من الفياء يُصرف إلى أهل الثُّغور المُترصّدين للقتال في أحد قولي الشافعي رحمه الله، والفياء: كلُّ مالٍ رجع إلى المسلمين من أيدي الكفّار عفواً من غير قتال، مثل: مال الصُّلح والجزية والخراج، أو هربوا فتركوا ديارهم وأموالهم، كفعل بني النّضير، وقوله: ﴿كيلا يكون﴾ يعني: الفياء ﴿دولة﴾ متداولاً ﴿بين الأغنياء﴾ الرُّؤساء والأقوياء ﴿منكم وما آتاكم الرسول﴾ أعطاكم من الفياء ﴿فخذوه وما نهاكم عنه﴾ عن أخذه ﴿فانتَهُوا﴾.

(١) عن عمر رضي الله عنه، قال: كانت أموال بني النضير ممّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممّا لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصّة، ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكرّاء عدّة في سبيل الله. أخرجه البخاري في تفسير قوله تعالى: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ فتح الباري ٨/٦٢٩؛ ومسلم في الجهاد برقم ١٧٥٧؛ وأبو داود في الخراج والإمارة برقم ٢٩٦٣.

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقِ شَحْنَنَافٍ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿٨﴾ للفقراء المهاجرين ﴿يعني: خمس الفيء للذين هاجروا إلى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم حباً لله ولرسوله، ونصرةً لدينه، وهو قوله: ﴿وينصرون الله﴾ أي: دينه ﴿ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ في إيمانهم.

﴿٩﴾ والذين تبوءوا الدار والإيمان ﴿نزلوا المدينة وقبلوا الإيمان ﴿من قبلهم﴾ من قبل المهاجرين وهم الأنصار ﴿يحبون من هاجر إليهم﴾ من المسلمين ﴿ولا يجدون في صدورهم حاجة﴾ غيظاً وحسداً ﴿مما أوتوا﴾ مما أوتي المهاجرون من الفيء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلا ثلاثة نفر، كانت بهم حاجة فطابت أنفس الأنصار بذلك، فذلك قوله: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ أي: يختارون إخوانهم المهاجرين بالمال على أنفسهم ﴿ولو كانت بهم خصاصة﴾ حاجة وفاقه إلى المال ﴿ومَن يُوقِ شَحْنَنَافٍ﴾ مَن حَفِظَ مِنَ الْحِرْصِ الْمَهْلِكِ عَلَى الْمَالِ، وَهُوَ حِرْصٌ يَحْمِلُهُ عَلَى إِسْكَالِ الْمَالِ عَنِ الْحَقِّ وَالْحَسَدِ ﴿فأولئك هم المفلحون﴾.

﴿١٠﴾ والذين جاؤوا من بعدهم ﴿أي: والذين يَجِيئُونَ مِنْ بَعْدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ﴿أي: المهاجرين والأنصار﴾ ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلاً﴾ حقداً ﴿للذين آمنوا...﴾ الآية. فمن تَرَحَّمْ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنْ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لَهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْآيَةِ، وَمَنْ يَشْتُمُ وَاحِداً مِنْهُمْ وَلَمْ يَتَرَحَّمْ عَلَيْهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ حِظٌّ فِي الْفِيءِ،

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١)
 لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَّيْنَّ الْأَدْبَرَ ثُمَّ لَا يُصْرُونَ﴾ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٤)

وكان خارجاً من جملة أقسام المؤمنين، وهم ثلاثة: المهاجرون والأنصار، والذين جاؤوا من بعدهم بهذه الصفة التي ذكرها الله تعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا...﴾ الآية. وذلك أَنَّ المنافقين ذهبوا إلى بني النضير لما حاصرهم رسول الله ﷺ، وقالوا: لا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم محمدٌ كنّا معكم، وإن أخرجكم خرجنا معكم، وذلك قوله: ﴿لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً﴾ سألنا خذلانكم ﴿أبدًا﴾ فكذبهم الله تعالى فيما قالوا بقوله: ﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾ والآية الثانية، وذكر أَنَّهُمْ إِنْ نَصَرُوهُمْ انْهَزَمُوا ولم ينتصروا، وهو قوله:

﴿ولئن نصروهم ليلولنَّ الأدبار ثمَّ لا ينصرون﴾.

﴿لأنتم﴾ أيها المؤمنون ﴿أشدُّ رهبةً في صدورهم﴾ صدور المنافقين من الله، يقول: أنتم أهيئ في صدورهم من الله تعالى؛ لأنَّهم يُخفون منكم موافقة اليهود خوفاً منكم، ولا يخافون الله فيتركون ذلك.

﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾ أي: اليهود ﴿إلا في قرى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ أي: لِمَا ألقى الله في قلوبهم من الرعب لا يقاتلونكم إلا مُتَحَصِّنِينَ بِالْقُرَى وَالْجُدُرَانِ، ولا يبرزون لقتالكم. ﴿بأسهم بينهم شديد﴾ خلافهم بينهم عظيم ﴿تحسبهم جميعاً﴾ مُجْتَمِعِينَ مُتَّفَقِينَ ﴿وقلوبهم شتى﴾ مُخْتَلَفَةٌ مُتَفَرِّقَةٌ، و﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ عن الله أمره.

كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ كمثل الذين من قبلهم ﴿١٥﴾ أي: المشركين، يقول: هم في تركهم الإيمان وغفلتهم عن عذاب الله كالذين من قبلهم ﴿١٥﴾ قريبا ذاقوا وبال أمرهم ﴿١٥﴾. يعني: أهل بدر ذاقوا العذاب بمدة قليلة من قبل ما حلَّ بالنضير من الجلاء والتقي، وكان ذلك بعد مرجعه من أحد، وقوله:

﴿١٦﴾ كمثل الشيطان ﴿١٦﴾ يعني: إِنَّ المنافقين في نصرتهم لليهود كمثل الشيطان ﴿١٦﴾ إذ قال للإنسان اكفر ﴿١٦﴾ يعني: عابداً في بني إسرائيل ففنه الشيطان حتى كفر، ثم خذله، كذلك المنافقون متوا بني النضير نصرتهم ثم خذلوه وتبرؤوا منهم.

﴿١٧﴾ فكان عاقبتهما ﴿١٧﴾ عاقبة الشيطان والكافر ﴿١٧﴾ أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ﴿١٧﴾.

﴿١٨﴾ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴿١٨﴾ بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ﴿١٨﴾ ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد ﴿١٨﴾ يوم القيامة من طاعة وعملٍ صالح.

﴿١٩﴾ ولا تكونوا كالذين نسوا الله ﴿١٩﴾ تركوا طاعة الله وأمره ﴿١٩﴾ فأنساهم أنفسهم ﴿١٩﴾ حظَّ أنفسهم أن يُقدِّموا لها خيراً.

﴿٢١﴾ لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴿٢١﴾ أخبر الله تعالى أَنَّ من شأن القرآن وعظمته أَنَّهُ لو جُعِلَ في الجبل تمييزاً — كما جعل في الإنسان — وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدَّع، أي: تشقَّق من خشية الله. قوله:

هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ
 الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ
 الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ
 الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿٢٢﴾ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾ السِّرُّ والعلانية. وقوله:

﴿٢٣﴾ ﴿الملك﴾: ذو الملك ﴿القدوس﴾ الطَّاهِرُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ ﴿السلام﴾ ذو السَّلامَةِ
 من الآفات والنِّقَائِصِ ﴿المؤمن﴾ الْمُصَدِّقُ رِسله بخلق المعجزة لهم. وقيل: الذي
 آمَنَ خلقه من ظلمه ﴿المهيمن﴾ الشَّهِيدُ ﴿العزیز﴾ القويُّ ﴿الجبار﴾ الذي جبر
 الخلق على ما أراد من أمره ﴿المتكبر﴾ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ.

• • •

سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ

[مدنيّة، وهي ثلاث عشر آية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ
الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في حاطب
ابن أبي بلتعة لما كتب إلى مشركي مَكَّة يُنذِرهم برسول الله ﷺ حين أراد الخروج
إليهم (٢) ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ أي: تُلْقُونَ إِلَيْهِم أَخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ وَسِرَّهُ بِالْمَوَدَّةِ
التي بينكم وبينهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا﴾ أي: وحالهم أَنَّهُمْ كَافَرُونَ ﴿بِمَا جَاءَكُمْ مِنْ
الْحَقِّ﴾ دين الإسلام والقرآن ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْ مَكَّةَ
﴿أَنْ تُؤْمِنُوا﴾ لَأَنْ آمَنْتُمْ ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ مِنْ مَكَّةَ﴾ جِهَادًا لِلْجِهَادِ
﴿فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ وجواب هذا الشَّرْطِ مُتَقَدِّمٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَا تَتَّخِذُوا
عَدُوِّي﴾ أي: لَا تَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ كُنْتُمْ تَبْتَغُونَ مَرْضَاتِي، وَقَوْلُهُ: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ

(١) ما بين [] من ظا.

(٢) وحديث حاطب هذا أخرجه البخاري في الجهاد، وفي التفسير ٦٣٣/٨؛ ومسلم في فضائل
الصحابة برقم ٢٤٩٤؛ وأبو داود في الجهاد برقم ٢٦٥٠؛ والنسائي في تفسيره ٤١٤/٢؛
والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٥.

بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشْفَقُوكُمْ
يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ
أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ
حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ
وَبَدَأَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ

بالمودة ﴿١﴾ كقوله: ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ ﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾
وذلك أنَّ الله أطلع نبيه عليه السلام على مكتبة حاطبٍ للمشرِكين حتى استردَّ
الكتاب ممَّن دفعه إليه ليوصله إليهم ﴿ومن يفعله منكم﴾ أي: الإِسْرار إليهم ﴿فقد
ضلَّ سواء السبيل﴾ أخطأ طريق الدِّين، ثمَّ أعلم أنَّه ليس ينفعهم ذلك عند
المشرِكين، فقال:

﴿٢﴾ إِنْ يَشْفَقُوكُمْ ﴿أي: يلقوكم ويظفروا بكم﴾ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ
أَيْدِيَهُمْ ﴿بالضَّرْب والقتل﴾ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴿أي: الشَّتْم﴾ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿فلا
تُناصِحوهم، فإنَّهم معكم على هذه الحالة، ثمَّ أخبر أنَّ أهلهم وأولادهم الذين
لأجلهم يُناصحون المشرِكين لا ينفعونهم شيئاً في القيامة، فقال:

﴿٣﴾ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ﴿المشرِكون﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ
فيدخل المؤمنون الجنة، والكافرون النار، ثمَّ أمر أصحاب رسول الله ﷺ بالاعتداء
بأصحاب إبراهيم عليه السلام، فقال:

﴿٤﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿اتِّمَامٌ واعتداء﴾ [وطريقةٌ حسنةٌ] ﴿١﴾ ﴿في إبراهيم
والذين معه﴾ من أصحابه إِذْ تَبَرَّؤُوا مِنْ قَوْمِهِمُ الْكُفَّارِ وعادوهم، وقالوا لهم:
﴿كفرنا بكم﴾ أي: أنكرناكم وقطعنا محبتكم. وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾
أي: كانت لكم أسوةٌ فيهم ما خلا هذا، فإنَّه لا يجوز الاستغفار للمشرِكين، ثمَّ

لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَن يَبْرؤْهُمْ وَنُقِشُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى

أخبر أنهم قالوا يعني قوم إبراهيم: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾.

﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أي: لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق، فيفتنوا بذلك.

﴿لقد كان لكم فيهم﴾ في إبراهيم والذين معه ﴿أسوة حسنة﴾ تقتدون بهم، فتفعلون من البراءة من الكفار كما فعلوا، وتقولون كما قالوا ممّا أخبر عنهم، ثمّ بين أن هذا الاقتداء بهم ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ ﴿ومن يتول﴾ عن الحقّ والى الكفار ﴿فإن الله هو الغني الحميد﴾.

﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ من مشركي مكة ﴿مودة﴾ بأن يهديهم للدين، فيصيروا لكم أولياء وإخواناً، ثمّ فعل ذلك بعد فتح مكة، فتزوّج رسول الله ﷺ أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، ولان أبو سفيان للمؤمنين وترك ما كان عليه من العداوة، ثمّ رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار، فقال:

﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ أي: لا ينهاكم عن برّ هؤلاء ﴿وتقسطوا إليهم﴾ أي: تعدلوا فيهم بالإحسان، ثمّ ذكر أنّه إنّما ينهاهم عن أن يتولّوا مشركي مكة الذين قاتلوهم، فقال:

﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على

إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ وَمَنْ يَنْوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ
 مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ ۚ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ
 وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاثُرُهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تُمَسِّكُوا
 بَعْضَهُمُ الْكُوفِرِ وَسَلُّوْا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
 وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ

إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلَوْهُمْ ۚ

﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ... ﴿٩﴾ الآية. نزلت بعد صلح
 الحديبية، وكان الصُّلح قد وقع على أن يردَّ إلى أهل مَكَّة مَنْ جَاءَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي النَّسَاءِ إِذَا جِئْنَ مُهَاجِرَاتٍ أَنْ يُمْتَحَنَ، وَهُوَ قَوْلُهُ:
 ﴿فَأَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ وَهُوَ أَنَّ تُسْتَحْلَفَ مَا خَرَجَتْ بُغْضًا لِرُجُوعِهَا، وَلَا عَشْقًا لِرَجُلٍ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ، وَمَا خَرَجَتْ إِلَّا رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، فَإِذَا حَلَفَتْ لَمْ تَرُدَّ إِلَى الْكُفَّارِ، وَهُوَ
 قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ لِأَنَّ الْمُسْلِمَةَ لَا تَحِلُّ
 لِلْكَافِرِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَثَرُهُنَّ﴾ يَعْنِي: أَزْوَاجَهُنَّ الْكُفَّارَ مَا أَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَهْرِ
 ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ أَي: مَهُورَهُنَّ وَإِنْ كَانَ
 لَهُنَّ أَزْوَاجٌ كُفَّارٌ، [فِي دَارِ الْإِسْلَامِ] ^(١)، لِأَنَّ الْإِسْلَامَ أَبْطَلَ تِلْكَ الزَّوْجِيَّةَ، ﴿وَلَا
 تُمْسِكُوا بَعْضَهُمُ الْكُوفِرِ﴾ أَي: لَا تُمْسِكُوا بِنِكَاحِهِنَّ؛ فَإِنَّ الْعَصْمَةَ لَا تَبْقَى بَيْنَ
 الْمَشْرُكَةِ وَالْمُؤْمِنِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ لَحِقَتْ بِالْمَشْرِكِينَ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِكُمْ فَلَا
 تُمْسِكُوا بِنِكَاحِهَا ﴿وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَهْرِ مَنْ يَتَزَوَّجُهُنَّ مِنَ الْكُفَّارِ
 ﴿وَلَيْسَ أَسْأَلُوا﴾ يَعْنِي: الْمَشْرِكِينَ ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ مِنَ الْمَهْرِ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَذْيَ
 الْمُؤْمِنُونَ مَا أُمِرُوا بِهِ مِنْ نَفَقَاتِ الْمَشْرِكِينَ عَلَى نِسَائِهِمْ، وَأَبَى الْمَشْرِكُونَ ذَلِكَ،
 فَتَزَلَّتْ:

﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ أَي: إِنْ لَحِقَتْ وَاحِدَةٌ مِنْ نِسَائِكُمْ

فَعَاقَبْتُمْ فَنَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَتَأَيَّهَا
النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ
أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعَهُنَّ
وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكَافِرُ مِنَ الْكَافَرِ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

مرتدة بالكفار ﴿فعاقبتهم﴾ فغزوتموهم وكانت العقبي لكم ﴿فاتوا الذين ذهب
أزواجهم﴾ إلى الكفار ﴿مثل ما أنفقوا﴾ عليهم من الغنائم، ثم نزل في بيعة النساء:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَايَعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ
وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي:
لا يأتين بولد ينسبه إلى الزوج؛ فإن ذلك بهتان يفتريه بين أيديهن وأرجلهن ﴿أي:
أي: فيما وافق طاعة الله تعالى﴾ ﴿فبايعهن﴾ أمره أن يبايعهن على الشرائط التي
ذكرها في هذه الآية، ثم نهى المؤمنين عن موالاة اليهود، فقال:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُوا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أن
يكون لهم فيها ثواب ﴿كما يشس الكفار﴾ الذين لا يوقنون بالبعث ﴿من أصحاب
القبور﴾ أن يبعثوا. وقيل: كما يشس الكفار الذين في القبور من أن يكون لهم في
الآخرة خير.

سُورَةُ الصَّافِّاتِ

[مكية، وهي أربع عشر آية بلا خلاف] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَقُولُونَ: لَوْ عَلِمْنَا أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ لَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا وَأَنْفُسَنَا، فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ (٢): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ الْآيَةَ.

﴿٣﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: عَظُمَ ذَلِكَ فِي الْبَغْضِ ﴿٣﴾ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ. وَقَوْلُهُ:

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الْجِهَادَ، فَلَمْ يَقُوا بِمَا قَالُوا وَانْهَزَمُوا يَوْمَ أُحُدٍ، فَعَبَّرُوا بِهَذِهِ الْآيَةِ. وَقَوْلُهُ: ﴿كَانَهُمْ

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرج هذا أحمد في المسند ٤٥٢/٥، والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٦ عن عبد الله بن سلام؛ والحاكم ٤٨٧/٢؛ وصححه.

بَيْنَ مَرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُورُ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذْكَرُ عَلَى بَعْزِهِ نَجِيحُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَقِفْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ

بنیان مرصوص ﴿ لا صق بعضه ببعض لا يزولون عن أماكنهم .

﴿٥﴾ ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى﴾ أي: اذكر يا محمد لقومك قصة موسى إذ قال لقومه: ﴿يا قوم لم تؤذونني﴾ وذلك حين رموه بالأذرة ﴿وقد تعلمون أنني رسول الله إليكم﴾ والرسول يُعْظَم ولا يُؤذَى ﴿فلما زاغوا﴾ عدلوا عن الحق ﴿أزاغ الله قلوبهم﴾ أضلهم الله وصرف قلوبهم عن الحق ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ أي: مَنْ سبق في علمه أنه فاسق. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ أي: ولكم أخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الآجل، ثم بين ما هي، فقال: ﴿نصر من الله وفتح قريب﴾.

﴿١٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾ أعواناً بالسيف على أعدائه ﴿كما قال عيسى ابن مريم للحواريين مَنْ أنصاري إلى الله﴾ أي: مع الله ﴿قال الحواريون نحن

اللَّهُ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٦﴾

أنصار الله، فأمنت طائفة من بني إسرائيل ﴿بِعِيسَى﴾ وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا ﴿[قَوَيْنَاهُمْ]﴾^(١) ﴿على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ غاليين.

• • •

(١) ما بين [] ليس في الأصل ع.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، وهي إحدى عشر آية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مِثْلَ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم.

﴿٢﴾ هو الذي بعث في الأميين يعني: العرب ﴿رسولاً منهم﴾ محمداً عليه السلام.

﴿٣﴾ وآخريين منهم أي: وفي آخريين منهم ﴿لما يلحقوا بهم﴾ (٢) وهم التابعون وجميع من يدخل في الإسلام، والنبِيُّ ﷺ مبعوثٌ إلى كلِّ مَنْ شاهده، وإلى كلِّ مَنْ كان بعدهم من العرب والعجم.

﴿٤﴾ مثل الذين حملوا التوراة ﴿كُلَّفُوا العمل بها﴾ ثم لم يحملوها ﴿لم يعملوا بما فيها﴾

(١) زيادة من ظا.

(٢) وفي هامش زيادة: قوله: ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ أي: لم يلحقوا بهم. أي: في الفضل والمساواة؛ لأنَّ التابعين لم يدركوا شأوا الصحابة.

كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْظَالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَتَائِبُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ
إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنْزِلُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَتَائِبُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا
إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿ كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ كتباً. أي: اليهود، شبههم في قلة انتفاعهم بما في
أيديهم من التوراة إذ لم يؤمنوا بمحمد عليه السلام بالحمار يحمل كتباً، ثم قال:
﴿ بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾.

﴿ قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن
كنتم صادقين ﴾ فسر في سورة البقرة^(١) عند قوله: ﴿ قل إن كانت لكم الدار
الآخرة... ﴾^(٢) الآية.

﴿ قل إنَّ الموت الذي تفرُّون منه ﴾ وذلك أنَّهم علموا أنَّ عاقبتهم النَّار بتكذيب
محمد عليه السلام، فكرهوا الموت، قال الله: ﴿ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ﴾ أي: لا بدَّ لكم
منه يلقاكم وتلقونه.

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله ﴾ أي:
اعملوا على المشي إليه ﴿ وذرُوا الْبَيْع ﴾ اتركوه بعد النداء.

﴿ فإذا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾ فرغ منها ﴿ فانتشروا في الأرض ﴾ أمرُ إباحةٍ ﴿ وابتغوا من
فضل الله ﴾ الرِّزْق.

(١) انظر ص ١١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٤.

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ
وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ أي: تفرَّقوا عنك إلى التَّجَارَةِ، وكان النبي ﷺ في خطبته يوم الجمعة، فقدمت عيرٌ وضرب لقدميها الطبل، وكان ذلك في زمان غلاءٍ بالمدينة، فتفرَّق النَّاسُ عن النبي ﷺ إلى التَّجَارَةِ وصوت الطبل، ولم يبق معه إلا اثنا عشر^(١) نفساً. وقوله: ﴿وتركوك قائماً﴾ أي: في الخطبة. ﴿قل ما عند الله﴾ [للمؤمنين]^(٢) ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ فإياه فاسألوا، ولا تنفضوا عن الرسول ﷺ لطلب الرِّزْق.



(١) أخرج هذا البخاري عن جابر بن عبد الله في التفسير ٦٤٣/٨؛ ومسلم في الجمعة برقم ٨٦٣؛ والنسائي في تفسيره ٤٣٠/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٨.
(٢) زيادة ليست في الأصل ع.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنيّة وهي إحدى عشر آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ
تُعْجِبْكَ أَجْسَامُهُمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون ﴿لإضمارهم خلاف ما أظهروا.

﴿٢﴾ اتخذوا أيمانهم ﴿جمع يمين ﴿جَنَّةٌ﴾ سترَةٌ يستترون بها من القتل. يعني: قولهم: ﴿ويحلفون بالله إنهم لمنكم﴾ ^(٢) وقوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾ ^(٣). ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ منعوا النَّاسَ عن الإيمان بمحمد ﷺ ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ بش [العمل] ^(٤) عملهم.

﴿٣﴾ ذلك بأنهم آمنوا ﴿في الظاهر﴾ ثم كفروا ﴿بالاعتقاد.

﴿٤﴾ وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ﴿في طولها واستواء خلقها، وكان عبد الله ابن أبي

(٣) سورة التوبة: الآية ٧٤.

(٤) زيادة من ظا.

(١) زيادة من ظا.

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٦.

وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَأْرُؤُهُمْ وَإِنِّي لَأَكِيدُ صِدْقُهُمْ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا

جسيماً صبيحاً فصيحاً، إذا تكلم يسمع النبي ﷺ قوله، وهو قوله: ﴿وإن يقولوا تسمع لقولهم﴾ ثم أعلم أنهم في ترك التفهم بمنزلة الخشب، فقال: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ أي: ممالأة إلى الجدار ﴿يحسبون﴾ من جبنهم وسوء ظنهم ﴿كل صيحة عليهم﴾ أي: إن نادى مناد في العسكر، أو ارتفع صوت، ظنوا أنهم يرادون بذلك لما في قلوبهم من الرعب ﴿هم العدو﴾ وإن كانوا معك ﴿فاحذرهم﴾ ولا تأمنهم ﴿قاتلهم الله﴾ لعنهم الله ﴿أنى يؤفكون﴾ من أين يُصرفون عن الحق بالباطل؟!.

﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوأرؤوسهم﴾ وذلك أنه لما نزلت هذه الآيات قيل لعبد الله بن أبي: لقد نزلت فيك آي شداد، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوئ رأسه وأعرض بوجهه إظهاراً للكرامة^(١) ﴿ورأيتهم يصدون﴾ يُعرضون عما دُعوا إليه ﴿وهم مستكبرون﴾ لا يستغفرون، ثم أخبر أن استغفار الرسول عليه السلام لا ينفعهم لفسقهم وكفرهم فقال:

﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم﴾.

﴿هم الذين يقولون: لا تنفقوا على من عند رسول الله﴾ وذلك أن عبد الله ابن أبي قال لقومه وذويه: لا تنفقوا على أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم - حتى

وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفَقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ

ينفضوا، أي: يتفرقوا ﴿والله خزائن السموات والأرض﴾ أي: إنه يرزق الخلق كلهم، وهو يرزق المؤمنين والمنافقين جميعاً.

﴿يقولون لئن رجعنا إلى المدينة﴾ يعني: عبد الله ابن أبي، وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، وجرى بينه وبين واحد من المؤمنين جدال، فأفرط عليه المؤمن فقال عبد الله بن أبي: ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل﴾^(١) يعني: بالأعزُّ نفسه، وبالأذلُّ رسول الله ﷺ، فقال الله تعالى: ﴿والله العزّة والقوة والغلبة﴾ ولرسوله ﴿بعلو كلمته وإظهار دينه﴾ وللمؤمنين ﴿بنصر الله إياهم على من ناوَاهم.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ لا تشغلكم ﴿أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله﴾ أي: الصلوات الخمس ﴿ومن يفعل ذلك﴾ يشتغل بشيء عن الصلوات ﴿فأولئك هم الخاسرون﴾.

﴿وأنفقوا مما رزقناكم﴾ يعني: أدوا الزكاة ﴿من قبل أن يأتي أحدكم الموت﴾ فيقول: ربّ لولا أخرتني إلى أجل قريب ﴿هلاً أخرتني إلى أجل قريب، يسأل

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٦٥٢/٨؛ ومسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٧٢؛ والنسائي في تفسيره ٤٣٤/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣١٤؛ وابن جرير ١١٣/٢٨.

فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

الرجعة، وما قَصَّرَ أَحَدٌ فِي الزَّكَاةِ وَالْحَجِّ إِلَّا سَأَلَ الرَّجْعَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ﴿فَأَصَّدَقَ﴾
 أَيُّ: أَتَصَدَّقَ وَأُزَكِّي ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أَيُّ: أَحَجِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. ﴿١١﴾

• • •

سُورَةُ النَّجْمَاتِ

[مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِهَا، وَهِيَ ثَمَانٌ عَشَرَ آيَةً^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

﴿٢﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ ﴿أَيُّ﴾ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِكُمْ ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ ﴿أَيُّ﴾ : خَلَقَكُمْ كُفَّارًا وَمُؤْمِنِينَ . وَقَوْلُهُ :

﴿٣﴾ ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ ﴿أَيُّ﴾ : خَلَقَكُمْ أَحْسَنَ الْحَيَوَانِ .

(١) زيادة من ظا .

وقال ابن عباس: مَكِّيَّةٌ إِلَّا ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْهَا نَزَلَتْ فِي عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ، شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَفَاءَ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ...﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ. أَخْرَجَهُ النَّحَّاسُ فِي نَاسِخِهِ ص ٢٨٩ .

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُغْنِيَهُمْ قُلُوبُنَا رَبِّهِمْ لَنُبَشِّرَنَّهُمْ لَنُنَبِّئَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَتَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

﴿٥﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ ﴿٥﴾ يا أهل مكة ﴿٥﴾ نبأ الذين كفروا من قبل ﴿٥﴾ أي: خبر الأمم الكافرة قبلكم ﴿٥﴾ فذاقوا وبال أمرهم ﴿٥﴾ ذاقوا في الدنيا العقوبة بكفرهم ﴿٥﴾ ولهم ﴿٥﴾ في الآخرة ﴿٥﴾ عذاب أليم ﴿٥﴾.

﴿٦﴾ ذَلِكَ ﴿٦﴾ أي: ذلك الذي نزل بهم ﴿٦﴾ بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا: أبشر يهدوننا ﴿٦﴾ استبعدوا أن يكون الداعي إلى الحق بشراً، والمراد بالبشر ههنا الجمع، لذلك قال: ﴿٦﴾ يهدوننا، فكفروا وتولوا ﴿٦﴾ عن الإيمان ﴿٦﴾ واستغنى الله ﴿٦﴾ أي: عن إيمانهم ﴿٦﴾ والله غني ﴿٦﴾ عن خلقه ﴿٦﴾ حميد ﴿٦﴾ في أفعاله. وقوله:

﴿٩﴾ يوم التغابن ﴿٩﴾ يغبن فيه أهل الجنة أهل النار بأخذ منازلهم التي كانت لهم في الجنة لو آمنوا، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته، فيظهر في ذلك اليوم غبن كل كافر بترك الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره.

﴿١٠﴾ ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ﴿١٠﴾ بعلمه وإرادته ﴿١٠﴾ ومن يؤمن بالله ﴿١٠﴾ يصدق بأنه لا تصيبه مصيبة إلا بإذن الله ﴿١٠﴾ يهد قلبه ﴿١٠﴾ يجعله مهتدياً حتى يشكر عند النعمة، ويصبر عند الشدة ^(١).

(١) عن علقمة بن قيس قال: شهدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعرض المصاحف، فأتى =

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن مِّنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِن اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ

﴿١٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ ﴿١﴾ نزلت في قوم آمنوا، وأرادوا الهجرة فنبطهم أهلهم وأولادهم، وقالوا: لا نصبر على مفارقتكم، فأخبر الله تعالى أنهم أعداء لهم بحملهم إياهم على المعصية وترك الطاعة ﴿٢﴾ فاحذروهم ﴿٣﴾ أن تقبلوا منهم ولا تطيعوهم، ثم إذا هاجر هذا الذي نبطه أهله عن الهجرة رأى النَّاس قد تعلَّموا القرآن، وتفقهوا في الدِّين فيهم أن يعاقب أهله، فقال الله تعالى: ﴿٤﴾ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا فَإِن اللَّه غَفُورٌ رَّحِيمٌ .

﴿١٥﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴿١﴾ ابتلاء واختبار لكم، فمن كسب الحرام لأجل الأولاد، ومنع ماله عن الحقوق، فهو مفتون بالمال والولد ﴿٢﴾ واللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ لمن صبر عن الحرام، وأنفق المال في حقّه .

﴿١٦﴾ فَأَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴿١﴾ يعني: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتنكم الميل إلى الأموال والأولاد عن ذلك. وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿٢﴾ أَتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ﴿١﴾. وقوله: ﴿٣﴾ وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ﴿١﴾ أي: قدّموا خيراً لأنفسهم من

على هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ قال: هي المصيبات تُصيب الرّجل، فيعلم أنّها من عند الله، فيسلم ويرضى. ذكره البخاري في التفسير معلقاً، ٦٥٢/٨؛ وابن جرير ١٢٣/٢٨ .

(١) الآية ١٠٢ من سورة آل عمران. وهذا قول ابن عباس ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ١٠٦، وقول الربيع بن أنس والسدي وابن زيد. قال مكي القيسي: وأكثر العلماء على أنّه محكم لا نسخ فيه؛ لأنّ الأمر بالتقوى لا ينسخ، والآيتان ترجعان إلى معنى واحد. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٢٠٣ .

وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ تَقَرُّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

أموالكم ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ بخلها وحرصها حتى ينفق المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالخير.

• • •

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، وهي إحدى عشرة آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ هذا خطابٌ للنبي ﷺ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب، ومعنى قوله: ﴿إِذَا طَلَقْتُمْ﴾: إذا أردتم طلاق النساء ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ أي: لظهرهن الذي يحصينه من عدتهن، وهذا سنة الطلاق، ولا تطلقوهن لحيضتهن التي لا يعتدون بها من زمان العدة. ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ أي: عدد أقرائها، واحفظوها لتعلموا وقت الرجعة إن أردتم أن تراجعوهن، وذلك أن الرجعة إنما تجوز في زمان العدة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ وأطيعوه فيما يأمركم وينهاكم ﴿لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ حتى تنقضي عدتهن ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ من البيوت في زمان العدة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ وهي الزنا، فيخرجن حينئذ لإقامة الحد عليهن ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يعني: ما ذكر من طلاق السنة ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ﴾

(١) زيادة من ظا.

وهي في المصحف ١٢ آية، قال البقاعي في مصاعد النظر ٩٤/٣: وآيها إحدى عشرة آية في البصري، واثنًا عشرة في عدد الباين.

حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُم يُوعِظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِّنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ

حدود الله ﴿١﴾ ما حدَّ الله له من الطلاق وغيره ﴿فقد ظلم نفسه لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ بعد الطلاق مراجعة، وهذا يدلُّ على كراهية التَّطْلِيق ثلاثاً بمرَّة واحدة؛ لأنَّ إحداث الرَّجْعَة لا يكون بعد الثلاث.

﴿فإذا بلغن أجلهنَّ﴾ قاربن انقضاء العدة ﴿فأمسكوهنَّ﴾ برجعة تراجعوهنَّ بها ﴿بمعروف﴾ وهو أن لا يريد بالرَّجْعَة ضرارها ﴿أو فارقوهنَّ بمعروف﴾ أي: اتركوهنَّ حتى تنقضي عدتهنَّ فتيبن، ولا تضاروهنَّ بمراجعتهنَّ. ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ على الرَّجْعَة أو الفراق. ﴿ومَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ يُعْطِه فيما يأمره وينهاه ﴿يجعل له مخرجاً﴾ من الشَّدة إلى الرَّخاء، ومن الحرام إلى الحلال، ومن النَّار إلى الجنَّة. يعني: من صبر على الضَّيق، واتَّقَى الحرام جعل الله له مخرجاً من الضَّيق.

﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ويروى أَنَّ هذا نزل في عوف بن مالك الأشجعيّ أتى رسول الله ﷺ، فقال: إِنَّ العدو أسر ابني، وشكا إليه الفاقة، فقال له رسول الله ﷺ: اتَّقِ اللَّهَ واصبر، وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إِلَّا بِاللَّهِ، ففعل الرَّجُل ذلك، فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، وأصاب إبلًا لهم وغنماً، فساقتها إلى أبيه^(١). ﴿ومَن يتوكل على اللَّهِ﴾ ما أهمُّه يتوثق به ويسكن قلبه إليه ﴿فهو حسبه﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ بالغ أمره﴾ يبلغ أمره فيما يريد، وينفذه ﴿قد

(١) حديث عوف بن مالك هذا ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٥٠٢؛ وأخرجه ابن جرير ١٣٨/٢٨ عن السدي.

جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾ وَالَّتِي يَتَسَنَّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعَدَّتْهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضَارَوْهُنَّ لِضَيْقِهِنَّ وَلِإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَاتَوَّهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَتَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُم فَاَسْتَرْضِعْ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾

جعل الله لكل شيء قدراً ﴿٢﴾ ميقاناً وأجلاً.

﴿٤﴾ «واللاتي يتسنن من المحيض من نسايتكم» أي: القواعد من النساء اللاتي قعدن عن الحيض ﴿٥﴾ «إن ارتبتم» إن شككتن في حكمهن ولم تعلموا عدتهن، وذلك أنهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عدّة التي تحيض، فما عدّة التي لا تحيض والتي لم تحض بعد؟ فبيّن الله تعالى ذلك فقال: ﴿٥﴾ «فعدتهن ثلاثة أشهر واللاتي لم يحضن» يعني: الصغار. ﴿٥﴾ «وأولات الأحمال» ذوات الحمل من النساء ﴿٥﴾ «أجلهن» عدتهن ﴿٥﴾ «أن يضعن حملهن» فإذا وضعت الحامل انقضت عدتها مُطْلَقَةً كانت، أو مُتَوَقَّئاً عنها زوجها ﴿٥﴾ «ومن يتق الله» بطاعته في أوامره ونواهيه ﴿٥﴾ «يجعل له من أمره يسراً» أتاه باليسر في أموره.

﴿٥﴾ «ذلك» يعني: ما ذكر من أحكام العِدَّة ﴿٥﴾ «أمر الله أنزله إليكم...» الآية.

﴿٦﴾ «أسكنوهن» أي: المطلقات ﴿٦﴾ «من حيث سكنتم» أي: من منازلكن وبيوتكن ﴿٦﴾ «من وجدكن» من سعتكن وطاقتكن ﴿٦﴾ «ولا تضاروهن» لا تؤذوهن ﴿٦﴾ «لتضيّقوا عليهن» مساكنهن فيحتجن إلى الخروج ﴿٦﴾ «وإن كن» أي المطلقات ﴿٦﴾ «أولات حملٍ» فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم ﴿٦﴾ «أولادكن» منهن ﴿٦﴾ «فاتوهن أجورهن» على إرضاعهن ﴿٦﴾ «واتمروا بينكم بمعروف» أي: ليقبل بعضكم من بعض إذا أمره بمعروف ﴿٦﴾ «وإن تعاسرتم» تضايقتن ولم تتوافقا على إرضاع الأم ﴿٦﴾ «فاسترضع الصبي» [له] لوالده [مرضعة أخرى سوى الأم، ولا تكره الأم على الإرضاع.

لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَنَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلُهَا فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿١١﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

﴿٧﴾ لينفق ذو سعة من سعته ﴿﴾ أمر أهل التَّوسعة أن يُوسَّعوا على نسائهم المرضعات أولادهم ﴿﴾ ومن قدر عليه رزقه ﴿﴾ من كان رزقه بمقدار القوت ﴿﴾ فلينفق ﴿﴾ على قدر ذلك. ﴿﴾ لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ﴿﴾ أعطاه. ﴿﴾ سيجعل الله بعد عسرٍ يسراً ﴿﴾ أعلم الله تعالى المؤمنين أنهم — وإن كانوا في حال ضيقة — سيوسرهم ويفتح عليهم، وكان الغالب عليهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة، ثم فتح الله عليهم وجاءهم باليسر.

﴿٨﴾ وكأين ﴿﴾ وكم ﴿﴾ من قرية عنت عن أمر ربها ورسله ﴿﴾ عتا أهلها عما أمر الله تعالى به ورسله ﴿﴾ فحاسبناها ﴿﴾ في الآخرة ﴿﴾ حساباً شديداً وعذبناها عذاباً نكراً ﴿﴾ فظيعاً، يعني: عذاب النار.

﴿٩﴾ فذاقت وبال أمرها ﴿﴾ ثقل عاقبة أمرها ﴿﴾ وكان عاقبة أمرها خسراً ﴿﴾ خساراً وهلاكاً. وقوله:

﴿١٠﴾ قد أنزل الله إليكم ذكراً ﴿﴾ أي: القرآن.

﴿١١﴾ رسولاً ﴿﴾ أي: وأرسل رسولاً. ﴿﴾ يتلو عليكم آياتِ الله مبيناتٍ الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴿﴾ من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وقوله: ﴿﴾ قد أحسن الله له رزقاً ﴿﴾ أي: رزقه الجنة التي لا ينقطع نعيمها. وقوله:

وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾

﴿يتنزل الأمر بينهن﴾ يعني: إنَّ في كلِّ سماء وكلِّ أرض خلقاً من خلقه، وأمرأً نافذاً من أمره ﴿لتعلموا﴾ أي: أعلمكم ذلك ويبيِّنه لتعلموا قدرته على كلِّ شيء، وأنه علم كلِّ شيء.

• • •

سُورَةُ التَّحْنِثِ

[مكيةٌ وهي اثنا عشر آيةً بلا خلاف] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴿١﴾ رُوي أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل على حفصة في يوم نوبتها، فخرجت هي لبعض شأنها، فأرسل رسول الله ﷺ إلى مارية جاريته، وأدخلها بيت حفصة وواقعها، فلما رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت وبكت، وقالت: أما لي حرمةٌ عندك وحقٌّ؟! فقال رسول الله ﷺ: اسكتي فهي حرامٌ عليّ، أبتغي بذلك رضاك، وحلف أن لا يقربها، وبشرها بأنَّ الخليفة من بعده أبوها وأبو عائشة رضي الله عنهم أجمعين ذكوراً وإنثاءً، وقال لها: لا تخبري أحداً بما أسررتُ إليك من أمر الجارية وأمر الخلافة من بعدي، فلما خرج رسول الله ﷺ من عندها أخبرت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها بذلك وقالت: قد أراحنا الله من مارية، فإنَّ رسول الله ﷺ حرَّمها على نفسه، وقصَّت عليها القصَّة، فتزل ^(٢): ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ أي: الجارية ﴿تَبَغَّى﴾ بتحريمها ﴿مَرْضَاةً أَزْوَاجِكَ﴾ والله غفور رحيم ﴿غفر لك ما فعلت من التَّحْرِيمِ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَنْ يَكْفُرَ عَنْ يَمِينِهِ فَقَالَ:

(١) زيادة من ظا.

(٢) القصة هذه أخرجها النسائي في تفسيره ٤٤٩/٢ باختصار؛ والحاكم في المستدرک ٤٤٩٣/٢ وصححها؛ ووافقه الذهبي؛ وابن جرير ١٥٧/٢٨ عن ابن عباس.

قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

﴿٢﴾ قد فرض الله لكم ﴿أي: بين الله لكم﴾ تحلة أيمانكم ﴿ما تستحلُّ به المحلوف عليه من الكفار. يعني: في سورة المائدة﴾ (١).

﴿٣﴾ وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه ﴿يعني: حفصة﴾ حديثاً ﴿تحريم الجارية وأمر الخلافة﴾ فلما نبأت به ﴿أخبرت به عائشة رضوان الله عليهما وعلى أبيهما﴾ وأظهره الله عليه ﴿أطلع نبيّه عليه السَّلام على إفشائها السرِّ﴾ ﴿عرَّفَ بعضه﴾ أخبر حفصة ببعض ما قالت لعائشة ﴿وأعرض عن بعض﴾ فلم يُعرِّفها إيَّاه على وجه التَّكْرُم والإغضاء ﴿فلما نبأها به﴾ أخبر حفصة بما فعلت ﴿قالت من أنبأك هذا﴾ من أخبرك بما فعلت؟ ﴿قال نبأني العليم الخبير﴾.

﴿٤﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ ﴿يعني: عائشة وحفصة﴾ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿عدلت وزاغت عن الحقِّ، وذلك أنَّهما أَحَبَّتَا ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته﴾ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ ﴿تعاونوا على أذى رسول الله ﷺ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴿وليُّه وحافظه﴾ فلا يضرُّه تظاهُّرُكُمَا عليه وقوله: ﴿وصالح المؤمنين﴾ قيل: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو تفسير النبيِّ ﷺ (٢) ﴿والملائكة بعد ذلك ظهير﴾ أي: الملائكة بعد هؤلاء أعوان.

(١) يعني: قوله تعالى: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ﴿[الآية: ٨٩]﴾.

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ في قول الله: ﴿وصالح المؤمنين﴾ قال: صالح =

عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطَاتٍ تَزِينْنَ لِجَنَّتِ عِيدَاتٍ سَيِّحَاتٍ
 تَبِينْنَ وَأَتَّكِرْنَ ﴿٥﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
 مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا
 يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا
 عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا
 يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ
 لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منك﴾ هذا إخبارٌ عن قدرة الله تعالى على أن يبدله لو طلق أزواجه خيراً منهن، وتخويفٌ لنسائه. وقوله: ﴿قانتات﴾ مطيعات ﴿سائحات﴾ صائمات.

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا﴾ أي: خذوا أنفسكم وأهليكم بما يقرب من الله تعالى، وجنبوا أنفسكم وأهليكم المعاصي ﴿وقودها الناس والحجارة﴾ أي: توقد بهذين الجنسين ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني: خزنة جهنم. وقوله:

﴿توبة نصوحاً﴾ هي التوبة التي تنصح صاحبها حتى لا يعود إلى ما تاب منه، ونصوحاً معناه بالغة في النصح. وقوله: ﴿لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه﴾ أي: لا يفضحهم ولا يهلكهم. ﴿نورهم﴾ على الصراط ﴿يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾ إذا طفىء نور المنافقين دعوا الله وسألوه أن يتم لهم النور، ثم ضرب مثلاً للنساء الصالحات والطالحات، فقال:

المؤمنين أبو بكر وعمر. أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه.

وأخرجه ابن جرير ١٦٢/٢٨ عن مجاهد والضحاك، ولم يرفعه.

يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيُشَسِّ الْمَصِيدُ ﴿٩﴾
 ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا
 صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي
 الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي
 أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا

﴿١١﴾ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
 صالحين فخانتاهما ﴿١﴾ أي: في الدين، فكانت امرأة نوح تخبر قومه أنه مجنون،
 وامرأة لوط دلت على أضيافه ﴿٢﴾ فلم يغنيا عنهما من عذاب الله شيئاً يعني: نوحاً ولوطاً ﴿٣﴾ عنهما من
 عذاب الله شيئاً من شيء، وهذا تخويف لعائشة وحفصة، وإخبار أن الأنبياء
 لا يغنون عن مَنْ عمل بالمعاصي شيئاً، وقطع لطمع من ركب المعصية رجاء أن
 ينفعه صلاح غيره. وقوله:

﴿١٢﴾ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿١﴾ قيل: إن فرعون لما تبين له إسلامها وتدها
 على الأرض بأربعة أوتاد على يديها ورجليها، فقالت وهي تعذب: ﴿٢﴾ رَبِّ ابْنِ لِي
 عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فرعون وعمله ﴿٣﴾ أي: تعذبه إياي، وفي هذا بيان
 أنها لم تمل إلى معصيته مع شدة ما قاست من العذاب، وكذا فليكن صوالح
 النساء، وأمر لعائشة وحفصة أن يكونا كآسية وكمریم بنت عمران. وقوله:

﴿١٣﴾ ومريم ابنة عمران ﴿١﴾ هو عطف على قوله: «امرأة فرعون» ﴿٢﴾ التي أحصنت فرجها ﴿٣﴾

(١) عن أبي هريرة قال: إن فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتاد في أيديها ورجليها، فكان إذا تفرقا
 عنها أطلقتها الملائكة، فقالت: ﴿٢﴾ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴿٣﴾ قال: فكشف لها عن بيتها
 في الجنة. أخرجه أبو يعلى في مسنده ٥٣/٦؛ وهو صحيح موقوف على أبي هريرة؛ وانظر
 المطالب العالية ٣/٣٩٠.

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾

أَيُّ: عَقَّتْ وحفظت ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ﴾ جيب درعها من ﴿رُوحِنَا﴾. فُسر في سورة الأنبياء^(١)، ﴿وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ﴾ آمنت بما أنزل الله على الأنبياء ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ أَيُّ: من القوم المُطِيعِينَ لله، أَيُّ: إِنَّهَا أَطَاعَتْ فدخلت في جملة المطيعين لله من الرِّجَالِ والنِّسَاءِ.

• • •

سُورَةُ الْمُلْكِ

[مكية وهي ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تبارك﴾ أي: تعالى وتعظم ﴿الذي بيده الملك﴾ يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾ في الحياة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أي: أطوع لله وأورع عن محارمه، ثم يُجازيكم بعد الموت.

﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ بعضها فوق بعض ﴿ما ترى في خلق الرحمن﴾ أي: خلقه السماء ﴿من تفاوت﴾ اضطراب واختلاف، بل هي مستوية مستقيمة ﴿فارجع البصر﴾ [أعد فيها النظر]^(١) ﴿هل ترى من فطور﴾ صدوع وشقوق. ﴿ثم ارجع البصر﴾ [كرّر النظر]^(٢) ﴿كرّتين﴾ مرتين.

﴿ينقلب إليك البصر﴾ ينصرف ويرجع ﴿خاسئاً﴾ صاغراً ذليلاً ﴿وهو حسير﴾ أي: وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خلاً.

(١) ما بين [] زيادة ليست في الأصل ع.

(٢) زيادة من ظ.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ السَّعِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾

﴿٥﴾ ولقد زيننا السماء الدنيا ﴿بمصابيح﴾ التي تدنو منكم ﴿بمصابيح﴾ بكواكب ﴿وجعلناها رجومًا﴾ مرامي ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استرقوا السَّمع ﴿وأعتدنا لهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب السعير﴾.

﴿٧﴾ إذا ألقوا فيها سمعوا لها ﴿لجهنم﴾ ﴿شهيقة﴾ صوتاً كصوت الحمار ﴿وهي تفور﴾ تغلي.

﴿٨﴾ تكاد تميز من الغيظ ﴿تقطع غضباً على الكفار﴾ ﴿كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ: ﴿ألم يأتكم نذير﴾ رسولٌ في الدنيا يندركم عذاب الله؟ فقالوا:

﴿٩﴾ ﴿لو كنا نسمع﴾ من الرُّسل سمع مَنْ يفهم ويتفكر ﴿أو نعقل﴾ عقل مَنْ ينظر ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾. وقوله:

﴿١١﴾ ﴿فاعترفوا بذنوبهم﴾ بتكذيب الرُّسل، ثم اعترفوا بجهلهم ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ أي: أسحقهم الله سحقاً، أي: باعدهم من رحمته مُباعدةً.

﴿١٢﴾ ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ قبل مُعاينة العذاب وأحكام الآخرة.

﴿١٣﴾ ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ بالسُّتْم، فيخبره الله تعالى، فقالوا: فيما بينهم: أسروا قولكم كيلا يسمع إله محمد، فقال الله تعالى:

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا
وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾
أَمْ أَمِنْتُمْ مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَقَتِ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَنْ هَذَا الَّذِي يَزْعُمُ أَنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى
وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

- ﴿١٤﴾ ألا يعلم من خلق؟ أي: ألا يعلم ما في صدوركم وما تُسرون به من خلقكم؟
- ﴿١٥﴾ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا؟ سهلا مُسَخَّرَةً ﴿فامشوا في مناكبها﴾ جوانبها ﴿وإليه النشور﴾ إليه يبعث الخلق.
- ﴿١٦﴾ أأمنتم من في السماء؟ قدرته وسلطانه وعرشه ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ تغور بكم ﴿فإذا هي تمور﴾ تتحرك بكم وترتفع فوقكم. وقوله:
- ﴿١٧﴾ فستعلمون؟ أي: عند مُعَايَنَةِ الْعَذَابِ ﴿كيف نذير﴾ أي: إنذاري بالعذاب.
- ﴿١٨﴾ ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير؟ إنكاري إذ أهلكتهم.
- ﴿١٩﴾ أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات؟ باسقاط أجنحتها ﴿ويقبضن﴾ يضربن بها جنوبهن ﴿ما يمسكهن﴾ في حال القبض والبسط ﴿إلا الرحمن﴾ بقدرته.
- ﴿٢٠﴾ أم من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن؟ يدفع عنكم عذابه.
- ﴿٢١﴾ بل لجأوا؟ تمادوا ﴿في عتو﴾ عصيان وضلال ﴿ونفور﴾ تباعد عن الحق.
- ﴿٢٢﴾ أفمن يمشي مكبا على وجهه؟ أي: الكافر يُحْشَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وهو يمشي على وجهه. يقال: كبئت فلانا على وجهه فأكبت هو. يقول: هذا ﴿أهدى أم من يمشي سويا﴾ مستويا مستقيما ﴿على صراط مستقيم﴾ وهو المؤمن.

قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ ﴿خلقكم﴾ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون ﴿أي: لا تشكرون خالقكم وخالق هذه الأعضاء لكم إذ أشركتم به غيره.﴾

﴿٢٤﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ ﴿خلقكم﴾ في الأرض وإليه تحشرون ﴿أي: ويقولون متى هذا الوعد﴾ أي: وعد الحشر.

﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ ﴿بوقوعه ومجيئه﴾ عند الله وإنما أنا نذير ﴿مُخَوِّفٌ﴾ مُبِينٌ ﴿أُبَيِّنُ لَكُمْ الشَّرِيعَةَ.﴾

﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ ﴿الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ﴾ زُلْفَةً ﴿قَرِيباً﴾ سَيِّتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿تَبَيَّنَ فِي وُجُوهِهِمُ الشُّوْءُ، وَعَلَتْهَا الْكَأَبَةُ﴾ وَقِيلَ هَذَا ﴿الْعَذَابُ﴾ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿تَفْتَعِلُونَ مِنَ الدُّعَاءِ، أَيْ: تَدْعُونَ اللَّهَ بِهِ إِذْ تَقُولُونَ:﴾ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ... ﴿١﴾ الْآيَةَ.

﴿٢٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ ﴿فَعَذَّبَنِي﴾ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمْنَا ﴿غَفَرَ لَنَا﴾ فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿يَعْنِي: نَحْنُ مَعَ إِيمَانِنَا خَائِفُونَ نَخَافُ عَذَابَ اللَّهِ وَنَرْجُو رَحْمَتَهُ، فَمَنْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ وَأَنْتُمْ كَافِرُونَ؟﴾

﴿٣٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا ﴿غَائِراً ذَاهِباً فِي الْأَرْضِ﴾ فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿ظَاهِرٌ تَنَالَهُ الْأَيْدِي وَالذَّلَّاءُ.﴾

سُورَةُ الْقَلَمِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَاتَانِ بِلاَ خِلاَفٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ن ﴿أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْحَوْتِ الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ الْأَرْضُ﴾ ^(٢). ﴿وَالْقَلَمِ﴾ يَعْنِي: الْقَلَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، فَجَرَى بِالْكَائِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أَيُّ: وَمَا تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿٢﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴿بِإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ بِالثَّبُوءِ﴾ ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ أَيُّ: إِنَّكَ لَا تَكُونُ مَجْنُونًا وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ بِالثَّبُوءِ، وَهَذَا جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ ^(٣).

﴿٣﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿غَيْرِ مَقْطُوعٍ وَلَا مَنْقُوصٍ﴾.

(١) زيادة من ظا.

(٢) ورد هذا في حديث ابن عباس قال: أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ الْقَلَمَ، فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ، ثُمَّ رَفَعَ بَخَارَ الْمَاءِ فَخَلَقَتْ مِنْهُ السَّمَوَاتِ، ثُمَّ خَلَقَ النَّوْنَ فَبَسَطَتْ الْأَرْضَ عَلَى ظَهْرِ النَّوْنِ، فَتَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ فَمَادَتْ، فَأَثْبَتَ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّ الْجِبَالَ لَتَفْخَرُ عَلَى الْأَرْضِ. قال: وقرأ: ﴿ن، وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾. أخرجه ابن جرير ١٤/٢٩. وهذا ممَّا لَا يَصِحُّ. والأصح في تفسيرها أَنَّ ﴿ن﴾ مِنَ الْحُرُوفِ الْمَقْطُوعَةِ.

(٣) سورة الحجر: الآية ٦.

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمَكْذِبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بَنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَا كَاسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾

﴿٤﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ أي: أنت على الخُلُقِ الذي أمرك الله به في القرآن.

﴿٥﴾ فَسَتُبْصِرُ ﴿٥﴾ يا محمد ﴿٥﴾ ويُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ أي: المشركون الذين رموه بالجنون.

﴿٦﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ الفتنة، أَيْك أم بهم.

﴿٨﴾ فَلَا تَطْعُ الْمَكْذِبِينَ ﴿٨﴾ فيما دعوك إليه من دينهم.

﴿٩﴾ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ تلين فيلينون لك.

﴿١٠﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ ﴿١٠﴾ كثير الحلف بالباطل، أي: الوليد بن المغيرة ﴿١٠﴾ مهين ﴿١٠﴾ حقير.

﴿١١﴾ هَمَّازٍ عِيَّابٍ ﴿١١﴾ مَّشَاءٍ بَنَمِيمٍ ﴿١١﴾ سَاعٍ بَيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ.

﴿١٢﴾ مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ ﴿١٢﴾ بخيلٍ بالمال عن الحقوق ﴿١٢﴾ مُعْتَدٍ ﴿١٢﴾ مجاوزٍ في الظلم ﴿١٢﴾ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ آثم.

﴿١٣﴾ عَتَلٌ ﴿١٣﴾ جافٌ غليظٌ ﴿١٣﴾ بَعْدَ ذَلِكَ ﴿١٣﴾ مع ما ذكرنا من أوصافه ﴿١٣﴾ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ مُلْحَقٍ بِقَوْمِهِ وليس منهم.

﴿١٤﴾ أَنْ كَانَ ﴿١٤﴾ لَأَنَّ كَانَ ﴿١٤﴾ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ يُكَذِّبُ بِالْقُرْآنِ. وهو قوله:

﴿١٥﴾ إِذَا تَتَلَّىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَا كَاسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ والمعنى: أَيْجَعَلُ مُجَازَاةَ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْمَالِ وَالْبَنِينَ الْكَفَرِ بِآيَاتِنَا؟

﴿١٦﴾ سَنَسْمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ ﴿١٦﴾ سنجعل على أنفه علامةً باقيةً ما عاش، نخطم أنفه بالسَّيف يوم بدر.

إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْتُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصِيرِ ﴿٢٠﴾ فَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْضِبُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدُوا عَلَىٰ حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

﴿١٧﴾ ﴿إنا بلوناهم﴾ امتحنا أهل مكة بالقحط والجوع ﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾ كما امتحنا أصحاب البستان بإحراقها وذهاب قوتهم منها، وكانوا قوماً بناحية اليمن، وكان لهم أبٌ وله جنةٌ كان يتصدق فيها على المساكين، فلما مات قال بنوه: نحن جماعة، وإن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، فحلفوا ليقطعن ثمرها بسدفةٍ من الليل كيلا يشعر المساكين فيأتوهم، وهو قوله: ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾.

﴿١٨﴾ ﴿ولا يستنون﴾ ولا يقولون إن شاء الله.

﴿١٩﴾ ﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾ أي: أنزل الله عليها ناراً أحرقتها.

﴿٢٠﴾ ﴿فأصبحت كالصريم﴾ كالليل المظلم سوداء.

﴿٢١﴾ ﴿فنادوا مصبحين﴾ نادى بعضهم بعضاً لئلا أصبحوا ليخرجوا إلى الصّرام، وهو قوله:

﴿٢٢﴾ ﴿أن اغدوا على حركم إن كنتم صارمين﴾ قاطعين الثمر.

﴿٢٣﴾ ﴿فانطلقوا﴾ ذهبوا إليها ﴿وهم يتخافتون﴾ يتسارون الكلام بينهم.

﴿٢٤﴾ ب ﴿ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿وغدوا على حرد﴾ قصد وجد ﴿قادرين﴾ عند أنفسهم على ثمر الجنة.

﴿٢٦﴾ ﴿فلما رأوها﴾ سوداء محترقة ﴿قالوا إِنَّا لضالون﴾ مخطئون طريقنا، وليست هذه جنتنا، ثم علموا أنها عقوبة من الله تعالى فقالوا:

﴿٢٧﴾ ﴿بل نحن محرومون﴾ حرّمنا ثمر جنتنا بمنعنا المساكين.

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامِئُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ ﴿٤٠﴾ عَهْدٌ وَمَوَاقِيقٌ ﴿٤١﴾ عَلَيْنَا بِالْغَةِ ﴿٤٢﴾ مُحْكَمَةٌ لَا يَنْقُطِعُ عَهْدُهَا ﴿٤٣﴾ إِلَى يَوْمِ

﴿٢٨﴾ قال أوسطهم ﴿أعدلهم وأفضلهم﴾: ﴿ألم أقول لكم لولا تسبحون﴾ هلاً تستنون، ومعنى التَّسْبِيحِ ها هنا الاستثناء بأن شاء الله؛ لأنه تعظيم لله، وكلُّ تعظيم لله فهو تسبيحٌ له.

﴿٢٩﴾ قالوا سبحان ربنا ﴿نزهوه عن أن يكون ظالماً، وأقروا على أنفسهم بالظلم فقالوا﴾: ﴿إنا كنا ظالمين﴾.

﴿٣٠﴾ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴿يلوم بعضهم بعضاً بما فعلوا من الهرب من المساكين ومنع حقهم﴾.

﴿٣١﴾ قالوا يا ويلتنا إنا كنا طاغين ﴿بمنع حقَّ الفقراء وترك الاستثناء﴾.

﴿٣٢﴾ عسى ربنا أن يُبدِّلنا خيراً منها ﴿من هذه الجنَّة﴾ ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾.

﴿٣٣﴾ كذلك العذاب ﴿كما فعلنا بهم نفعل بمن خالف أمرنا، ثمَّ بيَّن ما عند الله للمؤمنين فقال تعالى﴾:

﴿٣٤﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿فلما نزلت قال بعض قريش: إن كان ما تذكرون حقاً فإنَّ لنا في الآخرة أكثر ممَّا لكم، فتزل﴾:

﴿٣٥﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ. ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾.

﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ ﴿نزل من عند الله﴾ ﴿فيه﴾ ما تقولون ﴿تدرسون﴾ تُقْرُونَ ما فيه.

﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ ﴿في ذلك الكتاب﴾ ﴿لما تخيرون﴾ تختارون.

﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ ﴿عهدٌ ومواقيق﴾ ﴿علينا بالغَةِ﴾ مُحْكَمَةٌ لَا يَنْقُطِعُ عَهْدُهَا ﴿إلى يوم

الْقِيَمَةَ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ هُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

القيامة إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ تقضون. وكسرت «إِنَّ» في الآيتين لمكان اللام في جوابها، وحقها الفتح لو لم تكن اللام.

﴿٤٠﴾ ف ﴿سَلِّمُوا﴾ يا محمد ﴿إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الذي يقولون من أَنَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ حَقًّا ﴿زَعِيمٌ﴾ كَفِيلٌ لَهُمْ.

﴿٤١﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ آلِهَةٌ تَكْفُلُ لَهُمْ بِمَا يَقُولُونَ ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ لتكفل لهم ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ فيما يقولون.

﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴿عَنْ شِدَّةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ وهو يوم القيامة. قال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه: أَشَدُّ سَاعَةٍ فِي الْقِيَامَةِ ^(١)، فَصَارَ كَشَفُ السَّاقِ عِبَارَةً عَنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أَيُّ: الْكَافِرُونَ وَالْمُنَافِقُونَ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ يَصِيرُ ظُهُرُهُمْ طَبَقًا وَاحِدًا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ.

﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ ذَلِيلَةً لَا يَرْفَعُونَهَا ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تَغْشَاهُمْ ﴿ذِلَّةٌ﴾ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿فَيَأْبُونَ وَلَا يَسْجُدُونَ لِلَّهِ﴾.

﴿٤٤﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴿دَعْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ أَيُّ: كُلُّهُمْ إِلَيَّ وَلَا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِهِمْ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَهُمْ. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: نَأْخُذُهُمْ قَلِيلًا قَلِيلًا وَلَا نَبَاغْتَهُمْ.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٤٩٩/٢ وصححه ووافقه الذهبي. وفي البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسَمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظُهُرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا. أخرجه البخاري في التفسير ٦٦٤/٨؛ ومسلم في الإيمان برقم ١٨٣؛ وأحمد ١٦/٣.

وَأْمَلِي لَهُمْ إِنَّ كِبْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكُ نِعْمَتُهُ مِنْ رَبِّهِ لُنِذْرٌ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٥﴾ «وَأْمَلِي لَهُمْ» أُمَهْلَهُمْ كِي يَزِدَادُوا تَمَادِيًا فِي الشَّرْكِ ﴿إِنَّ كِبْدِي مَتِينٌ﴾ شَدِيدٌ لَا يَطَاقُ .

﴿٤٦﴾ «أَمْ تَسْأَلُهُمْ» بَلْ أَسْأَلُهُمْ عَلَى مَا آتَيْتَهُمْ بِهِ مِنَ الرِّسَالَةِ ﴿أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ مِمَّا يَعْطُونَكَ ﴿مُثْقَلُونَ﴾ .

﴿٤٧﴾ «أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ» عِلْمُ مَا فِي غَدٍ ﴿فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يَحْكُمُونَ . وَقَوْلُهُ :

﴿٤٨﴾ «وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ» كَيُونَسَ فِي الضُّجُرِ وَالْعَجَلَةِ ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دَعَا رَبَّهُ ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مَمْلُوءٌ غَمًّا .

﴿٤٩﴾ «لَوْلَا أَنْ تَدَارِكُهُ» أَدْرَكَهُ «نِعْمَةٌ» رَحْمَةٌ ﴿مِنْ رَبِّهِ لَنِذْرٌ﴾ لَطَرَحَ حِينَ أَلْقَاهُ الْحُوتَ ﴿بِالْعُرَاءِ﴾ بِالْأَرْضِ الْفُضَاءِ الْوَاسِعَةِ؛ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ وَالْإِنْسَانِ وَالْأَشْجَارِ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ مُجْرَمٌ ^(١) .

﴿٥٠﴾ «فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ» فَاخْتَارَهُ ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بِأَنْ رَحِمَهُ وَتَابَ عَلَيْهِ .

﴿٥١﴾ «وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ» أَيُّ: إِنَّهُمْ لَشَدَّةُ إِبْغَاضِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ لَكَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظْرًا شَدِيدًا يَكَادُ يَصْرَعُكَ وَيَسْقُطُكَ عَنْ مَكَانِكَ ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ .

﴿٥٢﴾ «وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ» عِظَةٌ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ .



سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ أَيُّ: الْقِيَامَةُ؛ لِأَنَّهَا حَقَّتْ فَلَا كَاذِبَةَ لَهَا.

﴿٢﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ اسْتَفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّعْظِيمُ لَشَأْنِهَا، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ مَا هُوَ؟

﴿٣﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٤﴾ أَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ مَا ذَلِكَ الْيَوْمُ؟ ثُمَّ ذَكَرَ أَمْرَ مَنْ كَذَّبَ بِالْقِيَامَةِ، فَقَالَ:

﴿٤﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٥﴾ بِالْقِيَامَةِ الَّتِي تَقْرَعُ الْقُلُوبَ.

﴿٥﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٦﴾ أَيُّ: بِالصَّيْحَةِ الطَّاغِيَةِ، وَهِيَ الَّتِي جَاوَزَتْ الْمَقْدَارَ.

﴿٦﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٧﴾ عَتَتْ عَلَى خَزَائِنِهَا فَلَمْ تُطْعَمِهِمْ.

(١) زيادة من ظا.

وهي في المصحف ٥٢ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ١١٥/٣: وَأَيُّهَا إِحْدَى وَخَمْسُونَ آيَةً فِي الْبَصْرِيِّ وَالشَّامِيِّ، وَاثْنَتَان فِي عَدَدِ الْبَاقِينَ.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ
 خَاوِيَةٌ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا
 رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْبَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِبَهَا
 أُذُنٌ وَعَيْنٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ﴿١٣﴾ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا ذَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ استعملها عليهم كما شاء. وقوله: ﴿حُسُومًا﴾ أي: دائمة مُتَابَعَةٌ، والمعنى: تحسّمهم حُسُومًا، أي: تذهبهم وتفتنيهم ﴿فترى القوم﴾ [أي: أهل القرى] ^(١) ﴿فيها﴾ أي: في تلك الأيام ﴿صرعى﴾ جمع صريع ﴿كانهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطة.

﴿٨﴾ فهل ترى لهم من باقية﴾ أي: هل ترى منهم باقياً.

﴿٩﴾ وجاء فرعون ومن قبله﴾ أي: تَبَّاعه. ومن قرأ: ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ ^(٢) فمعناه: مَنْ تَقَدَّمه من الأمم ﴿والمؤتفكات﴾ أي: أهل قرى قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ العظيم، وهو الكفر.

﴿١٠﴾ فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ زائدة تزيد على الأخذات.

﴿١١﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ جَاوَزَ حَدَّهُ. يعني: أَيَّام الطُّوفَانِ ﴿حملناكم﴾ أي: حملنا آبَاءكم ﴿في الجارية﴾ وهي السَّفِينَةُ.

﴿١٢﴾ لِنَجْعَلَهَا لِنَجْعَلَ تلك الفعل التي فعلنا من إغراق قوم نوح وإنجاء مَنْ معه ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ تذكرونها فتتَعَطَّونَ بها ﴿وتعياها أذن واعية﴾ لتحفظها كُلُّ أُذُنٍ تحفظ ما سمعت.

﴿١٣﴾ فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾ أي: النَّفْخَةُ الأولى لقيام الساعة.

﴿١٤﴾ وَحَمَلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّنَا﴾ كُسِرْنَا ﴿ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾ فصارت هباءً منبثاً.

(١) زيادة من ظا.

(٢) وهي قراءة: نافع، وابن كثير وابن عامر، وحزمة، وأبو جعفر، وخلف.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِنْيَةً ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءِ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ إِشْمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَأَرْوَتَ كِنْيَةً ﴿٢٥﴾ وَلَوْ أَدْرِمَا حَسْبَاءِ ﴿٢٦﴾ يَلَيْتَنِي كَانتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

﴿١٥﴾ فيومئذٍ وقعت الواقعة ﴿قامت القيامة﴾.

﴿١٦﴾ وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية ﴿أي: مُتَشَقِّقَةٌ﴾.

﴿١٧﴾ والمملك ﴿يعني: الملائكة﴾ على أرجائها ﴿نواحيها﴾ ويحمل عرش ربك فوقهم ﴿فوق الملائكة﴾ يومئذٍ ثمانية ﴿أملك﴾.

﴿١٨﴾ يومئذٍ تعرضون ﴿على ربكم﴾ لا تخفى منكم خافية ﴿كقوله: ﴿لا يخفى على الله منهم شيء﴾﴾^(١).

﴿١٩﴾ فأما مَنْ أُوتِيَ كتابه بيمينه فيقول هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كتابه ﴿خذوا فاقروا كتابي، وذلك لما يرى فيه من الحسنات﴾.

﴿٢٠﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءِ ﴿أي: أيقنت أنني أحاسب﴾.

﴿٢١﴾ فهو في عيشة راضية ﴿ذات رضى، أي: يرضى بها صاحبها﴾.

﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿ثمارها قريبة من مريدها على أي حال كان﴾. يقال لهم:

﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ ﴿قَدَّمْتُمْ لآخرتكم من الأعمال الصالحة﴾ ﴿في الأيام الخالية﴾ الماضية في الدنيا. وقوله:

﴿٢٤﴾ يَا لَيْتَنِي كَانتِ الْقَاضِيَةَ ﴿يقول: ليت الموتة التي مُتَّها لم أَحْيَ بعدها﴾.

مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خَذُوهُ فَعْلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّكُمْ كَانُوا لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غَسَلِينِ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّكُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

﴿٢٩﴾ هلك عني سلطانيه ﴿ذهب عني حجتى﴾ وزال عني ملكي وقوتي، فيقول الله
لخزنة جهنم:

﴿٣٠﴾ خذوه فَعْلُوهُ ﴿ثم الجحيم صَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

﴿٣٢﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿أَيُّ: أدخلوه في تلك السلسلة،
فتدخل في دبره وتخرج من فيه، وهي سلسلة لو جُمع حديد الدنيا ما وزن حلقةً
منها.

﴿٣٤﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿لا يأمر بالصدقة على الفقراء.

﴿٣٥﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿قريبٌ ينفعه.

﴿٣٦﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسَلِينَ ﴿وهو صديد أهل النار.

﴿٣٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿وهم الكافرون.

﴿٣٨﴾ فَلَا أَقْسِمُ ﴿لا﴾ زائدة ﴿بما تبصرون﴾ ما ترون من المخلوقات.

﴿٣٩﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿ما لا ترون منها.

﴿٤٠﴾ إِنَّهُ ﴿إِنَّ القرآن ﴿لقول﴾ لتلاوة ﴿رسول كريم﴾ على الله. يعني: محمداً صلوات
الله عليه.

﴿٤١﴾ ﴿وما هو بقول شاعر﴾ أَيُّ: ليس هو شاعراً ﴿قليلًا ما تؤمنون﴾ ﴿ما﴾ لغوٌ
مؤكد.

وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَنَذِكُرُهُ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٢﴾ «ولا يقول كاهن» وهو الذي يُخبر عن المُغَيَّيات من جهة التَّجُوم كذباً وباطلاً، ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ مَا يَتْلُوهُ تَنْزِيلٌ مِّنَ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ:

﴿٤٣﴾ «تنزيل من رب العالمين».

﴿٤٤﴾ «ولو تقول علينا بعض الأقاويل» يعني: النَّبِيُّ ﷺ لو قَالَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، وَأَتَى بِشَيْءٍ مِّن قِبَلِ نَفْسِهِ. «لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ» ﴿٤٥﴾ «مِنْ» صَلَءٌ، وَالْمَعْنَى: لَأَخَذْنَاهُ بِالْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ.

﴿٤٦﴾ «ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ» وهو نياط القلب، أَي: لَأَهْلَكْنَاهُ.

﴿٤٧﴾ «فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» أَي: لَمْ يَحْجِزْنَا عَنْهُ أَحَدٌ مِنْكُمْ.

﴿٤٨﴾ «وَإِنَّهُ» أَي: الْقُرْآنُ «لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ» يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا رَأَوْا ثَوَابَ مُتَابِعِيهِ.

﴿٤٩﴾ «وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ» أَي: وَإِنَّهُ الْيَقِينُ حَقُّ الْيَقِينِ.

﴿٥٢﴾ «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» نَزَّهَهُ عَنِ الشُّوءِ.

سُورَةُ الْمَعَارِجِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ وَثَلَاثَ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ سَأَلَ سَائِلٌ ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

﴿٢﴾ لِلْكَافِرِينَ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ، وَهُوَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ ^(٢) الْآيَةِ. ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ لَيْسَ لَذَلِكَ الْعَذَابِ الَّذِي يَقَعُ بِهِمْ دَافِعٌ.

﴿٣﴾ مِنْ اللَّهِ ﴿أَيُّ: ذَلِكَ الْعَذَابِ يَقَعُ بِهِمْ مِنْ اللَّهِ ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ ذِي السَّمَوَاتِ.

﴿٤﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴿يَعْنِي: جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِلَيْهِ﴾ إِلَىٰ مَحَلِّ قُرْبَتِهِ

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ٤٤ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ١١٩/٣: وأيها أربعون وثلاث آيات في الشامي، وأربع في عدد الباقيين.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢. أخرج الحاكم في المستدرک ٥٠٢/٢؛ عن سعيد بن جبیر في: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ قَالَ: هُوَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كُلْدَةَ قَالَ: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حَجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾. وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يَخْرُجَاهُ، وَأَقْرَأَهُ الذَّهَبِيُّ. وَأَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ ٤٦٣/٢ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ.

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتَهُ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾

وكرامته، وهو السَّمَاءُ ﴿في يوم﴾ ﴿في﴾ صلة «واقع»، أي: عذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴿وهو يوم القيامة﴾.

﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ وهذا قبل أن أمر بالقتال.

﴿إنهم﴾ يعني: المشركين ﴿يرون ذلك اليوم﴾ ﴿بعيداً﴾ مُحالاً لا يكون.

﴿ونراه قريباً﴾ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ثم ذكر متى يكون ذلك اليوم فقال:

﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ كدردي الزيت. وقيل: كالقار^(١) المذاب، وقد مرَّ هذا.

﴿وتكون الجبال﴾: [الجواهر. وقيل: الذهب والفضة والنحاس]^(٢) ﴿كالعهن﴾ كالصوف المصبوغ.

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ لا يسأل قريب عن قريبٍ لاشتغاله بما هو فيه.

﴿يبصرونهم﴾ يُعرَف بعضهم بعضاً، أي: إنَّ الحميم يرى حميمه ويعرفه، ولا يسأل عن شأنه. ﴿يودُّ المجرم﴾ يتمنى الكافر ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذٍ بنيه﴾.

﴿وصاحبه﴾ وزوجته ﴿وأخيه﴾.

﴿وفصيلته﴾ عشيرته التي فصلَ منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمُّه إليها في النسب.

(١) في ظ: كالفلز.

(٢) ما بين [] ساقط من ع، وقد أبعد المفسر في هذه الأقوال، والأولى الجبال على حقيقتها.

وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمٍ أَلَيْنَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ
غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ
مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْغَىٰ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

﴿١٤﴾ «وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ» ذلك الافتداء .
﴿١٥﴾ «كَلَّا» ليس الأمر كذلك ، لا ينجيه شيءٌ . ﴿إِنهَا لَأُظْلَىٰ﴾ وهي من أسماء جهنم .
﴿١٦﴾ «نَزَاعَةً لِّلشَّوَىٰ» يعني : جلود الرأس تقشرها عنه .
﴿١٧﴾ «تَدْعُوا» الكافر باسمه والمنافق ، فتقول : إِلَيَّ إِلَيَّ يَا ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الإيمان
«وتولى» أعرض .
﴿١٨﴾ «وَجَمَعَ» المال ﴿فَأَوْعَىٰ﴾ فأمسكه في وعائه ، ولم يُؤدِّ حقَّ الله منه .
﴿١٩﴾ «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا» وتفسير الهلوع ما ذكره في قوله :
﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ يجزع من الشرِّ ولا يستمسك .
﴿٢١﴾ «وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ إذا أصاب المال منع حقَّ الله .
﴿٢٢﴾ «إِلَّا الْمُصَلِّينَ» أي : المؤمنين .
﴿٢٣﴾ «الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ» لا يلتفتون في الصَّلَاةِ عن سمت القبلة .
﴿٢٣﴾ «وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ» يقيمونها ولا يكتُمونها .
﴿٣٦﴾ «فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا» ما بالهم «قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ» يُدِيمُونَ النَّظَرَ إِلَيْكَ ، ويتطَلَّعون
نحوك .

عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّنا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أَقْسَمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٧﴾ عن اليمين وعن الشمال ﴿عزِينَ﴾ عن جوانبك ﴿عزِينَ﴾ جماعاتٍ حلقاً حلقاً، وذلك أنهم كانوا يجتمعون عنده، ويستهزئون به وبأصحابه، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة فلندخلنها قبلهم. قال الله تعالى:

﴿٣٨﴾ «أطمع كلُّ امرئٍ منهم أن يدخل جنة نعيمٍ * كلا» لا يدخلونها. ﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾ من ترابٍ ومن نطفةٍ، فلا يستوجب أحدُ الجنة بشرفه وماله؛ لأنَّ الخلق كلُّهم من أصلٍ واحدٍ، بل يستوجبونها بالطاعة.

﴿٤٠﴾ «فلا أقسم» «لا» صلة. يعني: أقسم. وقوله:

﴿٤١﴾ «وما نحن بمسبوقين» أي: بمغلوبين، نظيره قد تقدّم في سورة الواقعة.

﴿٤٢﴾ «فذرهم يخوضوا» في باطلهم «ويلعبوا» في دنياهم «حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون» نسختها آية القتال.

﴿٤٣﴾ «يوم يخرجون من الأجداث» القبور «سراعاً كأنهم إلى نصبٍ» إلى شيء منصوبٍ من علمٍ أو رايةٍ «يوفضون» يُسرعون.

﴿٤٤﴾ «خاشعة أبصارهم» ذليلة خاضعة لا يرفعونها لذلتهم «ترهقهم ذلة» يغشاهم هوان «ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون». يعني: يوم القيامة.

سُورَةُ نُوحٍ

[مَكِّيَّةٌ ، وهي عشرون وثماني آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ۖ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ﴾ أَيُّ: بِأَنْ خَوْفَهُمْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿من قبل أن يأتيهم عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

﴿٢﴾ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ . ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾ .

﴿٣﴾ ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ ﴿مِنْ﴾ صَلَوةٌ ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ﴾ عَنْ الْعَذَابِ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو أَجَلُ الْمَوْتِ ، فَتَمُوتُوا غَيْرَ مَيِّتَةٍ مَنْ يَهْلِكُ بِالْعَذَابِ ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ إِذَا جَاءَ الْأَجَلُ فِي الْمَوْتِ لَا يُؤَخَّرُ ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ :

﴿٤﴾ ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ .

(١) زيادة من ظا ، وهي توافق ما في المصحف .

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا
 اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا
 رَبَّكُمْ إِنَّكُمْ كَانَتْ غَفَارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ
 وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِكَ ﴿لَتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ مَا قَدْ سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ
 ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئَلَّا يَسْمَعُوا صَوْتِي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ غَطُّوا بِهَا
 وَجُوهَهُمْ مَبَالِغَةً فِي الْإِعْرَاضِ عَنِّي كَيْلَا يَرُونِي ﴿وَأَصْرُوا﴾ أَقَامُوا عَلَى كُفْرِهِمْ
 ﴿وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عَنِ اتِّبَاعِي ﴿اسْتِكْبَارًا﴾ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ
 الْأَرْذَلُونَ﴾ ^(١).

﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿أَظْهَرْتُ لَهُمُ الدَّعْوَةَ﴾.

﴿٩﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿أَيُّ: خَلَطْتُ دَعَاءَهُمُ الْعِلَانِيَّةَ بِدَعَاءِ
 السِّرِّ﴾.

﴿١٠﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ غَفَّارٌ ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْنٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا
 كَذَّبُوهُ حَبَسَ اللَّهُ عَنْهُمْ الْمَطَرَ وَأَعْقَمَ نِسَاءَهُمْ، فَهَلَكْتَ أَمْوَالُهُمْ وَمَوَاشِيَهُمْ، فَوَعَدَهُمْ
 نُوحٌ إِنْ آمَنُوا أَنْ يَرِدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ، فَقَالَ: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كَثِيرَةً
 الدَّرِّ، أَيُّ: كَثِيرَةً الْمَطَرَ، ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِيْنٍ﴾: يَعْطُكُمْ زِينَةَ الدُّنْيَا، وَهِيَ
 الْمَالُ وَالْبَنُونَ.

﴿١٣﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿لَا تَخَافُونَ لِلَّهِ عِظَمًا﴾.

﴿١٤﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿حَالًا بَعْدَ حَالٍ. نَظْفَةً، ثُمَّ عِلْقَةً، ثُمَّ مَضْغَةً، إِلَى تَمَامِ
 الْخَلْقِ﴾.

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ
بَسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمَ عَصَوْنِي وَأَتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ
إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكْرُؤًا مَّكْرًا كَبِيرًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا
يَعُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

﴿١٥﴾ ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً ﴿١٥﴾ بعضها فوق بعض .
﴿١٦﴾ وجعل القمر فيهن نورا ﴿١٦﴾ في إحداهن ﴿١٦﴾ وجعل الشمس سراجاً ﴿١٦﴾ تضيء
لأهل الأرض .
﴿١٧﴾ والله أنبتكم من الأرض نباتاً ﴿١٧﴾ جعلكم تنبتون من الأرض نباتاً، وذلك أنه خلق
آدم من الأرض وأولاده [أحياء] منه .
﴿١٨﴾ ثم يعيدكم فيها ﴿١٨﴾ أمواتاً ﴿١٨﴾ ويخرجكم ﴿١٨﴾ منها إخراجاً . وقوله :
﴿٢٠﴾ سبلاً فجاجاً ﴿٢٠﴾ أي : طرقاً بيّنة . وقوله :
﴿٢١﴾ واتبعوا من لم يزد ماله وولده إلا خساراً ﴿٢١﴾ أي : اتبعوا أشرافهم الذين لا يزيدون
بإععام الله تعالى عليهم بالمال والولد إلا طغياناً وكفراً .
﴿٢٢﴾ ومكروا مكراً كبيراً ﴿٢٢﴾ أفسدوا في الأرض فساداً عظيماً بالكفر وتكذيب الرُّسل .
﴿٢٣﴾ وقالوا ﴿٢٣﴾ لسفلتهم : ﴿٢٣﴾ لا تذر آلِهتكم ولا تذر ودّاً ولا سواعاً ولا يعوق ويعوق
ونسراً ﴿٢٣﴾ وهي أسماء أوثانهم .
﴿٢٤﴾ وقد أضلوا كثيراً ﴿٢٤﴾ أي : ضلّ كثير من النَّاس بسببها، كقوله : ﴿إنهن أضللن كثيراً
من النَّاس﴾ ^(١) . ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلّالاً﴾ دعاء من نوح عليهم بأن
يزيدهم الله ضلّالاً، وذلك أن الله تعالى أخبره أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد
آمن، فلما آيس نوح من إيمانهم دعا عليهم بالضلال والهلاك . قال الله تعالى :

مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿٢٥﴾ ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ﴾ ﴿ما﴾ صلة، أي: مِنْ خَطِيئَتِهِمْ التي ارتكبوها ﴿أغرقوا﴾ بالطوفان ﴿فأدخلوا نارا﴾ بعد الغرق، أي: أدخلوا جهنم ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا﴾ لم يجدوا مَنْ يمنعهم من عذاب الله.

﴿٢٦﴾ ﴿وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ أي: نازل دار، أي: أحداً.

﴿٢٧﴾ ﴿إنك إن تذرهم﴾ فلا تهلكهم ﴿يضلوا عبادك﴾ بدعوتهم إلى الضلال ﴿ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا﴾ إلا مَنْ يفجر ويكفر، وذلك أن الله أخبره أنهم لا يلدون مؤمناً.

﴿٢٨﴾ ﴿رب اغفر لي ولوالدي﴾ وكانا مؤمنين ﴿ولمن دخل بيتي﴾ مسجدي ﴿مؤمناً للمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة ﴿ولا تزد الظالمين إلا تبارا﴾ هلاكاً ودماراً.

سُورَةُ الْجَنِّ

[مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ عَشْرُونَ وَثَمَانُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن تُضِلَّكَ رَبِّنَا مِنَّا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِينُنَا عَلَىٰ اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَيُّ: أَخْبَرْتُ بِالْوَحْيِ مِنْ اللَّهِ إِلَيَّ ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ﴾ وذلك أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ بَعَثَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ لِيَسْتَمِعُوا قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي الصُّبْحَ بِيْطْنِ نَخْلَةٍ، وَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْأَحْقَافِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا...﴾ ^(٢) الْآيَةِ. فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قِرْآنًا عَجَبًا﴾ فِي فَصَاحَتِهِ وَبَيَانِهِ وَصَدَقَ إِخْبَارُهُ.

﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا أَيُّ: جَلَالُهُ وَعَظَمَتُهُ عَنْ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا أَوْ صَاحِبَةً.

﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِينُنَا ﴿جَاهِلُنَا﴾ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غَلَوْنَا فِي الْكَذْبِ حَتَّى يَصِفَهُ بِالْوَلْدِ وَالصَّاحِبَةِ.

﴿٤﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَيُّ: كُنَّا نَظْنُفُهُمْ صَادِقِينَ فِي

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) الآية ٢٩.

وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا ﴿٨﴾ وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمِيعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَا ﴿١١﴾

أَنَّ اللَّهَ صَاحِبَةٌ وَوَلَدًا حَتَّى سَمِعْنَا الْقُرْآنَ، وَكُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا لَا يَكْذِبُ عَلَى اللَّهِ. انْقَطَعَ هُنَا قَوْلُ الْجِنِّ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَانَ إِذَا سَافَرَ فَأَمْسَى فِي الْأَرْضِ الْقَفْرِ قَالَ ^(١): أَعُوذُ بِسَيِّدِ هَذَا الْوَادِي مِنْ شَرِّ سَفَهَاءِ قَوْمِهِ، أَيِ: الْجِنِّ. يَقُولُ اللَّهُ: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أَيِ: فَزَادُوهُمْ بِهَذَا التَّعَوُّذِ طَغْيَانًا، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا: سُدْنَا الْجِنِّ وَالْإِنْسَ.

﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ يَقُولُ: ظَنَّ الْجِنُّ كَمَا ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْإِنْسُ أَن لَا بَعَثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَالَتِ الْجِنُّ:

﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ أَيِ: رُمْنَا اسْتِرَاقَ السَّمْعِ فِيهَا ﴿فَوَجَدْنَاهَا مِثْلَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿وَشُهَبًا﴾ مِنَ النُّجُومِ. يَرِيدُونَ: حُرُسَتْ بِالنُّجُومِ مِنْ اسْتِمَاعِنَا.

﴿وَأَنَا كُنَّا﴾ قَبْلَ ذَلِكَ ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَّصَدًا﴾ أَيِ: كَوَاكِبَ حِفْظَةً تَمْنَعُ مِنَ الْاسْتِمَاعِ.

﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدُ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ بِحُدُوثِ رَجْمِ الْكَوَاكِبِ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ أَيِ: خَيْرًا.

﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بَعْدَ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، أَيِ: بَرَّةٌ أَتَقِيَاءُ ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ دُونَ الْبَرَّةِ ﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدَا﴾ أَيِ: أَصْنَافًا مُّخْتَلِفِينَ.

(١) وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، كما أخرجه ابن جرير ١٠٨/٢٩.

وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نَعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ ؕ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ ؕ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ ؕ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَالْوُاسِقُونَ أَلْوَ طَرِيقَةٍ ؕ لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾

﴿١٢﴾ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نَعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ ﴿علمنا أن لا نفوته إن أراد بنا أمراً﴾ ولن نعجزه هرباً ﴿إن طلبنا. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أي: نقصاً ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ أي: ظلماً، والمعنى: لا نخاف أن ينقص من حسناته، ولا أن يزداد في سيئاته.

﴿١٤﴾ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَ الْقَاسِطِينَ ﴿الجائرون عن الحق﴾ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا طريق الحق. قال الله تعالى:

﴿١٦﴾ ﴿وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ لو آمنوا جميعاً، أي: الخلق كلهم أجمعون الجن والإنس ﴿لَأَسْقِينَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ لو سَّعْنَا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا، وضرب المثل بالماء لأنَّ الخير كُلُّهُ والرِّزْقُ بالمطر، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا...﴾ ^(١) الآية.

﴿١٧﴾ ﴿لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فنرى كيف شكرهم ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ﴾ يدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً.

﴿١٨﴾ ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: المواضع التي يُصَلَّى فيها. وقيل: الأعضاء التي يسجد عليها. وقيل: يعني: إِنَّ السَّجْدَاتِ لِلَّهِ، جمع مسجد بمعنى السُّجُود ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ أمرٌ بالتَّوْحِيدِ لله تعالى في الصَّلَاةِ.

(١) وتتمتها: ﴿لِفَتْحِنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الأعراف: الآية ٩٦].

وَأَنْتُمْ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْئَلُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

﴿١٩﴾ وأنه لما قام عبد الله يدعوه ﴿٢٠﴾ أي: النبي ﷺ لما قام ببطن نخلة يدعو الله ﴿كادوا يكونون عليه﴾ كاد الجنُّ يتركبون ويزدحمون حرصاً على ما يسمعون، وورغبة فيه. وقوله:

﴿٢٢﴾ ولن أجد من دونه ملتحداً ﴿٢١﴾ أي: ملجأً.

﴿٢٣﴾ إلا بلاغاً من الله ورسالاته ﴿٢٤﴾ لكن أبلغ عن الله ما أرسلت به، ولا أملك الكفر والإيمان، وهو قوله: ﴿٢٥﴾ لا أملك لكم ضرراً ولا رشداً. وقوله:

﴿٢٤﴾ حتى إذا رآوا ﴿٢٥﴾ أي: الكفار ﴿ما يوعدون﴾ من العذاب والنار ﴿فيسعلمون﴾ حيثئذٍ ﴿من أضعف ناصراً﴾ أنا أو هم ﴿وأقل عدداً﴾.

﴿٢٥﴾ قل إن أدري ﴿٢٦﴾ ما أدري ﴿أقرب ما توعدون﴾ من العذاب ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ أجلاً وغايةً.

﴿٢٦﴾ عالم الغيب ﴿٢٧﴾ أي: هو عالم الغيب ﴿فلا يظهر﴾ فلا يُطلع على ما غيَّبه عن العباد ﴿أحداً﴾.

﴿٢٧﴾ إلا من ارتضى ﴿اصطفى﴾ من رسول ﴿فإنه يُطلعه على ما يشاء من الغيب معجزةً له﴾ فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ﴿أي: يجعل من جميع جوانبه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشياطين، فتلقيه إلى الكهنة، فيساوون الأنبياء﴾.

لِيَعْلَمَ أَنَّ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

﴿ليعلم﴾ الله ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ أي: ليبلغوا رسالات ربهم، فإذا بلغوا علم الله ذلك، فصار كقوله: ﴿ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾^(١) أي: ولمّا يجاهدوا. ﴿وأحاط بما لديهم﴾ علم الله ما عندهم ﴿وأحصى كلّ شيء عددا﴾ أي: علم عدد كلّ شيء فلم يخف عليه شيء.

• • •

سُورَةُ الْمَزْمَلِ

[مَكِّيَّةٌ وَهِيَ ثَمَانُ عَشَرَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿١﴾ قُرْ أَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ﴿أي: الْمُتَلَفَّفُ بِشَابِهِ. نَزَلَ هَذَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُتَلَفَّفٌ بِقَطِيفَةٍ.﴾

﴿٢﴾ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿أي: صَلِّ [كُلَّ] ^(٢) اللَّيْلِ إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا تَنَامُ فِيهِ، وَهُوَ الثُّلُثُ، ثُمَّ قَالَ:

﴿٣﴾ نِصْفَهُ ﴿أي: قُمْ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ﴾ مِنْ النِّصْفِ ﴿قَلِيلًا﴾ إِلَى الثُّلُثِ.

﴿٤﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ ﴿عَلَى النِّصْفِ إِلَى الثُّلُثَيْنِ، جَعَلَ لَهُ سَعَةً فِي مَدَّةِ قِيَامِهِ فِي اللَّيْلِ، فَكَانَتْهُ قَالَ: قُمْ ثُلُثِي اللَّيْلِ أَوْ نِصْفَهُ أَوْ ثُلُثَهُ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ أَخَذَ الْمُسْلِمُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْقِيَامِ عَلَى هَذِهِ الْمَقَادِيرِ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يُمْكِنَهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا هَذِهِ الْمَقَادِيرَ، وَكَانُوا يَقُومُونَ اللَّيْلَ كُلَّهُ حَتَّى انْتَفَخَتْ أَقْدَامُهُمْ، ثُمَّ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(١) زيادة من ظا.

وهي في المصحف عشرون آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٣١: وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ آيَةً فِي الْمَدَنِيِّ الْأَخِيرِ، وَتِسْعَ عَشْرَةَ فِي الْمَكِّيِّ وَالْبَصْرِيِّ، وَعَشْرُونَ عِنْدَ الْبَاقِينَ.

(٢) زيادة من ظا.

وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْكَ وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

بآخر هذه السورة، وهو قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ...﴾ الآية، ثم نسخ قيام الليل بالصَّلوات الخمس، وكان هذا في صدر الإسلام^(١). وقوله: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ أي: بيّنه تبيناً بعضه على إثر بعض في تَوَدَةٍ.

﴿قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ رصيناً رزيناً، ليس بالسفساف والخفيف؛ لأنّه كلام الله.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ ساعاته ﴿هي أشد وطأ﴾ أثقل على المُصلِّين من ساعات النَّهار، وَمَنْ قرأ: «وطاء»^(٢) فمعناه: أشدُّ موافقةً بين القلب والسمع والبصر واللِّسان؛ لأنَّ اللَّيْل تَهْدأ فيه الأصوات، وتنقطع الحركات، ولا تحول دون تسمُّعه وتفهُمه شيءٌ. ﴿وأقوم قِيلاً﴾ وأصوب قراءةً.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ أي: تصرفاً في حوائجك إقبالاً وإدباراً، وهذا حتُّ على القيام بالليل لقراءة القرآن.

﴿واذكر اسم ربك﴾ بالتَّعظيم والتَّزْيِيز ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ وانقطع إليه في العبادة. . وقوله:

﴿فاتخذهُ وَكِيلًا﴾ أي: قيِّماً بأمورك مُفَوَّضاً إليه.

﴿وأصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلًا﴾ وهو أن لا تتعرَّض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم، وهذه الآية نسختها آية القتال^(٣).

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٩١ عن ابن عباس، وعائشة، وابن جرير ١٢٥/٢٩.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر. إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٦.

(٣) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٩٢ عن قتادة، وابن جرير ١٣٤/٢٩؛ وذكره مكي القيسي عنه أيضاً في الإيضاح ص ٤٤٤.

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي إِلِيلٍ وَنِصْفَهُ

﴿١١﴾ وذرنني والمكذبين لا تهتم لشأنهم فإنني أكفيكم، يعني: رؤساء المشركين، كقوله: ﴿وذرنني ومن يكذب بهذا الحديث﴾^(١) وقد مر. ﴿أولي النعمة﴾ ذوي التَّعْمِ والتَّرفه ﴿ومهلهم قليلاً﴾ يعني: إلى مدة آجالهم.

﴿١٢﴾ ﴿إنَّ لدينا﴾ يعني: في الآخرة ﴿أنكالاً﴾ قيوداً ﴿وجحيماً﴾ ناراً عظيمة.

﴿١٣﴾ ﴿وطعاماً ذا غُصَّةٍ﴾ يغصُّ في الحلق ولا يسوغ، وهو الغسلين والضريع والزقوم.

﴿١٤﴾ ﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾ تضطرب وتحرك ﴿وكانت الجبال كتيباً مهيلاً﴾ رملاً سائلاً.

﴿١٥﴾ ﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً﴾ محمداً ﷺ ﴿شاهداً عليكم﴾ يشهد عليكم يوم القيامة بما فعلتم. وقوله:

﴿١٦﴾ ﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾ ثقيلاً غليظاً.

﴿١٧﴾ ﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾ أي: فكيف تتحصنون من عذاب يوم يشيب الطفل لهوله وشدته إن كفرتم اليوم في الدنيا.

﴿١٨﴾ ﴿السماء منفطر به﴾ متشقِّق في ذلك اليوم.

﴿١٩﴾ ﴿إنَّ هذه﴾ الآيات ﴿تذكرة﴾ تذكيرٌ للخلق ﴿فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه سبيلاً﴾ بالطاعة والإيمان.

﴿٢٠﴾ ﴿إنَّ ربك يعلم أنك تقوم﴾ للصلاة والقراءة ﴿أدنى﴾ أقلَّ ﴿من ثلثي الليل ونصفه

وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن تحصوه فتاب عليكم فاقروا ما تيسر من القرآن إن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يكملون في سبيل الله فاقروا ما تيسر منه وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً واستغفروا الله إن الله غفور رحيم ﴿١﴾

وثلثه ﴿أي﴾: وتقوم نصفه وثلثه ﴿وطائفة من الذين معك﴾، والله يقدر الليل والنهار ﴿فيعلم مقادير أوقاتها﴾ ﴿علم أن لن تحصوه﴾ لن تطيقوا قيام الليل ﴿فتاب عليكم﴾ رجع لكم إلى التخفيف ﴿فاقروا ما تيسر من القرآن﴾ رخص لهم أن يقوموا، فيقروا ما أمكن وخفَّ بغير مقدار معلوم من القراءة والمدة. ﴿علم أن سيكون منكم مرضى﴾ فيثقل عليهم قيام الليل، وكذلك المسافرون للتجارة والجهاد، وهو قوله: ﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾ يريد: أنه خفف قيام الليل لما علم من ثقله على هؤلاء ﴿فاقروا ما تيسر منه﴾ قال المفسرون: وكان هذا في صدر الإسلام، ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقوله: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾ مما خلّفتكم وتركتم. ﴿واستغفروا الله إن الله غفور﴾ [لذنوب المؤمنين ﴿رحيم﴾ بهم] (١).

• • •

سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿أي: المتدثر﴾ ^(٢) في ثوبه.

﴿٢﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴿النَّاسَ.

﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿فَصْفَهُ بِالْتَّعْظِيمِ.

﴿٤﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿لَا تَلْبَسْهَا عَلَى مَعْصِيَةٍ وَلَا عَلَى غَدْرٍ؛ فَإِنَّ الْغَادِرَ وَالْفَاجِرَ يُسَمَّى دَنَسَ الثِّيَابِ.

﴿٥﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿أي: الأوثان فاهجر [عبادتها] ^(٣)، وكذلك كُلَّ مَا يُؤْدِي إِلَى الْعَذَابِ.

(١) زيادة من ظا، وهي في المصحف ٥٦ آية.

قال البقاعي في مصادد النظر ١٣٤/٣: وَأَيُّهَا خَمْسُونَ وَخَمْسَ آيَاتٍ فِي الْمَدْنِيِّ الْآخِرِ وَالْمَكِّيِّ وَالشَّامِيِّ، وَسُجِّدَ فِي عَدَدِ الْبَاقِينَ.

(٢) ما بين [] ليس في الأصل ع.

(٣) زيادة من ظ و ظا.

وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى
الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأَرْهَقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ
فَكَرَّ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾

﴿٦﴾ ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ لا تُعْطِ شيئاً لتأخذَ أكثر منه، وهذا خاصّة للنبي ﷺ لأنه
مأمورٌ بأجلّ الأخلاق، وأشرفِ الآداب.

﴿٧﴾ ﴿ولربك فاصبر﴾ اصبر لله على أوامره ونواهيه وما يمتحنك به حتى يكون هو
الذي يُثَبِّتُكَ عليها.

﴿٨﴾ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ نفخ في الصُّور. الآية. وقوله:

﴿١١﴾ ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أي: لا تهتمّ لشأنه فإني أكفيك أمره، أي: الوليد بن
المغيرة، يقول: خلقته وحيداً لا ولد له ولا مال.

﴿١٢﴾ ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ دائماً لا ينقطع عنه من الزُّرع والضَّرْع والتَّجارة.

﴿١٣﴾ ﴿وبنين شهوداً﴾ حضوراً معه بمكّة، وكانوا عشرة.

﴿١٤﴾ ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ بسطت له في العيش والمال بسطاً.

﴿١٥﴾ ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ يرجو أن أزيده مالاً وولداً.

﴿١٦﴾ ﴿كلا﴾ قطع لرجائه ﴿إنَّه كان لِآيَاتِنَا عَنِيداً﴾ للقرآنِ معانداً غير مطيعٍ.

﴿١٧﴾ ﴿سأرهقه صعوداً﴾ سأغشيه مشقّة من العذاب.

﴿١٨﴾ ﴿إنَّه فكر وقدر﴾ وذلك أنَّ قريشاً سألته ما تقول في محمّد؟ فتفكّر في نفسه وقدر
القول في محمّد عليه السّلام والقرآن ماذا يمكنه أن يقول فيهما.

﴿١٩﴾ ﴿فقتل﴾ لُعِنَ وعُذِّبَ ﴿كيف قدر﴾؟ استفهامٌ على طريق التّعجب.

﴿٢١﴾ ﴿ثم نظر﴾. ﴿ثم عبس وبسر﴾ كَلَحَ وجهه.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا
أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ ﴿٢٨﴾ لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرِ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا
مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا
يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ

﴿٢٣﴾ ثُمَّ أدبر واستكبر ﴿عن الإيمان﴾.

﴿٢٤﴾ فقال إن هذا ﴿ما هذا الذي يقرؤه محمد﴾ ﴿إلا سحرٌ يؤثر﴾ يروى عن السحرة.

﴿٢٥﴾ إن هذا ﴿إلا قول البشر﴾ كما قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾^(١). قال الله تعالى:

﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ سأدخله جهنم، ثم أعلم عظم شأن سقر من العذاب، فقال:

﴿وما أدراك ما سقر﴾ ما أعلمك أي شيء سقر!

﴿لَوْاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ محرقة للجلد حتى تسوده.

﴿٣٠﴾ عليها تسعة عشر ﴿من الخزنة، الواحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر، فلما نزلت هذه الآية قال بعض المشركين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، فاكفوني اثنين، فأنزل الله﴾^(٢):

﴿٣١﴾ ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾ لا رجالاً، فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ عددهم في القلة ﴿إلا فتنة للذين كفروا﴾ لأنهم قالوا: ما أعوان محمد إلا تسعة عشر ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ليعلموا أن ما أتى به النبي ﷺ موافق لما في كتبهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ لأنهم يصدقون بما أتى به الرسول عليه السلام، وبعدد خزنة النار ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أي: لا يشكون في أن عددهم على ما أخبر به محمد عليه السلام

(١) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٢) القائل هو أبو الأشدين الجمحي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور

وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكَبِيرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَحْوُزَ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وليقول الذين في قلوبهم مرض﴾ شك ﴿والكافرون﴾: ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟ أي شيء أراد الله بهذا العدد وتخصيصه؟ ﴿كذلك﴾ كما أضلهم الله بتكذيبهم ﴿يضل﴾ الله مَن يشاء ويهدي مَن يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴿هذا جواب لقولهم: ما أعوانه إلا تسعة عشر﴾ وما هي؟ أي: النار ﴿إلا ذكرى للبشر﴾ أي: إنها تُذكرهم في الدنيا النار في الآخرة.

﴿٣٢﴾ ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما ذكروا من التَّكْذِيبِ له ﴿والقمر﴾ قسمٌ.

﴿٣٣﴾ ﴿والليل إذا أدبر﴾ جاء بعد النَّهَارِ.

﴿٣٤﴾ ﴿والصبح إذا أسفر﴾ أضاء.

﴿٣٥﴾ ﴿إنها لإحدى الكبر﴾ إنَّ سقر لإحدى الأمور العظام.

﴿٣٦﴾ ﴿نذيراً﴾ إنذاراً ﴿للبشر﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿لمن شاء منكم أن يتقدم﴾ فيما أُمِرَ به ﴿أو يتأخر﴾ عنه، فقد أُنذرتُم.

﴿٣٨﴾ ﴿كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينة﴾ مأخوذةً بعملها.

﴿٣٩﴾ ﴿إلا أصحاب اليمين﴾ يعني: أهل الجنة فهم لا يُرْتَهَنُونَ بذنوبهم، ولكنَّ الله

يغفرها لهم. وقيل: أصحاب اليمين ها هنا أطفال المسلمين. وقوله:

﴿٤٢﴾ ﴿ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ أي: ما أدخلكم جهنم؟

﴿٤٥﴾ ﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ ندخل الباطل مع مَن دخله.

وَكَا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَنَّا الْيَقِينَ ﴿٤٧﴾ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ
مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَزَتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا
مُنْشَرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا
يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ ﴿٥٦﴾

﴿٤٦﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿﴾ بيوم الجزاء .

﴿٤٧﴾ حتى أتانا اليقين ﴿﴾ الموت .

﴿٤٨﴾ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴿﴾ ما لهم يُعرضون عن تذكيرك إياهم .

﴿٥٠﴾ كأنهم حمر مستنفرة ﴿﴾ نافرة مذعورة .

﴿٥١﴾ فزّت من قسورة ﴿﴾ أي : الأسد . وقيل : الرّماة الصيّادون .

﴿٥٢﴾ بل يريد كلّ امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة ﴿﴾ وذلك أنهم قالوا : إن سرّك أن
نُتبعك فأت كل واحد منا بكتابٍ من ربّ العالمين نُؤمر فيه باتّباعك ، كما قالوا :
﴿لن نُؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...﴾ ^(١) الآية .

﴿٥٣﴾ كلاً ﴿﴾ ردّ لما قالوا ﴿بل لا يخافون الآخرة﴾ حيث يقترحون أن يؤتوا صحفاً
منشرة .

﴿٥٤﴾ كلاً إنه تذكرة ﴿﴾ إن القرآن تذكيرٌ للخلق ، وليس بسحرٍ .

﴿٥٥﴾ فمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ﴿﴾ .

﴿٥٦﴾ وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى ﴿﴾ أهل أن يُتقى عقابه ﴿﴾ وأهل
المغفرة ﴿﴾ أهل أن يعمل بما يُؤدّي إلى مغفرته .



سُورَةُ الْقِيَمَةِ

[مكية، وهي أربعون آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَدَرِينْ
عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «لا أقسم» «لا» صلة، معناه: أقسم، وقيل: «لا» ردٌّ لإنكار المشركين البعث، ثم قال: أقسم «بيوم القيامة».

﴿٢﴾ «ولا أقسم بالنفس اللوامة» وهي نفس ابن آدم تلومه يوم القيامة إن كان عمل شراً لم عمله، وإن كان عمل خيراً لامته على ترك الاستكثار منه، وجواب هذا القسم مضمراً على تقدير: إنكم مبعوثون، ودلٌّ عليه ما بعده من الكلام، وهو قوله:

﴿٣﴾ «أيحسب الإنسان» أي: الكافر ﴿أن لن نجتمع عظامه﴾ للبعث والإحياء بعد التفرقة والبللى!

﴿٤﴾ «بلى قادرين» بلى: نقدر على جمعها و ﴿على أن نسوي بنانه﴾ نجعله كخف البعير، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً. وقيل: نسوي بنانه على ما كانت وإن دقت عظامها وصغرت.

﴿٥﴾ «بل يريد الإنسان ليفجر أمامه» يؤخر التوبة ويمضي في معاصي الله تعالى قدماً قدماً، فيقدم الأعمال السيئة. وقيل: معناه ليكفر بما قدّامه، يدلُّ على هذا قوله:

يَسْتَلْ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ
عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرُهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾

﴿٦﴾ يسأل أيان متى ﴿يوم القيامة﴾ تكذيباً به واستبعاداً لوقوعه.

﴿٧﴾ فإذا برق البصر ﴿٧﴾ فزع وتحير.

﴿٨﴾ وخسف القمر ﴿٨﴾ أظلم وذهب ضوؤه.

﴿٩﴾ وجمع الشمس والقمر ﴿٩﴾ أي: جُمعا في ذهاب نورهما.

﴿١٠﴾ يقول الإنسان يومئذ أين المفر ﴿١٠﴾ أي: الفرار؟

﴿١١﴾ كلاً لا مفرّ ذلك اليوم و ﴿١١﴾ لا وزر ﴿١١﴾ ولا ملجأ ولا حرز.

﴿١٢﴾ إلى ربك يومئذ المستقر ﴿١٢﴾ المنتهى والمصير.

﴿١٣﴾ ينبأ الإنسان ﴿١٣﴾ يُخبر ﴿١٣﴾ بما قَدَّمَ وأخَّر ﴿١٣﴾ بأوّل عمله وآخره.

﴿١٤﴾ بل الإنسان على نفسه بصيرة ﴿١٤﴾ أي: شاهدٌ عليها بعملها، يشهد عليه جوارحه،
وأدخلت الهاء في البصيرة للمبالغة. وقيل: لأنّه أراد بالإنسان الجوارح.

﴿١٥﴾ ولو ألقى معاذيره ﴿١٥﴾ ولو اعتذر وجادل فعليه من نفسه من يُكذّب عذره. وقيل:
معناه: ولو أرحى السُّتور وأغلق الأبواب، والمَعذار: السُّتر بلغة اليمن.

﴿١٦﴾ لا تحرك به ﴿١٦﴾ بالوحي ﴿١٦﴾ لسانك لتعجل به ﴿١٦﴾ كان جبريل عليه السّلام إذا نزل
بالقرآن تلاه النبي ﷺ قبل فراغ جبريل كراهية أن ينفلت منه ^(١)، فأعلم الله تعالى
أنّه لا يُنسيه إيّاه، وأنّه يجمعه في قلبه، فقال:

(١) سأل سعيد بن جبير موسى بن أبي عائشة عن قوله تعالى: ﴿لا تحرك به لسانك﴾، قال: قال ابن عباس: كان يحرك شفّيته إذا أنزل عليه، فقيل له: لا تحرك به لسانك — يخشى أن ينفلت منه — ﴿إنّ علينا جمعه﴾ في صدرك ﴿وقرّأه﴾ أن تقرأه، ﴿فإذا قرأناه﴾ يقول: أنزل عليه =

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَاللَّفَتِ الْسَاقُ بِالْسَاقِ ﴿٢٩﴾

﴿١٧﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿قراءته عليك حتى تعيه﴾.

﴿١٨﴾ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿أي: لا تعجل بالتلاوة إلى أن يقرأ عليك﴾.

﴿١٩﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿أي: علينا أن ننزله قرآنًا فيه بيانٌ للنَّاسِ﴾.

﴿٢٠﴾ كَلَّا ﴿زجرٌ وتنبيهٌ﴾. ﴿بل تحبون العاجلة﴾.

﴿٢١﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿أي: تختارون الدُّنيا على العقبى﴾.

﴿٢٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴿يوم القيامة﴾ نَّاصِرَةٌ ﴿مُضِيَّةٌ حَسَنَةٌ﴾.

﴿٢٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَظَرَةٌ ﴿تنظر إلى خالقها عياناً﴾.

﴿٢٤﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿كالحةٌ﴾.

﴿٢٥﴾ تَظُنُّ ﴿أن يفعل بها فاقرةٌ﴾ دَاهِيَةٌ عَظِيمَةٌ ﴿من العذاب﴾.

﴿٢٦﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿يعني: النَّفْسُ﴾. بَلَغَتْ عِظَامَ الْحَلْقِ.

﴿٢٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿قال مَنْ حضر ذلك الذي قارب الموت: هل من طبيبٍ يداويه، وراقٍ يرقيه فيشفى برقيته؟﴾

﴿٢٨﴾ وَظَنَّ ﴿أيقن الذي نزل به الموت﴾ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿من الدُّنيا والأهل والمال﴾.

﴿٢٩﴾ وَاللَّفَتِ السَّاقُ بِالْسَاقِ ﴿التَّفَّتْ سَاقَاهُ لَشِدَّةِ التَّزْعِ﴾. وَقِيلَ: تَتَابَعَتْ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ.

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمِطُّ ﴿٣٣﴾
 أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّنْ مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾
 ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿٣٠﴾ إلى ربك يومئذ المساق ﴿المتنهي والمرجع بسوق الملائكة الروح إلى حيث أمر الله سبحانه.﴾
 ﴿٣١﴾ ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ يعني: أبا جهل لعنه الله.
 ﴿٣٢﴾ ﴿ولكن كذب وتولى﴾ عن الإيمان.
 ﴿٣٣﴾ ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ يتبختر.
 ﴿٣٤﴾ ﴿أولى لك فأولى﴾. ﴿ثم أولى لك فأولى﴾ هذا تهديد ووعد له، والمعنى: وليك المكروه يا أبا جهل، [أي: لزمك المكروه].
 ﴿٣٥﴾ ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدى﴾ مُهملاً غير مأمور ولا منهي.
 ﴿٣٦﴾ ﴿ألم يك نطفة من مني يمْنَى﴾ يصب في الرحم.
 ﴿٣٧﴾ ﴿ثم كان علقه فخلق فسوى﴾ فخلقه الله فسوى خلقه، حتى صار إنساناً بعد أن كان علقه.
 ﴿٣٨﴾ ﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾ فخلق من الإنسان صنفين الرجل والمرأة.
 ﴿٣٩﴾ ﴿أليس ذلك﴾ الذي فعل هذا ﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾؟ [بلى، وهو على كل شيء قدير] ^(١).

• • •

(١) زيادة من ظا. وعن أبي هريرة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: بلى، وإذا قرأ: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ قال: بلى. أخرجه الحاكم ٥١٠/٢ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

سُورَةُ الْإِنْسَانِ

[مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ
نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا
لِلكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ قَدْ أَتَى عَلَى آدَمَ ﴿حِينَ مِنَ الدَّهْرِ﴾ أَرْبَعُونَ سَنَةً ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ لِأَنَّهُ كَانَ جَسَدًا مُّصَوَّرًا مِنْ طِينٍ ، لَا يُذَكَّرُ وَلَا يُعْرَفُ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ جَمِيعَ النَّاسِ ، لِأَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَكُونُ عَدَمًا إِلَى أَنْ يَصِيرَ شَيْئًا مَّذْكُورًا .

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ يَعْنِي : ابْنُ آدَمَ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أَخْلَاطٌ ، يَعْنِي : مَاءَ الرَّجُلِ وَمَاءَ الْمَرْأَةِ وَاخْتِلَافُ أَلْوَانِهِمَا ﴿نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أَيُّ : خَلَقْنَاهُ كَذَلِكَ لِنَخْتَبِرَهُ بِالتَّكْلِيفِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ .

﴿٣﴾ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ بَيَّنَّا لَهُ الطَّرِيقَ ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ إِنْ شَكَرَ أَوْ كَفَرَ ، يَعْنِي : أَعَدَرْنَا إِلَيْهِ فِي بَيَانِ الطَّرِيقِ بَيْعَتَ الرَّسُولِ آمَنَ أَوْ كَفَرَ .

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ الْمُطِيعِينَ لِرَبِّهِمْ ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ إِنَاءٍ فِيهِ شَرَابٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا

كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْأَنْذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نَنْطَعِمُكَ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

كافورًا ﴿٥﴾ يُمزج لهم بالكافور.

﴿٦﴾ عَيْنًا ﴿٥﴾ من عَيْنٍ ﴿٥﴾ يشرب بها ﴿٥﴾ بتلك العين ﴿٥﴾ عباد الله يفجرونها تفجيرًا ﴿٥﴾ يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم.

﴿٧﴾ يوفون بالأنذر ﴿٧﴾ إذا نذروا في طاعة الله وفوا به ﴿٧﴾ ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيرًا ﴿٧﴾ منتشرًا فاشيًا.

﴿٨﴾ ويطعمون الطعام على حبه ﴿٨﴾ على قلته وحبه ﴿٨﴾ إِيَّاهُ ﴿٨﴾ مسكينًا ﴿٨﴾ فقيرًا ﴿٨﴾ ويتيمًا ﴿٨﴾ لا أب له ﴿٨﴾ وأسيرًا ﴿٨﴾ أي: المملوك والمحبوس في حق من المسلمين، ويقولون لهم:

﴿٩﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ ﴿٩﴾ لطلب ثواب الله ﴿٩﴾ لا نريد منكم ﴿٩﴾ بما نطعمكم ﴿٩﴾ جزاء ﴿٩﴾ مكافأة منكم ﴿٩﴾ ولا شكورًا ﴿٩﴾ شكرًا.

﴿١٠﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا ﴿١٠﴾ كرهه المنظر لشِدَّتِهِ ﴿١٠﴾ قَمَطِيرًا ﴿١٠﴾ صعباً شديداً طويل الشر.

﴿١١﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ ﴿١١﴾ الذي يخافون ﴿١١﴾ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً ﴿١١﴾ [ضياء] في وجوههم ﴿١١﴾ وسرورًا ﴿١١﴾ في قلوبهم.

﴿١٢﴾ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا ﴿١٢﴾ على طاعة الله وعن معصيته ﴿١٢﴾ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾.

﴿١٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ حرًّا ولا برداً، صيفاً ولا شتاءً.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَانِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾
 قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾
 وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
 عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُوعًا أَسَاوِرٌ مِّنْ فِضَّةٍ وَسَقَمَهُمْ رِيْهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا
 كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا
 تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

﴿١٤﴾ ودانية عليهم ظلالها أي: قرية منهم ظلال أشجارها ﴿وذلت قطوفها نذيلًا﴾ أدنيت منهم ثمارها، فهم ينالونها قعوداً كانوا أو قياماً.

﴿١٥﴾ ويطاف عليهم بانية من فضة وأكواب كانت قواريراً أي: لها بياض الفضة وصفاء القوارير وهو قوله:

﴿١٦﴾ قوارير من فضة قدروها تقديراً أي: جعلت الأكواب على قدر ريهم، وهو اللد الشراب.

﴿١٧﴾ ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً والزنجبيل: شيء تستلذه العرب، فوعدهم الله ذلك في الجنة.

﴿١٨﴾ عيناً من عين فيها في الجنة تسمى تلك العين سلسيلاً.

﴿١٩﴾ ويطوف عليهم ولدان أي: غلمان مخلدون لا يشيبون إذا رأيتهم حسبتهم في بياضهم وصفاء ألوانهم لؤلؤاً منثوراً.

﴿٢٠﴾ وإذا رأيت ثم إذا رمت ببصرك في الجنة رأيت نعيماً وملكاً كبيراً وهو أن أدناهم منزلاً ينظر في ملكه في مسيرة ألف عام.

﴿٢١﴾ عاليهم فوقهم ثياب سندس أي: الحرير. وقوله: ﴿شراباً طهوراً﴾ طاهراً من الأقداء والأقذار، ليس بنجس كخمر الدنيا. وقوله:

﴿٢٤﴾ ولا تطع منهم آثماً يعني: عتبة بن ربيعة ﴿أو كفوراً﴾ يعني: الوليد بن المغيرة، وذلك أنهما ضمنا للنبي ﷺ المال والتزويج إن ترك دعوتهم إلى الإسلام.

وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذْرَوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾

﴿٢٧﴾ «إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ» يعني: الدُّنْيَا «وَيَذْرَوْنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا» ويتركون العمل ليومٍ شديدٍ أمامهم، وهو يوم القيامة.

﴿٢٨﴾ «نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ» خلقهم وخلق مفاصلهم.

﴿٢٩﴾ «إِنَّ هَذِهِ السُّورَةُ تَذْكِرَةٌ» تذكيرٌ للخلق «فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا» وسيلةً بالطَّاعة.

﴿٣٠﴾ «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» أي: لستم تشاؤون شيئاً إلاّ بمشيئة الله تعالى؛ لأنَّ الأمر إليه.

﴿٣١﴾ «يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ» جَنَّتُهُ، وهم المؤمنون «وَالظَّالِمِينَ» الكافرين الذين عبدوا غيره «أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا».

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْعَصْفَاتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالنَّشْرِاتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾
عَذْرًا أَوْ نَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٍ ﴿٧﴾ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

- ﴿١﴾ والمرسلات عرفاً: أي: الرياح التي أرسلت مُتتَابِعَةً كَعُرْفِ الْفَرَسِ.
- ﴿٢﴾ فالعاصفات عصفاً: أي: الرياح الشديدة الهبوب.
- ﴿٣﴾ والناشرات نشرًا: الرياح التي تأتي بالمطر.
- ﴿٤﴾ فالفارقات فرقاً: يعني: آي القرآن فَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.
- ﴿٥﴾ فالملقيات ذكراً: أي: الملائكة التي تنزل بالوحي.
- ﴿٦﴾ عذراً أو نذراً: للإعذار والإنذار من الله تعالى.
- ﴿٧﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ: من البعث والثواب والعقاب ﴿لَوَاقِعٍ﴾.
- ﴿٨﴾ فإذا النجوم طُمِسَتْ: مُحِي نُورُهَا.
- ﴿٩﴾ وإذا السماء فُرِجَتْ: شُقَّتْ.

وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرَّسُلُ أُنْتُتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ
بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى
قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

- ﴿١٠﴾ «وإذا الجبال نسفت» قلعت من أماكنها، فأذهبت بسرعة.
- ﴿١١﴾ «وإذا الرسل أقتت» جُمعت لوقت، وهو يوم القيامة.
- ﴿١٢﴾ «لأي يوم أُجِّلَتْ» أُخِّرَتْ وأمهلت.
- ﴿١٣﴾ «ليوم الفصل» القضاء بين الناس.
- ﴿١٤﴾ «وما أدراك ما يوم الفصل» على التعظيم لذلك اليوم. «ويلٌ يومئذٍ للمكذبين».
- ﴿١٥﴾ «ألم نهلك الأولين» من الأمم المكذبة.
- ﴿١٦﴾ «ثم نتبعهم الآخرين» ممن سلكوا سبيلهم في الكفر والتكذيب.
- ﴿١٧﴾ «كذلك» مثل الذي فعلنا بهم «نفعل بالمجرمين» بالمُكذِّبين من قومك.
- ﴿٢٠﴾ «ألم نخلقكم من ماء مهين» أي: النطفة.
- ﴿٢١﴾ «فجعلناه في قرار مكين» أي: الرحم.
- ﴿٢٢﴾ «إلى قدر معلوم» وهو وقت الولادة.
- ﴿٢٣﴾ «فقدَرنا» أي: قَدَرْنَا وقت الولادة «فنعم القادرون» فنعم المُقدِّرون نحن، وقرئت بالتشديد والتخفيف^(١)، لغتان بمعنى واحد.

(١) قرأ «فقدَرنا» بالتشديد: نافع، والكسائي، وأبو جعفر، والباقون بالتخفيف. الإتحاف ص ٤٣٠.

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَاخِصَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَبَلَّ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثُلُثٍ شُعْبٍ ﴿٣٠﴾ لَا
ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُ جُمَلَةٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٥﴾ ألم نجعل الأرض كفاتاً وعاء. وقيل: ذات كفات، أي: ضمّ وجمع تكفّت
الخلق أحياء على ظهرها، وأمواتاً في بطنها.
﴿٢٦﴾ وجعلنا فيها رواسي جبالاً ثوابت ﴿شامخات﴾ مرتفعات. ﴿وأسقيناكم ماءً
فراتاً﴾ عذاباً.
﴿٢٨﴾ وبَلَّ يومئذ للمكذّبين ويُقال لهم ذلك اليوم:
﴿٢٩﴾ انطلقوا اذهبوا. ﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾ في الدنيا.
﴿٣٠﴾ انطلقوا إلى ظل ﴿إلى دُخان جهنّم﴾ ذي ثلاث شعب ﴿إذا ارتفع انشعب ثلاث
شعب، فيقف على رؤوس الكافرين.﴾
﴿٣١﴾ لا ظليل ﴿ولا يغني من اللهب﴾ ولا يدفع من لهب النَّار شيئاً.
﴿٣٢﴾ إنها ترمي بشرر ﴿وهو ما يتطاير من النَّار﴾ كالقصر ﴿من البناء في العظم.﴾
﴿٣٣﴾ كأنه جُمالات ﴿١﴾ جمع جمال ﴿صفر﴾ سود.
﴿٣٥﴾ هذا يوم لا ينطقون.
﴿٣٦﴾ ولا يؤذن لهم فيعتذرون يعني: في بعض ساعات ذلك اليوم يُؤمرون
بالسُّكوت.

(١) وهي قراءة رويس عن يعقوب، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة عن
عاصم، وروح عن يعقوب «جُمالات» بكسر الجيم، وهي جمع جَمَل، وقرأ حفص، وحزمة،
والكسائي، وخلف «جمالة» بالإنفراد. الإتحاف ص ٤٣١.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفُوكَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا وَتَمَنَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٣٨﴾ ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين أهل الجنة والنار ﴿جمعناكم والأولين﴾ .
 ﴿٣٩﴾ ﴿فإن كان لكم كيدٌ فكيّدون﴾ إن كان عندكم حيلةٌ فاحتالوا لأنفسكم .
 ﴿٤٦﴾ ﴿كلوا وتمتعوا﴾ في الدنيا ﴿قليلاً إنكم مجرمون﴾ مشركون .
 ﴿٤٨﴾ ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ صلّوا ﴿لا يركعون﴾ لا يصلّون .
 ﴿٥٠﴾ ﴿فبأيّ حديث بعده﴾ بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان ﴿يؤمنون﴾ إذا لم يؤمنوا به .

سُورَةُ النَّبَاِ

[سورة عمّ يتساءلون، مكيّة، وهي أربعون آية] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ [عَمَّا يَتَسَاءَلُونَ] والمعنى: عن أيّ شيء يتساءلون. يعني: قريشاً، وهذا لفظ استفهامٍ معناه تفخيم القصة، وذلك أنّهم اختلفوا واختصموا فيما أتاهم به الرسول ﷺ فمن مصدّق ومكذّب، ثمّ بيّن فقال:

﴿٢﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ [يعني: البعث] ^(٢).

﴿٣﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ لا يُصَدِّقُونَ بِهِ.

﴿٤﴾ كَلَّا ليس الأمر على ما ذكروا من إنكارهم البعث ﴿٥﴾ سَيَعْلَمُونَ حقيقة وقوعه.

﴿٥﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ تأكيدٌ وتحقيقٌ، ثمّ دلّهم على قدرته على البعث، فقال:

﴿٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا أي: فرشناها لكم حتى سكنتموها.

﴿٨﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ذكوراً وإناثاً.

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) ما بين [] ليس في الأصل.

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا أَيْلًا لِّبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾

﴿٩﴾ وجعلنا نومكم سباتًا ﴿راحة لأبدانكم﴾.

﴿١٠﴾ وجعلنا الليل لباسًا ﴿يلبس كل شيء بسواده﴾.

﴿١١﴾ وجعلنا النهار معاشًا ﴿سببًا للمعاش﴾.

﴿١٢﴾ وبنينا فوقكم سبعاً شداداً ﴿سبع سمواتٍ شدادٍ محكمة﴾.

﴿١٣﴾ وجعلنا سراجاً ﴿أي: الشمس﴾ وهاجاً ﴿وقاداً حاراً﴾.

﴿١٤﴾ وأنزلنا من المعصرات ﴿السحاب﴾ ماءً ثجاجاً ﴿صباباً﴾.

﴿١٥﴾ لنخرج به حباً ﴿مما يأكله الناس﴾ ونباتاً ﴿مما ترعاه النعم﴾.

﴿١٦﴾ وجنات ألفافاً ﴿ملتفةً مجتمعة﴾.

﴿١٧﴾ إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً ﴿لما وعده الله من الجزاء والثواب﴾.

﴿١٨﴾ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً ﴿زُمرّاً وجماعات﴾.

﴿١٩﴾ وفتحت السماء ﴿شُقَّتْ﴾ فكانت أبواباً ﴿حتى يصير فيها أبواب﴾.

﴿٢٠﴾ وسُيِّرَتِ الجبال ﴿عن وجه الأرض﴾ فكانت سراياً ﴿في خفة سيرها﴾.

﴿٢١﴾ إنَّ جهنم كانت مرصاداً ﴿ترصد أهل الكفر، فلا يجاوزونها﴾.

﴿٢٢﴾ للطاغين ﴿للكافرين﴾ مآباً ﴿مرجعاً﴾.

﴿٢٣﴾ لابئين ﴿ماكثين﴾ فيها أحقاباً ﴿جمع حقب، وهو ثمانون سنة، كلُّ سنةٍ ثلاثمائة وستون يوماً. كلُّ يومٍ كالف سنةٍ من أيام الدنيا، فإذا مضى حقبٌ عاد حقبٌ إلى ما لا يتناهى﴾.

يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَلِكَ الْيَوْمَ
الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ
يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾

﴿٣٨﴾ يوم يقوم الروح ﴿الروح﴾ قيل: هو جبريل عليه السَّلام. وقيل: هو ملكٌ يقوم صفًا. وقيل: الروح جنّدٌ من جنود الله ليسوا من الملائكة ولا من النَّاس يقومون ﴿والملائكة صفا﴾ صفوفًا. ﴿لا يتكلمون إلاّ من أذن له الرحمن وقالوا صوابًا﴾ حقاً في الدُّنيا. يعني: لا إله إلاّ الله.

﴿٣٩﴾ ذلك اليوم الحقُّ فمن شاء اتخذ إلىٰ ربه مآبًا ﴿مرجعاً إلىٰ طاعته﴾.

﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا ﴿يعني: يوم القيامة﴾، ﴿يوم ينظر المرء ما قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ ما عمل من خيرٍ وشرٍّ ﴿ويقول الكافر﴾ في ذلك اليوم: ﴿يا ليتني كنت ترابًا﴾ وذلك حين يقول الله تعالى للبهائم والوحوش: كوني ترابًا، فيتمنّى الكافر أن لو كان ترابًا فلا يُعَذَّب.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ أَرْبَعُونَ وَسِتَ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ^(١) وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ^(٢) وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ^(٣) فَالسَّيِّقَاتِ سَبْقًا ^(٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ^(٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ^(٦)

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ والنَّازِعَاتِ ﴿أي: الملائكة التي تنزع أرواح الكفار﴾ غَرْقًا ﴿إغراقًا﴾ كما يُغرق النَّازِعُ في القوس. يعني: المبالغة في النَّزْعِ.

﴿٢﴾ والناشِطَاتِ نَشْطًا ﴿يعني: الملائكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير، أي: يُفتح.

﴿٣﴾ والسَّابِحَاتِ سَبْحًا ﴿أي: التَّجُومُ تسبح في الفلك.

﴿٤﴾ فالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ﴿أرواح المؤمنين تسبق إلى الملائكة شوقًا إلى لقاء الله عزَّ وجلَّ. وقيل: التَّجُومُ يسبق بعضها بعضًا في السَّير.

﴿٥﴾ فالمدبِّراتِ أَمْرًا ﴿يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، يُدبِّرُ أَمْرَ الدُّنْيَا هؤلاء الأربعة من الملائكة، وجواب هذه الأقسام مضمَّرٌ على تقدير: لَتَبْعُنَّ.

﴿٦﴾ يوم تَرْجَفُ الرَّاجِفَةُ ﴿تضطرب الأرض وتتحرك حركةً شديدةً.

تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمِيذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَيْنَا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَيْنَا كُنَّا عِظَمًا نَخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾

﴿٧﴾ تتبعتها الرادفة يعني : نفخة البعث تأتي بعد الزلزلة .

﴿٨﴾ قلوب يومئذ واجفة قلقة زائلة عن أماكنها .

﴿٩﴾ أبصارها خاشعة ذليلة .

﴿١٠﴾ يقولون يعني : منكري البعث : ﴿أينا لمردودون في الحافرة﴾ أي : إلى أول الأمر من الحياة بعد الموت ، وهو قوله :

﴿١١﴾ ﴿إذا كنا عظاماً نخرة﴾ أي : بالية .

﴿١٢﴾ ﴿قالوا تلك إذا كرة خاسرة﴾ رجعة يُخسر فيها ، فأعلم الله تعالى سهولة البعث عليه فقال :

﴿١٣﴾ ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي : صيحة ونفخة .

﴿١٤﴾ ﴿فإذا هم بالساهرة﴾ يعني : وجه الأرض بعد ما كانوا في بطنها .

﴿١٥﴾ ﴿هل أتاك﴾ يا محمد ﴿حديث موسى﴾ .

﴿١٦﴾ ﴿إذ ناداه ربُّه بالوادي المقدس طوى﴾ طوى اسم ذلك الوادي .

﴿١٧﴾ ﴿أذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ جاوز الحد في الكفر .

﴿١٨﴾ ﴿فقل هل لك إلى أن تزكى﴾ أترغب في أن تتطهر من كفرك بالإيمان .

﴿٢٠﴾ ﴿فأراه الآية الكبرى﴾ اليد البيضاء .

﴿٢١﴾ ﴿فكذب وعصى﴾ فرعون موسى ﴿وعصى﴾ أمره .

ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى ﴿٢٦﴾ ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مِمَّا لَكُمْ وَلَا تَعْلَمُونَهُ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

﴿٢٢﴾ ثم أذبر عنه ﴿يسعى﴾ في الأرض يعمل فيها بالفساد.
 ﴿٢٣﴾ فحشر ﴿فجمع السحرة وقومه﴾ فنادى.
 ﴿٢٤﴾ فقال أنا ربكم الأعلى ﴿ليس رب فوقى﴾.
 ﴿٢٥﴾ فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ﴿أي: نكل الله به في الآخرة بالعذاب في النار، وفي الدنيا بالغرق﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿أنتم﴾ أيها المنكرون للبعث ﴿أشدُّ خلقاً أم السماء بناها﴾.
 ﴿٢٨﴾ ﴿رفع سمكها﴾ سقفا ﴿فسوّاها﴾ بلا شقوق ولا فطور.
 ﴿٢٩﴾ ﴿وأغطش﴾ أظلم ﴿ليلها وأخرج ضحاها﴾ أظهر نورها بالشمس.
 ﴿٣٠﴾ ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ بسطها، وكانت مخلوقة غير مدحوة.
 ﴿٣١﴾ ﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب.
 ﴿٣٢﴾ ﴿والجبال أرساها﴾. ﴿متاعاً﴾ منفعة ﴿لكم ولأنعامكم﴾.
 ﴿٣٤﴾ ﴿فإذا جاءت الطامة الكبرى﴾ يعني: صيحة القيامة.
 ﴿٤٢﴾ ﴿يسألونك عن الساعة﴾ يعني: القيامة. ﴿أيان مرساها﴾ متى وقوعها وثبوتها؟ قال الله تعالى:

فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْهِنًا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَانَتْهُمْ يَوْمَ بَرُونَهَا لَمَّا يَلْبَسُوا
إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحًى ﴿٤٦﴾

﴿٤٣﴾ ﴿فيم أنت﴾ يا محمد ﴿من ذكرها﴾ أي: ليس عندك علمها.

﴿٤٤﴾ ﴿إلى ربك متنها﴾ متتهى علمها.

﴿٤٥﴾ ﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ إنما ينفع إنذارك من يخشاها.

﴿٤٦﴾ ﴿كانهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾ في قبورهم ﴿إلا عشيّة أو ضحاها﴾ أي: نهارها.
استقصروا مدّة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول.



سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، وهي أربعون آية]^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذْكُرُ فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَّا مَنْ
أَسْتَفْتَى ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿عَبَسَ﴾ ﴿تَوَلَّى﴾ ﴿أَعْرَضَ﴾. ﴿١﴾

﴿أَنْ﴾ ﴿لَأَنَّ﴾^(٢). ﴿جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وهو عبد الله بن أمّ مكتوم أتى النبي ﷺ وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام، فجعل يُناديه ويكرّر النداء، ولا يدري أنّه مشغول حتى ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ، فعبس وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالى هذه الآيات^(٣).

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾ ﴿لَعَلَّ الْأَعْمَى﴾ ﴿يَزَكَّى﴾ يتطهر من ذنوبه بالإسلام، وذلك أنّه أناه يطلب الإسلام، ويقول له: علّمني ممّا علمك الله.

﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ الموعظة، ثمّ عاتبه عزّ وجلّ فقال:

﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى﴾ أثري من المال.

(١) زيادة من ظا.

(٢) زيادة من عا.

(٣) حديث الأعمى هذا أخرجه مالك في الموطأ ٢٠٣/١ في القرآن عن عائشة؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٢٨ والحاكم في المستدرک ٥١٤/٢ وصححه؛ وابن حبان برقم ١٧٦٩.

فَإِنَّمَا تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَإِنَّمَا عَنْهُ نَلَهَىٰ ﴿١٠﴾
 كَلَّا إِنَّمَا تَذَكِّرُهُ ﴿١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ
 بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾

﴿٦﴾ فَإِنَّمَا لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ تَقَبَّلُ عَلَيْهِ وَتَتَعَرَّضُ لَهُ .

﴿٧﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ﴿٧﴾ أَيُّ شَيْءٍ عَلَيْكَ فِي أَنْ لَا يُسَلِّمَ ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِسْلَامُهُ ،
 إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ .

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ أَي : الْأَعْمَى .

﴿٩﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ اللَّهُ تَعَالَى .

﴿١٠﴾ فَإِنَّمَا عَنْهُ نَلَهَىٰ ﴿١٠﴾ تَتَشَاوَلُ .

﴿١١﴾ كَلَّا ﴿١١﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ ، أَي : لَا تَفْعَلْ مِثْلَ مَا فَعَلْتَ ﴿١١﴾ إِنَّا آيَاتِ الْقُرْآنِ ﴿١١﴾ تَذَكِّرُهُ
 تَذَكِيرٌ لِلْخَلْقِ .

﴿١٢﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ يَعْنِي : الْقُرْآنَ ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِجَلَالَتِهِ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ عِنْدَهُ ،
 [فَقَالَ] :

﴿١٣﴾ فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ .

﴿١٤﴾ مَرْفُوعَةٍ ﴿١٤﴾ رَفِيعَةِ الْقَدْرِ ﴿١٤﴾ مُطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ لَا يَمَسُّهَا إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ .

﴿١٥﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كَتَبَةٍ ، وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ .

﴿١٦﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ جَمْعُ بَارٍ .

﴿١٧﴾ قَتَلَ الْإِنْسَانَ ﴿١٧﴾ لَعْنُ الْكَافِرِ . يَعْنِي : عُتْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ﴿١٧﴾ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ .

﴿١٨﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ اسْتَفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ ، ثُمَّ فُسِّرَ فَقَالَ :

﴿١٩﴾ مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ﴿١٩﴾ أَطْوَاراً مِنْ عِلْقَةٍ وَمُضْغَةٍ إِلَى أَنْ خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ ، وَهُوَ
 قَوْلُهُ :

ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ
إِلَى طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْيْتْنَا فِيهَا بَهْرًا ﴿٢٧﴾ وَعَيْنًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾
وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَيْكِهِمْ وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَتَّعًا لَكُمْ وَلَئَعْلَكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ ﴿٣٣﴾
يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾

﴿٢٠﴾ ثم السبيل يسره ﴿أي: طريق خروجه من بطن أمه﴾.

﴿٢١﴾ ثم أمانته ﴿قبض روحه﴾ فأقبره ﴿جعل له قبراً يُوارى فيه، ولم يجعله ممَّن يُلقى إلى السباع والطيور﴾.

﴿٢٢﴾ ثم إذا شاء أنشره ﴿أحياء بعد موته﴾.

﴿٢٣﴾ كلاً ﴿حقاً﴾ [﴿لما﴾] لم ﴿يقض﴾ هذا الكافر ﴿ما أمره﴾ به ربُّه.

﴿٢٤﴾ فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴿كيف قدره ربُّه ودبره له﴾.

﴿٢٥﴾ أنا صببنا الماء صبًّا ﴿أي: المطر من السحاب﴾.

﴿٢٦﴾ ثم شققنا الأرض شقًّا بالنبات.

﴿٢٧﴾ فأبیتنا فيها حبًّا. ﴿وعنباً وقضباً﴾ وهو الفت الرطب.

﴿٢٩﴾ وحدائق غلباً ﴿بساتين كثيرة الأشجار﴾.

﴿٣١﴾ وفاكهة وأباً ﴿أي: الكلاً الذي ترعاه الماشية﴾.

﴿٣٢﴾ متاعاً ﴿منفعة﴾ لكم ولأنعامكم.

﴿٣٣﴾ فإذا جاءت الصاخة ﴿صيحة القيامة﴾.

﴿٣٤﴾ يوم يفرُّ المرء من أخيه. ﴿وأمه وأبيه﴾.

﴿٣٦﴾ وصاحبه وبنيه ﴿لا يلتفت إلى واحدٍ منهم لشغله بنفسه، وهو قوله:﴾

﴿لكلِّ امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾ يشغله عن شأن غيره.

وَجْهٌ يُؤْمِزُ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوَجْهٌ يُؤْمِزُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرَهَّقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ
الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٢﴾

﴿٣٨﴾ وَجْهٌ يُؤْمِزُ مُسْفِرَةٌ ﴿مُضِيَّةٌ﴾

﴿٣٩﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿فَرِحَةٌ﴾

﴿٤٠﴾ وَوَجْهٌ يُؤْمِزُ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ ﴿غَبَارٌ﴾

﴿٤١﴾ تَرَهَّقُهَا ﴿تَغْشَاهَا﴾ قَتَرَةٌ ﴿ظَلْمَةٌ وَسَوَادٌ﴾

﴿٤٢﴾ أُولَئِكَ ﴿أَهْلُ هَذِهِ الْحَالِ﴾ هُمُ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

[مَكِّيَّةٌ ، وَهِيَ عَشْرُونَ وَثَمَانُ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾
وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿﴾ ذَهَبَ ضَوْؤُهَا .

﴿٢﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ﴿﴾ تَسَاقَطَتْ وَتَنَاقَرَتْ .

﴿٣﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿﴾ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ فَصَارَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا .

﴿٤﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ ﴿﴾ يَعْنِي : الثُّوْقُ الْحَوَامِلُ ﴿عُطِّلَتْ﴾ سُبِّتَتْ وَأُهْمِلَتْ ، تَرَكَهَا أَرْبَابُهَا ،

وَلَمْ يَكُنْ مَالٌ أَعْجَبُ إِلَيْهِمْ مِنْهَا ، لِإِتْيَانِ مَا يَشْغَلُهُمْ عَنْهَا .

﴿٥﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿﴾ جُمِعَتْ لِلْقَصَاصِ .

﴿٦﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿﴾ أَوْقَدَتْ فَصَارَتْ نَارًا [وَيَقَالُ : تَقْذِفُ الْكَوَاكِبَ فِيهَا ثُمَّ

تَضْطَرُّمُ فَتَصِيرُ نَارًا] ^(٢) .

﴿٧﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿﴾ قُرُنَ كُلُّ أَحَدٍ بِمَنْ يَعْمَلُ عَمَلَهُ ، فَأُلْحِقَ الْفَاجِرُ بِالْفَاجِرِ

وَالصَّالِحُ بِالصَّالِحِ . وَقِيلَ : قُرُنَتْ الْأَجْسَادُ بِالْأَرْوَاحِ .

وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا
الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ
الْكُنُوسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي
الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

﴿٨﴾ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ ﴿٨﴾ وهي الجارية تدفن حيَّة. ﴿سُئِلَتْ﴾.

﴿٩﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وسؤالها سؤال توبيخ لوائدها؛ لأنها تقول: قتلت بغير ذنب، وهذا كقوله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾ ﴿١﴾ الآية.

﴿١٠﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ كُتِبَ الْأَعْمَالُ.

﴿١١﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ قُلِعَتْ كَمَا يَكْشِطُ الْغَطَاءَ عَنِ الشَّيْءِ.

﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ أَوْقَدَتْ.

﴿١٣﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ قَرُبَتْ لِأَهْلِهَا حَتَّى يَرَوْهَا.

﴿١٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أحضرت من عمل.

﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ ﴿١٥﴾ «لَا» زائدة. ﴿بِالْخُنُوسِ﴾ وهي النُّجُوم الخمس تخنس، أي: ترجع في مجراها وراءها، وتكنس: تدخل في كناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها، فهي الكُنُوس، جمع كنس.

﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ أَقْبَلَ بِظِلَامِهِ، وَقِيلَ: أَدْبَرَ.

﴿١٨﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ اِمْتَدَّ حَتَّى يَصِيرَ نَهَاراً بَيَّناً.

﴿١٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ أي: القرآن لتزليل جبريل.

﴿٢٠﴾ ذِي قُوَّةٍ ﴿٢٠﴾ من صفة جبريل ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ذي مكانة ومنزلة.

مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾

- ﴿٢١﴾ مطاع ثم ﴿أمين﴾ تطيعه الملائكة في السماء ﴿أمين﴾ على الوحي .
- ﴿٢٢﴾ وما صاحبكم ﴿محمد ﷺ﴾ ﴿بمجنون﴾ كما زعمتم .
- ﴿٢٣﴾ ولقد رآه ﴿رأى جبريل عليه السلام في صورته﴾ ﴿بالأفق المبين﴾ وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق .
- ﴿٢٤﴾ وما هو ﴿يعني محمداً ﷺ﴾ ﴿على الغيب﴾ أي : على الوحي وخبر السماء ﴿بظنين﴾ ^(١) بمتهم ، أي : هو الثقة بما يؤدّيه عن الله تعالى .
- ﴿٢٥﴾ وما هو ﴿يعني : القرآن﴾ ﴿بقول شيطان رجيم﴾ .
- ﴿٢٦﴾ فأين تذهبون ﴿فأي طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي قد بُيِّنَتْ لكم؟﴾
- ﴿٢٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ ﴿ليس القرآن إلا عظة﴾ ﴿للعالمين﴾ .
- ﴿٢٨﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿يتبع الحق ويعمل به ، ثم أعلمهم أنهم لا يقدرُونَ على ذلك إلا بمشيئة الله تعالى﴾ ، فقال :
- ﴿٢٩﴾ وما تشاؤون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

• • •

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[وهي تسع عشر آية بلا خلاف] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾
عِلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ
فَسَوَّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ إذا السماء انفطرت ﴿﴾ انشقت .

﴿٢﴾ وإذا الكواكب انتثرت ﴿﴾ تساقطت .

﴿٣﴾ وإذا البحار فجرت ﴿﴾ فتحت بعضها في بعض فصارت بحراً واحداً .

﴿٤﴾ وإذا القبور بعثرت ﴿﴾ قلب ترابها وبُعث الموتى الذين فيها .

﴿٥﴾ علمت نفسٌ ما قدّمت ﴿﴾ من عملٍ أمرت به ﴿و﴾ ما ﴿أخرت﴾ منه فلم تعمله .

﴿٦﴾ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم ﴿﴾ أي : ما خدعك وسوّل لك الباطل حتى
أضعت ما أوجب عليك .

﴿٧﴾ الذي خلقك فسوّاك ﴿﴾ جعلك مستوي الخلق ﴿فعدلك﴾ قوّمك وجعلك معتدلاً
الخلق والقامة .

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

- ﴿٨﴾ في أي صورة ما شاء ركبك ﴿٩﴾ إمّا طويلاً؛ وإمّا قصيراً؛ وإمّا حسناً؛ وإمّا قبيحاً.
- ﴿٩﴾ كلاً بل تكذبون بالدين ﴿١٠﴾ بالمجازاة بالأعمال.
- ﴿١٠﴾ وإنّ عليكم لحافظين ﴿١١﴾ يحفظون أعمالكم.
- ﴿١١﴾ كراماً ﴿١٢﴾ على الله ﴿١٣﴾ كاتبين ﴿١٤﴾ يكتبون أقوالكم وأعمالكم.
- ﴿١٢﴾ يعلمون ما تفعلون ﴿١٣﴾ لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم.
- ﴿١٣﴾ إنّ الأبرار ﴿١٤﴾ الصّادقين في إيمانهم. ﴿١٥﴾ لفي نعيم.
- ﴿١٤﴾ وإنّ الفجار ﴿١٥﴾ الكفّار. ﴿١٦﴾ لفي جحيم.
- ﴿١٥﴾ يصلونها ﴿١٦﴾ يقاسون حرّها. ﴿١٧﴾ يوم الدين.
- ﴿١٦﴾ وما هم عنها بغائبين ﴿١٧﴾ بمخرجين، ثمّ عظم شأن يوم القيامة، فقال:
- ﴿١٧﴾ وما أدراك ما يوم الدين.
- ﴿١٩﴾ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴿٢٠﴾ لا تملك أن تُنجزها من العذاب، ﴿٢١﴾ والأمر يومئذ لله وحده، لم يملك أحدٌ أمراً في ذلك اليوم كما ملك في الدُّنيا.

سُورَةُ الْمُطَفِّينِ

[وهي ثلاثون وست آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾
أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ وويل للمطففين يعني: الذين يخسون حقوق الناس في الكيل والوزن.

﴿٢﴾ الذين إذا اكتالوا أخذوا بالكيل ﴿على الناس﴾ من الناس ﴿يستوفون﴾ يأخذون حقوقهم تامة وافية.

﴿٣﴾ وإذا كالوهم كالوا لهم ﴿أو وزنوهم﴾ وزنوا لهم ﴿يخسرون﴾ ينقصون.

﴿٤﴾ ألا يظن أولئك ألا يستيقن أولئك الذين يفعلون ذلك ﴿أنهم مبعوثون﴾.

﴿٥﴾ ليوم عظيم يعني: يوم القيامة.

﴿٦﴾ يوم يقوم الناس من قبورهم ﴿لرب العالمين﴾ والمعنى أنهم لو أيقنوا بالبعث ما فعلوا ذلك.

﴿٧﴾ كلاً ردع وزجر، أي: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا ﴿إن كتاب

الْفَجَّارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ الْمُكْدِبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ
يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُنَا قَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ
رَأَوْا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾
ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾

الفجار ﴿٧﴾ الذي فيه أعمالهم مرقوم مكتوب مثبت عليهم في ﴿سجين﴾ في أسفل
سبع أرضين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿٨﴾ وما أدراك ما سجين ﴿٨﴾ أي: ليس ذلك ممّا كنت تعلمه أنت ولا قومك. وقوله:

﴿٩﴾ كتاب مرقوم ﴿٩﴾ فمؤخّر معناه التّقديم؛ لأنّ التّقدير كما ذكرنا: إنّ كتاب الفجار
كتاب مرقوم في سجين. وقوله:

﴿١٤﴾ كلا بل ران على قلوبهم ﴿١٤﴾ أي: غلب عليها حتى غمرها وغشيتها^(١) ﴿١٤﴾ ما كانوا
يكسبون ﴿١٤﴾ من المعاصي، وهو كالصدأ يغشى القلب.

﴿١٥﴾ كلا إنّهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴿١٥﴾ يحجبون عن الله تعالى فلا يرونه.

﴿١٦﴾ ثم إنّهم لصالوا الجحيم ﴿١٦﴾ لداخلو النار.

﴿١٧﴾ ثمّ يقال هذا ﴿١٧﴾ العذاب ﴿١٧﴾ الذي كنتم به تكذبون ﴿١٧﴾ في الدنيا.

﴿١٨﴾ كلا إنّ كتاب الأبرار لفي عليين ﴿١٨﴾ في السّماء السّابعة تحت العرش.

(١) عن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نكتة، فإذا هو
نزع واستغفر وتاب، صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الرّان الذي ذكره
الله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾. أخرجه أحمد ٢/٢٩٧، وأخرجه الترمذي
في التفسير برقم ٣٣٣١ وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه برقم ٤٢٤٤؛ والحاكم في المستدرک
٥١٧/٢ وصححه ووافقه الذهبي.

وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا ﴿١٩﴾ كَتَبَ مَرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي
ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُمْ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ
الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

﴿١٩﴾ وما أدراك ﴿١٩﴾ وما الذي أعلمك يا محمد ﴿٢٠﴾ ما عليون ﴿٢١﴾ كيف هي، وأي شيء صفتها.

﴿٢٠﴾ كتاب مرقوم ﴿٢٠﴾ يعني: كتاب الأبرار كتاب مرقوم.

﴿٢١﴾ يشهده المقربون ﴿٢١﴾ تحضره الملائكة؛ لأنَّ عليين محلُّ الملائكة. وقوله:

﴿٢٣﴾ على الأرائك ينظرون ﴿٢٣﴾ أي: إلى ما أعطاهم الله سبحانه من النعيم والكرامة.

﴿٢٤﴾ تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴿٢٤﴾ أي: غضارته وبريقه.

﴿٢٥﴾ يسقون من رحيق ﴿٢٥﴾ وهو الخمر الصافية. ﴿٢٥﴾ مختوم.

﴿٢٦﴾ ختامه مسك ﴿٢٦﴾ يعني: إذا فني ما في الكأس وانقطع الشراب يختم ذلك الشراب

برائحة المسك. ﴿٢٦﴾ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴿٢٦﴾ فليرغب الرَّاغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ.

﴿٢٧﴾ ومزاجه ﴿٢٧﴾ ومزاج ذلك الشراب ﴿٢٧﴾ من تسنيم ﴿٢٧﴾ وهو عين ماء تجري في جنة عدن، وهي أعلى الجنَّات، ثمَّ فسَّره فقال:

﴿٢٨﴾ عينا يشرب بها المقربون ﴿٢٨﴾ أي: يشربها المقربون.

﴿٢٩﴾ إنَّ الذين أجمروا ﴿٢٩﴾ أشركوا. يعني: أبا جهل وأصحابه ﴿٢٩﴾ كانوا من الذين آمنوا ﴿٢٩﴾ من فقراء المؤمنين ﴿٢٩﴾ يضحكون ﴿٢٩﴾ استهزاء بهم.

﴿٣٠﴾ وإذا مروا بهم يتغامزون ﴿٣٠﴾ يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون إليهم.

وَإِذَا أَنْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ أَنْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

- ﴿٣١﴾ ﴿وَإِذَا أَنْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ﴾ أصحابهم وذوئهم ﴿فَكَهِينَ﴾^(١) مُعْجِبِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ، يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِينَ.
- ﴿٣٢﴾ ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ رَأَوْا الْمُؤْمِنِينَ ﴿قَالُوا: إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾.
- ﴿٣٣﴾ ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ يعني: الْكُفَّارُ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿حَافِظِينَ﴾ لِأَعْمَالِهِمْ مُوَكَّلِينَ بِأَمْوَالِهِمْ.
- ﴿٣٤﴾ ﴿فَالْيَوْمَ﴾ يعني: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ كَمَا ضَحَكُوا مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا.
- ﴿٣٥﴾ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إِلَيْهِمْ كَيْفَ يُعَذِّبُونَ.
- ﴿٣٦﴾ ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أَي: هَلْ جُوزُوا بِسَخَرِيَّتِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا؟

• • •

(١) قرأ «فاكهين» جميع القراء إلا حفصاً وأبا جعفر وابن عامر. الإتحاف ٥٩٧/٢.

سُورَةُ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ

[مكية، وهي عشرون وثلاث آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴿تنشقُّ السَّمَاءُ يوم القيامة﴾.

﴿٢﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا ﴿سمعت أمر ربِّها بالانشقاق﴾ وَحُقَّتْ ﴿وحقُّ لها أن تطيع﴾.

﴿٣﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿من أطرافها فزِيد فيها، كما يمدُّ الأديم﴾.

﴿٤﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا ﴿ما في بطنها من الموتى والكنوز﴾ وَتَخَلَّتْ ﴿وتخلَّت منها﴾.

﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴿عاملٌ لربِّك عملاً﴾ فَمُلَاقِيهِ ﴿فملاقٍ

عملك، والمعنى: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله﴾.

﴿٧﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿فأما من أُوتِيَ كتابه بيمينه﴾.

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ٢٥ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٧١: وأيها عشرون وثلاث في البصري والشامي، وخمسون في عدد الباقيين.

فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾
فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ
رَبَّهُمْ كَانَ بِهِمۡ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾

﴿٨﴾ فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴿٨﴾ وهو العرض على الله عز وجل؛ لأنَّ مَنْ نُوقِشَ الحساب عُدَّب (١).

﴿٩﴾ وينقلب إلى أهله ﴿٩﴾ في الجنة ﴿مسروراً﴾.

﴿١٠﴾ وأمَّا مَنْ أُوتِيَ كتابه وراء ظهره ﴿١٠﴾ وذلك أنَّ يديه غُلَّتَا إلى عنقه، فيُؤْتَى كتابه بشماله من وراء ظهره.

﴿١١﴾ فسوف يدعوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ فينادي بالهلاك على نفسه.

﴿١٢﴾ ويصلى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ ويدخل النار.

﴿١٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي أَهْلِهِ ﴿١٣﴾ في الدُّنْيَا ﴿مسروراً﴾ متابعاً لهواه.

﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ لَنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ لن يرجع إلى ربِّه.

﴿١٥﴾ بَلَىٰ ﴿١٥﴾ أي: ليس الأمر كما ظنَّ، يرجع إلى ربِّه.

﴿١٦﴾ فَلَا أَقْسِمُ ﴿١٦﴾ معناه فأقسم ﴿بالشفق﴾ وهو الحمرة التي تُرَى بعد سقوط الشَّمْسِ. وقيل: يعني: اللَّيْل والنَّهَار.

﴿١٧﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ جمع وحمل، وضمَّ وآوَى من الدَّوَابِّ والحشرات، والهوام والسباع، وكلَّ شيء دخل عليه اللَّيْل.

(١) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدَّب. قالت: قلتُ: قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ قال: ليس ذلك بالحساب، إنّما ذلك العرض، مَنْ نُوقِشَ الحساب يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُدَّب. أخرجه البخاري في التفسير ٦٩٧/٨؛ ومسلم في كتاب الجنة برقم ٢٧٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٥٠٧/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٣٧.

وَالْقَمَرَ إِذَا انْشَقَّ ﴿١٨﴾ لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انْشَقَّ﴾ اجتمع واستوى. ﴿١٨﴾

﴿لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ حالاً بعد حالٍ، من التُّطْفَةِ وإلى العَلَقَةِ، وإلى الهرم والموت حتى يصيروا إلى الله تعالى. وقوله: ﴿١٩﴾

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: يحملون في قلوبهم، ويضمرون. ﴿٢٣﴾

﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. وقوله: ﴿٢٤﴾

﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير منقوص ولا مقطوع. ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ عَشْرُونَ وَاثْنَتَانِ بِلَا خِلَافٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ
الْوُقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿يعني: بروج الكواكب، وهي اثنا عشر برجاً﴾

﴿٢﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿يوم القيامة﴾

﴿٣﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿يعني: يوم عرفة﴾

﴿٤﴾ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ ﴿وهو الشَّقُّ يحفر في الأرض طولاً، وهم قومٌ
كفرةٌ كانوا يعبدون الصنم، وكان قومٌ من المؤمنين بين أظهرهم يكتُمون إيمانهم،
فاطلعوا على ذلك منهم فشَقُّوا أخدوداً في الأرض، وملأوه ناراً وعرضوهم على
النَّارِ، فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها﴾

﴿٥﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ ﴿ذات الالتهاب﴾

﴿٦﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿وذلك أنَّهم قعدوا عند تلك النَّارِ﴾

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَنَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُمْ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

﴿٧﴾ وهم على ما يفعلون بالمؤمنين ﴿شهود﴾ من التعذيب والصد عن الإيمان ﴿شهود﴾ حاضرون. أخبر الله تعالى عن قصة قوم بلغت بصيرتهم في إيمانهم إلى أن صبروا على أن أحرقوا بالنار في الله.

﴿٨﴾ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴿أي﴾: ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمانهم.

﴿١٠﴾ إن الذين فتنوا ﴿أي﴾: أحرقوا ﴿المؤمنين والمؤمنات﴾ ثم لم يتوبوا ﴿لم يرجعوا﴾ عن كفرهم ﴿فلهم عذاب جهنم﴾ بكفرهم ﴿ولهم عذاب الحريق﴾ بما أحرقوا المؤمنين.

﴿١٢﴾ إن بطش ربك ﴿أخذه بالعذاب﴾ لشديد.

﴿١٣﴾ إنه هو يبدى ﴿الخلق﴾، يخلقهم ابتداءً ثم يعيدهم عند البعث.

﴿١٤﴾ وهو الغفور الودود ﴿المحب أولياءه﴾.

﴿١٥﴾ ذو العرش ﴿خالقه ومالكة﴾ المجيد ﴿المستحق لكمال صفات علو والمدح﴾.

﴿١٧﴾ هل أتاك حديث الجنود ﴿خبر الجموع الكافرة﴾، ثم بين من هم فقال:

﴿١٨﴾ فرعون وثمود.

﴿١٩﴾ بل الذين كفروا ﴿من قومك﴾ في تكذيب ﴿كذب لك﴾.

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

﴿٢٠﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿ قدرته شاملةٌ عليهم فلا يعجزه منهم أحدٌ .

﴿٢١﴾ بَلْ هُوَ قرآنٌ مجيدٌ ﴿ كثير الخير ، وليس كما زعم المشركون .

﴿٢٢﴾ فِي لَوْحٍ محفوظٍ ﴿ من أن يبدل ما فيه أو يُغيّر .

• • •

سُورَةُ الطَّارِقِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سِتُّ عَشَرَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ يعني: النُّجُوم كُلُّهَا؛ لِأَنَّ طُلُوعَهَا بِاللَّيْلِ، وَكُلُّ مَا أَتَى لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ، وَقَدْ فَسَّرَ اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

﴿٢﴾ ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ الْمَضِيءُ النَّيِّرُ.

﴿٤﴾ ﴿إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا لَعَلِيهَا، وَ﴿مَا﴾ صَلَةٌ ﴿حَافِظٌ﴾ مِنْ رَبِّهَا يَحْفَظُ عَمَلَهَا.

﴿٥﴾ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّهُ، ثُمَّ بَيَّنَّ فَقَالَ:

﴿٦﴾ ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ مَدْفُوقٍ مُصْبُوبٍ فِي الرَّحْمِ. يَعْنِي: التُّنْفُة.

﴿٧﴾ ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ وَهُوَ مَاءُ الرَّجْلِ ﴿وَالْتَّرَائِبِ﴾ عِظَامُ الصَّدْرِ، وَهُوَ مَاءُ الْمَرْأَةِ.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ ﴿عَلَى رَجْعِهِ﴾ عَلَى بَعْثِ الْإِنْسَانِ وَإِعَادَتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ ﴿لَقَادِرٌ﴾.

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ١٧ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٧٨: وأياها ست عشر في المدني الأول، وسبعة عشر في عدد الباقيين.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضُ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَيَهْلِكُ الْكَافِرِينَ أَهْلَهُمْ رُودًا ﴿١٧﴾

﴿يوم تبلى السرائر﴾ يعني: يوم القيامة، وفي ذلك اليوم تختبر السرائر، وهي الفرائض التي هي سرائر بين العبد وربّه، كالصلاة والصوم وغسل الجنابة، ولو شاء العبد أن يقول: فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه، فهي سرائر عند العبد، وإنما تبين وتظهر صحتها وأمانة العبد فيها يوم القيامة.

﴿فما له﴾ يعني: الإنسان الكافر ﴿من قوة ولا ناصر﴾.

﴿والسما ذات الرجع﴾ أي: المطر.

﴿والأرض ذات الصدع﴾ تشقق عن النبات.

﴿إنه﴾ أي: القرآن ﴿لقول فصل﴾ يفصل بين الحق والباطل.

﴿وما هو بالهزل﴾ أي: باللعب والباطل.

﴿إنهم﴾ يعني: مشركي مكة ﴿يكيدون كيداً﴾ يُظهرون للنبي ﷺ على ما هم على خلافه.

﴿وأكيد كيداً﴾ وهو استدراج الله تعالى إياهم من حيث لا يعلمون ﴿فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً﴾ يقول: أخرهم قليلاً؛ فإني آخذهم بالعذاب، فأخذوا يوم بدر، وذلك أنه كان يدعو الله تعالى عليهم، فقال الله تعالى: ﴿أمهلهم رويداً﴾، أي: قليلاً.

سُورَةُ الْأَعْلَى

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تِسْعُ عَشَرَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ
غُثَاءً أَوْ حَوَى ﴿٥﴾ سُنْقَرٌ ثَكَ فَلَا تَنسَى ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ نَزَّهَ ذَاتُ رَبِّكَ مِنَ السُّوءِ. وقيل: معناه: قل: سبحان ربِّي الأعلى.

﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مُسْتَوِي الْخَلْقِ.

﴿٣﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ قَدَّرَ الْأَرْزَاقَ ثُمَّ هَدَى لَطْلِبُهَا.

﴿٤﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ ﴿٤﴾ مِنَ الْأَرْضِ ﴿الْمَرْعَى﴾ النَّبَاتِ.

﴿٥﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً ﴿٥﴾ يَابَسَ وَهُوَ مَا يَحْمِلُهُ السَّيْلُ مِمَّا يَجْفُ مِنَ النَّبَاتِ ﴿أَحْوَى﴾ أَسْوَدَ بَالِيًا.

﴿٦﴾ سُنْقَرٌ ثَكَ ﴿٦﴾ سَنَجْعَلُكَ قَارِئًا لَمَّا يَأْتِيكَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْوَحْيِ ﴿فَلَا تَنسَى﴾ شَيْئًا، وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَحْفَظَ عَلَيْهِ الْوَحْيَ حَتَّى لَا يَنْفَلِتَ مِنْهُ شَيْءٌ.

إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّكُمْ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾ وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ
يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَيَنْجِبُهَا الْأَشَقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ
تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا
لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

﴿٧﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴿٧﴾ أن ينسخه. وقيل: إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، وهو لا يشاء أن تنسى ﴿٧﴾ إِنَّهُ
يعلم الجهر ﴿٧﴾ من القول والفعل ﴿٧﴾ وما يخفى ﴿٧﴾.

﴿٨﴾ وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ أي: نُهَوِّنْ عَلَيْكَ الشَّرِيعَةَ الْيُسْرَى، وهي الحنيفية السَّمِحة.

﴿٩﴾ فَذَكِّرْ ﴿٩﴾ فِعْظٌ بِالْقُرْآنِ ﴿٩﴾ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ التَّذْكِيرُ.

﴿١٠﴾ سَيَذَكِّرُ ﴿١٠﴾ سَيَتَعَزَّزُ ﴿١٠﴾ مَنْ يَخْشَى ﴿١٠﴾ الله.

﴿١١﴾ وَيَنْجِبُهَا ﴿١١﴾ وَيَنْجِبُ الذِّكْرَى وَيَتَبَاعَدُ عَنْهَا ﴿١١﴾ الْأَشَقَى ﴿١١﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ.

﴿١٢﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ الَّذِي يَدْخُلُ جَهَنَّمَ.

﴿١٣﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ لَا يَمُوتُ فِيهَا مَوْتًا يَسْتَرِيحُ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ،
وَلَا يَحْيَا حَيَاةً يَجِدُ فِيهَا رُوحَ الْحَيَاةِ.

﴿١٤﴾ قَدْ أَفْلَحَ ﴿١٤﴾ صَادَفَ الْبَقَاءَ فِي الْجَنَّةِ ﴿١٤﴾ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ أَكْثَرَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿١٥﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ أي: الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ.

﴿١٦﴾ بَلْ تُؤَثِّرُونَ ﴿١٦﴾ تَخْتَارُونَ ﴿١٦﴾ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

﴿١٧﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿١٨﴾ إِنَّ هَذَا ﴿١٨﴾ الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ فَلَاحِ الْمُتَزَكِّيِّ، وَكَوْنِ الْآخِرَةِ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا ﴿١٨﴾ لَفِي
الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ مَذْكُورٌ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

﴿١٩﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾ يَعْنِي: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا مِنَ الْكُتُبِ.

سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ عَشْرُونَ وَسِتَ آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿يعني: القيامة؛ لَأَنَّهُا تَغْشَى الْخَلْقَ، وَمَعْنَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أَي: إِنَّ هَذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ عِلْمِكَ، وَلَا مِنْ عِلْمِ قَوْمِكَ.﴾

﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿ذَلِيلَةٌ.﴾

﴿٣﴾ عَامِلَةٌ ﴿فِي النَّارِ تَعَالَجَ حَرَّهَا وَعَذَابُهَا﴾ ﴿نَاصِبَةٌ﴾ ذَاتُ نَصَبٍ وَتَعَبٍ.

﴿٤﴾ تَصَلَّى نَارًا ﴿تَقَاسَى حَرَّهَا﴾ ﴿حَامِيَةً﴾ حَارَّةٌ.

﴿٥﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ ﴿مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرَارَةِ.﴾

﴿٦﴾ لَيْسَ لَهُمْ ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿وَهُوَ يَبْيَسُ الشُّبْرَقِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشُّوكِ لَا تَقْرُبُهُ دَابَّةٌ وَلَا تَرَعَاهُ، وَصِفَتُهُ مَا ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.﴾

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَارٌ مَّصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَارِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾

﴿٨﴾ وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ ﴿حسنه﴾.

﴿٩﴾ لسعيها ﴿في الدنيا﴾ راضية ﴿حين أعطيت الجنة بعملها﴾.

﴿١٠﴾ في جنة عالية ﴿ففي جنة عالية﴾.

﴿١١﴾ لا تسمع فيها لاغية ﴿لغواً ولا باطلاً﴾. وقوله:

﴿١٥﴾ ونمارق مصفوفة ﴿أي: وسائد بعضها بجانب بعض﴾.

﴿١٦﴾ وزراري ﴿وهي البسط والطنافس﴾ مَبْثُوثَةٌ ﴿مفرقة في المجالس﴾، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ عَلَى عَظِيمٍ مِنْ خَلْقِهِ قَدْ ذَلَّلَهُ لِصَغِيرٍ؛ لِيَدْلَهُمْ، بِذَلِكَ عَلَى تَوْحِيدِهِ، فَقَالَ:

﴿١٧﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿ففي قوله﴾:

﴿٢٠﴾ سَطِحَتْ ﴿أي: بُسِطَتْ﴾.

﴿٢١﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿ذَكَرَهُمْ نَعَمَ اللَّهُ وَدَلَّاهُ تَوْحِيدَهُ، فَإِنَّكَ مَبْعُوثٌ بِذَلِكَ﴾.

﴿٢٢﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿بِمَسْلُطٍ تُكْرِهُهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ، وَهَذَا قَبْلَ أَنْ أُمَرَ بِالْحَرْبِ^(١)﴾.

(١) قال ابن زيد: هو منسوخٌ بالأمر بقتالهم والشدة والغلظة عليهم. وقيل: هي محكمة، والمعنى: لست عليهم بجبار، أي: لست تجبرهم في الباطن على الإسلام؛ لأن قلوبهم ليست بيدك، إنما عليك أن تدعوهم إلى الله، وتبلغ ما أرسلت به إليهم. الإيضاح لناسخ القرآن ص ٤٤٦.

إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾

﴿٢٣﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى ﴿٢٣﴾ لَكِنْ مِنْ تَوَلَّى عَنْ الْإِيمَانِ ﴿٢٣﴾ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ .

﴿٢٤﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ عَذَابَ جَهَنَّمَ .

﴿٢٥﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ رَجُوعُهُمْ .

﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ .

• • •

سُورَةُ الْفَجْرِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَلَاثُونَ وَآيَاتَانِ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝٥ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ وَالْفَجْرِ يعني: فجر كل يوم.

﴿٢﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ عشر ذي الحجة.

﴿٣﴾ وَالشَّفْعِ يعني: يوم النحر؛ لأنه يوم العاشر ﴿وَالْوَتْرِ﴾ يوم عرفة؛ لأنه يوم التاسع.

﴿٤﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ يعني: ليل المزدلفة إذا مضى وذهب. وقيل: إذا جاء وأقبل.

﴿٥﴾ هَلْ فِي ذَلِكَ الذي ذكرت ﴿قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ﴾ أي: مقنعٌ ومكتفى في القسم لذي عقل، ثم ذكر الأمم التي كذبت الرُّسل كيف أهلكهم فقال:

﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ.

(١) زيادة من ظا، وهي في المصحف ٣٠ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ١٨٩/٣: وآيها تسع وعشرون آية في البصري، وثلاثون آية في الكوفي والشامي، واثنان وثلاثون في المدني والمكي.

إِرمَ ذَاتَ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغُ الرِّصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٧﴾

﴿إِرم﴾ يعني: عاداً الأولى، وهو عاد بن عوص بن إرم، وإرم: اسم القبيلة. ﴿ذات العمداء﴾ أي: ذات الطُول. وقيل: ذات البناء الرفيع. وقيل: ذات العمد السَّيَّارة، وذلك أنَّهم كانوا أهل عمدٍ سَيَّارة ينتجعون الغيث.

﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ في بطشهم وقوَّتهم وطول قامتهم.

﴿وثمود الذين جابوا﴾ قطعوا ﴿الصخر﴾ فاتَّخذوا منها البيوت ﴿بالواد﴾ يعني: وادي القرى، وكانت مساكنهم هناك.

﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ ذي الجنود والجموع الكثيرة، وكانت لهم مضارب كثيرة يوتدونها في أسفارهم. وقوله:

﴿نصبَّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ أي: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

﴿إنَّ ربك﴾ جواب القسم الذي في أوَّل السُّورة ﴿لبالمرصاد﴾ بحيث يرى ويسمع ويرصد أعمال بني آدم.

﴿فأما الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿إذا ما ابتلاه ربُّه﴾ امتحنه بالنَّعمة والسَّعة ﴿فأكْرَمَهُ﴾ بالمال ﴿ونعَّمَهُ﴾ بما وسَّع عليه ﴿فيقول ربي أكْرَمَنِي﴾ لا يرى الكرامة من الله إلاَّ بكثرة الحظِّ من الدُّنيا.

﴿وأما إذا ما ابتلاه فقدر﴾ فضيَّق ﴿عليه رزقه فيقول: ربي أهْأَنَنِي﴾ يرى الهوان في قلَّة حظِّه من الدنيا، وهذا صفة الكافر، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يُكرمه الله بطاعته، والهوان أن يُهينه بمعصيته، ثم رَدَّ هذا على الكافر، فقال:

﴿كلا﴾ أي: ليس الأمر كما يظنُّ هذا الكافر. ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ إخبارٌ عمَّا كانوا يفعلونه من ترك توريث اليتيم، وحرمانه ما يستحقُّ من الميراث.

وَلَا تَحْضُوتْ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُوا مِمَّا كُنْتُمْ تُكْتَلُونَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّوا
 الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِئَ
 يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ وَاقْنُ لَهُ الذِّكْرَى ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾
 فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وِثْقُهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

- ﴿١٨﴾ وَلَا تَحَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿ لا تأمرون به ، ولا تُعينون عليه .
- ﴿١٩﴾ وَتَأْكُلُونَ التَّرَاثَ ﴿ يعني : ميراث اليتامى ﴾ أَكْلًا لَمًّا ﴿ شديداً ، تجمعون المال كله في الأكل ، فلا تُعطون اليتيم نصيبه .
- ﴿٢٠﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿ كثيراً .
- ﴿٢١﴾ كَلَّا ﴿ ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر ﴾ إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿ إذا زُلزِلَتِ الأرض فكَسَر بعضها بعضاً .
- ﴿٢٢﴾ وَجِئَ رَبُّكَ ﴿ أي : أمر ربُّك وقضاؤه ﴾ وَالْمَلَكُ ﴿ أي : الملائكة ﴾ صَفًّا صَفًّا ﴿ صفوفاً .
- ﴿٢٣﴾ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿ تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَامٍ ، كُلُّ زِمَامٍ بِأَيْدِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَئِذٍ يَنْذِكُرُ الْإِنْسَانَ ﴿ يُظْهِرُ الْكَافِرَ التَّوْبَةَ ﴾ وَاقْنُ لَهُ الذِّكْرَى ﴿ ومن أين له التَّوْبَةُ ؟
- ﴿٢٤﴾ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي ﴿ أي : للدَّارِ الْآخِرَةِ الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا .
- ﴿٢٥﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿ لَا يَتَوَلَّى عَذَابَ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ أَمْرُهُ ، وَلَا أَمْرٌ غَيْرُهُ .
- ﴿٢٦﴾ وَلَا يُوْثِقُ وَثْقَهُ ﴿ يعني بالوثاق الإِسَارَ وَالسَّلَاسِلَ وَالْأَغْلَالَ ، وَالْمَعْنَى : لَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ كِبَالَاغَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي التَّعْذِيبِ وَالْإِثْقَاقِ .

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى ما وعد الله سبحانه المصدقة بذاك. ﴿٢٧﴾

﴿ارجعي إلى ربك﴾ يقال لها ذلك عند الموت. ﴿راضية﴾ بما آتاها الله ﴿مرضية﴾ رضي عنها ربُّها. هذا عند خروجها من الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل:

﴿فادخلي في عبادي﴾ أي: في جملة عبادي الصالحين. ﴿٢٩﴾

﴿وادخلي جنتي﴾. ﴿٣٠﴾

• • •

سُورَةُ الْبَلَدِ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ عَشْرُونَ آيَةً^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٌ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾
أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «لَا أَقْسِمُ» المعنى: أقسم، و «لَا» تأكيد. ﴿بهذا البلد﴾ يعني: مكة.

﴿٢﴾ «وَأَنْتَ» يا محمد ﴿حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، أُحِلَّتْ له مكة ساعة من النهار يوم الفتح حتى قاتل وقتل من شاء^(٢).

﴿٣﴾ «وَوَالِدٍ» أقسم بآدم عليه السلام ﴿وما ولد﴾ وولده، و «ما» بمعنى «مَنْ».

﴿٤﴾ «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ» أي: مشقة يكابد أمر الدنيا والآخرة وشدائدهما. وقيل مُتَنَصِّبًا مُعْتَدِلًا.

﴿٥﴾ «أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ» نزلت في رجلٍ من بني جمح يُكْنَى أبا الأشدين^(٣)، كان يوصف بالقوة؛ فقال الله تعالى: أَيَحْسَبُ بِقُوَّتِهِ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ، والله قادر عليه.

(١) زيادة من ظا.

(٢) ورد هذا في حديث أخرجه أحمد. ومسلم في الحج؛ باب تحريم مكة ٩٨٦/٢.

(٣) وهذا قول ابن جرير ١٩٨/٣٠.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّ ۖ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ۖ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا
وَشَفَتَيْنِ ۖ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۖ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۖ فَكُ رَقَبَةً ۖ
أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۖ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۖ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۖ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ۖ

﴿٦﴾ «يقول أهلك ما لا بد» على عداوة محمد ﷺ «لبداء» كثيراً بعضه على بعض، وهو كاذب في ذلك، قال الله تعالى:

﴿٧﴾ «أيحسب أن لم يره أحد» في إنفاقه، فيعلم مقدار نفقته، ثم ذكر ما يستدل به على أن الله تعالى قادر عليه، وأن يحصي عليه ما يعمله، فقال:

﴿٨﴾ «ألم نجعل له عينين». «ولساناً وشفتين».

﴿٩﴾ «وهديناه النجدين» يقول: ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر.

﴿١١﴾ «فلا اقتحم العقبة» أي: لم يدخل العقبة، وهذا مثل ضربه الله تعالى للمنق في طاعة الله يحتاج أن يتحمل الكلفة، كمن يتكلف صعود العقبة. يقول: لم ينفق هذا الإنسان في طاعة الله شيئاً.

﴿١٢﴾ «وما أدراك ما العقبة» أي: ما اقتحام العقبة، ثم فسره فقال:

﴿١٣﴾ «فك رقبة» وهو إخراجها من الرق بالعون في ثمنها.

﴿١٤﴾ «أو إطعام في يوم ذي مسغبة» مجاعة.

﴿١٥﴾ «يتيماً ذا مقربة» ذا قرابة.

﴿١٦﴾ «أو مسكيناً ذا متربة» أي: ذا فقر قد لصق من فقره بالتراب.

﴿١٧﴾ «ثم كان من الذين آمنوا» أي: كان مقتحم العقبة وفاك الرقبة والمطعم من الذين آمنوا؛ فإنه إن لم يكن منهم لم ينفعه قربة «وتواصوا» أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله تعالى «وتواصوا بالمرحمة» بالرحمة على الخلق.

أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمِثْمَةِ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٢٠﴾

﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾ مَنْ كان بهذه الصفة فهو من جملة أصحاب اليمين.

﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾ أصحاب الشُّمال. وقيل في أصحاب اليمين: إِنَّهُمْ الميامين على أنفسهم، وفي أصحاب المشأمة: إِنَّهُمْ المشائيم على أنفسهم.

﴿عليهم نار مؤصدة﴾ مُطَبَّقَةٌ.

• • •

سُورَةُ الشَّمْسِ وَضُحَاهَا

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ خَمْسٌ عَشَرَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿﴾ وَضِيَائُهَا.

﴿٢﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَّهَا ﴿﴾ تَبَعَهَا فِي الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ يَخْلِفُ الشَّمْسَ الْقَمَرُ فِي النُّورِ.

﴿٣﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿﴾ جَلَّى الظُّلْمَةَ وَكَشَفَهَا. وَقِيلَ: جَلَّى الشَّمْسَ وَبَيَّنَّهَا؛ لِأَنَّهَا تَبِينُ إِذَا انْبَسَطَ النَّهَارُ.

﴿٤﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ﴿﴾ يَسْتُرُ الشَّمْسَ.

﴿٥﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿﴾ أَيْ: وَبَنَائُهَا.

﴿٦﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿﴾ وَطَحَوَهَا، أَيْ: بَسَطَهَا.

﴿٧﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿﴾ وَتَسْوِيَةُ خَلْقِهَا.

﴿٨﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿﴾ عَلَّمَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١١﴾ كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَوْنَهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ قد أفلح سعد ﴿من زكاها﴾ أصلح الله نفسه وطهرها من الذنوب.

﴿١٠﴾ وقد خاب من دساها ﴿جعلها الله ذليلة خسيصة حتى عملت بالفجور، ومعنى دساها: أخفى محلها، ووضع منها وأحملها وخذلها.

﴿١١﴾ كذبت ثمود بطغواها ﴿بطغيانها كذبت الرُّسل.

﴿١٢﴾ إذ انبعث ﴿قام﴾ أشقاها ﴿عافر الناقة.

﴿١٣﴾ فقال لهم رسول الله ﴿[صالح]﴾. ﴿ناقة الله﴾ ذروا ناقة الله ﴿وسقياها﴾ وشربها في يومها.

﴿١٤﴾ فكذبوه فعقروها ﴿فقتلوا الناقة﴾ فدمدم عليهم ربهم ﴿أهلكهم هلاك استئصال﴾ بذنوبهم فسواها ﴿سوَّى الدمدمة عليهم فعمهم بها. وقيل: سوَّى ثمود بالهلاك، فأنزله بصغيرها وكبيرها.

﴿١٥﴾ ولا يخاف عقباها ﴿لا يخاف الله من أحدٍ تبعة ما أنزل بهم. وقيل: لا يخاف أشقاها عاقبة جنايته.

• • •

سُورَةُ اللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ① وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ② وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ③ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ④ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ
وَاتَّقَىٰ ⑤ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ⑥ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ⑦

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

① ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يغشى الأفق بظلمته.

② ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ بان وظهر.

③ ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ وَمَنْ خَلَقَ ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ وهو الله تعالى، [وجواب القسم وهو قوله: (٢)].

④ ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلَفٌ. يريد: بينهما بُعدٌ يعني: عمل المؤمن وعمل الكافر. نزلت في أبي بكر الصديق وأبي سفيان بن حرب.

⑤ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ ماله ﴿وَاتَّقَىٰ﴾ رَبَّهُ واجتنب محارمه.

⑥ ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أيقن بأن الله سبحانه سيخلف عليه. وقيل: صدَّق بـ لا إله إلا الله.

⑦ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ ﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾ لِلخَلَّةِ الْيُسْرَى، أي: الأمر السَّهْل من العمل بما يُرضي الله تعالى، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اشترى جماعة يُعَذِّبُهُمْ

وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَنَسِرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَى ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾

المشركون ليرتدوا عن الإسلام، فوصفه الله تعالى بأنه أعطى وصدق بالمُجازاة من الله له.

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ ﴿٨﴾ بِالتَّفَقُّةِ فِي الْخَيْرِ ﴿٨﴾ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ عَنْ اللَّهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ فِي ثَوَابِهِ.

﴿١٠﴾ فَسَنَسِرُهُ لِّلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ أَيُّ: نَحْذِلُهُ حَتَّى يَعْمَلَ بِمَا يُؤَدِّيهِ إِلَى الْعَذَابِ وَالْأَمْرِ الْعَسِيرِ.

﴿١١﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴿١١﴾ أَيُّ: مَاتَ وَهَلَكَ. وَقِيلَ: سَقَطَ فِي جَهَنَّمَ.

﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ﴿١٢﴾ أَيُّ: إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ.

﴿١٣﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴿١٣﴾ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِ مَالِكُهُمَا فَقَدْ أَخْطَأَ.

﴿١٤﴾ فَأَنْذَرْتَكُمْ ﴿١٤﴾ خَوْفَتَكُمْ ﴿١٤﴾ نَارًا تَلْظَى ﴿١٤﴾ تَتَوَقَّدُ.

﴿١٥﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْكَافِرُ. ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٥﴾.

﴿١٧﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ﴿١٧﴾ أَيُّ: يَبْعَدُ مِنْهَا ﴿١٧﴾ الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ.

﴿١٨﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ زَكِيًّا، وَلَا يَطْلُبُ رِيَاءً وَلَا سَمْعَةً.

﴿١٩﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ وَذَلِكَ أَنَّ الْكَفَّارَ قَالُوا لَمَّا اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِلَالًا فَأَعْتَقَهُ: مَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ إِلَّا لِيَدَّ كَانَتْ عِنْدَهُ لِبَالٌ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، أَيُّ: لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مُجَازَاةً لِيَدِّ أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ.

﴿٢٠﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ أَيُّ: لَكِنْ طَلَبَ ثَوَابَ اللَّهِ.

﴿٢١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾ سَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، وهي إحدى عشرة آية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى (١) وَأَيْلِيلٍ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٣) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٥)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ والضحى: أي: النهار كله.

﴿٢﴾ والليل إذا سجي: سكن بالخلق واستقرّ بظلامه.

﴿٣﴾ ما ودَّعك ربك وما قلى: وما تركك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبك، وهذا جواب القسم. وقد كان تأخر الوحي عن النبي ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال ناس: إنَّ محمداً ودَّعه ربُّه وقلاه، فأنزل الله هذه السورة (٢).

﴿٤﴾ وللآخرة خير لك من الأولى: لأنَّ الله يعطيك فيها الكرامات والدرجات.

﴿٥﴾ ولسوف يعطيك ربك: في الآخرة من الثواب، وفي مقام الشفاعة ﴿فترضى﴾.

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن جندب بن سفيان البجلي، قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءته امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قريبك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى والليل إذا سجي، ما ودَّعك ربك وما قلى﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٧١١/٨؛ ومسلم في الجهاد والسير برقم ١٧٩٧؛ والنسائي في تفسيره ٥٣٢/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٤٥.

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

يروى أنه قال عليه السلام لما نزلت هذه الآية: إذن لا أرضى وواحد من أمتي في النار^(١). ثم أخبر عن حاله قبل الوحي، وذكره نعمه عليه فقال:

﴿٦﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا ﴿٦﴾ حين مات أبواك ولم يُخلفا لك مالاً ولا مأوى ﴿٦﴾ فَأَوَى ﴿٦﴾ فأواك إلى عمك [أبي طالب]^(٢) وضمك إليه حتى كفلك ورباك.

﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا ﴿٧﴾ عمّا أنت عليه اليوم من معالم النبوة وأحكام القرآن والشريعة، فهداك إليها، كقوله: ﴿٧﴾ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ... ﴿٣﴾ الآية.

﴿٨﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا ﴿٨﴾ فقيراً لا مال لك، فأغناك بمال خديجة رضي الله عنه، ثم بالغنائم.

﴿٩﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ على ماله، واذكر يترك.

﴿١٠﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ فلا تزجره، ولكن بذل يسير، أو رد جميل، واذكر فقرك.

﴿١١﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ ﴿١١﴾ أي: النبوة والقرآن ﴿١١﴾ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ أخبر بها.

• • •

(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾، قال: من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. أخرجه ابن جرير ٢٣٢/٣٠.

(٢) زيادة من ظا.

(٣) سورة الشورى: الآية ٥٢.

سُورَةُ أَلَمْ نَشْرَحْ

[مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَمَانِي آيَاتٍ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ أَلَمْ نَفْتَحْ وَنَوَسِّعْ، وَنَلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالثَّبُوءِ، وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؟ هَذَا اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ.

﴿٢﴾ ﴿وَوَضَعْنَا﴾ [حَطَطْنَا] ^(٢) ﴿عَنكَ وَزْرَكَ﴾ مَا سَلَفَ مِنْكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَقِيلَ: يَعْنِي: الْخَطَأَ وَالسَّهْوَ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: خَفَقْنَا عَلَيْكَ أَعْبَاءَ الثَّبُوءِ، وَالْوِزَرَ فِي اللُّغَةِ: الْحِمْلُ الثَقِيلُ.

﴿٣﴾ ﴿الَّذِي أَنْقَضَ﴾ أَثْقَلَ ﴿ظَهْرَكَ﴾.

﴿٤﴾ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أَي: إِذَا ذُكِرْتُ ذَكَرْتَ مَعِي.

﴿٥﴾ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ أَي: مَعَ الشَّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنْ مَقَاسَاةِ بَلَاءِ الْمُشْرِكِينَ يُسْرًا، بِإِظْهَارِي إِيَّاكَ عَلَيْهِمْ حَتَّى تَغْلِبَهُمْ، وَيَنْقَادُوا لَكَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا.

﴿٦﴾ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ تَكَرَّارٌ لِلتَّأْكِيدِ. وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا عَامٌّ فِي كُلِّ عُسْرٍ أَصَابَ

﴿٧﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٨﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ

المؤمن، وهو من الله تعالى على وعد اليسر؛ إمَّا في الدُّنيا، وإمَّا في الآخرة،
فالعسر واحدٌ، واليسر اثنان.

﴿٧﴾ ﴿فإذا فرغت﴾ من صلاتك ﴿فانصب﴾ أي: اتعب في الدُّعاء وسله حاجتك،
وارغب إلى الله تعالى به.



سُورَةُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ

[مكية، وهي ثمانى آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْأَينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «والتين والزيتون» هما جبلان بالشَّام، طور تينا، وطور زيتا بالسَّريانية، سَمِيًّا بالتَّين والزَّيتون؛ لأنَّهما يُنبَتانِهما.

﴿٢﴾ «وطور سِينِينَ» جبل موسى عليه السَّلام، وسِينِينَ: المبارك بالسَّريانية.

﴿٣﴾ «وهذا البلد الأمين» [الآمن] ^(٢). يعني: مَكَّة، سَمَّاهُ أَمِيناً لأنه آمِنٌ لا يُهاجُ أهله.

﴿٤﴾ «لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم» صورة؛ لأنَّه معتدل القامة، يتناول مأكوله بيده.

﴿٥﴾ «ثمَّ رددناه أسفل سافلين» إلى أرذل العمر، والسَّافلون: هم الهرمى والزَّمْنى والضعفى.

﴿٦﴾ «إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون» يعني: إنَّ المؤمن إذا

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ بَعْدَ الْدِّينِ﴾ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨﴾

رَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعَمْرِ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِذَا كَانَ يَعْمَلُ^(١)، بِخِلَافِ الْكَافِرِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أَي: غَيْرُ مَقْطُوعٍ. وَقِيلَ: مَعْنَى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾: إِلَى النَّارِ، يَعْنِي: الْكَافِرَ، ثُمَّ أَسْتَنْتَى الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَهَذَا الْقَوْلُ أَظْهَرَ، ثُمَّ قَالَ تَوْيِيحًا لِلْكَافِرِ:

﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ﴿بَعْدَ﴾ هَذِهِ الْحُجَّةِ ﴿بِالْدِّينِ﴾ بِالْحِسَابِ وَالْجِزَاءِ، وَمَعْنَى: مَا يَكْذِبُكَ: مَا الَّذِي يَجْعَلُكَ مَكْذِبًا بِالْدِّينِ. وَقِيلَ: إِنَّ هَذَا خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَمَا الَّذِي يَكْذِبُكَ يَا مُحَمَّدُ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ مِنْ قُدْرَتِنَا عَلَى خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَظَهَرَ مِنْ حُجَّتِنَا، كَأَنَّهُ قَالَ: فَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى تَكْذِيبِكَ بِالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾ فِي جَمِيعِ مَا خَلَقَ وَصَنَعَ، وَكُلُّ ذَلِكَ دَالٌّ عَلَى عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ [جَلَّ جَلَالُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ]^(٢).

• • •

(١) وهذا قول ابن عباس في الآية. أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور ٥٥٨/٨.

(٢) زيادة من ظا.

سُورَةُ الْعَلَقِ

[مَكِّيَّة، وَهِيَ تِسْعُ عَشَرَ آيَةً] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفٌ ﴿٦﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّكَ إِلَىٰ رَبِّكَ الرَّجْعَىٰ ﴿٨﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ يعني: اقرأ القرآن باسم ربك، وهو أن تذكر التسمية في ابتداء كل سورة. ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ الأشياء والمخلوقات.

﴿٢﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ يعني: ابن آدم ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾ جمع عَلَقَةٍ.

﴿٣﴾ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ يعني: الحليم عن جهل العباد، فلا يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿٤﴾ ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ثُمَّ بَيَّنَّ مَا عَلَّمَ، فقال:

﴿٥﴾ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ وهو الخطُّ والكتابة.

﴿٦﴾ ﴿كَلَّا﴾ حَقًّا ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْفٌ﴾ ليتجاوز حدَّه ويستكبر على ربه.

﴿٧﴾ ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ رَأَىٰ نَفْسَهُ ﴿اسْتَغْنَى﴾.

﴿٨﴾ ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ المرجع في الآخرة، فيجازي الطَّاعِي بما يستحقُّه.

أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ ﴿١٨﴾

﴿٩﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ يعني: أبا جهل.

﴿١٠﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ وذلك أَنَّهُ قَالَ: لئن رأيتُ محمداً يصلي لأطأَنَّ على رقبته، ومعنى: أَرَأَيْتَ هَا هُنَا تَعْجَبُ، وكذلك قوله:

﴿١١﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى﴾. ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى﴾.

﴿١٣﴾ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. والمعنى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى وهو على الهدى أَمَرَ بِالتَّقْوَى، وَالنَّاهِي كَاذِبٌ مُتَوَلٍّ عَنِ الذِّكْرِ، أَيُّ: فَمَا أَعْجَبَ مِنْ ذَا!

﴿١٤﴾ أَلَمْ يَعْلَمْ﴾ أَبُو جَهْلٍ ﴿بَأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ أَيُّ: يَرَاهُ وَيَعْلَمُ مَا يَفْعَلُهُ.

﴿١٥﴾ كَلَّا﴾ رَدْعٌ وَزَجْرٌ ﴿لئن لَمْ يَنْتَهِ﴾ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكُفْرِ وَمُعَادَاةِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لَنَجْرُنَّ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى النَّارِ، ثُمَّ وَصَفَ نَاصِيَتَهُ، فَقَالَ:

﴿١٦﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَتَأْوِيلُهَا: صَاحِبُهَا كَاذِبٌ خَاطِئٌ.

﴿١٧﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ فَلْيَسْتَعِنْ بِأَهْلِ مَجْلِسِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: لَأَمْلَأَنَّ عَلَيْكَ هَذَا الْوَادِي خَيْلًا جُرْدًا، وَرَجَالًا مُرْدًا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

﴿١٨﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ﴾ وَهِيَ الْمَلَائِكَةُ الْغَلَاظُ الشَّدَادُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ الزَّبَانَةَ عِيَانًا^(١).

(١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْلِي، فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بَهَا نَادٍ أَكْثَرَ مِنِّي، فَانْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانَةَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذْتَهُ زَبَانَةً. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي التَّفْسِيرِ بِرَقْم ٣٣٤٦؛ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وَبِمَعْنَاهُ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ بِرَقْم ٢٧٩٧.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾

﴿١٩﴾ ﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطِعْهُ وَأَسْجُدْ﴾ وصل ﴿وَاقْتَرِبْ﴾
تقرب إلى ربك بطاعته.

• • •

سُورَةُ الْقَدْرِ

[مدنيّة، وهي خمس آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾
نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴿أي﴾: أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ ﴿في ليلة القدر﴾ ليلة الحكم والفصل، يقضي الله فيها قضاء السّنة، والقَدْر: بمعنى التّقدير. أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ كُلَّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ بِهِ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي عَشْرِينَ سَنَةً.

﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ ﴿يا مُحَمَّدٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿على التّعظيم لشأنها والتّعجيب منها، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فَقَالَ:

﴿٣﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿أي﴾: مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

﴿٤﴾ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴿يعني﴾: جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿فيها﴾ في تلك اللَّيْلَةِ ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: بِكُلِّ أَمْرِ قَضَاهُ اللهُ تَعَالَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ لِلْسَّنَةِ، وَتَمَّ الْكَلَامُ هَا هُنَا، ثُمَّ قَالَ:

سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٦٠﴾

﴿سلام هي﴾ أي: تلك اللَّيْلَةُ كلها سلامةٌ وخيرٌ لا داء فيها، ولا يستطيع الشَّيْطَانُ أن يصنع فيها شيئاً. وقيل: يعني: تسليم الملائكة في تلك اللَّيْلَةِ على أهل المساجد ﴿حتى مطلع الفجر﴾ إلى وقت طلوع الفجر.

• • •

سُورَةُ لَمَّ يَكُنْ

[مدنيّة، وهي ثمانى آيات] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ لم يكن الذين كفروا ﴿بمحمّد ﷺ﴾ ﴿من أهل الكتاب﴾ أي: اليهود والنصارى والمشركين ﴿يعني: كفّار العرب﴾ ﴿منفكين﴾ مُتَّهِنِينَ زَائِلِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ ﴿حتى تأتيهم البينة﴾ يعني: أتتهم البينة، أي: البيان والبصيرة، وهو محمد عليه السّلام والقرآن. يقول: لم يتركوا كفرهم حتى بُعث إليهم محمدٌ عليه السّلام، وهذا فيمن آمن من الفريقين، ثمّ فسر البينة فقال:

﴿٢﴾ رسول من الله يتلو صحفاً ﴿كتباً﴾ ﴿مطهرة﴾ من الباطل.

﴿٣﴾ فيها كتب ﴿أحكام﴾ ﴿قيمة﴾ مستقيمة عادلة، ثمّ ذكر كفّار أهل الكتاب، فقال:

﴿٤﴾ وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب ﴿أي: ما اختلفوا في كون محمد عليه السّلام حقاً﴾ لما يجدون من نعته في كتابهم ﴿إلا من بعد ما جاءتهم البينة﴾ إلا من بعد ما بينوا

وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴿٨﴾

أنَّ النبي الذي وُعدوا به في التَّوراة والإنجيل، يريد: أنهم كانوا مجتمعين على صِحَّة نبوته، فلَمَّا بُعث جحدوا نبوته وتفرَّقوا، فمنهم مَنْ كفر بغياً وحسداً، ومنهم مَنْ آمَن، وهذا كقوله تعالى: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم...﴾ (١) الآية.

﴿وما أمروا﴾ يعني: كفَّار الذين أوتوا الكتاب ﴿إلا ليعبدوا الله﴾ إلا أن يعبدوا الله ﴿مخلصين له الدين﴾ الطَّاعة، أي: مُوحِّدين له لا يعبدون معه غيره. ﴿حنفاء﴾ على دين إبراهيم عليه السَّلام ودين محمد ﷺ. وقوله: ﴿وذلك دين القيمة﴾ أي: دين المِلَّة القيِّمة، وهي المستقيمة، وباقي الآية ظاهرٌ.

• • •

سُورَةُ إِذَا زُلْزِلَتْ

[مَكِّيَّة] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿﴾ أَي: حُرِّكَتْ حَرَكَةً شَدِيدَةً لِقِيَامِ السَّاعَةِ.

﴿٢﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿﴾ كَنُوزِهَا وَمَوَاتِهَا، فَالْقَتَهَا عَلَى ظَهَرِهَا.

﴿٣﴾ وَقَالَ الْإِنْسَانُ ﴿﴾ يَعْنِي: الْكَافِرُ الَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِالْبَعْثِ: ﴿مَا لَهَا﴾ ﴿﴾ إِنكَاراً لِّتِلْكَ الْحَالَةِ.

﴿٤﴾ يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا ﴿﴾ أَي: تُخْبِرُ بِمَا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿٥﴾ ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ أَي: أَمَرَهَا بِالْكَلَامِ وَأَذَنَ لَهَا فِيهِ (٢).

(١) زيادة من ظ.

(٢) عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخْبِتُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهَرِهَا. تقول: عمل يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها.

أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٣٥٠؛ والحاكم ٥٣٢/٢ وصححه ووافقه الذهبي؛ وأحمد في المسند ٥٣٢/٥؛ والنسائي في تفسيره ٥٤٤/٢.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾

﴿٦﴾ يومئذ يصدر الناس ﴿أشتاتاً﴾ متفرقين عن موقف الحساب، فأخذ ذات اليمين، وأخذ ذات الشمال ﴿ليروا أعمالهم﴾ أي: ثوابها.

﴿٧﴾ فمَنْ يعمل مثقال ذرة خيراً يره ﴿يرى المؤمن ثوابه في الآخرة، والكافر في الدنيا يراه في نفسه وأهله وماله.

﴿٨﴾ وَمَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿جزاء المؤمن في الدنيا بالأحزان والمصائب، والكافر في الآخرة.

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَدِيَّتِ صَبْحًا ﴿١﴾ فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَالْمُغِيرَتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ والعاديات يعني: الخيل في الغزو ﴿صباحاً﴾ تصبح صباحاً، وهو صوت أجوافها إذا عدت.

﴿٢﴾ فالموريات وهي الخيل التي تُوري النَّارَ ﴿قدحاً﴾ بحوافرها إذا عدت في الأرض ذات الحجارة بالليل.

﴿٣﴾ فالمغيرات صباحاً يعني: الخيل تُغير على العدو وقت الصبح، وإنما يُغير أصحابها ولكن جرى الكلام على الخيل.

﴿٤﴾ فأثرن به بمكان عدوها ﴿نقعا﴾ غباراً.

﴿٥﴾ فوسطن به بالمكان الذي هي به ﴿جمعا﴾ من النَّاسِ أغارت عليهم، يريد: صارت في وسط قوم من العدو تُغير عليهم.

﴿٦﴾ إن الإنسان ﴿جواب القسم﴾ لربه لكنود ﴿لكفور﴾. يعني: الكافر يجحد نعم الله تعالى.

﴿٧﴾ وإنه وإن الله تعالى ﴿على ذلك﴾ على كنوده ﴿لشاهد﴾.

وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

﴿٨﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ ﴿٨﴾ لِأَجْلِ حُبِّ الْمَالِ ﴿٨﴾ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ لِبَخِيلٍ.
﴿٩﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ ﴿٩﴾ هَذَا الْإِنْسَانُ ﴿٩﴾ إِذَا بُعْثِرَ ﴿٩﴾ قُلُوبُ قَائِرٍ ﴿٩﴾ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٩﴾ يَعْنِي: إِذَا بُعْثِ
الْمَوْتَى.
﴿١٠﴾ وَحُصِّلَ ﴿١٠﴾ بَيَّنَّ وَأَبْرَزَ ﴿١٠﴾ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ [مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ].
﴿١١﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾ عَالِمٌ فَيَجَازِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَإِنَّمَا
قَالَ «بِهِمْ» لِأَنَّ الْإِنْسَانَ اسْمَ الْجِنْسِ [١].

• • •

سُورَةُ الْقَلَمِ عَشْرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ
الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ القارعة يعني: القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.

﴿٢﴾ ما القارعة تفخيم لشأنها وتهويل، كما قلنا في الحاقّة^(١).

﴿٤﴾ يوم يكون الناس كالفراش كغواء الجراد لا يتجه إلى جهة واحدة، كذلك
الناس إذا بُعثوا ماج بعضهم في بعض للحيرة ﴿المبثوث﴾ المفرق.

﴿٥﴾ وتكون الجبال كالعهن كالصوف ﴿المنفوش﴾ المندوف، لخفة سيرها.

﴿٦﴾ فأما مَنْ ثقلت موازينه بالحسنات.

﴿٧﴾ فهو في عيشة راضية يرضاها.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴿١٠﴾ نَارٍ
حَامِيَةٍ ﴿١١﴾

﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ . ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ فمُسْكَنُهُ النَّارُ .

﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴿ثُمَّ فَسَّرَهَا فَقَالَ:

﴿١١﴾ نَارٍ حَامِيَةٍ﴾ شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ .

• • •

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ. ﴿حتى زرتم المقابر﴾ شغلکم التَّكَاثُرُ بالأموال والأولاد والعدد عن طاعة الله تعالى: ﴿حتى زرتم المقابر﴾: حتى أدرككم الموت على تلك الحالة. نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبني فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضللاً.

﴿٢﴾ كَلَّا ﴿ليس الأمر الذي ينبغي أن تكونوا عليه التَّكَاثُر﴾ سوف تعلمون ﴿عند النزع سوء عاقبة ما كنتم عليه.﴾

﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿سوء عاقبة ما كنتم عليه في القبر، والتكرير لتأكيد التهديد.﴾

﴿٤﴾ [كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَي: لو علمتم الأمر حق علمه لشغلکم ذلك عما أنتم فيه، وجواب ﴿لو﴾ محذوف] ^(١)، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ:

(١) ما بين [] ليس في الأصل ع.

لَتَرْوِيَ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرْوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿لترون الجحيم﴾ ﴿٦﴾

﴿ثم لترونها﴾ تأكيد أيضاً ﴿عَيْنَ اليقين﴾ عياناً لستم عنها بغائبين. ﴿٧﴾

﴿ثم لتسألنَّ يومئذ عن النعيم﴾ عن الأمن والصحة فيما أفنيتموها. ﴿٨﴾

• • •

سُورَةُ الْعَصْرِ

[مَكِّيَّةٌ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ هو الدهر، أقسم الله به.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني: الكافر العامل لغير طاعة الله ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ خسران. يعني: إِنَّهُ يَخْسِرُ أَهْلَهُ وَمَحَلَّهُ وَمَنْزَلَتَهُ فِي الْجَنَّةِ.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ فَإِنَّهُمْ لَيْسُوا فِي خُسْرٍ. ﴿وتواصوا بالحق﴾ وصَّى بعضهم بالإقامة على التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ ﴿وتواصوا بالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله والجهاد في سبيله. ويروى [مرفوعاً] ^(٣): ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ يعني: أبا جهل، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني: أبا بكر ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني: عمر بن الخطاب. ﴿وتواصوا بالحق﴾ يعني: عثمان. ﴿وتواصوا بالصَّبْرِ﴾ يعني: علياً. رضي الله عنهم أجمعين.

(١) زيادة من ظ.

(٢) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره ١٨٠/٢٠؛ وذكره ابن جماعة في غرر التبيان ص ٥٤٨؛ ولم ينسبه للنبي وذكر نحوه ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير ص ٨٨؛ وعده من الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال.

سُورَةُ الْهُمَزَةِ

[مَكِّيَّة] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا ﴿٤﴾ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٥﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٦﴾ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدَةُ ﴿٧﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنَدَةِ ﴿٨﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ ﴿٩﴾ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ﴿١٠﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ «ويلٌ لكلِّ همزة لُمزة» يعني: الإنسان الذي يغتاب النَّاسَ ويعيبهم. نزلت في أمية بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النَّبِيَّ ﷺ. ﴿٢﴾ «الذي جمع مالا وعدده» أعدّه للذَّهر، وقيل: أكثر عدده. ﴿٣﴾ «يحسب أنَّ ماله أخلده» في الدُّنيا حتَّى لا يموت. ﴿٤﴾ «كلا» ليس الأمر على ما يحسب. ﴿٥﴾ «لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ» ليُطرحَنَّ في النَّارِ. وقوله:

﴿٧﴾ «التي تطلع على الأفئدة» أي: يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة.

﴿٨﴾ «إنها عليهم موصدة» مطبقة.

﴿٩﴾ «في عمَدٍ جمع عمودٍ» ممددة. قيل: يعني: أوتاد الأطباق التي تطبق عليهم، ومعنى «في عمَدٍ»: بعمدٍ. وقيل: إنها عمَدٌ يُعَذِّبُونَ بها في النَّارِ.

سُورَةُ الْفِيلِ

[مَكِّيَّةٌ] ^(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ أَلَمْ تَرَ ﴿١﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ. وقيل: أَلَمْ تَخْبِر ﴿١﴾ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾.

﴿٢﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ أَضَلَّ كَيْدَهُمْ عَمَّا أَرَادُوا مِنْ تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ.

﴿٣﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ.

﴿٤﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ مِنْ آجِرٍ.

﴿٥﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾ كَزَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَدَاسَتْهُ وَفُتَّتَتْهُ. والعصف: ورق الزرع.

• • •

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ قيل: هذه اللام تتصل بما قبلها، على معنى: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وتألف رحلتها. وقيل: معنى اللام التأخير، على معنى: فليعبدوا ربَّ هذا البيت ﴿لَا إِلَافَ قُرَيْشٍ﴾ أي: ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النعم واعترافاً بها. يقال: ألف الشيء وآلفه بمعنى واحد، والمعنى: لا إلف قريش رحلتها، وذلك أنه كانت [لهم] رحلتان رحلة في الشتاء إلى اليمن، و [رحلة] في الصيف إلى الشام، وبهما كانت تقوم معاشهم وتجاراتهم. وكان لا يتعرض لهم في تجارتهم أحد. يقول: هم سكان حرم الله وولاية بيته، فمن الله عليهم بذلك، وقال:

﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت﴾. ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أي: بعد جوع، وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف، ثم كشف الله ذلك عنهم ﴿وآمنهم من خوف﴾ فلا يخافون في الحرم الغارة، ولا يخافون في رحلتهم.

سُورَةُ أَرَأَيْتَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ
الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «أرأيت الذي يكذب بالدين» نزلت في العاص بن وائل. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وقيل: في أبي سفيان، وذلك أنه نحر جزوراً فأتاه يتيماً يسأله، فقرعه بعصاه^(١)، فذلك قوله تعالى: «يدعُ اليتيم» أي: يدفعه بجفوة من حقه.

﴿٢﴾ «ولا يحض على طعام المسكين» لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه.

﴿٣﴾ «فويل للمصلين» «الذين هم عن صلاتهم ساهون» غافلون يؤخرونها عن وقتها.

﴿٤﴾ «الذين هم يراءون» يعني: المنافقين يصلُّون في العلانية، ويتركون الصلاة في السرِّ.

﴿٥﴾ «ويمنعون الماعون» الزكاة وما فيه منفعة من الفأس والقدر والماء والملح.

• • •

(١) هذا قول ابن جريج نسبه إليه المؤلف في أسباب النزول ص ٥٤٠.

سُورَةُ الْكَوْثَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ قيل: هو نهرٌ في الجَنَّةِ حافتاه الذُّرُّ. وقيل: هو الخير الكثير.

﴿٢﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة العيد، يعني: يوم النَّحْرِ ﴿وَانْحَرْ﴾ نُسَكَكَ. وقيل: ﴿فَصَلِّ﴾: فضع يدك على نحرك في صلاتك.

﴿٣﴾ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ مُبْغَضُكَ ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الْمُتَقَطِّعُ الْعَقْبِ. [وقيل: المتقطع عن كلِّ خير. نزلت في العاص بن وائل^(١) سَمَّى النَّبِيَّ ﷺ أَبْتَرَ عند موت ابنه القاسم]^(٢).

• • •

(١) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن محمد بن علي ٧٠/٢؛ لكن ذكره عن عمرو بن العاص. ثم قال: هكذا روي بهذا الإسناد، وهو ضعيف، والمشهور أنَّها نزلت في العاص بن وائل. وأخرجه ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس. الدر المنثور ٦٥٢/٨ وهو ثقة كان يُرسل.

(٢) ما بين [] زيادة من ظا و ظ.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مَكِّيَّة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ نزلت في رهطٍ من قريشٍ قالوا للنبي ﷺ تعبد آلَهتنا سنةً، ونعبد إلهك سنةً^(١)، فأَنزل الله هذه السُّورة.

﴿٢﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ في الحال.

﴿٣﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ في الحال ما أعبد.

﴿٤﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ ﴿٤﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾.

﴿٥﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ﴿٥﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ فنفي عنهم عبادة الله في الحال،

وفيما يستقبل، وهذا في قومٍ أعلمهم الله أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، ونفي أيضاً عن نفسه عبادة الأصنام في الحال وفيما يستقبل، لِيُشْهِدُوا عَنْهُ فِي ذَلِكَ.

﴿٦﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ ﴿٦﴾ الشُّرْكُ ﴿٦﴾ وَلِيَ دِينِي ﴿٦﴾ الإسلام، وهذا قبل أَن يُؤْمَرَ بِالْحَرْبِ.

• • •

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/٣٣١ عن ابن عباس، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٥٤٣.

سُورَةُ النَّصْرِ

[مكية^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ إذا جاء نصر الله ﴿إياك على من نأواك من اليهود والعرب﴾ والفتح ﴿يعني﴾: فتح مكة.

﴿٢﴾ ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ﴿جماعات جماعات بعد ما كان يدخل واحد فواحد﴾. وكان رسول الله ﷺ لما نزلت هذه السورة قال: قد نُعِيَتْ إِلَيَّ نفسي^(٢).

﴿٣﴾ فسبح بحمد ربك ﴿أمره الله عز وجل أن يكثر التسبيح والاستغفار، ليختم له في آخر عمره بالزيادة في العمل الصالح﴾.

• • •

(١) زيادة من ظ.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٢١٧؛ وابن جرير ٣٠/٣٣٤، ورجاله ثقات.

سُورَةُ الْهَبِّ

[مكية] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ
لَهَبٍ ﴿٣﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ «تبت يدا أبي لهب وتب» لَمَّا نزل قوله: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ (٢) صعد رسول الله ﷺ الصفا، ونادى بأعلى صوته يدعو قومه، فاجتمعوا إليه فأنذرهم النار، وقال: إِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فقال أبو لهب: تَبًّا لَكَ، ما دعوتنا إلا لهذا، فأنزل الله (٣): «تبت يدا أبي لهب» أي: خابت وخسرت «وتب» وخسر هو، وَلَمَّا خَوَّفَهُ النَّبِيُّ ﷺ بالعذاب قال: إِنَّهُ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ ابْنُ أَخِي حَقًّا؛ فَإِنِّي أَفْتَدِي مِنْهُ بِمَالِي وَوَلَدِي، فقال الله تعالى:

﴿٢﴾ «ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب» يعني: ولده.

﴿٣﴾ «سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ».

(١) زيادة من ظ.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٧٣٧/٨؛ ومسلم في الإيمان برقم ٢٠٨؛ والنسائي في تفسيره ١٩٨/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٦٣.

وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾

﴿وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ ﴿٤﴾ نَقَّالَةَ الْحَدِيثِ الْمَاشِيَةِ بِالنَّمِيمَةِ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ أُخْتُ أَبِي سَفْيَانَ.

﴿فِي جِيدِهَا﴾ ﴿٥﴾ فِي عُنُقِهَا ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ سِلْسِلَةٌ مِّنْ حَدِيدٍ ذُرْعَاهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا، تَدْخُلُ فِيهَا وَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهَا^(١)، وَيَلْوِي سَائِرُهَا فِي عُنُقِهَا، وَالْمَسَدُ: كُلُّ مَا أُحْكِمَ بِهِ الْحَبْلُ.

• • •

(١) وَهَذَا قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيرٍ ٣٠/٣٤٠.

سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

[مَكِّيَّة]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ ﴿٤﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

روي أَنَّ قوماً من المشركين قال لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربك، فأنزل الله عز وجل^(١):

﴿١﴾ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ أَيُّ: الذي سألتُم نسبته هو الله أَحَدٌ.

﴿٢﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ السَّيِّدُ الذي قد انتهى إليه الشُّؤْدُد. وقيل: الصَّمَد: الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب. وقيل: هو المقصود إليه في الرغائب.

﴿٣﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾.

﴿٤﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مثلاً له.

• • •

(١) سبب النزول هذا أخرجه الترمذي في التفسير عن أبي بن كعب، برقم ٣٣٦١؛ وأحمد في المسند ١٣٤/٥ وفيه أبو جعفر الرازي؛ وهو صدوق سييء الحفظ؛ وأخرجه المؤلف في الأسباب ص ٥٤٩ بنفس الطريق؛ والحاكم ٥٤٠/٢ وصححه، ووافقه الذهبي.

سُورَةُ الْفَلَقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ
النَّفَّاثِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ قل أعوذ برب الفلق ﴿٢﴾ نزلت هذه السورة والتي بعدها لَمَّا سحر ليبدأ بن الأعصم اليهودي رسول الله ﷺ، فاشتكى شكوى شديدة، فأعلمه الله بما سحر به، وأين هو، فبعث مَنْ أتى به، وكان وَتَرًا فيه إحدى عشرة عقدة، فجعلوا كلما حلّوا عقدة وجد راحة حتى حلّوا العقد^(١) كلّها، وأمره الله تعالى أن يتعوّذ بهاتين السورتين، وهما إحدى عشرة آية على عدد العقد. قوله: ﴿رب الفلق﴾ يعني: الصُّبح.

﴿٣﴾ ومن شر غاسق ﴿٤﴾ يعني: الليل ﴿إذا وقب﴾ دخل.

﴿٤﴾ ومن شر النفاثات ﴿٥﴾ يعني: السّواحر تنفث ﴿في العقد﴾ كأنّها تنفخ فيها بشيء تقرؤه.

﴿٥﴾ ومن شرّ حاسد إذا حسد ﴿٦﴾ يعني: ليبدأ الذي سحره.

• • •

(١) الحديث أخرجه البخاري في الطب ٢٣٥/١٠؛ ومسلم في السحر والرقى برقم ٢١٨٩؛ وأحمد ٦٣/٦.

سُورَةُ النَّاسِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿١﴾ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ. ﴿٢﴾ مَلِكِ النَّاسِ. ﴿٣﴾ إِلَهِ النَّاسِ.

﴿٤﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ [يعني: ذا الوسواس]^(١) وهو الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ وهو الذي يخنس ويرجع إذا ذكر الله، والشَّيْطَانُ جَائِمٌ عَلَى قَلْبِ الْإِنْسَانِ، فَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ تَنَحَّى وَخَنَسَ^(٢)، وَإِذَا غَفَلَ التَّقَمَّ قَلْبُهُ فَحَدَّثَهُ وَمَثَاهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:

﴿٥﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ.

﴿٦﴾ مِنَ الْجِنَّةِ أَيْ: الشَّيْطَانُ الَّذِي هُوَ مِنَ الْجِنِّ ﴿وَالنَّاسِ﴾ عَطَفَ عَلَى قَوْلِهِ: الْوَسْوَاسِ. وَالْمَعْنَى: مِنْ شَرِّ ذِي الْوَسْوَاسِ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ، كَأَنَّهُ أَمَرَ أَنْ يَسْتَعِيدَهُ مِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَمِنْ شَرِّ النَّاسِ.

(١) ما بين [] زيادة من عا و ظا.

(٢) الحديث ذكره البخاري في التفسير ٧٤٢/٨ من قول ابن عباس، وأخرجه ابن جرير ٣٥٥/٣٠ عنه؛ والحاكم ٥٤١/٢ وصححه، وأقره الذهبي.

نَمَّ الكتاب

[صدق الله العظيم، وصدق رسوله الكريم، والحمد لله رب العالمين .
 وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،
 وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،
 وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين .
 نَمَّ]^(١) .

(١) ما بين [] من ظا .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
مقدمة المحقق	٧
دراسة عن المؤلف:	٩
اسمه ونسبه	١١
شيوخه	١٣
تلامذته	١٩
مذهبه الفقهي	٢٢
ثناء الأئمة عليه	٢٣
الانتقادات له	٢٥
شعره	٢٨
وفاته	٣٠
مؤلفاته	٣١
كتب نسبت إليه خطأ	٣٧
انتشار مؤلفاته وقراءتها	٣٩
دراسة عن كتاب الوجيز	٤٣
ملاحظات على الوجيز	٥١
مكانة الوجيز بين كتب التفسير	٥٦
اسم الكتاب	٥٨

٥٩	توثيقه
٦٠	مخطوطاته
٦٥	كلمة ختام
٦٩	صور المخطوطات
٨٥	مقدمة المؤلف
٨٨	سورة الفاتحة
٩٠	سورة البقرة
١٩٨	سورة آل عمران
٢٥١	سورة النساء
٣٠٦	سورة المائدة
٣٤٤	سورة الأنعام
٣٨٦	سورة الأعراف
٤٣٠	سورة الأنفال
٤٥٢	سورة التوبة
٤٨٩	سورة يونس
٥١٢	سورة هود
٥٣٨	سورة يوسف
٥٦٤	سورة الرعد
٥٧٧	سورة إبراهيم
٥٨٨	سورة الحجر
٦٠٠	سورة النحل
٦٢٧	سورة الإسراء
٦٥٣	سورة الكهف
٦٧٥	سورة مريم
٦٩١	سورة طه
٧١٠	سورة الأنبياء
٧٢٧	سورة الحج

٧٤٣	سورة المؤمنون
٧٥٦	سورة النور
٧٧٣	سورة الفرقان
٧٨٦	سورة الشعراء
٧٩٩	سورة النمل
٨١٢	سورة القصص
٨٢٨	سورة العنكبوت
٨٣٨	سورة الروم
٨٤٧	سورة لقمان
٨٥٢	سورة السجدة
٨٥٧	سورة الأحزاب
٨٧٧	سورة سبأ
٨٨٩	سورة فاطر
٨٩٦	سورة يس
٩٠٦	سورة الصافات
٩١٨	سورة ص
٩٢٨	سورة الزمر
٩٤٠	سورة غافر
٩٥١	سورة فصلت
٩٦٠	سورة الشورى
٩٧٠	سورة الزخرف
٩٨١	سورة الدخان
٩٨٨	سورة الجاثية
٩٩٣	سورة الأحقاف
١٠٠٠	سورة محمد
١٠٠٧	سورة الفتح
١٠١٥	سورة الحجرات

١٠٢١	سورة ق
١٠٢٧	سورة الذاريات
١٠٣٣	سورة الطور
١٠٣٨	سورة النجم
١٠٤٥	سورة القمر
١٠٥٢	سورة الرحمن
١٠٥٨	سورة الواقعة
١٠٦٦	سورة الحديد
١٠٧٣	سورة المجادلة
١٠٨٠	سورة الحشر
١٠٨٧	سورة الممتحنة
١٠٩٢	سورة الصف
١٠٩٥	سورة الجمعة
١٠٩٨	سورة المنافقين
١١٠٢	سورة التغابن
١١٠٦	سورة الطلاق
١١١١	سورة التحريم
١١١٦	سورة تبارك
١١٢٠	سورة القلم
١١٢٦	سورة الحاقة
١١٣١	سورة المعارج
١١٣٥	سورة نوح
١١٣٩	سورة الجن
١١٤٤	سورة المزمل
١١٤٨	سورة المدثر
١١٥٣	سورة القيامة
١١٥٧	سورة الإنسان

١١٦١	سورة المرسلات
١١٦٥	سورة عم
١١٦٩	سورة النازعات
١١٧٣	سورة عبس
١١٧٧	سورة التكوير
١١٨٠	سورة الانفطار
١١٨٢	سورة المطففين
١١٨٦	سورة الانشقاق
١١٨٩	سورة البروج
١١٩٢	سورة الطارق
١١٩٤	سورة الأعلى
١١٩٦	سورة الغاشية
١١٩٩	سورة الفجر
١٢٠٣	سورة البلد
١٢٠٦	سورة الشمس
١٢٠٨	سورة الليل
١٢١٠	سورة الضحى
١٢١٢	سورة الشرح
١٢١٤	سورة التين
١٢١٦	سورة العلق
١٢١٩	سورة القدر
١٢٢١	سورة البينة
١٢٢٣	سورة الزلزلة
١٢٢٥	سورة العاديات
١٢٢٧	سورة القارعة
١٢٢٩	سورة التكاثر
١٢٣١	سورة العصر

١٢٣٢ سورة الهمزة
١٢٣٣ سورة الفيل
١٢٣٤ سورة قريش
١٢٣٥ سورة الماعون
١٢٣٦ سورة الكوثر
١٢٣٧ سورة الكافرون
١٢٣٨ سورة النصر
١٢٣٩ سورة المسد
١٢٤١ سورة الإخلاص
١٢٤٢ سورة الفلق
١٢٤٣ سورة الناس

